

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0039176177

Φ9929649

SEP 9 1992

DATE DUE

FEB 17 2003

NOV 15 2002

JUL 24 2014

OCT 29 2014

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

makrūzī

Kitāb al-mawāʿiz wa'l-iʿtibār bi dhikr al-ḥikmah
wa'l-āthār. Bulak 1853

27-15414

2 vols

893.7M281

01

v.1

فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط للعلامة المقرئ

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٧٢	الخليج الناصري	٢	خطبة الكتاب
٧٢	ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول	٣	ذكر الرؤس الثمانية
٧٢	ذكر أعمال الديار المصرية وكورها	٤	فصل اول من رتب خطط مصر وآثارها الخ
	ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حقير	٥	ذكر طرف من هيئة الافلاك
	الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل	٩	ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها
٧٤	ضبط ماء النيل ونصريفه في اوقاته		ذكر محل مصر من الارض وموضعها من
٧٥	ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول	١٤	الاقسام السبعة
	ذكر ما عمل المسلمون عند فتح مصر في الخراج	١٥	ذكر حدود مصر وجهاتها
٧٦	وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط	١٦	ذكر بحر القلزم
	ذكر اتقاضي القبط وما كان من الاحداث	١٧	ذكر البحر الرومي
٧٩	في ذلك	١٨	ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد اسمائها
	ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع	٢٣	ذكر طرف من فضائل مصر
٨٠	معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث		ذكر المجائب التي كانت بمصر من الطلسمات
	ذكر قبالات اراضي مصر بعد ما فشا الاسلام	٣٠	والبرابي ونحو ذلك
	في القبط ونزول العرب في القرى وما كان من		ذكر الدفاتن والكنوز التي يستجيبها اهل مصر
٨١	ذلك الى الروك الاخير الناصري	٤٠	المطالب
٨٧	ذكر الروك الاخير الناصري	٤٢	ذكر هلاك أموال اهل مصر
٩١	ذكر الديوان	٤٢	ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمن جنهم
٩١	ذكر ديوان العساكر والجيش	٥٠	ذكر شيء من فضائل النيل
٩٥	ذكر الاقطائع والاقطاعات	٥١	ذكر مخرج النيل وانبعثاته
٩٨	ذكر ديوان الخراج والاموال		فصل في الرد على من اعتقد أن النيل من سيل
٩٨	ذكر خراج مصر في الاسلام	٥٥	بفيض
١٠٠	ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها	٥٧	ذكر مقاييس النيل وزيادته
١٠٣	ذكر اقسام مال مصر	٦١	ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل
١١١	ذكر الاهرام	٦١	ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم
١٢٢	ذكر الصنم الذي يقال له ابو الهول	٦٥	ذكر مجائب النيل
١٢٣	ذكر الجبال		ذكر طرف من تقدمه المعرفة بحال النيل في كل
١٢٣	ذكر الجبل المقطم	٦٧	سنة
١٢٥	الجبل الاحمر	٦٨	ذكر عبد الشهيد
١٢٥	جبل يشكر	٧٠	ذكر الخيلان التي شقت من النيل
١٢٥	ذكر الرصد	٧٠	خليج سخا
١٢٨	ذكر مدائن ارض مصر	٧٠	خليج سردوس
١٢٩	ذكر مدينة أمسوس ومجايبها وملاوكها	٧١	خليج الاسكندرية
١٣٤	ذكر مدينة منف وملاوكها	٧١	خليج الفيوم والمنهى
١٤٤	ذكر مدينة الاسكندرية	٧١	خليج القاهرة
١٥٠	ذكر الاسكندر	٧١	بحر ابى النجدا

صفحة	ذكر تاريخ الاسكندر	صفحة	ذكر تاريخ الاسكندر
٢٠٣	ذكر سمهود	١٥١	ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانما
٢٠٣	ذكر ارجنوس	١٥٣	رجلان
٢٠٣	ذكر ابوبطر	١٥٤	ذكر من ولى الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر
٢٠٤	ذكر مابوى	١٥٥	ذكر منارة الاسكندرية
٢٠٤	ذكر مدينة انصنا		ذكر الملعب الذى كان بالاسكندرية وغيره
٢٠٤	ذكر القيس	١٥٨	من العجائب
٢٠٥	ذكر دروط بلهاسة	١٥٩	ذكر عمود السوارى
٢٠٥	ذكر سكر	١٦٢	ذكر طرف مما قيل فى الاسكندرية
٢٠٥	ذكر منية الخصب	١٦٣	ذكر فتح الاسكندرية
٢٠٥	ذكر منية الناسك		ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية
٢٠٥	ذكر البحيرة	١٦٧	وانتفاض الروم
٢٠٧	ذكر سجن يوسف عليه السلام	١٦٩	ذكر بحيرة الاسكندرية
٢٠٨	ذكر قرية ترسا	١٦٩	ذكر خليج الاسكندرية
٢٠٨	ذكر منية اندونة	١٧٢	ذكر جل حوادث الاسكندرية
٢٠٨	ذكر وسيم	١٧٥	ذكر مدينة اترىب
٢٠٨	ذكر منية عقبه	١٧٦	ذكر مدينة تنيس
٢٠٩	ذكر حلوان	١٨٢	ذكر مدينة صا
٢٠٩	ذكر العزيز بن مروان	١٨٢	رمل الغرافى
٢١٠	ذكر مدينة العريش	١٨٣	ذكر مدينة بليس
٢١١	ذكر مدينة الفرما	١٨٤	ذكر بلدة الورادة
٢١٢	ذكر مدينة القلزم	١٨٦	ذكر مدينة ايلة
٢١٣	التيه	١٨٦	ذكر مدينة مدين
٢١٣	ذكر مدينة دمياط	١٨٨	بقية خبر مدينة مدين
٢٢٦	ذكر شطا	١٨٨	ذكر مدينة فاران
٢٢٦	ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر وميثق	١٨٩	ذكر ارض الجفار
٢٢٧	ذكر مدينة حطين	١٨٩	ذكر صعيد مصر
٢٢٨	ذكر مدينة الرقة	١٩٠	ذكر الجنادل ولمع من اخبار ارض النوبة
٢٢٨	ذكر عين شمس		ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن
٢٣١	المنصورة	١٩١	عليه من الامم
٢٣٢	العباسة	١٩٤	ذكر الحجة ويقال انهم من البربر
٢٣٢	ذكر مدينة قفط بصعيد مصر	١٩٧	ذكر مدينة اسوان
٢٣٣	ذكر مدينة دندرة	١٩٩	ذكر بلاق
٢٣٤	ذكر الواحات الداخلة	١٩٩	ذكر حائط العجوز
٢٣٥	ذكر مدينة سنتره	١٩٩	ذكر البقط
٢٣٥	ذكر الواحات الخارجة	٢٠٢	ذكر صحراء عيذاب
٢٣٦	ذكر مدينة قوص	٢٠٣	ذكر مدينة الاقصر
٢٣٧	ذكر مدينة اسنا	٢٠٣	ذكر البليسا
٢٣٧	ذكر مدينة ادفو		

صفحة	مصر	صفحة	اهناس
٣٠٤	ذكر العسكر الذي بنى بظاهر مدينة فسطاط	٢٣٧	ذكر مدينة البهنسا
٣٠٦	ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع	٢٣٨	ذكر مدينة الاشمونين
٣١٣	ذكر القطائع ودولة بنى طولون	٢٣٩	ذكر مدينة اخميم
٣٢٧	ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت القاهرة المعز على يد القائد جوهر	٢٤٠	ذكر مدينة العقاب
٣٣٠	ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة	٢٤١	ذكر مدينة القيوم
٣٣٤	ذكر الآثار الواردة في خراب مصر	٢٤٧	يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام
٣٣٥	ذكر خراب الفسطاط	٢٤٧	ذكر ما قيل في القيوم وخلقها وضياعها
٣٣٩	ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر	٢٤٩	ذكر فتح القيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق
٣٤٢	ذكر ما عليه مدينة مصر الان وصفها	٢٥٠	مدينة النحريرية
٣٤٣	ذكر ساحل النيل بمدينة مصر	٢٥٠	ذكر تاريخ الخليفة
٣٤٥	ذكر المنشأة	٢٥٠	ذكر ما قيل في مدة ايام الدينار ما ضياعها وبقاياها
٣٤٧	ذكر ابواب مدينة مصر	٢٥٨	ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط
٣٤٨	ذكر القاهرة القاهرة المعز لدين الله	٢٦١	ذكر تاريخ القبط
٣٤٩	ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بنى القاهرة	٢٦٢	ذكر قلاطيا نوس الذي يعرف تاريخ القبط به
٣٥٩	ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها	٢٦٣	ذكر اسابيع الايام
٣٦٠	ذكر حد القاهرة	٢٦٤	ذكر اعياد القبط من النصرى بنى مصر
٣٦٠	ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية	٢٦٩	ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعقدوا عليه في امورهم
٣٦٤	ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها	٢٧٣	ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية
٣٦٥	ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومنزعاتها	٢٨٥	ذكر فسطاط مصر
٣٧٢	ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها	٢٨٦	ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة
٣٧٣	ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن	٢٨٧	ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع
٣٧٧	ذكر سور القاهرة	٢٨٨	ذكر حصار المسلمين بالقصر وفتح مصر
٣٨٠	ذكر ابواب القاهرة	٢٩٤	ذكر ما قيل في مصر هل فتحت بصلح او عنوة
٣٨٠	باب زويلة	٢٩٥	ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم
٣٨١	باب النصر	٢٩٦	ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط
٣٨١	باب الفتوح	٢٩٦	ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط
٣٨٢	باب القنطرة	٢٩٩	ذكر امراء الفسطاط من حين فتحت مصر الى أن بنى العسكر
٣٨٣	باب الشعيرة		

صفحة		صفحة	
٤٠٤	المناظر الثلاث	٣٨٣	باب سعادة
٤٠٤	قصر الشوك	٣٨٣	الباب المحروق
٤٠٤	قصر أولاد الشيخ	٣٨٣	باب البرقية
٤٠٤	قصر الزمرذ		ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والاماع
٤٠٥	الركن الخلق		بطرف من ما ترحم وما صارت اليه احوالها
٤٠٥	السقيفة	٣٨٣	من بغدادهم
٤٠٦	دار الضرب	٣٨٤	القصر الكبير
٤٠٧	خزانة السلاح	٣٨٥	قاعة الذهب
٤٠٧	المارستان العتيق	٣٨٧	كبفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة
٤٠٧	التربة المعزية	٣٨٧	عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة
٤٠٨	القصر النافعي	٣٨٨	الاىوان الكبير
٤٠٨	الخزانة التي كانت بالقصر	٣٨٨	عيد الغدير
٤٠٨	خزانة الكتب	٣٩٠	المحول
٤٠٩	خزانة الكسوات	٣٩١	وصف الدعوة وترتيبها
٤١٤	خزانة الجوهر والطيب والطرائف	٣٩١	الدعوة الاولى
٤١٦	خزانة القرش والامتعة	٣٩٣	الدعوة الثانية
٤١٧	خزانة السلاح	٣٩٣	الدعوة الثالثة
٤١٨	خزانة السروج	٣٩٣	الدعوة الرابعة
٤١٨	خزانة الخيم	٣٩٤	الدعوة الخامسة
٤٢٠	خزانة الشراب	٣٩٤	الدعوة السادسة
٤٢٠	خزانة التوابل	٣٩٥	الدعوة السابعة
٤٢٢	دار التعبية	٣٩٥	الدعوة الثامنة
٤٢٢	خزانة الادم	٣٩٥	الدعوة التاسعة
٤٢٢	خزانة دارا فتيكين	٣٩٥	ابتداء هذه الدعوة
٤٢٣	خبر نزار وافتكين	٣٩٧	الدواوين
٤٢٣	خزانة البنود	٣٩٧	ديوان المجلس
٤٢٥	دار الفطرة	٤٠٠	ديوان النظر
٤٢٧	المشهد الحسيني	٤٠١	ديوان التحقيق
٤٣٠	ما كان يعمل في يوم عاشوراء	٤٠١	ديوان الجيوش والرواتب
٤٣٢	ذكر ابواب القصر الكبير الشرقي	٤٠٢	ديوان الانشاء والمكاتبات
٤٣٢	باب الذهب	٤٠٢	التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم
	جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب	٤٠٢	التوقيع بالقلم الجليل
٤٣٢	الذهب	٤٠٢	مجلس النظر في المظالم
٤٣٣	باب البحر	٤٠٣	رتب الاشراف
٤٣٤	باب الرمح	٤٠٣	قاضى القضاة
٤٣٥	باب الزمرذ	٤٠٤	قاعة الفضة
٤٣٥	باب الغيد	٤٠٤	قاعة السدرة
٤٣٥	باب قصر الشوك	٤٠٤	قاعة الخيم

صفحة	باب الديلم	صفحة	ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين	صفحة
٤٣٥	باب تربة الزعفران	٤٣٥	ومواضع ترمهم وما كان لهم فيها من امور	٤٣٥
٤٣٥	باب الزهومة	٤٣٥	جميلة	٤٦٥
٤٣٥	ذكر المنجر	٤٣٥	منظرة الجامع الازهر	٤٦٥
٤٣٨	ذكر دار الوزارة الكبرى	٤٣٨	ذكر لياالي الوقود	٤٦٥
	ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعتهم ومقدار		منظرة اللؤلؤة	٤٦٧
	جارهم وما يتعلق بذلك	٤٣٩	منظرة الغزالة	٤٦٩
	ذكر الحجرات التي كانت يرسم الصبيان الحجريه	٤٤٣	دار الذهب	٤٧٠
	ذكر المناخ السعيد	٤٤٤	منظرة السكره	٤٧٠
	ذكر اصطبل الطارمة	٤٤٤	ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليل	٤٧٠
	ذكر دار الضرب وما يتعلق بها	٤٤٥	منظرة الدوكة	٤٧٩
	دار العلم الجديدة	٤٤٥	منظرة المقس	٤٨٠
	موسم اول العام	٤٤٥	منظرة البعل	٤٨٠
	ذكر ما كان يضرب في خميس العدمس من		منظرة التاج	٤٨١
	خرايب الذهب	٤٥٠	منظرة الخمس وجوه	٤٨١
	ذكر دار اوكله الاخرية	٤٥٠	منظرة باب الفتوح	٤٨١
	ذكر مصلى العيد	٤٥١	منظرة الصناعة	٤٨٢
	ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها	٤٥١	دار الملك	٤٨٣
	ذكر القصر الصغير الغربي	٤٥٧	منازل العز	٤٨٤
	الميدان	٤٥٧	الهودج	٤٨٥
	البستان الكافوري	٤٥٧	قصر القرافة	٤٨٦
	القاعة	٤٥٧	المنظرة ببركة الحبش	٤٨٦
	ابواب القصر الغربي	٤٥٨	البساتين	٤٨٧
	باب الساباط	٤٥٨	قبة الهواء	٤٨٧
	باب التبانين	٤٥٨	بحر أبي المنجا	٤٨٧
	باب الزمرذ	٤٥٨	قصر الورد بالخاقانية	٤٨٨
	ذكر دار العلم	٤٥٨	بركة الحب	٤٨٩
	ذكر دار الضيافة	٤٦٠	المشتهى	٤٩٠
	ذكر اصطبل الحجريه	٤٦١	ذكر الايام التي كانت الخلفاء الفاطميون	
	ذكر مطبخ القصر	٤٦٢	يتخذونها اعياد او مواسم تسع بها احوال	
	درب السلسلة	٤٦٢	الرعية وتكثر معهم	٤٩٠
	ذكر الدار المامونية	٤٦٢	موسم رأس السنة	٤٩٠
	المأمون البطائحي	٤٦٢	موسم اول العام	٤٩٠
	حبس المعونة	٤٦٣	يوم عاشوراء	٤٩٠
	ذكر الحسبة ودار العيار	٤٦٣	عيد النصر	٤٩٥
	اصطبل الجيزة	٤٦٤	المواليد الستة	٤٩١
	دار الديباج	٤٦٤	ليالي الوقود الاربع	٤٩١
	الاهراء السلطانية	٤٦٤	موسم شهر رمضان	٤٩١

صفحة	الميلاد	صفحة	أبطال المسكرات
٤٩٤	الغطاس	٤٩١	ذكر مذاهبهم في أول الشهر
٤٩٤	نجس العهد	٤٩٢	قافلة الحاج
٤٩٥	أيام الركوبات	٤٩٢	موسم عيد الفطر
٤٩٥	صلاة الجمعة	٤٩٢	عيد النحر
٤٩٥	ذكر ما كان من أمر القصرين والمناظر بعد	٤٩٢	عيد الغدين
٤٩٦	زوال الدولة الفاطمية	٤٩٣	كسوة الشتاء والصيف
		٤٩٣	موسم فتح الخليج
		٤٩٣	ذكر النوروز

تمت فهرست الجزء الأول من كتاب الخطط

بيان الخطا والصواب في الجزء الاول من هذا الكتاب

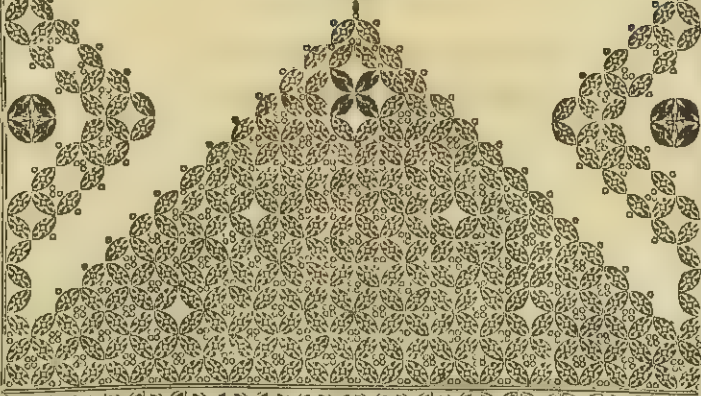
خطا	صواب	صحيفة	سطر	خطا	صواب	صحيفة	سطر
به راقمه	به وراقمه	٢٠	١٧	وأولاد الافارق	ووالد الافارقة	١٩	٢٧
قد دثرت بعده	قد ثرت بعده	٥	٠٨	ان عبد شمس بن	ان عبد شمس بن	١٩	٣٨
معظم	معظم			يشجب	يشجب		
وخيره	وصيره	٧	٢٥	البراي الى يمنية	البراي الى قونية	٢٠	٨
فالما يجرى	لعل صوابه بقلب			تجميع	تجميع	٢٠	٨
من قلب سال	سال لانه من مخلع	٨	١٤	في الناس يجتروا	في الناس يجتروا	٢٠	١٤
والفرع المقدم	والفرع المقدم	٩	٠٥	ويل بن حير	وائل بن حير	٢٠	٢٤
والفرع المؤخر	والفرع المؤخر			سليبيك	السكسك	٢٠	٢٤
كالخ	كالخ	٩	١٥ و ١٣	فلم يجبه أحد	فلم يجبه ولا أحد	٢٠	٣٨ و ٣٧
ريمقراطس	ديمقراطس	٩	١٨	ابى لهيعة	ابن لهيعة	٢١	٠٥
تدبير	تدوير	٩	٢١	أسماء للبلد	اسماء للبلد	٢١	٣٦
ضرر قوتها غير	ضرر قوتها غير			وهو مذكر اسم	وهو اسم مذكر	٢١	٣٦
ساكنة	ساكنية	١٠	١١	أدخلوا مصران	أدخلوا مصران	٢١	٣٨
تمنع من سلوك	تمنع من سلوكها			شاء الله آمين	شاء الله آمين		
الجبال	الجبال	١١	٣٩	في كتاب ليس أحد	في كتاب ليس ليس أحد	٢٢	٠٧
صارت السنة	صارت القسمة	١٢	١٦	ثم ربى الله	ثم ربى الله	٢٢	١٥
يحسب بين	يحسب بين	١٢	١٨	قضى لسته ايام	قضى لسته ايام	٢٢	٢١
ومن السماوة	ومن السماوة	١٣	٠٧	من خليفته	من خليفته		
بيلا داليت	بيلا داليت	١٣	٢١	ضلعه	ضلعه	٢٢	٢٤
والصبيصة	والصبيصة	١٣	٢٤	اجلا	اجلا	٢٢	٢٧
ومن السياة	ومن السياة	١٣	٢٧	ابو نضرة	ابو بصرة	٢٢	٣٤
الاقسام السبعة	الاقسام السبعة	١٤	٢٥	فأعانه الله	فأعانه الله	٢٢	٣٥
تشريفا	تشريفا	١٤	٣٣	قال ذبيان	قال ذبيان	٢٢	٣٧
المهالك	المهالك	١٤	٣٧	وياخذ منكم من	وياخذ منكم من		
متشرف	له (متشرب)	١٥	٣٥	حب كما يمتار مصر	وهو محل تأمل	٢٢	٣٨
بلا الصين	بلاد الصين	١٦	٣٦	أن من	ان من	٢٤	٠٤
التعير من بلاد	التعير من بلاد			السفاد	الفساد	٢٤	١٧
كران	مكران	١٦	٣٧	الجند العربي	الجند العربي	٢٤	٢٤
النخيه	النجيه	١٧	٠٧	فاذا رأيتهم رجلا	فاذا رأيتهم رجلين	٢٤	٣٦
نهر يردع مهران	يردع نهر مهران	١٧	١٠	والطرمدة	والطرمدة	٢٦	٠١
البر الرومي	البحر الرومي	١٨	٠٩	الحافري	الحافري	٢٦	٠٢
معدونية	معدونية	١٨	٣٥	بكل سحر	بكل سحر	٢٧	٢٨
ابنته قليمون	ابنة قليمون	١٩	١١	جدر الكعبة	جدر الكعبة	٢٨	٣٩
عاهن	عابر	١٩	١٦				

خطا	صواب	صحيفة	سطر	خطا	صواب	صحيفة	سطر
الكافي الله به	الكافي لنبيه عما سواه	٢٩	١٠	ثم تمتد حتى	ثم تمتد حتى ينتهي	٥١	٢٩
فقد ما سواه	(هكذا في بعض النسخ فليتا مثل)	٢٩	١٠	وفي جوده	وفي جزيرة القمر	٥٢	٠٨
ويترك اصحابه	وينزل اصحابه	٢٩	٢٤	وكذلك اغضوا	ولذلك اغضوا عنه	٥٢	٢١
ثم شرحه	ثم سترحه	٢٩	٣٠	وكان فيما يذكرك	لعله (فانه كان فيما يذكرك الخ) ليكون جوابا لا ما	٥٣	١٣
ثم دعار جلا عاقلا	(هكذا في النسخ وفيه تأمل)	٢٩	٣٦	كتاب جعفر	كتاب جغرافيا	٥٣	٢٥
ثم لم يدع الخ	ابن ابي يعقوب	٣٠	٠٤	لان نسبة	لان نسبة	٥٥	٢٠
اسمه ابن عبد الله	اسمه جبير بن عبد الله	٣٠	٠٧	وانما استدلاله	واما استدلاله	٥٦	٢٥
لمسلمة بن محمد	لمحمد بن مسلمة	٣٠	١٣	الى بناء على	الى ما	٥٦	٢٩
ولا يتغير	ولا يتغير	٣٢	٣٧	العزير لدين الله	المعز لدين الله	٦١	٠٨
جزأ	جزأ	٣٣	٠١	والجزيرة يعرف	والجزيرة التي تعرف	٦١	٣٣
جارويه	خمارويه	٣٤	٣٧	والجزيرة أيضا	والجزيرة أيضا	٦١	٣٤
اذا خرج	اذا أخرج	٣٧	٣٤	منها	منها	٦١	٣٤
غطاه	تخطاه	٣٧	٣٨	يفترغ	تفرغ	٦٢	٢٩
بيت	يثب	٣٨	١٣	الموزون من	لعله (الوزن من)	٦٢	٣١
واحذر	واحذر	٣٩	٢٥	الدستورات	الدستورات	٦٢	٣١
يعضدها	يقصدها	٣٩	٣٩	المنتجة	المنتجة	٦٣	٢٨
واجربة	واجربة	٤١	٠٥	مستكا	مستكا	٦٣	٢٨
وآمنت بنوا	وآمنت بنوا	٤٢	١٩	حيث الغشمية في	حيث الغشمية في	٦٤	٠٧
اسرائيل	اسرائيل	٤٢	١٩	التثيل معتزل	التثيل معتزل	٦٤	٠٧
بمانلته	بمانلته	٤٢	١٩	لامن دمة الشفق	لامن دمة الشفق	٦٤	٠٩
من الصنف	من الصنف	٤٢	٢٩	مدارة نفسه	مدارة نفسه	٦٤	١٩
مصر وادا	مصر اذا	٤٣	١٨	بما يمر	بما يمر	٦٥	٢٢
اخبار البلدان	اخبار البلدان	٤٤	٢٤	اناء مختزقة	اناء مختزق	٦٦	٣٢
النبيذ	كالنبيذ	٤٤	٣٦	ذلك الخرايب	ذلك الخرايب	٦٨	٢٥
وكثيرا	وكثير	٤٥	٠١	نيلا كاف	نيلا غير كاف	٦٨	٢٩
ضعيفة	صيفة	٤٦	١٢	اصناف الكواكب	اصناف الكواكب	٧٠	٢٩
واحد	وافد	٤٧	١٧	تسمى المنهل	تسمى المنهل	٧١	٢٢
بوضع حرب	بوضع حرب	٤٧	٢٢	خمس ومائة	خمس ومائة	٧١	٣٧
سيرهم	سفرهم	٤٧	٢٦	بن نسب	بن نسب	٧٢	١٨
يعرض الهواء	يعرض للهواء	٤٧	٣٢	الشرايك والقرى	الشرايك والقرى	٧٣	١٤
تعد باقية	بعد باقية	٤٨	٠٧	وهي من قوص	وهي عمل قوص	٧٤	٠٥
القرينة	القرينة	٤٨	١٩				
الابدان ان في	الابدان في	٤٨	٢٠				
قوة عليه	قوة عليه	٤٩	٠٣				

خطا	صواب	صحيفة	سطر	خطا	صواب	صحيفة	سطر
فقدان والباقي	(وفي بعض النسخ) فقدان ويقال ان احمد ابن مدبر اعقب بر ما يصلح للزراعة بأرض مصر فوجدته أربعة وعشرين ألف ألف والباقي	٧٥	٢٩	خطا	وخرج بجيش رجل	٧٩	٢٩
الشريف الحراني	الشريف الجواني	٧٥	٢٧	خطا	بعبد الملك	٧٩	٣٠
له الامراء	له الامراء	٧٧	٥٥	خطا	فقتل بجيش	٧٩	٣٠
تنودي	تنودي	٧٩	٢٦	خطا	بضراية	٨٢	٥٩
				خطا	القائد	٨٣	٥٤
				خطا	غيرها	٨٣	١٤
				خطا	الامرين	٨٤	٣١ و ١٤

هذا ما وجدناه في الملازم الاول من الجزء الاول مما يلزم التنبيه عليه وأغلبه من تحريف نسخ الاصل التي طبع منها هذا
الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها والله اعلم بالصواب

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص
ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وأقاليمها تأليف سيدنا الشيخ
الامام علامة الانام تقي الدين احمد بن
علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقرئ رحمه
الله ونفع بعلمه
امين



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي عرّف وفهم وعلم الانسان ما لم يكن يعلم وأسبغ على عباده نعماً باطنة وظاهرة ووالى عليهم من مزيد لأنه مننا متظافرة متواتره وشهم في ارضه حيناً يتقلبون واستخلفهم في ماله فهم به يتعمون وهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم وشوقهم للتفنن في مسارح التدبر والركض بمبادئ الفهوم وأرشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه ووفهم للاعتماد في كل امر عليه وصرف آخرين عن كل مكرمة وفضيلة وقبض لهم قرناء قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق ورذيلة وطبع على قلوب آخرين فلا يكادون يفقهون قولاً وشبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا ثم حكم على الكل بالفناء ونقلهم جميعاً من دار التمجيد والابتلاء الى برزخ البيود والبلاء وسيحشرهم اجمعين الى دار الجزاء ليوفي كل عامل منهم عمله ويسأله عما اعطاه وخوله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعتدله لايصال عما يفعل وهم يسئلون احمده سبحانه حمد من علم أنه الله لا يعبد الاياه ولا خالق للخلق سواء حمداً يقتضى المزيد من النعماء ويوالى المنين بتجدد الآلاء وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيه وخليفه سيد البشر وأفضل من مضى وغير الجامع لمحاسن الاخلاق والسير والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر الذى كان نبياً و آدم بين الماء والطين ورقم اسمه من الازل فى عليين ثم تنقل من الاصلاّب الفاخرة الزكية الى الارحام الطاهرة المرضية حتى بعثه الله عز وجل الى الخلائق اجمعين وختم به الانبياء والمرسلين واعطاه ما لم يعط أحد من العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين * وبعد فان علم التاريخ من اجل العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً لما يحويه من المواعظ والانذار بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقنّدى بها واستعلام مدام الفعّال ليرغب عنها اولوا النهى لاجرم ان كانت النفس الفاضلة به راقية والهمم العالية اليه مائلة وله عاشقه وقد صنف فيه الأئمة كثيراً وضمن الاجلة كتبهم منه شيئاً كبيراً وكانت مصر هي مسقط راسي وملعب اترابي وجميع ناسي ومغنى عشيرتي وحادتي وموطن خاصتي وعاشتى وجوؤجوى الذى ربي جناحي في وكره وعش ما ربي فلا تهوى النفس غير ذكره لازات مدشذوت العلم وآتاني ربي الفطانة والفهم ارجب في معرفة اخبارها وأحب الاشراف على الاعتراف من آبارها وأهوى مسائله الركبان عن سكان ديارها

فقدت بخطى في الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب او يحويها العزيم او غيرها بها
 اهاب الا انها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة مانسج على منوال فأردت أن الخص منها انباء ما بديار
 مصر من الاثار الباقية عن الامم الماضية والقرون الخالية وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد
 يفنيه البلى والقدم ولم يبق الا ان يعور سمها الفناء والعدم واذكر ما عديسة القاهرة من اثار القصور
 الزاهرة وما اشعلت عليه من الخطط والاصقاع وحوته من المباني البديعة الاوضاع مع التعريف
 بحال من اسس ذلك من اعيان الامائل والتنويه بذكر الذي شادها من سراة الاعاظم والافاضل
 وأثر خلال ذلك نكنا لطيفه وحكا بديعة شريفه من غير اطالة ولا اكثار ولا اخفاف مخجل بالغرض
 ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين فلهذا سميت (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط
 والاثار) واني لارجو أن يحظى ان شاء الله تعالى عند الملوك ولا ينبوغه طباع العامة والصعولة
 ويجله العالم المنتهى ويحب به الطالب المبتدى وترضاه خلائق العابد الناسك ولا يجه سماع الخليع الفنانك
 ويتخذاه اهل البطالة والرافية سمرا ويعدوه اولوا الرأي والتدبير موعظة وعبرا يستدلون به على عظيم قدرة
 الله تعالى في تبديل الابدال ويعرفون به عجائب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال فان
 كنت احسنت فيما جمعت وأصبت في الذي صنعت ووضعت فذلك من عيم من الله تعالى وجزيل فضله
 وعظيم انعمه على وجيل طوله وان انا أسأت فيما فعلت واخطأت اذ وضعت فما جدر الانسان بالاساءة
 والعيوب اذ لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب

وما أترى نفسي اني بشر * اسهو وأخطى ما لم يحتمى قدر

ولا ترى عذرا اولى بذى زلل * من أن يقول مقتر اني بشر

فليسبب الناظر في هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره ان مرتب به هفوه وليغض تجاوزا وصفحان وقف منه على
 كسوة افضوه فأى جواد وان عنق ما يكبو وأى غضب مهند لا يكل ولا ينبو لاسما والخاطر بالافكار
 مشغول والعزم لالتواء الامور وتعمرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل
 والقلب لتوالي الحزن وتواتر الاحزن عليل

يعاندني دهرى كأتى عذوه * وفي كل يوم بالكرمية يلقياني

فان رمت شيأ جاءني منه ضده * وان راق لي يوما تكدر في الثاني

اللهم غفر ما هذا من التبرم بالقضاء ولا التجبر بالمقدور بل أنه سقيم ونفثة مصدور يستروح ان ابدى التوجع
 والالين ويجد خفما من ثقله اذ اباح بالشكوى والحنين

ولو نظروا بين الجوائح والحشا * رأوا من كتاب الحب في كبدى سطرأ

ولو جرت يوما قد لقيت من الهوى * اذ اعذرني أو جعلت لهم عذرا

والله اسأل أن يحلى هذا الكتاب بالقبول عند الجله والعلماء كما عوذ به من نظرق ايدي الحساد اليه
 والجهلاء وأن يهديني فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سواء السبيل انه حسبنا ونعم الوكيل
 وفيه جلت قدرته على سلو من كل حادث وعليه عز وجل اتوكل في جميع الحوادث لا اله الا هو ولا معبود سواه

(ذكر الرأس الثمانية) *

اعلم أن عادة القدماء من المعلنين قد جرت أن يأتوا بالرؤس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهي الغرض
 والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أى صناعة هو وكل فيه من اجزاء وأى النحاء التعاليم المستعملة
 فيه فنقول (أما الغرض) في هذا التأليف فانه جمع ما تفرق من اخبار ارض مصر وأحوال سكانها كي يلتئم من
 مجموعها معرفة جل اخبار اقليم مصر وهي التي اذا حصلت في ذهن انسان اقتدر على أن يخبر في كل وقت بما كان
 في ارض مصر من الاثار الباقية والبايدة ويقص احوال من ابتدأها ومن حلها وكيف كانت مصار امورهم
 وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما تحصل به الفائدة الكلية بذلك الاثر (وأما عنوان هذا الكتاب)
 اعني الذي وسمته به فاني لما خفصت عن اخبار مصر وجدتها محتلطة متفرقة فلم يتهيأ لي اذ جمعتها أن أجعل
 وضعها متبعا على السنين اعدم ضبط وقت كل حادثة لاسيما في العصر الخالية ولا أن اضعها على اسماء الناس

لعل آخر تظهر عند تصفح هذا التآليف فلهذا فترقتها في ذكر الخطط والآثار فاحتوى كل فصل منها على ما يلايه
 ويشاكله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من اخبار مصر ولم التحاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه
 بطريقة يستحسنها الا ريب ولا يستحسنها الفطن الاديب كي يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما في غيره
 من الفصول فلذلك سميت (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) * (وأما منفعة هذا الكتاب) فان
 الامر فيها يتبين من الغرض في وضعه ومن عنوانه اعني أن منفعته هي أن يشرف المرء في زمن قصير على ما كان
 في ارض مصر من الحوادث والتغيرات في الازمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتتهذب بتدبر ذلك نفسه
 وترتاض اخلاقه فيحسب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف فناء الدنيا فيخطي بالاعراض عنها والاقبال
 على ما يبقى (وأما مرتبة هذا الكتاب) فانه من جملة أحد قسمي العلم اللذين هما العقلي والنقلي فينبغي أن
 يتفرغ لمطالعة وتدبر مواعظه بعد اتقان ما يجب معرفته من العلوم العقلية والعقلية فانه يحصل بتدبره لمن
 ازال الله اكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه أبناء جنسه بعد التحول في الاموال والجنود ومن
 الفناء والبيود فاذا مرتبته بعد معرفة اقسام العلوم العقلية والنقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا
 من قبل (وأما واضع هذا الكتاب ومربته) فاسمه احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ويعرف بالمقريزي
 رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة المعزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبع مائة من سني الهجرة المحمدية ورتبته من
 العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه وألفه (وأما من أي علم هذا الكتاب) فانه من علم الاخبار وبها
 عرفت شرائع الله تعالى التي شرعها وحفظت سنن انبيائه ورسله ودون هداهم الذي يقتدى به من وقته الله
 تعالى الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والفرعائه
 وكيف حل بهم سخط الله تعالى لما اتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليفة من انشاء البشر على معرفة ما دونوه
 من العلوم والصنائع وتأتى لهم علم ما غاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر
 فضله ولكل امته من امم العرب والعجم على تباين آرائهم واختلاف عقائدهم اخبار عندهم معروفة مشهورة
 ذاتة بينهم ولكل مصر من الامصار المعروفة حوادث قد مرت به يعرفها علماء ذلك المصطفى في كل عصر
 ولو استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم في ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره (وأما
 أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة) * اولها يشتمل على جمل من اخبار ارض مصر وأحوال نيلها وخراجها
 وجبالها * وثانيها يشتمل على كثير من مدنها واجناس اهلها * وثالثها يشتمل على اخبار فسطاط مصر ومن
 سلكها * ورابعها يشتمل على اخبار القاهرة وخلافتها وما كان لهم من الآثار * وخامسها يشتمل على ذكر
 ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال * وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها * وسابعها
 يشتمل على ذكر الاسباب التي نشأ عنها خراب اقليم مصر * وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزاء السبعة عدة
 اقسام * وأما أي النحاء التعاليم التي قصدت في هذا الكتاب) فاني سلكت فيه ثلاثة انحاء وهي النقل من
 الكتب المصنفة في العلوم والرواية عن ادركت من شيخة العلم ووجه الناس والمجاهدة لما عاينته ورأيت *
 فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في انواع العلوم فاني اعزو كل نقل الى الكتاب الذي نقلته منه
 لا خلاص من عهده وأبرأ من تحريره فكثيرا ممن ضمنوا وايام العصر واشتمل علينا المصراع لقلعة اشراقه
 على العلوم وقصور باعه في معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس بهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو أنصف
 لعلم أن العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة اليه
 وحسب العالم أن يعلم ما قبل في ذلك ويقف عليه * وأما الرواية عن ادركت من الجبله والمشايخ فاني
 في الغالب والاكثر اصرح باسم من حدثني الا ان لا يحتاج الى تعيينه أو كون قد أنسيت وقيل ما يتفق
 مثل ذلك * وأما ما شاهدته فاني أرجو أن اكون ولله الحمد غير متهم ولا ظنين * وقد قلت في هذه الروس
 الثمانية ما فيه قنع وكفاية ولم يبق الا أن اشعر فيما قصدت وعزمني أن اجعل الكلام في كل خط من الاخطاط
 وفي كل اثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار أجمع وأكثر فائدة واسهل
 تناولاً والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفوق كل ذي علم عليم
 (فصل) اول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ثم كتب

بعده القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي كُتبه المنعوت بالمختار في ذكر الخطط والآثار ومات في سنة سبع وخمسين وأربعمائة قبل سني الشدة فدفن كثر ما ذكر اه ولم يبق الايلع وموضع بلقع بماحل بمصر من سني الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين الى سنة اربع وستين وأربعمائة من الغلاء والوباء مات اهلها وخربت ديارها وتغيرت احوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجاني القسطاط الغربي والشرقي فأما الغربي فمن قنطرة بني وائل حيث الوراقات الآن قريسا من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف الآن بالصدوانت مارا الى القرافة الكبرى واما الشرقي فمن طرف بركة الحبش التي تلي القرافة الى نحو جامع احمد بن طولون ثم دخل امير الجيوش بدر الجمالي مصر في سنة ست وستين وأربعمائة وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها وأنيستها قد أبادهم الوباء والتباب وشنتهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم اموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سماتهم من غلاء الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوائف العبيد والمخبة ولم يجد من يزرع الاراضي هذا والطرق قد انقطعت بحرا وبراً الانجفارة وكافة كثيرة وصارت القاهرة أيضا يابا دأثرة فأباح للناس من العسكرية والمخبة والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ماشاء في القاهرة مما خلا من دور القسطاط بموت اهلها فأخذ الناس في هدم المساكن ونحوها بمصر وعمرها في القاهرة وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنبه بعد القاضي علي الخطط والتعريف بها تليده أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي في تاليف لطيف به فيه الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي علي مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت اجبا سا ثم كتب الشريف محمد بن اسعد الجواني كتاب النقط بعجم ما شكل من الخطط به فيه علي معالم قد جهلت وآثار قد دثرت وآخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايعاظ المتأمل وايضا المتغل في الخططين فيه جلا من احوال مصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين وسبعمائة قد دثرت بعده معظم ذلك في وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم في وباء سنة احدى وستين ثم في غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة وكتب القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية اليه ثم ترايدت العمارة من بعده في الايام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى ان كادت تضيق على اهلها حتى حل بها وباء سنة تسع وأربعين وسنة احدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين فغربت به عادة اما كن فلما كانت الحوادث والحزن من سنة ست وثمانائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعمامة الاقليم وسأورد من ذكر الخطط ما اتصل اليه قدرتي ان شاء الله تعالى

* (ذكر طرف من هيئة الافلاك) *

اعلم انه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض وتبين موضع الارض من الفلك ان اذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموضع الاقليم منها واذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقليم واذكر حدودها واشتقاقها وفنائها وعبابها وكنوزها وأخلاق اهلها واذا كثر ما فيها وخلقها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع في ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول علم النجوم ثلاثة اقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكية الكواكب واقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم الثاني علم الزيج وعلم التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوال البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذة من علم الهيئة تكون نواة لما يأتي ذكره * اعلم أن الكواكب اجسام كريات والذى ادرك منها الحكماء بالصد ألف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا وهي على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد انظمت في بيت واحد وهو
زحل شري مريخه من شمس * فتزاهرت بعطارد الاقمار

ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التي عنها الله تعالى بقوله فلا قسم بالخنس الجوارى الكنس والتي عنها الله تعالى بقوله فالمدبرات أمرا وقيل لها الخنس لاستقامتها في سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تجرى في البروج ثم تكنس أى تستركا يكنس الطي وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهي ماسوى الشمس

والقمر سميت بذلك من الانحناس وهو الانقباض وفي الحديث الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله
خنس أى انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم كنس
الطي اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا في الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه
الكواكب المتخيرة لانها ترجع أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية في رأى العين فيكون
هذا الارتداد لها شبه التخير وهذه الاسماء التي لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها فزحل مشتق من
زحل فلان اذا أبطأ سمي بذلك لبطء سيره وقيل للزحل والزحل الحقد وهو برغمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد
في قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب والمشتري سمي بذلك لحسنه كانه اشترى
الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشراء والبيع ودليل الريح والمال في قولهم والمريخ مأخوذ من المرخ
وهو شجر يحتك بعض اغصانه ببعض فيورى نارا سمي بذلك لاجاراره وقيل المريخ سمي لاريش له اذ ارى به
لا يستوى في مقره وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته برغمهم تشبه ذلك والشمس لما كانت
واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لانهم من فوقها وثلاثة سفلية لانهم من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التي في
المنطقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شئ وعطارد هو النافذ في كل الامور ولذلك
يقال له أيضا الكاتب فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب والقمر مأخوذ من القمر وهى
البياض والاقمر الايض ويقال لزلحل كيوان وللمشتري تير والبرجيس أيضا وللمريخ بهرام وللشمس
مهر وللزهرة اياهيد وسدحت أيضا ولعطارد هرمس وللقمر ماه وقد جعلت في بيت واحد وهو هذا

لازلت تبق وترقى للعلی ابدًا * مادام للسبعة الافلاك احكام

مهر و ماه و كيوان و تير معا * وهرمس و اياهيد و بهرام

ويقال للماعدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها في الفلك
بموضع واحد وقيل لبطء حركتها فانها تقطع الفلك برغمهم بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة *
ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشفات بعضها
في جوف بعض وهى تسعة اقربها الفلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس
وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى
السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك
الكل وقد اختلف في الافلاك فقيل هي السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هي كرية وقيل غير
ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسي والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم
الدوران كالدولاب ويدور في كل اربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدًا من المشرق
الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لادارة التاسع
لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالتأخر مدة بقاء الشمس فوق افق الارض والليل مدة غيبوبة
الشمس تحت افق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم بانثى عشر قسما كحزب البطيخة كل قسم منها يقال له
برج وهى الحمل والثور والجوزاء السرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
والجدى والدلو والحوت وكل برج من هذه البروج اثنتى عشر يتقسم ثلاثين قسما يقال لكل قسم منها
درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه
الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوابت والروابع والخوامس الى
الثوانى عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك اربعة فصول وهى الربيع
والصيف والخريف والشتاء * وجهات الاقطار اربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب *
والاركان اربعة النار والهواء والماء والتراب * والطبائع اربعة الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة * والاخلط اربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم * والرياح اربعة الصبا والديبور
والشمال والجنوب * فالبروج منها ثلاثة رييحية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهى الحمل
والثور والجوزاء وثلاثة صيفية هابطة في الشمال آخذة الليل من النهار وهى السرطان والاسد

والسنبله وثلاثة خريفية هابطة في الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب والقوس
وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدى والدلو والحوت * والفلك المحيط
كما تقدم دائم الدوران كالدولاب يدور أبداً من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها
فيكون دائماً نصف الفلك وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الآخر وهو ستة بروج بمائة
وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها ثمانمائة وستون
درجة غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائماً ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج
طلوعها بالليل * والافق عبارة عن الحد الفاصل من الارض بين المشرق والمغرب من السماء والفلك يدور على
قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الحلق على قطبي المخروطة ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين
بعدهما من كلا القطبين سواء وتسمى هذه الدائرة دائرة معتدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج
تقاطع دائرة معتدل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر أربع وعشرين درجة تقريباً وهذا النصف
فيه قسمة البروج الستة الشمالية وهي من أول الحمل الى آخر السنبله ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل
ذلك وفيه قسمة البروج الستة الجنوبية وهي من أول برج الميزان الى آخر برج الحوت وموضع تقاطع هاتين
الدائرتين اعني دائرة معتدل النهار ودائرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعني رأس الحمل ورأس
الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذ دائرة فلك البروج دون دائرة معتدل النهار وتزخر الشمس على
دائرة معتدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لانها موضع تقاطع الدائرتين وهذا هو خط الاستواء
الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين
الشمالي والجنوبي سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثنى عشر برجاً في مدة ثمانمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم
بالقريب وهذه هي مدة السنة الشمسية وتقيم في كل برج ثلاثين يوماً وكسراً من يوم وتكون ابداً بالنهار ظاهرة
فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبله فانها تكون مرتفعة في الهواء قريبة من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل
الصيف واذا حلت في البروج الجنوبية وهي الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت كان فصل
الخريف وفصل الشتاء وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الرؤس وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله
تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله بارداً رطباً وخلق الربيع فجعله حاراً رطباً وخلق الصيف فجعله حاراً
يابساً وخلق الخريف فجعله بارداً يابساً وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عندما تنتقل
الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء في البداية من الفصول ففهم من اختار فصل الربيع وخيره أول
السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفي * ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي * ومنهم من اختار
تقديم الانقلاب الشتوي فاذا حلت أول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف
الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب التسمي وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيماعد مصر ونبت
العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلاأ الأزهار وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض وتنتج البهائم
ودرت الضروع وأخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصية شابة قد تزينت للناظرين وشهد القائل
وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليعمرى رحمه الله تعالى

واستنشقوا الهواء الربيع فانه * نعم التسمي وعنده الطاف

يغذى الجسوم نسيجه وكأنه * روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والورد ولا يعرفون
الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل
الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذي تدعوه
العامة الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي يعتدل وتدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاقول ويسمى
الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكم والنور الربيع الثاني وكلهم مجتمعون على أن الربيع هو الخريف فاذا
حلت الشمس آخر برج الجوزا وأول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وأبدأ نقص النهار وزيادة

الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحى الهواء وهبت السماء ونقصت المياه الا بمصر
 وليس العشب واستحكم الحب وأدرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسخت البهايم واشتدت قوة الابدان ودرت
 أخلاف النعم وصارت الارض كلها عروس فاذا بلغت آخر برج السنبلة وأول برج الميزان تساوى الليل والنهار
 مرة ثانية وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء
 وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الامهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار ودرست البيادر
 واختزن الحب واقتنى العشب واعتبر وجه الارض الا بمصر وهزلت البهايم وماتت الهوام وانجبرت الحشرات
 وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافئة وأخذ الناس يحزنون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها امرأة
 كهلة قد أدبرت وأخذ شبابها يولى ولله در القائل وهو الامام عز الدين أبو الحسن أحمد بن علي ابن معقل
 الأزدي المهلبى الحمصى حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذبة * برد الهواء لقد أبدى لنا عجباً
 اهدى الى الارض من اوراقه ذهباً * والارض من شأنها أن تهدى الذهباً

وقال أيضاً

لله فصل الخريف فصلاً * رقت حواشيه فهو رائق
 فالماء يجري من قلب سال * والدمع يدوب وجه عاشق
 فبر هذا ولون هذا * يلداه ذائق وواق

وقال أيضاً

اقى فصل الخريف بكل طيب * وحسن معجب قلباً وعينا
 ارانا الدوح مصفراً نضاراً * وصافى الماء مبيضاً لجينا
 فأحسن كل احسان الينا * وانعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف

خذ في التدثر في الخريف فانه * مستوبيل ونسيمه خطاف
 يجري مع الاجسام جرى حياتها * كصديقها ومن الصديق يخاف

وقال آخر

يا عاباً فصل الخريف وغائباً * عن فضله في ذمه لزمانه
 لاشئ ألطف منه عندى موقفاً * ابدان يعرى الغصن من قصانه
 وتراه يفرش تحته أثوابه * فأعجب لأفته وقرط حنانه
 وألذ ساعات الوصال اذا دنا * وقت الرحيل وحان حين اوانه

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة والليل
 في النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات
 اكثر النبات وغارت الحيوانات في جوف الارض وضعف قوى الابدان وعرى وجه الارض من الزينة ونشأت
 الغيوم وكثرت النداء وأظلم الجو وكل وجه الارض الا بمصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كأنها
 مجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه
 ذلك تقدير العزيز العليم وتذبر الخبير الحكيم لا اله الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان الطفولية
 وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتاء بالشيخوخة وعن حركة الشمس وتقلها في البروج
 الاثنى عشر المذكورة تكون ازمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتها وعن حركة القمر في البروج
 الاثنى عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثنى عشر ويقطع الفلك كله في مدة
 ثمانية وعشرين يوماً وبعض يوم ويقع في كل برج يومين وثلاث يوم بالتقريب ويقع في كل منزلة من منازل القمر
 الثمانية والعشرين منزلة يوماً وليلة فيظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره في كل
 ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويمتلئ في ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر

في النقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدا الى أن يحق نوره في آخر الثمانية وعشرين يوما من اهلاله
ويمر في هذه المدة منذ يفارق الشمس ويدور في ناحية الغرب ويستمر الى أن يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهي
السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهقعة والذراع والنثرة والطرف والجنبه
والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والاكيل والقلب والشولة والنعام
والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر
وبطن الحوت * وحساب ذلك كتب موضوعه وفيما ذكر كفاية والله يعلم وانتم لاتعلمون

(ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها)

ولما تقدم في الافلاك من القول ما يتبين به لمن ألهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التي بها الليل والنهار وتركب
الشهور والاعوام منه ما جاز حينئذ الكلام على الارض فأقول * الجهات من حيث هي ست الشرق وهو
حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل قطر من الافق والغرب وهو حيث تغرب الشمس والشمال وهو
حيث مدار الجدي والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو ممالي السماء والتحت وهو
ممالي مركز الارض * والارض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرة الشكل وهي واقعة في الهواء بجميع
جبالها وبحارها وعامرها وناغمها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالخ في جوف البيضة وبعدها من
السماء متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحقيقه هو عرق باطنها ممالي مركزها من أي جانب كان
ذهب الجمهور الى أن الارض كالكرة موضوعة في جوف الفلك كالخ في البيضة وأنها في الوسط وبعدها
في الفلك من جميع الجهات على التساوي وزعم هشام بن الحكم أن تحت الارض جسما من شأنه الارتفاع
وهو المانع للارض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما بعده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان
الله تعالى وقفها بلا عماد وقال ربيعة اطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجا فيضطر
الى الانتقال وقال آخر هي واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فذلك
لا تميل الى ناحية من الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كجبر المغناطيس في جذب الحديد فان
الفلك بالطبع مغناطيس الارض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدبير الفلك
ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما اذا وضعت ترابا في قارورة وأدبرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وقال
محمد بن احمد الخوارزمي الارض في وسط السماء والوسط هو السفلي بالحقيقة وهي مدورة مخرسة من جهة
الجبال البارزة والوهاد الغائرة وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت بجلتها لأن مقادير الجبال وان شخمت
يسيرة بالقياس الى ككرة الارض فان الكرة التي قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا تأمنها شيء أو غار فيها
لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شيء
حينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة في الماء والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم أسرار حكمه
الاهو * وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الارض يحيط بها ويجذبها
من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا فوق آخر الى الفلك التاسع الذي هو أعلى
الافلاك ونهاية المخلوقات بأسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلا وقيل ملاء وقيل لا خلا ولا ملاء وكل موضع
يقف فيه الانسان من سطح الارض فان رأسه ابدى يكون ممالي السماء الى فوق ورجلاه ابدان تكون اسفل
ممالي مركز الارض وهو دائري من السماء نصفها ويستتر عنه النصف الآخر حدة الارض وكما انتقل
من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفي عنه * والارض غامرة بالماء كعنبه طافية فوق الماء
قد انحسر عنها ثلث النصف وانغمس النصف الآخر في الارض وصار المنكشف من الارض نصفين كما تقاسم
بخط مسامت لخط معتدل النهار يمر تحت دائرته وجميع البلاد التي على هذا الخط لا عرض لها البتة والقطبان غير
مرتبين فيها ويكونان هناك على دائرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية
الشمال قدر درجة ارتفاع القطب الشمالي الذي هو الجدي على اهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب
الجنوبي الذي هو سهيل درجة وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة في ناحية الجنوب
كذلك من ارتفاع القطب الجنوبي وانخفاض القطب الشمالي وبهذا عرف عرض البلدان وصار عرض

البلد عبارة عن ميل دائرة معدّل النهار عن سمت رأس اهلها وارتفاع القطب عليهم وهو أيضا بعد ما بين سمت
رؤس اهل ذلك البلد وسمت رؤس اهل بلد لا عرض له فأما ما انكشف من الارض مما يلي الجنوب من خط
الاستواء فانه خراب والنصف الآخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء فهو الربع العامر وهو المسكون
من الارض وخط الاستواء لا وجود له في الخارج وانما هو فرض بوهما أنه خط ابتداء من المشرق الى المغرب
تحت مدار رأس الحمل وسمي بذلك من اجل أن النهار والليل هناك ابد اسواء لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر
شيأ البتة في سائر أوقات السنة كلها ونقطتا هذا الخط ملازمان للافق احدهما على مدار سهيل في ناحية
الجنوب والاخرى مما يلي الجدى في ناحية الشمال * والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من
الجنوب الى الشمال من خط اريس الى نبات نعش ثمان واربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف
خط اريس وهو مقدار سته عشر درجة وجملة معمور الارض نحو من سبعين درجة لا اعتدال مسير الشمس
في هذا الوسط ومرتورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة وأما الشمال والجنوب فالشمس لاتخاذيهما
الامتدة واحدة ولا توج الشمس مرتين في جهة الشمال كانت العمارة فيه لا ارتفاعها وانتفاء ضرر قوتها غير
ساكنة ولان حضيتها في الجنوب عدت العمارة هناك * وقد اختلف الناس في مسافة الارض فقليل مسافتها
خمس مائة عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون ليأجوج
وما جوج واثنا عشر للسودان وثمانية للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الامم وقيل الدنيا سبعة اجزاء ستة
ليأجوج وما جوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمس مائة عام البحار ثلث مائة ومائة خراب ومائة عمران
وقيل الارض اربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألف وللروم ثمانية آلاف ولقارس ثلاثة آلاف
وللعرب ألف * وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا في الخراب الا كفسطاط في الصحراء وقال ازدشير بن
تابك الارض اربعة اجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعة
والاطراف اربعة والنواحي خمسة واربعون والمدائن عشرة آلاف والرساتيق مائة ألف وستة
وخمسون ألفا وقيل المدن والحصون احدى وعشرون ألفا وست مائة مدينة وحصن ففي الاقليم الاول ثلاثة
آلاف ومائة مدينة كبيرة وفي الثاني ألفان وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة
آلاف وتسع وسبعون مدينة وقرية وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة وفي الخامس
ثلاثة آلاف مدينة وست مائة وفي السادس ثلاثة آلاف واربع مائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف
وثلاث مائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الارض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الارض
والجبال والمفاوز والبحار والباقي خراب يباب لاناات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الارض مثل طائر
رأسه الصين والجناح الايمن الهند والسند والجناح الايسر الخزر وصدر مكة والعراق والشام ومصر وذب
الغرب * وقيل قطر الارض سبعة آلاف وأربع مائة واربعه عشر ميلا ودورها عشرون ألف ميل واربع مائة
ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر * وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي طول الارض من اقصى المشرق
الى اقصى المغرب نحو اربع مائة مر حلة وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكين
يا جوج وما جوج الى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو مساكين السودان مائة وثمان وعشرون مر حلة
وما بين براري يا جوج وما جوج الى البحر المحيط في الشمال وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب
خراب ليس فيه عمارة ويقال أن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها * والطريق في
معرفة مساحة الارض أن لو سرناعلى خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دائرة معدّل النهار عن
سمت رؤسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزءا وارتفع القطب علينا درجة
نظير تلك الدرجة فانا نعلم اننا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزءا من ثلاثمائة وستين جزءا وهو نظير ذلك الجزء من
الفلك فلو قسمنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاننا الذي وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فانا نجد
حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثي ميل عن خمسة وعشرون
فرسخا فاذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال في ثلاثمائة وستين خرج من الضرب
عشرون ألفا واربعمائة ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التي هي مساحة دور الارض

على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلا وهي مساحة قطر الارض فلو ضربنا هذا القطر في مبلغ دور الارض لبلغت مساحة بسط الارض بالتكسير مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وستمائة ألف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الارض المسكون بالتكسير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعده مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس الارض وانتهى الى جزيرة تولى في بريطانيا وهي آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذي هو مساحة عرض الارض في النصف وهو مقدار الطول كان المعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض وبقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب اربعة آلاف وثمانون ميلا وفي الربع المسكون من الارض سبعة أبحر بكار وفي كل بحر منها عدة جزائر وفيه خمسة عشر بحيرة منها ملح وعذب وفيه ما تتاجل طوال ومائتا نهر وأربعون نهرًا طولا ويشتمل على سبعة اقاليم تحتوي على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة * وقال في كتاب هرشيوس لما استقامت طاعة بوليس الملقب قبصر الملك في عاصمة الدنيا تخير أربعة من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها ارباعا فولى أحدهم أخذ وصف جزء المشرق وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث أخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب فمكت كتابه الجميع على ايديهم في نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار المسماة في الدنيا تسعة وعشرين بحرا قد سموا منها بحيرة الشرق ثمانية وبحيرة الغرب ثمانية وبحيرة الشمال أحد عشر وبحيرة الجنوب اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها في الشرق ثمان وفي الغرب ست عشرة وفي جهة الشمال احدى وثلاثون وفي جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجبال الكبار المعروفة في جميع الديار ستة وثلاثون وهي أتمهات الجبال وقد سموا فيما فسر ومنها في جهة الشرق سبعة وفي جهة الغرب خمسة عشر وفي الشمال اثناعشر وفي الجنوب اثنان والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها في المشرق سبعة وفي المغرب خمسة وعشرون وفي الشمال تسعة عشر وفي الجنوب اثناعشر وقد سموا والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان منها في المشرق خمس وسبعون وفي المغرب ست وستون وفي الشمال ست وفي الجنوب اثنان وستون والانهار الكبار المعروفة في جميع الديار ستة وخمسون منها الجزء الشرق سبعة عشر والجزء الغرب ثلاثة عشر والجزء الشمال تسعة عشر والجزء الجنوب سبعة والاقاليم السبعة كل اقليم منها كانه بساط مفروش قدمته طول من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم الاول منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ست عشر ساعة لان ما حاذى حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما حاذى الاقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من الشرق الى الغرب مسافة اثني عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا وأقصرها طولاً وعرضاً الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعها القدماء الذين جالوا في الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويتقنوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون وأما الثلاثة الارباع الباقية فانهما خراب فجأة الشمال واقعة تحت مدار الجدى قد أفرط هناك البرد وصارت ستة اشهر ليلا مستقر او هي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار وينظم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة اشهر بغير ليل وهي مدة الصيف عندهم فيسمى الهواء ويصير سموماً محرقاً يهلك بشدة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة ظلماته وناحية الشرق تمنع من سلوك الجبال الشاخنة وصار الناس اجمعهم قد انحصروا في الربع المسكون من الارض

ولا علم لاحد منهم بالارض أى بالثلاثة الارباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطة في دائرة وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعة بساعات النهار وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل في سائر الاقاليم كلها فاذا انتقلت في درجات برج الحمل والنور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الأول ثلاث عشرة ساعة سواء وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهارا كله * ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة في الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجة فانه اقرب الى الغرب وأبعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجة فانه أبعد عن الغرب واقرب الى الشرق * وقد ذكر القداماء أن العالم السفلي مقسوم سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فأقليم الهند لجنبل واقليم بابل للمشتري واقليم الترتل للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر * وقال قوم الحمل والمشتري لبابل والجدى وعطارد للهند والاسد والمريخ للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثني عشر برجاً فالحمل ومثله للشرق والنور ومثله للجنوب والجوزاء ومثله للمغرب والسرطان ومثله للشمال قالوا وفي كل اقليم مدينتان عظيمتان يحسب بين كل كوكب الاقليم الشمس واقليم القمر فانه ليس في كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقاليم السبعة وحصونها أحد وعشرون ألف مدينة وسقاية مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت هذه الدقائق روابيع كانت اناس هذه الاقاليم واذ امات أحد ولد نظيره ويقال أن عدد مدن الاقليم الاول من مطلع الشمس وقرائها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وأن في الثاني ألفان وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون وفي الخامس ثلاثة آلاف وست مدن وفي السادس ثلاثة آلاف وأربع مائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاث مائة مدينة وقرية كبيرة في الجزائر * فالاقليم الاول يمر وسطه بالموضع التي طول نهارها الاطول ثلاث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالي فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلاث درجته وهو العرض وانتهى عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو مسافة اربعمائة واربعين ميلا وابتدأه من اقصى بلاد الصين فيمر فيها الى مايلي الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد السند ويمر في البحر على جزيرة العرب وارض اليمن ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة ومدينة دنقله من ارض النوبة ويمر في ارض المغرب على جنوب بلاد البربر الى شحوا البحر المحيط وفي هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخا الى ألف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طويلا منها ما طوله ألف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة اهل هذا الاقليم سودا اللون ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب السيارة المشتري وهو مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع اهله الذرة والارز الآن الاعتدال عندهم معدوم فلا يثر عندهم كرم ولا حنطة والبقرة عندهم كثيرة لكثر المروج وفي مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستواء بثلاث عشرة درجة وفي مغربه النيل وبحر المغرب ومن هذا الاقليم يأتي نيل مصر وشرقهم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند واليمن * والاقليم الثاني حيث يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه قدراً أربعة وعشرين جراً وعشر جزء وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ومساحة هذا الاقليم اربعمائة ميل

ويتدئ من بلاد الشرق ماراً ببلاد الصين الى بلاد الهند والسند ثم يلتقي البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة فيدخل في هذا الاقليم اليمامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان ويمر في أرض المغرب على وسط بلاد أفريقيا فيمر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلاً وسبعة عشر نهراً طوالاً واربعاً وخمسون مدينة كبيرة وألوان اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدى ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة ففي المغرب منهم حداله وصنهاجه ولتونه ومسوفه ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون يحل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من اهل العراق الى رحالة التلذذ والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومسافته ثلاثمائة وخمسون ميلاً ويتدئ من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم يشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهواز والعراق والبصرة واسط وبغداد والكوفة والانباء وهيت ويمر ببلاد الشام الى سبلىة وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ويقطع اسفل أرض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندرية والعمراتينس ودمياط ويمر ببلاد بركة الى افرقة فيدخل فيه القيروان وينتهي في البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلاً كباراً واثنان وعشرون نهراً طوالاً ومائة وعثمانية وعشرون مدينة واهله سمر الألوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهرة وفي هذا الاقليم العمائر المتواصلة من قوله الى آخره اهـ والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض تسعة وعشرين درجة وثلاث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويتدئ من الشرق فيمر ببلاد البيت وخراسان وجنده وفرغانة وسمرقند وبخارى وهراهم ورواردوسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوین والديلم والرى واصفهان وهمذان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وآمدوراس العين وشيخاسط والرقه ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومسح وملطية وحلب وانطاكية وطرابلس والصبصة وحماه وصبيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس وزودس ويمر ببلاد طنجة فينتهى الى بحر المغرب وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلاً كباراً وخمسة وعشرون نهراً طوالاً ومائة وثلاث عشرة مدينة وألوان اهل ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومى من مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسول صلوات الله عليهم اجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقاليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية وهو في قسم الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهم اعلى جنبه وبقية الاقاليم منخطة اهلها ناقصون ومنخطون عن الفضيلة لتساجه صورهم وتوحش اخلاقهم كالنم والحيمة والكمثرام الاقليم الاول والثاني والسادس والسابع يا جوج وما جوج والتغرغر والصقالبة ونحوهم والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض احدى واربعون درجة وثلاث درجة وابتدأه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثاً واربعين درجة ومسافته خمسون ميلاً وسابى ميل ويتدئ من الشرق الى بلاد يا جوج وما جوج ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب واذريجان ويردعه وسجستان وأردن وخلاط ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى يتنهى الى البحر الذى في المغرب وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلاً ومن الانهار الكبار خمسة عشر نهراً ومن المدائن الكبار ما تامة مدينة واكثر اهلها بيض الألوان وله من البروج الدلو ومن السيارة القمر والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض خمساً

واربعين درجة وخمسي درجة وابتداءؤه من حدته نهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول
 خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض سبعة وأربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائة
 ميل وعشرة اميال ويتبدى من المشرق فيتم بمساكن الترك من البحر خير والتغرغر الى بلاد الخزر من شمال
 نجومهم على اللان والشرير وارض برحان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربي وفي هذا
 الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الأنهار الطوال اثنان وثلاثون نهرا ومن المدن الكبار
 تسعون مدينة واكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة
 المريح * والاقليم السابع وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالى
 وهو العرض ثمانية واربعين درجة وثلاثي درجة وابتداءه هذا الاقليم من حدته نهاية الاقليم السادس الى حيث
 يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافة مائة وخمسة
 وثمانون ميلا فبين أن ما بين أول حد الاقليم الاول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وأن ارتفاع
 القطب الشمالى ثمانية وثلاثون درجة تكون من الاميال ألفين ومائة واربعين ميلا ويتبدى الاقليم
 السابع من المشرق على بلاد أجوج ومأجوج ويمتد بلاد الترك على سواحل بحر جرجان ممالي الشمال ويقطع
 بحر الروم على بلاد جرجان والصقالبة الى أن ينتهي الى البحر المحيط في المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال
 طوال واربعون نهرا طوالا واثنان وعشرون مدينة كبيرة وأهلها شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن
 السيارة الشمس وفي كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة امم مختلفة اللسان والالوان وغير ذلك من الطبائع
 والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والاعمال والصنائع والعادات والعبادات لا يشبه بعضهم
 بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والتبنيات مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف
 أهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوابع كل بلد من البروج على افقه وممر
 الكواكب على مسامحة البقاع من الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب
 الحكمة ليتدبر أولوا البهي ويعتبر ذوو الحجي بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك
 فإن الربع المسكون من الارض على تفاوت اقطاره مقسوم بين سبع امم كبار وهم الصين والهند والسودان
 والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض في يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض
 في يد الهند وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان وفي شمال مغرب الارض البربر
 وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الامم الست

* (ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة) *

واذ سير الله سبحانه بذكر جهل احوال الارض ومعرفة ما في كل اقليم من اقاليم الارض فلنذكر محل مصر من
 ذلك فتهول ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني وبعضها واقع في الاقليم الثالث فما كان منها في الصعيد
 الاعلى كهو ص و اخيم واسني وأنصنا واسوان فان ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهة
 الشمال من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى قسطنطينية ومصر والقيوم والقاهرة والاسكندرية والغرما
 وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر القسطنطينية والقاهرة وهو بعدهما من أول
 العمارة في جهة المغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من خط الاستواء ثلاثون درجة وطول النهار
 الاطول اربع عشرة ساعة وغاية ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلاث وربع درجة وفسطاط
 مصر مع القاهرة من مكة شرقها الله تعالى واقعان في الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد تشريفا
 لبعده عن مدينة القسطنطينية بأيام عديدة في جهة الجنوب فيه يكون على ذلك مقابلا لمكة من غربها ومصر
 لا يتوصل اليها الا من مضارة في شرقها بحر القلزم من وراء الجبل الشرقي وفي غربها صحراء المغرب وفي جنوبها
 مضارة النوبة والحبيشة وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي فيما بين بحر الروم وبحر القلزم وبين مصر وبغداد
 على ما ذكره ابن جرداديه في كتاب المسالك والمسالك ألف وسبعمائة وعشرة اميال يكون خمسمائة وسبعين
 فرسخا ومائة وبضعاً وأربعين بريداً وبين مصر والشام اعني دمشق ثلاثمائة وخمسة وستون ميلا تكون من
 الفرس مائة واحدى وعشرين فرسخا وثلاثي فرسخ عنها ثلاثون بريداً وكسر وقال ابن جرداديه ارض الحبيشة

والسودان مسيرة سبع سنين وأرض مصر جزء واحد من ستين جزءاً من أرض السودان وأرض السودان جزء واحد من الأرض كلها وفي كتاب هرودوتش بلد مصر الأدنى شرقه فلسطين وغربه أرض اميسه وأرض مصر الأعلى تمتد إلى ناحية الشرق وحده في الشمال خليج الغرب وفي الجنوب البحر المحيط وفي الغرب مصر الأدنى وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنساً

*** (ذكر حدود مصر وجهاتها) ***

اعلم أن الحديد هو صفة الحدود على ما هو عليه والحد هو نهاية الشيء والحدود تكثر وتقل بحسب الحدود والجهات التي تحتها المساكن والبقاع اربع جهات وهي جهة الشمال التي هي اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكب الجدى والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبي الذي يقرب منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين اللذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس في الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الاوقات وبها تحت الاراضي ونحوها من المساكن وبها يمتد الناس في اسفارهم وبها يستخرجون سمات محاريهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان للجهة المشرق والمغرب على تربيعة الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمى بخط الاستواء على زوايا قائمة وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمتقبل للجنوب يكون أبداً مستدير الشمال وبصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الاربع هي التي ينسب اليها ما يحده من البلاد والاراضي والدور الآن اهل مصر يستعملون في تحديد هم بدلاً من الجهة الجنوبية لفظة القبلية فيقولون الحد القبلي ينتهي الى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي الى كذا ويريدون بالبحري الحد الشمالي وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك أن البلاد التي توافق عرضها عرض مكة اذا كانت اطولها اقل من طول مكة فان القبلة تكون في هذه البلاد نفس المشرق بخلاف التي توافق عرضها عرض مكة الا أن اطولها اطول من طول مكة فان القبلة في هذه البلاد تكون نفس المغرب فمن حدد في شيء من هذه البلاد ارضاً أو مسكناً بحدود أربعة فانه يصير حدان منها حداً واحداً وكذلك جهة البحر لما جعلوا قبالة جهة القبلة وحددوا ما بينهما من الاراضي والدور بما يسمونها منه فانهم اضرار بما غلطوا وذلك أن القبلة والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة فاذا عرفت ذلك فاعلم أن أرض مصر لها حدان أحدهم من بحر الروم من الاسكندرية وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي الى ظهر الواحات ويمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة في حد اسوان على حد أرض السجدة في قبلي اسوان حتى يمتد الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويحاذي القلزم الى طور سيناء ويعطف على يمينه الى اسرائيل ماراً الى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورمح ويرجع الى الساحل ماراً على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز في رسالته المصرية أرض مصر بأرضها واقعة في المعمورة في قسمي الاقليم الثاني والاقليم الثالث ومعظمهما في الثالث وحكي المعتنون باخبارها وتواريخها أن حدّها في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزيج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من اربعين يوماً وحدّها في العرض من مدينة اسوان وما ساءتها من الصعيد الاعلى المتاخمة لأرض النوبة الى رشيد وما حاذها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً ويكتشفها في العرض الى منتهى جبلان أحدهما في الضفة الشرقية من النيل وهو المقطم والاخر في الضفة الغربية منه والنيل منتشر فيما بينهما وهما جبلان أجردان غير شامخين يتقاربان جداً في وضعهما من لدن اسوان الى أن ينتهيا الى الفسطاط ثم يتسع ما بينهما وينفرج قليلاً ويأخذ المقطم منهما مشرقاً والاخر مغرباً على وراب في مأخذيهما وتفرج في مسلكيهما فتتسع أرض مصر من الفسطاط الى ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرماء وتينس ودمياط ورشيد والاسكندرية فهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين اوغلاها في الجنوب وأوغلاها في الشمال واذا انظرنا بالطريق البرهانية في مقدار

هذه المسافة من الاميال لم تبلغ ثلاثين ميلا بل تنقص عنها نقصا تاما له قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة
اسوان التي هي اوغلا في الجنوب وعرض مدينة تنيس التي هي اوغلا في الشمال تسعة اجزاء ونحو سدس جزء
وليس بين طولها فضل له قدر يعتد به وينوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب وذلك مسافة عشرين
يوما أو قريب منها وفي هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو أكثر من ذلك لما في الطريق
من التعويج وعدم الاستقامة وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم مصر من العريش الى آخر لوبيه ومراقبه
وفي آخر أرض مراقبه تلقى أرض انطابلس وهي برقة ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة اربعين ليلة وهو
ساحل كله على البحر الرومي وهو بحري أرض مصر وهو مهب الشمال منها الى القبلة شيئا ما فاذا بلغت آخر أرض
مراقبه عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وانت متوجه الى القبلة يكون الرمل من مصبه
عن عيينك الى أفريقية وعن يسارك من أرض مصر الى أرض الفيوم منها وأرض الواحات الاربعة فذلك غربي
مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعرج من آخر أرض الواحات وتسبق الى النيل تسير ثمانى مراحل
الى النيل ثم على النيل فصاعدا هي آخر أرض الاسلام هناك ويلها بلاد النوبة ثم يقطع النيل فتأخذ من اسوان
في المشرق منكبا عن بلاد اسوان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي فن اسوان الى عيذاب خمس عشرة مرحلة
وذلك كله قبلي أرض مصر ومهب الجنوب منها ثم يقطع البحر الملح من عيذاب الى أرض الحجاز فينزل الحوراء
أول أرض مصر وهي متصلة بأعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود وهو بحر القلزم وهو
داخل في أرض مصر بشقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه أرض الحوراء وطنسه والتبك وأرض مدين وأرض
ايلة فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم والبحري منه مدينة القلزم
وجبل الطور ومن القلزم الى الفرما مسيرة يوم وليلة وهو البحر فيما بين البحرين بحرا الحجاز وبحر الروم
وهذا كله شرقي أرض مصر من الحوراء الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من أرض مصر وما كان
بعد هذا من الحد الغربي فن فتوح اهل مصر ونغورهم من البرقة الى الاندلس

* (ذكر بحر القلزم) *

القلزم الدواهي والمضايقة ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت أرض مصر منحصرة بين بحرين هما
بحر القلزم من شرفها وبحر الروم من شمالها وكان بحر القلزم داخل في أرض مصر كما تقدم صار من شرط هذا
الكتاب التعريف به فنقول هذا البحر انما عرف في ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله الغربي في شرقي
أرض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب عند
ذكرى قرى مصر ومنها فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على الاضافة ويقال له بالعبانية
ثم نسب وهذا البحر انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقيانس ويعرف
أيضا ببحر الظلمات لتكاثر البحار المتصاعده منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج
هذا البحر وتكثر اهواله ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره
وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الا في ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات وهي فيما
يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضا تعرف
بجزائر السبلي نزلها بعض العلويين في أول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة
اجزاء عظمتها اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا
فأحدهما من جهة الشرق والاخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر
الهندي والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي بحسب ما يميز عليه من البلدان وأما الخارج من
الغرب فيقال له البحر الرومي فأما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فأن مبدأ خروجه من مشرق الصين
وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجري الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبانه
والى التعمر من بلاد كران فاذا صار الى بلاد كران ينقسم هناك قسمين أحدهما يسمى بحر فارس والاخر يسمى
بحر اليمن فيخرج بحر اليمن من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيمتد من هناك الى مدينة
طبار ويسير الى المسجر وساحل بلاد حضر موت الى عدن والى باب المندب وطول هذا البحر الهندي ثمانمائة

الآف ميل في عرض ألف وسبعمائة ميل عند بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فإذا انتهى إلى باب المندب يخرج إلى بحر القلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخر من البر تبجهاه فإذا فارق باب المندب مَرَّ في جهة الشمال بساحل زبيد والحرون إلى عثر وكانت عثر مقر الملك في القديم ويمر من هناك على حلى إلى عسقان وناماروهي فرضة المدينة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومنها على ما يقابل الخفة حيث يسمى اليوم رابع إلى الحوراء ومدين وإيلة والطور وفاران ومدينة القلزم فإذا وصل إلى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومَرَّ إلى القصير وهي فرضة قوص ومن القصير إلى عدياب وهي فرضة التحية ويمتد من عدياب إلى بلاد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربر وطول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل وعرضه من أربع مائة ميل إلى مادونها وهو بحر كربة المنظر والرائحة وفي هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى أطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كأنها جزائر احاط بها الماء من جهاتها الثلاث وهو نهر يردع مهران كردع البحر الرومي لتبل مصر وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة إيلة مكان يعرف بمدينة فاران وعندها جبل لا يكاد يجو منه مركب لشدة اختلاف الريح وقوة عزمها من بين شعبي جبلين وهي بركة سعتها ستة أميال تعرف ببركة الغرندل يقال أن فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال أن الغرندل اسم صنم كان في القديم هناك قد وضع ليجس من خرج من أرض مصر مغاضبا للملك أوفارامنه وأن موسى عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا أمره الله سبحانه وتعالى أن ينزل تبجهاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهدونه منه فخرج بجنوده في طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه فكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسيرد خبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كنائس اليهود في بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها أربع عامرات وهي جزيرة دهلك وجزيرة سواسكن وجزيرة النعمان وجزيرة السامري ويخرج من هذا البحر خليجان لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الأعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض دقاقه نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في أعمال بلاد الشام وديار مصر حتى يكون بينهما نحو يوم

(ذكر البحر الرومي)

ولما كانت عدة بلاد من أرض مصر مطلة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية ودمياط وتينس والفرما والعريش وغير ذلك وكان حدة أرض مصر ينتهي في الجهة الشمالية إلى هذا البحر وهو نهاية مصب النيل حسن التعريف بشئ من أخباره وقد تقدم أن مخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب وهو يخرج في الأقليم الرابع بين الاندلس والغرب سائرا إلى القسطنطينية ويقال أن اسكندر الجبار حفره وأجراه من البحر المحيط الأنري وأن جزيرة الاندلس وبلاد البر كانت أرضا واحدة يسمى كنها البربر والاشبان فكان بعضهم يغير على بعض إلى أن ملك اسكندر الجبار بن سلقوس بن اعريقس بن دويان فرغب إليه الاشبان في أن يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يسمى كنها به احتراز كل طائفة عن الاخرى فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا وبني بجانيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها إلا بأذن وكان قاموس البحر أعلى من أرض هذا الزقاق فظما الماء حتى غطى السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطمخ على عدة بلاد ويقال أن المسافرين في هذا الزقاق بالبحر يخبرون أن المراكب في بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجبدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين حائطين ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر ميلا ويذكر أن البحر اذا جزرتى القنطرة حينئذ وهذا الخبر أظنه غير صحيح فان أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الاول قبل اسكندر بزمان طويل فاما أن يكون ذلك قد كان في أول الدهر مما علمه بعض الاوائل وأما أن يكون خبرا واهيا والافزمان اسكندر حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم * وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مَرَّ مشرقا في بلاد البربر وشمال الغرب الأقصى إلى وسط بلاد المغرب على افرقة وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وأرض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ثم يعطف

من هناك الى العلايا وانطاكيه الى ظهر بلاد القسطنطينية حتى ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقيل ستة آلاف ميل وعرضه من سبع مائة ميل الى ثلاثمائة ميل وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها ام كثيرة معروفة الا انه ليس من شرط هذا الكتاب منها صافية وصورقه واقريطش وقبالة البحر الهندي من جهة المغرب بخر خارج من المحيط في مغرب بلاد الرنج ينتهي الى قريب من جبل القمر وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفي اسفله جزائر الخالدات التي هي منتهى الطول في المغرب ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق بحر جرجان وقيل انه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال شامخة وبحر الصقلب بحر يخرج من جهة المغرب بين الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزائر كثيرة ومنها جزيرة الاندلس الا انها متصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند برتلونه ولهم بحر يعرف بأجوج وأجوج غزير وفيه عجائب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البر الرومي نحو أربعة اشهر وقال أبو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحح مسافات المساكين وقد كان حترض بعض ملوك الفرس في بعض استيلائهم على مصر على أن يحفر واما بين البحرين القلزم والرومي ويرفعوا من بينهما البرزخ وكان أولهم شاسيس بن طراطس الملك ثم من بعده دارنوش الملك فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع ماء القلزم على ارض مصر فلما كانت دولة اليونانيين جاء بطليموس الثالث ففعل ذلك على يد أرسدس بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم القاصرة طموه منعان يصل اليهم من اعدائهم وذكر بعض اصحاب السير من الفلاسفة أن ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية كان في قديم الزمان ارضاً تبت الجزر وكانت مسكونة وخجة وكان اهلها من اليونانية وأن الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان فيها يرمعون الطائر الذي يقال له ققنس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بشبعة ايام حتى لا يمكن أحد يسمع صوته لانه يغلب على قلبه من حسن صوته ما يمت السامع وأنه يذكره قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور فلا يهدأ من الصباح وزعموا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت ققنس في تلك الحال فحشي ان هجم عليه أن يقتله حسن صوته فسد اذنيه سدا محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من اذنيه شيئاً بعد شيء حتى استكمل فتح الاذنين في ثلاثة ايام يريد أن يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة فلا يبعثه حسنه في أول مرة فيأتي عليه وزعموا أن ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شيء بسبب هجوم ماء البحر عليه وعلى رهطه باللسل في الاوكار فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله فأعطاه قد حافيه سم ليس يريه فأعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هذا أيها الحكيم فقال هل اعجز أن اكون مثل ققنس

* (ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد اسمائها) *

ويقال كان اسمها في الدهر الاول قبل الطوفان جزلة ثم سميت مصر وقد اختلف اهل العلم في المعنى الذي من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر ابن مراكيل بن دوايل بن عرياب بن آدم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن يعراوش الجبار بن مصر يم الاول وبه سمي مصر بن بنصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن بنصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمي لا ينصرف وقال آخرون هي اسم عربي مشتق فأما من ذهب الى أن مصر اسم اعجمي فإنه استدلل بما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بنصر بهذه الارض وقسمها بين اولاده فعرفت به اه وذكر الحسن بن احمد الهمداني أن مصر ابن حام وهو مصر يم وقيل أن بنصر بن هرمس بن هردوس جد الاسكندر قال ونلج لوما بن حام بنت شاويل ابن ياقث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أباً القبط قبط مصر ومن ههنا أن مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس ابن هردش بن بيطون بن روى بن ليطي بن يونان وبه سميت مصر فهي معدونية وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن بنى آدم لما تشاسدوا وبقي عليهم بنوا قاييل بن آدم ركب بقراوس الجبار ابن مصر يم ابن مراكيل بن دوايل بن عرياب بن آدم عليه السلام في نيف وسبعين راكبا من بنى عرياب جبابرة كلهم يطلون موضعاً من الارض يقطنون فيه فراراً من بنى ايههم فلم يزلوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشي عليه فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فأقطنوا فيه واستوطنوا وبنوا فيه الابنية

الحكمة والصنائع العجيبة وبني نقر اوس مصر وسماها باسم ابيه مصر يم وكان نقر اوس جبارا له قوة وكان مع ذلك عالما وله اتمر الجفن في هلاك بني ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التي كان زواميل علمها لا دم عليه السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم ثم امر حين ملك ببناء مدينة في موضع خيمته فقطعوا له الصخور من الجبال وأناروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها امسوس وأقاموا فيها أعلا ما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من الارض من رأى ثم حفروا النيل حتى أجروا ماء الهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى انما كان ينقطع ويتفرق في الارض حتى يتوجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم امسوس يجري في وسطها ثم سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن نصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه في السفينة وزوج ابنته من نصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين اولاده وكانت ابنته قليمون قد ولدت لبصر ولدا سماه مصر ايم فقال قليمون لنوح ابعث معي يانبي الله ابني حتى ارضي به بلدي واظهره على كنوزي وأوقفه على علومه ورموزه فانفذ معه في جماعة من اهل بيته وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عريشاً من اغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هناك زروع وأجنة وعمارة وكان الذي مع مصر ايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش ويقال ان اهل مصر أقاموا عليهم مصر ايم بن نصر ملكا في ايام تالف بن عامر بن شاخ ابن أرغشيد بن سام بن نوح فلك مصر وهي مدينة متبعة على النيل وسماها باسمه ويقال أن مصر ايم غرس الاشجار بيده وكانت عمارها عظيمة بحيث يشق الترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القناء في طول أربعة عشر شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع طولا في عرض مائة ذراع ويقال أن مصر ايم نكح امرأته من بنى الكهنة فولدت له ولدا فسماه قبطيم ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر قبطيم واشمون وأتريب وصاف كثروا وعمروا الارض وبورك لهم فيها وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا مدينة سموها نافعة ومعنى نافعة ثلاثون بلغتهم وهي منف وكشف اصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم وأناروا المعادن وعلومهم علم الطلسمات ووضعوا لهم علم الصنعة وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصر ايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من قفط الى اسوان ولاشمون من اشمون الى منف ولاتريب الحوف كله ولصام ناحية صا البحرية الى قرب برقة وقال لاختيه فاروق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افرقة واولاد الافارق وامر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه را امرهم عند موته أن يحفروا له في الارض سربا وان يفرشوه بالمرمر الابيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر ويزروا عليه اسماء الله تعالى المانعة من اخذه فحفر واله سربا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفيا بصفائح الذهب وجعلوا اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمهم من زبرجد وزبروا في صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده في جدر مرصع بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصر ايم بن نصر ابن حام بن نوح بعد سبع مائة عام مضت من ايام الطوفان ولم يعبد الاصنام اذ لا هرم ولا سقام ولا حزن ولا اهتمام وحصنه باسماء الله العظام ولا يصل اليه الا ملك ولدت له سبعة ملوك تدعى الملك الديان ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعي الى الايمان آخر الزمان وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة من الدر الفاخر والصنعة الالهية والعقاقير والطلسمات العجيبة وسبائك الذهب وسقوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمال بين جبلين وولى ابنه قبطيم الملك قال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التحالف أن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود أخى عاد ابن عامر ابن شالح بن أرغشيد بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد شمس لانه أول من عبد

من هنا الى قوله وقال ابو القاسم ساقطة من كثير من النسخ فلعلها من زيادة من اطلع على الكتاب

الشمس وقيل له أيضا سببا لانه أول من سبى وهو سببا الا كبر ابو جبر وكهلان ملك بعد أبيه يشعب بأرض اليمن
جمع بني حطان وبني هود عليه السلام وحثهم على الغزو ثم سار بهم الى ارض بابل فقتلها وقتل من كان بها
من الثوار حتى بلغ ارض ارمينية وملك ارض بني يافث بن نوح وأراد أن يعبر من هناك الى الشام وأرض الجزيرة
فقبل له ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك فبني قنطرة على البحر وجاز عليها الى الشام فأخذ تلك الاراضي الى
الدرب ولم يكن خاف الدرب اذ ذاك أحد ثم نهض يريد بلاد العرب فنزل على النيل وجمع اهل مشورته
وقال لهم اني رأيت أن أبني مصرا الى حد بين هذين البحرين يعني بجزر الروم وبحر القلزم فيكون فاصلا
بين الشرق والغرب فقالوا نعم الرأي أيها الملك فبني مدينة سماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى
بني حام بن نوح وهم نزول في البراء الى بمونية وبعثه مونية القبط فأوقع تجميع تلك الطوائف وسبى ذرايعهم
كما فعل ببلاد الشرق فقبل له من اجل ذلك سببا ثم عاد الى مصر ومضى فيها الى الشام يريد الحجاز وأوصى ابنه
بابليون عند رحيله ٥

الاقبل لبابليون والقول حكمة * ملكك زمام الشرق والغرب فاجعل
وخذلبي حام من الامر وسطه * فان صدقوا يوما عن الحق فاقبل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة * يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأي في البأس يعبروا * عليك به واجعله ضربة فيصير
ولا تأخذن المال في غير حقه * وان جاء لاتدينه فحسبك وابذل
وداوى ذوى الاحقاد بالسيف انه * متى يلق منك العزم ذو الحقد يجمل
وجد لذوى الاحساب لينا وشدة * ولانك جبار اعليهم واجمل
وكن لسؤال الناس غوثا ورجة * ومن يك ذا عرف من الناس يسأل
واياك والسفر القريب فانه * سيغنى بما يوليه في كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبني سد مأرب وهو سدفه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة ثلاثة اشهر في مثلها ثم مات
عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه جبر بن سبأ فمتا بنو حام على بابليون وأرادوا تخريب مصر فاستدعى أخاه
جبر لينجده عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى بلاد المغرب فأقام بها مائة عام بين المداين ويتخذ المصانع فمات
بابليون بن سبأ بمصر وولى بعده ابنه امرئ القيس بابليون ثم مات جبر بن سبأ عن اربع مائة سنة وخمس واربعين
سنة منها في الملك اربع مائة سنة وأقام من بعده ويل بن جبر ثم مات فقام من بعده ابنه سليمان بن وائل الذي يقال له
مقعقع الحمد وقد اقرق ملك جبر فخارب الثوار وسار الى الشام فلقبه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ
بالرمله وقد مات بعده ابنه وقد تم له هدية فأقره على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووهبه هاجر *
وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد سام وحام ويافث ويحطون وأن نوحا رغب
الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده
وهم نيام عند السحر فنادى ساما فأجابه يسعي وصاح سام في ولده فلم يجبه أحد منهم الا ابنه أرخشند فانطلق به
معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرخشند بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام
افضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة في ولد أرخشند ثم نادى حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا
أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن بنصر بن حام
نائما الى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعي الى نوح وقال يا جدي قد أجبتك اذ لم يجبك
جدي ولا أحد من ولده فاجعل لي دعوة من دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد اجاب
دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها افضل انهار
الدنيا واجعل فيها افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذلها لهم وقوهم عليها ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه
أحد من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرارا خلق وعاش سام مباركا الى أن مات وعاش ابنه أرخشند بن
سام مباركا حتى مات وكان الملك الذي يجبه الله والنبوة والبركة في ولد أرخشند بن سام وكان اكبر ولد حام

كنعان بن حام وهو الذي حمل به في الرجز في الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان في ولده الملك والجبروت والجفاء
 وهو أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو
 أبو البربر وابنه الأصغر اربع بنصر بن حام وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة مصر بن بنصر وهو أكبرهم
 والذي دعا له نوح بمادعاه وفارق بن بنصر وماح بن بنصر وقيل ولد مصر أربعة فقط بن مصر وأثنى بن مصر وارتب
 ابن مصر وصا بن مصر وعن أبي لهيعة وعبد الله بن خالد أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد
 أن أغرق الله تعالى قومه وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاد له
 قد بلغوا وترجوا وهم مصر وفارق وياح وماح وكان مصر أكبرهم فبنوا مصر وكان أقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم
 ونقروا هناك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم
 البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الأنهار ويجعل له فيها أفضل البركات ويسخر له الأرض ولولده ويذلها لهم
 ويقو بهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بما قالوا وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لمادعاه وكان بنصر
 بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع أخوته إلى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر فلما قرّر قرار بنصر وبنيه
 بمصر قال لمصر أخوته فارق وياح بنوا بنصر قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا وأن هذه الأرض التي أسكنك أياها
 جدك نوح ونحن نصيق عليك أرضك وذلك حين كثروا له ولادهم ونحن نطلب اليك البركة التي جعلها فيك جدنا
 نوح أن تبارك لنا في أرض لنحق بها ونسكنها وتكون لنا ولادنا فقال نعم عليكم بأقرب البلاد إلى ولا تباعدوا
 مني فإن لي في بلادى مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى فتكون لي ولولدى ولولادهم فلما خرج مصر
 ابن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش إلى اسوان طولا ومن برقة إلى ايلة عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين
 برقة إلى أفريقية وكان ولده الافارقة ولد له سميت أفريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى
 حد مصر إلى الجزيرة مسيرة شهر وهو أبو قبط الشام وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر إلى الشرق مسيرة
 شهر وهو أبو قبط العراق ثم توفي بنصر بن حام ودفن في موضع دير أبي هرميس غرب الأهرام فهي أول مقبرة قبر
 فيها بأرض مصر وكثروا ولاد مصر وكان الأكبر منهم فقط وارتب واثنى وصا والقبط من ولده مصر هذا ويقال
 أن قبط أخو فقط وهو بلسانهم ققطيم وقبطيم ومصر اجم قال ثم أن بنصر بن حام توفي واستخلف ابنه مصر وحاز
 كل واحد من أخوة مصر قطعة من الأرض لنفسه سوى أرض مصر التي حازها لنفسه ولولده فلما كثر ولد
 مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه
 فقط موضع فقط فسكنها وبه سميت فقط فقطا وما فوقها إلى اسوان وما دونها إلى اشمون في الشرق والغرب
 وقطع لأثنى من اشمون فمادونها إلى منف في الشرق والغرب فسكن اشمون فسميت به وقطع لارتب ما بين
 منف إلى صافسكن اتريا فسميت به وقطع لصا ما بين صا إلى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على
 أربعة اجزاء جزين بالصعيد وجزين بأسفل الأرض قال البكري ومصر مؤسسه قال تعالى أليس لي ملك
 مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر بن أبي وائلة الكنانى لما وية أما هم وبن العاص فأقطعته مصر وأما قوله
 سبحانه اهبطوا مصر فإنه أراد مصر من الامصار وقرأ سليم الاعشى اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها
 سليم بن علي فلم يجرها وقال القضاى وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصر وجميع
 أخوته إلى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف في المعرفة لانه اسم مذكر سميت به
 هذه المدينة فاجتمع فيها التأنيث والتعريف فنعماها الصريف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطررها السفار مصر فإذا
 اريد مصر من الامصار صرف لزال احدى العلتين وهى التعريف وأما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه
 السلام اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم فانه مصروف في قراءة سائر القراء وفي قراءة الحسن والاعشى غير
 مصروف فنصر فها له وجهان أحدهما انه أراد اهبطوا مصر من الامصار لانهم كانوا يومئذ في التيه
 والاخر أنه أراد مصر هذه بعينها وصرفها لانه جعل مصر أسماء للبلاد وهو مذكر راسم سمي به مذكر
 فلم يمنع الصرف وأما من لم يصرفه فانه أراد بمصر هذه المدينة وكذلك قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام
 ادخلوا مصر ان شاء الله آمين وقول فرعون أليس لي ملك مصر انما يراد به مصر هذه فاما المصر في كلام العرب
 فهو الحدبين الأرضين ويقال ان اهل هجر يقولون اشتريت الدار بمصورها أى بمحدودها وقال الجاحظ

في كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر لمصر الناس اليها واجتمعوا بهم بها كما سمي مصر الجوف
مصريا ومصرنا بالمصري الطعام اليه قال وجمع المصر من البلدان أمصار وجمع مصري الطعام مصران وليس لمصر
هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطل هممت بالاسلام ثم توقفت عنه قيل ولم ذلك قال اتيت امرأتي وأنا
جائع فقلت أطعميني شيئا فقالت يا جارية ضعي لابي مالك مصري في النار ففعلت فاستجلبتها بالطعام فقالت يا جارية
اين مصري ابي مالك قالت في النار قال فتطيرت وهممت بأن اسلم فتوقفت وقال الجوهرى في كتاب الصحاح
مصر هي المدينة المعروفة تذكرونها عن ابن السراج والمصران الكوفة والبصرة وقال ابن خالويه
في كتاب ليس أحد فسرنا لم سميت مصر مقدونية قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونية مغيث وانما
سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جميعا وقف على الكنيسة العظمى التي
بالقسطنطينية ويسمون بلاد مقدونية الاوصفية وهي عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهي مصر كلها بأسمائها
الاالصعيد الاعلى ويقال لمصر ام خنوز وتفسيره النعمة والمصر الفرق بين الشيتين قال الشاعر يصف الله
تعالى

وجاعل الشمس مصر الاخفاءه * بين النهار وبين الليل قد فصلا
هذا البيت قائله عدى بن زيد العبادي ويروي لامية بن الصلب الثقفي وهو من ابيات أولها
اسمع حديثا كما يوما تحته * عن ظهر غيب اذا ما سائل سأل
كيف بدا ثم رب الله نعمته * فيها وعلينا آياته الا ولا
كانت رياح وسيل ذوكرانية * وظلمة لم تدع فتقا ولا خلا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت * وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها * تحت السماء سواميل وما نقلها
وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفي السماء مصابيح تضي لنا * ما ان تكلفنا زينا ولا فتلا
قضى لسته ايام من خليفته * وكان آخر شئ صور الرحلا
فاخذ الله من طين قصوره * لما رأى أنه قد تم واعتدلا
دعاه آدم صوتا فاستجاب له * فنفخ الروح في الجسم الذي جبلا
ثم اورثه الفردوس يسكنها * وزوجه صلعة من جنبه جعلها
لم ينسهم ربه عن غير واحدة * من شجر طيب ان شم أو كلا
وكانت الحية الرقشاء اذ خلقت * كما ترى ناقة في الخلق او جبلا
فلا مهابة الله اذ أطعت خليفته * طول اللبالي ولم يجعل لها اجلا
تشى على بطنها في الارض ما عرت * والتراب تأكله خرنا وان سبلا

وقال الحافظ أبو الخطاب محمد الدين عمر بن دحية ومصر أخصب بلاد الله وسماها الله بمصر وهي هذه دون غيرها
باجماع القراء على ترك صرفها وهي اسم لا ينصرف في معرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع فيه
الناس والتعرف فنعاه الصرف وهي عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا أخذت من ضرعها اللبن فسميت
مصر لكثرة ما فيها من الخير مما ليس في غيرها فلا يخلو ساكنها من خير يدرك عليه منها كالشاة التي ينتفع بلبنها
وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابي المصر الوعاء ويقال للمعاصر المصير وجمعه مصران ومصارين وكذلك هي
خزائن الارض قال أبو نضرة الغفاري من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها
ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم فأعانه الله بمصر يومئذ
وخزائنها ككل حاضر وبأذكره الحوفي في تفسيره وقال البكري أم خنوز يفتح أوله وتشديد ثانيه
وبالراء المهملة اسم لمصر وقال أروطاه بن شعبة قال ذبيان ذودوا عن دمائكم ولا تكونوا كقوم أم خنوز
يقول لا تكونوا أذلاء بنا لكم من اراد وياخذ منكم من حب كما يمتار مصر وهي أم خنوز قال كراع أم خنوز
النعمة ولذلك سميت مصر أم خنوز لكثرة خيرها وقال علي بن حمزة سميت أم خنوز لانها يساق اليها

لقصار الاربعاء ويقال للضبيح خنور وخنوز بالاء والزاي وقال ابن قتيبة في غرائب الحديث ومصر الحديث
واهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بصورها كلها أي بحدودها وقال عدى بن زيد
وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين التهار وبين الليل قد فصلا

أي جدا

(ذكر طرف من فضائل مصر)

ولمصر فضائل كثيرة منها ان الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكر وتارة ايماء *
قال تعالى اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره وجهور الناس يقرؤن
مصر بالتشوين وهو خط المصاحف الا ما حكى عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه وقال مجاهد وغيره
من صرفها اراد مصر من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت
به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة من صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في
القرآن ان الله تعالى اورث بنى اسرائيل ديار فرعون وآثاره وأجازوا صرفها قال الاخفش لخفتها وشبهها
بهند ودعدو وسيمويه لا يجير هذا وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرأ الحسن وابان بن ثعلب وغيرهما
اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب وقال هي مصر فرعون قال الاعشى هي مصر التي
عليها صالح بن علي وقال اشهب قال لي مالك هي عندى مصر قرية تك مسكن فرعون قال تعالى ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد الشيعي قال خرج يوسف عليه السلام
يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنأ أحدهما من صاحبه وكان
يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا فنظر يعقوب الى الخليل الى الناس فقال يا يهوذا هذا
فرعون مصر قال لا هذا انتك فلما دنأ كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب
الاحزان عني * هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن يتوآلفا قومك بمصر
يتوآلفا وجعلوا بيوتكم قبلة واقفوا الصلاة قال الطبري عن ابن عباس وغيره كانت بنوا اسرائيل تخاف فرعون
فأمره أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتادة وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمره أن يجعلوا
مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى
ومن معهم من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمره أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة للكعبة
يصلون فيها سرا وعن مجاهد في قوله أن يتوآلفا قومك بمصر يتوآلفا قال مصر الاسكندرية * وقال تعالى مخبرا عن
فرعون انه قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون قال ابن عبد الحكم وأبو سعيد
عبد الرحمن بن احمد بن يونس وغيرهما عن أبي زهم السماعي انه قال في قوله تعالى أليس لي ملك مصر وهذه
الأنهار تجري من تحتي قال ولم يكن يومئذ في الارض ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل الارضين
يحتاجون الى مصر وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا يتدبرون حتى أن الماء يجري من تحت منازلها
وأفنيها فيجسونه كيف شاؤوا فهذا ما ذكره الله سبحانه في مصر من أي الكتاب العزيز بصريح الذكر (وأما)
ما وقعت اليها الاشارة فيه من الايات فعدة * قال تعالى ولقد بؤأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى
وأويناها لما الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه هي الاسكندرية وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعميون وكنوز ومقام كريم
وقال تعالى كم تركوا من جنات وعميون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس
في قول الله سبحانه فأخرجناهم من جنات وعميون وكنوز ومقام كريم قال أبو زهم كانت الجنات بحافى النيل
من أوله الى آخره من الجانبين ما بين اسوان الى رشيد وسبعة خيل خيل الاسكندرية وخليج سحنا وخليج
دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج القيوم وخليج المنى متصلة لا يتقطع منها شيء عن شيء وزروع
ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخرها مما يلغى الماء وكان جميع ارض مصر كلها تروى يومئذ من
سبعة عشر ذراعا لما قد بؤروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر وقال
مجاهد وسعيد بن جبيرة المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم أي حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين

ناعين قال أي والله أخرجه الله من جنانه وعيونه وزرعه حتى ورطه في البحر وقال سعيد بن كثير بن عفركا
 بقية الهواء عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا ما أدري ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول أليس لي ملك مصر
 فقلت أقول يا أمير المؤمنين فقال قل يا سعيد فقلت ان الذي ترى بقية مدقر لان الله عز وجل يقول ودمرنا
 ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم أمسك وقال تعالى وزيد أن من على الذين
 استضعفوا في الارض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان
 وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
 في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بمصبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
 وما كانوا يعرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر
 وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم روى ابن يونس
 عن أبي نصر الغفاري رضي الله عنه قال مصر خزائن الارض كلها وسلاطنتها سلطان الارض كلها ألا ترى الى
 قول يوسف عليه السلام ملك مصر اجعلني على خزائن الارض ففعل فاغيت بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر
 وباعد من جميع الارض وقال تعالى وكذلك مكاليوسف في الارض يتبوأمنها حيث يشاء فكان ليوسف
 بسلاطنته بمصر جميع سلطان الارض كلها لاجتماع اليه والى ما تحت يديه وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه
 السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على
 اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
 في الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف أن يتبدل
 دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد يعني ارض مصر وقال تعالى ان فرعون علا في الارض يعني ارض مصر
 وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف عليه السلام فلن ابرح الارض يعني ارض مصر وقال تعالى أن تريد الا
 أن تكون جبارا في الارض يعني ارض مصر قال ابن عباس رضي الله عنه سميت مصر بالارض كلها في عشرة
 مواضع من القران فهذا ما يحضر في مما ذكرت فيه مصر من أي كتاب الله العزيز وقد جاء في فضل مصر أحاديث
 روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص انه قال حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاخذوا فيها جندا فكيف فاذلك الجند خيرا جناد
 الارض قال أبو بكر رضي الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال لانهم في رباط الى يوم القيامة وعن عمرو بن الحق
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون قسمة اسلم الناس فيها أو خيرا الناس فيها الجند العربي قال فلذلك
 قدمت عليكم مصر وعن تيسع بن عامر الكلاعي قال اقبلت من الصائفة فلقيت أبا موسى الأشعري رضي
 الله عنه فقال لي من اين انت فقلت من اهل مصر قال من الجند العربي فقلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت
 اهو الضعيف قال نعم قال أما انه ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك
 قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لي وأي شيء تذهب به الى بلادك أحسن من
 هذا الحديث اكتب في أسفل ألواحك فلما رجعت الى معاذ أخبرني أن بذلك أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بالفتوة
 في الغرب عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من تحوه وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن
 العاص حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
 سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صبرا وذمة وروى ابن وهب قال اخبرني حرملة
 ابن عمران الجعفي عن عبد الرحمن بن شماس المهری قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول انكم ستفتحون ارضاً بكم فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما
 فاذا رأيتم رجلا يقتلان في موضع لبنة فاخرجوا منها قال فتر بربيعة وعبد الرحمن بن شرجيل يتنازعا
 في موضع لبنة فخرج منها وفي رواية ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فاحسنوا الى
 اهلها فان لهم ذمة ورحما وقال ذمة وصهرها الحديث ورواه مالك والليث وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا أخرجه
 مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال ان أم اسماعيل منهم قال الليث بن سعد

قلت لابن شهاب ما رجعهم قال ان أم اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهم ما منهم وقال محمد بن اسحاق قلت
للزهرى ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر أم اسماعيل منهم وروى ابن
لهيعة من حديث ابي سالم الجديشاني أن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان خير اجنادكم اهل الغرب منكم فأتقوا الله في القبط
لاتأكلوهم اكل الخضر وعن مسلم بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم
ستجدونهم نعم الاعوان على قتال العدو وعن يزيد بن ابي حبيب أن ابا سلمة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصى عذرة فواته أن تخرج اليه وود من جزيرة العرب وقال الله في قبط مصر فانكم ستظهرون
عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا في سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن ايوب الغافقي عن رجل من الرند
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأنغمي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم انغمي عليه الثانية
ثم افاق فقال مثل ذلك ثم انغمي عليه الثالثة فقال مثل ذلك فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الادم الجعد فافاق فسالوه فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على
دينكم قالوا كيف يكونون اعوانا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم اعمال الدنيا وتفرغون للعبادة فالراضي
بما يؤتى اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم كالمتره عنهم وعن عمرو بن حريش وابي عبد الرحمن
الحلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم
وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعني قبط مصر وعن ابن لهيعة حدثني مولى عفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله الله في اهل المدرة السوداء السحيم الجعد فان لهم نسايا وصهرا قال عمرو مولى عفرة صهرهم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسرى فيهم ونسبهم ان أم اسماعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن لهيعة
ان أم اسماعيل هاجر من أم العرب قرية كانت امام القرما من مصر وقال مروان القصاص صاهرا الى القبط من
الانبياء ثلاثة ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرى هاجر ويوسف تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول
الله صلى الله عليه وسلم تسرى مارية وقال يزيد بن ابي حبيب قرية هاجر باق التي عندها أم دين وقال هشام
العرب تقول هاجر وأجر فيبدلون من الهاء الالف كما قالوا هراق الماء وأراق الماء ونحوه وعن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال الامصار سبعة * فالمدينة مصر والشأم مصر ومصر والجزيرة والبحرين
والبصرة والكوفة وقال مكحول اول الارض خرابا رمية ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو بقطعة مصر اكرم
الاعاجم كلها واسمهم يدا وافضلهم عنصرا واقربهم رجلا بالعرب عامة وبقرش خاصة ومن اراد أن يذكر
الفردوس او ينظر الى مثاليها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين ينحضر زرعها وتنور ثمارها وقال كعب الاحبار
من اراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا خرفت وفي رواية اذا ازهرت * (ومن فضائل مصر) *
انه كان من اهلها السحرة وقد آمنوا جميعا في ساعة واحدة ولا يعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة اكثر من جماعة
القبط وكانوا في قول يزيد بن ابي حبيب وغيره اثني عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا تحت
يد كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتي الف واربعمائة اثنين واثنين وخمسين انسانا
بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقوم لامر الله فخرت الرؤساء
الاثناعشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بقي وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون
قال تبسع كانوا من اصحاب موسى عليه السلام ولم يفتن منهم احدا مع من اقتن من بني اسرائيل في عبادة العجل
قال تبسع ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالبغيضة كلما
قطعت نبتت حتى يخرب الله عز وجل بهم وبصنائعهم جزائر الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس
صور على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة والين والصدر الشأم ومصر
والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف واق امة يقال لها واق وواق وخلف ذلك من
من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك
وخلف ناسك امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى
مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشرة * الصناعة بالبصرة * والفصاحة بالكوفة

والتخنيث ببغداد * والعي تباري * والجفابنيسابور * والحسن بهراة * والطرمدة بسمرقند * والمروعة ببلخ
 والتجارة بمصر * والجل بمرو الطرمدة كلام ليس له فعل وعن يحيى بن داخر الحافري أنه سمع عمرو بن
 العاص يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكث الاعداء حولكم ولا شراف قلوبهم
 اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انه قدم
 من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما اقدمك الى بلادنا قال كنت تحتخي ان مصر أسرع الارض
 خرابا ثم اراك قد اتخذت منها وبنيت فيها القصور واطمأنتت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابا حطمتها
 الجحش نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم اطيب الارضين ترابا وبعد خرابا ولا يزال فيها
 بركة ما دام في ثوب من الارض بركة ويقال مصر متوسطة الدنيا قد سلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن
 برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها
 من مشاق الاهواز * ومصايف عمان * وصواعق تهامة * ودمايسل الجزيرة * وجرب الين وطواين
 الشام * وبرسام العراق * وعقارب عسكر مكرم * وطحال البحرين * وحى خيبر * وأمنوام غارات الترك *
 وجيوش الروم * وهجوم العرب * ومكايد الديلم * وسرايا القرامطة * ونزف الانهار * وخط الامطار وبها
 ثمانون كورة ما فيها كورة الا وهي طرائف عجائب من انواع البر والابنية والطعام والشراب والفاكهة وسائر
 ما تشفع به الناس وتندخره الملوك يعرف بكل كورة وجهاتها وينسب كل لون الى كورة فصعيداها أرض حجازية
 حره حر العراق وينبت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر واسفل أرضها شامى عطر مطر الشام وينبت ثمار
 الشام من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين ويقع به الثلج والبرد * وكورة
 الاسكندرية ولوية ومراقبة برارى وجبال وغياض تنبت الزيتون والاعناب وهي بلاد ابل وماشية وعسل ولبن
 وفي كل كورة من كورة مصر مدينة في كل مدينة منها آثار كريمة من الابنية والصخور والرخام والعجائب وفي نيلها
 السفن التي تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بعير وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة
 يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى وابتعث في المداين حاشرين ويعمل بمصر معامل كالتسائر يعمل بها البيض
 بصناعة يوقد عليه فيحياكى نار الطبيعة في حضنة الدجاجة لبيضها ويخرج من تلك المعامل الفرائج وهي معظم
 دجاج مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمرو بن شعيب عن جده موسى عليه السلام بنى اسرائيل فلما اصبح
 فرعون امر بشاة فأتى بها فأمر بها أن تذبح ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع عندي خمس مائة ألف من
 القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هؤلاء لشدة قلوبون وكان اصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف
 وسبعين ألفا ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة اشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمرذة
 خضراء وثلاثة اشهر سبيكة ذهب حراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في اشهر ايب ومسرى ولوت يركبها
 الماء قري الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد احيطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل
 الى قرية من قراها الا في الزوارق واما المسكة السوداء فان في اشهر باب وها تور وكيمك ينكشف الماء عن
 الارض فتصير أرضا سوداء وفي هذه الاشهر تقع الزراعات واما الزمرذة الخضراء فان في اشهر طوبه وامشير
 وبرمهات يكثر نبات الارض وريبعها فتصير خضراء كأنها زمرذة واما السبيكة الحمراء فان في اشهر برمودة
 وبشنس وبونة يتورد العشب ويباغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظرها ومنفعة * وسأل بعض
 الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذي تطيب فيه مصر فقال اذا غاض ماؤها وارتفع وباءها وجف ثراها
 وأمكن مرعاها * وقال آخر نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب * وملكها سلب ومالها رغب
 وفي أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شعب * وخر بهم حرب * وهي لمن غلب * وقال آخر مصر من سادات
 القرى ورؤساء المدن * وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى فان لم يصبروا بل فقل هي مصر ان لم يصبروا مطر أزكت
 وان اصابها مطر اضعفت قاله المسعودي في تاريخه ويقال لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها
 وغربها وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها ونبأها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك
 فلما رأى مصر ارضها سهلة ذات نهر جار ما دته من الجنة تحدر فيه البركة ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو
 من نظر الرب اليه بالرجة في سفحه اشجار مثمرة وفروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام في النيل

بالبركة ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في نيلها وجعلها سمع مزارع وقال يا أيها الجبل المرحوم
 سقمك جنة وتربتك مسكنة يدفن فيم ساغر اس الجنة ارض حافظة مطيعة ورحمة لا خلتك يا مصر بركة ولا زال بك
 حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر فيك الخبايا والكنوز ولاك البر والثروة وسال نهرك عسلا **ك**ثر الله
 زرعك ودرت ضرعك وزكى نباتك وعظمت بركتك وخصبت ولا زال فيك خير ما لم تجبري وتتكبري او تخوفي
 فاذا فعلت ذلك عد الشر ثم يغور خيرك فكان آدم اقل من دعاها بالرحمة والخصب والرافة والبركة * وعن ابن
 عباس ان نوحا عليه السلام دعا مصر بن يصبر بن حام فقال اللهم انه قد اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته واسكنه
 الارض المباركة التي هي ام البلاد وغيث العباد التي نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات
 وسخر له ولولده الارض وذلك اللهم ونوهم عليها * وقال **ك**عب الاحبار لولا رغبتى في بيت المقدس لما سكنت
 الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من الفتن ومن ارادها بسوء اكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لاهله
 فيه وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب عن خالد بن يزيد عن ابن ابي هلال ان كعب الاحبار كان يقول اني
 لاحب مصر واهلها لان مصر بلد معافاة واهلها اصحاب عافية وهم بذلك مفارقون ويقال ان في بعض الكتب
 الالهية مصر خزان الارض كلها فمن ارادها بسوء قصمه الله تعالى * وقال عمرو بن العاص ولاية مصر جامعة
 تعدل الخلافة يعني اذا جمع الخراج مع الامارة * وقال احمد بن مديبر تحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف
 فدان واثمنا يعمر منها الف الف فدان وقد كشفت ارض مصر فوجدت عامرها اضعا فعامرها ولو اشتغل
 السلطان بعمارتها لو فت له بخراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يكن قط اوفر منه في ايام عمر
 ابن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم تكن مصر قط اقل من خراجها في ايام
 عمرو بن العاص وانه بلغ اثني عشر الف الف دينار وكانت الشامات باربعة عشر الف الف سوى الثغور * ومن
 فضائل مصر انه ولد بها من الانبياء موسى وهارون ويوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات
 الله عليه اخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى امته وقال يا امه هذه مقبرة امة محمد صلى الله
 عليه وسلم ويذكر انه ولد في قرية اهناس من نواحي صعيد مصر وانه كانت به نخلة يقال انها نخلة المذكورة
 في القرآن بقوله سبحانه وتعالى وهزى اليك ويجزع النخلة وهذا القول وهم فانه لا خلاف بين علماء الاحبار من
 اهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس
 ودخل مصر من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب
 ودخلها ايضا يعقوب ويوسف والاسباط وقد ذكر ذلك في خبر الفيوم ودخلها ارميا وكان من اهلها مؤمن
 آل فرعون الذي اثنى عليه الله جل جلاله في القرآن ويقال انه ابن فرعون اصبه وأظنه انه غير صحيح
 وكان منها جلساء فرعون الذين ابان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في امر موسى وهارون عليهم
 السلام استشارهم فرعون في امرهما فقال تعالى قال للملائكة ان هذا ساحر عليم يريد ان يخرجكم من
 ارضكم بسحره فاذ اتا مرونا قلوا ارجوه واخاه وبعث في المداين حاشرين يا نوك بكل ساحر عليم واين هذا من
 قول اصحاب النور وفي ابراهيم صلوات الله عليه حيث اشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا احرقوه وانصروا
 آلهتكم ان كنتم فاعلين * ومن اهل مصر امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله وضرب الله
 مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم
 الظالمين ومن اهلها ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام فسطها فرعون بامشاط الحديد كما عيشط
 الكنان وهي ثابتة على ايمانها بالله * وقال صاعد اللغوي في كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التي ظهرت قبل
 الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تكلم في الجواهر العلوية
 والحركات النجومية وهو اول من ابني الهياكل ومجد الله فيها واول من نظر في علم الطب وألف لاهل زمانه
 قصائد موزونة في الاشياء الارضية والسمائية وقالوا انه اول من انذر بالطوفان ورأى ان آفة سماوية تضرب
 الارض من الماء او النار تخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي التي في صعيد مصر
 الاعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها الى بعده وخيفة أن
 يذهب رسمها من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن

الفرات في اخبار مصر ان الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكماء
 جماعة ممن عمرت الدنيا بعلومهم وحكمهم وتديبرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة
 وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الفلسفات ويقال كانت مصر في الزمن الاول يسير اليها طلاب العلوم لتزكو
 عقولهم وتجدد أذهانهم ويتمتعون بعلومهم الذكاء وتندق القطنة * ومن فضائل مصر انها تقيها أهل الحرمين وتوسع عليهم
 ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند
 والصين وعمان والسند والشجر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم والافرنج وسواحل
 الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية فرضة اقريطس وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد
 يحمل الى بلاد الغرب والنوبة والحبشة والحبشة والجبال واليمن وبمصر عدة من الثغور المعقدة للرباط في سبيل الله
 تعالى وهي البراس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والاشتموم والفرما
 والورادة والعريش واسوان وقوص والواحات فيغزى من هذه الثغور الروم والافرنج والبربر والنوبة والحبشة
 والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي والاديار والكنائس
 واهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها عن جميع
 البلاد وبمصر دهن البلسان الذي عظم منفعته وصارت ملوك الارض تطلبه من مصر وتعتنى به وملوك
 النصرانية تترامى على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى انه لا يتم نصير نصراني الا بوضع شيء من دهن
 البلسان في ماء المعمودية عند تعطيسه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس ولهما في كل
 الثعابين فضيلة لا تنكر فقل لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة
 ونفعها في البرء من الحى اذا علقت على المحوم عجيب وبمصر حطب السنت ولا نظيره في معناه فلو وقدم منه تحت
 قدر يوما كاملا لما بقي منه ما دوه ومع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطيء الخلود ويقال انه ابنوس غيرة
 بقعة مصر فصارا حجر وبها الافيون عصارة الخشخاش ولا يجهل منافعها الا جاهل وبها البنج وهو غر قدر
 اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة وبها الاترج قال ابوداود
 صاحب السيرة في كتاب الزكاة شربت فداء بمصر ثلاثة عشر شهرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين وصيرت مثل
 عدلين قال المسعودي في التاريخ والاترج المدقور حل من ارض الهند بعد الثلاثمائة من سنى الهجرة وزرع بعمان
 ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثرت في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وفي انطاكية
 وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الاراهج الحمراء الطيبة واللون الحسن
 الذي كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصة البلد وفي مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب
 والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا واهل مصر يأكلون صيد بحر الروم
 وصيد بحر اليمن طريا لان بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما وذلك يوم وليلة وهو الحاجر المذكور
 في القرآن قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا قيل هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان
 بينهما برزخ لا يبغيان قال بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر انه يوجد بها
 في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من الماء كولد والشمع دون ما عدا من بقيمة الشهور فيقال رطب
 قوت ورماني باب وموزها توروسم كيمك وماء طوبه وخروف امشير وابن برمهات وورد برموده ونبق بشنس
 وتين بونه وعسل ابيب وعنب مسرى * ومنها ان صيفها خريف كثيرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون
 بمصر حينئذ من القُرظ والكتان ومن محاسنها ان الذي يتقطع من الفواكه في سائر البلدان ايام الشتاء يوجد
 حينئذ بمصر ومنها ان اهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول في جوف الارض
 كما يعانى اهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتاء الى لبس القرو والاصطلاب بالشار الذي لا يستغنى عنه اهل الشام
 كما انهم ايضا في الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج ويقال زبرجد مصر وقباطى مصر وجير مصر
 وثعابين مصر ومنافعها في الدرياق جليلة ومن فضائل مصر ان الرخامة التي في الحجر من السكةبة من مصر
 بعث بها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد في سنة احدى واربعين ومائتين مع رخامة اخرى خضراء هدية
 للبرجعات احدى الرخامتين على سطح مدر الكعبة وهما من احسن الرخام في المسجد خضرة وكان المتولى

عليهما عبد الله بن محمد بن داود ذرعهما ذراع وثلاث اصابع قاله الفاكهي في اخبار مكة * ومن فضائل مصر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من اهلها وولده صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ولم يولد له ولد من غير
نساء العرب الا من نساء مصر * قال ابن عبد الحكم لما كانت سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى الملوكة فغضى حاطب بن ابي بلتعنة بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى
مجلسه اشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما رآه امر بالكتاب فقبض وأمر به فأوصل اليه
فلما قرأ الكتاب قال مأمعه ان كان نبيا أن يدعو علي فسلط علي فقال له حاطب ما منع عيسى بن مريم
أن يدعو علي من ابي عليه ان يفعل به ويفعل فوجه ساعة ثم استعاضها فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له
حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب الاعلى فاتقم الله به ثم اتقم منه فاعبر بغيرك ولا تعبر بك وان لك
دينان تدعه الاما هر خير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ماسواه وما بشارة موسى بعيسى الا كشارة
عيسى بمحمد وما دعاونا اليك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل ولسنا نتهال عن دين المسيح
ولكننا نأمر بك به * ثم قرأ الكتاب فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط
سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يوثقك الله اجره مرتين وباهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان قولوا فقرلوا اشهدوا باننا مسلمون) فلما قرأه اخذته فجعله في حق من عاج وختم عليه * وعن ايان بن صالح
قال ارسل المقوقس الى حاطب ليله وليس عنده احد الا الترجان فقال له لا تخبرني عن امور اسألك عنها فاني
اعلم ان صاحبك قد تخبرك حين بعثك قلت لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الى ما يدعو محمد قال الى ان تعبد
الله ولا تشرك به شيئا وتخلع ماسواه وأمر بالصلاة قال فكتم تصلون قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام
شهر رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد ونهى عن اكل الميتة والدم قال من اتباعه قال الفتيان من قومه
وغيرهم قال وهل يقبل قوله قال نعم قال صفه لي قال فوصفته بصفة من صفته ولم أت عليها قال قد بقيت اشياء
لم اذكرتها في عينيه حرة قل ماتصارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويمجترى بالتمرات
والكسر لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت اعلم ان نبيا بقي وقد كنت اظن ان مخرجه
الشام وهنالك كانت تخرج الانبياء من قبله فأراه قد خرج في ارض العرب في ارض جهده وبؤس والقبط
لانفا وعنى في اتباعه ولا احب أن تعلم بحاورتي اياك وسب ظهري على البلاد ويترك اصحابه من بعده بسا حننا هذه
حتى يظهر راعي ما ههنا وأنا لا اذكر القبط من هذا حرفا فارجع الى صاحبك قال ثم دعي كاتبك يكتب بالعربية
فكتب (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن ان نبيا يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين
لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركها والسلام) * وعن عبد الرحمن بن عبد القاري
قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله
ثم شرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له كسوة وبغلة بسرجهما وجاريتين احدهما اثم ابراهيم
وهوب الاخرى بلهم بن قيس العبدري فهي ام زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر
ويقال بل وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الانصاري ويقال بل لاحية بن خليفة الكلبي
وقيل بل لحسان بن ثابت * وعن يزيد بن ابي حبيب أن المقوقس لما اتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه
الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي تجد نفعه وصفته في كتاب الله تعالى وانا لنجد صفته انه لا يجتمع
بين اثنين في ملك بين ولا نكاح وانه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وان جلساه المساكين وان خاتم النبوة بين
كتفيه ثم دعا رجلا قاتلا ثم لم يدع بمصر احسن ولا اجل من مارية واختها وهما من اهل جفن بفتح اوله وسكون
ثانيه ثم فون بعده من كورة انصاف بعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له بغلة شهباء وحمارا
اشهب وثيابا من قباطي مصر وعسلا من عسل بنها وبعث اليه بالصدقة وبقال ان المقوقس اهدى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع جوارى وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحمارا اسمه يعفور وقبأ ألف مثقال

ذهبوا عشرين ثوباً من قباطى مصر وخصيها يسمى مابور ويقال انه ابن عم مارية وفسا يقال له الكثر اروقدا
من زجاج وعسلا من عسل بنها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة وقال ضن الخميث بملكه ولا بقاء
للكه فان المقوقس قال خيرا واكرم حاطب ابن ابي بلتعة وقارب الامر ولم يسلم * وقال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر
الواقدي ابو يعقوب ابن محمد بن ابي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة قال اهدى المقوقس
صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية واختها سيرين وألف من ثوبها
وعشرين ثوباً وبغلة الدلدل وحمارة غفيرا وخصيها يقال له مابور فعرض حاطب على مارية الاسلام فأسلمت هي
واختها ثم اسلم الخصي بعد وكان الذي بعثه المقوقس مع مارية اسمه ابن عبد الله القبطى مولى بنى عسار قال ابن
عبد الحكم واهم رسوله أن يخطر من جلسائه وينظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول
فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والداتين والعسل والثياب وأعلمه ان ذلك كله
هدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لا يرد هدا من احد من الناس قال فلما نظر الى مارية واختها
اعجبتهما وكره ان يجمع بينهما وكانت احداهما تشبه الاخرى فقال اللهم اخترنا نيك فاختر الله له مارية وذلك
انه لما قال لهما ان الله لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله فبادرت مارية فشهدت وآمنت قبل اختها ومكنت
اختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها مسلمة بن محمد الانصارى وقال بعضهم
بل وهبها لدمية بن خليفة الكلبى * وعن يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن شامة المهري عن عبد الله بن عمر
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام ابراهيم ام ولد القبطية فوجد عندها نسيباً لها كان قدم معها
من مصر وكان كثير ما يدخل عليها فوقع في نفسه شئ فرجع فلقبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعرف ذلك
في وجهه فسأله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقرى بها عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك
كشف عن نفسه وكان محبوباً ليس بين رجليه شئ فلما رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتانى فاخبرنى ان الله عز وجل قد بزأها وقرى بها وان في بطنها غلاماً منى
وانه اشبه الخلق بى وأمرنى ان اسميه ابراهيم وكانى بأبى ابراهيم * وقال الزهري عن انس لما ولدت ام ابراهيم ابراهيم
كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شئ حتى جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال
ان المقوقس بعث معها نخصى كان يأوى اليها وقيل ان المقوقس اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارى
منهن ام ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت
فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم وكان احب الناس اليه حتى مات فوجد به وكان سنه
يوم مات ستة عشر شهراً وكانت البغلة والجارأحب دوابه اليه وسمى البغلة الدلدل وسمى الجار يعقورا وأعجبه
العسل فدعا في عسل بنها بالبركة وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية
قيصر وقيل بل كان اسمها سيرين وقيل حنة * وكلم الحسن بن علي معوية بن ابي سفيان في ان يضع الجزية عن جميع
قرية ام ابراهيم لم يمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم خراج وكان جميع اهل القرية من اهلها
وأقربائهم فأنقطعوا * ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لوبق ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت
عنه الجزية ومات مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب وابن لهيعة
عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخفش عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
دخل ابلدس العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق ثم دخل مصر فباض فيها
وفترخ وبسط بقريه حديث صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقال محاسنها مجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة
الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حل الماء والافهى رمل محض لا تنبت الزرع والنار
لا يوجد بها شجرها والهواء لا يهب بها الا من احد البحر من امان الروم واما من القلزم وقد زاد هذا في تسامله
* وقال كعب الاحبار الجزية آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينه ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة
والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة

* (ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك) *

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماخرجات انه كان بمصر حجر من جمع كفيه عليه تقياً جميع ما في جوفه

قال القاضي ذكر الجاحظ وغيره أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات وهي مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة سنجر وقصر غمدان وكنيسة رومية وصنم الزيتون وإيوان كسرى بالمداين وبيت الرمح بدمى والخورنق والسدير بالحيرة والثلاثة الأحجار بعليك وذكر أنها بيت المشتري والزهره وأنه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها فتهدمت (ومنها بمصر عشرون أعجوبة) فمن ذلك الهرمان وهما أطول بناء وأعجب ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شئ إلا وأنا أرجح من الدهر إلا الهرمين فاني لا أرحم الدهر منهما * ومن ذلك صنم الهرمين وهو يلهو به ويقال بلهيت ويقال أنه طلسم للرمل لئلا يغلب على البلز الحيزه * ومن ذلك بربا ممنود وهو من أعاجيبها وذكر عن أبي عمر والكندي أنه قال رأيتاه وقد خزن فيه بعض عماله قنطرة رأيت الجبل إذا دنا من بابه بحمله وأراد أن يدخل سقط كل ديب في القنطرة لم يدخل منه شئ إلى البربا ثم خرب عند الحسين والثمانمائة * ومن ذلك بربا أعجم عجب من العجائب بما فيه من الصور وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذوالنون الأعجمي يقرأ البرابي فرأى فيها حكما عظيمة فأفسدا كثرها * ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهي إلى آخرها ثم تكثر راجعة إلى موضع بدايتها * ومن ذلك حائط العجوز من العريش إلى أسوان يحيط بأسوار مصر شرقا وغربا * ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسواري والملاعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع في حجر أحد الملوك مصر وحضر عديدا من أعيادهم عروبن العاص فوقعت الكرة في حجره فلك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا الملعب ألف الف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا اولعب نوع من أنواع اللعب رأوه عن آخرهم لا يتناولون فيه بأكثر من المراتب العالية والسفلية * ومن عجائبها المسلمان وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس في أركانها كل ركن على سرطان فلو أراد مر يد أن يدخل تحتها شئ حتى يعبره من جانبه الآخر لفعل * ومن عجائبها عمودا الأعياء وهما عمودان ملقيان وراء كل عمود منهما جبل حصبا كصبرا الجار بمنى يقبل المعنى التعب النصب بسبع حصيات حتى يلتقي على أحدهما ثم يرمى وراءه السبع ويقوم ولا يلتفت ويمضي لطيفه فكأنما يحمل جلا لا يحس بشئ من تعب ومن عجائبها القبة الخضراء وهي أعجب قبة ملبسة نحاسا كأنه الذهب البريز لا يلبه القدم ولا يتخلقه الدهر * ومن عجائبها منية عقبة وقصر فارس وكنيسة أسفل الأرض ثم هي مدينة على مدينة ليس على وجه الأرض مدينة بهذه الصفة سواها ويقال إنها أرم ذات العماد سميت بذلك لأن عمدها ورخامها من البدينجنا والاصطيدس المخطط طولها وعرضها * ومن عجائب مصر أيضا الجبال التي هي بصعيدا على نيلها وهي ثلاثة أجبل فمنها جبل الكهف ويقال الكف ومنها الطيلون ومنها جبل زما جيز الساحرة يقال ان فيه حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق بأهك اللهم * ومن عجائبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفات تعرض أنفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لسبيله فلا يزال يفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقيره فتنجسه وتغضى كلها ولا يزال ذلك الذي يحبسها متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى * ومن عجائبها عين شمس وهي هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الأرض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسهما ماء وتستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري في أسفلهما فينبت في أصلهما العوسج وغيره وإذا حلت الشمس دقيقة من الجدى وهو اقصر يوم في السنة انتهت إلى الجنوبي منها فطلعت عليه على قعر رأسه وهي منتهى الميلين وخط الاستواء في الواسطة منها ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * ومن عجائبها منصف وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودفائنها وكنوزها وما يذكرونها أكثر من أن يحصى من آثار الملوك والحكام والأنبياء لا يدفع ذلك * ومن عجائبها القروا وهي أكثر عجائبها وأكثر آثارا * ومن عجائبها الفيوم * ومن عجائبها نيلها ومن عجائبها الحجر المعروف بحجر الخلل يطفو على الخلل ويسبح فيه كأنه سمكة

وكان يوجد بها حجر اذا أمسكه الانسان بكتا يديه تقاياً كل شئ في بطنه وكان بها خرزة تجعل المرأة على حقوها
 فلا تحبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنور في تساقط خبزه وكان يوجد بصعيدا حجارة رخوة تكسر فتتقد
 كالمصباح * ومن عجائبها حوض كان بدلالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والاربعة ويحتركون الماء بشئ
 فيعبرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فأخذ كافر الاخشيدى الى مصر فنظر اليه ثم اخرج من الماء فالتقى
 في البر وكان في اسفله كتابه لا يدري ما هي ثم بطل * ومن عجائبها ان بصعيدا ضيقة تعرف بدشني فيها سبعة اذا
 تهددت بالقطع تدبل وتجتمع وتضمر فيقال لها قد عفونا عنك وتركناك فتراجع والمشهور وهو الموجود الآن
 سبعة في الصعيد اذا نزلت اليه عليها دبلت واذا رفعت عنها ترا جعت وقد حملت الى مصر وشوهدت وبها نوع
 من الخشب يرسب في الماء كالابنوس وبها الخشب السسنت الذي يوقد منه القدر الكبير في الزمان الطويل
 فلا يوجد له رماذ * وذكر ابن نصر المصري انه كان على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الريحان عند الكنيسة
 المعلقة صنم من نحاس على خلقه الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة مستكب قوسا عربية وفي رجليه نعلان
 كانت الروم والقبط وغيرهم اذا اتطالموا بينهم واعتدى بعضهم على بعض تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدي ذلك
 الجمل فيقول المظلوم للظالم انصفني قبل ان يخرج هذا الراكب الجمل فيما خذ الحق لي منك شئت ام لا بيت يعنون
 بالراكب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاص غيب الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم
 قال ابن لهيعة بلغني ان تلك الصورة في ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنين لا يدري من عملها * قال القاضي
 فهذه عشرون عجوبة من بطلها ما يتضمن عدة عجائب فلو بسطت بحاء منها عدد كثير ويقال ليس من بلده
 شئ غريب الا وفي مصر مثله اوشبنيه به * ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التي ليست في بلد سواها وفي كتاب
 تحفة الالباب انه كان بمصر بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب تحت
 صبي ميت ملفوف في نطع اديم مشدود بحبل وعلى السرير مثل الباطية فيها انبوب من نحاس فيه قليل اذا
 اشتعل القليل بالنار وصار سراجا يخرج من ذلك الانبوب الزيت الصافي الحسن الفائق حتى تمتلئ تلك الباطية
 وينطفئ السراج بكثرة الزيت فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شئ فاذا خرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج
 من الزيت شئ والباطية يريها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعا فيه ثقب واولئك الرهبان يتعيشون من
 ذلك الزيت يشتريه الناس منهم فينتفعون به * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عديم الملك ابن تقطريم كان
 جبارا ليطاق عظيم الخلق فأمر بقطع الخنور لي عمل هرما كعمل الاوتون وكان في وقته الملكان اللذان
 اهبطا من السماء وكانا في بئر يقال له افتاره وكانا يعملان اهل مصر السحرة وكان يقال ان الملك عديم بن البودشير
 استكثر من علمهما ثم اتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما مهله وبها وليس
 هما الملكين والملكان يسابل في بئر هناك يغشاها السحرة الى ان تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت
 الاصنام وقال قوم كان الشيطان يظهر وينصها لهم وقال قوم اول من نصبها بدوره واقل صنم اقامه صنم
 الشمس وقال آخرون بل الترو الاول امر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم اول من صلب وذلك ان امرأة زنت
 برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فأمر بصلبها على منارين وجعل ظهر كل واحد منهما
 الى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك به ما فيه فاتهى الناس عن
 الزنى وبني اربع مديان وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الاعمال والطمسما وكثر فيها كنوزا كثيرة وعمل
 في الشرق منارا واقام على رأسه صنما وجعلها الى الشرق ما يديه يمنع دواب البحر والرمال ان تتجاوز حذوه وزبر
 في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ولولا هذا الغلب الماء الملح من البحر
 الشرقي على ارض مصر وعمل على النيل قنطرة في اول بلد النوبة ونصب عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع
 جهات الدنيا في يدي كل واحد من الاصنام حربان يضرب بهما اذا أتاهم آت من تلك الجهة فلم تزل بجبالها الى
 ان هدمها فرعون موسى عليه السلام وعمل البراءة على باب النوبة وهو هناك الى وقتنا هذا وعمل في احدى
 المديان الاربع التي ذكرناها حوضا من صوان اسود مملوء ماء لا يتقص طول الدهر ولا يتغير ماؤه لانه اجتلب اليه
 من رطوبة الهواء وكان اهل تلك الناحية واهل تلك المدينة يشربون منه ولا يتقص ماؤه وعمل ذلك لهدم
 عن النيل وذكر بعض كهنة القبط ان ذلك الماء ثم لقربه من البحر الملح فان الشمس ترفع بجحرها بخار البحر فيحصر

من ذلك الخار جزأ بالهندسة او بالسحر وتجهله بخط ذلك في ذلك الموضع بالجواهر مثل الظل وتمده بالهواء فلا ينقص بذلك ماؤه على الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحاً لطيفاً على مثل هذا العمل وأهداه حوميل الملك الى اسكندر اليوناني وملكهم عديم مائة واربعين سنة ومات وهو ابن سبعمائة وثلاثين سنة ودفن في احدى المدائن ذات العجائب وقيل في صحراء قفط * وذكر بعض القبط أن ناووس عديم عمل في صحراء قفط على وجه الارض تحت قبعة عظيمة من زجاج اخضر برّاق معقود على رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب موشح بجوهر منشور الجناحين يمنع من الدخول الى القبعة وكان قطرهما مائة ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سزير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المغرور بالجواهر المنظوم وطول القبعة اربعون ذراعاً وجعل في القبعة مائة وسبعين مصحفاً من مصاحف الحكمة وسبع موائد بأوانيها مائدة من درّ رماني احمر واوانيها منها ومائدة من ذهب قلوني واوانيها منها ومائدة من حجر الشمس المضيء بأينتها وهو الزبرجد الذي اذا نظرت اليه الافاعي سالت اعينها ومائدة من كبريت احمر مدبر بأينتها ومائدة من ملح ابيض مدبر بزاق بأينتها ومائدة من زيق معقود وجعل في القبعة جواهر كثيرة وبرابي صنعة مدبرة وحوله سبعة اسياق وأتراس من حديد ابيض مدبر وتماثيل افراس من ذهب عليها سروج من ذهب وسبعة نوابيت من ذنائب عليها صورته وجعل معه من اصناف العقاقير والسمومات والادوية في برابي من حجارة وقد ذكر من رأى هذه القبعة أنهم أقاموا اياماً قد دروا على الوصول اليها وانهم اذا قصدوها كانوا امنها على ثمانية اذرع دارت القبعة عن ايديهم أو عن شمائلهم * ومن اعجب ما ذكره انهم كانوا يحاذون آذانها زجا ازجاً فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الازج الاسخر على معنى واحد وذكروا انهم رأوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير وحيثه كبيرة مكشوفة وقد رءوا طول بدنه عشرة اذرع وزيادة وذكر هؤلاء الذين رأوها انهم خرجوا لحاجة فوجدوها اتفقا وانهم سألو اهل قفط عنها فلم يجدوا احداً يعرفها سوى شيخ منهم وأوصى عديم الملك بأنه شدا بن عديم ان ينصب في كل حيز من احياز ولايته منارا ويزر عليه اسمه فالتحقدر الى الاسمنين وعمل منارا تها ويزر عليها اسمه وعمل بهما لعب وعمل في صحرائها منارا أقام عليه صنما برأسين على اسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه الى اتريب وبني فيها قبعة عظيمة مرتفعة على عمد وأسطين بعضها فوق بعض وعلى رأسها صنما صغيراً من ذهب وعمل هيكل للكواكب ومضى الى حيز صافع مل فيه منارا على رأسه امرأة من اخلاط توري الاقاليم ورجع وعمل شدا بن عديم هيكل ارسنت وأقام فيه صنما باسماء الكواكب من جميع المعادن وزينه باحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساه الوشي والديباج وعمل في المدائن الداخلة من انصنا هيكلأ وأقام فيه باتريب وهيكلأ شرقي الاسكندرية وأقام صنما من صوان اسود باسم زحل على عبرة النيل من الجانب الغربي وبني في الجانب الشرقي مدين في احداها صورة صنم قائم وله احدى ارجله اذا أنام المعقود والمسحور ومن لا يتشرد ذكره فسمحه بكفتي يديه اتشرد ذكره وقوى على البقاء وفي احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا انعقد لبي امرأة اتها ومسحتها يديها فانه يدربلسنها وجع القاسم - يج بطاسم عمله بناحية اسيوط فكانت تنصب من النيل الى اخميم انصبا باقية قتلها ويستعملها جلود في السفن وغيرها * وعمل منقاوس الملك بيتاً تدور به تماثيل بجميع العلل وكتب على رأس كل تمثال ما يصلح من العلاج فانتفع الناس بها زماناً الى ان افسدها بعض الملوك وعمل صورة امرأة متبسمة لا يراها منهم وم الازال همه ونسبه فكان الناس يتناوبونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من بجلة ما عبدوه بعد ذلك * وعمل تماثلاً من صفر مذهّب بجناحين لا يمر به زان ولا زانية الا كشف عورته بيده وكان الناس يتخمون به الزناة فامنعوا من الزناة فامنع فلما ملك كلكن مشقت حظية عنده رجلاً من خدمه وخافت ان تتخس بذلك الصنم فأخذت في ذكر الزواني مع الملك وأكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب في امره لانه اتعب نفسه وحكامه فيما جعله لاصلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا ان ينصب في دار الملك حيث يكون نسائه وجواريه فان اقترفت احداً من ذنبا علم بها فيكون رادعاً لهن متى عرض بقلوبهن شيء من الشهوة فقال كلكن صدقت وظن ان هذا منها انصح فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله الى داره فبطل عمله وعملت المرأة ما كانت همت به * وبني هيكلأ على جبل القصير للسحرة فكانوا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعة الا

بضريبة يأخذونهم للملك * وبني مناوس بن منقاوس في صحرا الغرب مدينة بالقرب من مدينة السمرة تعرف
 بقطرة ذات عجائب وجعل بوسطها قبة عليها كالسحابة تمطر ثنائيا وصيفا مطرا خفيفا وتحت القبة مطهرة فيها ماء
 اخضر يداوى به من كل داء فيبريه وعمل في شرقها برجا لطيفا له اربعة ابواب لكل باب عضادتان في كل عضادة
 صورة وجه يخاطب كل واحد منهم ما صاحبه بما يحدث في يومه من دخل البرباعلي غير طهارة فتخاف وجهه
 فأصابه رعدة قطيعة لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان في وسطه مهبط النور في صورة العمد من اعتنقه
 لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانية وسمع كلامهم ورأى ما يعملون وعلى كل باب من ابواب هذه المدينة صورة
 راهب في يده مصحف فيه علم من العلوم فمن احب معرفة ذلك العلم اتى تلك الصورة فمسحها بيديه وأمرهم ما على
 صدره فثبت ذلك العلم في صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس وهو عطار وأنهما يجالهما
 (وحكى عن رجل انه اتى عبدالعزیز بن مروان وهو أمير مصر فعرفه انه تاه في صحراء الشرق فوقع على مدينة
 خراب فيها شجرة تحمل كل صنف من الفاكهة وأنه اكل منها وتزوج فقال له رجل من القبط هذا إحدى مدينتي
 هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبدالعزیز معه جماعة معهم ماء وزاد فأماوا يطوفون تلك الصحارى شهرا
 فلم يلقوا الها على اثر * وعملت ام ميلاطس الملك بركة عظيمة في صحراء الغرب وجعلت في وسطها عمودا طوله ثلاثون
 ذراعا وفي اعلاه قصعة من حجارة يغور منها الماء فلا ينقص ابدا وجعلت حول البركة اصناما من حجارة ملونة
 على صور الحيوانات من الوحش والطيور والبهائم فكان لكل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ باليد
 ويتفقد به * وعملت لانبها منترها لانه كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مركمة على اساطين من مرمر مصفح
 بالذهب مرصع بالجواهر والزجاج الملتون وزخرفته بالتصاوير العجيبة والنقوش فكان الماء بطلع من فورات
 وينصب الى انهار قد صفت بالقضة تجري الى حدائق فيها بديع الفروشات وقد أقيم حولها تماثيل تصفر
 بانواع اللغات وأرخت على المجلس ستورا من ديباج واختارت لانبها من حسان بنات عمه وبنات الملوك
 وازوجته وحولته الى هذه الجنة وبنيت حول الجنة مجالس للوزراء والكهنة وأشرف اهل الصناعات فكانوا
 يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من اعمالهم حل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد
 ابيه مرقوه وهو وصي وكانت امه مدبرة الملك وهي حازمة مجترية فأجرت الامور على ما كانت عليه في حياة ابيه
 واحسنت وعدلت في الرعية ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها في الخصب الكثير والسعة
 للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لكل من معه بالجوائز والاطعمة ويجلس
 للنظر يوما في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويخلو يوما بنسائه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وجدر فبات
 * وعمل فرسون بن قيلون بن اتريب منارا على بحر القلزم وعلى رأسه امرأة تجذب بها المراكب الى شاطئ البحر
 فلا يمكن ان تبحر الا ان تعشر فاذا عسرت سرت المرأة حتى تجوز المراكب وأقام فرسون مائتي سنة وستين سنة
 وعمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الاسود الشرقي في وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا في كل بيت اعجوبة لا تشبه
 الاخرى وزبر عليها اسمه ومدة ملكه * وكان مرقوس الملك حكيما محبا للحجج والعلوم والحكمة فعمل
 في ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط ان يزن له ما يتساوى منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيعثر
 البائع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم ارطال كثيرة تساوي عشرة اضعافه وكان
 اذا احب أن يدخل في وزنه اضعاف تلك الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزانة امية
 وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم اخر قيل انها عملت في وقته ايضا فيكون الدرهم منها في ميزان الرجل
 فاذا اراد أن يتساع حاجة اخذ ذلك الدرهم وقبلة وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى
 الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى منزله ويجد البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس او قرطاسا او مثل ذلك بدور
 الدرهم وفي وقته عملت الآتية الزجاج التي توزن فاذا ملئت ماء او غيره ثم وزنت لم ترد عن وزنها الا قليلا وعمل
 في وقته الآتية التي اذا جعل فيها الماء صار خرا في لونه ورأى تحتها فعمله وقد وجد من هذه الآتية باطن في اماراة
 هارون بن جاريه بن احمد بن طولون شربة جزع بعروة زرقاء بيضاء وكان الذي وجدها ابو الحسن الصائغ
 الخراساني هو ونفر معه فأكلوا على شاطئ النيل وشربوا بها الماء فوجدوه خرا سكر وامنه وقاموا ليرقصوا
 فوقعت الشربة فانكسرت عدة قطع فاعتم الرجل وجاء بها الى هارون فاسف عليها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها

ببعض ملكي * واما الاتية الخامسة التي تجعل الماء خرا فانها منسوبة الى قلوبطرة بنت بطليموس ملكة
 الاسكندرية فكثير وفي وقته عملت الصور الخشبية من الضفادع والخنفس والذباب والعقارب وسائر الحشرات
 وكانت اذا جعلت في موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكأنه يعمل
 اعماله كلها بصور درج الفلك واسمائهم وطوال العها فيتم له من ذلك ما يريد * وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج
 ملون في وسطه قبة من زجاج اخضر صافي اللون فاذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل
 في جوانبه الاربعة اربعة محاسن عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لون طاسمات عجيبات ونقوشات
 غريبة وصورا بديعة كل ذلك من زجاج مطلق يشف وكان يقيم في هذا الملعب الايام وعمل له ثلاثة اعمد في كل سنة
 فكان الناس يحجون اليه في كل عيد ويذبحون له ويقنون فيه سبعة ايام ولم يزل هذا الملعب تقصده الامم فانه
 لم يكن له نظير ولا عمل في العالم مثله الى ان هدمه بعض الملوك لتجزئه عن عمل مثله * وكانت ام مرقونس ابنة ملك
 النوبة وكان ابوها يعبد الكوكب الذي يقال له السها ويسميه الهاسأت ابنتها ان يعمل لها هيكل يفرد هابه
 فعمله وصفه بالذهب والفضة واقام فيه صنما وأرعى عليه الستور الحرير فكانت تدخل اليه بجوارحه
 وحشمها وتسجد له في كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عيدا تقرب له قرايين وتجزئه ليله ونهاره ونصبت له
 كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب له ويجزئه ولم تزل بابنها حتى سجد له ودعى الى عبادته فلما رأى الكاهن الامر
 في عبادة الكواكب قد تم واحكم من جهة الملك احب ان يكون لكوكب السها مثلا في الارض على صورة
 حيوان يتعبد له فأقام يعمل الحيلة في ذلك الى ان اتفق ان العقبان كثرت بمصر وأضرمت بالناس فأحضر الملك
 هذا الكاهن وسأله عن سبب كثرتها فقال ان الهك ارسلها لتعمل لها نظيرا ليتعبد له فقال مرقونس ان كان
 يرضيه ذلك فأفعله فقال ان ذلك رضاه فأمر بعمل عقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبول
 وعمل عينيه من ياقوتين وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على انايب جوهر أخضر وفي منقاره درة معلقة
 وسروله بالدر الأحمر واقامه على قاعدة من فضة منقوشة قدر كبت على قائمة زجاج ازرق وجعله في ازج عن يمين
 الهيكل وألقى عليه ستورا حريرا وجعل له دخنة من جميع الاقاييه والصمغ وقرب له عجلا اسود وبكارة الفراريج
 وبأكورة الفواكه والياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود اليه فأجابته الناس ولم يزل الكاهن يجهد
 نفسه في عبادة العقاب وعمل له عيدا فلما تم لذلك اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه * وكان اول ما دعاهم اليه
 ان يجزئه في انصاف الشهور بالمندل ويرش الهيكل بانجر العتيقة التي تؤخذ من رؤس الخواوي وعرفهم انه قد
 ازال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل في غيرهما يخافون فسر الكاهن بذلك وتوجه الى ام الملك يعترفها
 ذلك فسارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب فسر لها ذلك واعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه
 وامره ونهاه فسجد له واقام له سدة وأمر أن يزين باصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد
 لتلك الصورة ويسألها عما يريد فتخبره * وعمل من الكيمياء ما لم يعمل احد من الملوك فيقال انه دفن في صحراء الغرب
 خمسمائة دفين * ويقال انه عمل على باب مدينة صامودا عليه صنم في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة تنظر
 اليها وكان الغليل يأتي الى هذه المرأة ويتنظر فيها او ينظر له احد فيها فان كان يموت من علمته تلك رؤى ميتا
 وان كان يعيش رآه حيا ويتنظر فيها ايضا للسافر فان رآوه مقبلا بوجهه علموا انه راجع وان رآوه موليا علموا
 انه يتأذى في سفره وان كان مريضا او ميتا رآوه كذلك في المرأة * وعمل بالاسكندرية صورة راهب جالس على
 قاعدة وعلى رأسه ككالبرنس وفي يده كالعكاز فاذا مر به تاجر جعل بين يديه شيئا من المال على قدر بضاعته
 فان تجاوزه ولو عن بعد من غير أن يضع بين يديه المال لم يقدر على الجواز وثبت قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك
 مال عظيم يفرق في الزمى والضعفاء والقرا * وعمل في زمنه كل اعجوبة نظيفة وامر ان يزر اسمه عليها وعلى كل
 علم وكل طلسم وكل صنم * وعمل لنفسه ناووسا في داخل الارض عند جبل يقال له سدام وعمل تحته ازجا يقال
 ان طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه
 بالججارة وعمل فيها دائرة مساطب مبطاة بزجاج على كل مسطبة اعجوبة وفي وسط الازج دكة من زجاج على
 كل ركن من اركانها صورة تمنع الدواب واليهاب من كل صورتين منارة عليها حجر مضى وفي وسط الدكة حوض من
 ذهب فيه جسده بعد ما ضمه بالادوية الماسكة ونقل اليه دخايره من الذهب والجوهر وغيره وسد باب الازج

بالخور والرصاص وهيل عليها الرمال وكان مدكه ثلاثا وسبعين سنة وعمره مائتين واربعين سنة وكان بجيلا
 ذاويرة حسنة فتسكت نساؤه ولزم الهيكل من بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صا بن ايساد وقيل صا بن
 مرقوس اخو ايساد فعمل مرآة في مدينة منف ترى الاوقات التي تخصب فيها مصر وتجذب وبنى بداخل
 الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة * وعمل خلف المقطم صما يقال له صنم الحيلة فكان كل من تعذر
 عليه امر يأتيه ويجزئه فيتيسر ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه امر البحر وما يحدث فيه من
 اقصى ما يصل اليه البصر على مسيرة ايام وهو اول من اتخذها ويقال انه بنى اكبر مدينة منف وكل بنيان
 عظيم بالاسكندرية * ولما ملك يدارس بن صا الاحياز كلها بعده وصفا له ملك مصر بنى في غربى مدينة منف
 يتسع فيها الكوكب الزهرة وأقام فيه صما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب يلوح بزرقة وسوره
 بسوارين من زبرجد أخضر وكان الصنم في صورة امرأة لها صغيرتان من ذهب اسود مدبر وفي رجلها
 خلخالان من حجر احمر شفاف ونعلان من ذهب ويدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من في
 الهيكل وجعل بجذاتها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر موهبة بذهب موشحة بجعر اللازورد ووجه
 البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عمود رخام مجزع وفي المطهرة ماء مدبر
 يستشقي به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يدلوها في كل سبعة ايام وجعل في الهيكل كراسى للكهنة
 قد صفحت بالذهب والفضة وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطيور وكان يحضر يوم
 الزهرة ويعطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة
 في سنانها رأس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل الى ان هدمه بخت نصر في ايام مالميق بن تدارس وكان
 موحدا على دين قبطيم ومصر ايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر وأرض افرقية وبلاد الاندلس
 وارض الافرنج الى البحر وعمل في البحر أعلاما زبر عليها اسمه ومسيره ورجع فيها به ملوك الارض وكان في غربى
 مصر مدينة يقال لها قمر مده بها قوم قدم ملكوا عليهم امرأة ساحرة فغزاهم فلم يزل منهم قصدا ورجع فأرادت
 ملكتهم افساد مصر فعملت من سحرها وامرت فألقي في النيل ففاض الماء على المزارع حتى افسدها وكثرت
 القملاسيح والضفادع وفشت الامراض في الناس وانبت فيهم الثعابين والعقارب فاحضر مالميق الكهنة
 والحكماء في دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك فنظروا في نجومهم فرأوا ان هذه الآفة اتتهم من ناحية الغرب
 وان امرأة عملته وألقته في النيل فعلوا حينئذ انه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من
 العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد وهدمت الدواب المضرة وجهزوا قائدا في جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير
 رجل واحد فأخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى * فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد أخضر
 على قائمة من حجر الاسبيديم وصورة روحاني من ذهب رأسه من جوهر أحمر وله جناحان من درو في يده مصحف
 فيه كثير من علومهم في دقتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت ازرق على قاعدة زجاج أخضر فيها ماء لدفع
 الآسقام وفرس من فضة اذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنه وركبه احد طاربه فأحضر ذلك وغيره من عجائب
 السحرة وأصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فسأله الملك عن أعجب اعمالهم قال قصدهم
 بعض ملوك البربر يجمع كثيف وتخايل هائلة فأغلق اهل مدينتنا حصنهم ولبوا الى الاصنام فألقى الكاهن الى
 بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها واخذ يزمر على الماء حتى
 فاروخرج من وسطه نار في وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء نفخ الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى
 صعدت وخرقت القبة وسمع منها قد كفيتم شر عدوكم فقاموا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك ان صورة
 الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها * ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خريسا
 كان النمرود في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستناره ووجه اليه ان يلقاه وكان النمرود يسكن سواد
 العراق وغلب على كثير من الامم فأقبل كلكن على اربعة افراس تحمله لها اجنحة قد أحاطت به كالنار وحوله
 صورها ناله فدخل بها وهو متوشح بشعبان ومحمزم ببعضه وذلك التنين فاغراه ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك
 التنين رأسه ضربه بالقضيب فلما رأى النمرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكم * وتقول القبط ان كلكن
 كان يرتفع فيجاس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه وكان اهل البلد اذا ذاهمهم امر اجتمعوا حول الهرم

ويقولون انه ربما اقام على رأس الهرم اياما لا يأتى كل ولا يشرب ثم انه استمر مدة حتى توهـموا انه هلك فطـمع
المملوك في مصر وقصد هـاملك من المغرب يقال له ساروم في جيش عظيم الى ان بلغ وادي هيب فأقبل كالـكن
وجلبهم من سحره بشئ كـالغمام شديد الحرارة وهم تحته اياما لا يدرون اين يتوجهون ثم ارتفع وصار عصر
يعترفهم ما عمل وامرهم فخرجوا فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فها به جميع الكهنة وصـوره في سائر الهياكل
وبني هيكلا زحل من صوان اسود في ناحية الغرب وجعل له عيدا * (وفي ايام دارم بن الريان) وهو الفرعون
الرابع الذي يقال له عند القبط دريوس ظهر معدن فضة على ثلاثة ايام من النيل فانار وامنـه شيا عظيمـا وعمل
صنما على اسم القمر لان طالعه كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذي بناه ابوه في شرق النيل
ونصب حوله اصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الاحمر وعمل للصنم عيدا كلما دخل برج السرطان ولم
ولي اكسايـس الملك بعد ابيه معدان بن معاديوس بن دارم بن دريوس وهو الفرعون السادس اقام اعلاما
كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين يشي من بعضها الى بعض وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد واسفل
الارض اعلاما ومنازل للوقود وطلسمات كثيرة وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها
بالدهن الصيني وأقامها على منار في وسط منف وعمل في هيكلي ابيه روحاني زحل من ذهب اسود مدبر وعمل
في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكـل الشمس
وكتب على احدى كفتيه حق والاخرى باطل وتحتة فصوص قد نقش عليها اسماء الكواكب فيدخل الظالم
والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمي عليه ما يريد ويجعل احد الفصين في كفة والاخرى في كفة
فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن أراد سـفرا أخذ فصين وذكر على أحدهما اسم السفر وعلى الآخر
الاقامة وجعل كل واحد في كفة فان ثقلا جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر وان ارتفع اسافر وان
ارتفع أحدهما آخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو يتظر في صلاح أمره وفساده * ويقال
ان بخت نصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار وعمل في
ايامه تنورا أيضا يشوي فيه من غير نار ويطبخ فيه بغير نار وسكنات نصب فاذا رآها شئ من البهايم أقبل حتى يذبح
نفسه بها وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء وشيأ من النيرنجيات والنوايس * (واما البرابي)
فذكر ابن وصيف شاه أن سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنى البرابي كلها وعمل فيها الكنوز وزرعها علوما
وكل بهار وروحية تحفظها من يقصدها وقال في كتاب الفهرست وبمصر ابنية يقال لها البرابي من الحجارة
العظيمة الكبيرة وهي على اشكال مختلفة وفيها مواضع الصحن والحق والحل والعدو والتقطين تدل على انها
عملت لصناعة الكيمياء وفي هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدري ما هي وقد أصيبت تحت الارض فيها هذه العلوم
مكتوبة في التوزوهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة * وذكر الحسن بن احمد الهمداني أن برابي مصر
تنسب الى براب بن الدرسميل بن نحويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام * وذكر ابو الرحمان محمد بن
احمد البروبي في كتاب الاشارات الباقية عن القرون الخالية أن كنيسة في بعض قرى مصر قد شاهدتها الموثوق
بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهة تم الرواية عنهم فيها سرداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرفاة وفيه سرير
تحتـه رجل وصبي مشدودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس في جوفها
قتيلة كان توقد فيصب فيها زيت فلا يلبث الا ان تمتلئ الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى الثور الرخام فينفق على تلك
الكنيسة وقناديلها * وذكر الجهماني أنه صار اليه من وثوقه ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية
والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا الا الزيت فانه صب زيتا من عنده وأبدله قتيلا اخرى وأشعلها فغالبت
الزيت ان فاض الى الباطية الزجاج ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر * وذكر الجهماني انه اذا خرج
الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفيض الزيت * وذكر عن اهل القرية أن المرأة المتوهمة في نفسها جلـا
تحمل ذلك الصبي وتضعه في حجرها فتحتل ولدها في البطن ان كان الحمل حقيقة أو تـأس ان لم تحس بحركة * قال
المؤلف رحمه الله أخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة احوالها
أنه عبر في مغارة كبيرة يقال لها مغارة ثعلبيل بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سندروس وانه عظام ومضى
فاذا بشئ كثير الى الغاية من السمك وجميعها ملفوفة بذياب كأنها قد كفنت بعد الموت وانه أخذ منها سمكة وقشها

فاذا في قها دينا عليه كتابة لا يحسن قراءتها وانه صار يأخذها سمكة سمكة ويخرج من فم كل واحدة دينا
 حتى اجتمع له من ذلك عدة دنائير وانه أخذ تلك الدناير ورجع ليخرج حتى جاء الى الكوم السندروس واذا به
 ارتفع حتى سد عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدناير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كما كان
 اولا بحيث يتجاوز و يخرج فعاد وأخذ الدناير ومشى يخرج بها فاذا السندروس قد ارتفع حتى سد عليه
 الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدناير الى موضعها وخرج فاذا السندروس على حاله كما كان اولا بحيث
 يتجاوز ويخرج وانه ~~كرر~~ أخذ الدناير واعادتها مرارا والحال على ما ذكر حتى خشي الهلاك فتركها
 وخرج فلما كان مدة سكن موضعها فرأى حجر في جدار وقد قور ووضع حجر آخر فحاول الجحر الآخر حتى رفعه
 فاذا تحته ستة دنائير من تلك الدناير التي وجدها في افواه السمك فأخذ منها واحدا وترك البقية في موضعها وأعاد
 الجحر على الجحر وقد رآه الله بعد ذلك أنه ركب النيل لبعده من البر الشرقي الى البر الغربي قال فلما توسط البحر
 واذا بالاسماك تنب من الماء وتلقى انفسها في المركب حتى كدنا نغرق من كثرتها فصاح الركاب خوفا من الهلاك
 قال فتذكرت الدناير الذي معي وان هذا ربما كان بسببه فأخرجته من جيبى وألقيته في الماء فتوانبت
 الاسماك من المركب وألقت نفسها في الماء حتى لم يبق منها شيء * قلت واخبرني قديما بض من لاتهم أنه
 ظفر بطمس من هذا المعنى وانه عنده وأراد أن يرى السمك بيت من الماء فلم يقدر لي أن أرى ذلك قال ابن عبد
 الحكيم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف اهلها احيد ولم يبق بها الا العبيد
 والاجراء والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهم يقال
 لها دلوكة بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهم وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين
 سنة فلما كوها تخافت أن يتنا ولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد
 ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكبرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أختي حصنا احرق
 به جميع بلادنا فأضع عليه الحارس من كل ناحية فانا لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على
 جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع
 وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل
 وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه
 ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فأتاهم الخبر من اى وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فنبعث بذلك مصر
 بمن ارادها و فرغت من بناء في ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه
 بقايا كثيرة قال المسعودي وقيل انما يئته خوفا على ولدها وكان كثير القنص تخافت عليه سبع البر والبحر
 واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبنادى فحوطت الحائط من القناسج وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا
 فلكتهم ثلاثين سنة في قول قال المؤلف رحمه الله قد بقي من حائط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا أخبرني الشيخ
 المعمر محمد بن المسعودي انه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقبل أحدهم منها البنية فاذا هي
 كبيرة جدا تخالف المعهود الآن من اللبن في المقدار فتنا ولها القوم واحدا بعد واحد يملكونها ويبتاعونها في رؤيتها
 اذ سقطت الى الارض فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتعجب منه لعدم مثله في زماننا ففسروا ما عليها
 فوجدوها سالمة من السوم والعيب كأنها قرية عهد بمصادها لم يتغير فيها شيء ألبتة فأكلها الجماعة قطعة
 قطعة وكأنها انما خبئت لهم من الزمن القديم والاعصر الخالية انه ان توت نفس حتى تستوفي رزقها * قال
 ابن عبد الحكيم وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها بدور وكانت السحرة تعظمها وتقدمها في علمهم وسحرهم فبعثت
 اليها دلوكة ابنة زبا نادا احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولانأمن أن يطمع فينا الملوك فاعلم لنا شيئا تغلب به من
 حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب اكبرنا يعني في الغرق مع فرعون موسى وبقي أقلنا
 فعمات برابا من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها أربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب
 والشرق وصورته فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل
 من أرادكم من كل جهة تؤتون منها برا أو بحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أناكم من كل جهة
 فانهم ان كانوا في البر على خيل او بغال أو ابل أو في سفن او رجالا تحركت هذه الصور من جهتهم التي يأتون

منها ما فعلتم بالصور من شيء أصابهم ذلك في أنفسهم على ما تقع عليهم فلما بلغ الملوك حوالهم أن أمرهم قد صار إلى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا إليهم فلما دنوا من عمل مصر تحررت تلك الصور التي في البريا فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشيء ولا يفعلون بها شيئا إلا أصاب ذلك الجيش الذي كان قبل اليهم مثله أن كان خيلا فافعلوا بتلك الخيل المصورة في البريا من قطع رؤسها أو سوقها أو فقه عيونها أو بقر بطونها أو مثل ذلك بالخيل التي أرادتهم وإن كانت سفنا أو رجالة فمثل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر وأقواهم عليه وانتشر ذلك فتبادرهم الناس وكان نساء أهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق إلا العبيد والأجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبيدها وتتروجه وتزوج الأخرى أجبرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا إلا بأذنهن فاجابوهن في ذلك فكان أمر النساء على الرجال قال يزيد بن أبي حبيب أن نساء القبط على ذلك إلى اليوم أتت عالمن مضى منهم لا يسع أحد منهم ولا يشتري إلا قال استأمر امرأتي فملكتم دلوكة بنت زبا عشرين سنة تدبر أمرهم بمصر حتى بلغ صبي من أبناء أكابرهم وأشرفهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه عايمهم فلم تزل مصر متمتعة بتدبير تلك العجوز نحو من أربع مائة سنة وكلما انهدم من ذلك البريا الذي صور فيه الصور لم يقدر أحد على إصلاحه إلا تلك العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع أهل ذلك البيت وانهدم من البريا موضع في زمان لقاس بن مريوس فلم يقدر أحد على إصلاحه ومعرفة علمه وبقى على حاله وانقطع ما كان يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الآن الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بخت نصر بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل وسبأهم وخرج بهم إلى أرض بابل قصد مصر وخرب مدائنهم وقراها وسبي جميع أهلها ولم يترك بها شيئا حتى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجري نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم ردت أهل مصر إليها بعد أربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ * وقال بعض الحكماء رأيت البرابي وأخذت أناملها فوجدتها مستحكمة على جميع أشكال الفلك والذي ظهر لي أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة وثلاثون ألف سنة شمسية لأن مثل هذه الأعمال لا تعمل إلا بالارصاد ولا يتكامل رصد المجموع في أقل من هذه المدة المذكورة وكانوا يجعلون الكتاب حفرا ونقرا في الصخور ونقشوا في الحجارة وحلقه من كبة في البنيان وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان متصفنا لأمير جسيم أو عهد الأمير عظيم أو مدو عظة يرتجى نفعها أو أحياء شرف يريدون تحليده ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المستقر وعلى الأبلق المفرد وعلى باب الرها وكانوا يعمدون إلى الأماكن الشريفة والمواقع المذكورة فيضعون الخط في أبعاد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراها من مرتبها ولا ينسى على طول الدهر * وقال المسعودي واتخذت دلوكة بمصر البرابي والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يرمدن كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أو خيلا وصورت فيها من يرمدن البحر في المراكب من بحر العرب والشام وجعلت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الأجبار والنباتات والحيوانات وجعلت ذلك في أوقات فلكية واتصلها بالموثرات العلوية وكانوا إذا ورد إليهم جيش من نحو الجبار والبن عورت تلك الصور التي في البريا من الأبل وغيرها فيتعور ما في ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه وإذا كان الجيش من نحو الشام فعمل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث في ذلك الجيش من الأوقات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهاهم الملوك والأمم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقان الزم أقطار المملكة وأحكامها السياسية * (وقد تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص وأسرار الطبيعة التي كانت يبلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي بمصر من صعيدها وغيره بأقية إلى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما إذا صورت في بعض الأشياء أحدثت أفعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من أجله على حسب قولهم في الطبائع والله أعلم بكيفية ذلك (قال) وأخبرني غير واحد من بلاد أجنيم من صعيد مصر عن أبي الفيض ذي الثون بن إبراهيم المصري الأجنيمي الزاهد وكان حكيما وكانت له طريقة يأتمرها ونحله يعصدها وكان ممن يقدر على أخبار هذه البرابي وامتنع كثيرا مما صور فيها

ورسم عليهما من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعقنين والاحداث
والجنود المتعبدين والنبط المستعربين ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدر والقضاء يضحك وفي
آخرة كتابة تنبئها في ذلك العلم فوجدتها تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب النجم يفعل ما يريد
قال وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في احكام النجوم من المواظبين على معرفة اسرار
الطبيعة وكان عندها مبادئ علمه احكام النجوم ان طوفاناسيكون في الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو
أثار تأتى على الارض فتحرق ما عليها او ماء يعرفها اوسيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناء أهلها
فاتخذت هذه البرابي ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت فيها نوعين طينة وخجارة
وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالخجارة وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى بالطين وان كان الطوفان الوارد
ماء أذهب ما بنى بالطين ويبقى ما بنى بالخجارة وان كان الطوفان سيفا بقي كل من النوعين مما هو من الطين
وما هو من الخجر وهذا ما قيل والله أعلم انه كان قبل الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يقبونه ولم يعينوه أثار
هو أم ماء أم سيف كان سيفا اتى على جميع اهل مصر من امة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى
أن ذلك الطوفان كان وباءهم أهلها ومصادق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المتقدرة من الناس من صغير
وكبير وذكر واثي كالجمال النظام وهي المعروفة ببلاد تنيس من ارض مصر بذات الكوم وما يوجد ببلاد مصر
وصعيدا من الناس المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف والغيران والنواويس ومواقع كثيرة من
الارض لا يدري من اى الامة فلا النصرارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول انهم من اوائلهم
ولا المسلمون يدرون من هؤلاء ولا تاريخ ينبي عن حالهم وعليهم اثوابهم وكثيرا ما يوجد في تلك البرابي والجمال
من حليتهم * والبرابي ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كتاب البرابي بأخميم والى بسنود وغير ذلك

(ذكر الدفاتن والكنوز التى تسهمها اهل مصر المطالب)

الاصل في جواز تتبع الدفاتن ما رواه ابو عمرو بن عبد البر والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال هذا قبر أبي رغال وهو ابو ثقيف
كان اذا هلك قوم صاح في الحرم فنهى الله فلما خرج من الحرم رماه بقارعة وآية ذلك أنه دفن معه
عمود من ذهب فابتهدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وكان بهذا
الحرم يدفع عنه فلما خرج اصابته النقرة التي اصابته قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه عصا
من ذهب ان نبشتم عليه اصبتوه معه فابتهدره الناس فأخرجوا العصا الذي كان معه * وبمصر كنوز يوسف
عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكثر ما يفضل عن النفقات والمؤون لثواب
الدهر وهو قول الله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ويقال ان علم الكنوز في كنيسة
القسطنطينية نقلت اليها من طليطلة ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكنزت كثيرا من اموالها
في مواضع اعتدتها لذلك وكتبت كتابا بعلام مواضعها وطرق الوصول اليها وأودعت هذه الكتب قسطنطينية
ومما يستفاد معرفة ذلك وقيل ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين
والكلدانين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في الكنيسة وقيل انه
لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودي ولمصر
اخبار عجيبة من الدفاتن والبنيان وما يوجد في الدفاتن من دوائر الملوك التي استودعها الارض وغيرهم
من الامم من سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا
* (فن اخبارها) ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لآخيه عبد الملك
ابن مروان فأتاه رجل متصح فساءله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كثر عظيم قال عبد العزيز وما مصداق
ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من الممر والحمام عند سير من الحفر ثم ينتهي بنا الحفر الى باب من الصفر تحت
عود من الذهب على اعلاه ديك عيشاه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناتها مضر حان بالياقوت والزمرذ
ورأسه على صفائح من الذهب على اعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة لاجرة من يحفر من الرجال

في ذلك ويعمل فيه وكان هناك تل عظيم فاحتفروا حفرة عظيمة في الارض والدلائل المتقدم ذكرها من
الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع في النفقة واكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم
الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لما في عينيه من الياقوت ثم بان جناحه ثم بان قوائمه
وظهر حول العمود عود من البنين بأنواع الحجارة والرخام وقنطرة منطردة وطاقت على ابواب معقودة
ولاحت منها تماثيل وصور اشخاص من انواع الصور الذهب وأجربة من الاجار قد أطبق عليها أغصينها
وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فأسرع بعضهم ووضع
قدمه على درجة من فخاس ينتهى الى ما هناك فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين
الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزأه قطعاه وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض
الدرج اهتز العمود وصفر الديك صغيرا عجيبا سمع من كان بالبعد من هناك وحرك جناحيه وظهرت من تحته
اصوات عجيبية قد عملت بالكواكب والحركات اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شئ او ما سها شئ انقلبت
فتهاوى من هناك من الرجال الى اسفل تلك الحفرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحول
وبأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ
بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هناك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع
قبرا لهم * قال المسعودي وقد كان جماعة من اهل الدفائن والمطالب ومن قد اعتنى وأغرى بحفر الحفائر وطالب
الكنوز ودخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام
السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من بعض الاهرام بأن فيه مطلبا عجيبا فأخبروا الاخشيدي
محمد بن طفيج بذلك فأمرهم بحفره وأباحهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ارج
واقباء وسجارة مخوفة في صخرة منقورة فيها تماثيل قائمة على ارجلها من الخشب قد طلى بالاطلية المانعة من
سرعة البلاء وتفرق الاجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال اعينهم من انواع
الجواهر كالياقوت والزمرد والزبرجد والفيروزج ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل
فوجدوا في اجوافها رمما بالية واجساما فانية الى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابي وغيرهما من
المرمر والرخام وفيه من الطلي الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق
واخلط بماء لارائحة لها فجعل منه على النار شئ ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من انواع
الطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم
وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تماثيل من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم
للفنم والصور عليها انواع من الكتابات لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم قوم من اهل الدراية
ان لذلك القلم من فقد من ارض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى
ولم يؤددهم الحفر الا لما ذكرناه من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان من
سلف وخلف من ولاية مصر من احدثين طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة لهم اخبار
عجيبية فيما استخرج في ايامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما اصاب في هذه المطالب من القبور وقد أتينا
على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا * (وركب) احمد بن طولون يوما الى الاهرام فأناه الحجاب بقوم عليهم
ثياب صوف ومعهم المساحي والمعاول فسألهم عن ما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا
بعدها الا بمشورتى اورجل من قبلى وأخبروه أن في سميت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم اليهم الراقي وتقدم
الى عامل الجيزة في اعانتهم بالرجال والنققات واذ صرف فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن
طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن خوض مملوء دنائير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه
فاذا فيه انا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فن اراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه فلم ينظر
الى فضل عيار دينارى على عيار ديناره فان مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته فقال احمد
ابن طولون الحمد لله ان ما بهتني عليه هذه الكتابة احب الى من المال ثم أمر لكل من القوم المطالبية بمائتي
دينار منه ولكل من الصناع بخمسة دنائير بعد توفية اجرة عملهم والرافقي بثلثمائة دينار وتسمي الخادم بألف

دينار وجل باقي الدنانير فوجدوها اجود من كل عيار وشد من حينئذ في العيار بمصر حتى صار عيار دينار
الذي عرف بالاجدي اجود عيار وكان لا يطل الا به

* (ذكر هلاك اموال اهل مصر) *

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما هذا
دعاء من موسى عليه السلام على فرعون وقومه من اهل مصر لكفرهم ان يهلك الله اموالهم قال الزجاج طمس
الشيء اذهابه عن صورته * عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن محمد بن كعب القرظي انهما قال
صار اموال اهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وثلاثا وانصافا فلم يبق معدن
الا طمس الله عليه فلم يتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزرورهم صارت حجارة وقال مجاهد
وعطية اهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال عين مطموسة اي ذاهبة وطمس الموضع اذا عفا ودرس وقال ابن
زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شيء لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع
اهله وفراشه وقد صار اجرين قال وقد سألتني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخریطة اصيبت بمصر فأخرج
منها الفواكه والدراهم والدنانير وانما الحجارة وقال محمد بن شهاب الزهري دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال
يا غلام اتيتني بالخریطة فجاء بخریطة ترمي فيها فاذا فيها دراهم ودنانير وترو وجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن
شهاب فأهويت فاذا هو حجارة فقلت ما هذا يا امير المؤمنين قال هذا مما اصاب عبد العزيز بن مروان في مصر
اذ كان عليها واليا وهو ما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب بن عبد الله الشامي اخبرني من رأى الخلة
بمصر مصروعة وانما حجر ولقد رأيت ناسا كثيرا قياما وقعودا في اعمالهم لورأيتهم ماشين ككت فيهم قبل ان
تدومهم أنهم اناس وانهم حجارة ولقد رأيت الرجل من رقبتهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجارة ونقل
وسمة بن موسى في قصص الانبياء ان فرعون لما هلك وقومه وآمنت بنو اسرائيل بما تلته ندب موسى عليه السلام
من نقباته الاثني عشر نقيبين احدهما كالب بن موقيا والاخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثنا عشر
ألفا وأرسلهم الى مصر وقد خلت من حاميها الفرق اهلهامع فرعون فأخذوا دخائر فرعون وكنوزه وعادوا
الى موسى فذلك ثوريتهم أرض مصر يعني قول الله عز وجل عن قوم فرعون فاخرجنهم من جنات وعميون
وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها قوما آخرين وقوله تعالى وأورثناها القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارك الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني أرض مصر وأورثناها بني اسرائيل لانهم هم المستضعفون الذين
كانوا فيها بدليل قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن
لهم في الارض * قال جامعهم ومؤلفه رحمه الله تعالى أخبرني داود بن رزق بن عبد الله وكانت له سياحات
كثيرة بأرض مصر أنه عبر الى واديا بالقرب من القلمون بالوجه القبلي فرأى فيه مقننات كثيرة ما بين بطيخ
وقننات وتفتح وكها حجارة وكان قد أخبرني قدما بعض الاعيان أنه شاهد في سفره الى البلاد من أرض مصر
بطيخا كثيرا كله حجارة وكذلك البطيخ من الصيف الذي يقال له العبدلى

* (ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم) *

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطبيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد اولاد نوح النبي عليه السلام
فأهمد كروا أن مصر هذا بل بهذه الارض فأنسل فيها وعمرها فسُميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم
هو الارض التي يفيض عليها النيل ويحيط بها احدود أربعة وهي أن الشمس تشرق على أقصى العمارة بالشرق
قبل ان تغيب عن آخر العمارة بالغرب بثلاث ساعات وثلاث ساعة فيجب من ذلك أن تكون هذه الارض في النصف
الغربي من الربع العام والنصف الغربي من الربع العام على ما قال أبقراط ويطلق موس اقل حرارة واكثر
رطوبة من النصف الشرقي لانه قسم كوكب القمر والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس وذلك ان الشمس
تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف الغربي والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف
الشرقي وقد زعم قوم من القدماء أن أرض مصر في وسط الربع من المعمور من الارض بالطبع فأما بالقياس
فعلى ما ذكرنا من انها في النصف الغربي والحد الثالث هو أن اول بعد هذه الارض عن خط الاستواء

في جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط الاستواء اثنان وعشرون درجة ونصف فالشمس تسامت رؤس
 اهلها مرتين في السنة عند كونها في آخر الجوزاء او في اول السرطان وفي هذين الوقتين لا يكون للسماء
 باسوان نصف النهار ظل اصلا فالحرارة واليبس والاحراق غالب على مزاجها لان الشمس تنسف رطوباتها
 ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جمعدة لاحتراق ارضهم والحد الرابع هو أن آخر بعد أرض مصر عن خط
 الاستواء في جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد
 ودمياط وتينس والفرما وبعد دمياط عن خط الاستواء في الشمال احد وثلاثون جزءا وثلاث وهذا البعد هو
 آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم
 الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامرة وهو أول وسط الاقليم
 الرابع وأيضا فمجاورة دمياط للبحر واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحار والبرد خارجة عن الاعتدال الى
 الرطوبة فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة
 وشعورهم سبطة وإذا كان أول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال
 الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فمابين هذين الموضعين من أرض مصر الغالب عليه
 الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده من اسوان وقربه من بحر الروم ومن أجل هذا قال أبوقراط وجالينوس
 ان المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة قال وجبل لوقا في مشرق هذه الأرض يعوق عنها ريح الصبا فانه
 لم يوجد بفسطاط مصر صبا خاصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكبا بين المشرق والشمال او المشرق
 والجنوب وهذه الرياح بأبسة مانعة من العفن وقد عذمت اهل مصر هذه الفضيلة ومن أجل ذلك صارت
 المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالاسكندرية وتينس ويعوق
 أيضا هذا الجبل اشراق الشمس على أرض مصر وإذا كانت على الافق فيكون زمان لبث الشعاع على
 هذه الأرض أقل من الطبيعي ومثل هذه الحال سبب ركود الهواء وغلظه وأرض مصر أرض كثيرة
 الحيوان والنبات جدا لا تكاد تجد فيها موضع خالوا من الحيوان والنبات وهي أرض متخللة فانك تراها
 عند انصراف النيل بمنزلة الحياة فإذا حلت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشقت شقوفا عظاما والمواضع الكثيرة
 الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من
 الحيوان والنبات فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت أرضا سوداء وما قرب منها من الجبل سخج
 اما بورقي او مالح ويظهر من أرض مصر بالعشيات بخار أسود وأغبر وخاصة في ايام الصيف وأرض مصر
 ذات اجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشئ دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها واشتغال طولها على عرض الاقليم
 الثاني والثالث فان الصعيد فيه من النخل والسمنط وآجام القصب والبردى ومواضع احراق القمح وغير ذلك
 شئ كثير والقيوم فيه من النقايع وآجام القصب ومواضع تعطين الصكتان شئ كثير وأسفل أرض مصر فيه
 من النبات انواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من أرض مصر لها اشياء تختص بها
 وتفضل عن غيرها قال والنيل رطب ييس الصيف والخريف فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر
 الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديان وقديان الاوائل أن المواضع
 الكثيرة العفن يتحلل منها في الهواء فضول كثيرة لا تدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان
 أن هواء أرض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا تثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن أجل
 هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حارة ومرة باردة
 ومرة يابس واخرى رطب ومرة متحرك واخرى ساكن ومرة الشمس صاحبة ومرة قدسترها الغيم وبالجملة هواء
 مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من أجل ذلك في الأوعية والعروق من اخلاط البدن
 لا يلزم حدا واحدا أيضا فان ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة
 عمل الجبال وكثرة حرارة الأرض عن الاجتماع في الجو فاذا برد الهواء يبرد الليل فتنحدر هذا البخار على
 وجه الأرض فيستول عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والندا وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفي فاذا
 يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله فمن أجل هذا لا يجمع الغيم المطر بأرض مصر

الافى الندرة وظاهر أيضا أن أرض مصر يترطب هراؤها في كل يوم بما يترقى اليه من البخار الرطب وما يتحلل (وقد قال) بعض الناس ان الضباب يتكون من استمالة الهواء الى طبيعة الماء فاذا انضاف هذا الى ما قلناه كان ازيد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع اليها العفن (والعلة القصوى في جميع ذلك هو أن أخص الأوقات بالخصاف في الأرض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لانها تترطب في الصيف والخريف بماء النيل وفيه وهذا بخلاف ما عليه البلدان الأخر * وقد علمنا أن رطوبت الصيف والخريف فضلية أعنى خارجة عن المجرى الطبيعي * رطوبة المطر الحادث في الصيف ومن أجل هذه قلنا ان رطوبة مصر فضلية وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي وانما عرض له ما خرج عنه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية بماء النيل في الصيف والخريف ولذلك كثرت العفونات بهذه الأرض فهذا هو السبب الأعظم في أن صارت أرض مصر على ما هي عليه من سخافة الأرض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء الآن هذه الأشياء لا تحدث في ابدان المصريين استحالة محسوسة اذا جرت على عادتها من اجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكله ابدانهم لها فان كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الابدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الامراض وقصر المدة كالخنطة بمصر فانها وشيكة الزوال سريع اليها العفن في المدة اليسيرة ولا مطعن أن ابدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الخنطة من سرعة الاستحالة وكيف لا يكون الامر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الأشياء فحال ما يتولد بأرض مصر من النباتات والحيوان في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الامراض كحال سخافة أرضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة ولذلك امكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الأشياء من حيث ناسبتها لم تبعد من مشاكلتها أمكن حياتها (فأما) الأشياء الغريبة فانها اذا دخلت الى مصر تغيرت في أول لقائها بهذا الهواء حتى اذا استقرت وألفت الهواء واستقرت عليه صحت مشاكلة لأرض مصر * قال وأما جنس ما يؤكل ويشرب بأرض مصر فان الغلات سريعة التغير سخيفة متخلخلة تفسد في الزمان اليسير كالخنطة والشعير والعدس والحبس والبقلاء والحبان فان هذه تسوس في المدة القليلة ليس لشئ من الأغذية التي تعمل منها الذادة بالنظر في البلدان الأخر وذلك أن الخبر المعمول من الخنطة بمصر متى لبث يوما واحدا ببلدته لا يؤكل وان اكل لم يوجد له ذادة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة ولكنه يتكربج في الزمان اليسير وكذلك الدقيق وهذا خلاف اخبار البلدان الأخر وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل فيها فانها وشيكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير فأما ما يحمل من هذه الى مصر فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة أرض مصر الا ان ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات (وأما) الحيوان الذي يأكله الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الاراضي في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملائم لطبائعهم والمجلوب كالبحاش البرقية فالسفر يحدث في ابدانها قلا ويساوا خلاط الانسا كل اخلاط المصريين ولهذا اذا دخلت مصر مرض أكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين (وأهل مصر) يشرب الجمهور ومنهم من ماء النيل وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار وهي قريبة من مشاكلتهم والمياه المخزونة فقل من يشربها بأرض مصر وأجود الاشربة عندهم الشمسي لان العسل الذي فيه يحفظ قوته ولا يذمه بتغير بسرعة والزمان الذي يعمل فيه خالص الحار فهو ينضجه والزبيب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواء (وأما الخمر) فقل من يعتصرها الا يباق معها عسلا وهي معتصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وما عدا الشمسي والخمر من الشراب بأرض مصر فردي لا خير فيه لسرعة استحالاته من فساد مادته النيد القري والمطبوخ والمزور المعمول من الخنطة * وأغذية أهل مصر مختلفة فان أهل الصعيد يغتذون كثيرا بقر النخل والخلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها الى القسطنطين وغيرها قبايع هناك وتؤكل وأهل اسفل الأرض يغتذون كثيرا بالقلقاس والحبان ويحملون ذلك الى مدينة القسطنطين وغيرها قبايع هناك وتؤكل وكثير من أهل مصر يكثرون اكل

السماك طريا وما لحا وكثيرا يكثر اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحهم نوع من الخبز يدعى كعكا يعمل من
جريس الحنطة ويخفف وهو اكثر اكلهم السنة كلها وبالجملة فكل قوم منهم قد ابتدأ بدنهم من اشيء بأعيانها
والفتا ونشأت عليها الا أن الغالب على أهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير من اجهم مادامت جارية على
العادة وهذا أيضا مما يؤكدهم في سخافة وسرعة الوقوع في الامراض وأهل الريف اكثر حركة
ورياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح ابدان لان الرياضة تصلب أعضاءهم وتقويها وأهل الصعيد اخلاطهم
أرق واكثر خانية وتخلخلوا وسخافة لشدة حرارة أرضهم من أسفل الارض وأهل أسفل الارض بمصر أكثر
استفراغ فضولهم بالبراز والبول فستور حرارة أرضهم واستعملوا لهم للأشياء الباردة والغليظة كالقلقاس
(وأما اخلاط المصريين فبعضها شبيه ببعض لا تقوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم سخيفة مربعة التغير
قليلة الصبر والجلد وكذلك اخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء الى شيء والدعة والجن
والقنوط والشح وقله الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعي الى السلطان
وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة النفس وليس هذه الشرور عاتية فيهم
ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور ومن أجل توليد أرض
مصر الجبن والشرور الدنية في النفس لم تسكنها الاسد واذا دخلت ذات ولم تتناسل وكلاهما اقل جراءة من كلاب
غيرها من البلدان وكذلك سائر ما فيها اضعف من نظيره في البلدان الاخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملائمة لهذه
الحال كالحمار والارنب وقال ان جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته الاعتدال ويناقض من ظن أنه حار رطب
ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الابدان ويجود هضمها وتنشر الحرارة لغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني
لاعتدال الهواء وصفائه ومسأوة ليله لنهاره وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه ببرذاهن ولا حر
ولا رطوبة ولا يبس ويكون في نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر
نشاط الحيوان وتنمو الاشياء وترتد وتنمو الدواب اطلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجده في وقت من السنة
الا في امشير وبرمهات وبرمودة وبشنس عندما تكون الشمس في النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور
فانا نجد بمصر في هذا الزمان اياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بحر ظاهري ولا برد ولا رطوبة ولا يوسه
وتكون الشمس فيها نقيصة من الغيوم والهواء ساكنا لا يتحرك الا أن يكون ذلك في برمودة وبشنس فانه يحتاج
الى أن تهب ريح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن
اصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهر وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل في ارض مصر
يتقدم زمانه الطبيعي بمقدار ما ينقص عن آخره وعله ذلك قوة حرارة هذه الارض وقد يعرض في أول هذا
الفصل ايام شديدة البرد وذلك في امشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعله ذلك دخول
فصل الربيع في فصل الشتاء فاذا هبت ريح الشمال برد ببردها الهواء فأعادته بعد الاعتدال الى البرد وكثرة
ما يصعد من الارض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء ويعود الى حاله في فصل الشتاء وربما برد
الهواء من هبوب رياح اخر فان ريح الجنوب التي هي أشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان اكسبت برودة
من الارض والماء الذين قد بردهما هواء الشتاء فاذا مرت بشيء برزته ببرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها
اياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا والدليل على ان برد رياح الجنوب التي
تعرفها المصريين بالمريسي يتولد من بردياه مصر وأرضها لا بشيء طبيعي لها أنه لا يجتمع في الجو في ايام هبوبها
الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب تفرق
البرودة عن جمعه وتبدد في الهواء واذا دام هبوب هذه الرياح أسخنت الماء والارض وعادت الى طبيعتها في
الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي ويختلف هذا الاختلاف والهواء في الاصل بمصر يختلف
بكثرة استحالاته وما يرق اليه من البخار فاطنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطباء فيه
سقى الادوية المسهلة الى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف في آخر بشنس وبؤنة وابيب
وبعض مسرى عندما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد وبعض السنبلة في شتد الحر واليبس في هذا
الزمان وتجب الغلات وتنضج الثمار ويجمع من اكلها في الابدان كيموسات رديئة واذا نزلت الشمس في السرطان

أخذ النيل في الزيادة والفيض على أرض مصر فبغير مزاج الصيف الطبيعي بكثرة ما يترقى إلى الهواء من بخار الماء ويوجد في أول هذا الفصل عندما تكون الشمس في الجوزاء أيام ذوالحجاء أوهاواء الربيع عند ما تكون الشمس مستوية بالغيوم أو تكون الرياح الشمال هبابة ولهذا يغلط كثير من الأطباء ويسبق الأدوية المسهلة في هذا الزمان لظنه أن فصل الربيع لم يخرج الأمن كان منهم أحد ق وهو يختار ما كان من هذه الأيام اسكن حرارة والاكثر لا يشعرون ألبتة بهذه الحال * وفي آخر الصيف يكون فيض النيل فظاهراً أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعي بقدر ما يتقدم آخره وأنه كثير الاضطراب بكثرة ما يرقى إليه من بخار الأرض فلولوا استمرار أبدانهم على هذا الاختلاف ومشاكلهم لهذه الحال حدثت فيهم الأمراض التي ذكرنا بقرائنها تحدث إذا كان الصيف رطباً * ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابس من النصف الأخير من مسرى ثم توت وبابة وبعض أيامها توت وتكون الشمس في آخر السنبلة والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل في أول هذا الفصل ويطلق على الأرضين فيطبق أرض مصر ويرتفع منه في الجو بخار كثير فينتقل مزاج الخريف عن اليابس إلى الرطوبة حتى أنه ربما وقع فيه الأمطار وكثرة الغيم في الجو ويوجد في هذا الفصل أيام شديدة الحرارة على الحقيقة ضعيفة فإذا نقي الجو من البخار الرطب عادت إلى طبيعتها من الحرارة وفيه أيضاً أيام شديدة الشبه بأيام الربيع تكون عندما يساوي الليل النهار ويرطب الماء ييس الهواء ويستبد في هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة ما يرقى إليه من البخار الرطب فيكون مرة حاراً وأخرى بارداً ومرة يابساً وأكثر أوقاته يغلب عليه الرطوبة فلا يزال كذلك يمزج حتى يغلب عليه رطوبة الماء في آخر الأمر ويصادف في أيام الخريف من النيل اسماء كثيرة جداً يولدا كلها في الأبدان خلطاً لزجة وكثيراً ما يستحيل إلى الصفراء إذا صادفت في البدن خلطاً صفراً أو يافراً أجل ذلك يضطرب ما في الأبدان من الروح الحيواني وتخرج الخلط ويفسد الهضم في البطون والاعوية والعروق ويتولد من ذلك كيوسات رديئة كثيرة الخلط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مرة محترقة وكثير منها يتركب من هذه الأشياء فتشعر بالأمراض حتى إذا انصرف النيل في آخر الخريف وانكشف الأرض وبرد الهواء وكثرت الاسماء واحتقن البخار وكثر ما يرتفع به من الأرض من العفونة واستحكم عند ذلك وجود العفن تزايدت الأمراض ولولا ألف أهل مصر لهذه الأشياء لكان ما يحدث فيهم من الأمراض أكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتاء وطبيعته باردة رطبة من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطوبه وذلك عندما تكون الشمس في القوس والجدي وبعض الدولو وذلك أقل من ثلاثة أشهر والعلة في ذلك قوة حرارة أرض مصر وكون الأبدان مضطربة وتنكشف الأرض في أول هذا الفصل وتحترق وتعفن بالجمل لكثرة ما يلقى فيها من البرور وما فيها من أنبال الحيوان وفضولها ولانها سخيفة وهي كالحماة في هذا الزمان فيتولد فيها من أنواع الفار والدود والنبات والعشب وغير ذلك ما لا يحصى كثرة وينحل منها في الجو أبخرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات سائراً للابصار عن الألوان القريبة ويصاد أيضاً من الاسماء المحبوسة في المياه المخزونة شيء كثير وقد دخلها العفن لقلته حركتها فيولدا كلها في الأبدان فضولاً كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوى الأمراض في أول هذا الفصل حتى إذا اشتد البرد وقوى الهضم في الأبدان واستقر الهواء على شيء واحد وعادت الحرارة الغريزية إلى داخل وتطبقت الأرض بالنبات وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الأبدان وهذا يكون في آخر كيهك أو في طوبه فقد استبان أن الفصول بأرض مصر كثيرة الاختلاف وأن أردأ أقوات السنة عندهم وأكثرها أمراضاً هو آخر الخريف وأول الشتاء وذلك في شهر هاتور وكيهك فإذا اختلفت الفصول مشاكل لما عليه أرضهم من الرداءة فحسرة الفصول إذا بالأبدان في أرض مصر أقل منها في البلدان الأخرى إذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان أيضاً أن السبب الأول في ذلك هو مد النيل في أيام الصيف وتطبيقه الأرض في أيام الخريف بخلاف ما عليه مياه الأنهار في العمارة كلها فانها إنما تعتمد في أخص الأوقات بالرطوبة وهو الشتاء والربيع * قال وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضلية بأرض مصر كثيرة وظاهر أن أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة فإني أنا قلما رأيت أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها لا يشوبها في أول أمرها البلغم والخلط الخام والأمراض كلها تحدث عندهم في الأوقات كلها كما قال بقراط وأكثر أمراضهم هي الفضلية أعني العفنة من خلط صفراوي وبلغمية على ما يشاكل مزاج

ارضهم وما ذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها بعضا
وانفاقها في سنة واحدة تمنع من أن تكون في نفسها ممرضة متى لزم العادة فاما اذا خرجت عن عاداتها
فهى تحدث مرضا وخروجهما عن عاداتهما بصرف هو الذى اعتدها فلا فم مرضا لا الاختلاف الموجود فيها على
الدائم والنيل ليس يحدث في الايدان كل سنة مرضا ولكنه اذا افترطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان
ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت ابدان الناس بأرض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها
في مرض دائم فالجواب لسنا نبالي بهذا كيف كان لان المرض هو ما يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير
توسط فن اجل ذلك ليس ابدان المصريين في مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال أما
امراض مصر البلدية فقد ذكرنا من امراضها ما فيه كفاية وظهور ان اكثرها الامراض الفضلية التى
يشوبها صفراء وخام على ان باقى الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب وخاصة في آخر الخريف واول الشتاء *
وأما الامراض الوافدة ومعنى المرض الوافد هو ما يمتد خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له
الموتان وهو الذى يكثر معه الموت وحدثت الامراض الوافدة تكون عن اسباب كثيرة يجتمع في اجناس اربعة
وهى تغير كيفية الهواء وتغير كيفية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية فالهواء تغير
كيفية على ضربين احدهما تغيره الذى جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا وليس تغيرا لمرض الوافد الثانى
التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذى يحدث المرض الوافد وكذلك الحال في الاجناس الباقية
وخروج تغير الهواء عن عادته يكون اما بان يسخن اكثر او يبرد او يربط او يجفف او يخالطه حال عفنة والحالة
العفنة اما أن تكون قريبة او بعيدة فان ابقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد
اليونانيين مرض واحد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة وتراقت الى الحق وانحدرت على اليونانيين
فأحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وفد كثير قد أنهم ابدانهم
طول السفر وسات اخلاطهم فيخالط الهواء منها شئ كثير ويقع الاعداء في الناس ويظهر المرض الوافد
والماء أيضا قد يحدث المرض الوافد اما بان يفرط مقداره في الزيادة والنقصان او يخالطه حال عفنة ويضطر
الناس الى شربه ويعرض به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم وهذه الحال تخالطه اما قريبا او بعيدا بمنزلة ما يمر
في جريانه بموضع جرب قد اجتمع فيه من جيف الموى شئ كثير او بمياه تقاطع عفنة فيحدث رها معه ويخالط جسمه
والاغذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها البرقان وارتفعت اسعارها واضطر الناس الى اكلها واما اذا
اكثر الناس منها في وقت واحد كالذى يكون في الاعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا شديدا واما
من قبيل فساد مرمى الحيوان الذى يؤكل او فساد الماء الذى يشرب والاحداث النفسانية تحدث المرض
الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوئ فيطول سيرهم وتفكيرهم في الخلاص منه وفي وقوع
البلاء فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية ورمما اضطروا الى حركة عنيفة في هذه الحال او توقعوا لقط
بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد في ادخال الاشياء ويشد نغمهم بما يحدث فيجمع هذه الاشياء تحدث
في ابدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خالق كثيرا في بلد واحد ووقت واحد وظاهر انه اذا كثر
في وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فاذا صادف بدنا مستعدا
امرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد
لم تجر به العادة يعرض الهواء سواء كان مادة فساد من ارض مصر او من البلاد التى تجاورها كبلاد السودان
والبحار والشام وبرقة او يعرض للنيل بأن تفرط زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن او تقل زيادته جدا فيجف
الهواء عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديئة او يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض
مصر او ببلاد السودان او غيرها عوت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم في الهواء فيعفنه ويتصل عفنه اليهم
او يسيل الماء ويحمل معه العفن او يغلو السعرا ويلحق الغلات آفة او يدخل على الكباش ونحوها مضرة او يلحق
الناس خوف عام او قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث في ارض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار
قوة السبب المحدث له وان كان اكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد واقوى وأسرع في القتل * قال فزاج
ارض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بارض مصر كان اسخن وأقل عفنا في ماء النيل

مما كان منها في الشمال ولا سيما من كان في شمال الفسطاط مثل أهل البشور فان طباعهم اغلظ والبله عليهم
 اغلب وذلك انهم يستعملون اغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الردي * وأما اسكندرية وتيس وامثال هذه
 فغيرها من البحر وسكون الحرارة والبرد عنهم وظهور الصبافهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم
 ولا يعرض لهم ما يعرض لأهل البشور من غلظ الطبع والجمادية وحاطة البحر بمدة تنيس نوجب غلبة
 الرطوبة عليها وما يسر اخلاق أهلها قال انه لما كانت ارض مصر وجميع ما فيها سخيفة الاجسام سر بها
 اليها التغير والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد حديثا لان قوته
 تعد باقية عليه لم تتغير كل التغير وأن يجعل علاجه ملائما عليه الابدان بأرض مصر ويجتهد في أن يجعل
 ذلك الى الجهة المضادة أميل قليلا ويتجنب الادوية القوية الاسهال وكل ما له قوة مفرطة وأن نكاهية هذه
 الابدان سريعة سيما وابدان المصريين سريعة الوقوع في النكليات ويختار ما يكون من الادوية المسهلة
 وغيرها ألين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق ابدانهم مضرة ولا يقدم على الادوية
 الموجودة في كتب اطباء اليونانيين والفرس فان اكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الاخلاط وهذه الاشياء
 قلما توجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب أن يتوقف في اعطاء هذه الادوية للمرضى ويختار ألينها ويقتصر عن
 مقدار شرابها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون ألين منه فيتخذ السكنجين السكري في مقام العسل
 والجلاب بدلا من ماء العسل واعلم ان هواء مصر يعمل في المعجونات وسائر الادوية ضارفا في قوتها فأعمار الادوية
 المفردة والمركبة المعجون منها وغير المعجون بمصر اقصر من اعمارها في غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تقدير
 ذلك وتمييزه حتى لا يشبهه عليه شيء مما يحتاج اليه واذا لم يكن في قيمة البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة فلا بأس
 باعادته بعد أيام فان ذلك اجد من اراد الدواء الشديد القوة في دفعة واحدة قال ولكون ارض مصر تولد
 في الاجسام سخافة وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الابدان على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جدا
 فأما الابدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر في القرينة من الهيئة الفاضلة
 والطريق الاولى التي تدبرها الابدان ان في الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر الى أن يدبر الهواء والغذاء
 والماء وسائر الاشياء تدبر ايصير به في غاية الاعتدال ولا أن الهضم كثيرا ما يسوء بأرض مصر وكذلك الروح
 الحيواني فيجب صرف العناية الى مرعاة امر القلب والدماع والكبد والمعدة والعروق وسائر الاعضاء الباطنة
 في تجويد الهضم واصلاح امر الروح الحيواني وتنظيف الاوساخ الاخنة وقال في شرح كتاب الاربعة
 لبطليموس وأما سائر اجزاء الربع الذي يميل الى وسط جميع الارض المسكونة اعني بالادبرقة وسواحل البحر
 من مربوط الى الاسكندرية ورشيد ودومياط وتيس والفرما وأسفل الارض بمصر ونواحي مدينة منف
 ومدنة الفسطاط وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر والفيوم الى اعلى الصعيد مما في غرب النيل وارض
 الواحات وارض النوبة والجهة والارض التي على البحر في شرقي بلاد النوبة والحبشة فان هذه البلاد موضوعة
 في الزاوية التي تؤثر في جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جملة النصف الغربي من الربع
 المعمور وانكواكب الخمسة المتغيرة تسترل في تدبرها فصار أهلها محبين لله ويعظمون الحق ويحبون النوح
 ويدفنون موتاهم في الارض ويحفظونهم ويستعملون سنن مختلفة وعادات وآراء شتى يميلهم الى الاسرار التي
 تدعو كل طائفة منهم الى امر من الامور الخفية فيعتقده ويوافقها جماعة ومن اجل هذه الاسرار كان المستخرج
 للعلوم الدقة كالمهندسة والتجويد وغيرها في الزمان الاول اهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا اساسهم غيرهم
 كانوا اذلا والغالب عليهم الخبن والاستخفاء في الكلام واذا اساسوا غيرهم كانت انفسهم طيبة وهمهم كثيرة
 ورجالهم يتخذون نساء كثيرة وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال وهم منهم مكنون في الجماع ورجالهم كثير
 التسلي ونساؤهم سر يعات الحمل وكثير من ذكر انهم تكون انفسهم ضعيفة مؤنثة * وقال أبو الصلت وأما سكان
 ارض مصر فأخلاق من الناس مختلفوا الاصناف والاجناس من قبض وروم وعرب وكراد وديلم وجبشان
 وغير ذلك من الاصناف الا أن جمهورهم قبط قالوا والسبب في اختلافهم تداول المال كين لها والمتغلبين
 عليها من العمالة واليونانيين والروم وغيرهم فلهذا اختلطت انسابهم واقتصر وامن التعريف بأنفسهم على
 الاشارة الى مواضعهم والانتماء الى مساقطهم فيها وحكى انهم كانوا في الزمن السالف عباد اصنام ومدبري هياكل

الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على ارض مصر فتصمر وابتقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم
وبقى بعضهم على دين النصرانية وأما اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهمال في اللذات والاشتغال
بالترهات والتصدير بالمحالات وضعف المراتر والعزومات ولهم خبرة بالكيد والمكر وفيهم بالفطرة قوة عدية
وتلطف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخر وخصوصا بالافراط
فيها دون جميع الامم حتى صار امرهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضر وبأوفي خبيثهم ومكرهم يقول أبو نواس
محضتكم يا أهل مصر نصيحتي * الاخذوا من ناصح نصيب
وماكم أمير المؤمنين بحجة * أكل لحيات البلاد شروب
فان يك باق أنك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد مر لي قديما ان منطقة الجوزاء تسامت رؤس اهل مصر فلذلك يتحدثون
بالاشياء قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلية ولهم في هذا الباب اخبار مشهورة (قال
ابن الطوير وقد ذكر استيلاء القرينج على مدينة صور فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فإزالت حجة
بالابدال الجزرة اليها من العساكر والاساطيل والدولة تضعف أولا فثلا باختلاف الآراء فتقاتل على الاجناد
وكبراهم ها عندهم واشتغلوا عنها فضايقها القرينج حتى اخذوها في سنة ثمان واربعين وخمسائة ولقد سمعت
رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالامان * ومن هذا الباب واقعة
الكنايس التي للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعة ناسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس
في صلاة الجمعة كما كانوا في اقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنايس فهدم في تلك الساعة بهذه
المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنايس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنايس النصارى ومن هذا
الباب واقعة أدمر وذلك انه خرج الامير أدمر امير جنود اريد الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعمائة
وكانت قسنة بمكة قتل فيها أدمر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر
وقلعة الجبل بأن وقعة كانت بمكة قتل فيها أدمر فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكثر الملك الناصر محمد بن
قلاوون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة اخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين أدمر في ذلك اليوم الذي
كانت الاشاعة فيه بالقاهرة قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن في الغربية وقد خرج اليها
كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض علمائه من القاهرة فأخبرنا انه اشيع بأن قسنة
كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل فيها الامير أدمر امير جنود فقال له الامير علم الدين هل حضر احد
من الجنازة هذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ما تحضر من منى بمكة الا نالت يوم بعد عيد النحر فكيف سمعتم
هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما اشيع (ووقع لي في شهر رمضان
من شهور سنة احدى وتسعين وسبعمائة اني مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة
تحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرل واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذي
خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير * (ومن اخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفالة ما قصه الله سبحانه
وتعالى من خبر يوسف عليه السلام ومراودة امرأته العزيزة عن نفسه وشهادة شاهدين من أهلها عليه بما بين
لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين * وقال ابن عبد
الحكم وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون ولم يبق الا العبيد والابرء لم يصبروا عن الرجال
قطفت المرأة تعتيق عبدها وتروجه وترقج الاخرى اجبرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا الا باذنهن
فأجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال فحدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان نساء القبط على ذلك
الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال أستمأ امرأتى وقال ان فرعون لما غرق
ومعه اشراف مصر لم يبق من الرجال من يصلح للمملكة فعدت الناس في مراتبهم بنت الملك ملكة وبنت الوزير وزيرة
وبنت الوالى وبنت الحاكم على هذا الحكم وكذلك بنات القواد والاجناد فاستوت النساء على المملكة مدة
سنتين وترقجن بالعبيد واشترطن عليهم ان الحكم والتصرف لهن فاستمر ذلك مدة من الزمان ولهذا صارت
الوان أهل مصر عمر من اجل انهم اولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الغرق واستولدوهن

وأخبرني الأمير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الغرابيلي الكركي رحمه الله تعالى انه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في أخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة ومما لم ينزل سمعه دائما بين الناس ان شرب ماء النيل يذهب الغريب وطنه * ومن أخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب (فلا تجدهم يتأخرون عندهم زاد الكفاي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون اغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن اخلاقهم الانهم مائل في الشهوات والامعان من المأذوكثرة الاستهتار وعدم المبالة قال لي شيخنا الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى أهل مصر كائنات غوامس الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان وأخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشياء جعل لكل شيء شيئا فقال العقل انما الحق بالشام فقالت الفطنة وانا معك وقال الخصب انما الحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الشقاء انما الحق بالبادية فقالت الصحة وانا معك * ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحما والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان انما الحق باليمن فقال الحياء وانا معك وقالت النجدة انما الحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الكبر انما الحق بالعراق فقال النفاق وانا معك وقال الغنى انما الحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر انما الحق بالبادية فقال الشقاء وانا معك وعن ابن عباس رضي الله عنهما المكر عشرة اجزا تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس ويقال اربعة لا تعرف في اربعة السخاء في الروم والوفاء في الترك والشجاعة في القبط والعمر في الزنج * ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيدان غلب أكيس الناس صغارا وأجهلهم كبارا (وقال المسعودي) لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب اليهم من حكماء العصر ان الناس عرب قد فتح الله علينا البلاد ونريد ان تنبؤا الارض ونسكن البلاد والامصار فنصف في المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة والهوية في سكانها فكتب اليه وأما ارض مصر فأرض قوراء غوراء ديار الفراغة ومساكن الجبابرة ذمتها أكثر من مدحها هوأوها كدر وحرها زائد وشربها ما تدكر الألوان والظن وتركب الاحن وهي معدن الذهب والجواهر ومغارس الغلات غير أنها تسمى الابدان وتسود الانسان وتموت فيها الاعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لترادف قسنتها واتصال شرورها وقال عمر بن شبة ذكر ابن عبيدة في كتاب اخبار البصرة عن كعب الاحبار خير نساء على وجه الارض نساء أهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش وشر نساء على وجه الارض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمرو لما هبط ابليلس وضع قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر ارض نجسة كالمرأة العاذل يطهرها النيل كل عام * وقال معاوية بن أبي سفيان وجدت أهل مصر ثلاثة اصناف فثلث ناس وثلث يشبهه الناس وثلث لاناس فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي والثلث الذين لاناس المسلمة يعني القبط

* (ذكر شيء من فضائل النيل) *

اخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا ثبتهام مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قلت ما ذا يا جبريل قال هذه سدرة المنتهى وإذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة وخلق فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهران فقسمهما اربعة اجزاء فيحيطون المحيط بأرض حويل وسيحون المحيط بأرض كوش وهويل مصر ودجلة الاخذ الى العراق والفرات * وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمتد فتمده الانهار بجمعها ونجر الله له الارض عيوناً فاجرت له الى ما اراد الله عز وجل فاذا انتهت جريته اوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي طلق البحر لموسى اني لا جده في كتاب الله ان الله يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند جريته ان الله يأمر له أن تجرى فيجري ما كتب الله له ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا وعن كعب الاحبار انه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله

في الدنيا النيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وقال المسعودي نهر النيل من سادات الانهار وأشرف البحار لانه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة وقد قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادته من غيضها وغيضه من زيادتها وليس في انهار الدنيا نهر يسمى بجزيرة نيل مصر لكبره واستبحاره * وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مؤمنان ونهران كافرين أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ أنما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لانهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث والشجر بلانعب في ذلك ولا مؤنة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان الاشياء قليلا وذلك القليل يتعب ومؤنة فهذان في الخير والنفع كالؤمنين وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين

* (ذكر مخرج النيل واتباعه) *

اعلم ان البحر المحيط بالمعمر اذا خرج منه نهر الهند افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة تسمى بجزيرة النج وهي مما يلي بلاد اليمن وجزيرة بربر وفي هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم ورامه هائلة ويقال لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاي وطولها اربعة اشهر في عرض عشرين يوما الى أقل من ذلك وهذه الجزيرة تحاذي جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قرية واليهما ينسب الطائر القمري ويقال ان بهذه الجزيرة خشب ينحت من الخشب ساق طوله ستون ذراعا يحذف على ظهره مائة وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر * واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب المعمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها تشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في آخر وهو كالدارة لا يعرف له اول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم يكن استدارة كرية ولكن استدارة احاطة وزعم قوم ان اتمت الجبال جبالا نخرج أحدهما من البحر المحيط في المغرب أخذ اجنوبا وخرج الآخر من البحر الرومي أخذ شمالا حتى تلاقيا عند السند وهو الجنوبي قاف ومما الشمال قاقونا والآخر انه جبل واحد ومحيط بغالب بسيط المعمور وانه الذي يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قاقونا ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السند أخذ من وراء صنم الخط المشجوج الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذ على غربي صين الصين ثم ينعطف على جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقي لشعبة المحيط الخارجة الى بحر الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب وتبقى الظلمات من هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجارية على جنوب الظلمات شرقا مغربا ومخرج البحر الهندي الجارية على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كقصيل السمراويل ثم ينفرج برأس البحر من شعبتان على مبدأ هذا الجبل ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة ارين عن شرقها وبعده منها خمس عشرة درجة ويقال لهذا الجبل في اوله الجزر دشم ثم يتدحى حتى تنتهي في القسم الغربي الى طوله الى خمس وستين درجة من اول المغرب وهناك تشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب منه النيل وبه ابحار برقة كالفضة تلالا تسمى ضخمة الباهت ككل من نظرها ضحك واتصق بها حتى يموت ويسمى مغناطيس الناس وتشعب منه شعب تسمى اسبيقي اهلها كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب الى نهاية المغرب في البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال لا تطاق وينعطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاب منها شعبتان الى خط الاستواء يكتشفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقي يعرف بجبل قاقول وينقطع عند خط الاستواء والغربي يعرف بادهرية يجري عليه نيل السودان المسمى ببحر الدمام وينقطع لتقاء مجالتي الحبشة ما بين مدينة سفرة وحيمي وراء هذه الشعبة يمتد منه شعبة هي الام من الموضع المعروف فيه الجبل بأسبيقي المذكور الى خط الاستواء حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك بجبل كرسقا به وبه وحوش ضارية ثم ينتهي الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء السكرور وعند مدية قلمبور او وراء هذا الجبل سودان يقال لهم عتميا كالون الناس ثم يتصل الام من ساحل

البحر الشامي في شماله شرق رومية الكبرى مسامتا للشعبة المسماة ادممه المنقطعة بين سمعرة وحمي لا يكاد
 يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشأ اتصال هذه الام على عرض خمسين درجة وكذلك تقع
 شعبها الاخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرهما بين سردانة وبلنسية وتناهي وصلة هذه الام
 الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية وتبقى سوسية داخل الجبل ثم تذهب هذه الام بعد انقطاع
 لطيف وبعطف انعطاف خرجة البحر المحيط في المغرب على الصقلب المسماة ببحر الانفلسين تمتد الى غاية
 المشرق ويسمى هناك بجبل قاقونا ويبقى وراء البحر جامدا الشدة البرد ثم يعطف من الشمال الى المشرق جنوبا
 بتغريب الى كتف السد الشمالي فيتلاقى هناك الطرفان وينتهي في الفرجة المنفرجة سوى ذوالقرنين
 بين الصدفين وفي جوده القمر ثلاثة انهاراً أحدها في شرقيها من قنطورا ومعلانيها في غربها ينصب من جبل
 قدم آدم على مدينة سبا ويأخذ ما را على مدينة فردرا وينجر هناك بحيرة في جنوبها مدينة كيا حيث محل
 السودان الذين يأكلون الناس وثالثها في غربها ايضا ويخرج من الجبل المشبه ماء محدوب الذيل يطوف
 بمدينة دهمما قسقى مدينة دهما في جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا ويصير لذلك كالجزيرة
 ويتصل شمالها بالبحر الهندي وتقع مدينة قواره في غربها حيث يصب في البحر الهندي * ومن جبل القمر يخرج
 نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم نقراوش الخدا بن مصر يم الاقل بن مركايل بن دوايسيل
 ابن عرباب ابن آدم عليه السلام الى ارض مصر ومعه عتة من بني عرباب واستوطنوها وبناها مدينة
 امسوس وغيرها من المداين حفرو النيل حتى اجروا ماء اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينمطح ويتفرق
 في الاض حتى وجهه الى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوامنه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها
 وساقوامنه نهر الى مدينة امسوس ثم لما خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودشيرين فقط بن
 مصر بن يهصر بن حام ابن نوح عليه السلام عدل جانبي النيل تعدلانيا بعد ما اتلفه الطوفان * قال الاستاذ
 ابراهيم ابن وصيف شاه تلك البودشير وتجب وهو اول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت
 اعمامه اثني واثرب وصاملو كاعلى احبازهم الا انه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كما تجبر ابوه على من
 قبله لانه كان اكبرهم وكذلك اغضوا عنه فيقال انه ارسل هرمس الكاهن المصري الى جبل القمر الذي يخرج
 النيل من تحته حتى عمل هناك التماثيل النحاس وعدل البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل ويقال انه الذي
 عدل جانبي النيل وقد كان يفيض وربما انقطع في مواضع وهذا القصر الذي فيه تماثيل النحاس يشتمل
 على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدورة وقنوات يجري فيها
 الماء وينصب اليها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قيا سا
 معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى
 بطيختين ويخرج منهما حتى ينتهي الى البطيحة الجامعة للماء الذي يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير
 من الماء الذي يكون معه الصلاح بأرض مصر وينفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر
 ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلاثون اصبعاً وما فضل عن ذلك عدل عن بين تلك الصور وشمالها الى مسارب
 يخرج ويصب في رمال وغياض لا ينتفع به من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التي
 يمر عليها * قال وكان الوليد بن درمع العماليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن
 ما يوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان امرها قد صار الى النساء وباد ملوكها
 فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسار اليها بعده واستباح أهلها وأخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها
 ثم سخر له أن يخرج ليقف على مصب النيل فيعرف ما بحاقته من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه
 وخرج في جيش عظيم فلم يتر بأمة الا ابادها ومرت على امم السودان وجاوزهم ومرت على ارض الذهب فرأى فيها
 قضباناً بآبئة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت
 جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمي جبل القمر لان
 القمر لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستواء ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمر في طرايق وانهار دقاق
 حتى ينتهي الى حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى حظيرة اخرى فاذا جاوز خط الاستواء مدته

عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه القماشج والاسماك التي مثل اسماك النيل ووجد الوليد بن دوعم القصر الذي فيه القماشيل النحاس التي عملها هر مس الاول في وقت البودشير بن قنطريم بن قبطيم ابن مصر ايم وقد ذكر قوم من اهل الاثر ان الانهار الاربعة تخرج من اصل واحد من قبة في ارض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيجون وجيجون والفراة والنيل وأن تلك الارض من ارض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد وأنما قيل ان تسلك البحر المظلم احلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ومن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن اسحاق ابن ابراهيم عليه ما السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حديد وقال آخرون تنقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا للام وقال آخرون هذه الانهار من ثلوج تتكاثف ويذيبها الحر فتسيل الى هذه الانهار وتسقى من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليا فعمل حيلة الى ان صعد اليه ليرى ما خلقه فأشرف على البحر الاسود الزرقى الممتلئ ونظر الى النيل يجري عليه كالانهار الدقاق فأتته من ذلك البحر روايح منتنة هلك كثير من اصحابه من اجلها فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك * وذكر قوم انهم لم يروا هناك شمسا ولا قرا الا نورا أحمر كنور الشمس عند غايها وأما ما ذكر عن حديد وقطعه البحر المظلم ما شيا عليه لا يلصق بقدمه منه شيء وكان فيما يذكر نبيا واوتى حكمة وانه سأل الله تعالى ان يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال انه اقام يمشى عليه ثلاثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا وأقام الوليد في غيبته اربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر فاستعبده أهلها واستباح حريمهم واموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فأبعضوه وسثموه الى ان ركب في بعض ايامه متصيدا فألقاه فرسه في هذه فقتله واستراح الناس منه

وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج انبعث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجري منها عشرة انهار كل خمسة منها تصب الى بطيحة ثم يخرج من كل بطيحة نهران وتجرى الانهار الاربعة الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهران النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهران وبجر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وبلادينه وهم طائفة من السودان بن كاتم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطيه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجنادل * وقال المسعودي رحمه الله تعالى رأيت في كتاب جعفر النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء منهما جارا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق ارض السودان فيما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى يأبى اسوان من صعيد مصر * وقال في كتاب هر دسوس نهر النيل مخرجه من ريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير في وسطه جزيرة وأخر ذات يميل الى ناحية الشمال فيسقى ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الجبل ثم يغيب في الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يسير البحر المحيط على قنار الحبشة ثم يميل على اليسار الى ارض مصر فيحق ما يظن بهذا النهر انه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيناه قال ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه خفي ولكن ظاهرا قبالة من ارض الحبشة ويصير له هناك محبس عظيم مجراه اليه ما تامل وذكر مخرجه حتى ينتهي الى البحر قال وكثيرا ما يوجد في نهر النيل القماشج واقبال النيل من ارض الحبشة ليس يختلف فيه أحد وعدة امياله من مخرجه المعروف الى موقفه مائة الف وتسعون الفا وتسعمائة وثلاثون ميلا وما النيل عكر مرمل عذب وفي انتهى والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عند انتهاء مراكب النوبة المنحدار او مراكب الصعيد اقلاعا وهنالك حجارة مضره لأمور وللمرأكب عليها الا في ايام زيادة النيل ثم ياخذ على الشمال فيكون على شريقه اسوان من الصعيد الاعلى ويمر بين جبلين يكتنفان اعمال مصر أحدهما شرقي والاخر غربي حتى يأبى مدينة فسطاط مصر فتكون في بره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فترقت فرقة تمر

حتى تصب في بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة ببحر الشرق والفرقة الاخرى هي عمود النيل ومعظمه
يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب في بحر الروم ايضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان * ويقال
ان مسافة النيل من منبعه الى ان يصب في البحر عند رشيد سبعمائة وعشائة واربعون فرسخا وانه يجري في
الخراب اربعة اشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام مسافة شهر * وذهب بعضهم الى ان زيادة ماء
النيل انما تكون بسبب المد الذي يكون في البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضى ووضع في ذلك
كثا با حاصله ان حركة البحر التي يقال لها المد والجزر توجد في كل يوم وليدة مرتين وفي كل شهر قرى مرتين
وفي كل سنة مرتين * فالمد والجزر البومى تابع لقرص القمر ويخرج الشعاع عنه من جنبتي جرم الماء فاذا كان
القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد وكذا اذا كان القمر في وتد الارض فاذا برز القمر طالعان الشرق
او غرب كان الجزر والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال له الامتلاء ايضا عند
الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون ايضا في وقتين عند تربع القمر للشمس في سابع الشهر وفي ثاني
عشره * والمد السنوي يكون ايضا في وقتين احدهما عند حلول الشمس آخر برج السنبلة والاخر عند حلول
الشمس بآخر برج الحوت فان اتفق ان يكون ذلك في وقت الامتلاء او الاجتماع فانه حينئذ يجتمع الامتلاء
الشهري والسنوي ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض لاسيما ان وقع الاجتماع او الامتلاء في وسط السماء
ووقع مع النيرين او مع احدهما احد الكواكب السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكب فصاعدا مع احد
النيرين تزايد عظم الفيض وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وازاد ايضا نهرا من ان كان الاجتماع
او الامتلاء زائلا عن وسط السماء وليس مع احد النيرين كوكب فان النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما
لعدم الانوار التي تثير المياه ويكون عصر في السنة الغلا والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس برأس الجدى
والسرطان فاما المد البومى الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط اكثر من درجة
واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم يتصرف وانصرف هو الجزر وكذلك الاودية
اذا كانت الارض مهددة والمد الشهري ينتهي الى اقاصى البحار وهو يسكبها حتى لا تنصب في البحر المحيط وحيث
ينتهي المد الشهري فهناك تنتهي ذلك البحر وطرفه واما المد السنوي فانه يزيد في البحار الخارجة عن البحر
المحيط زيادة بينة ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهرا من ان كان الاجتماع او الامتلاء في بلاد السند
(قال ولما جاء ارسطو الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم ان من المحال ان يكون النيل في اسوان
وادم الاودية وكلما اسجل اتسع حتى ان عرضه في اسفل ديار مصر لينتهى الى مائة ميل عند غاية الفيض وله
افواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من الميزان في ذلك الصنع فرأى محالا ان يكون الوادى بحيث
يضيق اسفله عن حل ما ياتي به اعلاه مع ضيق اعلاه وسعة اسفله فلما رأى ذلك قال ان ربا حاسمتقبل جرية الماء
وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندر ان من المحال ان يكون الريج يردع الماء السائل في الوادى حتى يفيض
اكثر من مائة ميل ولو كانت الريج تفعل ذلك لكان الماء يتقلت من اسفل الوادى ويسيل الى البحر لان البحر
لا يسك الا اعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل في افواه تلك الشوارع التي تقضى الى البحر فيعثر بها شبه الردم
فيفيض قال واغفل ان الرمل جسم متخلخل فالما يتخلله وينفذ سائلا الى البحر مع ان الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر
للحس والماء سائل في كل حين على حلق تينس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية ففطنوا الاستحالة كونه
سائلا عن سبيل حامل ونسبوا توقفه الى الريج والرمل وهم استقصوا الهواء واستقصوا الاوض واغفلوا
الاستقصاء الثالث الذي هو الماء لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلاثة اشهر فلا يظهر
مقدار صعودها في كل يوم للحس ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر * قال والمد كاه واحد وهو ان
القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض سخنها كما تسخن الشمس الهواء
المحيط فيعثرى الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء فيفيض وينبى بخاصته كالمرآة المحرقة الملهية للبحر حتى
تتحرق القطننة الموضوعة بين المرأة والشمس فهذا امثاله في المقابلة ومثاله في السرار كون الزجاج المملوء ماء يلقى
الشعاع الى حلقه فيتحرق القطننة ايضا فالقمر جسم نورى ياكسنا به ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس
والارض خرج عن جانبي الماء شعاع نافذ يمر مع جنبى الماء فيسخن ما قابله فينمو والماء جسم شفاف عن جانبه

يخرج الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجه فيحدث لها نور يسخن الهواء الذي يحيط بالزجاجه او بالارض فيقترب الماء شبه تسخين يني به ويريد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة القمر فهذا هو الممدد انما يستدير باستدارة الغلاف وتدويره الغلاف القمر وتدوير فلك القمر للقمر واما الشهرى هو أن يقابل القمر الشمس او يستتر تحتها لانه ليس الا كون القمر قبالة الشمس لكونه في تربيعة الشمس اضعف وفي المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلهما على وسط كرة الارض بحيث تكون الحركه اشده والاكتناف للماء والارض اعم فذلك هو المدة السنوى

* (فصل في الرد على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض) *

أما العامة فليس عندهم ما يجي على وجه الارض انه سيل ومن تظن الى عظمه واتساعه في اسفله وضيقه في اعلاه ولم ينظر الى ماء ولا ارض ولا هواء نسب ذلك الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذي زعم ان الماء يسافر من كل ارض وموطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض في الخريف والعيون والآبار في ذلك الوقت يقل ماؤها والنيل يكثر فربا وكثرة وقلة فأضافوا احدهما الى الآخر بالخيال وما يدل على انه ليس عن سيل يفيض ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمتزج بالبحر فلا يردعه رادع (ومنها ان فيض النيل على تدرج مدة ثلاثة اشهر من حلول الشمس رأس السرطان الى حلولها باسخر برج السنبلة والناس يحسبون به قبل فيضه بمدة شهرين ولعامل مصر في وسط النيل مقياس موضوع وهو سارية فيها خطوط يسمونها اذرا يعلم بهما مقدار صعوده في كل يوم (ومنها ان فيضه ابد في وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلاف بعض الاختلاف (ومنها انه قديم السيل في غير هذا الوقت فلا يفيض (ومنها ان الحداق بمصر اذا راوا الحر يزيد علوا أن النيل سينزل لان شدة الحر تنضب الهواء فيذبوب الماء ولا يكون الا عن زيادة كوكب ود تنور ومنها أن موضع مصبه من اسوان انما هو واد من الاودية وما اسفل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحو من مائة ميل واسوان هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل مسيره نصف شهر لان نسبة بين مصب اعلاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلاء اسفله عن السيل ومنها ان اهل اسوان انما يقبون بلوغ الردع اليهم مر اقبه ويحافظون عليه بالنهار محافظه فاذا جئ الليل اخذوا حقه خرف فوضعوها في مصباحا ثم يضعونه على حجر معدن عندهم لذلك وجعلوا برقبونه فاذا طفي المصباح بطفو الماء عليه علوا ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم بأخذه في الجزر فيكتبوا بذلك الى امير مصر يعلموه ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم وانهم قد اخذوا بقسطهم من الشرب فيختمون الأمر بكسر الاسداد التي على افواه قرص المشارب فيفيض الماء على ارض مصر دفعة واحدة (ومنها أن جميع تلك المشارب تستد عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من الماء العذب في النيل ويكثر ويم جمع ارضهم ويمنع بجملته دخول الماء الملح عليه فلو كان سيل ما احتاج الى ذلك ولتحت له افواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره (ومنها ان الخيلان اذا سدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل من جنبه الى البحر اذا سفل النيل اوسع وأخفض من اعلاه (ومنها ان ماء البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا في حاق رشيد وتينس ود مياط كما يفعل في سائر الاودية التي تدخل المد والجزر فلو كان النيل خاليا من الماء العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الارض وان يكون في صفحة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط متساوية (ومنها انها اذا فتحت تلك الاسداد وكسرت الخيل وفاض النيل على بطائح ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للحين وقالوا في هذه الساعة كسرت الخيل وفاض ماء النيل على ارض مصر لان ذلك يتبين لهم بتحول الماء دفعة فلو كان سيلا وهم على اعلى المصب لقالوا قد ارتفع المطر عن الارض التي يسيل منها السيل (ومنها ان قسيه الذي يمر ببلاد الحبشة المنبعث وياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة اشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه لكنه اذا كثرفيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها واذا انصبت مادته اردع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهو من شعب واحد لكان شأنهما واحدا ولا نقول ان فيض النيل بسبب فيض البحر فقط اذ لو لا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر اليه ولكان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولو لا السيل السائل فيه لردمه البحر اذ عادة البحر ردم السواحل وانما دخل

الشك على اهل مصر في ايام النيل لانهم لم يشاهدوا منشأه ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر لانه في موضع لا ساكن عليه ولا تحققوا المد السنوي الرادع له فلم يتحققوا شيئا من امره لانه بعيد من اذهان العامة ان يعلموا ان ماء البحر يعظم في ايام الصيف لان المعهود عندهم في البحر ان يعظم في ايام الشتاء وطمو البحر في الشتاء انما يكون عن الرياح الهابية عليه من احد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الاخر الا ما كان من البحر المحيط فانه يتحرك ابدان داخل البحر الى البر وهو ان المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه الارض والارض ليست بسطة فهي تمنعه بما فيها من التركيب فهو يطلب ابدان ان يعلوها ويركبها ببردتها قال والسبب في عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا زاحمت الشمس والقمر الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذ اعظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذ انقض القمر لمقابله احد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كورة الزمهرير ونزل المطر فاذا افارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرؤس الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط اربين والله تعالى اعلم بالصواب

قال دولفه رحمه الله تعالى الذي تحصل من هذا القول ان النيل يخرج من جبل القمر وان زيادته انما هي من فيض البحر عند المد فاما كون مخرجه من جبل القمر مسلم لان نزاع في ذلك وأما كون زيادته لا تكون الا من رددع البحر له بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم توالي هبوب الرياح الشمالية على وفور الزيادة ورددع البحر له اعانة على الزيادة ومن تأمل النيل علم ان سبب لاسال فيه ولا بد فانه لا يزال ايام الشتاء واول فصل الربيع ماؤه صافيا من الكدرة فاذا فرغت ايام زيادته وكان في غاية نقصه تعير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في اناء راسب منه شبه اجزاء صغيرة من طحلب وسبب ذلك ان البطيخة التي في اعالي الجنوب تردها الفيض وشحها من الوحوش حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت امطار الجنوب في فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيخة فاض منها ما تغير من الماء وجرى الى ارض مصر فيقال عند ذلك توحم النيل ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ويراد عكسه بزيادة الماء فاذا وضع منه ايام الزيادة شيء في اناء راسب بأسفله طين لم يعهد فيه قبل ايام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تنصب في النيل حتى تكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والافاض مصر سجة لا تثبت ولا يثبت منها الا ما تر عليه ماء النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا فيفيض النيل لكون البحر في الجزر في فصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم وان العادة ان السيول التي عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وامطار الجنوب لا تكون الا في ايام الصيف ولم يعهد قط زيادة النيل في الشتاء وأول دليل على ان كون زيادته عن سيل يسيل فيه انما يزيد بتدرج على قدر ما يبط فيه من السيول وانما استدلاله بصب النيل في اسوان واتماعه اسفل الارض فانما ذلك لانه يصب من علو في مخرق بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبطح في الارض حتى يصب في البحر فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط وأما قوله ان الاسد اذا كثرت فاض الماء على الارض دفعة فليس كذلك بل بصير الماء عند كسر كل سد من الاسداد في خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى الخليج الى بناء على جانبه من الاراضى حتى يروى فن تلك الاراضى ما يروى ومنها ما يروى بعد ايام ومنها ما لا يروى لعلوه وأما قوله ان جميع تلك المشارب تستند عند ابتداء صعود النيل ليجمع ما يمل من الماء في النيل ويكثر في جميع ارضهم ويمنع بجملة دخول الماء الملح عليه فغير مسلم ان تكون السداد كما ذكر بل اراضى مصر اقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة والاراضى متفاوتة في الارتفاع والانخفاض متفاوتا كثيرا ولذلك احتيج في بلاد الصعيد الى حفر الترع وفي اسفل الارض الى عمل الجسور حتى يحبس الماء ليروى اهل النواحي على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والافهون يزيدوا في غير سقى الاراضى حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذي هو كفاية الاراضى في وقت خلوا الاراضى من الغلال وذلك غالبا في اثناء شهر صفر ففتح سد الخليج حتى يجري فيه الماء الى حد معلوم ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذي وقف عنده الماء من الارض ثم فتح ذلك الحد في يوم النور حتى يجري الى حد آخر ووقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثاني من الاراضى ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد النور وروى سبعة عشر يوما حتى يجري الماء ووقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الاراضى

ثم يفتح هذا الحد فيجري الماء ويروى ما هنالك من الاراضي ويصب في البحر الملح هذا هو الحال في سدود
 اراضي مصر وقوله ان ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتيس ودمياط فلو كان خاليا
 من الماء العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فنقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر فان
 النيل عند مصبه بأعلى اسوان يكون أعلى منه عند كونه أسفل الارض بقامات عديدة فاذا فاض ماء البحر
 حبسه أن يتدافع هو وماء النيل ورجا غلب ماء البحر ماء النيل في أيام نقصان النيل حتى يملح ماء النيل فيما بين
 دمياط وفارس كوروأما في أيام زيادة النيل فاني شأهت مصب النيل في البحر من دمياط وكل منهما يدافع
 الآخر فلا يطبقه حتى صار امتناعين عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسداد اذا فتحت علم أهل اسوان بذلك في الحال
 غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل في الاعوام الكثيرة اذا فتح منه خليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه اراضي كثيرة
 لا يظهر النقص فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع وما برح المفرد يخرج من قوص ببشارة وفاء النيل وقد أوفى
 عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفي ذلك المقياس بمصر الابد ثلاثة أيام ونحوها وأما قوله ان ما كان من النيل يمر
 بلاد الحبشة بخالفه فليس كذلك بل الزيادة في النيل أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وما وراءها في الجنوب
 كما تكون في أرض مصر ولا فرق بينهما الا في شيئين أحدهما انه في أرض مصر يجري في حدود وهنالك يتبدد
 على الاراضي والثاني أن زيادته تعتبر بالمقياس في أرض مصر وهنالك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار
 مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن امطار الجنوب ويقال ان النيل ينصب من عشرة انهار من جبل القمر
 المتقدم ذكره كل خمسة انهار من شعبة ثم تتبخر تلك الانهار العشرة في بحرين كل خمسة انهار تتبخر بحيرة بذاتها
 ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرفا على جبل فاقول ويعد الى مدن هنالك ثم يصب في البحر
 الهندي ويخرج من البحيرتين ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة انهار وتجتمع الانهار الستة في بحيرة متسعة تسمى
 البطيخة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيخة وهو نيل السودان ويصير نهر يسمى بحر
 الدمام ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبي سمغرة وشمال غانة ثم ينطف هنالك منه فرقة ترجع جنوبا
 الى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل في جنوبها خارج خط الاستواء الى زفيلة ثم تتبخر في بحيرة هنالك
 وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالي والتكروور حتى تنصب في البحر المحيط شمالا مدينة قليبوت ويخرج
 المصفر الآخر متشاملا أخذ على الشمال الى شرقي مدينة حيماء ثم يتشعب منه هنالك شعبة تأخذ شرقا الى
 مدينة محرت ثم ترجع جنوبا ثم تعطف شرقا بجنوب الى مدينة محرت ثم الى مدينة مركه وينتهي الى خط الاستواء
 حيث الطول خمس وستون درجة ويتبخر هنالك بحيرة ويسمى عود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي مدينة
 شمي متشاملا أخذ على أطراف بلاد الحبشة ثم تشامل على بلاد السودان الى مدينة دنقلة حتى يرمي على
 الجنادل الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد الى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب في البحر الشامي
 وقد استفيض بلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سوديين على بعد كأن عليها الغمام ثم يتفرق نهرين
 يصب أحدهما في البحر المحيط الى جهة بحر الظلة الجنوبي والآخر يتصل الى مصر حتى يصب في البحر الشامي
 ويقال انه في الجنوب يتفرق سبعة انهار تدخل في صحراء منقطعة ثم تجتمع الانهار السبعة وتخرج من تلك
 الصحراء نهر أو احد في بلاد السودان

(ذكر مقياس النيل وزيادته)

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وضع مقياسا بمنف ثم وضعت الجوزد لوكه
 ابنة زبا وهي صاحبة حائط الجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخميم ووضع عبد العزيز بن مروان
 مقياسا بجبلوان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها قال
 يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط * وقال القاضي كان
 أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبني مقياسا بمنف وهو أول مقياس وضعه عليه السلام وقيل
 ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة الى أن بنى مقياس منف وان القبط كانت تقيس عليه الى أن بطل ومن
 بعده دلوكه الجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع وآخر باخميم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر وقيل انهم
 كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاص فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقياسا رية الا كسرية

ومعالمه هنالك الى أن ابنتي المسلمون بين الحصن والبحر أنبتهم الباقية الآن وكان للروم أيضا مقياس بالقصر
 خلف الباب مئة من دخل منه في داخل الزقاق اثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحواليه * ثم بنى عمرو بن
 العاص عند قبحه مصر مقياسا يأسون ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بأنصنا فلم يزل
 يقاس عليه الى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بجبلوان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذراع
 فأما المقياس القديم الذي بنى في الجزيرة فالذي وضعه أسامة بن زيد وقيل أنه كسره فيه ألفي أوقية وهو الذي بنى
 بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التسنخي عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك بطلانه فكتب اليه
 سليمان بأن يبنى مقياسا في الجزيرة فبناه في سنة سبع وتسعين ثم بنى المتوكل فيها مقياسا في أول سنة سبع
 وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن
 يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله التركي على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد
 السلام بن عبد الله بن أبي الرداد المؤذن كان يقول القمى أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس
 النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير في كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك
 الوقت في يد أبي الرداد وولده الى اليوم وتوفي أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين * ثم ركب أحمد بن طولون سنة
 تسع وخسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراج مصر وبكار بن قتيبة القاضي فنظرا الى المقياس وأمره باصلاحه
 وقدر له ألف دينار فعمروا بني الحارث في الصناعة مقياسا واثره باق لا يعتد عليه * وقال ابن عبد الحكم
 ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها الى عمرو حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا له أيها الأمير ان لبنانا
 هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وماذا قالوا انه اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى
 جارية بكر من ابويها فأرضينا ابويها وجعلنا عليها من الخلي والنياب افضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل
 فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة وايب ومسرى وهو
 لا يجري قلبه ولا كثيرا حتى هموا بالخلع فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب
 اليه عمر أن قد اصبحت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فألقها في داخل النيل اذا نالك كتابي
 فلما قدم الكتاب الى عمرو وقع البطاقة فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى
 من قبل فلا تجروا ان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك ففسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو
 البطاقة في النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تمها أهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمحلتهم فيها الا
 النيل واصبحوا يوم الصليب وقد أجزاه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل
 مصر * وذكر بعضهم أن جاحلا الصدف هو الذي جاء ببطاقة عمر رضي الله عنه الى النيل حين توقف فجري باذن
 الله تعالى وقال يزيد بن أبي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا
 الجلاء فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك ليلة الصليب فاصبحوا وقد أجزاه الله
 في تلك الساعة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام
 قال القاضي ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتح العرب مصر عرف عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه ما يليق أهلها من الغلاء وعند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلا عن تقاصره
 وان فرط الاستشعار يدعوه الى الاحتكار وان الاحتكار يدعوا الى تصاعد الاسعار بغير حط فكتب عمر الى
 عمرو ويسأله عن شرح الحال فاجابه اني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقطع أهلها أربعة عشر ذراعا والحد الذي
 يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا والنهايتان الخوفتان
 في الزيادة والنقصان وهما الظما والاستبحار اثنا عشر ذراعا في النقصان وثمانية عشر ذراعا في الزيادة هذا
 والبلد في ذلك الوقت محفور الانهار مرقود الجسور عند ما تسلموه من القبط وخيرة العماره فيه فاستشار أمير
 المؤمنين عمر رضي الله عنه عليا رضي الله عنه في ذلك فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياسا وأن ينقص ذراعين
 من اثني عشر ذراعا وأن يقر ما بعدها على الاصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا اصبعين
 ففعل ذلك وبناه بجبلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الارجاج وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثني
 عشر ذراعا أربع عشرة لان كل ذراع أربع وعشرون اصبعاً فجعلها ثمانية وعشرين من أولها الى الاثني عشر

ذراعاً يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشر ثمانية وأربعين اصبعاً وهي الذراعان وجعل الاربع عشرة ستة عشرة
والست عشرة ثمانية عشرة والثماني عشرة عشرين * قال القاضي وفي هذا الحساب نظري وقتنا الزيادة فساد
الانهار واتفاض الاحوال وشاهد ذلك أن المقياس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربع وعشرون
اصبعاً كل ذراع والمقياس الاسلامية على ما ذكر منها المقياس الذي بناه اسامة بن زيد التميمي بالجزيرة وهو
الذي هدمه الماء وبني المأمون آخر باسفل الارض بالبرودات وبني المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذي يقاس
عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره * قال ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء في اثنى عشر يوماً من مسرى
اثنى عشرة ذراعاً فهي سنة ماء والافالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعاً قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك وقال
أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يتبدى في
التزايد في شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل ابيب كان للماء ديب وعند ابتداءه في التزايد يتغير جميع
كيفية ويفسد والسبب في ذلك مروره بنقائع مياه آجنة يحاطها فيجلبها معه الى غير ذلك مما يحتمل فاذا بلغ
الماء خمسة عشر ذراعاً وزاد من السادس عشر اصبعاً واحداً كسر الخليلج وكسره يوم معدود ومقام
مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص فاذا كسر قحت الترع وهي فوهات الخيلان ففاض الماء وساح
وغمر القيعان والبطائح وانضم الناس الى اعلى مساكنهم من الضياع والمنازل وهي على اكمام وربا لا يتبهي الماء
اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحر اغمر المابين جبليها ريثما يبلغ الحد
المحدد في مشيئة الله عز وجل له واكثر ذلك يحوم حول ثمانية عشرة ذراعاً ثم يأخذ عائد في صبه الى مجرى
النيل ومسرى به فينضب اقلاماً كان من الارض عالياً ويصير فيما كان منها متطامناً فيترك كل قرارة كادرهم
ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم وقال القاضي ابو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية
وأما الذراع السوداء فهي اطول من ذراع الدور بأصبع وثنائي اصبع واقل من وضعها امير المؤمنين هارون
الرشيد قد رها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائماً وهي التي تتعامل الناس بها في ذرع البز والنجارة
والابنية وقياس نيل مصر * واكثر ما وجد في القياس من النقصان ستة سبع وتسعين ومائة ووجد في المقياس
تسعة اذرع واحد وعشرون اصبعاً واقل ما وجد منه ستة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد
وعشر اصابع وأكثر ما بلغ في الزيادة ستة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر اصبعاً
وأقل ما كان في سنة ست وخمسين وثمانية الهلالية فانه بلغ اثنى عشر ذراعاً وتسعة عشر اصبعاً وهي أيام
كافور الاخشيدي * والمقياس عمود رخام ابيض مثنى في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه وهذا
العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قصماً متساوية تعرف بالاصابع
ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين اصبعاً كل ذراع * وقال المسعودي قالت
الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالي الانواء وكثرة الامطار * وقالت الروم لم يزد قط
ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت * وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه
يراه من سافر ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت تحبسه فيفيض على
وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح المتن وذلك انها تحمل السحاب المطر من خلف
خط الاستواء فيمطر بلاد السودان والحبيشة والنوبة فيأتي مدده الى أرض مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان
البحر الملح يقف مأوئاً على وجه النيل فيتوقف حتى يروى البلاد وفي ذلك يقول

فاسمع فللسامع اعلى يدا * عندي وأسمى من يد المحسن * فالنيل ذو فضل ولكنه * الشكر في ذلك لا ملتن
ويتبدى النيل بالنفس والزيادة بقية بؤنة وهو حزين وايبس وهو غمز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائداً
زاد شهر ثوت كله وهو ايلول الى انقضاءه فاذا انتهت الزيادة الى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج
وخصب الارض وهو ضارب بالهائم لعدم الرى والكلا * وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة
عشر ذراعاً وفي ذلك كفايتها وري جميع ارضها واذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعاً وغلقها استبحر من
أرض مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعاً
كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء واكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعاً * وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز

اثني عشر ذراعا ومساحة الذراع الى أن يبلغ اثنتي عشرة ذراعا ثمان وعشرون اصبعاً ومن اثنتي عشرة ذراعا الى ما فوق ذلك يكون الذراع أربعاً وعشرين اصبعاً وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفي تلك السنة يكون الماء قليلاً والاذرع التي يستسقي عليها بمصر هي ذراعان تسميان منكراونه كبراهي الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة استسقي الناس بمصر فكان الضرر الشامل لكل البلدان وإذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقي فيه وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان والنبيذ يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كائون الثاني بعد الغطاس وهو عشرة تمضي من طوبة وأصفي ما يكون ماء النيل في ذلك الوقت وأهل مصر يفتخرون بصفاء ماء النيل في هذا الوقت وفيه يحزن الماء أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرى البحيرة * وقد كانت مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا غامرها وعامرها الماء حكماً من جسورها وبناها قناطرها وتقية خلجانها وكان الماء إذا بلغ في زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهي وخليج القيوم وخليج سردوس وخليج سخا * قال والمعمول عليه في وقتنا هذا وهو سنة خمس وأربعين وثلاثمائة أنه ان زاد على الستة عشر ذراعا ونقص عنها نقص من خراج السلطان وقد تغير في زماننا هذا عادة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان وقانونه اليوم أنه يزيد في القيظ إذا حلت الشمس برج السرطان والاسد والسنبلة حين تنقص عامة الأنهار التي في المعمور ولذلك قيل ان الأنهار تمتد بما تم عند غيضاها فتكون زيادته وتبتدئ الزيادة من خامس بؤنة وتظهر في ثاني عشرة وأول دفعه في الثاني من ايبب وتنتهي زيادته في ثامن بابه ويأخذ في النقصان من العشرين منه فتكون مدة زيادته من ابتدائها الى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً وهي ايبب ومسرى وبوت وعشرون يوماً من بابه ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوماً ثم يأخذ في النقصان * ومن العادة أن ينادى عليه دائماً في اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعدما يؤخذ قاعه وهو ما بقي من الماء القديم في ثالث عشر بؤنة ويقع الخليج الكبير إذا كل الماء ستة عشر ذراعا وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من اصبع من عشرين وكان عهد الماء إذا بلغ أصابع من عشرين ذراعا فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلاليع وهانحن في زمن منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة إذا بلغ الماء في سنة اصبعاً من عشرين لا يعم الأرض كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا في مقياس الجزيرة وهي في الحقيقة ثمانية عشر ذراعا وكانوا يقولون إذا زاد على ذلك ذراعا واحدة زاد خراج مصر مائة ألف دينار لما يروى من الأراضي العالية فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى فإن الثمانية عشر ذراعا في مقياس الجزيرة اثنا عشر ذراعا في الصعيد الاعلى فإن زاد على الثمانية عشر ذراعا واحداً نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستخرج من الأرض المنخفضة * قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة وكان الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبنا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل الى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتاباً فاذنيه إذا وصل الماء الى الباب الجديد انقل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعدها فرض الحافظ في آخر هذه السنة ومات في أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة ست وسبعين وخمسمائة وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الاوّل وهو السادس عشر من مسرى وفي النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن متقدم وهذا أيضاً مما تغير فيه قانون النيل في زماننا فإنه صار يوفي في أوائل مسرى ولقد كان الوفاء في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة في اليوم التاسع والعشرين من ايبب قبل مسرى بيوم وهذا من أعجب ما يؤرخ في زيادات النيل واتفق أن في الحادي عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعمائة وفي النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوماً قال وفي تاسع عشره يعني شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر ابي المنجي وباشير الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه اصبعاً وهي الاصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا وهذا الحديث يسمى عند أهل

قوله فتكون مدّة زيادته الخ
هو غير موافق لما قبله بل
مقتضى ما ذكره من التفصيل
قبله أن مدّة الزيادة من
ابتدائها الى أن ينقص
أربعة أشهر وخمسة عشر
يوماً فليأت مثل اه صححه

مصر اللجة الكبرى فانظر كيف يسمى القاضي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل في سنة هذا القدر فقط لخل بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس وما ذاك الا لما اهل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر بوقاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الري في القديم واستقر ذلك الى يومنا هذا ويتخذ ذلك اليوم عيدا يركب فيه السلطان بعساكره وينزل في المراكب لتخليق المقياس * وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال بعض المفسرين رحمه الله تعالى ان يوم الوفا هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع الناس للتخليق يكون في هذا الوقت * ومن احسن السياسات في امر النداء على النيل ما حكمه الفقيه ابن زولاقي في سيرة العزيز لدين الله قال وفي هذا الشهر يعني شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل وان لا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر فلما تم اباح النداء يعني لما تم ست عشرة ذراعا وكسر الخليج قناتل ما أبدع هذه السياسة فان الناس دائما اذا توقف النيل في أيام زيادته أوزاد قليلا يقفون ويحدثون انفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون ايديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها رجا ارتفاع السعر ويحتد من عنده مال في خزن الغلة اما لطلب السعر أو لطلب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فان زاد الماء انحل السعر والا كان الجذب والقحط في كتمان الزيادة عن العامة اعظم فائدة وأجل عائدة وقال المسيحي في تاريخ مصر وخرج امر صاحب القصر الى ابن حيران ببحر ما يستفتح به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تحصي من خزائن الله لا تغني زاد الله في النيل المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه فتقول عامة اهل مصر قد نوحم النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر ويقال في سبب اخضراره ان الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التي في أعالي النيل وتستنعق فيها مع كثرة عدد الشدة الحتر هنالك فيستغير ماء تلك البطيحات فاذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات فخرج ما كان فيها من الماء الذي قد تغير ومز الى مصر وجاء عقيبها الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخالطه من الطين الذي تأقي به السيول فاذا انتهت زيادته غشي أرض مصر فتصير القرى التي في الاقاليم فوق التلال والروابي وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل اليها الا في المراكب او من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها اذا عملت كما ينبغي ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهي ري كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا تكامل ري ناحية من النواحي قطع اهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند دخوله البلاد ومشايخها في اوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهده قوائن كل ناحية من النواحي فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى في زماننا هذا وقد حكى أنه كان يرصد له عمارة جسور أراضى مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على عمالها رى البلاد الذي به مصالح العباد وستقف ان شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من اعمال القديما ومن بعدهم في ذلك وكان للامقياس في الدولة الفاطمية رسوم لكنس مجارى الماء خمسون دينارا في كل سنة تطلق لابن ابى الرداد

* (ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل) *

اعلم انه كان في النيل جسر من سفن فيما بين القسماط والجزيرة يعرف اليوم بالروضة وكان فيما بين الجزيرة والجزيرة أيضا جسر في كل جسر منها ثلاثون سفينة

* (ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم) *

قال الرئيس ابو علي ابن سينا عفا الله عنه وقوم يفرطون في مدح النيل افرطاشديدا ويحمدون محامده في أربعة بعد منبعه وطيب مسلكه وغوره وأخذه الى الشمال عن الجنوب فأخذه الى الشمال عن الجنوب ماءه لما يجري فيه من المياه وأما غوره فيشاركه فيها غيره قال فأفضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن مياه العيون الحرة الارض التي لا يغلب على تربتها شئ من الاحوال والكميفات الغريبة او تكون حجرة

فككون اولى بأن لاتعفن عفونة الارضية لكن التي هي من طينة حرة خير من الحجرية ولا كل عين حرة بل التي هي مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما يكسب الجارية فضيلة وأما الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداءة لا تكسبها بالغور والستر * واعلم أن المياه التي تكون طيبة المسيل خير من التي تجرى على الاجار فان الطين ينقى الماء ويأخذ منه الممزوجات الغريبة ويروقه والحجارة لاتفعل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيله حراً الاحماء ولاسبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمراً شديداً الحجرية يحيل بكثرة ما يخالطه الى طبيعته فان كان يأخذ الى الشمس في جريانه فيجربى الى المشرق وخصوصاً الى الصيفي فمنه فهو أفضل لاسيما اذا بعد جدًا من ميدانه ثم ما توجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب ردىء خصوصاً عند هبوب ريح الجنوب والذي يتحد من مواضع عالية مع سائر الفضل افضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل انه حلوا ولا يشتمل النحر اذا خرج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتخلله بارداً في الشتاء حاراً في الصيف لا يغلب عليه طعم البتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشرايف سريعا لهرى ما يهرى فيه وطبخ ما يطبخ فيه قال الرئيس علاء الدين على بن ابى الحرم بن نفيس في شرح القانون هذه الحمائم التي ذكرها ليست علامات للحميد بل هي من الاشياء الموجبة لكونه محمودا وأحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة فساؤه اعظم دائرة في الارض بثلاثمائة درجة وستين وابتداء هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقة من اول العمارة من جهة المغرب وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخمسين دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة مما به اعظم دائرة في الارض ثلثمائة وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من اعين فيه ترمى كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة ومن كثر الشامية حيث البعد عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من البحيرتين اربعة انهار ترمى الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الانهار الثمانية في بحيرة وفي هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمتد ببلاد النوبة نهر آخر ابتداءه من غير مركزها على خط الاستواء كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون درجة ويلقى نهر هذه العين نهر النيل حيث البعد من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون دقيقة واذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلاد يقال له شطونوف يفرق هناك الى نهرين يرميان الى البحر المالخ احدهما يعرف ببحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندرية وثانيهما يعرف ببحر دسياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يفرغ منه نهر يعرف ببحر اشمون يرمى الى بحيرة هناك وباقيه يرمى الى البحر المالخ عند دسياط وزيادة النيل هي من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم (واعلم أن الموزون من المستورات المنتجة من حال الماء فان الاخف في اكثر الاحوال افضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سينا من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجد ذلك قد اجتمع في ماء النيل * فأوله أن ماء النيل عين عتر على اراضى حرة ولا يغلب على ترابه ما يتر به شئ من الاحوال والكيفيات الردية كعباد النقط والشب والاملاح واليكاريات ونحوها بل يتر على الاراضى التي تنبت الذهب بدليل ما يظهر في الشطوط من قراضات الذهب وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربحوا منه ما لا وفضيلة كون الذهب في المالا تنكر * الثاني أن النيل في جريانه ابداء مكشوف للشمس والرياح * الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجمعة من امطار عتر على اراضى حرة ويظهر لذلك من عطرية روائح الطين اذا نديته بماء * الرابع غورة ماء النيل وشدة جريته التي تكاد تقصف العمدة اذا اعترضها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها * الخامس بعد مبدا خروجه من مصبه في البحر المالخ وقد تقدم

من طول مسافته ما لا تجد في نهر غيره من انهار المعمور * السادس انحداره من علوقان الجنوب من ترفع
عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجنادل انخط من اعلى جبل من ترفع الى وادي مصر * وذكر ابن قتيبة
في كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله البجلي * حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله
يلتسئ فذكره الى أن قال وماؤنا يمنع ان يجري من علوق قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الماء السقم اي
ما كان ظاهرا على وجه الارض والسقم الماء على وجه الارض وكل شئ علاشياً فقد تسقمه مأخوذاً من
سنام البعير لعلوه وقال بعض المفسرين في قوله نه الى ومن اجه من تسنيم اي يزج بما ينزل من علوق * السابغ
أنه يمر من الجنوب الى الشمال فتسقبله ريح الشمال الطيبة دائماً * الثامن خفته في الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة
مع غيره من المياه خفف عنها في الوزن * التاسع عذوبة طعمه وحسن اثره في هضم الغذاء واحداً من المعدة
بحيث أنه يحدث بعد شربه جشاء وهذه صفات ان كنت ممن مارس العلم الطبيعى وعرف الطب فإنه يهظم عند
قدوم النيل وتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه * ويقال ان ذا القرنين كتب كتاباً فيه ما شاهد من عجائب
الدنيا فضمنه كل اعجوبة ثم قال في آخره وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر وقال بهض الحكماء لولا ما جعل
الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عنها عند
بدء الزراعة لفسد اقليم مصر وتعدرس سكانه لانه ليس فيه امطار كافية ولا عيون جارية تعم ارضه الا بعض
اقليم القيوم والله در القائل

واها هذا النيل اي عجيبه * بكر بمنزل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم * حتى اذا مامل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدأ يريد كما يريد ويرجع
وقال آخر

كان النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه
وقال تميم بن المعمر

يوم لنا بالنيل مختصر * ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجري كالخيول بنا * صعود وجيش الماء منهدر
وكأنما امواجه عكن * وكأنما داراته سرر
وقال ايضا

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد أوهض واستضحكا
فاشرب على غيم بصنع الدجى * يضحك وجه الارض لما بكى
وانظر لما النيل في مسده * كأنما صندل او مستكة
وقال آخر

والله مجرى النيل منه اذا الصبا * اريناه من برها عسكرا مجرا
بشط بنهر السهرية دبلا * وموج بنهر البيض هندية بتر
اذا مر حاكى الورد غضا وان صفا * حكي ماءه لونا ولو بهده مزا

وقال ابو الحسن محمد بن الوزير في تدرج زيادة النيل وعظم منفعة

ارى ابدأ كثيرا من قليل * ويدرا في الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسيب بخليج مال
زيادة اصبع في كل يوم * زيادة اذرع في حسن حال
وقال الشهاب احمد بن فضل الله العمري

بمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
في سفح روض بلنقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابن قلاؤس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حرة الشفق
غابت وألقت شعاعاً منه يخلفها * كأنما احترقت بالماء في الغرق
وللهلال فيها وفي لينفدها * في اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال بشرى الملك ابن المنجم

يا رب سامية في الجوقتها * امتد طرفي في ارض من الافق
حيث الغشمية في التميل معتزل * اذا رآها جبان مات للفراق
للشمس غاربة للغرب ذاهبة * بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن لامن دمة الشفق

وقال القاضي الفاضل رحة الله تعالى عليه وأما النيل فقد ملأ البقاع واتقل من الاصبع الى الذراع فكأنما
غار على الارض فغطاها وأغار عليها فاستعدها وما تخطاها فبا وجده مصر قاطع طريق سواء ولا مرغوب
مرهوب الاياه * ونيل مصر مخالف في جريه لغالب الانهار فاته يجرى من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك
الانهران فانهم يجريان كما يجري النيل وهما نهر مكران بالسند ونهر الاريط وهو الذي يعرف اليوم بنهر العاصي
في جهاه احد مدائن الشام * وقد عاب ماء النيل قوم قال ابو بكر ابن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية وأما ماء
النيل فخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من الشمس
أنها احرقته لاكل الاحراق بل أسخنه اسخناً طويلاً لئلا ترتفع الحرارة ولا تقوى عليه بحيث يندأ أجزاءه
الرطبة وتبقى أجزاءه الراسخة بل يعتدل عليه فصار مأوئاً لذلك حلواً جداً وصار كثرة شربه يهفن البدن ويحدث
البثور والدمامل والقروح وصار أهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى است فراغ الدم عن ابدانهم
في كل مدة قصيرة فمن كان عالماً منهم بالطبيعة فهو يحسن مداراة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل
والافهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثر والدمامل وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر
المياه قد صير له الطبخ قواماً هو أنخن من قوام الماء فصار اذا خالط الطعام في الابدان كثف فيها الفضول الردية
العفنة فيحدث من ذلك ما ذكرناه ودواء اهل مصر الذي يدفع عنهم ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفاكهة
الحامضة القابضة وأخذ الادوية المستفرغة لافضول ولوزادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبخها له
لصار ما لم ينزله ماء البحار الزاكدة التي لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو أوفق للزروع والمنابت
من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بأهم كثيرة من السودان ثم بصير الى أرض مصر وقد غسل ما في
بلاد السودان من العفونات والاساخ ويشق ما را بوسط أرض مصر من الجنوب الى الشمال الى أن يصب في
بحر الروم ومبدأ زيادته في فصل الصيف وتنتهي زيادته في فصل الخريف ويرتقي في الجوقته في اوقات مده
رطوبات كثيرة بالتحلل الخفي فيرطب ذلك ليس الصيف والخريف واذا امتد النهر فاض على أرض مصر فغسل
ما فيها من الاساخ والجيف الحيوانات وأزبالها وفضول الاجسام والنبات ومياه النقا واحذر جميع ذلك معه
وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار كثير من اجل سخاقتها وباض فيه من السمك الذي تربى فيه وفي مياه
النقا ومن قبل ذلك تراه في اول مده يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقا العفنة التي قد اجمع فيها
العرمض والطحلب واخضر لوناً من عفنها ثم يتعكر حتى بصير آخر امره مثل الحماة واذا صفا اجمع منه في
الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكروة وهذا من اوكد الاشياء في ظهور رداءة هذا الماء
وعفنه وقد بين بقراط وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما لطفته الشمس عيماً الامطار ومن شأن هذا الماء
أن يصل الى أرض مصر وهو في الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط به عفونات
أرض مصر زاد ذلك في استحالته ولذلك يتولد منه من انواع السمك شئ كثير جداً فان فضول الحيوانات والنبات
وعفونة هذا الماء ويض السمك يصير جميعها مواداً في تكون هذه السمك كما قال ارسططاليس في كتاب الحيوان
وذلك شئ ظاهر للحس فان كل شئ يتعفن يتولد من عفونة الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الدود والغارو والثعابين
والعقارب والزناير والذباب وغيرها بأرض مصر كثير افقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة

والطوبة الفضلية وانما ذات اجزاء كثيرة وان هواءها وماءها رديان وربما انقطع النيل في آخر الربيع واقل الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ غفنه الى ان يصير له رايحة منكورة محسوسة وظاهر ان هذا الماء اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تغير محسوسا وينبغي ان يستقى ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه أشد والعفونة فيه أقل ويصفي **ك**ل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه أما المخرورون في ايام الصيف فبالطباشير والطين الارمني والمغرة والنبق المروض والزعرور المروض والخل وأما المبرودون في ايام الشتاء فاللوز المتروك نوى الشمس والصعتر والشب وينبغي ان يتطف ما يروق ويشرب وان شئت أن تصفيه بأن تجعله في آنية الخرف والفخار والجلود وما يحصل من ذلك بالرشح وان شئت طبخته بالنار وجعلته في هواء الليل حتى يروق ثم تطف منه ما يروق واستعملته * واذا ظهرت فيه كفيات رديات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء في برودة الليل وصفه بأخلاق الادوية التي ذكرتها وأجود ما اتخذ هذا الماء أن يصفي مرارا وذلك بأن يسخنه او يطبخه ثم يبرده في هواء الليل ويقطف ما يروق منه فتصفيه أيضا بعض الادوية ثم تأخذ ما يروق فتجعله في آنية متصل في برد الليل وتأخذ الرشح فتشربه واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخرف والفخار المعمولين في طوبة والظروف الحجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفي الشتاء الاينة الزجاج والمدهون وما يعمل في الصيف من الفخار والخرف ويكون موضعه في الصيف تحت الاسراب وفي مخاريق ريح الشمال وفي الشتاء بالمواضع الحارة ويبرد في الصيف بأن يخاط معه ماء الورد ويؤخذ خرقة نظيفة وبشد فيها طباشير ويزر رجلاه أو خشنهاش ايضاً أو طين ارمي أو مغرة ويلقى فيه كيمياً يأخذ من بردها ولا يخاططه جسمها وتغسل ظروفه في الصيف بالخرف المدقوق وبدقيق الشعير والباقلاء والصندل وفي الشتاء بالاشنان والسعد ويجز بالمصطكي والعود وأردأ ما يكون ماء النيل بمصر عند فيضه وعند ووقوف حركته فعند ذلك ينبغي ان يطبخ ويبالغ في تصفيته بقلوب نوى الشمس وسائر ما يقطع لزوجه وأجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد ومن أجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه حتى صار كثير منهم يحزنه في القوارير الزجاج والصيني ويشربه السنة كلها ويزعم انه لا يتغير وصاروا أيضاً لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص وأما أنت فلا تسكن الى ذلك وصفه على اى حالة كان فالماء المخزون لا بد أن يتغير فهذا ما عدى من ذم ماء النيل وحاصله أن الماء تتغير كيفيته بما يتر عليه لأن ذاته ردية فلا يهولئك ما تسمع فما الامر الا ما قلت لك واذا كان الضرر بحسب ما تغير من كيفيته لا من كَيْتِه فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول ما يخاططه من الكيفيات الردية والله الموفق بحسنه وكرمه

* (ذكر عجائب النيل) *

ومن عجائب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة ومسافة ما بين دقته الى اول بلاد علوة اكثر مما بين دقته واسوان وفي ذلك من القري والضياع والجزائر والواشي والتخل والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما في الجباب الذي يلي أرض الاسلام * وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة ايام فيها الحيات والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش وماء النيل ينعطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى مغربها مسافة ايام حتى يصير الصعيد كالمتحدر وهى الناحية التي تبلغ العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشتكة وهى بلد معروف بشنقير ومنه يخرج القمرى وفرس البحر يكثر في هذا الموضع * وحدثني سميون صاحب عهد علوة أنه أحصى في جزيرة سبعين دابة منها وهى من دواب الشطوط في خلق الفرس في غلظ الجساموس قصيرة القوائم لها خف وهى في ألوان الخيل بأعراف وأذان صغار كآذان الخيل وأعناقها كذلك وأذنانها مثل اذنان الجواميس ولها خرطوم عريض يظن الناظر اليها أن عليها مخللة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تساح وتعترض المراكب عند الغضب فتعزقها ورعيها في البر العشب وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى * وهو كفرس البر الا انه اكبر عرفاً وذنبا وحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجشته أكبر من الجمار قليل وهو ياكل التساح **ك**لا ذريعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر فيسول بينهما فرس في غاية الحسن * واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض فترا على الحجرة فحملت منه وولدت مهورا

عجيب الصورة فطمع في مهر آخر فحشا بالبحر والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من الماء وشتم المهر ساعة
 ثم وثب الى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا فلم يجد الفرس ولا المهر اليه * (قال
 المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة نحو
 الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخر اجهامان
 شبكتها ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانما ان جعلت على رأس من به صداع
 شديدا أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحري الذي يحدث
 الخدر وزعم قوم انه اذا ادنى من رأس من يشتمكي الصداع سكن صداعه وان أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدة
 اصلحها ولكن اناجرت الامر من جميعا فلم أجده يفعل ولا واحد منهم ما فقه كرت اني ادنيه من رأس المصدوع
 والحيوان ما هو حي لا نتي ظننت انه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته
 ينفع مادام حيا قال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة اذا وضعت على الرأس الذي عرض له الصداع المزمن
 سكن شدته وجعه واذا احمله ذوا المقعدة التي تبرز الى خارج اصلحها وقال يونس الزيت الذي يطبخ فيه يسكن
 اوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به قال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة
 عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعلها في تخدير ما سكها كفعول رعاد مصر وأشد
 الا انها لا تؤكل ألبتة وقال بعضهم اذا علق المرأة شيا من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان
 علق منها الرجل عليه لم تكلم المرأة ان تفارقه * والسقنقور وهو صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل
 السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس وذنب التمساح سخيف
 مضرس ويتعالج بشحم السقنقور للجماع ولا يكون بمكان الا في النيل وفي نهر مهران من أرض الهند ولقد
 بلغني أن أقوا ماشووها وأكلوا منها فأتوا كلهم في ساعة واحدة * والسقنقور قال ابن سينا هو ورن يصاد
 من نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح وأجود ما يصطاد في الربيع وقال آخر انه فرخ التمساح فاذا خرج
 من البيض خاف صدم الماء صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن البيطار هو جنس من الجراد
 يجفف في الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذي يلي ككلاء بشراب انمض الجماع وهو شديد
 الشبيه بالورن يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدا وهو مما يسعي في البر ويدخل في الماء يعني
 النيل ولهذا قيل له الورن المائي لشبهه به ولدخوله في الماء وهو يتولد من ذكر وأنثى ويوجد للذكر خصيتان
 كخصيتي الديك في خلقهما وموضعهما وانثى تبيض فوق العشرين بيضة وتدفها في الرمل وللدكر من السقنقور
 احاملان وللأنثى فرجان والسقنقور يعرض الانسان ويطلب الماء فان وجدته دخل فيه وان لم يجده بال وتمزغ
 في بوله واذا فعل ذلك مات العضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان سبق العضوض الى الماء فدخله قبل
 دخول السقنقور والماء وتمزغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم العضوض والافضل الذكرك منه والابلق في نفع
 الباهل هو المخصوص بذلك دون الأنثى واختار من أعضائه ما يلي اصل ذنبه ومحاذي سترته والوقت الذي
 يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هائجا للسهة فيكون في هذا الوقت ابلغ نفعا فاذا أخذ ذكي في يوم صيده فانه
 ان ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير استئصال ويشق جوفه طولا
 ويلقى ما فيه الا كلاء وكيسه فاذا انطفئ حشيه ملحا وخيط الشق وعلق منكوسا في نخل معتدل الهواء حتى يجف
 ويؤمن فسادا ثم يرفع في اناء متخزقة للهواء كالسلال المضفورة من قضبان شجر الصفصاف والخصوص ونحوه
 الى وقت الحاجة ولحمه طري حار رطب والجفف أشد حرارة وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار
 يابس وانما يوافق ذوى الامزجة الباردة الرطبة وخاصة لحمه وشحمه انما ض شهوة الجماع ويهيج الشبق
 ويقوى الانعاط وينفع امراض العصب الباردة وخاصة ما يلي سترته ومحاذي ذنبه وينفع مفردا ومركبا
 واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلاد
 والوقت الحاضر يسحق ويذاب بشراب أو ماء العسل أو نقيع الزبيب أو يذر على صفرة بيض الدجاج التمرشت
 ويتحشى وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم الى درهمين وذر على صفرة البيض بمفرده أو مع مثله بزر
 جرجير مسحوق ولا يوجد السقنقور الا في بلاد الفيوم خاصة واكثر صيده في الاربعينات اذا اشتد البرد وخرج

من الماء الى البر فحينئذ يصاد * وقال المسعودي والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء واتهمى وطوء الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات لعيه الزرع وذلك أنه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرى من ذلك الذي قدره عاهشياً في ممره واذ ارعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبث ذلك مرة ثانية واذا اكثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحواله من الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكان كثره مبدراً ميسوفاً كانه ثم يعود الى الماء فاذا شرب منه ربا الترمس في جوفه وانتفخ فينشق جوفه منه ويموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى به تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجهته واسعة * وقال المسيحي ان الصنف المعروف بالبطي من اصناف السمك اقل ما عرف بنيل مصر في ايام الخليفة العزيز بالله نزار بن العزيز بالله ولم يكن يعرف قبله في النيل وظهر في ايامه أيضاً سمك يعرف بالليس وانما سمى بالليس لانه يشبه البوري الذي بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن انهم من اسماك البحر الملح دخلت في الحلو * ومن حيوان البحر التمساح قال ابن البيطار التمساح حيوان معروف يكون في الانهار والكبار وفي النيل كثيراً ويوجد في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورن النيل وقال بن زهران كل حيوان يحترق فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمساح فانه يحترق فكه الاعلى دون الاسفل وشحم التمساح اذا عجن بالسمن وجعل فيه قتيله واسرج في نهر أو أجرة لم ينطق ضفادعها مادامت تقدر وان طيف بجملد تمساح حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد في تلك القرية واذا عض التمساح انساناً فوضع على العضة شحم التمساح برأ من ساعته وان اطح بشحمه جهة كبش نطاح ففرك كل كبش بناطحه وهرب منه وممراته يكتمل بها البياض في العين فيذهبه وكبدته يخرجهما المجنون فيبرأ وزبل التمساح يزيل البياض من العين الحديث والقديم وان قلعت عيناه وهو حي وعلقت على من به جذام أو قفه ولم يزد عليه شيء وان علق شيء من التي بالجانب الايمن على رجل زاد في جماعه وعينه اليمنى لمن يشتمكي عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشتمكي عينه اليسرى وشحمه اذا اذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد في البهائم واذا أخذ دم التمساح وخلط به هليلج والبلج وطل به على الوضع اذهبه وغير لونه واذا طلى به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا اكل لحمه اسفيد باجاسمن البدن الخفيف وشحمه اذا قطر بعد ان يذاب في الاذن الوجعة تنفعها وان ادمن قطيره في الاذن نفع من الصمم واذا دهن به صاحب محي الربع سكنت عنه ولحمه رديء الكيموس وقال المسعودي وكذلك التمساح آفته من دويبة تكون في سواحل النيل وجرائره وهو أن التمساح لا يدبر له وما يأكله يتكون في بطنه دوداً فاذا اذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغراً فاه فينتض اليه طير الماء وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة قد كتمت في الرهل فتنب الى حلقة وتصير الى جوفه وتخرج فيخبط بنفسه الى الارض ويطلب قعر النيل حتى تأتى الدويبة على حشو جوفه ثم تحرق جوفه وتخرج ورماً قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب ويقال ان يجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها او كان التمساح لا يستطيع القرب حوله بل كان اذا بلغ حدوده اقلب واستلقى على ظهره فيعذب به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدينة ثم يعود مستويًا ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله ويقال ان التمساح يبض كبض الاوز ورماً قتل فيه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة اذرع وتزداد طولاً كلما عرت والتمساح يرتعش ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للنافض

* (ذكر طرف من مقدمة المعرفة بحال النيل في كل سنة) *

قال ابن رضوان في شرح الاربع وقد يحتاج امر النيل الى شروط منها أن تكون الامطار متوالية في نواحي الجنوب قبل مده وفي وقت مده ولذلك وجب ان يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين في مدخل الصيف كثير الزيادة لطوبة الهواء ومتى كان المريخ او بعض المنازل في ناحية الجنوب في مدخل الربيع

او الصيف كان قليلا ثقلة الامطار في تلك الناحية ومنها ان تكون الرياح شمالية لتوقف جريه فأما الجنوبية فانها تسرع المجدارة ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في ناحية الجنوب من كثرة الامطار او قلتها وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصل الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب والجذب وقال ابوسامر ابن يونس المنجسم عن بطليموس اذا أردت أن تعلم مقدار النيل في الزيادة والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت احوالها جيدة وهي برية من النحوس فالنيل يمتد وتبلغ الحاجة به وان كانت احوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفة فأنكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض توسط الحال في النيل والضابط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل وضعفها على توسطه واتحاشها او احتراقها أو وقوعها في بعدها الا بعد من الارض على النقص وانه قليل جدا الا أن احتراق الزهرة في برج الاسد يستمر الماء من الجنوب وقال ابو معمر بنطر عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر فان كانت في سيرها الاكبر فان زيادة النيل عظيمة وان كانت في سيرها الاوسط فاعرف كم اكثرت سيرها وكم اقله وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها في مسيره الاكبر وبعضها بطيء السير فغلب اقوالها وامزج الدلالة وقل بحسب ذلك * وقالت القبط ينظر اول يوم من شهر برمودة ما الذي يوافقه من ايام الشهر العربي فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل من الاذرع في تلك السنة قالوا ومن المعتبر أيضا في امر النيل أن تنظر اليوم الذي تظفر فيه النصارى بالعاقبة بمصر وما بقي من الشهر العربي فزد عليه اربعا وثلاثين فما بلغ أسقطه اثني عشر فان بقي بعد ذلك الاسقاط من العدد زيادة على اثني عشر فهو زيادة النيل من الاذرع في تلك السنة مع الاثني عشر وان بقي اثني عشر فهي سنة رديئة قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربي موافقا لشهر أيب والقمر في برج العقرب فان كان مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا والافهو جيد قالوا وينظر اول يوم من بؤنة فان هبت الريح شمالا في بكرة النهار كان النيل عاليا وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت آخر النهار كان نيل قاصرا وان لم تهب لم يطلع تلك السنة وقيل يعتبر هكذا اول خيس من بؤنة * ومن المعتبر الذي جرت به أناسين وأخبرني بعض شيوخنا أنه جرت به وأخبره به من جرت به فصح أن ينظر اول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة وبما اشهر عندها هل مصر وجرت به ايضا فصح أن يؤخذ قبل عيد ميكائيل بيوم في وقت الظهر من الطين الذي مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء وترفع في اناء مغطى الى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنها من الخراب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر عدد ذلك الخراب لكل خزوة ذراع ومن ذلك أخذ شيء من دقيق القمح وعجنه بماء النيل في اناء فخار وقد عمل من طين مر عليه النيل وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكائيل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اختر بنفسه كان النيل تاما وافيا وان وجد لم يتقدرل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل الى الهواء فان هبت طيا بافهو نيل كبير وان هبت غير طياب فهو نيل مقصر لا سيما ان هبت مريسا فانه يكون نيل كاف والشان عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد فأما اذا اختلف فالجواب لا يكاد يصح * وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيري في كتاب الاثمار الباقية عن القرون الخالية وذكر اصحاب التجارب أنه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموزا حدث شهر الروم وهي آخر أيام الباعور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها لا يحول بينه وبين السماء شيء فان كل ما لا يزكو في تلك السنة من الزرع يصبح اصفر وما يصلح ريعه منها يبقى أخضر وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جرت به اناء على ما أفادني بعض الكتاب انه اذا حصل مطر ولو قل في شهر بابة ينظر ما ذلك اليوم من الشهر القبطي فانه يبلغ سعر الوية القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من ايام شهر بابة وأول ما جرت به هذا انه وقع مطر في بابة يوم الخميس الخامس عشر منها فبيعت الوية تلك السنة بخمسة عشر درهما

* (ذكر عيد الشهيد) *

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من انزه فريح مصر وهو اليوم الثامن من بشنس احد شهر القبط

ويرغمون أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقى النصارى فيه تابوتاً من خشب فيه اصبع من اصابع
اسلافهم الموقى ويكون ذلك اليوم عيداً ترجل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها
ويخرج عامة اهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر ولا يبقى
معق ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بنى ولا مخنت ولا ماجن ولا خليع ولا فانتك ولا فاسق
الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصىهم الا خالقهم وتصرف اموال لا تحصر وتجاهر هناك بما لا يحقل
من المعاصي والفسوق وتشورفتن وتقتل اناس ويباع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما ينفى على مائة ألف
درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهباً باع نصراني في يوم واحد بأثنى عشر ألف درهم فضة من الخمر وكان
اجتماع الناس لعيد الشهيد دائماً بناحية شبرى من ضواحي القاهرة وكان اعتماد فلاحى شبرى دائماً في وفاة الخراج
على ما يدعيه من الخمر في عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سنة اثنتين
وسبع مائة والى السلطان يومئذ يار مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس
الجاشنكير وهو يومئذ استاذ ارا السلطان والامير سيف الدين سلاو نائب السلطنة يدار مصر فقام الامير بيبرس
في ابطال ذلك قياماً عظيماً وكان اليه امور يار مصر هو والامير سلاو والناصر تحت حجرهما لا يقدر على شئ بظنه
الامن تحت ايديهما فقدم امر الامير بيبرس أن لا يرمى اصبع في النيل ولا يعمل له عيد ونذب الحجاب ووالى
القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتب الى
الولاة باجهار النداء واعلانه في الاقاليم بأن لا يخرج احد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك
على اقباط مصر كلهم من اظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ومن هو باق على نصرانيته ومشى بعضهم الى بعض
وكان منهم رجل يعرف بالناس بن سعيد الدولة يدعى الكتاب وهو يومئذ في خدمة الامير بيبرس وقد احتوى
على عقله واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر وامرائها من الازال في الانقياد لكتابهم من القبط
سواء منهم من آمن بالكفر ومن جهر به * وما زال الاقباط بالتاج الى أن تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك
وخيل له من تلف مال الخراج اذا بطل هذا العيد فان أكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل العيد
لم يطلع النيل ابداً ويحزب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول وتغنى المكرفيت الله الامير
بيبرس وقوا حتى اعرض عن جميع ما زخره من القول واستمر على منع عمل العيد وقال للتاج ان كان النيل
لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فمكذب النصارى فبطل العيد من تلك
السنة ولم يزل منقطعاً الى سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة وعمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجسر في بحر النيل
ليرمى قوة التيار عن بر القاهرة الى ناحية الجزيرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطاب الامير بلبغا الحيماوى
والامير الطنبغا المارديني من السلطان أن يخرجوا الى الصيد ويغيما مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامهما
وتمتكت في محبتهم وأراد صر فهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون تفرجكم عليه أنه
من خروجهما الى الصيد وكان قد قرب اوان وقت عيد الشهيد فرضيا منه بذلك وأشيع في الاقليم اعاده عمل عيد
الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة بعمله فيه ركب الامراء النيل في الشخاير بغير حرايق واجتمع الناس
من كل جهة وبرز ارباب الغناء واصحاب اللهو والخلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم
المجاهرة به من انواع المنكرات وتوسع الامراء في تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعاً خرجوا
فيه عن الحد في الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرة واستمر واعي ذلك ثلاثة ايام
وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ ابطاله الامير بيبرس الى أن أعاده الملك الناصر ستاً وثلاثين سنة واستمر
عمله في كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبع مائة تحرك المسلمون على النصارى وعملت اوراق
بما قد وقف من اراضى مصر على كنائس النصارى ودياراتهم وألزم كتاب الامراء بتكرير ذلك وحمل الاوراق
الى ديوان الاحباس فلما تحترق الاوراق اشتعلت على خمسة وعشرين ألف فتدان كلها موقوفة على الديارات
والكنائس فغرضت على امراء الدولة القائمين بتدبير الدولة في ايام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وهم الامير
شيخو العمري والامير صرغتمش والامير طاز فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعهم
وألزم النصارى بما يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنائس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب

عند ذكر الكائن فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والامير علاء الدين على بن الكوراني والى القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصر فهدمت كنيسة النصرى وأخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح واحرق بين يديه في الميدان وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذه النصرى فبطل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد ولله الحمد والمنة

*** (ذكر الخليجان التي شقت من النيل) ***

اعلم أن النيل اذا انتهت زيادته ففتحت منه خليجان وترع يتخزق الماء فيهما يمينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل واكثر الخليجان والترع والجسور والاخوار بالوجه البحرى وأما الوجه القبلى وهو بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت معالمه ودرست رسومه من هنالك والمشهور من الخليجان خليج منبجا * وخليج منف وخليج المنى وخليج اشهم وطناح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دميماط وخليج القاهرة وبحر أبى المنبجا وخليج النصرى ظاهر القاهرة * قال ابن عبد الحكم عن ابى رهم السماعى قال كانت مصر ذات قناطر وجسور تقدير وتدبير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وافئنتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى عما حكى عن قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلات تبصرون ولم يكن يومئذ فى الارض ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات يجافى النيل من اوله الى آخره فى الجانبين معا جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسبع خيل خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دميماط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنى وخليج سردوس جنات متصلة لا يقطع منها شئ عن شئ والزرع ما بين الجانبين من اقل مصر الى آخرها مما يبلغه الماء (وكان جميع ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا للماء ذراعا وادبروا من قناطرها وخليجها وجسورها فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر (خليج سخا) وخليج سخا حفره ندارس بن صا بن قبطيم بن مصرام بن بصير بن حام بن نوح وهو أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر فى الدهر الاول * قال ابن وصيف شاه ندارس الملك الاول من ملوك الاحمراز كلها بعد ابيه صاوصفاله ملك مصر وكان ندارس محتسكا بحرب اذ ايد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل وأهلها قايما ما حسنا ودبر جميع الاحياز ويقال انه الذى حفر خليج سخا وارتفع مال البلاد على يده مائة ألف دينار وخسين ألف دينار وقصده بعض عمالقة الشام فخرج اليه واستباحه ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض حكمائها وأسكنهم مصر وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملوك طمع السودان من الزنج والنوبة فى ارضه وعانوا وافسدوا وجمع الجيوش من اعمال مصر وأعد المراكب ووجه قائدا يقال له فلوطس فى ثلثمائة ألف وقائدا آخر فى مثلها ووجه فى النيل ثلثمائة سفينة فى كل سفينة كاهن يعمل اعجوبة من العجائب ثم خرج فى جيوش كثيرة فلقى جميع السودان وكانوا فى زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل اكثرهم ابرح قتل وأسر منهم خلقا وتبعتهم جيوشه حتى وصلوا الى ارض القيلة من بلاد الزنج فأخذوا منها عتدة ومن النجور والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حدود بلاد منارا وبرز عليه مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه ومات بمصر فدفن فى ناووس نقل اليه شيئا كثيرا من اصناف الكواكب ومن الذهب والجوهر والصيغة والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه ظلمات تمنع منه وعهد الى ابنه مالبى بن ندارس (خليج سردوس) حفره همامان قال ابن وصيف شاه طلبا بن قومس الملك جلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان فى خزائهم وهو الذى تذكر القبط انه فرعون موسى * فأما أهل الانتر فيزعمون أنه الوليد ابن مصعب وانه من العمالقة وذكر وان الفرانة سبعة وكان طلبا فيما حكى عنه قصيرا طويلا اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى فى جبينه شامة وكان اعرج وزعم قوم انه من القبط ونسب أهل بيته مشهور عندهم وذكر آخرون انه دخل منف على اثنان عليها نظرون جاء لبيعه وكانوا قد اضطربوا فى تولية الملك فرفضوا أن يملكوا عليهم اقل من يطرا من الناس فلما رأوه ملكوه عليهم ولما جلس فى الملك بذل الاموال وقرب من اطاعه وقتل من خالفه فاعتدل امره واستخلف همامان وكان يقرب منه فى نسبه وأثار بعض الكتوز مصر فيها فى بناء المدائن والعسمارات وحفر خليجانا كثيرة ويقال انه الذى حفر خليج سردوس وكان كلما عرجه الى قرية من قرى الحوف حمل اليه أهلها مالا حتى اجتمع من ذلك مال كثير فأمر برده على أهله * وقال ابن عبد الحكم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سر دوس فلما ابتدأ
حفره أنام أهل كل قرية يسألونه أن يجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه
القرية من نحو الشرق ثم يرده الى قرية من نحو دبر القبله ثم يرده الى قرية في الغرب ثم يرده الى أهل قرية في القبله
وبأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله الى فرعون فسأله عن ذلك
فأخبره بما فعل في حفره فقال له فرعون ويحك انه ينبغي للسيد أن يعطف على عبادهم ويقبض عليهم ولا يرغب
فيما بأيديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم فردّه كله على أهلّه قال فلا يعلم بمصر خليج اكثرا عطا فامنه
لما فعل هامان في حفره وكان هامان ببطيا (خليج الاسكندرية) قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى منارة
الاسكندرية فليطيرة الملكة وهي التي ساقّت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يدخلها الماء كان يعدل
من قرية يقال لها كسافالة الكريون فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعته وقال الكندي
ان الحارث بن مسكين قاضي مصر حفر خليج الاسكندرية وقال الاسعد بن ممان في كتاب قوانين الدواوين
خليج الاسكندرية عليه عدة ترع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وسماثة قصبة وعرضه من قصبتين
ونصف الى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان قصر اقصر مدته اقامته فيه
وان كان عاليا اقام فيه ما يزيد على شهرين * ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوى المعرفة يقولون انه اذا
علت من قبالة منية تيج الى تيج زلاقة استقر الماء فيه صيفا وشتاء ورأيت البحيرة جميعها وحوف ودميس
والكفور والشاسعة وقد زرعت عليه القصب والقاقص والنيلة وأنواع زراعة الصبني وتجرى مجرى بحر الشرق
والخلة وتضاعفت عليه البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقة ممكنة لوجود الحجارة في ربوة والطوب في البحيرة
وانهم قدروا ما يحتاج اليه فوجدوه يناهز عشرة آلاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة
وكان السمك فيه غاية من الكثرة بحيث تصيده الاطفال بالخرق فضمنه بعض الولاة بمال ومنع الناس من صيده
فقدم منه السمك ولم يربعد ذلك فيه سمكة فصار يخرج بالشباك (خليج الفيوم والمنيا) مما حفره نبي الله يوسف
الصادق عليه السلام عندما عمر الفيوم كما هو مذكور في خبر الفيوم من هذا الكتاب وهو مشتق من النيل
لا يتقطع جريه أبدا واذا قابل النيل ناحية دورة سريام التي تعرف اليوم بدورة الشريف يعني ابن يغلق النائب
في الايام الظاهرية يبرس تشعبت منه في غريبه شعبة تسمى المنهل تستقل نهر ا يصل الى الفيوم وهو الآن
عرف بحجر يوسف وهو نهر لا يتقطع جريانه في جميع السنة فيسقى الفيوم عامة سقياد انما ثم ينجر فضل مائه
في بحيرة هنالك ومن العجب انه يتقطع ماؤه من فوهته ثم يكون له بال دون المكان المندي ثم يجري جريا ضعيفا
دون مكان الببل ثم يستقل نهر اجاريا لا يتقطع الا بالسفن ويتشعب منه انهار وينقسم قسمي يوم يسقى
قراه ومن ارضه وبساتينه وعامة اما كنهه والله أعلم (خليج القاهرة) هذا الخليج بظواهر القاهرة من جانبها الغربي
فيما بيننا وبين المقس عرف في اول الاسلام بخليج امير المؤمنين وتسميه العامة اليوم الخليج الحماكي وبخليج اللولة
وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن مانيأ أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذي قدم ابراهيم
الخليل صلوات الله عليه في ايامه الى مصر وأخذ منه امرأته سارة وأخذ منها هاجر أم اسماعيل صلوات الله
عليهما فلما اخرجها ابراهيم هي وابنها اسماعيل الى مكة بعثت الى طوطيس تعرفه انما يمكن جذب وتستغيثه
فأمر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الخنطة وغيرها الى جدة فأحيا بلدا الحجاز ثم ان اندرو مانوس
الذي يعرف بابيليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن قلس المحدث حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن
وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف واربع مائة سنة ثم ان عمرو بن العاص رضي الله عنه جدد حفره لما فتح مصر
واقام في حفره ستة أشهر وجرت فيه السفن بحمل الميرة الى الحجاز فسمى خليج امير المؤمنين يعني عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فانه هو الذي اشار بحفره ولم تزل تجرى فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التي
كانت على حافة البحر الشرق حيث الموضع الذي يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان يصب ماء النيل
في البحر من عند مدينة القلزم الى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بطمه في سنة خمس ومائة فطم وبقي منه
ما هو موجود الآن وسيأتي الكلام عليه مبسوطا ان شاء الله تعالى عند ذكر ظواهر القاهرة من
هذا الكتاب (بحر أبي المنجا) هذا الخليج تسميه العامة بحر أبي المنجا الذي حفره الافضل بن امير الجيوش

في سنة ست وخمس مائة وكان على حفره أبو المنجب بن شعيب اليهودي فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند
ذكر مناظر الخلفاء ومواضع نزلهم من هذا الكتاب (الخليج الناصري) هذا الخليج في ظاهر المقس حفره الناصر
محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب

* (ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول) *

قال المسعودي وقد كانت ارض مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم يركب ارضها ماء النيل
وينسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط في وقتنا هذا وكان بدء ذلك من موضع
يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبة الى أن عرض لذلك موانع من اتقال الماء وجريانه وما يتصل من النوبة بتباره
من موضع الى موضع فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر وسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب
عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا الماء وحفروا له الخللان وعقدوا
في وجهه المسببات الى أن خفي ذلك على ساكنيها لا أن طول الزمان ذهب بمعرفة أول سكناهم كيف كان انتهى
قلت وما ذكر أرسططاليس في كتاب الآثار العلوية أن ارض مصر كان النيل ينسط عليها فيطبقها كأنها بحر
ولم يزل الماء ينضب عنها ويبيس ما علم منها أولا فاقولا ولا ويسكن الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس ويقال
أن الناس كانوا قبل سكني مدينة منف يسكنون بسفح الجبل المقطم في منازل كثيرة نقروها وهي المغاير التي
في الجبل المقابل لمنف من قبلي المقطم في الجبل المتصل بدير القصور الذي يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرى
ومن وقف عند اهرامهم يراى المغائر في الشرق وبينهما النيل ومن صعد من طر الى الجبل وسار فيه دخلها وهي
مغاير متسعة وفيها مغائر تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها أهل مدينة واذا دخلها أحد ولم يمتد على ما يده على
المخرج هلك في تحيره ويقال كانت مصر جردا لا نبات بها فاقطعها متوشلح بن اخنوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان
ابن افوس بن نسب بن آدم لطائفة من اولاده فلما نزلوها وجدوا فيها قدس متما بين الجبلين فنضب الماء عن ارض
زروعها فأخرجت الارض بركتها ثم بعد زمان اخذها عن مقام الاول بن عرياب ابن آدم بالغلبة ونسل بها خلقا
عظيما وجهز لقتال اولاد بردسبعين ألف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه اربعون قصبة لينع من
يأتيه فأناه بنو برد فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على ارض مصر نارا

* (ذكر أعمال الديار المصرية وكورها) *

اعلم ان ارض مصر كانت في الزمن الاول الغابر مائة وثلاثا وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمس
وستون كورة فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وعشرين كورة ثم تناقصت حتى جاء الاسلام
وفيهما اربعون عامرة بجميع قراها لا تنقص شيئا ثم استقرت ارض مصر كلها في الجبل على قسمين الوجه القبلي
وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر * وقد قسمت
الارض جميعها قبليه او بحري بها على ستة وعشرين عملا وهي الشرقية والمرتاحية والدقهلية والايوانية ونغر
دمياط * الوجه البحري جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدخاوية والمنوفية والستراوية وقوه
والمزاحيتين وجزيرة بني نصر والبحيرة واسكنندرية وضواحيها وحوف دمسيس * والوجه القبلي البحيرة
والاطفيحية والبوصيرية والفيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاشخمية
والقوصية وهي أيضا ثلاثون كورة وهي كورة الفيوم وفيها مائة وست وخمسون قرية ويقال انها كانت ثلاثمائة
وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخمسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة قرية
وقري اهناس ومنها قري وكون تادلاص وبوصيرت قري وكورة اهناس خمس وتسعون قرية سوى
الكفور وكورة البهنسا مائة وعشرون قرية وكورة الفشن سبع وثلاثون قرية وكورة طحاس سبع وثلاثون
قرية وحوز سنودة ثمان قري وكورة الاشمونين مائة وثلاث وثلاثون قرية وكورة أسفل انصنا احدى عشرة قرية
وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية وكورة شطب ثمان قري وكورة اعلا انصنا اثنا عشرة قرية وكورة قهوه سبع
وثلاثون قرية وكورة اخميم والدوير ثلاث وستون قرية وكورة السبابة والواحات ثلاث وستون قرية سوى
الكفور وكورة هو عشرون قرية وكورة فاو ثمان قري وكورة قناس سبع قري وكورة دندرة عشر قري وكورة قفط
ثمان وعشرون قرية وكورة الاقصر خمس قري وكورة اسنا خمس قري وكورة أرمنت سبع قري وكورة

اسوان سبع قرى بخميس قرى الصعيد ألف وثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور في ثلاثين كورة * كورة
أسفل الارض الخوف الشرقى خمس وستون قرية كورة اتراب مائة وثمان قرى سوى المنى والكفور كورة
بنو سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة ثمانمائة وخمسون قرية سوى المنى والكفور كورة بسطة
تسع وثلاثون قرية كورة طراية ثمان وعشرون قرية منها السدير والهامة وفاقوس كورة هريبط ثمان
عشرة قرية سوى المنى والكفور كورة صا وابليل ست واربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش بخميس
قرى الخوف الشرقى خمس مائة وتسع وعشرون قرية سوى المنى في سبع كور بطن الريف كورتا دميس
ومنوف مائة واربع قرى سوى المنى والكفور كورة تاطورة منوف اثنتان وسبعون قرية سوى المنى
والكفور كورة نخا مائة وخمس عشرة قرية كورة بيسه والافرا حون ثلاث وعشرون قرية سوى المنى
والكفور كورة البشرود أربع وعشرون قرية كورة نقر اثنا عشرة قرية سوى المنى كورة بينا وبوصير
ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمند مائة وثمان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة
نوسا احدى وعشرون قرية سوى المنى كورة الاوسية اربعون قرية سوى المنى كورة النجوم اربعون قرية سوى
المنى تنيس ودمياط ثلاث عشرة قرية سوى المنى وهى شئ كثير * الاسكندرية الخوف الغربى كورة صا ثلاث
وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة البندقون
ثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور كورة حيز البندقون تسع وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة الشراك والقرى
كورة ترنوط ثمان قرى كورة خربتا اثنان وستون قرية سوى المنى والكفور كورة قرطسا اثنان وعشرون
قرية سوى المنى والكفور كورتا مصيل والمليدس تسع واربعون قرية سوى المنى كورتا احنور ورشيد سبع
عشرة قرية البحيرة والخص بالاسكندرية والصكر ومات والبعل ومريوط ومدينة الاسكندرية ولوية
ومراقبه مائة واربع وعشرون قرية سوى المنى فالخوف الغربى أربع مائة وتسع واربعون قرية سوى المنى
في ثلاث عشرة كورة قال المسيحي في تاريخه تصير قرى مصر أسفل الارض الفا واربع مائة وتسع وثلاثين قرية
ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الارض ألفين وثلاثمائة وخمسا وتسعين قرية * وقال القاضي أبو عبد الله محمد
ابن سلامة القاضي أرض مصر قسمين فمن ذلك صعيدا وهو ما يلي مهب الجنوب منها وأسفل أرضا وهو ما يلي
مهب الشمال منها فقسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة فمن ذلك كورة القيقوم كلها وكورتا منف ووسيم
وكورة الشرقية وكورتا دلاص وأبوصير وكورة اهناس وكورتا الفشن والهنسا وكورة طحا وحيز سنوده
وكورة بويط وكورتا الاشموين وأسفل انصنا واعلاها وشطب قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقهه وكورتا
الخير والدير وابشاية وكورة هو وأقنا وفاو وندرة وكورة فقط والاقصر وكورة اسفنا وارمنت وكورة اسوان
فهذه كورة الصعيد ومن ذلك كورة أسفل الارض وهى خمس وعشرون كورة وفي نسخة ثلاث وثلاثون كورة
وفي نسخة ثمان وثلاثون كورة فمن ذلك كورة الخوف الشرقى كورتا اتراب وعين شمس وكورتا بنى ونى وكورتا
بسطة وطراية وكورة هريبط وكورة صا وابليل وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كور بطن الريف
من أسفل الارض كورة بينا وبوصير وكورتا سنود ووسا وكورتا الاوسية والنجوم وكورة دقهلة وكورتا تنيس
ودمياط ومنها كورة الجزيرة من أسفل الارض وكورة دميس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وبيدة
والافرا حون وكورة مقين ودبسا وكورة البشرود * ومن ذلك كورة الخوف الغربى كورة صا وكورة شباس
وكورة البندقون وحيزها وكورة الخيس والشراك وكورة خربتا وكورة قرطسا ومصيل والمليدس وكورتا
اخنا والبحيرة ورشيد وكورة الاسكندرية وكورة مريوط وكورة لويه ومراقبه * ومن كورة القبله كرى الحجاز
وهى كورة الطور وقاران وكورة راية والقلم وكورة ايله وحيزها ومدن وحيزها والعويند والحوراء وحيزها
ثم كورة بد او شغب * وذكر من له معرفة بالخراج وأمر الديوان انه وقف على جريدة عتيقة بخط ابن عيسى بن قطر
ابن شغا الكاتب القبطى المعروف بالبولس متولى خراج مصر للدولة الاخشيديية يشتمل على ذكر كور مصر
وقراها الى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ان قرى مصر بالصعيد اثنان وألفان وثلاثمائة وخمس
وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمائة وست وخمسون قرية وبأسفل الارض ألف واربع مائة وتسع وثلاثون قرية
وهذا عددها فى الوقت الذى جردت فيه الجرايد المذ كورة وقد تغيرت بعد ذلك بحراب ما خرب منها * وقال

ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه لما ولي الوليد بن رفاعه مصر خرج ليحصى عدة أهلها و ينظر في
تعديل الخراج عليهم فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسوان ومعه جماعة من الكتّاب والاعوان
يكفونه ذلك بجهد وتشهير وثلاثة أشهر بأسفل الأرض وأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحصر
في أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك خمسة آلاف
ألف رجل والذي استقر عليه الحال في دولة الناصر محمد بن قلاوون أن الوجه القبلي ستة أعمال وهي من قوص
وهو أجملها ومنه أسوان وغرب قولة وعمل اخميم وعمل بسيوط وعمل منفوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية
وعمل البنسايوية الغربي وهو عبارة عن قرى على غربي المنى المار إلى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفح وعمل
الجزيرة* والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرا وهو متصل بالبر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية جزيرة
واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المار بمسكبه عند دمياط ويسمى الشرقي والبحر الثاني مسكبه عند
رشيد ويسمى الغربي والمنوفية ومنها بيارو جزيرة بنى نصر وعمل قلوب وعمل الشرقية وعمل اسموم طناح
ومنها الدقهلية والمرتاحية وهما لموقع نجر البرلس ونجر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط
ولا عمل لهما* واما الواحات فمقطعة وراء الوجه القبلي مغاربة لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم
عليها والى السلطان وانما يحكم عليها من قبل مقطعتها والله تعالى أعلم

ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل
وتصريفه في أوقاته

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب وكانت فریضة مصر بحفر خلیجها واقامة جسورها وبناء قناطرها
وقطع جزائرهما مائة ألف وعشرين ألفا معهم المساحي والطوريات والاداة يعقبون ذلك لا يدعون شتاء
ولا صيفا* وعن أبي قبيل قال زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها
انهم كانوا يفترون القرى في ايدى أهلها كل قرية بكذا معلوم لا ينقص عنهم الا في كل أربع سنين من
اجل الظما وتنقل اليسار فاذا مضت أربع سنين نقص ذلك وعدل تعديلا جديدا فيرفق بمن استحق الرق ويزاد
على من احتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا جبي الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع
خالصا لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لجنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع
الثالث في مصلحة الأرض وما تحتاج اليه من جسورها وحفر خلیجها وبناء قناطرها والقوة للزراعيين على
زرعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفع ذلك للثابتة تنزل اوجائحه
بأهل القرية فكانوا على ذلك والذي يدفع في كل قرية من خراجها هي كنوز رفيعون التي يتحدث الناس بها
انها استطهر في طلبها الذين يتبعون الكنوز* وذكر ان بعض فراعنة مصر جبي خراج مصر اثنين وسبعين ألف
ألف دينار وان من عمارته انه ارسل وبيته قمح الى أسفل الأرض والى الصعيد في وقت تنظيف الأرض والترع
من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها وذكر انه كان عند تنهاى العمارة يرسل بربع وبيات برسيم
الى الصعيد والى أسفل الأرض والى أى كورة فان وجد لها موضعا طالبا فزرت فيه ضرب عنق صاحب
الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخا في مثلها والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ
فتكون عشرة برد في مثلها ولم تنزل الفراعنة تسلك هذا المسلك الى أيام فرعون موسى فانه عمرها عدلا وبما حجة
وتتابع الظما ثلاث سنين في أيامه قتل لاهل مصر خراج ثلاث سنين وأنفق على نفسه وعساكره من خزانته
ولما كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واستقر فاعتاض ما أنفق* وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى
عمر بن العاص رضى الله عنه ان اسئل المقوقس عن مصر من اين تأتى عمارتها وخرابها فساءله عمر وقال له
المقوقس عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم
ويرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ويحفر في كل سنة خلیجها وتسترعها
وجسورها ولا يقبل مطلق أهلها يريد البغي فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت* وعن زيد
ابن أسلم عن أبيه قال لما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمر بن العاص رضى الله عنه في الخراج كتب اليه
ان ابعث الى رجلا من أهل مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبط فاستخبره عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن

مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا امير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شيء الا بعد عمارتها واعاد ملك لا ينظر الى
العمارة وانما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريد لها الا ليعام واحد فعرف عمر رضي الله عنه ما قال وقيل من عمرو
ما كان يعتز به * وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه للمقوقس انت وليت مصر فبم تكون عمارتها قال بخصال
ان تحفر واخيلانها وتسدد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلتميا ولا يقبل مطل أهلها ويوفي لهم بالشروط
ويدر الارزاق على العمال لئلا يرتسوا ويرتفع عن أهلها المعاون والهدايا ليكون قوة لهم فبذلك تعمر ويرجي
خراجها * ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة اقسام قسم خاصة الملك وقسم لارزاق
الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها * ولما ولي عبيد الله ابن الحجاج خراج مصر
لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فشمع ارض مصر كلها عامرها وعامرها بما يركبه النيل فوجد فيها مائة ألف ألف
فدان والباقي استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجد هاستين يومها والحرث يحترث خمسين فداناً وكانت محتاجة
الى أربع مائة ألف وثمانين ألف حرث

* (ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول) *

قال ابن وصيف شاه وكان متقاسم قسم خراج البلاد أربع اقسام للملك خاصة يعمل فيه ما يريد ويرجع ينفق
في مصالح الارض وما يحتاج اليه من عمل الجسور وحفر الخلق وتقوية أهلها على العمارة ويرجع يدفن لحادثة
تحدث أو نازلة تنزل ويرجع للجند وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف الف دينار وقسمها على
مائة وثلاث كور بعدة الآلاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهي اليوم خمس
وثمانون كورة أسفل الارض خمس وأربعون كورة والصعيد أربعون كورة وفي كل كورة كاهن يدبرها وصاحب
حرب وارفع مال البلد على يد ندارس بن صا مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف الف دينار وفي أيام كلكن بن
خربتا بن مالىق بن ندارس مائة ألف الف دينار وبضعة عشر ألف ألف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من
مصر وملكها العمالقة اختل أمرها وكان فرعون الاول يجبيها تسعين ألف ألف دينار يخرج من ذلك عشرة
آلاف ألف دينار لمصالح البلد وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف وعشرة
آلاف ألف دينار لاولياء الامر والجند والكتاب وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح فرعون ويكنزون لفرعون
خمسين ألف ألف دينار * وبلغ خراج مصر في أيام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين
ألف ألف دينار فأحب ان يته مائة ألف ألف دينار فأمر بوجوه العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة في
استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه * وقال ابن دحية وجبت مصر في أيام الفراعنة فبلغت تسعين ألف
ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل من مثاقيلنا المعروفة الآن بمصر الذي هو أربعة وعشرون قيراطا
كل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون بحسب ذلك مائتي ألف ألف وسبعين ألف ألف دينار مصرية
وذكر الشريف الخزازي انه وجد في بعض البرابي بالصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان
يستخرج لفرعون يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد من أموال مصر بحق الخراج مما يوجب الخراج وسائر
وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تأويل ولا اصطهاد ولا مشاحة على
عظيم فضل كان في يد المؤدى رسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحالهم من العين
أربعة وعشرون ألف ألف دينار وأربع مائة ألف دينار وذكر ما فيه كافي خبر الحسن بن علي الاسدي * وقال
الحسن بن علي الاسدي اخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطني باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية ان مبلغ
ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذي يوجد وسائر وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف
والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة على عظيم فضل كان في يد المؤدى رسمه وبعد وضع ما يجب وضعه
لحوادث الزمان رفقا بالعاملين وتقوية لهم من العين أربعة وعشرون ألف ألف دينار وأربع مائة ألف دينار
من جهات مصر وذلك ما يصرف في عمارة البلاد لحفر الخلق واتقان الجسور وسد الترع واصلاح السبل والساسة
ثم في تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه به الاقامة العوامل والتوسعة في البدار وغير ذلك وعن
الآلات واجرة من يستعان به من الاجراء لجل الانصاف وسائر نفقات تطرئ اراضيهم من العين ثمان مائة ألف
دينار ولما يصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح وحملته والغلمان واشياعهم مع ألف كاتب موسومين

بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل من العين ثمانية
 آلاف ألف دينار وما يصرف في الارامل والايام فرضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا يفتلوا
 آما لهم من بزيصل اليهم من العين اربع مائة ألف دينار وما يصرف في كهنة برايتهم واثنتي عشرة ألف دينار وما يصرف في
 من العين مائة ألف دينار وما يصرف في الصدقات وينادي في الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة
 فليحضر فلا يرده عند ذلك أحد والامناء جلوس فاذا روي رجل لم تجر عاداته بذلك افر دبع قبض ما يقبضه حتى اذا
 فترق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة دخل امناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقاء والسلامة
 وأنهم احوال الطائفة المذكورة فبدأوا بتغيير شعنها بالحمام واللباس ويمتد الاسمطة وياكلون ويشربون ثم يستعلم
 من كل واحد سبب فاقته فان كان من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان واكثر وان كان عن سوء رأى وضعف تدبير
 ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذي يصلح له من العين ما يتألف دينار فذلك جملة ما تبين وفصل في هذه
 الجهات المذكورة من العين تسعة آلاف ألف وثمان مائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون في بيوت
 أمواله عدة لنواب الدهر وحادات الزمان من العين اربعة عشر ألف ألف دينار وست مائة ألف دينار وقيل
 لبعضهم متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار قال في الوقت الذي ارسل فرعون بويبة فتح الى اسفل الارض
 والى الصعيد فلم يجد لها موضعا تذر فيه لشغل جميع البلاد بالعمارة

* (ذكر ما عمل المسلمون عند فتح مصر في الخراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط) *

قال زهير بن معاوية حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق
 درهمها وقنيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر أدرها وعدتهم من حيث بدأتم قال أبو عبيد قد
 اخبرني رسول الله عليه وسلم بما لم يكن وهو في علم الله ككائن نخرج لفظه على لفظ الماضي لانه ماض في علم الله وفي
 اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضى الله عنه ما وظفه على الكفرة من
 الخراج في الامصار * وفي تفسير المنع وجهان * أحدهما انه علم انهم سيسلمون ويسقط عنهم ما رطف عليهم فصاروا
 مانعين باسلامهم ما وظف عليهم يدل عليه قوله وعدتهم من حيث بدأتم * وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة
 والاقول احسن * وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع
 من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ على دينارين
 دينارين فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف وعن هشام بن أبي رقية النخعي ان عمرو بن العاص
 لما فتح مصر قال لقطب مصر ان من كتمني كنز اعنده فقد ردت عليه قتله وان قبطيا من أرض الصعيد يقال له بطرس
 ذكر له عمرو ان عنده كنز فارسل اليه فساءله فأذكر وبجده فحبسه في السجن وعمر ويسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن
 أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو الى بطرس فترع حاتم ثم كتب الى ذلك الراهب
 ان ابعث الى عا عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلعة شامية محتومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة
 مكتوب فيها ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها
 فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبا مصر يامضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم
 شققا ان يبعي على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص استحل مال قبطي
 من قبط مصر لانه استقر عنده انه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين
 اردبا دنائير قال ابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث الى عمرو بن الخطاب رضى الله عنه
 بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خجلها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع
 جزائرهم مائة ألف وعشرين الفامعهم الطور والمساحي والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء
 ثم كتب اليه عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ان تختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهرها مناطقهم ويجزوا
 نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزية الاعلى من جرت عليه الموسى ولا يضربوا على النساء
 ولا على الولدان ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم * وعن يزيد بن أسلم ان عمرو بن الخطاب رضى الله عنه
 كتب الى امرأ الاجناد ان لا يضربوا الجزية الاعلى من جرت عليه الموسى وجزيتهم اربعون درهما على أهل
 الورق وأربعة دنائير على أهل الذهب وعليهم من ارزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدان من حنطة وثلاثة

اقساط من زيت في كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة وودك وعسل لا ادري كم هو ومن كان من أهل مصر فأردب في كل شهر لكل انسان ولا ادري كم الودك والعسل وعليهم من البز الكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيئون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاع لكل انسان ولا ادري كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان وكان يختم في اعناق رجال أهل الجزيرة وكانت وية عمر في ولاية عمرو بن العاص ستة امداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوثق له الامراء أقربطها على جباية الروم فكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثرا أهلها زيد عليهم وان قل أهلها وخربت نقصوا فيجتمع عرافوا كل قرية وامراء ورؤساء أهلها فيتنظرون في العسارة والخراب حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا وهم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قبهم وخارج كل قرية وما فيهم من الارض العامرة فيبتدون ويخرجون من الارض فدادين لكائسهم وجبايتهم ومعدياتهم من جلة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا لما في كل قرية من الصناعات والاعرا فقسموها عليهم بقدر احتاجهم فان كانت فيهم جالية قسموا عليهم بقدر احتمالها وقلما كانت تكون الا للرجل الشاب او المتزوج ثم ينظرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز أحد منهم وشكا ضعفه عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوى الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطى ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاخوا قسموا ذلك على عتقهم وكانت قسمتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قيراطا يقسمون الارض على ذلك ولذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قمح وويتين من شعير الا القيراط فلم يكن عليه ضريبة والوية ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ من صالحه من المعادين ما يمي على نفسه لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزيرة ولم يسم شيئا يؤديه نظر عمر في امره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم * وقال هشام بن ابي رقية اللخمي قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضى الله عنه فقال له اخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصيرها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لواء عطيتني من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما انتم خزائن لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب الى ان مصر فتحت عنوة * وعن يزيد بن ابي حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز ايمانى أسلم فان اسلامه يحرز له نفسه وماله وما كان من أرض فانهما من في الله على المسلمين واما قوم صالحوا على جزية يعطونها فن أسلم منهم كانت داره وأرضه لبيتهم * وقال الليث كتب الى يحيى بن سعيد أن ما باع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبداً وولادة وبيعير أو بقرة أو دابة فان ذلك جائز عليهم فن ابتاعه منهم فهو غير مردود عليهم ان أسبروا وما أكرؤا من أرضهم فجائز كراؤه الا ان يكون يضرب بالجزية التي عليهم فلعل الارض ان ترد عليهم ان اضرت بجزيتهم وان كان فضلا بعد الجزية فان انزى كراءها جائزا لمن يكرها منهم قال يحيى فتحن نقول الجزية جزيتان جزية على رؤس الرجال وجزية جلة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤس الرجال فان انزى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولده ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته في جلة ما عليهم من الجزية ومن هلك من جزيته على رؤس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز الجزية على الرؤس وليست على الارضين يريد أهل الذمة * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على احيائهم وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن أرض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هي على القرى فمن مات من أهل القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم وان مات من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا قال ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقى منهم وان مات من مات منهم لا يضع عنهم مما صالحوا عليه شيئا * قال الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من أهل الذمة من أهل مصر والحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشا من اسلموا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم وأول من اخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى

عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلهم ابن حنبل في ذلك فقال اعبدك بالله
ايها الامير ان تكون اول من سن ذلك بمصر فوالله ان اهل الذمة ليتحمّلون جزية من تهرب منهم فكيف نضعها
على من اسلم منهم فتركهم عند ذلك * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان تضع الجزية عن اسلم
من اهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
رحيم وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين
الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * وكتب حيان بن شريح الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار اتمت
بها عطاء اهل الديوان فان رأى امير المؤمنين ان يامر بقضائها ففعل * فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغني كتابك
وقد وايتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد امرت رسولي بضر بك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عن
من اسلم قبح الله رأيك فان الله انما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جاييا ولعمري لعمر أشقى من
أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو
ابن العاص كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام
الله عليك فاني اجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني فكرت في امرك والذي انت عليه فاذا ارضك
ارض واسعة عريضة رفيعه وقد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة في برّ وبحر وانها قد عالجتها الفراعنة
وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فحجبت من ذلك وأعجب مما عجبت انها لا تؤدى نصف ما كانت
تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جذب ولقد اكرمت في مكاتبك في الذي على ارضك من الخراج
وظننت أن ذلك سيبأ تبنا على غير زور ورجوت أن تفيق فترفع الى ذلك فاذا أنت تأتيني بعار يض تعبأ بها
لا توافق في نفسي لست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذه من الخراج قبل ذلك ولست أدري مع ذلك
ما الذي نفرل من كتابي وقبضك فلئن كنت محجرا كافيا صحيحا ان البراءة لنافعة وان كنت مضيعا نطعانا الامر
لعلني غير ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابتي ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع الى ذلك وقد
علمت انه لم يمنعك من ذلك الا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليك وتلفف اتخذوك كهفا وعندي باذن الله دواء
فيه شفاء عما سألك فيه فلا تجزع ابا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر والحق أبلج
ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح الخلفاء والسلام * فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد
الله عمر امير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني اجد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني
كتابك امير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلي واجباهه من
خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها ما كان الاسلام ولعمري للخراج يومئذ أوفر واكثر والارض اعمر لانهم
كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم من امد كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فلبت احلبا
قطع درهما واكثر في كتابك وابت وعرضت وترت وعلت أن ذلك عن شيء تحفه على غير خبر فحنت لعمري
بالمقطعات المقدعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم يبلغ صادق ولقد عملنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يبعده فكما نحمد الله مؤدنا لانا نأخذنا حافطين لما عظم الله من حق ايماننا في غير ذلك فبيحا
والعمل به شيئا فنعرف ذلك لنا وصدق فيه قلبنا معاذا الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترأ على كل ما ثم
فأمرض عمالك فان الله قد نزهني عن تلك الطعم الدينية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا
والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني أشد غضبا لنفسي ولها انزاهها واكراما وما عملت من عمل ارى عليه فيه
متعلقا ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت بغفر الله لك ولنا وسكت عن اشياء كنت بها عالما
وكان اللسان بهامني ذلولا ولكن الله عظم من حقه ما لا يجهل * فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من
عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني اجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد عجبت من
كثرة كتبك اليك في ابطالك بالخراج وكما يك الى بنيتك الطرق وقد علنت اني لست أرضي منك الا بالحق البين
ولم اقدمك الى مصر أجمع لها لك طعمة ولا لقومك ولصكتي وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن
سياستك فاذا اتاك كتابي هذا فاحل الخراج فانما هو في المسلمين وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام *

فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فاني
احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد اتاني كتاب امير المؤمنين يستبطنني في الخراج ويرغم اني احيد عن
الحق وانتكث عن الطريق واني والله ما ارجب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظروني الى ان تدرلك غلظتهم
فمنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من ان تخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنا بهم عنه والسلام * وقال
الليث بن سعد رضي الله عنه جباها عمرو بن العاص رضي الله عنه اثني عشر ألف ألف دينار وجباها المقوقس
قبله لسنة عشرين الف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن
سرح حين استعمله عثمان رضي الله عنه على مصر أربعة عشر الف دينار فقال عثمان لعمر بن العاص
بعد ما عزله عن مصر يا ابا عبد الله درت اللقعة بأكثر من درها الا قل قال أضررتهم بولدها فقال ذلك ان لم
يت الفصيل * وكتب معاوية بن ابي سفيان الى وردان وكان قد ولي خراج مصر أن زد على كل رجل من القبط
قيراطا فكتب اليه وردان كيف نريد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم شيء فعزله معاوية وقيل في عزل وردان
غير ذلك * وقال ابن لهيعة كان الديوان في زمان معاوية أربعين ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين
فأعطى مسلمة بن مجاهد أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وارتزاقهم ونواائب البلاد من الجسور وأرزاق
الكتبة وجلان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معاوية بسقاية ألف دينار فضل * وقال ابن عفير فلما نهضت
الابل لقيهم برح بن كسحل المهري فقال ما هذا ما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب
المسجد فقال أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء عيالكم ونوايبكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه
فساروا به * وقال بعضهم جى عمرو بن العاص عشرة آلاف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب بهجزه ويقول
له جباية الروم عشرون ألف دينار فلما كان العام المقبل جباها عمرو اثني عشر ألف ألف دينار * وقال
ابن لهيعة جى عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار لانه وجد فيها ثلاثمائة ألف من اهل
الذمة فرض عليهم دينارين دينارين والله تعالى أعلم

* ذكر ائمة ارض القبط وما كان من الاحداث في ذلك *

خرج الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال **ك**يف أنتم
اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف نرى ذلك كاشيا ابا هريرة قال اى والذي نفس أبي هريرة بيده عن
قول الصادق المصدوق قالوا عم ذلك قال انتهك ذمته وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب اهل الذمة فيمنعون
ما في أيديهم قال ابو عمرو ومحمد بن يوسف الكندي في كتاب امراء مصر وفي امرأة الحر بن يوسف أمير مصر
كتب عبد الله بن الحجاج صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بأن ارض مصر تحتل الزيادة فزاد على
كل دينار قيراطا فاتقصت كورة تنودى وقريب وطرايه وعامة الخوف الشرق فبعث اليهم الحر بأهل
الديوان فخاربوهم فقتل منهم بشر كثير وذلك اول انتفاض القبط بمصر وكان انتفاضهم في سنة سبع ومائة
ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر ثم انتفض اهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة احدى وعشرين
ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر اهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج بجيش
رجل من القبط في سنود فبعث اليه بعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر فقتل بجيش في كثير من
اصحابه وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وخالف القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدي لما دخل
مصر فارا من بني العباس بعثمان بن ابي قسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي
صفرة أمير مصر بناحية سخاونا بدوا العمال وأخرجوهم وذلك في سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبرا سينباط
وانضم اليهم اهل اليسرود والاريسية والنجوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل
الديوان ووجه مصر فخرجوا اليهم فبهم القبط وقتلوا من المسلمين قاتلى المسلمون النار في عسكر القبط
وانصرف المسلمون الى مصر منهم زمين وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط بيلهب في سنة ست
 وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فبهم ثم انتفضوا مع من انتفض في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم
الافشين في ناحية اليسرود حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع
النساء والاطفال فبيعوا وسبي أكثرهم ومن حينئذ أدل الله القبط في جميع أرض مصر وخذل شوكتهم فلم

يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فساد القبط من بعد ذلك إلى كيد الإسلام وأهله بأعمال الخيلة واستعمال المكر وتمكنوا من النكاية بوضع أيديهم في كتاب الخراج وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

* (ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث) *

قال الكندي وفي ولاية الوايلد بن رفاعه الفهمي على مصر نقلت قيس إلى مصر في سنة تسع ومائة ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك إلا ما كان من فهم وعدوان فودان بن الحجاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل إلى مصر منهم أيباتا فأذن له هشام في لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر على أن لا ينزلهم بالقسطاط فعرض لهم ابن الحجاب وقدم بهم فأنزلهم الخوف الشرقي وفرقهم فيه ويقال إن عبيد الله بن الحجاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظا إلا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب إلى هشام أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم وإن قدمت مصر ولم أر لهم حظا إلا أيباتا من فهم وفيها كوريس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهي بليس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب إليه هشام أنت وذلك فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نضر ومائة أهل بيت من بني سليم فأنزلهم بليس وأمرهم بالزرع ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دينار وأكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يملكها الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة في علف ابليهم ولا خيلهم لخدمة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا إليهم فوصل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم ثور من خمسمائة أهل بيت فصار بليس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس حتى إذا كان زمن مروان بن محمد وولى الخوثر بن سهيل الباهلي مصر مات إليه قيس فأت مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توادوا وقدم عليهم من البادية من قدم * وفي سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق بن سايان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه أهل الخوف وعسكروا فبعث إليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد له رثمه بن اعين في جيش عظيم وبعث به إلى مصر فقتل الخوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثة منهم واستخرج خراجهم كله ثم أن أهل الخوف خرجوا على الليث بن الفضل البيودى أمير مصر وذلك أنه بعث بمساح يحسبون عليهم أراضي زرعهم فأتقوا من القصبه اصابع قتظم الناس إلى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا إلى القسطاط فخرج إليهم الليث في أربعة آلاف من جند مصر في شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم في رمضان فأنزله عن الجند في ثاني عشره وبقى في نحو المائتين فحمل بن معه على أهل الخوف فهزهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم على أرض جب عميرة وبعث الليث إلى القسطاط يثمانين رأسا من رؤس القيسية ورجع إلى القسطاط وعاد أهل الخوف إلى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد في محرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الخوف الا بيجيش يبعث معه وكان محفوظ بن ساييم بباب الرشيد فرفع محفوظ إلى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها وفي ولاية الحسين بن جميل امتنع أهل الخوف من اداء الخراج فبعث أمير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ في أمرهم فقتل بليس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة وصرف الحسين بن جميل عن اماره مصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ من أمر الخوف وقدم القسطاط في جادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج إليه فكتب إلى أهل الخوف ان اقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دلهم وأدخل بينكم وبينه في أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها * وفي اماره عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح ابن شبيب زاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم في خراجهم فأتقوا أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث

عيسى بن محمد في جيش لقتالهم فقتل بلديس وحاربهم فنجح من المعركة بنفسه ولم ينج أحدا من أصحابه وذلك في
صفر سنة أربع عشرة ومائتين فعزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمي قاسم تعدد الحرب أهل الحوف
وسار في جيوشه في ربيع الآخر فزحفوا عليه واقتتلوا فقتل من أهل الحوف جمع وانهمزوا فقتلهم عمير في
طائفة من أصحابه فغطف عليه كين لأهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى
الجلودي ثانيا وسار إليهم فقيمهم بنية مطرف كانت بينهم وقعة آلت إلى أن انهمز منهم إلى القسطنطين وأحرق ما نزل
عليه من رحله وخذل على القسطنطين وذلك في رجب وقدم أبو اسحاق بن الرشيد من العراق فقتل الحوف
وأرسل إلى أهلها فامتنعوا من طاعته فقاتلهم في شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم إلى القسطنطين في شوال
ثم عاد إلى العراق في المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الأسارى فلما كان في جمادى الأولى سنة
ست عشرة ومائتين انتفض أسفل الأرض بأسره عرب البلاد وقبضها وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء
سيرة عامل السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر القسطنطين حروب امتدت إلى أن قدم الخليفة عبد الله أمير
المؤمنين المأمون إلى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فخطب على عيسى بن منصور الرافقي
وكان على إمارة مصر وأمر بحمل لوائه وأخذ به لباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن
فعلك وفعل عمالك جلت الناس ما لا يطيقون وكنتم في الخبر حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد ثم عقد المأمون على
جيش بعث به إلى الصعيد وأرسل هو إلى سخا وبعث بالافشين إلى القبط وقد خلعوا الطاعة فأوقع بهم في ناحية
البشر ودو حصرهم حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال
فسبي أكثرهم وتبع المأمون كل من يولى إليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع إلى القسطنطين في صفر ومضى إلى
حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر وكان مقامه بالقسطنطين وسخا وحلوان تسعة وأربعين
يوما وكان خراج مصر قد بلغ في أيام المأمون على حكم الانصاف في الجباية أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف
دينار وسبعة وخمسين ألف دينار * ويقال إن المأمون لما سار في قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب
عليها سراقه والعساكر من حوله وكان يقيم في القرية يوما وليس له قربة يقرية يقال لها طاء النمل فلم يدخلها
لخافتم فلما تجاوزه خرجت إليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظن المأمون مستغيثة
مضطلة فوقف لها وكان لا يشي أبدا إلا والترجة بين يديه من كل جنس فذكر له أن القبطية قالت يا أمير المؤمنين
نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تعبرني بذلك وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفني بجولته في ضيعتي
ليكون لي الشرف ولعقبى ولا تشمت الأعداء بي وبكت بكاء كثيرا ففرق لها المأمون وثني عنان فرسه إليها ونزل
فجاء ولدها إلى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفرارخ والسمك والتوابل والسكر والعسل
والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك فمأجرت به عاده فأحضر جميع ذلك إليه بزيادة وكان مع المأمون
أخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الوائق والمتوكل ويحيى بن أكرم والقاضي أحمد بن داود فأحضرت
لكل واحد منهم ما يخصه على انفراد ولم تكل أحدا منهم ولا من القواد إلى غيره ثم أحضرت للمأمون من
فاخر الطعام ولذيده شيا كثيرا حتى أنه استعظم ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت إليه ومعها عشر
وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءكم القبطية بهدية الريف الكاخي
والعصنام والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه إذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمر بها عاده فقالت
لا والله لأفعل فتأمل الذهب فإذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله أعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل
ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا فقال إن في بعض ما صنعت لكفاية ولا تحب التثقل عليك
فردى مالك بالله فيك فأخذت قطعة من الأرض وقالت يا أمير المؤمنين هذا وأشارت إلى الذهب من هذا
وأشارت إلى الطينة التي تناولتها من الأرض ثم من عدك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا شئ كثيرا فأمربه
فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاهم من قريتها طاء النمل مائتي فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر
مروءتها وسعة حالها

ذكر قبالات أراض مصر بعد ما فشا الإسلام في القبط ونزل العرب في القرى وما كان من ذلك إلى الزول
الآخر الناصري

وكان من خبر أراضى مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا
 وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لنسكاحهم المسلمين أن متولى خراج
 مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من القسطنطينية في الوقت الذي تنهأ فيه قبالة الاراضى وقد اجتمع الناس
 من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون
 ما ينتهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها مئة قبلها بالاربع سنين
 لاجل الظمأ والاستجار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من كان تقبل أرضا وضمها الى ناحيته
 فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه وأهله ومن يتدبه لذلك ويحمل ما عليه من
 الخراج في ابائه على اقساط ويحسب له من مبلغ قبائله وضمائنه لتلك الاراضى ما ينفعه على عمارة جسورها
 وسد تراعها وحفر خيلها بضرابة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان
 والمتقبلين يقال لما تأخر من مال الخراج البواقي وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا
 مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة ورا كوا البلاد كلها وعدلوا تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة
 من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التوقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص الى ان
 عمر أحمد بن طولون جامعهم وصار العسكر منزلا لامراء مصر فنقل الديوان الى جامع أحمد بن طولون ثم نقل
 ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة واستقر به مدة
 الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعد هاهنا وسأئلوا عليك من نبأ ذلك ما يتضح به ما ذكرت قال ابن ذولق في كتاب اخبار
 الماردينين كتاب مصر وحضر أبو الحسن وهب بن اسماعيل مجلس ابي بكر بن علي الماردي في المسجد
 الجامع وهو بعد الضياع فقال له أبو بكر الساعة أمر بالنداء على صفقة نخذهما شركة بيني وبينك فنودي على
 صفقة فقال أبو بكر اعقدوها على أبي الحسن فعدت عليه وتحملها فأفضلت له اربعين ألف دينار فاستنص
 عشرين ألف دينار ولم يدري ما يعمل فيها الى ان اجتمع مع أبي يعقوب كاتب أبي بكر ليتحدثا فقال أبو يعقوب
 رأيت الشيخ يعني أبا بكر الماردي في اليوم مشغول القلب ارا دجج مال وقد عجز عنه فقال له أبو الحسن
 عندي نحو عشرين ألف دينار فقال جئني بها فأفذهما اليه وجاءه خطه بالمبلغ فانفق ان مضى أبو الحسن
 الى أبي بكر الماردي فقال له تلك الصفقة قد غلقت ما عليها وفضل اربعون ألف دينار وقد حصل عندي
 عشرين ألف دينار حملتها الى أبي يعقوب وأرسلت في استخراج الباقي فاجله فقال الماردي في ما هذا العجز
 انما قلت لك تكون بيني وبينك خوفا من تعريضك وانما اردت حفظ المال عليك ثم امر أبا يعقوب أن يرد عليه
 ما دفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض ما دفعه الى أبي يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي
 دخل فيها جوهر القائد ثلاثة الاف ألف دينار واربع مائة ألف دينار ونيفا وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله
 معدت وثلث عشرة بعت من الحرم سنة ثلاث وستين وثلثمائة قدام المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير
 ذلك يعقوب بن كلس وعسكروا بن الحسن وجلسا في هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للنداء على
 الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطلبوا البقايا من الاموال مما على المالكين والمتقبلين
 والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر لدين الحسن بن علي البازوري وارا د أن يعرف قدر ارتفاع الدولة
 وما عليها من النفقات ليقايس بينهما فتقدم الى اصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه
 وما عليه من النفقات فعمل ذلك وسله الى متولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعاً
 وأحضره اياه فرأى ارتفاع الدولة الى ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقته بازاء ارتفاعه ومنها
 الريف وباقي الدولة ألف ألف دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهزاب ومفقود ما ثلث ألف دينار
 ويبقى ثلثمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثمائة ألف دينار وعن ثمن غلة القصور
 مائة ألف دينار وعن نفقات القصور مائة ألف دينار وعن عمارتها وما يقام للضيوف والواصلين من الملوك
 وغيرهم مائة ألف دينار ويبقى بعد ذلك مائة ألف دينار حاصلة يجمعها كل سنة الى بيت المال المصون فخطى
 بذلك عند سلطانه وخفف على قلبه قال وانهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الاقل يعني
 بعد موت البازوري وحدث الفتن وهو قبل سنين هذه الفتن يعني في ايام البازوري ستمائة ألف دينار

كانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب ثلاثمائة ألف دينار وفي مستهل المحرم ثمانمائة ألف دينار فارتفع
الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن ميسرة وأمر الفضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر بخمسة
ألف ألف دينار وكان متحصل الأهرار ألف ألف دينار وقال الأمير جمال الدين والملك موسى بن المأمون
البطائحي في تاريخه من حوادث سنة إحدى وخمسمائة ثم رأى القائل أبو عبد الله محمد بن فائق البطائحي
من اختلال أحوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من كون أقطاعاتهم قد خسر ارتفاعها وساءت
أحوالهم لقله المتحصل منها وان أقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها وان في كل ناحية من
القواضل للديوان جملة تجي بالعصف وبتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها فخطب الفضل بن أمير الجيوش
في أن يحل الأقطاعات جميعها ويروكها وعرفه أن المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان لأن الديوان
يكتسب له من هذه القواضل جملة يحصل بها بلاءه مقورة فأجاب إلى ذلك وحل جميع الأقطاعات وراكها
وأخذ كل من الأقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون أن لهم بساتين واملأوا كواصم في نواحيهم فقال له من
كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الأقطاع وهو يحكم أن شاء باعه وان شاء آجره فلما حلت الأقطاعات
أمر الضعفاء من الأجناد أن يتزايدوا فيها فوقع في الزيادة في أقطاعات الأقوياء إلى أن انتهت إلى مبلغ
معلوم وكتب السجلات بأنها باقية في أيديهم إلى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد وأحضر الأقوياء
وقال لهم ما تذكرون من الأقطاعات التي كانت بيد الأجناد قالوا كثرة غيرها وقله متحصلها وخراجه
وقله السالكين بها فقال لهم ابدلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الأولى فعند ذلك
طابت نفوسهم وتزايدوا فيها إلى أن بلغت إلى الحد الذي رغب كل منهم فيه فأقطعوا به وكتب لهم السجلات
على الحكم المتقدم فشمكت المصلحة الفريقتين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاءه مقورة بما كان مفقودا
في الأقطاعات بما مبلغه خمسون ألف دينار وقال في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد تقدم أمر
الاجل المأمون بعمل حساب الدولة من الهلال والخراج وجعل نظمه على جملتين أحدهما إلى سنة عشر
 وخمسمائة الهلالية الخراجية والجملة الثانية إلى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة الهلالية وما وافقهما من
الخراجية فعقدت على جملة كثيرة من العين والأصناف وشرحت بأسماء أربابها وتعيين بلادها فلما حضرت
أمر بكتب سجل يتضمن المساحة بالبواقي إلى آخر سنة عشر وخمسمائة ونسخته بعد التصدير ولما انتهى الينا
حال المعاملين والضمان والتصرفين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم انعمنا بما تضمنه هذا السجل من المساحة
قصد في استخلاص ضامن طالت غفلته وخرت ذمته وانتاذ عامل الجحف به من الديوان طلبته وتوفيرا لرغبة
على عمارتها وجرها فيها على قديم عاداتها ولما كان ذلك من جميل الاحدثة التي لم ينسب اليها ولا شاركها
ملك فيها اقتضت الحال إيرادها في هذا الكتاب وإيداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت إليه احوال
الضمان والمعاملين بالملك من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم والأموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطلعنا
المقام الأشرف النبوي بالتفصيل من أمورهم والجملة واستخرجنا الأمر العالي بوضع ذلك في الحال
وانشأ السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها إلى جميع البلدان ليقرأ على رؤس
الاشهاد بسائر البلاد ومبلغ ما انتهت إليه هذه المساحة إلى حين ختم هذا السجل من العين ألف ألف وسبعمائة
ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وستون دينار ونصف وثلاث وثلاثون وربع قيراط ومن القضة النقرة
اربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم ونصف سدس درهم ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف
وثمان مائة ألف وعشرة آلاف ومائتين وتسعة وثلاثون اردبا وثمان ونصف سدس وثلاثي قيراط ومن العناب ربع
اردب ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة اردب ونصف ومن زريعة الوسمه عشرة اردب وربع ومن
الصباغ ألف واربع مائة وثمانون قنطارا وطل ونصف ومن القوة اربع مائة وسبعون رطلا ومن الشب
تسعمائة وثلاثة عشر قنطارا ونصف ومن الحديد تسعمائة رطل واحد وثلاثون رطلا ومن الزفت ألف وثلثمائة
وثلاثة ارباط وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلا وثلث ومن الشب الحلبى ثلاثة ارباط ومن المناسير
مائة منزر صوف ومن الغرابيل مائة وسبعون غربالا ومن الاغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة
وخمسة ارباط ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قنطارا وثمانية وثلاثون رطلا ومن السجيل ثلاثمائة ألف

وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة وخمسون باعا ومن الجريد اربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفا وسبعمائة
 وثلاثة وخمسون جريدة ومن السلب ألف واربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة ومن الاطراف ستة آلاف وسبعمائة
 وثلاثة اطراف ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون اردبا وثلاث ومن الاشنان أحد عشر اردبا ومن
 الرمان ألفا حبة ومن العسل النحل خمسمائة واحد واربعون قنطارا وستون ومن الشهد اثنان وثلاثون
 زيرا وقادوسا واحد ومن الشمع اربعمائة واربعون رطلا ومن الخلايا ثلاثة آلاف واربعمائة وخمسة
 ومن عدل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطارا ومن الابقار اثنان وعشرون ألفا ومائة واربعة وستون
 رأسا ومن الدواب اربعة وسبعون رأسا ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطرا وستون
 ومن الجبن ثلثمائة وعشرون رطلا ومن الصوف اربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون حزة ومن الشعر ستة
 آلاف وخمسون رطلا وربع ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته قال ولما انتهى الى المأمون
 ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كان يدينها المنقة والتعب
 وتساخنها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج في بابه وخرج امره
 باعفاء الكافة اجمعين والضمان والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ماداموا
 مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوانى
 المجلس والخاص الامر بين السعديين ونسخته بعد التصدير * ولما انتهى الى حضر تنامى يعتمد في الدواوين
 ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الابواب والرباع والبساتين والجماعات والقياسر
 والمسالك وغير ذلك من الضمانات للزاعجين فيها ممن تستمر معاملته ولا تنكسر ردة مما هو الا أن يحضر
 من يدينه في ضمانه حتى قد نقض عليه حكم الضمان وقبل ما يبدل من الزيادة كأنه من كان وقبضت يد
 الضامن الاقل عن التصرف ومكن الضامن الثاني من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الاول
 ولا تحترق في فسحة الذي لا يبيحه الشرع ولا يما قول انكرنا ذلك على معقديه وذممان قصدا عليه ومركبيه
 اذ كان للحق مجانبنا وعن مذهب الصواب ذاهبا وعرضا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله انوارها
 واعلى ابدانها واستخرجنا الاوامر المطاعة في كتب هذا المنشور الى سائر الاعمال بأنه اى أحد من
 الناس ضمن ضمانا من باب اربع او بستان او ناحية او كفر وكان لا قسطا ضمانه مؤديا ولما يلزمه من ذلك
 مبديا وللحق متبعا فان ضمانه باقى في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملا بالواجب والنظام
 المحمود واتبعنا امر الله تعالى به في كتابه الحميد اذ يقول جل من قائل يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
 الى أن تنقضى مدة الضمان وينزل حكمها ويذهب وضعها ورسمها حلا على قضية الواجب وسننها واعتمادا
 على حكم الشريعة التي ماضل من اهتمدى بفرائضها وسننها فأما من ضمن ضمانا ولم يقيم بما يجب عليه فيه وأصر
 على المدافعة والمغالطة التي لا يعتمدها الاكل ذميم الطباع سفيه فذلك الذي فسخ حكم ضمانه بنقضه الشروط
 المشروطة عليه وحكمه حكم من اذ ازيد عليه في ضمانه نقل عنه واخرج من يديه لانه الذي بدأ بالفسخ وأوجد
 السبيل اليه فليعتمد كافة ارباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامتنال
 الأمور وجل هؤلاء الضمان والمعاملين على ما نص فيه والحذر من تجاوزه وتعتيه بعد ثبوته في ديوانى المجلس
 والخاص الامر بين السعديين وبحيث ثبت مثله ان شاء الله تعالى قال ووصلته المكتبة من الوالى والمشارف
 ومن كان ندب صحبته لكشف الاراضى والسواقي ومساحتها متضمنة ما ظهره الكشف واوضحته المساحة
 على من بيده السواقي وهم عدة كثيرة ومن جملتها ساقية مساحتها ثلثمائة وستون فدانا تشمل على النخل
 والكرم وقصب السكر بمدينة اسناخراجهما في السنة عشرة دنانير وما يجري في الاعمال هذا الجرى وانهم
 وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من ارباب السواقي ما يدل على ما يدينهم فذكروا أنها اتقلت اليهم
 ولم يظهر وما يدل عليها وقد سيروا ملاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه في امرهم وعند
 وصولهم اوقع الترسيم عليهم الى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فان الاملاك بجملتها
 لا تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للمأمون في يوم جلوسه للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم الى
 القاضي جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أبي ايوب المغربي وهو يومئذ قاضى القضاة لمحاكمتهم فجرى له معهم

مفاوضة اوجبت الحق عليهم والزمهم بالقيام بما يستغرق اموالهم واملاكهم فحصل من تضررهم ما اوجب
العاطفة عليهم واخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب عما تقدم صفحا وكتب منشور نحتته قد علم الكفاة
ما تراهم من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح كل قاص منهم ودان وانا لاندع ضررا
يتوجه الى أحد من الرعية الاحسناء ولا نعلم صلاحا يعود نفعه عليه الا قويا سببه ووصلناه حسب ما يتعين
على رعاة الامم وعملنا بالواجب في البعيد والامم وسلوكنا لحجة الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القوية واستقرارا
على قضايها وسجانيها الكريمة ولما كنا ترى النظر في مصالح الرعايا امر واجبا ونصرف الى سياستهم عزما
ماضيا ورأينا قسما كذلك نرى النظر في امور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والحمامة
عن الدين وجهاد الكفرة والمحدثين ليكون ما نراعيه وننظر فيه جاريا على سنن الواجب محروسا من الخلل باذن الله
من جميع الجوانب * ومن الله نستمد مواد التوفيق في الحل والعقد * ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد
وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبه انعم الوكيل * وكان القاضي الرشيد بن الزبير ايام مشارفته الصعيد
الاعلى قد طالع المجلس الافضل بحال ارباب الاملاك هناك وانهم قد استضافوا الى اماكنهم من املاك الدواوين
اراضي اعتصموا بها ومواضع محجورة لاملاكهم تعبدوا عليها وخطوطها بها وحازوها ورسم له كشفها واطم
المشاريح بها وارتجاعها للديوان وان يعتد في ذلك بما يوجب حكم العدل المبني في كل قطر ومكان وبآخر
ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانها على طيبته فاعتقدوا ما امروا به من الكشف في هذه
الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التسوا بمن يدهم لك اوساقية ما يشهد بصحة ملكه ومبلغ فذنه وذكر حدوده
فلم يحضر أحد منهم كتابا ولا أوضح جوابا وأصدروا الى الديوان المشاريح بما كشفوه وأخطوه فوجدوا التعدي
فيه ظاهرا وباب الخيف والظلم غير متقاصر والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه
واستغلاله لاسيما وليس يده كتاب يشهد بصحة الملك رأسا ولا يستند في ذلك الى حجة آخرها احترازا عن مجاهدة
سبيله واحتراسا ولكن فحكم بما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذي اتفاننا به واحينا معاملة وأثار مع
الرعية في عمارة البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الدائرة وانشاء الغروس واقامة السواقي بها
امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والارضين والسواقي بايدي
اربابها الآن من غير انتزاع شيء منها ولا ارتجاعه وأن يقرر عليهم من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على
امثالهم بمثل احساننا اليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه وانما ما برحنا نعيده عليهم ونبديه وقد أنعمنا وتجاوزنا عما
سلف ونهينا من يستأنف وسامحننا من خرج عن التعدي الى المألوف وجرينا على سنننا في العفو والمعروف
وجعلنا اها توبة مقبولة من الجماعة الجائنين ومن عاد من الكافة اجمعين فليدقم الله منه وطول بمسئلته وأمره
وبرئت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدت في وجهه أبواب الشفاعة والسلامة
وقد فصحنا مع ذلك لكل من يرغب في عمارة ارض حلفاء دائرة وادارة بئر مهجورة معطلة في أن يسلم اليه ذلك
ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه وان يكون المقر على كل فدان ما توجبه
زراعتة لمثله خراجا مؤبدا وأمر اموكدا فليعتد ذلك النواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد
مجلس واحضار جميع ارباب الاملاك والسواقي واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذي تجاوزا ما لهم في
احباتهم الى ما كانوا يسألون فيه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثلناه
وبحيز الديوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة والابار المعطلة لمن يرغب في ضمها واطم المشاريح
بذلك واصدارها الى الديوان ليخلد فيه على حكم امثالها بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت
هذه المصالح الى جميع أهل هذه الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد * واعلم انه لم يكن
في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول امراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال
اليوم في اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضم في قبالات معروفة لمن شاء من الامراء والاجناد والوجوه
وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم لا يعرف هذه الابنة التي يقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع
المقيم بالبلد فلا حقا را فيصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحية الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قن
ما بقي ومن ولده كذلك بل كان من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم وحل ما عليه ليت المال فاذا صار مال

الخراج بالديوان انفق في طوائف العسكر من الخزائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضي وتعلقت
نواحي مصر باصناف الزراعات ندب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت لهم معرفة بعلم
الخراج وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصارى الاقباط ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيحتررون مساحة
ما شمله الرى من الاراضي مما لعله بار او شرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالقدن والقطائع على جميع
الاصناف المزروعة ويحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية أربعة أشهر ندب من الاجناد
من عرف بالحساسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشهر بالامانة وكاتب من نصارى القبط
غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج سباشروا لكل بلد ثلث ما وجب من مال
الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا حضر هذا الثلث صرف في واجبات العساكر وهكذا العمل في استخراج
كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جله بواق وكانت بلاد مصر اذ ذلك
تقبل بعين وغلة واصناف وقد عرف ذلك من نسخة المسموح الذي تضمن ترك البواق في ايام الخليفة الامر
بأحكام الله ووزارة المامون البطائحي ورأيت بخط الاسعد بن مذهب بن زكريا بن مامى الكاتب المصرى سألت
القاضي الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العساكر في عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك في أيام رزيق
ابن الصالح فقال أربعين ألف فارس ونيفا وثلاثين ألف راجل من السودان وقال أبو عمرو عثمان النابلسي
في كتاب حسن السيرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة ان ضرعا لما نارا على شاور وفز شاور الى السلطان نور الدين
محمود بن زنكي بدمشق يستجده على ضرغام ويعدده بأنه يكون نائباً عنه بمصر ويحمل اليه الخراج انشاء لنور
الدين عزما لم يكن بجهاز ألف فارس وقدم عليهم اسد الدين شيركوه وأمره بالتوجه فأبى وقال لا مضى أبداً فان
هلاكي ومن معي وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا وكيف امضى بالف فارس الى اقليم فيه عشرة آلاف فارس
ومائة سبعمائة فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون ألف عبد وقوم مستوطنون في اوطانهم فرأيت حرايتهم ونحن
نأتيهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم اجابه بعد ذلك هذا اعزك الله بعد ما كانت عساكر أجد بن طولون
ما استراه في ذكر القطائع ان شاء الله تعالى ثم ما كان من عساكر الامير أبي بكر محمد بن طغج الاخشيد وهي على
ما حكاها غير واحد منهم ابن خلدكان انما كانت اربع مائة ألف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغزن من بلاد
الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله * قال القاضي
الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة في ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر
قد عيها وجديدها بعد ان انذر حاضرها وغائبها وتوافي وصواها وتكامل سلاحها وخبولها فحضر في هذا اليوم
جوع شهد كل من علاسنة وقرطس ظنه ان ملكا من ملوك الاسلام لم يحزم مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج
ما أرغم انوف الكفرة ولم يتكامل احتيازا العساكر موكبا بعد موكب وطلباء بعد طلب والطلب بلغة الغز هو الامير
المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسا الى ان انقضى
النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون
طلباً وتقدير العدة يناهز أربعة عشر ألف فارس اكثرها طواشية والطواشي من رزقه من سبع مائة الى
ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برل من عشرة رؤس الى مادونها ما بين فرس وبردون وبغل وجل وله
غلام يحمل سلاحه وقراغلامية تحته الجملة قال وفي هذه السفارة عرض العربان الخدامين فكانت عدتهم
سبعة آلاف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان
اصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذي يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك فامتنعوا ولحقوا
بالخيز الى الفرنج * وقال في متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة استمر انتصاب السلطان
صلاح الدين في هذه السنة للظفر في أمور الاقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة فيها واثبات المحروم
وزيادة المشكور الى ان استقرت العدة على ثمانية آلاف وست مائة وأربعين فارسا امراء مائة وأحد عشر أميراً
طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قراغلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسون والمستقر لهم
من المال ثلاثة آلاف ألف وست مائة ألف وسبعون الفا وخمسمائة دينار وذلك خارج عن المحلولين من الاجناد
الموسومين بالحوالة على العشر وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكاتين والمصريين والفقهاء

والقضاة والصوفية وعما يجري بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار * وقال في متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمائة أوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانية والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقبط وعدة نواح اوردت اسماءها ولم يعين لها في الديوان عبرة من جلة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة عشر دينارا بعدما يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية والدقهلية وبوش وغير ذلك وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون دينارا (تفصيل ذلك) الديوان العادلي سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية واربعون دينارا الامراء والاجناد المرسوم بابقاء اقطاعاتهم بالاعمال المذكورة مائة ألف وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنانير ديوان السور المباركة والاشراف ثلاثة عشر الفا وثمانمائة وأربعة دنانير العربان مائتا ألف واربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون دينارا السكانية خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنا عشر دينارا القضاة والشيوخ سبعة آلاف واربعمائة وثلاثة دنانير القمارية والصالحية والاجناد المصريون اثنا عشر ألفا وخمسمائة وأربعة دنانير الغزاة والعساقلة المركزة بدمياط وتيس وغيرهم عشرة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون دينارا البارز ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف واثمان وستون ألفا وخمسة وتسعون دينارا (الوجه الجري) ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون الفا وستمائة وثلاثة وخمسون دينارا (تفصيله) ضواحي نغرا الاسكندرية ثمانمائة ألف ومائة وثمانية وثلاثون دينارا نغرا شيد ألفا دينار البحيرة مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسمائة وستة وسبعون دينارا خوف رمسيس اثنان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنانير قوه والمزاحيتين عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون دينارا النبراوية خمسة عشر ألفا وثلثمائة وخمسة دنانير جزيرة بني نصر مائة ألف واثنا عشر ألفا وستمائة وستة واربعون دينارا جزيرة قوسين مائة الف وثلاثون ألفا وخمسمائة واثمان وتسعون دينارا الغربية ستمائة الف واربعة وسبعون ألفا وستمائة وخمسة دنانير السمودية مائتا الف وخمسة واربعون ألفا واربعمائة وتسعة وسبعون دينارا الدنجاية ستة واربعون ألفا ومائتان واربعة وسبعون دينارا المنوفية مائة الف وثمانية واربعون ألفا وثلثمائة وسبعة واربعون دينارا (الوجه القبلي) ألف ألف وستمائة الف وعشرة آلاف واربعمائة واحد واربعون دينارا (تفصيل ذلك) الجزيرة مائة ألف وثلاثة وخمسون الفا ومائتان وأربعة دنانير الاطفيحية تسعة وخمسون ألفا وسبعمائة وثمانية وعشرون دينارا البوصيرية ستون ألفا واربعمائة وستة وستون دينارا الفيومية مائة الف واثمان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا الهنسية ثلثمائة ألف واثمان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا الواحات الداخلة والخارجتين وواحد الهنسا خمسة وعشرون ألف دينار الاثني مائة ألف وسبعة واربعون الفا وسبعمائة واثمان وثلاثون دينار السيوطية خارجا عن منفلوط ومنقبط اثنتان وسبعون ألفا وخمسمائة وأربعة دنانير الاخيمية مائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة واثنا عشر دينارا الاعمال القوصية ثلثمائة ألف واثمان وستون ألفا وخمسمائة دينار نغرا اسوان خمسة وعشرون ألف دينار نغرا عيذاب يجري في غير هذا الديوان * وقال في متجددات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والذي انعقد عليه ارتفاع الديوان السلطاني ثلثمائة ألف وأربعة وخمسون ألفا وأربعة واربعون دينار والذي يميز زائد الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وثمانين اثنان وعشرون ألفا واربعمائة وخمسة واربعون دينار والذي انساق من البواقي للسنة المذكورة أحد وثلاثون ألفا وستمائة واثمان وعشرون دينار والذي اشتمل عليه متحصل ديوان الخصاص الملكي الناصري بالديار المصرية لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلثمائة ألف واربعة وخمسون الفا واربعمائة وخمسون دينار ونصف وثلث وثمان

* (ذكر الرول الاخير الناصري) *

وكان الجندي اقطاعه بمفرده وله تسع واحد من عشرين ألف درهم الى ثلاثين وفيهم من اقطاعه خمسة عشر ألفا واقلهم عشرة آلاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة آلاف درهم في الاقطاع الثقيل وكان الجندي يخرج الى اسكان بطواله خيل ويخرج مقدم الحلقة كأمير عشرة وتكون مضافته اذا نزل حوله واكثرهم يأكل على سباطه

ولا يمكن الامير ان يأكل الا جميع اجناده معه وياخذ غلمان اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا رأى نارا
 توقد سأل عنها فيقال ان فلانا اشتهى كذا فيغضب عن لايأكل عنده ومع ذلك كانت اشكالهم بشعة
 وملابسهم غير خاتلة فلما افضت السلطنة الى المنصور لاجين رآه البلاد وذلك ان ارض مصر كانت اربعة
 وعشرين قيراطا فيحتص السلطان منها بأربعة قرايط ويحتص الاجناد بعشرة قرايط ويحتص الامراء
 بعشرة قرايط وكان الامراء يأخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء ويصير ذلك
 الاقطاع في دواوين الامراء ويحتق بها قطاع الطريق وتثور بها الفتور ويقوم بها الهوشات وينزع منها الحقوق
 والمقررات الديوانية وتصير ما كلة لا عون الامراء ومستخدميه ومضرة على أهل البلاد التي تجاورها فأبطل
 السلطان ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها وأخرجها بأمرها من دواوين الامراء وأول ما بدأ به ديوان
 الامير سيف الدين منكوتمر نائب السلطنة فأخرج منه ما كان فيه من هذه الاقطاعات وكان يحصل له منها مائة
 الف أردب غلة في كل سنة واقتدى به جميع الامراء واخرجوا ما في اقطاعاتهم من ذلك فبطلت الحيايات وجعل
 السلطان في هذا الزول للامراء والاجناد احدى عشر قيراطا وأفردت عشرة قرايط لخدمهم بغير عسكر او يقطعهم اياها
 ثم رتب اوراقا بتكفية الامراء والاجناد بعشرة قرايط ووفر قيراطا لزيادة من عساه يطلب زيادة لفته متحصل
 اقطاعه وأفرد لخاص السلطان عدة اعمال جليلة وأفرد للنائب منكوتمر لتفرقة المثالات في تابعيه فتكرت قلوب
 الامراء حتى كان من المنصور لاجين ونائبه منكوتمر ما كان فلما كانت الايام الناصرية رآه الناصر محمد البلاد
 قال جامع السيرة الناصرية وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة اختار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ان يروك
 الديار المصرية وان يبطل منها سكوسا كثيرة ويفضل لخاص مملكتيه شيئا كثيرا من اراضي مصر وكان سبب ذلك
 انه اعتبر كثيرا من اخباز المماليك والحاشية الذين كانوا لملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير والامير سلاور
 وسائر المماليك البرهمية فاذا هي ما بين ألف دينار الى ثمانية دنانير وخشى من قطع اخبار المذكورين فولد له
 الرأي مع القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقر اقطاعات مما يختار ويكتب
 بها مثالات سلطانية فتقدم الفخر ناظر الجيش فعمل أوراقا بما عليه عبر النواحي ومساحتها وعين السلطان لكل
 اقليم من أقاليم ديار مصر اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جيكل بن البابان يخرج لناحية الغربية
 ومعه اعزل الحاجب ومن الكتاب المكيين بن فرويتيه وان يخرج الامير عز الدين ايدمر الخطيري الى ناحية
 الشرقية ومعه الامير ايتش المجدي ومن الكتاب امين الدولة ابن قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدي
 والقليجي وابن طرناي وبيبرس الجدار الى ناحية المنوفية والبحيرة وان يخرج البليلى والمريتي الى الوجه القبلي
 وندب معهم كتابا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر فكان كل منهم اذا نزل بأول عمله طلب مشايخ
 كل بلد ودلائها وعدولها وقضاها وسجلاتا التي بأيدي مقطعيها وفحص عن متحصلها من عين وغلة واصناف
 ومقدار ما تحتوى عليه من القطن ومنزوعها وبورها وما فيها من تراب وبواق وغرس ومستجر وعبرة الناحية
 وما عليها لمقطعيها من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكعن وغير ذلك من الضيافة فاذا حتر ذلك كله ابتداء
 بقياس تلك الناحية وضبط بالعدول والقياسين وقاضي العمل ما يظهر بالقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك
 القرية وغنداقها وفضل ما فيها من الخصاص السلطاني وبلاد الامراء واقطاعات الاجناد والرزق حتى ينتهي الى
 آخر عمله ثم حضر واعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرز في الاوراق المحضرة حال جميع ضياع ارض مصر
 ومساحتها وعبرة اراضيها وما يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وتصنف فطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقي
 الاسعد بن أمين الملك المعروف بكتاب سرلغى وسائر مستوفي الدولة وألزمهم بعمل اوراق تشتمل على بلاد الخصاص
 السلطاني التي عينها لهم وعلى اقطاعات الامراء وأضاف على عبرة لكل بلد ما كان على فلاحيه من ضيافة
 لمقطعيها وأضاف الى العبرة ما في الاقطاع من الجوالي وكتب مثالات للاجناد باقطاعات على هذا الحكم فاعتمد
 منها بما كان يصرف في كاف حمل الغلال من النواحي الى ساحل القاهرة وما كان عليها من المكس وابطل السلطان
 عدة مكوس منها مكس ساحل الغلة وكان جل متحصل الديوان وعليه اقطاعات الامراء والاجناد ويتحصل منه
 في السنة أربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف درهم وعليه اربعة مائة مقطوع لكل منهم من عشرة آلاف الى ثلاثة
 آلاف ولكل من الامراء من اربعين ألفا الى عشرة آلاف وكانت جهة عظيمة لها متحصل كثير جدا وينال القبط

منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد ونعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت
تتعد ما بين نواتية تسرق ويكاليين تجس وشادين وكذاب يريد كل منهم شيئاً وكان مقررا لاربد درهمين للسلطان
ويطهه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بخص الكيالة في ساحل بولاق يجلس فيه
شاد وستون متعمدا ما بين كتاب ومستوفين وناظر وثلاثون جنديا مباشرين ولا يمكن احدا من الناس
أن يبيع قدحاً من غلة في سائر النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص الكيالة ببولاق وبما ابطال أيضاً نصف
السمسرة وهو عبارة عن أن من باع شيئاً من الاشياء فانه يعطى أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة
درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشينى الوزارة تقرر على كل دلال من دلالته درهمان من كل درهمين فصار
الدلال يعمل معدله ويجهده حتى ينال عادته وتصبح الغرامة على البائع قنصر الناس من ذلك واودوا فلم يغاثوا
حتى ابطال ذلك السلطان وبما ابطال رسوم الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاية والمقدمين فيحييها المذكورون من
عرفاء الاسواق وبيوت الفواحش ولهذه الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مستقطعون وامراء
وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت اكثر الناس وبما ابطال
مقرر الحوائص والبغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على كل من
الولاية والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثائة درهم
وعن ثمن بغل ثمانمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه
الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجون وهو عبارة عما
يؤخذ من كل من يسجن فللسجنان على حكم المقر رسته دراهم سوى كف اخرى وعلى هذه الجهة عدة
مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع
امراته وابنه رفعه الى الولى الى السجن فبجبر دمايدخل السجن ولولم يقيم به اللحظة واحدة اخذ منه المقرر وكذلك
كان على سجن القضاة أيضاً * (ومن ذلك مقرر طرح الفراريج) ولها ضمان عدة في سائر نواحي أرض مصر
يطرحون على الناس الفراريج فيغير بضعة الف الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسى الارامل من العسف والظلم
شيئاً كثيراً وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احدا من الناس في جميع الاقاليم أن يشتري فروجاً ما
فوقه الا من الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجاً من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو
بميت * (ومن ذلك مقرر الفرسان) وهو عبارة عما يحييه ولاية النواحي من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر
حتى يغرم عليه صاحب درهمين ويقامى الناس فيه اهلوا الاصعبة * (ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر) وهو
ما يجبي من مزارعى قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر * (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجبي
من سائر النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البتة وانما يجبي بضرائب ينال الناس
فيها مع المقر غرامات وروعات * (ومن ذلك حياصة المراكب) وهى عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير
معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة اشدها ظلم للناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من
السؤال والمكدين * (ومن ذلك حقوق القينات) وهو عبارة عما يجتمع من الفواحش والمنكرات
فيحييه مهتارا لطشخا ناه السلطانية من اوباش الناس * (ومن ذلك شدة الزعماء) وهى جهة مفردة وحقوق
السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية او عبيد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة فيؤخذ
من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراف وهو ما يجبي من سائر النواحي فيحمل ذلك مهتد سوا البلاد الى
بيت المال باعانة الولاية لهم في تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو
عبارة عما يؤخذ عن كسح الافنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا امتلأ سرباب جامع
ارمدرسة او مسط او تربة او منزل من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظيمة ما عسى أن يبلغ التعرض
لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاؤه على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاضطاط في السوم وطلب
اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ
ويضطر الى سؤاله ثانياً فيعظم تحكمه ويشته به الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فئاته ورفع
ما هنالك من الاقدار * (ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحي) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلي

والبحري ما من بلد صغير وكبير الا وفيه عدة من كتاب وشاة ونحو ذلك فأبطل السلطان المباشرين وتقدم
منعهم من مباشرة النواحى الا من بلد في مال السلطان فقط فأراح الله سبحانه الخلق بإبطال هذه الجهات
من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه * ولما أبطل السلطان هذه الجهات وفرغ من تعيين الاقطاعات للامراء
والاجناد وفرز لخاص السلطان من بلاد ارض مصر عدة نواح مما كان في اقطاعات البرجية وهى الخيرة
واعمالها وهو الكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقليم وصار
لاقطاعات الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطا ومكرا لا قبسط فيما أمكنهم المكرفيه فبدؤا بأن
اضغفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد فى عدة جهات فصار بعض الجبى فى الصعيد وبعضه فى الشرقية
وبعضه فى الغربية اتعابا للجندي وتكثيرا للسكفة وأفردوا جوالى الذمة من الخاص وفرقوها فى البلاد التى
أقطعت للامراء والاجناد فان النصارى كانوا مجمعة بين فى ديوان واحد كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى
فصار نصارى كل بلديد فعون جاليتهم الى مقطع تلك الضبعة فأتسع مجال النصارى وصاروا يتنقلون فى القرى
ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرة وافردوا ما بقى من جهات المكوس
برسم الخوائج خاناه التى تصرف للسماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ماشاوا ثم يتولوا صرف ما يحصل منه
فى جهات تستهلك بالا كل وصارت جهات المكوس مما يتحدث فيه الوزير وشاد الدواوين * ثم نظر السلطان
فيما كان بيد الاميرين بيسر الحاشنكير وسلار نائب السلطنة من البلاد فأخذ ما كان باسم كل منهم ما وباسم
خواشيه ولم يدع من ذلك شيئا مما كانوا قد وقفوه حتى حله وجعل الجميع اقطاعات واعتد فى سائر الاقطاعات
بما كان يستديه المنطع من فلاحه فحسب ذلك وأقامه من جملة عبر الاقطاع وأبطل الهدية فلم يتهبأ له الفراغ
من ذلك الى آخر السنة فلما أهل المحرم من سنة ست عشرة وسبع مائة وقد نظمت الحسابات على ثلث مغل
سنة خمس عشرة جلس السلطان فى الايوان الذى استجد به بقعة الجبل وقد تقدم لسائر نقباء الاجناد على
لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض فى كل يوم أميرين من الامراء المتقدمين بمضافيهم
فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من تقدمه ذلك الامير باسمائهم على
قدر منازلهم فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد نقيبته الى ما بين يدي السلطان فاذا مثل بحضرته سأل
السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار
من الامراء وغيرهم وعن مشاهدته التى حضرها فى الغزو وعمارة عرقه من صناعة الحرب وغير ذلك من
الاستقصاء فاذا انتهى استقهاه اياه ناوله بيده مثالا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له فلم يجزبه فى مدة
العرض احدا الا وقد عرفه وأشار الى الامراء بذلك من خبره هذا وقد تقدم الى سائر الامراء بأسرهم بأن
يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض احدهم السلطان فى شئ يفعل فكلوا يحضرون وهم سكوت
لا يتكلم احدهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله وأخذ السلطان فى مواربة الامراء فأتوا على احد
فى مجلس العرض الاو أعطاه السلطان مثالا باقطاع ردىء فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جملة وانفرد
بالاستبداد باموره دونهم فاعرف منه أنه قدّم اليه احد الاوسائل ان كان مملوكا عن اقدمه من التجار وسائر
ما تقدم وان كان شيخا فعن أصله وسنه وكه مصاف حضرها حتى أتى على الجميع وأفرد المشايخ العاجزين فلم
يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبة يقوم به فأنتهى العرض فى طول المحرم وتوفر كثير من مشالات الاجناد
فبلغ عدة مائتى مثال ثم أخذ فى عرض أطباق المماليك السلطانية ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدة
رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفاء الاجناد بمن قطع خبزه فجعل
لكل منهم فى السنة ثلاثة آلاف درهم * وكان لبيسر وسلار الجوكندارت تعلقات كثيرة فى بيت المال وفى
الاعمال كالخيزة والاسكندرية من متجر وحمايات فارتجع ذلك وأبطله وما شابهه وأضاف ما لم يقطعه الى
ديوان الخاص ومما أمر به فى مدة العرض أن لا يردأ احد ما لا أخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع أمير فى
جندي وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفى وقطع خبزه فعظمت مهابة السلطان وقويت حرمة ولم يجسر
أحد أن يرد عليه مثالا اخذه من السلطان ولا استطاع امير أن يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه مثالا
الف دينار الى اقطاع مائتى دينار ونحوها وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطى المثال

من غير تأمل كيف ما وقعت يده عليه وقدّر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صييان مطبخه رجل مضحك يهزل بحضرة فيضحك منه ويعجب به ولا يعترض فيما يقول من السخف بخاس السلطان في بعض أيام العرض في البستان بقلعة الجبل وعنده الخاصة من الامراء فدخل هذا المضحك وأخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى أن قال وجدت بعض اجناد الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورجمه فوق كتفه يقصدهم هذا السخرية والطعن فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه وعزوه ثيابه فتبادره الاعوان وجزوه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه في الساقية مع القواديس واكثروا من ضرب الابقار حتى اسرعت بدوران الساقية فصار المسكين ينقلب مع القواديس ويغطس في الماء نارة ويرقي اخرى ثم يتكس الماء يمر عليه مقدار ساعة الى أن انقطع حسه وأشرف على الهلاك واشتد رعب الامراء لما رأوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادار في طائفة من الامراء الخاصكية واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد عيب الاجناد ولا اتقا صهم ونحوه. هذا من القول الى أن أمر بحمله فاذا ليس فيه حركة فسهب ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر فأخرج من وقته منقيا وحده الله كل من الامراء على ما وفقه من السكوت عن الكلام في حال العرض وما زال الامر بمصر على ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك الى أن زالت دولة بني فلاون بالملك اظاهر برقوق في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فأبقى الامر على ذلك الا أن اشيء منه اخذت تتلاشى قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والمحن في سنة ست وثمانمائة حيث حدث من انواع التغيرات وتنوع الظلم ما لم يخطر ببال أحد وسيمر بك جمل من ذلك عند ذكر اسباب خراب اقليم مصر ان شاء الله تعالى وكانت لاراضي مصر تقبا ومخلدة في نواحيها وهي على قسمين تقاوى سلطانية وتقاوى بلدية فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك في النواحي وكان الامير أو الجندي عند ما يستقر على الاقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية فاذا خرج عنه طواب بها فلما كان الروك الناصري خلدت تقاوى كل ناحية بها وضبطت في الديوان السلطاني فبلغت جملتها مائة الف وستين ألف أردب سوى التقاوى البلدية

* (ذكر الديوان) *

قال أفضى القضاة ابو الحسن الماوردي الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان احدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرأهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقل ديوان والثاني أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحدقهم بالامور ووقوفهم على الخلق والحق وجعلهم لما شد وتفرق واطلاعتهم على ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقل ديوان انتهى واعلم أن كاتبة الديوان على ثلاثة أقسام كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكتبات ولا بد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد افردها العلماء في كتابة الخراج وفي كتابة الانشاء عدة مصنفات ولم أر أحد اجمع شيئا في كتابة الجيوش والعساكر وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة فلما انقضت ايام بني أمية وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الامور أيام الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم * وذكر ابو الفرورق قال حدثني ابو حازم القاضي قال قال لي ابو الحسن بن المدبر لو عمرت مصر كلها لوفت بأعمال الدنيا وقال ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان وانما المعمر منها ألف ألف فدان قال وقال لي ابن المدبر انه كان يقلد ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالي حتى أنهيه ولا بقيته وتقلدت مصر فكنت ربيعت وقد بقي هلى شيء من العمل فاستمته اذا أصبحت

* (ذكر ديوان العساكر والجيوش) *

يقال ان اول من وضع ديوان الجند بخيلهم كبراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس وان كيتباذ قبله

كان قد أخذ العشر من الغلات وصرفه في أرزاق جنده وأما في الإسلام فما خرج به البخاري ومسلم من حديث
 حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفاً
 وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخاري في باب كتابة الامام الناس وللبخاري من حديث عبد الله بن عباس
 رضي الله عنه ما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اكتب في غزوة كذا وكذا
 وامراني حاجة قال ارجع فاحجج مع امرأتك وقال عمرو بن منبه عن معمر عن قتادة قال آخر ما أتى به النبي
 صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه
 وسلم بيت مال ولا لابي بكر وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال ابن شهاب عمر أقول
 من دون الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت قسم أبي القيس عام أول فأعطى الحر عشرة
 والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمة عشرة ثم قسم العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين فقيل ان سببه أن
 أباه ريرة رضي الله عنه قدم على عمر رضي الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ما ذا جئت به فقال خمسمائة
 ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيع هو قال لا أدري
 فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فأنشئتم كلنا لكم كيلاً وان شئتم
 عددنا لكم عدداً فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدقون ديوانا لهم فدقون أنت ديوانا
 فدقون عمر * وقيل بل سببه أن عمر بعث بعثاً وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت اهله الاموال
 فان تخلف منهم رجل من اين يعلم صاحبك به فأنت لهم ديوانا فسله عن الديوان حتى فسر له فاستشار المسلمين
 في تدوين الدواوين فقال له علي بن ابي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تملك منه شيئاً
 وقال عثمان رضي الله عنه أرى ما لا كثيراً يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ من لم يأخذ خشيت
 أن يتشتر الامر وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كنت بالشام فرأيت مملوكاً قد قتل ديوانا وجندوا
 جندوا فدقون ديوانا وجند جندوا فأخذ بقوله ودعا عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم
 وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤا ببن هاشم وكتبوهم ثم أتبعوهم اولاد أبي بكر
 وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضي الله عنه فلما نظره قال لا
 ولكن ابدؤا بقراية رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره
 العباس رضي الله عنه على ذلك وقال وصلت رجلك وقد اختلف في السنة التي فرض فيها عمر رضي الله عنه
 الاعطية ودقون الدواوين فقال الكلبي في سنة خمس عشرة وحكي ابن سعد عن عمر الواقدي أنه جعل ذلك
 في سنة عشرين قال الزهري وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين
 القادسية وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين وقال ما يحل للوالي من هذا المال
 فقالوا جميعاً ما الخاصة فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوته وكسوتهم للشاء والصيف ودايتان
 الى جهاده وحوادثه وحملاته الى حجتة وعمرته والقسم بالسوية وأن يعطي اهل البلاد على قدر بلادهم ويرم
 امور الناس بعد وبتعهادهم في السداد والنوازل حتى تتكشف ويبدأ بأهل التي ثم يجوزهم الى كل مغلوب
 ما بلغ اليه وقال الضمك عن ابن عباس رضي الله عنه ما ما اقتضت القادسية وصالح من صالح من اهل
 السواد واقتضت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضي الله عنه للناس اجتمعوا فاحضروني عليكم فيما افاء
 الله على اهل القادسية واهل الشام فاجتمع رأي على وعمر رضي الله عنه ما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا
 ما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني من الخس والفدول رسول يعني من الله الامر وعلى الرسول القسم ولذي
 القرى واليتامى والمساكين ثم فسر واذل بالآية الاخرى التي تليها الفقراء المهاجرين الآية فأخذوا اربعة
 الاخماس على ما قسم عليه الخس فبين بدئ به وثني وثلاث وأربعة أخماس لمن افاء الله عليه الغنم ثم استشهدوا
 على ذلك بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسة الآية من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن
 افاء الله عليه فقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر وعلي وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدأ بالمهاجرين ثم
 الانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح اودعوا الى الصلح من
 حراية فردّه عليهم بالمعروف وليس في الجزا أخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم بمن ولي ذلك منهم ولن يلحق به

قوله وقال الضمك
 الخ لا تخلو هذه
 العبارة عن نظره

فأعانهم بأسوة الآن يواسوا بفضلهم عن طيب انفس منهم من لم يثل مثل الذي نالوا وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضي الله عنه اني مجند المسلمين على الاعطية ومدقنهم ومحقري الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلى رضي الله عنهم ابدأ بنفسك قال لا أبداً الا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله ففرض للعباس وبدا به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لابن عبد بدر الى الحديبية أربعة آلاف اربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى أن اقلع ابو بكر رضي الله عنه عن اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام اصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لاهل البلاد النازح منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقبل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا لاهل الله اذن وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم من قد قربت داره وقاتل عن فئته فقال هم كانوا أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء الحرق وشيخا للعدو وایم الله ماسقيتهم حتى استطبتهم فها قال المهاجرون مثل قولهم حين سوينا بين السابقين من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهما جرح اليمم المهاجرون من بعد وفرض الروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثمانمائة ثمانمائة سوي كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل قويهم وضعيفهم عريتهم واعجمهم في طبقاتهم سواء حتى اذا حوى اهل الامصار من حووا ومن سبباياهم وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين فكان آخر من فرض له عمر رضي الله عنه اهل هجر على مائتين ومات عمر على ذلك وأدخل في أهل بدر أربعة من غير اهل بدر الحسن والحسين وأبذر وسلمان وقال ابو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفاً وقال الزهري على اثني عشر ألفاً وجعل نساء اهل بدر الى الحديبية على اربعمائة اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثمانمائة ثمانمائة ثم نساء اهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوي بين النساء بعد ذلك وجعل للصبيان من اهل بدر وغيرهم مائة مائة ثم دعاستين مسكيناً فأطعمهم خبزاً بلج فأحصوا ما اكوه فوجدوه يخرج من جريتين فرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعيله جريتين جريتين في كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لارواح النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الامن جرى عليه البيع فقالت امهات المؤمنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهم في القسمة ولكن كان يسوي بيننا فسوي بيننا فجعلهن على عشرة آلاف عشرة آلاف وفضل عائشة رضي الله عنها بألفين فأبت فقال لفضل منزلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتها فشاها فكان الناس اعشاراً فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخيل على اعرافها ما زالوا كذلك حتى اخططت الكوفة والبصرة فغيرت العرفاء والاعشار وجعلت اسبعا وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة واربعين رجلاً وثلاثاً واربعين امرأة وخمسين من العمال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الايام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة وكل عبد مائة على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلاً وستين امرأة واربعين من العمال ممن كان رجالهم الحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم وكان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ابادي العرب فيسددفعونه الى العرفاء والنقباء والامناء فيسددفعونه الى أهله في دورهم فمات عمر رضي الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف وقال لقد هممت أن أجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف ألف يخلفها الرجل في أهله وألف يتزودها معه في سفره وألف يتجهز بها وألف يتفرق بها فمات وهو في ارثاء ذلك قبل أن يفعل وكان يقرى البعوث على قدر المسافة ان كان بعيداً فسنه وان كان دون ذلك فسنه اشهر فاذا اخل الرجل بشجرة نزعت عمامته واقیم في مسجد حيه فقبل هذا فلان قد اخل وقال سيف بن عمر أول عطاء أخذ سنه خمس عشرة وكان عمر بن العاص رضي الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمان رضي الله عنه لثلاث مضي من المحرم سنة اربع وعشرين زاد الناس مائة وكان أقول من زاد ورقد أهل الامصار وهو أول من رقدهم وصنع فيهم الصنائع فاستن به الخلفاء في الزيادة وكان عمر قد فرض لكل نفس منقوسة من اهل النبي في رمضان

درهمه في كل يوم وفرض لامهات المؤمنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم به طعاما لجمعتهم عليه فقال
 اشبعوا الناس في يومهم فأقر عثمان رضى الله عنه ذلك وزاد فوضع لهم طعام رمضان وقال هو والله عبد الذي
 يتخلف في المسجد ولا بن السبيل وللمعتزين بالناس في رمضان فاقتردى به الخلفاء من بعده * وكان بمصر
 في خلافة معاوية بن أبي سفيان أربعون ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين وكان انما يحمل الى
 معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة
 من قبائل العرب بمصر رجلا يصح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم
 نازل فيقال ولد لفلان غلام ولد لفلان جارية فيكتب اسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعماله فيسميه
 وعماله فاذا فرغ من القيل اتي الديوان حتى يثبت ذلك واعطى مسلمة بن محمد الانصاري امير مصر اهل الديوان
 اعطياتهم واعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائب البلاد من الجصور وارزاق الكتبة وجمالان القمح الى
 الجواز وبعث الى معاوية ستمائة ألف دينار فضلا واقل تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه
 ثم دون عبد العزيز بن مروان تدويننا ثانيا ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدويننا
 رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شي له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن
 مروان فلما انقرضت دولة بني امية وغلبت المسودة بنو العباس احدثوا الاشياء حتى اذا مات عبد الله المأمون بن
 هرون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين بوبيع اخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هرون
 كتب الى كندر بن نصر الصفدي امير مصر يا امره باسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل
 ذلك وكان مروان بن محمد الجعدي آخر خلافة بني امية قطع عن أهل مصر العطاء سنة ثم كتب اليهم
 كتابا يعتذر فيه اني انما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضري فاخبت الى المال وقد وجهت
 اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوه هنيئا مر يا وأعوذ بالله أن يكون أنا الذي يجري الله
 قطع العطاء على يديه ولما قطع كندر عطاء أهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروى في جمع من نلهم وجداهم وقال له
 هذا امر لا يقوم فينا افضل منه لاننا منعنا حقنا وفيه لنا فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ومات كندر في ربيع الآخر
 سنة تسع عشرة ومائتين وولى ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقتله في بحيرة تبتس وأخذته اسيرا
 فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم الى أن ولى الامير ابو العباس احمد
 ابن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركي وأربعين
 ألف اسود وسبعة آلاف حتر مرتزق ثم استجده ابنه الامير ابو الجيش خاويه بعده عدة من شناترة خوف
 مصر فلما كانت اماره الامير ابي بكر محمد بن طغج الاخشيدي على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام
 اربعمائة ألف تشمل على عدة طوائف ثم ان الاستاذ ابا المسك كافورا الاخشيدي استجده عدة من السودان
 في ايام تحكمه بمصر فلما تغلب الامام المعز لدين الله ابوتيم معدة الفاطمي على مصر صارت عساكرها ما بين
 كئامة وزويله ونحوها من طوائف البربر وفيهم الروم والصقالبة وهم في العدد كفايل * ومنهم مائة * ولم
 تكن جيوشه تعد * ولما اوتيه كان حدة * من كل ما يسعد فيه حدة * وحتى قيل انه لم يبطأ الارض بعد جيش
 الاسكندر بن فليس المقدوني اكثر عددا من جيوش المعز فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله
 ابو منصور اراد استخدام الديلم والأتراك واختص بهم * وذكر الامير المختار عبد الملك المسيحي في تاريخه أن خزنة
 الخصاص حملها لما خرج العزيز الى الشام عشرون ألف جعل خارجا عن خزائن القواد وأكابر الدولة * وذكر ابن
 ميسر في تاريخه أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر اعزاز دين الله ابي الحسن على بن
 الحاكم بالله ابي على منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عدتهم خمسين ألف عبد سوى طوائف العسكر
 ورأيت بخط الاسعد بن مماتي ان عدة الجيوش بمصر في ايام رزيق بن الصالح طلائع بن رزيق كانت أربعين ألف
 فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة شواني بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض
 الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب أزال جند مصر
 من العبيد السود والامراء المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجده عسكرا من الاكراد والأتراك خاصة
 وبلغت عدة عساكره بمصر اثني عشر ألف فارس لا غير فلما مات اقرقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك

العزير عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة فارس الآن فتبهم من له عشرة اتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من له أكثر من ذلك الى مائة تسع لرجل واحد من الجند فكانوا اذا ركبوا ظاهرا القاهرة يزيدون على مائتي ألف ثم لم يزالوا في اقتراق واختلاف حتى زالت دولتهم بقيام عبيد الله المماليك الاثر الخذواخذوا مواليتهم بنى ايوب واقتصروا على الاثر الوثني من الراكدا واستجدة وامن المماليك التي تجلب من بلاد الترك شيئا كثيرا حتى يقال ان عدة ممالك المنصور قلاون كانت سبعة آلاف مملوك ويقال اثني عشر ألفا وكانت عدة ممالك ولده الاشرف خليل بن قلاون اثني عشر ألف مملوك ثم تبلغ بعد ذلك قريبا من هذا الى ان زالت دولة بني قلاون في شهر رمضان سنة اربع وعشرين وسبع مائة بالملك الظاهر برقوق فاخذ في محو المماليك الاشرفية وانشأ لنفسه دولة من المماليك الجركسية بلغت عدتهم ما بين مائتي ومائتي ومائة استخدم اربعة آلاف وتريد قليلا فلما قام من بعده ابنه المنصور فرج اقترقوا واختلغوا فلم يقتل حتى هلك كثير منهم بالقتل وغيره وعسا كرمصر في الدولة التركية على قسمين اجناد الحلقة والمماليك السلطانية واكثر ما كانت اجناد الحلقة في ايام المنصور محمد بن قلاون فانها بلغت على ما رايته في جرائد ديوان الجديش بأوراق الروك الناصري اربعة وعشرين ألف فارس ثم ما زالت تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها سواء منها الالف والواحد فانها لا تنفع ولا تدفع واما المماليك فانها اليوم قليل عددها بحيث لو جمعت اجناد الحلقة مع المماليك السلطانية لا تكاد أن تبلغ خمسة آلاف فارس يصلح منها الان يباشر القتال ألف اودونم وهي اليوم قسمان اجناد الحلقة والمماليك السلطانية والمماليك السلطانية ثلاثة اقسام ظاهرة وناصرة ومؤيدة والمؤيدة ما بين حكمية ونوروزية ومن استجده المؤيد وان خوفي ليكثر أن يكون الحال بعد الملك المؤيد أبي النصر شيخ خلد الله ملكة يلاشي الى أن يؤيد الله الملك بانه الامير صارم الدين ابراهيم شدا الله به ازره فانه فتح من البلاد الرومية ما لا ملكة أحد من مملوك مصر في الدولة الاسلامة قبله * والسبل في الخبر مثل الاسد * وابن السري اذا سري اسراهما * ولا غرو أن يحذو والفتي حذو والده * بأبه اقتدى عدى في الكرم * ومن يشابه أبه غاطم * ان الاصول عليها نبت الشجر * ثم لما ملك الاشرف برسباي صارت المماليك سبع طوائف ظاهرة وناصرة ومؤيدة ونوروزية وحكمية وططرية واشرفية كل طائفة منها مائة لجميعها فلذلك اضمعلت شوكتهم وانكسرت حمتهم وأمنت على السلطان غائلتهم ولم يخف ثورتهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين وتباينهم وان كانوا في الظاهر متفقين واعلم انه كانت عادة الخلفاء من بني امية وبني العباس والفاطمين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تجبي اموال الخراج ثم تفرق من الديوان في الامراء او العمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك في صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى أن كانت دولة العجم فغير هذا الرسم وفترت الاراضي الاقطاعات على الجند واقل من عرف انه فترق الاقطاعات على الجند نظام الملك ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي وزير البرشلان ابن داود بن ميكال بن سلجوق ثم وزير ابنه ملكشاه بن البرشلان وذلك ان ملكته اتسعت فرأى أن يسلم الى كل مقطع قرية او أكثر او اقل على قدر اقطاعه لانه رأى ان في تسليم الاراضي الى المقطعين عمارتها الاعناء مقطعيها بأمرها بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة ديوان واحد فان الخرق يتسع ويدخل الخلل في البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من المملوك من اعوام بضع وعشرين واربع مائة الى يومنا هذا وكانت الخلفاء ترزق من بيت المال فذكر عطاء بن السائب في حديث ان أبا بكر رضي الله عنه لما استخلف فرض له كل يوم شطر شاة وما يكس به الرأس والبطن وذكر عن حميد بن هلال انه فرض له بردان اذا خلقه ما وضعهما وأخدمته لهما وطهره اذا سافر ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف وذكر ابن الاثير في تاريخه ان الذي فرضوا له ستة آلاف درهم في السنة وفرض لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استخلف ما يصلح له ويصلح عياله بالمعروف وقال له علي رضي الله عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال علي يأخذ قوته وفرض عمر اربعة بن ابي سفيان علي عمله في الشام عشرة الاف دينار في السنة وقيل بل رزقه ألف دينار وهو اشد به

• (ذكر القوائم والاقطاعات) •

يقال اقتطع طائفة من الشيء أخذها والقطعة ما اقتطعه منه وأقطعني أياها أذن لي في اقتطاعها واستقطعه أياها

سأله أن يقطعه أياها وأقطعه نهر أو أرضا أباح له ذلك وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتألف على الاسلام قوما وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا في اقطاعه مسلحا * روى ابن أبي نجيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أناسا من مزينة وجهينة أرضا فلم يعمروها فجاء قوم فعمروها فخاصهم الجاهليون والمزنيون الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر لو كانت مني او من أبي بكر لرددتها ولكن اقطاعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها * وقال هشام بن عروة عن أبيه أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخل من اموال بني النضير وذكر انما ارض يقال لها الحرف * وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقطع العقيق أجمع الناس حتى جازت قطيعة عروفة فقال ابن الزبير المستقطعون فند اليوم فان ملك فيه خير فتحت قدحى قال خوات ابن جبير أقطعني فأقطعه اياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أقطع أبا بكر وأقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال اشعث بن سوار عن حبيب بن أبي ثابت عن صلت المكي عن أبي رافع قال اعطى النبي صلى الله عليه وسلم قوما أرضا فخرجوا عن عمارتها فباعوها في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمائة آلاف دينار او ثمانمائة ألف درهم فوضعوا الاموالهم عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال احسبوا ان كانت فوجدوه وافيا فقال احسبتم أن امسك ما لا ولا اركبه وقد سألت قيم الدار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعه عيون البلد الذي كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشني أن يقطعه أرضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول فقال والذي به ثك بالحق ليعتجن عليك فكتب له بذلك كما قال ثابت بن سعد عن أبيه عن جده ان الابيض بن جمال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فأقطعه فقال الاقرع بن حابس التميمي يا رسول الله اني وردت هذا الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس فيها ملح من ورده أخذه وهو مثل الماء العذب بالارض فاستقال الابيض فقال قد أقتلتك على أن تجعله مني صدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو منك صدقة وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزني عن أبيه عن جده أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المعادين القبلية جليتهم وغورتها وقال مالك عن ربيعة عن قوم من علمائهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزني معادن بناحية الفرع * وعن ربيعة عن الحارث بن بلال عن أبيه بلال بن الحارث ان النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه العقيق اجمع وعن حماد بن سلمة عن أبي حكيم عن أبي عكرمة مولى بلال بن الحارث قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أرضا فيها جبل معدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز أرضا منها فظهر فيها معدن او قال معدنان فقالوا انما بعناك أرض حرث ولم نبعاك المعادن وجاءوا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة فقبلها عمر وفتح وصححها بعينه وقال لقيمه انظر ما خرج منها وما انقفت فخاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ارض السواد أموال كسرى وأهل بيته وما هرب عنه اربابه او هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة آلاف ألف درهم كان يصرفها في مصالح المسلمين ولم يقطع شيئا منها ثم ان عثمان رضي الله عنه أقطعها لانه رأى اقطاعها او فزعها من ثمنها من تعطيها وشرط على من اقطعها أن يأخذ منه حق النقي عفو كان مبلغ غلته خمسين ألف ألف درهم كان منها صلته وعطايه ثم تناقلها الخلفاء بعده فلما كان عام الحجاج سنة اثنين وثمانين في فتنة عبد الرحمن بن الاشعث احرق الديوان وأخذ كل قوم ما يليهم وأقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن سندر رمنية الاصبغ فخاز منها لنفسه ألف فدان وقال وكيع عن سفيان عن جابر الجعفي عن عامر لم يقطع أبو بكر ولا عمر ولا علي رضي الله عنهم واقل من اقطع القطائع عثمان رضي الله عنه وبيعت الارضون في خلافة عثمان قال الليث بن سعد ولم يبلغنا ان عمر بن الخطاب أقطع أحد من الناس شيئا من ارض مصر الا ابن سندر فانه أقطعه ارض منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطيعة اقدم منها ولا أفضل وقال الاعمش عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال أقطع عثمان رضي الله عنه عبد الله بن مسعود النهرين وعمار بن ياسر اسنسا وأقطع خبابا وصهيبا وأقطع سعد بن أبي وقاص قرية هرمل وكان عبد الله ابن مسعود وسعد يعطيان ارضهم ما بالثلث والرابع * وقال سيف بن عمرو بن عمرو بن محمد عن عامر

قال اقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار زمان عثمان فان يكن عثمان اخطأ فالذين قبلوا منه اخطأوا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلحة وجبرير ابن عبد الله والربيع بن عمرو واقطع ابا مفرز دار النبل في عدة ممن اخذنا عنه وانما القطائع على وجه النفل من خمس ما آفاه الله وكتب عمر رضي الله عنه الى عثمان بن حنيف مع جبرير بن عبد الله الجبلي أما بعد فأقطع جبرير ابن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمان الى عمران جبرير اقدم على بكتاب منك نقطعه ما يقوته فكرهت أن أمضي ذلك حتى اراجعك فيه فكتب اليه صدق جبرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت في مؤامري وأقطع أبو موسى الأشعري وأقطع علي بن أبي طالب رجة كردوس بن هاني وأقطع سويد بن غفلة الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريرة عن سويد بن غفلة قال استعطعت عليا فقال اكتب هذا ما أقطع على سويد ارض الدواب ما بين كذا الى كذا ما شاء الله وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فأورد شيئا كثيرا وقد كان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس يقطعون الاراضي من ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف منه اعطية الجند وسائر الكلف ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما اقطع من الاراضي فانه يمد من اقطعه وأما منذ كانت ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى يومنا هذا فان اراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده وارض مصر اليوم على سبعة اقسام قسم يجري في ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة اقسام منه ما يجري في ديوان الخصاص ومنه ما يجري في الديوان المفرد وقسم من اراضي مصر قد اقطع للأمراء والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذراري واقفي تلك الاراضي وعقباتهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجري فيه اراض بايدي قوم يأكلونها اما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع وما يكون لهم في مقابلة عمل * وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال * وقسم سادس لا يزرع للعجز عن زراعته فترعاه المواشي او ينبت الحطب ونحوه * وقسم سابع لا يشبه له ماء النيل فهو قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليفة ومنه ما كان عامرا في الدهر الاول ثم خرب وسائر هذه الاقسام مذكورة اخبارها في هذا الكتاب تجدها ان أنت تأمته ان شاء الله تعالى وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام في كتاب الاموال في الكلام على حديث معمر بن عبد الله بن طاوس عن أبيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادى الارض لله ولرسوله ثم هي لكم قلت ما معنى ذلك قال تكون اقطعا هذا الخبر أصل في الاقطاع والعادى كل ارض كان لها سكان فانقرضوا أي فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال وأما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي عامرة لها أهل فاعطاء الامام يكون على وجه النفل ومن ذلك ما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عتمة الداري فانه اعطاه ارضا بالشام من قبل أن يفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلها له نفلا من اموال أهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل نائيه نقيلة لما وهبها الشيباني قبل اقتتاح الحيرة فامضاها له خالد بن الوليد رضي الله عنه وكذلك امضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقيم الداري لما فتحت فلسطين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم نفعه انتهى فقد خرج أبو عبد الله هذه العطية المعلقة بخرج النفل الذي ينفله الامام ببعض المقائلة * وقال أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي في الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع استغلال واقطاع تملك والثاني ينقسم الى موات وعامر والثاني ضربان أحدهما ما يتعين مالكه ولا نظر للسلطان فيه الا تلك الارض في حق لبيت المال اذا كانت في دار الاسلام فان كانت في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليه ايد فأراد الامام أن يقطعها لملكها المقطع عند الظفر بها فانه يجوز فقد سأل عليم الداري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيه عيون البلد الذي كان منه قبل ان يفتح الشام ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشني أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول هذا فقال والذي بعثك بالحق ليقعن عليك فكتب له بذلك كتابا قال الماوردي وهكذا الواسطهوب أحد من الامام ما لا في دار الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيئا من سديها أو ذرارها ليكون احق به اذا فتحت بخاز وصحت العطية منه مع الجهة التي تعلقها بالامور العامة * وقد روى الشعبي أن خزيمة بن اوس الطائي قال للنبي صلى الله عليه

وسلم ان فتح الله عليك الخيرة فأعطى بنت نفي له فلما أراد داخله صلح أهل الخيرة قال له خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني بنت نفي فلا تدخلها في صلحك فتشهد له بشرب سبعة ومحمد بن مسلمة فاستثنىها من الصلح ودفعها الى خزيمة فاشترى بألف درهم وكانت عجزت وحالت عما عهد منها فقبل له قدر خصتها وكان أهلها يدفعون لك اضعاف ما سألت فقال ما كنت اظن ان عددنا يكون اكثر من ألف قال الماوردي واذا صح الاقطاع والتملك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المتقطع والمستوهب احق بما استقطعه واستوهبه من الغنائم ونظر في الغنائم فان كانوا اعموا بالاقطاع أو الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا عاوضهم الامام بما يستطيب نفوسهم من غير ذلك من الغنائم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يلزم الامام استجابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم اذا رأى المصلحة في ذلك

*** (ذكر ديوان الخراج والاموال) ***

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف وأول ما دقن هذا الديوان في الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذي نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ونسخها بالعربية وصرف انتناش عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص وأول من نقل الدواوين من الفارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان بن ذكوان ووفى سنة اثنين وعشرين ومائتين والاكترون على ان الذي نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الخجاج وكان مولى لبني سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك ان صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبي سبجستان ومهر صالح في الكتيبة وكتب لزيدان فروج كاتب الخجاج بن يوسف الثقفي وخط بين يديه بالفارسية والعربية تخف على قلب الخجاج تخاف من زادن وقال له انت الذي رقيتني حتى وصلت الى الامير واره قد استخفني ولا آمن أن يقتلني عليك فتسقط منزلتك فقال زادن لا تظن ذلك هو أحوج الى مني اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح والله لو شئت ان احوّل الحساب الى العربية لحولته قال فحول منه اطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الخجاج بطيبيه فشق ذلك على زادن وأمره ان لا يظهر للخجاج فاتفق عقيب ذلك ان زادن قتل في قسنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الخجاج بعده صالحا فأعلم الخجاج بما جرى له مع زادن في نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه في امضائه فنقله من الفارسية الى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل فأبى عليهم فقال له مروان شاه بن زادن فروج قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما عظم منته على الكتاب وأما ديوان الشام فان الذي نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل واختلاف في وقت نقله فقبل نقل في خلافة عبد الملك بن مروان وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذي يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصراني في أيام معاوية بن أبي سفيان ثم كتب بعده ابنه منصور ابن سرجون

*** (ذكر خراج مصر في الاسلام) ***

أول من جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه فكانت جبايته اثني عشر ألف دينار بقرضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أربعة عشر ألف دينار فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمر بن العاص يا أبا عبد الله درت القصة يا أكثر من درها الاقل فقال اضرم بوله ها وهذا الذي جباه عمرو ثم عبد الله انما هو من الجحاجم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعدهما لتقو الفساد مع الزمان وسريان الخراب في أكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبا بنو امية وخلفاء بني العباس الا دون الثلاثة آلاف ما خلا أيام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبيد الله بن الحجاج عامل مصر بالعمارة

فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة الا في وقتين * أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عند ما ولي الخراج عبيد الله بن الحجاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر والغامر بمباركته ماء النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الارض فراكها كلها وعدلها غاية التعديل فعمدت معه أربعة آلاف ألف دينار وهذا السعر راح والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع ومائة لاقول أيام هشام بن عبد الملك وظف ابن الحجاب بمصر طبقات معلومة منسوبة في الدواوين ولم تزل الى ما بعد ذهاب بني امية ومبلغها ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وثمانمائة وسبعمائة وثلاثون ديناراً منها على كور الصعيد ألف ألف واربع مائة دينار وعشرون ديناراً ونصف والباقي على كور أسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها في خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار * والوقت الثاني في اماره أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خربت أرض مصر حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالحق فيها فعمدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثمانمائة ألف دينار وجباها ابنه الأمير أبو الجيوش خاويه بن أحمد أربعة آلاف ألف دينار مع رضاء الاسعار أيامئذ فانه ربما يبيع في الايام الطولونية القمح كل عشرة أراذب ديناراً * وذكر ابن خرداذبه ان خراج مصر في ايام فرعون كانت ستة وتسعين ألف ألف دينار وان ابن الحجاب جباها التي ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وعشرين ألفاً وثمانمائة وتسعة وثلاثين ديناراً وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد اعطية أهل مصر وكافها قال وجل منها موسى بن عيسى الهاشمي ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار يعني بعد العطاء والمؤون وسائر الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعمائة وخمسين ألف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين في خلافة المأمون وغيره وبلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طغج الاخشيد التي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكاً له والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديرًا بحزفيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال حط من الجرايات والارزاق فليس هؤلاء اولي من الواجب فقال غدا تجيئني وندير هذا فلما اتاه من الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ولست آخذ هذا النقص الامنك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسبيحاً وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك فعوتب على ما صنع فقال يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاءه أحمد بن محمد بن المارداني فقال له ما بيني وبين السلطان معاملة ولا للاخشيد على طريق وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد وألف دينار لك فجاءني وقال لك قبل ابن المارداني مطالبة فقلت لا فقال هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء فاعطاني ألفاً وأخذ عشرة آلاف دينار واهدى الى محمد بن علي المارداني في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستقرت لها فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي ارسلت اليك مائة ألف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار فأخذ المائة واعطاني العشرين القافذ كرت قول محمد بن علي له فقال ما ابرده هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريد اخذها واناء علم انك تتلفها * (وبلغت الرواتب) في ايام كافور الاخشيدى خمسمائة ألف دينار في السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الخاشية ولا من المتصرفين في الاعمال فحسن له علي بن صالح الروزبادي الكاتب ان يوفى من مال الرواتب شيئاً يتنقصه من ارزاق الناس فساعة جلس يعمل حكمة جبينه فحكه بقلمه والحكمة ان يزيد به الى ان قطع العمل وقام لمابه ففوج بحمته بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثمانمائة وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء قال تعالى ولا يصحيق المكر السيئ الا باهله * ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن فاتضع خراجها الى ان قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد فجبي الخراج لسنة ثمان وخمسين وثمانمائة ثلاثة آلاف ألف دينار واربع مائة ألف دينار وبقا وأمر الوزير الناصر لدين أبو الحسين عبد الرحمن البيازوري وزير مصر في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملاً جامعاً وأناه به فوجد ارتفاع

الدولة ألفي ألف دينار منها الشام ألف دينار ونفقته بأزاء ارتفاعه والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار
 * قال القاضي أبو الحسن في كتاب المتاج في علم الخراج وقفت على مقايضة عملت لامير الجيوش بدر الجمالي
 حين قدم مصر في أيام الخليفة المستنصر وغلب على امرها وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيما ان الذي
 اشتمل عليه الارتفاع في الهلالى لسنة ثلاث وثمانين واربع مائة وفي الخراج على ما يقتضيه الديوان فيه
 مما كان جاريا في الاعمال المصرية من الخراج وما يجرى معه والمضمون والمقطع والمورد بغيره والمحول بالاهرة
 ومصر وضواحيها وناحيتي الشرقية والغربية من أسفل الارض واعمالها وتينس ودمياط واعمالها
 والاسكندرية والبحيرة والاعمال الصعيدية العالية والدانية ووحدات وعمذاب لسنة ثمانين واربع مائة الخراجية
 على الرسوم المصرية وما كان من الاعمال الشامية التي اولها من حد الشجرتين وهو أول الاعمال الفلسطينية
 والاعمال الطرابلسية لسنة ثمان وسبعين واربع مائة الخراجية على ما استقرت عليه الجحلة عيننا ثلاثة
 آلاف ألف ومائة ألف دينار وان الذي استقر عليه جملة ما كان يتأدى في سنة ست وستين واربع مائة
 الهلالية قبل نظر امير الجيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين واربع مائة الخراجية فكان مبلغها ألفي ألف
 وثمانمائة ألف دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار مما عرب عنه حسن العمارة
 وشمول العدل وكان نظم هذه المقايضة سنة ثلاث وثمانين واربع مائة * وذكر ابن ميسران الافضل بن أمير
 الجيوش امر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار * وذكر القاضي الفاضل في ميا وماته انه
 عبر البلاد من اسكندرية الى عمذاب لسنة خمس وثمانين وخسمائة خارجا عن الثغور وارباب الاموال الديوانية
 وعدة نواح اربعة آلاف الف وستمائة الف وثلاثة وخسين الفا وتسعة وعشرين دينارا ثم تقاصرت الى ان
 جباها القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمي التينسي عينا خلاصا الى بيت المال بعد المون والكلف
 ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار الى آخر سنة اربعين وخسمائة ثم بعده لم يجبها هذه الجباية أحد حتى
 انقرضت الدولة الفاطمية * وسبب انضاع خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم في آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر
 عشرين ألف ألف دينار أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الارض فانها تحتاج ان ينفق
 عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه وآخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجدت حرماتين يوما ومسا حة ارضها
 مائة ألف ألف وثمانين الف الف فدان يزرع منها في مباشرة ابن مدبر أربعة وعشرون ألف ألف فدان وانه لا يتم
 خراجها حتى يكون فيها اربع مائة ألف وثمانون ألف حراث يلزمون العمل فيها دائما فاذا اقيم بها هذا القدر
 من العمال في الارض تمت عمارتها وكم كل خراجها وآخر ما كان بها مائة ألف ألف وعشرون ألف من اراع
 في الصعيد سبعون ألفا وفي أسفل الارض خمسون ألفا وقد تغير الا ان جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة
 واخذت اختلافا فاضحا

* (ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها) *

اعلم ان اراضي مصر عدة اصناف اعلاها قيمة وأوقاها سعرا وأعلاها قطيعة الباق وهو أثر اقريط والمقاني فانه
 يصلح لزراعة القمح وبعد الباقي الري الشراقي وهو الارض التي ظلمت في الخالية فلما رويت في الاتية وصارت
 مستريحة من الزرع وزرعت أنجب زرعها والبراب وهو أثر القمح والشعير وسعها دون الباقي اضعف الارض
 بزراعة هذين الصنفين فتي زرعت على اثر أحدهما لم ينجب كنجابة الباقي والبراب صالح لزراعة القريط والقطاني
 والمقاني فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتوصير في القابل ارض باق والسقما هيمة اثر الكنان فان
 زرعت قمحا خسر والشتوية اثر ما روى وباري السنة الماضية وهو دون الشراقي والسلاحي ما روى وباري فث
 وتعمل وهو مثل ري الشراقي فان زرعه يكون ناجيا والنقا كل ارض خلت من اثر ما زرع فيها ولم يبق بها شاغل
 عن قبول ما يزرع فيها من اصناف الزراعات والوصح كل ارض استحكمت وسخها ولم يقدر الزراعون على ازا حته
 كله منها بل حرقوا وزرعوا فيها بجفاء زرعها مختلطا بالحقاء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن
 قبول الزراعة ومنع كثرته من زراعتها وصارت مراعي والخرس كل ارض فسدت بما استحكمت فيها من موانع
 قبول الزرع وكانت بها مراعي وهو أشد من الوصح والغالب اذا ادمن على ازالة ما فيها من الموانع تميا صلاحها
 والشراقي كل ارض لم يصل اليها الماء اما القصور ماء النيل أو علوا الارض أو سد طريق الماء عنها أو غير ذلك

والمستبحر كل أرض وطنية حصل بها الماء ولم يجدهم صر فاحق فات اوان الزرع وهو باق في الارض والسباح
كل أرض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم يتقنع بها في زراعة الحبوب ورمما زرع ما لم يستحكم السباح فيها غير
الحبوب كالهليون والباذنجان ويزرع فيها القصب الفارسي * ومما لا غنى لاراضي مصر عنه الجسور وهي على
قسمين سلطانية وبلدية فالجسور السلطانية هي العامة النفع في حفظ النيل على البلاد كافة الى حين يستغنى
عنه ولها رسوم موظفة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت في القديم تعمل من أموال النواحي
ويتولى عملها مستقبلا الاراضي ويعتد لهم بمصارف عليها بماء عليهم من قبالات الاراضي ثم صار بعد ذلك
يستخرج برسم عملها من هذين العاملين مال بايدي المستخدمين من الديوان ويصرف عليها ويفضل من
المال بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امراء الدولة الى أن حدثت الحوادث في أيام الناصر
فرجع فصار يجبي من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شيء البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه
بايدي الاعوان ويسخر أهل البلاد في عمل الجسور فيجيء الخلل كما استعفف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر
اسباب الخراب * وأما الجسور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون
والفلاحون من اصل مال الناحية ومحل الجسور السلطانية من القرى محل سور المدينة الذي يتعين على
السلطان الاهتمام بعمارتها وكفاية الرعية امره ومحل الجسور البلدية محل الدور التي من داخل السور
فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة أن المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيئا من
مال اقطاعه في اقامة جسر لاجل عمارة السنة التي اتقبل الاقطاع عنه فيساقن له أن يستعيد من المقطع
النائي نظير ما انفق من مال سنته في عمارة سنة غيره * واصح ما زرع القمح في اثر الباق والشرقي وكان يزرع
بالصعيد القمح على اثر القمح لكثرة الطرح ورمما زرع هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف
شهر ربيع الى آخره وهو في العوالي من الارض التي تخرج بدريا وأما البحار المتأخرة فيمتد وقت الزرع
فيها الى آخر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض وضعفها
ورقتها وتوسطها وما يزرع في اللوق وما يزرع في الحرت واكثر البذر من اردب الى خمس وبيات وأربع وبيات
أيضا ويوجد في الصعيد اراض تحتل دون هذا وفي حوف رمسيس اراض يكفي الفدان منها نحو الويتين
ويدرك الزرع بمصر في شمس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الاراضي فيرى من اردبين
الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة وذكر أن في مصر اذارعوا يخرج من المدة
ثلثمائة مده والعلة في ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل * ولما كان في سنة ست
وثمانمائة انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم التي يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها
بجيارمي الفدان منها أحدا وسبعين اردبا من شعير بكيل الفيوم وأردبها تسع وبيات وكانت قطعة فدان
القمح ببلاد الصعيد في أيام الفاطمية ثلاثة أرداب فلما مسحت البلاد في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة تقرر
على كل فدان اردبان ونصف ثم صار يؤخذ اردبان عن الفدان وأما اراضي أسفل الارض فيؤخذ عنها عين
لا غلة * ويزرع الشعير في أثر القمح وغيره في الارض التي غرقت وهي رطبة ويستقدم زراعته على زراعة القمح
بأيام وكذلك حصاه فانه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه أن سذر فيه بحسب الارض ويخرج اكثر
من القمح ويكون ادراكه في برمودة وهو أدار * ويزرع القمح في الحرت اثر البراي من اول شهر ربيع ويؤكل
وهو أخضر في شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذر منه الى ثلاث وبيات ونحوها ويدرك في برمودة ويتحصل
من فدان ما بين عشرين اردبا الى ما دون ذلك * ويزرع العدس والحب من هتور الى كيهك والجلبان
لا يزرع الا في ارق الاراضي حرثا من الارض العامة ويزرع تلونق في الاراضي الخرس ويدرك في كل فدان
من الحب من اردب الى ثمان وبيات ومن الجلبان من اردب الى أربع وبيات ومن العدس من وبيتين الى
ما دونها وتدرلك هذه الاصناف في برمودة ويتحصل من فدان الحب من أربعة ارداب الى عشرة ومن
الجلبان من عشرة ارداب الى ما دونها والعدس من عشرين اردبا فما دونها * وأنجب ما يكون الكتان
اذا زرع في البرش ويحتاج أن يسجج بتراب سباح وهو اذا طال رقد ويقطع قضباننا ويسقي حينئذ اسلافا
وينثر في موضعه حتى يجف فاذا جف حل وهدر وعزل جوزه فيخرج منه بزر الكتان ويستخرج منها الزيت

الحار ويزرع الصكتان في شهر هاتور ويحتاج الفدان أن يذرفيه من البر من مابين اردب وثالث الى مادون ذلك ويدرك في شهر برمودة ويخرج من الفدان مابين ثلاثين شدة الى مادون ذلك ومن البر من ستة ارادب الى مادونها وكانت قطعة الفدان منه في القديم بأرض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفي دلاص ثلاثة عشر ديناراً * وفيما عد ذلك ثلاثة دنانير * ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل في النقصان ولا ينبغي تأخير زرعها الى أوان هبوب الريح الجنوبية التي يقال لها المرسية وأول ما يذرع في شهر بابه ورمجازرع بعد النوروز والحرث منه يزرع في كيهك وطوبه ويزرع أحياناً في هاتور ويذرع في كل فدان من وبيتين ونصف الى ما حولها ويدرك الأخضر منه في آخر شهر كيهك ويدرك الحرث في طوبه وأمشير ويتحصل من الفدان الحرثي مابين اردبين الى أربع وبيات * ويزرع البصل والثوم من شهر هاتور الى نصف كيهك ويذرع في فدان البصل من نصف وربع وية الى وية والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك في برمودة والبصل الذي يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من أول كيهك الى العاشر من طوبه ويخرج من زريعتيه عشرة ارادب من الفدان ويدرك في بشنس * ويزرع الترمس في طوبه وزريعتيه لكل فدان اردب ويدرك في برمودة ويتحصل من الفدان مابين عشرين اردب الى مادونها وهذه هي الاصناف الشتوية * (وأما الاصناف الصيفية) فان البطيخ واللوبياء يزرعان من نصف برموهات الى نصف برمودة * ويزرع في الفدان قدحان ويدرك في بشنس * ويزرع السمسم في برمودة وزريعتيه ربع وية للفدان ويدرك في أبيب ومسرى ويتحصل من الفدان مابين اردب الى ستة ارادب * ويزرع القطن في برمودة وزريعتيه أربع وبيات حب للفدان ويدرك في ثوت فيخرج من الفدان من ثمانية قناطير بالجروى الى مادونها * ويزرع قصب السكر من نصف برموهات في اثر الباق والبرش وتبرش أرضه سبع سكاك وأنجيحه ما تكامل له ثلاث غرات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعتيه ثمن فدان وما حوله لكل فدان ويحتاج القصب الى أرض جيدة دمنة قد شملها الري وعلاها ماء النيل وقطع ما بها من الخلفاء ونظفت ثم برشت بالمقلات وهي محارث كبار ستة وجوه وتجرف حتى تقهشم تبرش ستة وجوه أخرى وتجرف ومعنى البرش الحرث فاذا صلت الأرض وطابت ونعمت وصارت راباناً عما وتساقط التجزيف شقت حينئذ بالمقلات ويرى فيها القصب قطعيتين قطعة مشاة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضاً وتفرزها جداول يصل الماء منها الى الأحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أبايب كواحد وبعض النبوة من اعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها ويختار ما قصرت انابيه وكثرت كعوبه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فاذا نكل نصب القصب اعيد التراب عليه ولا بد في النصب أن تكون القطعة ملقاة لا قائمة ثم يرقى من حين نصبه في أول فصل الربيع لكل سبعة أيام مرة فاذا نبت القصب وصار أوراقها ظاهرة نبتت معه الخلفاء والبتلة الحقاء التي يسميها اهل مصر الرحلة فعند ذلك تعزق أرضه ومعنى العزاق أن تنكش أرض القصب وتنظف ما نبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثر فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الأرض ولا يكون هذا حتى يبرزالانوب منه ومجموع ما سبق بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والعادة أن الذي ينصب من الاقصاب على كل مجال بحرا في أي مجاور للبحر اذا كانت مزاحة الغلة بالابقار الجياد مع قرب رشا الا بارثمانية أفدنة ويحتاج الى ثمانية ارؤس بقرة فان كانت الابار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة فاذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك أن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقبض من الغرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلثه في ذلك الجسر حتى يعلو على أرض القصب نحو شهر ثم يست عنه الماء حتى لا يصل اليه ويترك الماء فوق الأرض قدر ساعتين أو ثلاث الى أن يسجن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويبدد عليه ماء آخر كذلك فيتعاهد ما ذكرنا من اراق أيام متفرقة بقدر معلوم ثم يطم بعد ذلك فاذا عمل ما قلناه وفي النصب حقه فان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد للنصب من القطران قبل أن يحلوه حتى لا يسوس ويكسر القصب في كيهك ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فثبت قصباً يقال له الخلفة ويسمى الاول الرأس وقنود الخلفة أجود غالباً من قنود الرأس ووقت ادراك الرأس في طوبه والخلفة في نصف هاتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النوروز ويحصل من الفدان مابين

أربعين أبلوحة قند الى ثمانين أبلوحة والابلوحة تسع قنطارا فما حوله * ويزرع القلقاس مع القصب ولكل
فدان عشرة قنطار قلقلاس جروية ويدرك في هاتور * ويزرع الباذنجان في برمهاث وبرموده وبشنس وبؤونة
ويدرك من بؤونة الى مسرى * وتزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان ويبة ويدرك من أيبب * ويزرع الفجل
طول السنة ورربعة الفدان من قدح واحد الى قدحين * ويزرع الفت في أيبب ورربعة الفدان قدح واحد
ويدرك بعد أربعين يوما * ويزرع الخس في طوبه شتلا ويؤكل بعد شهرين * ويزرع الكرنب في ثوت شتلا
ويدرك في هاتور * ويغرس الكرم في امشير نقلًا وتحويلا * ويغرس التين والنفاح في أمشير * ويقلم التوت
في برمهاث * ويغرس ويل اللوز والخوخ والمشمش في ماء طوبه ثلاثة ايام وهي قضبان ثم يغرس ويحقل
شجرها في طوبه * ويزرع نوى التمر ثم يحقل وديا فيقبل * ويدفن بصل الترجيس في مسرى * ويزرع الياسمين
في أيام النسيء وفي أمشير * ويزرع المرسين في طوبه وامشير غرسا * ويزرع الريحان في برمودة * ويزرع حب
المنثور في أيام النيل * ويزرع الموز الشستوى في طوبه والعصيف في أمشير * ويحقل الخيار شنبه في برمهاث *
وتقلم الكروم على ربح الشمال الى ايسال من برمهاث حتى تخرج العين منها * وتقلم الاشجار في طوبه وامشير
الا السدر وهو شجر النبق فانه يقلم في برمودة * وتسقى الاشجار في طوبه ماء واحد او يسمونه ماء الحياة وتسقى
في أمشير ثانيا عند خروج الزهر وتسقى في برمهاث ماء من آخرين الى أن ينقعد التمر وتسقى في بشنس ثلاث مياه
وتسقى في بؤونة وأيبب ومسرى ماء في كل سبعة ايام وتسقى في ثوت وبابة مرة واحدة تغريقا من ماء النيل
وتسقى في هاتور من ماء النيل بتغريق المساطب ويسقى البعل من الكروم في هاتور من ماء النيل مرة واحدة
تغريقا * وجميع أراضي مصر تقاس بالفدان وهو عبارة عن أربع مائة قصبة حاكمية طولها في عرض قصبة
واحدة والقصبة ستة اذرع وثلاث اذرع بذراع القماش وخمسة اذرع بذراع التجار تقريبا وقال القاضي
ابو الحسن في كتاب المنهاج خراج مصر قد ضرب على قصبة في المساحة اصطلاح عليها زرع المزارع على حكمها
وتقسيم الفدان اربع مائة قصبة لانه عشرون قصبة طولها في عشرين قصبة عرضا وقصبة المساحة تعرف
بالحاكمية وهي تقارب خمسة اذرع بالتجاري

* (ذكر أقسام مال مصر) *

اعلم أن مال مصر في زماننا ينقسم قسمين أحدهما يقال له خراجي والاخر يقال له هلالى فالمال الخراجي
ما يؤخذ من مساهمة من الاراضى التي تزرع حبوبا وتخلل وعنبًا وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم
والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف * والمال الهلالى عدة ابواب كلها أحدثوها ولاية السوء شيئا بعد شيء
وأصل ذلك في الاسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجارا من المسلمين يأتون أرض
الجند فيأخذون منهم العشر فكتب الى ابي موسى الاشعري وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمر بك من
المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد يعنى اهل الذمة من كل عشرين
درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهما وقيل لابن عمر كان عمر يأخذ من المسلمين العشر
قال لا ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه
النجس * وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه ناس من اهل الشام قالوا أصبنا دواب وأموالا فخذ
منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى وشاور فقال على بن ابي طالب رضى الله عنه
لا بأس به ان لم يأخذ من بعدك فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك عن الفرس وعن الهجين ثمانية وعن
البرذون والبغل خمسة * وأقول من وضع على الخواص الخراج في الاسلام أمير المؤمنين ابو عبد الله محمد بن
ابى جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة وولى ذلك سعيد الجرسى * وأقول من أحدث ما لا سوى مال
الخراج بمصر احمد بن محمد بن مديبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فانه كان من دهاة الناس
وشباطين الكتاب فابتدع في مصر بدعا صارت مستمرة من بعده لا تنقطع فأحاط بالنظرون وحجر عليه بعد ما كان
مبساحا لجميع الناس وقرر على الكلال الذي ترعاه الهياثم مالا سماء المراعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا
وسماه المصايد الى غير ذلك فاقسم حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالى وكان الهلالى يعرف في زمنه وما بعده
بالموافق والمعاون فلما ولى الامير ابو العباس احمد بن طولون اماره مصر وأضاف اليه امير المؤمنين المعتمد على الله

الخراج والنغور الشامية رغب وتزعم عن أدناس المعاون والمراقق وكتب بأساطها في جميع أعمالها وكانت تبلغ
بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة وله في ذلك خبر فيه أكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع
الطولوني من هذا الكتاب ثم أعيدت الاموال الهلالية في اثناء الدولة الفاطمية عند ما ضعفت وصارت
تعرف بالكوس فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب بمصر أمر باسقاط
مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي الفاضل عزسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف
دينار تفصيلها مكس البهار وعملاته ثلاثة وثلاثون ألفاً وثلاثمائة وأربعة وستون ديناراً مكس البضائع
والقوافل وعملاتها تسعة آلاف وثلاثمائة وخمسون ديناراً منفلت الصناعة عن مكس المزوار واليه والنحاس
والقزدير والمرجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون ديناراً الصنادير عن الصناعة بمصر ستة
آلاف وستمائة وستة وستون ديناراً سمسة التمر ثلثمائة دينار الفندق بالمنية عن مكس البضائع ثمانمائة
دينار وستة وخمسون ديناراً رسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وعثمانية ديناراً رسوم الخشب الطويل والملح
ثمانمائة وستة وخمسون ديناراً رسوم العلب المنسوبة الى بليس والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة
عن البهار وغيره مائة وستة وخمسون ديناراً خيمة أزمنت عن الوارد اليها سبعة وستون ديناراً فندق القطن ألفاً
دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة واحد عشر ديناراً عبور
الاغنام والسكران والابقارياب القنطرة ألف ومائة دينار واجب ما ورد من السكان الحطب الى الصناعة
مائة دينار رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبائن ومفصلات
جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون
ديناراً الاغنام البيوتية اثنا عشر ديناراً العرصة والسر سنواي بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون ديناراً
منفلت القيقوم عما يرد من السكان من القبلة ومن البضائع الواردة من القيقوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون
ديناراً مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائة دينار الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل
سبع مائة وعثمانية وستون ديناراً دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وست مائة دينار رسم ابن
الملحي مائة دينار دار الجبن ألف دينار مشاركة الخزان مائة دينار وأربعون ديناراً واجب الحلي الوارد من
الوجه البحري والقطن ألف وعشرون ديناراً رسم سمسة الصفا ألف ومائة دينار منفلت الصعيد مائة
واحد وستون ديناراً خاتم الشرب والديني ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائة دينار نصف المورد
بساحل المقس أربعة عشر ديناراً دكة السمسم ثلثمائة وخمسون ديناراً منفلت العريف بالصناعة وجملة البهار
والبضائع مائة وستة عشر ديناراً الحلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون ديناراً الوقود والسرقيين
والظلم بدار التفاح ومنفلت القبلة بالتبائن والجسر خمسة وثلاثون ديناراً رسوم الصفا والحراء ورسوم دار
السكران ستة وثلاثون ديناراً حماية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون ديناراً الحلفاء الواردة على الجسر
ومعدية المقياس مائة دينار خمس البرنية بالجيزة عشرون ديناراً تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون ديناراً
منفلت الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنائير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة وثلاثون ديناراً
واجب الحناء الواردة في البر ثمانمائة دينار واجب الحلفاء والقصاب ثلاثة وستون ديناراً مكس ما يرد من
البضائع الى المنية مائة وأربعة وثلاثون ديناراً مسلحة شطنوف والبرانية مائة دينار سوق السكر بين خمسون
ديناراً رسوم خيمة الجمل بالشارع وسوق وردان تسعة عشر ديناراً واجب القمح الوارد الى القاهرة عشرة
دنائير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون ديناراً خيمة البقرى أربعون ديناراً الخيمة بدار الدباغة تسعة عشر
ديناراً سمسة الجبس الحيوشي ثلثمائة واثنا عشر ديناراً دكان الدهن ومعضرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة
دينار انخل الحامض وما معه أربع مائة دينار بيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون ديناراً ذبائح الابقار ألف
دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائة دينار رسوم الدلالة ثلثمائة دينار سمسة السكران ثلثمائة دينار
رسوم حماية الصناعة عشرين أربع مائة دينار حربة العسل مائة واثنتان وثلاثون ديناراً مغايدى جزيرة الذهب
وغيرها ثلثمائة دينار حاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون ديناراً زريبة الذبحة سبع مائة دينار معدية المقياس وانبابة
مائة دينار حولة السلم ثلثمائة وثلاثون ديناراً دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق خمسمائة دينار معمل الطبرى

مائتان وأربعون ديناراً سوق منبوبة مائة وأربعة وستون ديناراً ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط
 عشرة دنائير مخ السمل خمسة دنائير تنورا الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون
 ديناراً سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربع مائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً قبلان الحناء ثلاثون
 ديناراً واجب طباق الأدم ستة وثلاثون ديناراً منفلت الخيام بالساشين ثلاثة وثلاثون ديناراً أولة القصار
 أربعون ديناراً بيوت القزوح ثلاثون ديناراً الشعر والطارات أربعة دنائير رسوم الصبغ والحري ثمانية وأربعة
 وثلاثون ديناراً وزن الطفل مائة وأربعون ديناراً عمل المزرا أربعة وعشرون ديناراً الفاخور بمصر والقاهرة
 مائتان وستة وثلاثون ديناراً * وذكر ابن أبي طي أن الذي أسقطه السلطان صلاح الدين والذي سماح
 به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبالغه عن نصف ألف دينار وألفي ألف اردب سماح بذلك
 وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد
 المكوس وزاد في شئنائها قال القاضي الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تابع في شعبان
 أهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها وأباحه أهل الامر وأنهى لها وتفاحش الامر
 فيها الى أن غلا سعر الغنم لكثرة من يعصره واقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن خشيش المزر وافردت
 برسمه وحجيت بيوت المزر واقامت عليها الضرائب الثقيلة فنهى أمره في كل يوم الى ستة عشر ديناراً ومنع
 المزار البيوت ليتوفر الشراء من البيوت المحمية وحملت او الى الخمر على رؤس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر
 وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتمداها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها * وقال
 في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن
 يتحمل في بعض الاوقات لا كالمال بهض ما يبلغ به من خبز وكم كثير يخرجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحال
 فيما ينق في دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقات به اولاده وما يغصب من أربابه وأفضى هذا الى
 غلاء الاسعار فان المتعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون في أسعار الماء كولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار
 السلطانية فأفضى ذلك الى النظر في المكاسب الخبيثة وضمن المزر والخرباثنى عشر ألف دينار وفسخ في اظهار
 منكره والاعلان به والبيع له في النقاعات والخوانيت مع قرب استئصال رجب وما استطاع احد من العامة
 الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينقرد السلطان به لنفقته وطعامه وانتقل مال الثغور ومال
 الجوائى الحل الطيب الى أن يصير حوالات لمن لا يبالى من أين أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفي
 شهر رمضان غلا سعر الاغذاب أكثر العصور منها واطهره أربابه لتحكير تضمينه الساطى واستيفاء رسمه بأيدي
 مستخدميه وبلغ ضمائه سبعة عشر ألف دينار وحصل منه شئ حمل اليه فبلغني أنه صنع به آلات لشرب
 ذهبيات وفضيات وكثرا جماع النساء والرجال في شهر رمضان لاسيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد
 الماء وتلقى فيه النيل بمعاص نساء الله أن لا يؤاخذن بها وأن لا يعاقبنا عليهن بجرأة أهلها * وقال جامع
 السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيك التركمانى الصالحى بمملكة مصر في سنة خمسين وستمائة
 بعد انقراض دولة بني ايوب استوزر شخصاً من نظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى
 احد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من ايام الملك الكاسل وترقى في خدمة الكتاب فقرر في
 وزارته اموالاً على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوساً وضمائن سموها حقوقاً ومعاملات
 ولما ولي الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلعه الملك المنصور على بن المعز أيك احدث عند سفره
 الذى قتل فيه مظالم كثيرة لاجل جمع المال وصرفه في الحركة لقتال جوع الترم منها تصحيح الاملاك
 وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل انسان ديناراً يؤخذ منه وأخذ ثلث التركات الالهية فبلغ ذلك ستمائة
 ألف دينار في كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل
 ابطل ذلك جميعه وكتب به مسامح قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته في سنة اثنتين وستين
 وستمائة وكتب وهو بالنشام الى الامير عز الدين الحلّى نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفى آثاره
 ويخرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك وقال
 القمح الذى جعله الله تعالى قوتاً للعالم ينداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابطاله ومن ترك شيئاً لله عوضه

خيرامنه ومن كان له على هذه الجهة شيء يعوضه الله من المال الحلال فأبطل الخلى ذلك وعوض المقطعين عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفي خامس عشر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسقانة قرى بجامع مصر مكتوب بإبطال ما قرّر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وأبطل ضمان الخشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وسقانة وأمر بارقة الخجور وإبطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطى بجميع اقطار مملكة مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين أحمد بن المنير قال

ليس لابلّيس عندنا أرب * غير بلاد الأمير مأواه
تحرقة الخجور والخشيش معا * حرمتا مأوه ومراعاه

وقال الاديب الفاضل ابو الحسين الجزار

قد عطل الكوب من حبابه * وأخلى الثغر من رضابه
وأصبح الشيخ وهو يكي * على الذى فات من شبابه

وفي تاسع جنادى الآخرة سنة ست وستين وسقانة أمر الملك الظاهر بيبرس بارقة الخجور وإبطال الفساد ومنع النساء الخواطى من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر وسائر الأعمال المصرية فظهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التى كانت معدة لذلك وسلب أهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحسبت النساء حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقرّر على البغايا من الديوان وعوض الخاشية من جهات حل بنظيره وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وستين وسقانة أريقت الخجور وأبطل ضمانها وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرى على المنابر واقترح سنة سبعين بارقة الخجور والتشدّد فى إزالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه فى سنة أربع وسبعين عن الطواشى شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمككا كثيرا أنه يشرب الخمر فشنقه تحت قلعة الجبل * ولما ولى الملك المنصور سيف الدين قلاوون الا لقي مملكة مصر أبطل زكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدأ ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وأبطل ما كان يجبي من اهل اقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبي من اهل الذمة وهود بنار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد فى كل سنة وأبطل مقرّر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار وأبطل ما كان يجبي عند وفاة النبل مما يعمل به شوى وحلوى وفا كهة فى المقياس وجعل مصر فى ذلك من بيت المال وأبطل اشياء كثيرة من هذا النمط * وأبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون عدّة جهات قد ذكرت فى الرواى الناصرى وآخر ما أدركنا إبطاله ضمان الاغانى وضمان القرايط فى سنة ثمان وسبعين وسبع مائة على يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون * فأما ضمان الاغانى فكان بلاء عظيم وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت اجل أمرأة فى مصر تزيد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة وقامت بما يلزمها المأدور أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء اذا تنفسن أو عرسن أمرأة أو خضبت أمرأة يداهما بجناء أو أراد أن يعمل فرحاً لآلة من مال بتقرير تأخذ الضامنة ومن فعل فرحاً باغان أو نفس أمرأة من غير إذن الضامنة حلّ به بلاء لا يوصف * وأما ضمان القرايط فانه كان يؤخذ من كل من باع مائة كاعن كل ألف درهم عشرون درهماً وكان متحصلاً هاتين الجهتين ما لا كثيرا جدّا * وأبطل الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية فى كل سنة ستين ألف درهم وأبطل ما كان على القمع من مكس يؤخذ من الفقراء بشغردمياط من يتباع من اردبين فسادهم ما وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالتجريبية والأعمال الغربية وأبطل ما كان يؤخذ مقدمة لمن يسرح الى العباسية من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وأبطل ضمان الاغانى بنية ابن خصيب بأعمال الاشمونين وبزق بالاعمال الغربية

وأبطل الإبقار التي كانت ترمى بالوجه البحري عند فراغ الجسور وأبطل الأمير بلبغا السالمى لماولى استئدار
السلطان الملك الناصر فرج بن بروق في سنة إحدى وثمانمائة تعريف الغلال بمنية ابن خصيب وضمان العرصه
3 بها وأخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحة وأبطل من القاهرة ضمان بحيرة البقر ثم اعاده القبط من
بعده * وقد بقيت الى الآن من المكوس بقايا أخبرني الأمير الوزير المشير الاستادار بلبغا السالمى في أيام وزارته
أن جهات المكوس يديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين ألف درهم وأنه اعتبرها فلم يجدها تصرف في شئ من
مصلح الدولة بل انما هي منافع للقبط وحواشيهم وكان قد عزم على ابطال المكوس فلم يهل * (والمال الهلالى)
عبارة عما يستأدى مشاهرة كاجر الاملاك المسقفة من الآدر والحوانث والحمامات والافران والطواحين
وعداد الغنم والجهة الهوائية المضخونة والحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وربيع البساتين التي تستخرج
اجرها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت في المال الهلالى * ومن اصطلاح كتاب مصر
9 القدماء أن نور درجة اهل الذمة من اليهود والنصارى قلما راحد امستقل بذاته بعد الهلالى وقبل الخراجى
وذلك انها تستأدى مساهمة وكافا يرون وجوبها مشاهرة وفائدة فيمن أسلم او مات أثناء الحول فانهم كانوا
يلزمون به بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فلذلك أوردت فيما بين الهلالى والخراجى * وكانوا
في الاقطاعات الجيشية يجرونها مجرى المال الهلالى عند خروج الاقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك
الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تجلها مقطع في غرة السنة على
العادة في ذلك وخارج الاقطاع عنه في اثناء السنة بوفاة أو نقله الى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهور
السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لا على حكم ما استحق من المغل * ويستحق المتصل من استقبل تاريخ
منشوره كعادة النقود والمخلل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة الحلولات من الاقطاعات
وكان من ابواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة والوارث والغور والتجر والشب والنظرون
والجيس الجيوشى ودار الضرب ودار العيار والجاموس وأبقار الجيس والاعظام والغروس والبساتين والاحكار
والرباع والمراب وما يستأدى من الذمة غير الجوالى وساحل السنط والخراج والقرظ ومقتر الجسور وموظف
الاتبان ومقتر القصب ومقتر البريد ومقتر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات المكوس فأما الجزية
وتعرف في زمننا بالجوالى فانها تستخرج سلفا وتجيلا في غرة السنة وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى *
قال القاضي الفاضل في مجتدات الحوادث الذي انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة
مائة الف وثلاثون الف دينار وأما في وقتنا هذا فان الجوالى قلت جدا الكثرة اظهر انصارى للاسلام في
الحوادث التي مرت بهم ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بلك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد امير
المؤمنين المستعين بالله ولى رجلا جباية الجوالى فكثر الاستقصاء عن الذمة والكث في الاستخراج منهم فبلغت
الجوالى في سنة ست عشرة وثمانمائة احدى عشر الف دينار وأربع مائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر
كثير * وأما المراكى وهو الكلاء المطلق المباح الذي أتبته الله تعالى لرجى دواب بنى آدم فأقول من ادخلها
الديوان بمصر احمد بن مديرا لماولى الخراج وصير ذلك ديوانا وعاملا جلد ايجظر على الناس أن يتابعوا المراكى
أو يشتروها الا من جهته وادركها المراكى ببلاد الصعيد مما يضاف الى الاقطاعات فأخذ الأمير ممن يرمى دوابه
في أرض بلده الكتيح في كل سنة ما لا عن كل رأس فيجى من صاحب الماشية بعدد أنعامه فلما اختل امر
الصعيد في الحوادث الكائنة منذ سنة ست وثمانمائة ثلاثى الامر في ذلك وكانت العادة القديمة أن يندب
للمراكى مشدوشهود وكاتب فيعبدون المواشى ويستخرجون من اربابها عن كل رأس شيا ولا يكون ذلك
الا بعد هبوط النيل ونبات الكلاء واستهلاكه للمراكى * وأما المصايد فهي ما طعم الله سبحانه وتعالى من صيد
البحر وأقول من ادخلها الديوان أيضا ابن مديرو صير لها ديوانا واحتتم من ذكر المصايد وشناعة القول
فيها فأمر أن يكتب في الديوان خراج مضارب الاوتار ومغارس الشب الفاسقة ذلك وكان يندب لمباشرتها
مشدوشهود وكاتب الى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية وبحيرة نسترو ونغر دمياط
وجنادل نغراسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع
الى بحر النيل بعد ما تكون افواه الترعة قد سكرت وأبواب القناطر قد سدّت عند انتهاء زيادة النيل كيما يتراجع

الماء ويتكاثف مما يلي المزارع ثم تنصب شبك وتصرف المياه فيأ في السمك وقد اندفع مع الماء الجاري قتصده الشباك عن الانحدار مع الماء ويجمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على انخفاخ ويعلج ويوضع في الامطار فاذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك في قدر الا صبيح فادونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا بالسارية فتؤكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تنيس وبحيرة الاسكندرية اسماء تعرف بالبوري وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تنيس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البوري ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البوري وقيل لهذا السمك البوري اضافة الى القرية المذكورة وقد بطل في زمننا اليوم أمر هذه المصايد الا من بحيرة نسترو بالبراس وبحيرة تنيس بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان في ديوان الخصاص وهما مضممتان وما يخرج منهما من البوري وغيره من انواع السمك فالسلطان لا يقدر احد أن يعرض لصيده شيء منه الا أن يكون من صياديهما القائمين بالضمان وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخلجان فليست للسلطان وأما بحيرة اسكندرية فقد جفت وثر اسوان فقد خرج عن يد السلطنة وتقلب عليه اولاد الكفرة وشم برك بأيدى اقوام كبركة القيل يبدأ اولاد الملك الظاهر ببيرس وبركة الرطلي يبدأ اولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان اسماء كلها مضممة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع أحد الصيد منها * وأما بحر النيل فصيده منه يحمله الى دار السمك بالقاهرة فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان الا أن الامير جمال الدين يوسف الاستادار زاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة وغلا سعره وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا بصيغ من كفه قسطنطينية لا يدري اكان مما عمله سليمان النبي ام عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اخبرني ابي عن ابيه انه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه فكان طوله طول قدم الصنم فكاتب رجل يقال له أسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المؤمنين ان عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الى من امره فكاتب اليه لا تنزله حتى أبعث اليك ضمنا يحضر ونيه فبعث اليه رجلا امنا حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتين حراوين ليس لهما قيمة فضر به فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك * وأما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ثالث عشر ربيع الآخر فرقت الزكوات بعد ما جمعت على الفقراء والمساكين وانباء السبيل والغارمين بعد أن رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهي سهام العامة والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى ما يقر وعليه من المواشي والخيول والخضراوات قال والذي انعقد عليه ارتفاع الجواالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلاثون ألف دينار والرائد في معاملة الزكاة ودارا لضرب لسنى ست وسبع وثمانين وخمسمائة أحد وعشرون ألف دينار وثمانمائة وأحد وستون دينارا وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان في ديوان الزكاة وكتب خطه بمبلغه اثنان وخمسون الف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشي قرأ غش الشاذ في هذا المال وأن لا يتصرف فيه بل يكون في صندوق مودعاً للمهمات التي يؤمر بها ولما قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طفتكين بن نجم الدين ايوب بن شاذى ملك اليمن الى مصر وقد أجزل صلاته عندما وفد عليه وفارقه وقد أثرى ثراء كثيرا قبض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجرو وطالبوه بزكاة ما معه وكان ذلك في ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذى فقال

حنا كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سمحه غدقه

بين العزيزين فرق في فعالهما * هذا يعطى وهذا ياخذ الصدقة

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه في احوال شنيعة منها انه اخذ من رجل فقير يبيع الملح في قفة على رأسه زكاة عما في القفة وأنه يبيع جبل بخمسة دنانير ذهب فأخذ زكاتها خمسة دراهم فأمر بتقويض

أمرها إلى أرباب الأموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل
إلى بكر بن أيوب أخرج من زكاة الأموال التي كانت تجبي من الناس مسمى الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما
في مصارفهما الشريعة ورتب من جملة هذين السهمين معالم للفقهاء والصالحين وأهل الخير تجرى عليهم
فاستحسن ذلك من فعله وجملة إلى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لا يعترض إليه فبخل الأغنياء بزكاة
أموالهم حتى تضر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يذلون في ضمانها الأموال لتعود إلى ما كانت عليه
فولى النظر في ديوان الزكاة القاضي الأسعد شرف الدين أبو المكارم أسعد بن مهذب بن ممانى فاستخرج الزكاة
من أربابها ثم ضمت بحال كثير وعاد الأمر في ما كان عليه من العسف والجور وكانت أعوان متولى
الزكاة يخرج إلى منية ابن خصيب وأخيم وقوص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيبحثون
عن جميع ما معهم ويدخلون أيديهم أوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون الجميع بالإيمان
الحرجة على ما بأيديهم وما عندهم غير ما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الأعوان وبأيديهم المسال
الطوال ذوات الانصبه فيصعدون إلى المراكب ويجسسون بمسالمهم جميع ما فيها من الاحمال والغرائب تخافة أن
يكون فيها شيء من بضاعة أموال فيبالغون في البحث والاستقصاء بحيث يقبح ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج
بين يدي هؤلاء الأعوان مواقف خزي ومهانة لما يصدرونهم عند تفتيش أوساطهم وغرائر أراذلهم ويحمل بهم
من العسف وسوء المعاملة ما لا يوصف وكذلك يفعل في جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين
ابن أيوب * وأما النغور فهي دمياط وتينس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهي أعظمها قدرا
فانه كان فيما عدا جهات منها الخمس والتجبر فانحس ما يستأدى من تجار الروم الواردين في البحر عما معهم من
البضائع للتجبر بمقتضى ما صولحو عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار ومائتان وخمسة وثلاثون
دينارا وربما انقطعت عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما مخسا ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك
ضرائب مقررة وقال القاضي الفاضل والحاصل من خمس الاسكندرية في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ثمانية
وعشرون ألف دينار وستمئة وثلاثة عشر دينارا والتجبر عبارة عما يتبع الديوان من بضائع تدعو إليها الحاجة
ويقتضيه طلب الفائدة * قال جامع سيرة الوزير البازوري وقصر النيل بمصر في سنة أربع وأربعين وأربعمائة
ولم يكن في مخازن الغلات شيء فاشتدت المسغبة بمصر وكان خلق المخازن سبب أو جب ذلك وهو أن الوزير
الناصر للدين لما ضيف إليه القضاء في أيام أبي البركات الوزير كان يتباع للسلطان في كل سنة غلة بمائة ألف
درهم وتجعل متجرا فقتل القاضي بمحضرة الخليفة المستعين بالله وعرفه أن المتجر الذي يقام بالغلة فيه أو في مضرة
على المسلمين وربما انقطعت السعير عن مشترها فلا يمكن بيعها فتتعض في المخازن وتتلغ وانه يقيم متجرا لا كلفة
فيه على الناس ويفيد اضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره في المخازن ولا انحطاط سعره وهو الخشب
والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمر القاضي السلطان له ما رآه واستقر ذلك ودام الرخاء
على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق * وأما الشب
فان معادنه بالصعيد وكانت عادة الديوان الاتفاق في تحصيل القطار منه بالليث يبلغ ثلاثين درهما وكانت
العربان تحضره من معادنه إلى ساحل أخيم وسيوط والهنا ليحمل إلى الاسكندرية أيام النيل في الخليج ويشتري
بالقطار الليث ويباع بالقطار الجروي فيباع منه على تجار الروم قدر اثني عشر ألف قطار بالجروي بسعر أربعة
دنانير كل قطار إلى ستة دنانير ويباع منه بمصر على اللبوديين والصباعين نحو الثمانين قطارا بالجروي سعر
ستة دنانير ونصف القطار ولا يقدر أحد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عمر على أحد أنه اشترى منه
شيئا أو باعه سوى الديوان نكلا به واستمك ما وجد معه منه وقد بطل هذا * (وأما النظرون) فيوجد في البر
الغربي من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحر وأخضر ولوجده منه بالفاقوسية شيء دون ما يوجد في
الطرانة وهو أيضا مما حذر عليه ابن مدبر من الأشياء التي كانت مباحة وجعله في ديوان السلطان وكان من
بعده على ذلك إلى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل منه في كل سنة عشرة آلاف قطار ويعطى
الضمان منه في كل سنة قدر ثلاثين قطارا يتسلمونها من الطرانة قبياع في مصر بالقطار المصري وفي بحر
الشرق والصعيد بالجروي وفي دمياط بالليث قال القاضي الفاضل وباب النظرون كان مضمونا إلى آخر سنة

خمس وثمانين وخمسمائة بمبلغ خمسة عشر ألفاً وخمسمائة دينار وحصل منه في سنة ست وثمانين مبلغ سبعة
 آلاف وثمانمائة دينار وأدرنا النطرون اقطاعاً لعدة أجناد * فلما تولى الأمير محمود بن علي الاستدارية
 وصار مدبر الدولة في أيام الظاهر برقوق حاز النطرون وجعل له مكاناً لا يساع في غيره وهو إلى الآن على ذلك *
 (وأما الحبس الجيوشي) فكان في البرين الشرقي والغربي ففي الشرقي بهتين والاميرية والمنسية وكانت تسجل
 هذه النواحي بعين وفي الغربي سقط ونها ووسيم وهذه النواحي حبسها أمير الجيوش بدر الجمالي على
 عقبه هي والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال العهد استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلباً للفائدة ثم
 ادخلت في الديوان قال ابن المأمون في تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم
 لم تزل في مدة أيام الوزير المأمون البطائحي بأيديهم لم يخرج عنهم بضمان ولا بغيرة فلما تولى الخليفة الأمر
 بأحكام الله وجلس ابو علي بن الفضل بن أمير الجيوش في الوزارة أعاد الجميع إلى الملك ليكون نصيبه في ذلك
 الاوفر فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله أمر باتباعه على جميع الاملاك وحل الاحباس المختصة
 بأمير الجيوش فلم يزل يأنس به لانه غلام الافضل والوزير في ذلك الوقت وعز الملك غلام الاوحد بن أمير الجيوش
 يتلطفان ويراجعان الخليفة مع الكتب التي أظهرها الورثة وعلمها خطوط الخلفاء إلى أن أبقاها عليهم ولم يخرجها
 عنهم ثم ارتفعت الحوطة عنها في سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظي ولما خدم الخطير والمرضى
 في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة في وزارة رضوان بن ونحشي أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة
 بحكم ما آل أمرها اليه من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقرض عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة
 كبيرة أفقي فقهاء ذلك العصر بطلان الحبس قبضت النواحي وصارت من جملة الاموال السلطانية فنها
 ما هو اليوم في الديوان السلطاني ومنها ما صار وقفاً ورزقاً لأجاسية وغير ذلك * (وأما دار الضرب) فكان
 بالقاهرة دار الضرب وبالأسم ~~كندرية~~ دار الضرب وبقوص دار الضرب ولا يتولى عيادار الضرب الا قاضي
 القضاة أو من يستخلفه ثم رذلت في زمننا حتى صار يلهيها سائمة فسقة اليهود المصيرين على الفسق مع ادعائهم
 الاسلام وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحرير عيابه إلى أن افسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية
 فجاءت غير خالصة وكانت بمصر المعاملة بالورق فأبطلها الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة بضع
 وعشرين وضرب الدرهم المدقور الذي يقال له الكدالي وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة الثلثين
 ولم يزل يضرب بالقاهرة إلى أن اكثرا الأمير محمود الاستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والاسكندرية فبطلت
 الدراهم من مصر وصارت معاملة أهلها إلى اليوم بالفلوس وبها يقوم الذهب وسائر المبيعات وسبب ذلك
 ان شاء الله تعالى عند ذكرا سبب خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها السلطان مال كثير فقل في زماننا
 اقله الاموال ودار الضرب اليوم جارية في ديوان الخاص * (وأما دار العيار) فكانت مكاناً يحتاط فيه للرعية
 وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ويحصل منها السلطان مال وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة اوقاف سور
 القاهرة ذكرت في خطط القاهرة من هذا الكتاب * (وأما الاحكار) فانها الجرة مقررة على ساحات بمصر
 والقاهرة فنها ما صار دور السكفي ومنها ما انشئ بساتين وكانت تلك الاجر من جملة الاموال السلطانية وقد بطل
 ذلك من ديوان السلطان وصارت احكار مصر والقاهرة وما بينهما اوقافاً على جهات متعددة * (وأما الغروس)
 فكانت في الغربية فقط عدة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقدار معلوم وقد بطل ذلك من الديوان
 * (وأما مقر الجسور) فكان على كل ناحية تقرير بعدة قطع معلومة يجبي منها عن كل قطعة عشرة دنانير
 لتصرف في عمل الجسور فيفضل منها مال كثير يحمل إلى بيت المال وقد بطل هذا أيضاً وجدد الناصر فرج على
 الجسور حوادث قد ذكرت في اسباب الخراب * (وأما موظف التبان) فكان جميع تبين أرض مصر على
 ثلاثة أقسام قسم للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبي التبين على هذا الحكم من سائر الاقاليم ويؤخذ في
 التبين عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل هذا أيضاً من الديوان
 * (وأما الخراج) فانه كان في الهندساوية وسقط ريشين والاشمونين والاسيوطية والنجمية والقوصية اشجار
 لا تخص من سبغ لها حراس يحمونها حتى يعمل منها ارباب الاسطول فلا يتطعم منها الا ما تدعو الحاجة
 اليه وكان فيما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار * وكان يستخرج من هذه النواحي مال يقال له رسم

الخراج ويحتج في جبايته بأنه نظير ما تقطعه اهل النواحي وتنتفع به من اخشاب السنط في عمارتها ومقررا آخر كان
يجب منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقررا جرة قطع الخشب وحزبه بضريبة عن كل مائة حمل دينار
وعلى المستخدمين في ذلك أن لا يقطعوا من السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف
التي ينتفع بها في الوقود فقط ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مائة حمل بأربعة دنانير
ويكتب على ايديهم زنة ما يبيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبرت عليهم وقوبل ما فيها
بما عين في الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما في الرسالة وكانت العادة أنه لا يباع مما في الهنسا الا ما فضل عن
احتياج المصالح السلطانية وقد بطل هذا جميعه واستوت الايدي على تلك الاشجار فلم يبق منها شيء البتة ونسي
هذا من الديوان * (وأما القرظ) فانه ثمر شجر السنط وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ومتى وجد منه مع أحد
شيء اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه فاذا اجتمع مال القرظ أقيم منه مراكب تباع ويؤخذ
من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوم أي نادى عليها وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك *
(وأما ما يستأدى من اهل الذمة) فانه كان يؤخذ منهم عمارد ويصدر معهم من البضائع في مصر
والاسكندرية واجيم خاصة دون بقية البلاد ضرائب بتقرير في الديوان وقد بطل ذلك أيضا * (وأما مقرر
الجاموس ومقرر بقرا الخيس ومقرر الاغنام) فانه كان للسلطان من هذه الاصناف شيء كثير جدا فيؤخذ
من الجاموس للديوان على كل رأس من الراتب في نظير ما يحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير
ومن اللاحق بحق النصف من الراتب وأقل ما تلج كل مائة خسون الى غير ذلك من ضرائب مقررة على
الجاموس وعلى أبقار الخيس وعلى الغنم البيض والغنم الشعاري وعلى النحل وقد بطل ذلك جميعه لقسلة مال
السلطان واعراضه عن العمارة وأسبابها وتعاطى أسباب الخراب * (وأما الموارث) فانه في الدولة
الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم يورث ذوى الارحام وأن البنت اذا انفردت استحققت
المال بأجمعه فلما انتقضت أيامهم واستولت الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة اموال السلطان مال
الموارث الحشرية وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرة وتعلم اخرى (وأما
المكوس) فقد تقدم حديثها وما كان من الملوكة فيها والذي بقي منها الى الآن بديار مصر بلى أمره
الوزير وفي الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتحولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس في زماننا عما كانت عليه
منذ عهد محمد بن محمد بن يوسف الاستادار في الاموال السلطانية كما ذكر في اسباب الخراب
* (وأما البراطيل) وهي الاموال التي تؤخذ من ولاية البلاد ومحاسبها وقضاها وعمالها فأقول من عمل ذلك
بمصر الصالح بن رزيق في ولاية النواحي فقط ثم بطل وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحيانا وعمله الامير شيخون
في الولاية فقط ثم أخفش فيه الظاهر برفوق كما يأتي في أسباب الخراب (وأما الحمايات والمستأجرات) فنئي
حدث في أيام الناصر فرج وصار لذلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الامراء وهو من أعظم اسباب الخراب
كأي ذكر في موضعه ان شاء الله تعالى

* (ذكر الاهرام) *

اعلم أن الاهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوسير شيء كثير بعضها كبار وبعضها صغار
وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر
عدة كثيرة كلها صغار هدمت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد قراقوش وبنيها قلعة الجبل
والسور المحيط بالقاهرة ومصر والقناطر التي بالجيزة وأعظم الاهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر
وقد اختلف الناس في وقت بنائها واسم بانيها والسبب في بنائها وقالوا في ذلك اقوال متباينة اكثرها غير صحيح
وسأقص عليك من بناء ذلك ما يشفي ويكفي ان شاء الله تعالى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب
في اخبار مصر وبجانبها في اخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هوصال أحد
ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة أمسوس التي ذكرها عند ذكر مدائن مصر من
هذا الكتاب وهو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شدا بن عاد والقبط تذكر أن تكون العادية
دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة قد رأى سوريد في منامه

كانت الارض انقلبت بأهلها وكان الناس قد هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة فغمه ذلك ولم يذكروا ولا حدوا علم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بأيام كان الكواكب الشابة نزلت الى الارض في صور طيور بيض وكانها تحتطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين قد انطبقتا عليهم وكان الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فانتبه مرعوبا مذعورا ودخل الى هيكل الشمس وتضرع ومرتغ خديه على التراب وبكى فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا فخلابهم وحديثهم ملوا آه اولا وآخر افاؤلوه بأمر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقال له اقليمون ان أحلام الملوك لا تجري على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة ولم اذكرها لاحد من الناس رأيت كأنى قاعد مع الملك على وسط المنار الذي بامسوس وكان الفلك قد انخط من موضعه حتى قارب رؤسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكان الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها قد خالطتها في صور شتى مختلفة الاشكال وكان الناس قد جفوا الى قصر الملك وهم يستغيثون به وكان الملك قد رفع يديه حتى بلغت رأسه وامرني أن افعل كما فعل ونحن على وجل شديد اذ رأينا منها موضعا قد انفتح وخرج منه نور مضى وطلعت علينا منه الشمس وكاننا استغيثنا بالشمس فخطبتنا ان الفلك سيعود الى موضعه فانتبهت مرعوبا ثم فرأيت كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والاصنام تهوى على رؤسها وكان اناسا نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقتل لهم ولم تفعلوا بالناس كذا قالوا لانهم كفروا بالههم قلت فما بقي لهم من خلاص قالوا نعم من أراد الخلاص فليطوق بصاحب السفينة فانتبهت مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث قبلنا فاعايتهم في استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان وبعد بال نار التي تخرج من برج الاسد تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الافة بلادنا فقالوا نعم تأتي في الطوفان على أكثره ويلحقه خراب بقيع عدة سنين قال فانظروا هل يعود عامرا كما كان اويقي مغمورا بالماء دائما قالوا بل تعود البلاد كما كانت وتعمر قال ثم ماذا قالوا يقصد هاهنا ملك يقتل أهلها ويغنم ماله قال ثم ماذا قالوا يقصد هاهنا قوم مشوهون من ناحية جبل النيل وعلكون اكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها وتخلو من أهلها فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وأن يعمل اهاما سارب يدخل منها النيل الى مكان بعينه ثم يفيض الى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد وملاها طلسمات وبعائب واموالا وأصناما وأجساد ملوكهم وأمر الكهان فزبروا عليها جميع ما قالت الحكمة وزبروها وفي سقوفها وحيطانها واسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي يدعيها اهل مصر وصور فيها صور الكواكب كلها وزبر عليها اسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم * وما شرع في بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملقون وكانت لهم صحائف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الصحائف وضربوه في بعد تلك الضربة قدر ما تهتهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر الى الاهرام وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في ثقب بوسطها قطبا من حديد قائما ثم يركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القطب حول البلاطة فيندام وانقان الى أن تكثر وتصلح البلاطة ويحيطون بها من الرصاص ويصب في الشرق فانه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط والهرم وأما باب الهرم الغربى فانه من الناحية الغربية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط والهرم الملون فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط فاذا حفر بعد هذا القياس وصل الى باب الازج المبنى ويدخل الى باب الهرم وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام في الهواء مائة ذراع بالذراع المسكى وهو بذراعهم خمسة مائة ذراع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراعهم ثم هندسهم من كل جانب حتى تحدت أعاليها من آخر طولها على ثمانية اذرع بذراعنا وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخيروه فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من فوقها الى أسفلها وعمل لها عمدا حضروا اهل مملكتهم بأجمعهم ثم عمل في الهرم الغربى ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملون ومائت بالاموال الجملة والاكات والقائيل المعجولة من

الجواهر النفيسة وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذي لا يصدأ والزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر والطلسمات
الغريبة واصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسهوم القاتلة وعمل في الهرم الشرقى أصناف القباب الفلكية
والكواكب وما عملها جداره من التماثيل والدخن التي يتقرب بها الى الكواكب ومصاحفها وكوّن الكواكب
الثابتة وما يحدث في ادوارها وقتا وقتا وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والاقوات التي ينتظر
فيها ما يحدث وكل من يلى مصر الى آخر الزمان وجعل فيها المظاهر التي فيها المياه المدبرة وما أشبه ذلك وجعل
في الهرم الملون اجساد الكهنة في ثوابيت من صوان اسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صناعاته
وأعماله وسيرته وما عمل في وقته وما كان وما يكون من اول الزمان الى آخره وجعل في الحيطان من كل
جانب أصنة ما تعمل بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح
لها ولم يترك عالما من العلوم حتى زبره ورسمه وجعل فيها أموال الكواكب التي اهديت الى الكواكب وأموال
الكهنة وهو ثمن عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خادما خادما الهرم الغربى صنم من حجارة صوان مجزع
وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حمة قد تطوق بها من قرب منه وثبت اليه وطوقت على عنقه وقبضته ثم
تعود الى مكانها وجعل خادم الهرم الشرقى صنما من جزع أسود مجزع بأسود وأبيض له عينان مفتوحتان
بترأقان وهو جالس على كرسي ومعه حربة اذا نظرا حذاءه سمع من جهته صوتا يفرع منه فيختر على وجهه
ولا يبرح حتى يموت وجعل خادم الهرم الملون صنما من حجر البت على قاعدة منه من نظرا اليه جذبه حتى يلتصق به
فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الالهram بالارواح الروحانية وذبح لها الذبائح لتنع عن نفسها من
ارادها الامن عمل لها اعمال الوصول اليها * وذكر القبط في كتبهم أن عليها منقوشا تفسيره بالعربية اناسوريد
الملك بنيت هذه الالهram في وقت كذا وكذا وأتمت بناءها في ست سنين فن انى بعدى وزعم انه ملك مثل
فلم يدمها في ستمائة سنة وقد علم أن الهدم ايسر من البناء وانى كسوتها عند فراغها بالدياج فليكنها بالخصر
فمنظروا فوجدوا انه لا يقوم بهدمها شئ من الازمان الطوال * وحكى القبط في كتبهم أن روحانية الهرم الشمالى
غلام امر دأصف اللون عريان في فمها اتياب كبار وروحانية الهرم الجنوبى امرأة عريانة بادية الفرج حسناء في فمها
اتياب كبار تستهوى الانسان اذا رآته وتفتك له حتى يدن منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ في يده حجرة
من مجامير الكهاس يخر بها وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي تطوف حول الالهram
وقت القائلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه أمواله وكنوزه وقالت القبط ان
سوريد هو الذى بنى البرابى وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما وكل بهار وحيات تحفظها ممن يقصدها قال وأما
الالهram الدهشورية فيقال ان شدات بن عديم هو الذى بناها من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن أبيه وشدات
هذا يزعم بعض الناس انه شداد بن عاد وقال من انكر أن يكون العاديه دخلت مصر انما غلطوا باسم شدات
ابن عديم فقالوا شداد بن عاد لكثرة ما يجرى على السنتم شداد بن عاد وقلة ما يجرى على السنتم شدات بن عديم
والا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير نخت نصر والله أعلم * وذكر أبو الحسن المسعودى
في كتابه اخبار الزمان ومن اباده الحد ثان ان الخليفة عبد الله المامون بن هارون الرشيد لما قدم مصر وأتى على
الالهram احب أن يهدم احداهل يعلم ما فيها ففعل له انك لا تقدر على ذلك فقال لابد من فتح شئ منه ففتحت له الثمة
المفتوحة الآن بنار فوجدوا داخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى انفق عليها أموالا عظيمة فوجدوا
عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا فلما انتهوا الى آخر الحائط وجدوا خلف الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب
مضروب وزن كل دينار أوقية وكان عددها ألف دينار فجعل المامون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم أمر
بجملة ما انفق على الثمة فوجدوا الذهب الذى أصابوه لا يزيد على ما انفقوه ولا ينقص ففجب من معرفتهم بقدر
ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوزنه في الموضع عجا عظيم وقيل ان المطهرة التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد
فأمر المامون بجملةا الى خزائنه وكان آخر ما عمل من عجائب مصر واقام الناس سنين يقصدونه وينزلون فيه
الزلافة التي فيه فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك فانفق عشرون من الاحداث على دخوله وأعدوا لذلك
ما يحتاجون من طعام وشراب وحبال وشمع ونحوه ونزلوا في الزلافة فرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان
يضرب وجوههم ثم انهم أدلوا أحدهم بالحبال فانطبق عليه المكان وحاولوا جذبه حتى اعياهم فسمعوا صوتا

ارعهم فغشى عليهم ثم قاموا وخرجوا من الهرم فيبناهم جلوس يتعجبون بما وقع لهم اذا خرجت الارض صاحبهم
 حيا من بين ايديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فخلعوه ومضوا به فأخذهم الخفراء واتوا بهم الى الوالى فخذثوه
 خبرهم ثم سألو عن الكلام الذى قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم معناه هذا اجراء من طلب ما ليس له وكان الذى
 فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد * وقال على بن رضوان الطبيب فكوت فى بناء الاهرام فأوجب علم الهندسة
 العلمية ورفع الثقل الى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا وفتحوا الخجارة ذكرا واتى ورصوها بالجس
 البحرى الى أن ارتفع البناء مقدار ما يمكن رفع الثقل وكانوا كلما صعدوا وضوا البناء حتى يكون السطح الموازى
 للمربع الاسفل مربعا أصغر من المربع السفلانى ثم عملوا فى السطح المربع الفوقانى مربعا أصغر بمقدار ما بقى
 فى الحاشية ما يمكن رفع الثقل اليه وكانوا يرفعون اجرا مهندما رصوه اليه ذكرا واتى الى أن ارتفع مقدار مثل المقدار
 الاول ولم ينالوا يفعلون ذلك الى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع وفتحوا الجوانب
 البارزة التى فرضوها لرفع الثقل ونزلوا فى النحت من فوق الى اسفل وصار الجميع هرما واحدا * وقياس الهرم
 الاول بالذراع التى تقاس بها اليوم الابنية بمصر كل حاشية منه اربعة اذرع يكون بالذراع السوداء التى طول
 كل ذراع منها اربعة وعشرون اصبعاً خمسمائة ذراع وذلك أن قاعدته مربع متساوى الاضلاع والزوايا ضلعان
 منهما على خط نصف النهار وضلعان على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع
 والخط المنحدر على استقامة من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعة مائة وتسبعون ذراعا يكون اذا تم
 ايضا خمسمائة ذراع وأحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوى الساقين كل ساق منه اذا تم
 خمسمائة وستون ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع رؤسها عند نقطة واحدة وهى رأس الهرم اذا تم فيلزم أن
 يكون عموده اربعة مائة وثلاثين ذراعا وعلى هذا العمود مركزا ثقالة ويكون تكسير كل مثلث من مثلثاته
 مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع اذا اجتمع تكاسيرها كان مبلغ تكسير سطح هذا الهرم خمسمائة ألف ذراع
 بالسوداء وما احسب على وجه الارض بناء اعظم منه ولا احسن هندسة ولا اطول والله أعلم * وقد فتح المأمون
 نقبا من هذا الهرم فوجد فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب ووجد فى سطحه قبر رخام وهو باق فيه الى اليوم
 ولم يقدر احد يخبطه وذلك اخبر جالينوس انها قبور فقالت فى آخر الخامسة من تدبير الحكمة بهذا اللفظ وهم يسمون
 من كان فى هذا السن الهرم وهو اسم مشتق من الاهرام التى هم اليها صائرون عن قريب وقال الخوقلى فى صفة
 مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير فى ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما وقرأ بعض
 بنى العباس على أحدهما فى قد بنيتهما فى كان يدعى قوّة فى ملكه فليهد مهما فالهدم ايسر من البنين فهم بذلك
 وأظنه المأمون أو المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ وكان خراجها على عهده بالانصاف فى الجباية وتوخي
 الرفق بالارعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر اصابع اربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعة وخمسين
 ألف دينار والمقبوض على الفدان دينارين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا * وفى حد القسطاط فى غربى
 النيل ابنية عظام يكثر عددها مفترشة فى سائر الصعيد تدعى الاهرام وليست كالهرمين اللذين تجاه القسطاط
 وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما اربعة مائة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنى بججارة الكدان التى سمى الحجر
 وطوله وعرضه من العشر اذرع الى الثمان بحسب ما دعت الحاجة الى وضعه فى زيادته ونقصه وأوجبه
 الهندسة عندهم لانها كلما ارتفعت فى البناء ضاقت بصيرا علاهما من كل واحد منهما مثل مبرك جبل وقد ملئت
 حيطانها بالكتابة اليونانية وقد ذكر قوم انهما قبران وليس كذلك وانما حجل صاحبهما على عملهما انه قضى
 بالطوفان انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن فى مثلها من خزائن ذخيرته وأمواله فيها واتى الطوفان
 ثم نصب قصار ما كان فيها الى يصير بن مصر ايم بن حام بن نوح وقد خزن فيها بعض الملوكة المتأخرين وجعلها
 هراء والله أعلم * وقال أبو يعقوب محمد بن اسحاق النديم الوراقى فى كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلى قد
 اختلف فى أمره فقيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا الحفظ البيوت السبعة وانه كان لترتيب عطارده
 وباسمه سمي فان عطارده باللغة الكلدانية هرمس وقيل انه انتقل الى أرض مصر بأسباب وانه ملكها وكان له
 أولاد منهم طواصا وأثنى وارتب وقفه وانه كان حكيم زمانه وانه لما قوفى دفن فى البناء الذى يعرف بمدينة مصر
 بأبى هرميس ويعرفه العامة بالهرمين فان أحدهما قبره والاخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذى خلفه بعد موته

وهذه البنية يعني الاهرام طولها بالذراع الهاشمي اربع مائة ذراع وثمانون ذراعا على مساحة اربع مائة
وثمانين ذراعا ثم ينحط البناء فاذا حصل الانسان في رأسه كان مقداره سطحه اربعين ذراعا هذا بالهندسة وفي
وسط هذا السطح قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة وعند رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافة والحسن
وكثرة التلون وعلى كل واحدة منهما شخصان من حجارة صورة ذكر وانثى وقد تلاقيا بوجهيهما ويبدو الذكرواح
من حجارة فيه كتابة ويبدو الانثى امرأة والفرق ذهب نقشه نقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة على رأسها
غطاء ذهب فلما قلع فاذا فيها شبيهة بالقبور بغير رائحة قديس وفيها حقة ذهب فتزع رأسها فاذا فيها دم عبيط
ساعة قرعه الهواء كما يجمد الدم وجف وعلى القبور غطية حجارة فلما قلعتم اذ رجل نائم على قفاه على نهاية
الصخرة والجفاف بين الخلقة ظاهر الشعور والى جنبه امرأة على هيئة قال وذلك السطح منقر نحو قامة كما يدور
مثل المسامير ذات آراج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة وقائمة وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف أشكالها
* وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن سعد البغدادي
المعروف بابن المطحن في سيرته وجاء رجل جاهل عجمي تنفيل الى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف
أن الهرم الصغير تحت مطلب فاخرج اليه الجحارين واكثر العسكروا أخذوا في هدمه واقاموا على ذلك شهورا
ثم تركوه عن عجز وخسران مبين في المال والعقل ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى
الهرم لا يجذبه الا تشمينا يسيرا وقد أشرفت على الجحارين فقلت لمقدمهم هل تقدرون على اعادته فقال لو بذل لنا
السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يكنا ذلك * وقال أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب وأما الاهرام فطولها
عظيم وبنائها عجيب عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدري ما تلك الكتابات
ولا المراد بها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدارا ارتفاع الهرم الكبير ذهابا في الجوف نحو اربع مائة
ذراع أو أكثر وكلما صعدت ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر وأسرار
الطبيعة وان من تلك الكتابات مكتوبا انابيناها فن يدعى موازاتنا في الملك وبلوغ القدرة واتهاء أمر السلطان
فاليه يهدمها ويليزل رسمها فان الهدم أسير من البناء والتقريب اسهل من التأليف * وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام
شرع يهدم بعضها فاذا خراج مصر لاني بقلعها وهي من الحجر والرخام وأنها قبور ملوك وكان الملك منهم
اذا مات وضع في حوض من حجارة ويسمى بمصر والشام الجرون واطبق عليه ثم بنى من الهرم على مقدار
ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم ينظر عليه البنيان ثم يرفعون البناء
على المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض ويعقد أراج طوله تحت
الارض مائة ذراع أو أكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون
الهرم من هذه الاهرام مدرجا ذراعا كالدراج فاذا فرغوا اختبوه من فوق الى أسفل فهذه كانت جبلتهم وكانوا
مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة * وقال في كتاب البنية والاشراف والهرمان اللذان في الجانب الغربي من
فسطاط مصر هما من عجائب بانيان العالم كل واحد منهما اربع مائة ذراع في سمك مثل ذلك مبنيان بالحجر
العظيم على الرياح الاربع كل ركن من اركانها يقابل ريجانها فاعظمها فيهما تانرا ريج الجنوب وهي المربى
وأحد هذين الهرمين قبر اعدايمون والاخر قبر هرمس وبينهما نحو ألف سنة وأعدايمون المتقدم وكان سكان
مصر وهم الاقباط يعتقدون بنوهم ما قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجب رأى الصابئين في النبوات لا على
طريق الوحي بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذب من ادناس هذا العالم فالتحدث بهم مواد علوية
فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وفي العرب من اليمانية من يرى انهما قبر شداد
ابن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر وهم العرب العاربة من العماليق
وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة * وذكر أبو زيد البلخي انه وجد مكتوبا على
الاهرام بكتابتهم خط فعرّب فاذا هو بنى هذان الهرمان والنسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى
الهجرة النبوية فاذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين يكون اثنتين وسبعين ألف سنة شمسية
* وقال الهمداني في كتاب الاكمل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرية فيها بقية سوى هنا وقد
وجدت كما هي اليوم لم تتغير واهرام الصعيد من أرض مصر * وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي

في كتاب تحفة الالباب ان الاهرام مربعة الجمله مثلثة الوجوه وعددها ثمانية عشر هرما في مقابلة مصر القسطاط
 ثلاثة اهرام اكبرها دوره الفاذراع في كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وكل حجر من حجارتهما ثلاثون
 ذراعا في غلط عشرة اذرع قد احكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم اعظم واكبر دوره ثلاثة
 آلاف ذراع وعلوه سبعمائة من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى اهرام اكبر واعظم
 وهرم آخر يعرف بهرم مدون كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي تجاه القسطاط قال
 وقد دخلت في داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة في وسطها بئر عميقها عشرة اذرع وهي مربعة
 ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من تربيع البئر بابا يقضي الى دار كبيرة فيها موتى من بنى آدم عليهم
 اكفان كثيرة اكثر من مائة ثوب على كل واحد قد بليت بطول الرمان واسودت واجسامهم مثلنا ليسوا طوالا
 ولم يسقط من اجسامهم ولا من شعورهم شي وليس فيهم شيخ ولا من شعره ابيض واجسادهم قوية لا يقدر
 الانسان أن يزيل عضوا من اعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغنا طول الزمان وفي تلك البئر أربعة
 من الدور مملوءة باجساد الموتى وفيها خفاش كثير وكانوا يدقون أيضا جميع الحيوان في الرمال ولقد وجدت ثيابا
 ملفوفة كثيرة مقدار جرمها اكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من القدم فازلت الثياب الى أن ظهرت خرق
 صحاح قوية بيض من كان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الاحمر وفي داخلها هدهدميت لم يتناثر من
 ريشه ولا من جسده شي كأنه قدمات الآن * وفي القبة التي في الهرم باب يقضي الى علو الهرم وليس فيه درج
 عرضه نحو خمسة اشبار يقال انه صعد فيها في زمان المامون فأفضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر أخضر
 كالدهن فخرجت الى المامون فاذا هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين
 بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لاقية له وعند رأسه حجرا ياقوت أحمر كبضة الدجاجة يضيء كالكهرباء النار
 فأخذ المامون * وقد رأيت الصنم الذي اخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة احدى
 عشرة وخمسمائة * وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي روى علي بن الحسن بن خلف
 ابن قنيد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن سحر التميمي قال حدثني رجل من عجم مصر من قرية
 من قرأها تدعى قنط وكان عالما بأموار مصر وأحوالها وطالب الكتب القديمة ومعادنها قال وجدنا في كتبنا القديمة
 قال وأما الاهرام فان قوما احترقوا قبرا في در أبي هرميس فوجدوا فيه ميتا في اكفانه وعلى صدره قرطاس
 ملفوف في خرق فاستخرجوه من الخرق فرأوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية الاولى فطلبوا من يقرأ لهم
 فلم يقدر واعليه فقبل لهم ان يدبر القلمون من أرض القيوم راها يقرأ فخرجوا اليه وقد ظنوا انه في الضبيعة
 فقرأ لهم وكان فيه كتب هذا الكتاب في اول سنة من ملك ديقليطيانس الملك وانا استسخناه من كتاب نسخ
 في اول سنة من ملك فيلبس الملك وان فيلبس استسخنه من صحيفة من ذهب فرق كتابها حرفا وحرفا وكان من
 الكتاب الاول ترجمه له اخوان من القبط يقال لاحدهما ايلو والاخر ثاوان الملك فيلبس سألهما عن سبب
 معرفتهما بما جهله الناس من قراءته فذكر انهما من أهل مصر الا وائل لم ينح من الطوفان من أهل مصر
 أحد غيره وكان سبب نجاته انه اتى فوجا عليه السلام فآمن به ولم يأت من أهل مصر غير مخمليه معه في السفينة فلما
 نضب ماء الطوفان أتى مصر ومعه نفر من ولد حام بن نوح وكان بها حتى هلك فورث ولده علم كتاب أهل مصر الاول
 فورثاه عنه كبرا عن كبرا وكان تاريخه الذي مضى الى أن استسخنه فيلبس ألفا وثلاثمائة واثنين وسبعين سنة وان
 الذي استسخنه في صحيفة من ذهب فرق كتابها حرفا وحرفا على ما وجدته فيلبس وان تاريخه الى أن استسخنه ألف
 وسبعمائة سنة وخمس وثمانون سنة * وكان الكتاب المنسوخ انا نظرنافيا تبدل عليه النجوم فرأينا أن آفة
 نازلة من السماء وخارجة من الارض فلما بان لنا الكون نظرنافيا ما هو فوجدناه ماء مفسد الارض وحيوانها ونباتها
 فلما تم الميعين من ذلك عندنا قلنا الملك اسور يد بن سملوق من ببناء افروشات وقبر لك وقبر لاهل بيتك فبنى لهم الهرم
 الشرقي وبنى لآخيه هوجيت الهرم الغربي وبنى لابن هوجيت الهرم الملون وبنيت افروشات في أسفل مصر
 واعلاها فكتبنا في حيطانها علم عامض أمر النجوم وعلها والصناعة والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر
 ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكاتبنا وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد في اول
 دقيقة من رأس السرطان ويكون الكوكب عند نزوله اياه في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر في اول

دقيقة من رأس الحمل وقوريس في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل وراويس في الحوت في تسع وعشرين
 درجة وثمان وعشرين دقيقة وآويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق وأفردوبطن في الحوت
 في ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس في الحوت في سبع وعشرين ودقائق والجوزهر في الميزان وواج القمر
 في الاسد في خمس درجات ودقائق * ثم نظرناهل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم فأصبنا الكواكب تدل
 على أن آفة نازلة من السماء الى الارض وانما هذه الآفة الاولى وهي نار محرقة اقطار العالم ثم نظرنامتى يكون
 هذا الكون المضرباً فأنه يكون عند حلول قلب الاسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الاسد
 ويكون ايليس معه في دقيقة واحدة متصلة بقوريس من ثلث الراعى ويكون راويس مشترى في اول الاسد في
 آخر احتراقه ومعه آويس في دقيقة ويكون سليس في الدلو مقابلاً ليلس الشمس ومعه الذنب في اثنين وعشرين
 ويكون كسوف شديد له مكث يوازي القمر ويكون هرمس عطارد في بعده الا بعداً ما هما مقبلين أما أفردوبطن
 فلا ستقامة وأما هرمس فلأربعة * قال الملك فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غير هاتين الآفتين قالوا اذا
 قطع قلب الاسد ثلثي سدس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحلت عقد
 الفلك وسقط على الارض قال لهم وای يوم فيه التخلال للفلك قالوا اليوم الثاني من بدو حركة الفلك فهذا ما كان
 في القريطاس * فلما مات الملك سوريد بن سهل وقدفن في الهرم الشرقي ودفن هو حيت في الهرم الغربي ودفن
 كرورس في الهرم الذي اسفله من حجارة اسوان واعلاه كدان * ولهذه الاهرام ابواب في ارجح تحت الارض
 طول كل ارجح مائة وخمسون ذراعاً * فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية وأما باب ارجح الهرم الموزر
 فمن الناحية القبلية * وفي الاهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحصى الوصف * وان مترجم هذا
 الكتاب من القبطى الى العربى اجل التاريخين الى اول يوم من توت وهو يوم الاحد طلوع شمس سنة خمس
 وعشرين ومائتين من سنى العرب فبلغت اربعة آلاف وثلاثمائة واحدى وعشرين سنة لسنى الشمس ثم نظركم
 مضى للطوفان الى يومه هذا فوجدته ألفاً وسبع مائة واحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوماً وثلاث عشرة
 ساعة وأربعة ارجح ساعة وتسعة وخمسين جزءاً من اربعة مائة جزءاً من ساعة فألقاهما من الجبله فبقى معه
 ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة ايام وعشر ساعات واحدى وعشرون جزءاً من اربعة مائة جزءاً من
 ساعة فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات والكسور من الساعة *
 وأما الهرم الذى بدير أبى هرميس فانه قبر قرياس وكان يعذب بألف فارس فاذا لقيهم
 لم يقوموا به وانهمزوا وانه مات فجزع الملك عليه جزعاً بلغ منه وكتب تأب لموته الرعية فدفنوه بدير هرميس
 وبنوا عليه الهرم مدرجاً وكان طينه الذى بنى به مع الحجارة من القيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له
 معدن الا بالقيوم وليس بمنف ووسيم له شبهه من الطين * وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا فانه الهرم
 الكبير من الاهرام التى فى بحرى دير أبى هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح ذراعان
 فى ذراع وكله ملوء كتباً مثل كتب البرابى يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم ينخرم وفى هذا الهرم ذخائر
 صاحبه من الذهب وحجارة الزمرد واثماسة بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه رءاه بيتاً * وقال
 ابن عفير عن اشياخه ان جباد بن ميادين شمر بن شداد بن عادي بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ملك
 الاسكندرية وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ ثلثمائة سنة وهو الذى سار وبنى الاهرام وزبر فيها
 انا جباد بن ميادين شمر بن شداد الشاذ بزرعة الواد المؤيد الاوتاد الجامع الصخر فى البلاد المجند الاجناد
 الناصب العماد الكند الكاد تخزجه امة اسم نبيها حماد آية ذلك اذا غشى بلد البلاد سبعة ملوك اجناس
 السواد تاريخ هذا الزبرأف سنة وأربع مائة سنة عماد * وقال ابن عفير وابن عبد الحكم وفى زمان شداد
 ابن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين ولم نجد عند احد من اهل العلم من اهل مصر معرفة فى الاهرام
 ولا خبر ثبت * وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما أحسب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت
 بعده لكان علمها عند الناس * وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمى لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها
 جرهم من مكة بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنيت فيها العجايب ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن دعر
 الخزاعى * وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب اربعة مائة مدينة سوى القرى من مصر الى

المغرب في غربي الاهرام * وقال ابن عفر ولم يزل مشايخنا من اهل مصر يقولون الاهرام بناها شدد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الاجناد فالمغار والاجناد هي الدفائن وكانوا يقولون بالرجعة واذ مات احداهم دفن معه ماله كما نأما كان وان كان صانع ادفن معه آلة صنعته وكانت الصائبة تتج الى الاهرام * وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقرب به بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طمهورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ عمالك الشرق وان اهل المغرب لما اندرب حكاؤهم بنوا ابنة كاهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وان آثار ماء الطوفان وتأثيرات الامواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال ان الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى نهاوند وجدت كما هي واهرام مصر وبرايها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد الهمه الله علم النجوم فدلته على أنه سينزل بالارض آفة وانه سيبقي بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبنى هو وأهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها * وقال ابو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر أخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالاهارام والبرابي فانها من الآثار التي حيرت الاذهان الشاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكير فيها وفي مثلها يقول ابو العلاء احمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي بها اياه

تضل العقول الهبريات وشدها * ولا يسلم الرأي القويم من الافن

وقد كان ارباب الفصاحة كلما * رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وأى شيء أعجب وأعرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من اعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عوده ثلثائة ذراع وتسعة عشر ذراعا محيطه اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع منها اربعة مائة ذراع وستون وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى هلم جزا بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منه ما وقد ذكرت بحجائب مصر وان ما على وجه الارض بنية الاوانا ارقى لها من الليل والنهار الا الهرمان فأنا ارقى لليل والنهار منهما وهذا الهرمان لهما اشرف على أرض مصر واطلال على بطائعها واصعاد في جوفها وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله شعر

ابن الذي الهرمان من بنيانه * ما قوم ما يومه ما بالمصرع

تخلف الآثار عن سكانها * حينما ويدركها الفناء فتتبع

واتفق يوما انا خراجنا اليهما فلما طفنا بهما واستدنا حولهما كثيرا تعجب منهما فقال بعضنا

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرا * على طول ما ابصرت من هرمي مصر

انا فاعننا للسماء وأشرفا * على الجواشرف السماء والنسر

وقد وافيا نثرنا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما عيزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسيماء على تطاول الدهور وترأخى العصور * ولما وصل الخليفة المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مهاوى ومراقى يهول امرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في اعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رتبة بالية قد أتت عليها العصور والخالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سوا ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة * ومن الناس من زعم أن هرمس الاول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان بن النوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من احوال الكواكب على كون الطوفان يعم الارض فأكثر من بنان الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يشفق عليه من

الذهب والدروس حفظها واحتياط عليها ويقال ان الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهاوق بن سرياق وقال آخرون ان الذي بنى الهرمين الهماذين للفسطاط شداد بن عاد رؤيا رآها والقبط تنكر دخول العمالة بلد مصر وتحقق أن بناها سوريد لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان وقالوا انه بناهما في مدة ستة اشهر وغشاها بالدياج المائون وكتب عليهم ما قد بيناها في ستة أشهر قل لمن يأتي من بعدنا يهدمها في ستمائة سنة فالهدم ايسر من البناء وكسوناها بالدياج المائون فليكسهما حصرا فالحصر أهون من الدياج ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها الى أسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابه باليه لا تعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاغراق في العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي وان تباعد الموصوفان وتباين المقصودان اذ يقول

اذا ما وصفت امر الأمرى * فلا تغل في وصفه واقصده

فانك ان تغل تبد الظن * ن فيه الى الغرض الابعده

فيصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المأمون أمر من صعد الهرم الكبير أن يذلى حبلا فكان طوله ألف ذراع بالذراع الملكي وهو ذراع وخمسان وتربعه أربعة مائة ذراع في مثلها وكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال * ويقال انه وجد على المقبور في الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وأن ثخانة الطلاء الذي عليه قدر شبر من متر وصبر * ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم ابوان في صدره ثلاثة ابواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع من رخام ونحوت تحكم الهندام وعلى صفيحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب الى أن رأوا أمامها على عشرة اذرع منها ثلاثة أعمدة من مرمر وفي كل عمود خرق في طوله وفي وسط الخرق صورة طائر في الأول من هذه العمود صورة حمام من حجر أخضر وفي الأوسط صورة بازى من حجر أصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر فخر كوا البازي فتحرل الباب الأول الذي في مقابله فرفعوا البازي فلبسوا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الآخرين فارتفع البابان الآخران فدخلوا الى البيت الأوسط فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل ميت ثلاث حلل وعند رأسه مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الآخر عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها ألوان من الذهب عجيبة الصنعة مرصعة بأنواع الجواهر ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها آلات الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة أشبار و لكل درع من تلك الدروع اثنا عشر شبرا فأمر المأمون بحمل ما وجد في البيوت وأمر فحطت العمدة فانطبقت الابواب كما كانت * ويقال كانت عدة الاهرام ثمانية عشر هراما منها تجاه مدينة الفسطاط ثلاثة اكبرها دوره ألف ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المأمون لما فتحه وجد فيه حوضا من حجر مغطى بلوح من رخام وهو ملئ بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عرب فكان ان اعمرنا هذا الهرم في ألف يوم وأبجنا لمن يهدمه في ألف سنة والهدم أسهل من العمارة وكسونا جميعه بالدياج وأبجنا لمن يكسوه الحصر والحصر ايسر من الدياج وجعلنا في كل جهة من جهاته ما لا يقدر ما يصرف على الوصول اليه فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص * ويقال انه وجد فيه صورة آدمي من حجر أخضر كالدخيل فيها طبق كالذواة ففتح فاذ فيه جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر من ياقوت أحمر في قدر بيضة الدجاجة فأخذ المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب * وذكر بعض مؤرخي مصر أن هذا الصنيع الاخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة احدى عشرة وستمائة من سني الهجرة * وكان عند مدينة فرعون هرمان وعند ميدوم هرمان وهذا آخرها * وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة من سني الهجرة ظهر بترية بوسير من ناحية الجيزة بيت هرميس ففقه القاضي ابن الشهرزوري

وأخذ منه أشياء من جملتها كباش وقرود وضفادع من حجر بازهر وقوارير من دهنج وأصنام من نحاس
 * وقال ابن جر داويه من عجيب البنيان أن الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما أربع مائة ذراع وكل
 ارتفع دق وهما من رخام ومرمر والطول أربع مائة ذراع في عرض أربع مائة ذراع مكتوب عليهما
 بالمد كل سحر وكل عجيب من الطب ومكتوب عليهما في بنيتهما من يدعى قوة في ملكه فليد مهما فاق
 الهدم أي من البناء فاعتبر ذلك فاذا أخرج الدنيا لا يبق بهدمهما * وقال في كتاب عجائب البنيان عن
 الأهرام قد انفردت مصر بهذه الأشكال فليس لها غيرها تمال ينظروا الناظر للديار المصرية نهدين ويحسبهما
 القابل أن مكارم أهلها قد أعدت لهما للتكرم ابولوجين تراهما العين على بعد المسافة وإذا حدثت عن عجائبهما
 يظن أنه حديث خرافه وقد أكثر الناس في ذكر الأهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلاهما ببر
 الجزيرة على سمت مصر القديمة تمتد نحو من مسافة ثلاثة أيام وفي بوصير منها شيء كثير وبعضها كبار
 وبعضها صغار وبعضها طين وبعضها لبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس * وقد كان منها
 بالجزيرة عدد كثير كالأهرام صغار هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد الطواشي بهاء
 الدين قراقوش أخذ جبارته ابني بها القناطر في الجزيرة وقد بقي من هذه الأهرام المهدومة ثلثها * وأما الأهرام
 المتحدثة عنهما فهي ثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجزيرة قبالة القسطنطين وبينها مسافات كثيرة وزوايا
 متقابلة نحو الشرق واثنان عظيمان جدا في قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث
 فصغير عنهما نحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الأحمر المنقط الشديد القوة والصلابة ولا يكاد يؤثر فيه الحديد
 إلا في الزمان الطويل وتجده صغيرا بالقياس إلى ذلك فاذا أتيت إليه وافردته بالنظر هالك مرآه وحير النظر
 في تأمله * وقد سلك في بناء الأهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على عمر الأيام لا بل على
 عمرها صبر الزمان فانك إذا تأملت ما وجدت الأذهان الشريفة قد استتمت فيهما والعقول الصافية قد افترغت
 عليهما مجوده والانس النيرة قد أفاضت عليهما أشرف ما عندها والمملكات الهندسية قد أخرجتها إلى الفعل
 مثلا في غاية إمكانها حتى أنها تكاد تحدث عن قوة قومها وتخبر عن سيرتهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم
 وترجم عن سيرهم وأخبارهم وذلك أن وضعها على شكل مخروط ويتبدى من قاعدة مربعة وينتهي إلى نقطة
 * ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله في وسطه يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على
 بعض وليس له جهة أخرى يتساقط عليها * ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح
 الأربع فان الرياح تنكسر سورتها عند مسامتتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلتقي السطح * وذكر المساح أن
 قاعدة كل من الهرمين العظيمين أربع مائة ذراع بالذراع السوداء وينقطع المخروط في أعلاه عند سطح مساحته
 عشرة أذرع في مثلها وذكر أن بعض الرماة رمى سهمًا في قطرها أحدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف
 المسافة وذكر أن ذراع سطحها أحد عشر ذراعا بذراع اليد وفي أحد هذين الهرمين مدخل يلجأ إليه الناس
 يقضى بهم إلى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهاالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلجأه وإن أناسا كثيرين
 لهم غرام به وتحيل فيه فيتوغلون في أعماقه ولا بد أن ينتهوا إلى ما يعجزون عن سلوكه * وأما المسلول المطروق
 كثيرا فزلاقة تقضى إلى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب في أصل
 البناء وإنما هو منقوب تقباصادف اتفاقا وذكر أن الملمون قبحه * وحكي من دخله وصعد إلى البيت الذي
 في أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوه وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها وتعتظم فيه حتى تكون قدر الحمام وفيه
 طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها عملت مسالك للريح ومنافذ للضوء بحجارة جافية طول الحجر منها من عشرة
 أذرع إلى عشرين ذراعا وسمكه من ذراعين إلى ثلاثة أذرع وعرضه نحو ذلك * والعجب كل العجب من وضع
 الحجر على الحجر بهندام ليس في الامكان أصح منه بحيث لا نجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين لونه
 الزرق لا يدرى ما هو ولا صفته وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم يوجد بديار مصر من
 يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما عليها إلى صحف لكانت قدر عشرة آلاف صحيفة
 وقرأت في بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين قبرا أعاديون والآخر قبر هرمس ويزعمون
 أنهما ابنتان عظيمتان وأن أعاديون أقدم وأعظم وأنه كان يحج إليهما ويهدي إليهما من أطوار البلاد * وكان

الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استقل بالملك بعد أبيه سؤل له جهلة اصحابه أن يهدم هذه
الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر فأخرج اليه النقبائين والحجارين وجاعة من امراء دولته وعظماء مملكته وامرهم
بهدم نخسمة واعنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر يخيلهم ورجلهم
يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الجبر والحجر ينقوم من فوق يدفعونه بالاسافين وقوم من
أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال وترزل
الارض ويغوص في الرمل فيتممون تعباً آخر حتى يخرجوه ويضربون فيه بالاسافين بعد ما يتقربون لها موضعا
ويثبتونها فيه فيقطع قطعاً وتضاعف نصبهم ووهت عزائمهم فكفوا المحسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم
وأبانوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسائة ومع ذلك فإن الرائي لجارة الهرم يظن أنه قد
استؤصل فاذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وانما سقط بعض جانب منه وحين ماشوهدت المشقة التي
يجدونها في هدم كل حجر مثل مقدم الحجارين فقليل له ولو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجرا واحدا
الى مكانه وهدمه هل كان يمكنكم فأقسم بالله انهم لم يجزوا عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك * وبازاء الاهرام
مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار لعل الفارس يدخلها برمح ويختلها يوم الجمع ولا ينهيم الكبرها
وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع حجارة الاهرام * وأما مقاطع حجارة الهرم الاحمر فيقال انها
بالقزم وباسوان وعنده هذه الاهرام آثاراً بنية جبارة ومغاير كثيرة منقبة ولما ترى من ذلك شيئا الا ترى
عليه كتابات بهذا القلم المجهول ولله درالفقيه عمارة اليمنى حيث يقول

خيل لي ما تحت السماء بنية * مماثل في اتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تنزه طرفي في بديع بنائها * ولم يتنزه في المراد بها فكري

اخذ هذا من قول بعض الحكماء كل شيء يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فانه يخشى على الدهر منها وقال

عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات في سنة سبع وثمانين وثلثمائة

انظر الى الهرمين اذ برزا * للعين في علو وفي صعود

وكأنما الارض العريضة قد * ظمئت لطول حرارة الكبد

حسرت عن التدين بارزة * تدعو الاله لفرقة الولد

فأجابه بالنيل يشبعها * ربا وينقذها من الكمد

لكرامة المولى المقيم بها * خير الانام مقوم الاود

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اي عجيبة وغريبة * في صنعة الاهرام للالباب

اخفت عن الاسماع قصة اهلها * ونضت عن الابداع كل نقاب

فكأنما هي كالتخيام مقامة * من غير ما عمد ولا اطناب

وقال آخر

انظر الى الهرمين وتمعنهما * ما يرويان عن الزمان الغابر

وانظر الى سر الليالي فيهما * نظرا بعين القلب لا بالنظر

لوي نطقان لخبرانا بالذي * فعل الزمان بأقول وبأخر

واذا هما بدا لعيني ناظر * وصفاله اذني جواد عائر

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي

الست ترى الاهرام دام بناؤها * ويقف لدينا العالم الانس والجن

كأن رحي الافلاك اكوارها على * قواعدها الاهرام والعالم الطعن

وقال

قد كان للماضين من * سكان مصرهم * فالفضل عنهم فضلة * والعلم فيهم علم
ثم انقضت أعلامهم * وعلمهم واحتطموا * وانظر تراها ظاهرا * باد عليها الهرم
وقال

تحليلي لا باق على الحدثان * من الاول الباقي فيحدث ثاني
الى هري مصر تناهت قوى الوري * وقد هربت في دهرها الهرمان
فلا تعجبا أن قد هربت فانما * رماني بفقدان الشباب زمان
وعوجا بقرطاجنة فانظر ايتها * جنائقي العادين تتعبان
وايوان كسرى فانظروا فانه * يخبركم بالصدق كل اوان
فلا تحسبا أن الفناء يخصني * ألا كل ما فوق البسيطة فاني

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين احمد بن يحيى بن أبي جله التلمساني أنشدني القاضي نحر الدين عبد الوهاب
المصري لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبع مائة وأجاد

أمباني الاهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذ كرني قولاً تقادم عهده * اين الذي الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشاخات تكاد أن * تمتد فوق الارض عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها * لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده * مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عنده * دهبوها والسيول في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة * فباني الاهرام من اوثانه
أو قائل يقضي برجي نفسه * من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزها وجسمه * قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو أنها للسائرات مراصد * يختار اراصدها اعز مكانه
أو أنهم او صفت شؤون كواكب * احكام فرس الدهر أو يونانه
أو أنهم نقشوا على حيطانها * علما بحار الفكر في تبيانها
في قلب راسيها ليعلم نقشها * فكري بعض عليه طرف بنانه

* (ذكر الصنم الذي يقال له ابوالهول) *

هذا الصنم بين الهرمين عرف اولاً بلهيب وتقول اهل مصر اليوم ابوالهول * قال القاضي صنم الهرمين
وهو بلهويه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بابي الهول
ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لا يغلب على ابيز الجيزة * وقال في كتاب عجائب البنيان وعند
الاهرام رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم تسميه الناس ابوالهول ويرعون أن جثته مدفونة تحت
الارض ويقتضي القياس بالنسبة الى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعاً فصاعداً وفي وجهه جرة ودهان
يلع عليه رونق الطراوة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة جهاء وجمال كأنه يضحك تبسماً * وسئل
بعض الفضلاء عن عجيب ما رأى فقال تناسب وجه ابى الهول فان أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن
متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلاً مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك
الانف لرجل كان مشوهاً وكذلك انف الرجل لو كان اصبى لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء
فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس الى الصورة وعلى نسبتها والعجب من مصوره كيف قدر
أن يحفظ التناسب للاعضاء مع عظمها وأنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه * ويقال له في بر مصر قريبا
من دار الملك صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الاعضاء كما وصف وفي حجره مولود وعلى رأسه ماجور الجميع
صوان مانع يزعم الناس أنه امرأة وانما سريته ابى الهول المذكور وهي بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على
رأس ابى الهول خيط ومد الى سريته لكان على رأسها مستقيماً ويقال ان ابى الهول طلسم الرمل يمنع عن

النيل وان السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر * وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع اوله
 باول السوق الكبير بجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد
 وقيل ان بلهيب الذي عند الاهرام يقابله وان ظهر بلهيب الى الرمل وظهر هذا الى النيل وكل منهما مستقبيل
 الشرق وقد نزل في سنة احدى عشرة وسبع مائة امير يعرف بيلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم
 المعروف بالسرية وقطعوه أعتابا وقواعدنا أن يكون تحته مال فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة خفر
 تحتهما الى الماء فلم يوجد شيء وجعل من حجره قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجامع المستجد بظاهر مصر
 المعروف بالجامع الجديد الناصري وأزيل عين هذا الصنم من مكانه والله اعلم * وفي زمننا كان شخص
 يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء قام في نحو من سنة ثمانين
 وسبع مائة لتغيير اشياء من المنكرات وسار الى الاهرام وشق وجهه الى الهول وشعته فهو على ذلك الى اليوم
 ومن حينئذ غلب الرمل على اراض كثيرة من الجزيرة واهل تلك النواحي يرون أن سيب غلبة الرمل على الاراضي
 فسناد وجه أبي الهول ولله عاقبة الامور وما أحسن قول ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين واغجب * وبينهما ابو الهول العجيب
 كعمارين على رحيل * بحبوبين بينهما رقيب
 وماء النيل تحتهما دموع * وصوت الريح عندهما نجيب
 وظاهر من يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

ويقال ان اتريب بن قبط بن مصر بن يعصر بن حام بن نوح أوصاأخاه صا عند موته أن يحمله في سفينة ويدفنه
 بجزيرة في وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم به اهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه تسع سنين
 فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر اتريب ففروا فلم يجدوا به شيئا وقد نقلته الشياطين
 الى موضع أبي الهول ودفنته هناك بجانب قبر أبيه وجده يصرفازدادوا له تهمة وعادوا الى مدينة منف
 وتحاربوا فأتاهم ابليس فدلهم على قبر اتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره ووضعوه على سرير فكلم لهم الشيطان
 على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه فيما بعد وامن الاصنام وقتلوا صا ودفنوه على شاطئ النيل فكان
 النيل اذا زاد ليعلو قبره ففتن به طائفة وقالوا قد قتل صا ظلموا وصاروا يسجدون لقبره كما يسجدوا لآل اتريب
 فعند آخرون الى حجر فكتوه على صورة اسموم وكان يقال له ابو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون
 له فصار اهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبأ الهول وتقرب له الديكة البيض وتجزمه بالصندروس

* (ذكر الجبال) *

اعلم ان أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب الى الشمال قليلا الارتفاع وأحدهما أعظم
 من الآخر والاعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا والغربي جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض
 والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتتسع في بعضها وأوسع ما يكون باسفل أرض مصر وهذان الجبلان
 اقربان لا يبت فيما نبات كما يكون في جبال البلدان الاخر وعله ذلك انهما بورقيان ما لكان لاق قوة طين مصر
 تجذب منهما الرطوبات الموافقة في التكوين ولان قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه
 الابار منهما ما حلته وهذان الجبلان يجفان ما يدفن فيهما فان أرض مصر بالطبع قليلة الامطار * وجبل لوقا
 في مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر هذا الريح ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض
 مصر اذا كانت على الاق وتعد اسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الاقليم فيطل على القسطاط وعلى
 القاهرة الجبل المقطم

* (ذكر الجبل المقطم) *

اعلم أن الجبل المقطم اوله من اشرق من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الططر حتى يأتي فرغانة الى جبال
 اليم المتدبها نهر السغد الى أن يصل الجبل الى جيحون فيقطعها ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وكأنه قطع ثم في
 وسطه ويستمر الجبل الى الجورجان ويأخذ على الطالقان الى أعمال مرو والرو الى طوس فيكون جميع مدن طوس
 فيه ويتصل به جبال أصهان وشيراز الى أن يصل الى البحر الهندي وينعطف هذا الجبل ويمتد الى شهر زور فيمر على

الذجلة ويتصل بجبل الجودي وموقف سفينة نوح عليه السلام في الطوفان ولا يزال هذا الجبل مستمرا من
 أعمال آدم وميثاقين حتى يمر بشعور حلب فيسمى هناك جبل اللكام الى أن يعبدى الثغور فيسمى نهرا حتى
 يجاوز حصن فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الاخرى ويسمى
 المقطم ثم يتصل واخر شعبه بنهاية الغرب ويقال انه عرف بمقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه
 السلام * وجبل المقطم يمر على جانبي النيل الى النوبة ويعبره من فوق الفيوم فيتصل بالغرب الى أرض مقراوة
 ويعضى مغربا الى سجلماسة ومنها الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر * وقال ابراهيم بن وصيف شاه وذكر مجي
 مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح الى أرض مصر وكشف اصحاب اقليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم التي
 هي بخط البرابي وآثارهم والمعادن من الذهب والزرجد والفيروزج وغير ذلك وروى عنهم عمل الصنعة يعنى
 الكيمياء فجعل مصر ايم امرها الى رجل من اهل بيعة يقال له مقيطام الحكيم فكان يعمل الكيمياء في الجبل
 الشرقى فسمى به المقطم من اجل أن مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه
 فتقيل له جبل المقطم يعنى جبل مقيطام الحكيم وقال البكري رحمة الله تعالى عليه المقطم بضم اوله وفتح ثانيه
 وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القضاى المقطم ذكر أبو عبد الله
 النبى أن هذا الجبل نسب الى المقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح وكان عبدا صالحا فأنفرد بعبادة الله عز
 وجل فسمي الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه لا يعرف لمصر ولدا اسمه المقطم * والذي ذكره العلماء أن المقطم
 مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمي مقطما ذكر ذلك على بن الحسن الهنأى
 الدوسى المتبذ بكراع وغيره * وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن اليتيم بن سعد رضى الله عنه قال
 سال المقوقس عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين ألف دينار وفي نسخة بعشرين
 ألف دينار فحجب عمرو من ذلك وقال أكتب بذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمرو بن الخطاب رضى الله عنه
 فكتب اليه عمر سلمه لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تززع ولا يستنبط بها ماء فساء له فقال انما نجد صفته فى الكتب
 أن فيم اغراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه اننا لانعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيه من مات قبلك
 من المؤمنين ولا تبعه بشئ فكان اول من قبر فيها رجلا من المعافى يقال له عامر فقبل عمرت فقال المقوقس لعمر
 وما ذلك وما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم * وذكر عمر بن ابي عمر الكندى فى فضائل
 مصر أن عمرو بن العاص رضى الله عنه سار فى سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس فقال له ما الجبل لكم هذا أفرع
 ليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا فى أسفله نهر من النيل وغرسناه بخلاف فقال المقوقس وجد نافي الكتب
 انه كان أكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة وكان منزل المقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام
 فلما كانت الليلة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام اوحى الله الى الجبال اني مكلم نبيانا من انبياءى على جبل منكم
 فسمت الجبال كلها وتشاخت الاجبال بيت المقدس فانه هبط وتصاعرا فوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به أخبر
 فقال اعظاما واجلالا لاك يارب قال فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما عليه من النبات فجاءه
 المقطم بكل ما عليه من النبات حتى بقي كما ترى فأوحى الله اليه اني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة
 فكتب بذلك عمرو بن العاص رضى الله عنه الى عمرو بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمرو بن الخطاب
 رضى الله عنه اني لا أعلم شجر الجنة غير المؤمنين فاجعل لهم مقبرة ففعل فعرض المقوقس من ذلك وقال لعمر
 ما على هذا الصالحين فقطع له عمر قطيعا شجوا الحبش تدفن فيه النصارى قال وروى أن موسى عليه السلام
 سجد فسجد معه كل شجرة من المقطم الى طرا * وروى أنه مكتوب واذا فتح متدسى يريد وادى مسجد موسى
 عليه السلام بالمقطم عند مقطع الخبارة فان موسى عليه السلام كان ينابى ربه بذلك الوادى * وروى أسد بن
 موسى قال شهدت جنازة مع موسى بن لهيعة جلسنا حوله فرفع رأسه فنظر الى الجبل فقال ان عيسى ابن مريم
 عليه السلام مرت بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشرط واثمه الى جانبه فالتفت اليها وقال
 يا امة هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن لهيعة عن عباس بن كعب الاحبار رضى
 الله عنه سأل رجالا يريد مصر فقال له أهدنى تربة من سفح مقطمها فأنا منه بجواب فلما حضرت كعبا الوفاة
 امر به فجعل فى لحده تحت جثته * وروى عن كعب انه سئل عن جبل مصر فقال انه مقدس ما بين القصير الى

اليحوم قال ابن الهيعة واقطع ما بين القصير الى مقطع الجبارة وما بعد ذلك فن اليحوم وفي هذا الجبل حجر
الجوهر وثي من الفولاذ وهو يمتد الى اقاصى بلاد السودان

*** (الجبل الاحمر) ***

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقها الشمالى ويعرف باليحموم قال القضاى اليحامي هي الجبال المتفرقة
المطل على القاهرة من جانبها الشرقى وجباها ومنتهى هذه الجبال الى بعض طرق الجب وقيل لها اليحامي
لاختلاف ألوانها واليحموم في كلام العرب الاسود المظلم * وقال ابن عبد الحكم عن سعي بن عبيد انه لما قدم
مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بجذاء ساقية أبى عون التى فى العسكر فقال ما لهم وضعوا مصلاهم فى الجبل
الملعون وتركو الجبل المقدس يعنى المقطم * وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر ذكر القضاى أن اليحموم هو
الجبل المطل على القاهرة ولا يرى جبلا يطل على القاهرة غيره * وقال البكرى اليحموم بفتح أوله واسكان ثانيه
قال الحربى اليحموم جبل بمصر * وروى من طريق أبى قبيل عن عبد الله بن عمرو أنه سأل كعبا عن المقطم
الملعون قال ليس بلعون ولكنه مقدس من القصير الى اليحموم * وذكر البكرى أيضا أن عابدا بالباء الموحدة
والدال المهملة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم

*** (جبل يشكر) ***

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولونى قال القضاى جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لخم
وهو الذى عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب احتطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف
بجبل يشكر لذلك * قال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور بأجابه الدعاء ومكان
مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين
النيل شئ وكان يشرف على البركتين اعنى بركة القيل والبركة التى تعرف اليوم ببركة فارون وعلى هذا الجبل كانت
تنصب المجانيق التى تجرب قبل ارسالها الى الثغور * (الكيش) هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل
من غربيه ثم لما اخطت المسالون مدينة الفسطاط بعد فتح أرض مصر صار الكيش من جملة خطة الجراء القصى
وسمى الكيش * (الشرف) اسم لثلاثة مواضع فاثان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش
وفسطاط مصر فاما الذى بظاهر القاهرة فأحد هما عليه الآن قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والآخر
فيما بين الجامع الطولونى ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين كوم الجارح وخط الجامع
الطولونى وكان من خطة تحيب ثم صار من جملة العسكر وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف
على راشدة وكان يقال للشرف سندو والسند ما قبالك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سندأى معتمد

*** (ذكر الرصد) ***

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبله على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا
وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذى كان من جملة
العسكر والشرف الذى يعرف اليوم بالكيش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الافضل
أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجالى أقام فوقه كرة الرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد قال
في كتاب عمل الرصد وحل الى الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر من الشام تقاويم لما يستأنف من السنين
لاستقبال سنة خمسمائة من سنى الهجرة قيل مائة تقويم أو نحوها وكان منجمو الحضرة يومئذ ابن الخلى وابن
الهيثي وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى فى كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم فى كل سنة وكان كل
منهم يجتهد فى حسابه وما اتصل قدرته اليه فاذا كان فى غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين
التقويمات الحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير فأنكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند
احضار التقاويم على العادة جمع النجيين والحساب واهل العلم وسألهم عن السبب فى الخلف بين التقاويم
فقالوا الشامى يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأمونى ونحن نعمل على رأى الزيج الحاكى
لقرب عهدنا وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف وقد اجمع القدماء أن القريب العهد أصح من المتقدم لتقل
الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا فى معنى ذلك بما هو مذکور فى موضعه وأشاروا عليه بعمل رصد

مستجيب يصح به الحساب ويخرج به المعور والنفقات وتحصل به المنفعة العظيمة والفائدة الجلية والسمعة
 الثمينة والذكر الباقي فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسته ومشيرو الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابي
 أسامة هذا القاضي ابن ابي العيش الطرابلسي المهندس العالم الفاضل وكان ابن ابي العيش صهره زوج
 ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال وساعده على ذلك القائد أبو عبد الله الذي تقلد الوزارة بعد
 الافضل ودعى بالأمون بن البطائحي فاستصوب الافضل ذلك وقال مرويه يهتم بذلك ويستدعي ما يحتاج
 اليه فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن مدح نفسه وكان الافضل غيوراً على كل شيء أشد ما عليه من يتفخر
 أو يلبس ثياباً مذكورة ثم قال هذه الآلات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل أحد يقوم عليها ولا يحسنها
 وأكثر الكلام والتوسعة وقال يحتاج أن الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاكرام لتطيب نفسه للمباشرة
 وينشر صدره ويقدر خاطره لما يعمل في حقه فضجر الافضل من ذلك وقال لقد أكثر في مدح نفسه ولده
 وما يعاملنا به لا حاجة الى معاملته فأشار القائد بن البطائحي وقال هناك من يبلغ الغرض بأسهل مأخذ
 وأقرب وقت وأسرعه وأطف معنى ابوسعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح والسرور والصناعات
 وغير ذلك فأخبره للوقت فاتفق له من الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الآلات ومن ابتدأها من الاول
 وذكر القديما في العلم ومن رصده من واحد واحد الى آخرهم شرحاً مستوفياً كأنه يحفظه ظاهراً
 أو يقرأه من كتاب فأعجب الافضل والحاضرين وقال اي شيء يحتاج فقال ما يحتاج كبيراً من الامور
 سهلة وكل ما يحتاجه في خزائن السلطان خلد الله ملكه النحاس والرصاص والآلات وكل ما يحتاج استدعيه
 أولا اولاً الانفقات وأجرة الصنائع فيتم ولاها غيري فأعجب به وقال يطلق له جاري نفسه فقال أنا مستخدم في عدة
 خدم بجوارى تكفيني فأنا ملوك الدولة ما يحتاج الى جاري وإذا بلغت الغرض وأنهيت الاشغال فهو المقصود
 وكان قيل للافضل هذا الرصد يحتاج الى اموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما يتفق عليه الامثل
 ما يتفق على مسجد أو مستنظر فرجع يكرّر عليه القول فقال ها تاورقة فكتب فيها المملوك يقبل الارض
 وينهي دعت الحاجة الى خروج الامر العالي الى دار الوكالة باطلاق مائتي قطار من النحاس الثمن وثمانين
 قطاراً من النحاس القصيب الاندلسي وأربعين قطاراً من النحاس الاحمر ومن الرصاص ألف قطار ومن
 الحطب ومن الحديد والفولاذ من الصناعة ما عليه يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد
 شاذي يتفق عليه فإذا فرغت استدعي غيرها وأختار موضعاً يصلح الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه
 ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه وما يستأمر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك وأراد أن يخضع عليه
 فقبل القائد هذا فيما بعد إذا شوهدت أعماله فخدم من أول الحال الى آخرها ولم يحصل له الدرهم الفردلانه
 كان يستحي أن يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا يجمعهم يؤدون طول المدة والبقاء فقتل الافضل ثانياً
 سنة وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا الرصد مسجد التنور فوق المقطم فوجدوه بعيداً عن الخواص فاجعوا
 على سطح الحرف بالمسجد المعروف بالقيلة الكبير وكان قد صرف على المسجد خاصة ستة آلاف دينار فحفرها
 في مسجد القيلة تقرأ في الجبل مكان الصهر يجي الآن فعمل فيه قالب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها
 ثلاثون ذراعاً وهدموا وحزروها أياماً وعمل حوله عشرة هرج على كل هرجة متفاخراً وفي كل هرجة أحد عشر
 قطاراً نحاساً وأقل وأكثر والجميع مائة قطار وكسر قسموها على الهرج وطرح فيها النار من العصر وفتحوا
 الى الثانية من النهار وحضر الافضل بكرة وجلس على كرسى فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الافضل
 بفتحها وقد وقف على كل هرجة رجل وأمرها بفتحها في لحظة ففتحت وسال النحاس كالماء الى القالب وكان
 قد بقي فيه بعض النداء فلما استقر به النحاس بجرارته تقعع المكان الندي فلم تتم الحلقة ولم يردت وكشف عنها
 اذ هي تامة ما خلا المكان الندي فضجر الافضل وضاق صدره ورمى الصناع بكيس فيه ألف درهم وغضب
 وركب فلاتفه ابن قرقة وقال مثل هذه الآلة العظيمة التي ما مع قطبها لو أعيد سبكها عشر مرات حتى تصح
 ما كان كثيراً فقال له الافضل اهتم في اعادة فسبك وصحت ولم يحضر الافضل في المرة الثانية ففرح بصحتها
 وعلمت ورفعت الى سطح مسجد القيلة وأحضرها جميع صناعات النحاس وعمل لها بركار خشب من السنديان
 وهو بركار عجيب وبني في وسط الحلقة مستطبة بحجارة منقبة لرجل البركار وهو قائم مثل عروس الطاحون وفيه

ساعد مثل ناف الطاحون وقد لبس بالحديد والجميع سندان جمد وطرف الساعد مهيأ لعدة فنون تارة لتصحيح
 وجه الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والخزوز وأقام في التصحيح فيها وأخذ زواياها بالمبارد
 مدة طويلة وجاعة الصانع والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على
 الجميع وعقد تحت الحلقة اقباء وثيقة وأرادوا قيامها على سطح مسجد القيلة فلم يهيا لهم فانهم وجدوا المشرق
 لا قول بروز الشمس مسدودا فاتفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي بمجاور الانطاكي المعروف أيضا بالارصد
 وكان الافضل بنه الطف من جامع القيلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كل فحضر الافضل في نقل الحلقة
 من جامع القيلة الى المسجد الجيوشي وقد احضرت الصواري الطوال العظام والسرديات والمخاتات من
 الاسكندرية وغيرها وجمعت الاسطولية ورجال السودان وبعض اصحاب اركاب والهند حتى ادلوه وجعلوه على
 العجل الى مسجد الرصد الجيوشي وثاني يوم حضر بأجمعهم حتى رفعوه الى السطح وكملوه وأقاموا الحلقة
 وجعلوا تحتها كتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرخاص من أسفلهما وأعلاهما حتى لا يرتجى نقل
 النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوكة بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة
 وعملت من نحاس فماتت رست ولا دارت فعملوه من خشب ساج وقطبها واطرافها من نحاس صقاع ليخف
 الدوران ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعمل عمود من
 نحاس فوق عمود الرخام ليست رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف اشدة ما كانوا يحترقونها بالشواويل
 وعضادة الخشب وتردد اليها الافضل مع كبر سنه وهو يرتعش والقائد يحمله الى فوق ويقعد زمانا من
 التعب لا يتكلم ويده ترتعش فرصدوا قدامه وفي خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة
 وخمسمائة وقيل للانضيل عن ابن قرقة انه ابرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل لو اختصرت منها
 كان أهون فقال وحق نعمتي لو امكنني أن اعمل حلقة تكون رجليها الواحدة على الاهرام والاخرى على
 السور فعملت فكلاما كبرت الالة صح التحرير وأين هذا في العالم العاوي ثم اكلوا عليه فعمل حلقة دونها
 في الموضع المهتم بالطوب الاحمر تحت المسجد الجيوشي كان قطرها أقل من سبعة اذرع ودورها نحو احد
 وعشرين ذراعا فلما كملت قتل الافضل ولم ينفع من مال السلطان في الابرة والمؤن وما لا بد منه سوى نحو مائة
 وستين دينار فلما تمت الوزارة للمأمون البطائحي أحب أن يكملها ويقال له الرصد المأموني المصحح كما قيل
 لا قول الرصد المأموني الممتن فأخرج الامر بقتل الرصد الى باب النصر بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى
 بالعتاين والاسطولية وطوائف الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء بحسب دراهم فلما صار فرق العجل
 مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد الى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من
 باب النصر تعباً عظيماً لخوفهم أن يصدم فيتم غير قصدوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب
 وتكاثرا لجال في جذب المباحين من أسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من السطح الكبير
 الى السطح القوقاني وأوقفوا له العمد كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف
 فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة اذرع وسبكت في فندق
 بالاطوفية من القاهرة وكان الامر فيها سلا عندما لحقهم من العناية العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى
 وتجرد المأمون لعملها والحل فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ويحضر أبو جعفر بن حسنداي
 وأبو البركات بن أبي الليث صاحب الديوان وبهذه الحال والعقد فقال له المأمون اطاع اليهم كل يوم وای شئ
 طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال الرصد المأموني المصحح فلما أراد أنه
 أن يبق المأمون قليلا كان كل جميع رصد الكواكب لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع
 عشرة وخمسمائة وكان من جملة ما عتد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاحتياط فيه وقيل أطمعته نفسه في
 الخلافة بكونه سماه الرصد المأموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الا امر بأحكام الله وأما العامة
 والغوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل وأرادوا أن يعلموا الغيب وقال اخرون منهم عمل هذا
 للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على المأمون بطل وأنكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحدا أن يذكره
 وأمر فكسر وحمل الى المناجات وهرب المستخمدون ومن كان فيه من الخالص وكان فيه من المهندسين

برسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد الشيخ أبو جعفر بن حسنداي والقاضي بن أبي العيش
والخطيب أبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب والشيخ أبو النجاشي بن حسند الساعاتي الاسكندراني المهندس
وأبو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبي وابن الهيثمي وأبي نصر تليد
سملون وابن دياب والقلهي وجماعة يحضرون كل يوم الى ضحوة النهار فيحضر صاحب الديوان ابن أبي الليث
وكان ابن حسنداي ربما تأخر في بعض الايام فانه كان امراً عظيماً صاحب كبرياء وهيبه وفي كل يوم يبعث
المأمون من يتفقد الجماعة ويطلبه بمن غاب منهم لانه كان كثير التفقد للمأمور كماله ونمازونه واحساب
أخبار لا تنام ولا يكاد يفوته شيء من احوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل في كل بلد
من الاعمال من يأتيه بسائر أخبارها وأنا أدركت هذا الموضع الذي يعرف اليوم بالرصد حيث جامع
القبلة عامراً فيه عدة مساكن ومساجد وبه اناس مقيمون دائماً وقد خرب ما هناك وصار لا ينسب به وكان الملك
الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ فيه سواقي لنقل الماء من اماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الآثار
النبوية فاذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواق هناك قد انشئت الى أن يصير الى القلعة
فحات ولم يكمل ما أراده من ذلك كما ذكر في أخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب وما زال موضع هذا الرصد
منتزها لاهل مصر ويقال ان المعز لدين الله معد لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقائد
جوهراً فأنك ببناء القاهرة على النيل فهلاكنت بنيتها على الجرف يعني هذا المكان ويقال ان الهمم علق بالقاهرة
فتغير بعد يوم وليلة وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين وليلتين وعلق في موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة ايام ولياليها
لطيب هوائه ولله در القائل

يا ليلة عاش سروري بها * ومات من يحسدنا بالأكمد

وبت بالمعشوق في المشتى * وبات من يرقبنا بالرصد

* (ذكر مدائن أرض مصر) *

قال ابن سيده مدن بالمكان أقام والمدينة الحصن يعني في اسطحة الارض مشتق من ذلك والجمع مدائن ومدن
ومن هنا حكى أبو الحسن فيما حكى الفارسي عنه أن مدينة فعيلة وقال العلامة اثير الدين أبو حيان المدينة
معروفة مشتقة من مدن فهي فعيلة ومن ذهب الى انها مفعلة من دان فقوله ضعيف لاجماع العرب على الهمز
في جمعها فانهم قالوا مدائن بالهمز ولا يحفظ مدائن بالياء ولا ضرورة تدعو الى انها مفعلة من دان ويقطع بأنها
فعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف في صحيفة واعلم أن مدائن مصر كثيرة منها ما دثر وجهه
اسمه ورسمه ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه ومنها ما هو عامر * وأول مدينة عرف اسمها في أرض مصر مدينة
امسوس وقد حيا الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر
بعد الطوفان مدينة منف وكان بها ملك القبط والفراعنة الى أن خربها بخت نصر فلما قدم الاسكندر بن فيليبش
المقدوني من مملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر الى أن قدم عمرو بن
العاص بجيوش المسلمين وفتح أرض مصر فاخط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى أن قدم جوهراً القائد
من الغرب بعساكر المعز لدين الله أبي تميم معد وملك مصر واخط القاهرة فصارت دار المملكة بمصر الى
أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة
مدينة مصر الى يومنا هذا * وفي أرض مصر عدة مدائن ليست دار ملك وهي مدينة الفيوم ومدينة دلاص
ومدينة اهناس ومدينة الهنسا ومدينة القيس ومدينة طنطا ومدينة الاشمون ومدينة انصنا ومدينة
قوص ومدينة سيوط ومدينة فاو ومدينة الخميم ومدينة البلينا ومدينة هق ومدينة قنا ومدينة دندره
ومدينة قفط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة ادفو ونغراسوان وادركاه مدينة
هذه مدائن الوجه القبلي وكان اهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد المريس ومن سكن منهم أسفل
الارض يسمونه البجا وفي الوجه البحري مدينة نوب من الخوف الشرقي بأسفل الارض ومدينة عين
شمس ومدينة اتريب ومدينة تنوا ومن قراها ناحية زنكاون ومدينة نفي ومدينة بسطة ويعرف
اليوم موضعها بتل بسطة ومدينة قريبط ومدينة البتون ومدينة منوف ومدينة طره ومدينة منوف

أيضا ومدينة سخا ومدينة الاوسه وهي دمبره ومدينة تيدة ومدينة الافراحون ومن جملة قراها نسا
ومدينة بغيره ومدينة بنا ومدينة شبراساط ومدينة شمنود ومدينة نوسا ومدينة سبقي ومدينة النجوم
وقد غلب على مدينة النجوم المال والسباخ ويعرف اليوم منها قرية أدكو على ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد
ومدينة تنيس ومدينة دمياط ومدينة القرما ومدينة العريش ومدينة قضا ومدينة برونوط ومدينة قرطسا
ومدينة أخنو ومدينة رشيد ومدينة مريوط ومدينة لوبية ومراقية وليس بعد لوبية ومراقية الا أرض
الطابلس وهي بترية وفي كور القبلية مدينة فاران ومدينة انقلزم ومدينة رايه ومدينة ايله ومدينة مدين
واكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ما له أخبار معروفه وقد استحدث في الاسلام بعض مدائن وسيأتي من
أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفي * وديار مصر اليوم وجهان قبلي وبحري جملتهما خمس عشرة ولاية * فالوجه
القبلي اكبرهما وهو تسعة أعمال عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وغرب قولة واسوان حدة المملكة
من الجنوب وعمل أخميم وعمل سيوط وعمل منفوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنسا وعمل الفيوم
وعمل اطفح وعمل البحيرة * والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل
الغربية وهي جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد والتوفية ومنها ابيار التي تسمى
جزيرة بنى نصر وعمل قلوب وعمل الشرقية وعمل اشمون طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهنما موضع ثغر
البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدنتان لا عمل لهما * وذكر
ابو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة وهي امة من اهل ايلة ملكوا الارض وقسموا الصعيد على
ثمانين كورة وجعلوا اربعة أقسام وكان عددهم من مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب
والكور مثل الخميم وقفت وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن يعصر قسم الارض بين اولاده فأعطى ولده
أشمون من حدة بلده الى رأس البحر الى دمياط وأعطى ولده انصان من حدة انصان الى الجنادل وأعطى ولده صا
من صا أسفل الارض الى الاسكندرية وأعطى ولده منوف وسط الارض السفلى منف وما حولها وأعطى ولده
قفط غربى الصعيد الى الجنادل وأعطى ولده اتريب شرقى الارض الى البرية بترية فاران وأعطى لبنااته الثلاثة
وهن القرما وسريانم وبدورة بقاعا من أرض مصر محددة فيما بين اخوتهن

* (ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملكها) *

قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في كتاب أخبار مصر وعجائبها وكانت مصر القديمة اسمها
أمسوس وأول من ملك أرض مصر نقراوش الجبار بن مصر ايم ومعنى نقراوش ملك قومه الاول ابن هر كايل
ابن دوايل بن عرياب بن آدم عليه السلام ركب في سفينة وسبعين راكبا من بني عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا
يقيمون فيه فرارا من بني آيهم عندما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا وبغى عليهم بنو قاييل بن آدم فلم يزالوا
يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما راوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم فأقاموا فيه وبشوا الابنية المحمكة وبني
نقراوش مصر وسماها باسم آيهم مصر ايم ثم تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس وقال ابن وصيف شاه وكان
قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التي تعلمها دوايل من آدم عليه السلام فبقي الاعلام وأقام الاساطين وعمل
المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبني المدائن فكل علم جليل كان في ايدي
المصريين انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرموزا على الجحارة ففسره قليمون السكاهن الذي
ركب مع نوح عليه السلام في السفينة ونقراوش هو الذي بنى مدينة أمسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها طائر
يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى
يتهيأون لها ومنها صنم من حجر أسود في وسط المدينة تتجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر أن
يزول حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطلق عليه فيؤخذ على صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها
سحاب يطلع فكل من استطرها أمطرت عليه ما شاء وعمل على حدة البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملاها
كبيرة ساوكل بها وروحانية النار فكانت اذا قصدهم فاصدارت تلك الاصنام من أفواهها نارا احرقته وعمل
فوق جبل بطرم منارا ينفور بالماء ويسقى ما حوله من المزارع ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان
ويقال انه هو الذي أصلح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد النوبة جماعة هندسوه

وشقوا نهرًا عظيمًا منه بنوا عليه المدن وغرسوا الغروب وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف
 خط الاستواء ووقف على البحر الأسود الرقيق ورأى النيل يجري على البحر مثل الخيط حتى يدخل تحت
 جبل القمر ويخرج منه إلى بطن البحر ويقال أنه هو الذي عمل التماثيل التي هناك وعاد إلى أمسوس وقسم البلاد
 بين أولاده فجعل لابنه الأكبر واسمه نقاوش الجانب الغربي ولابنه شورب الجانب الشرقي وبني لابنه
 الأصغر واسمه مصرايم مدينة برسان وأسكنه فيها وأقام ملكًا على مصر مائة وعشرين سنة ولما مات لطيخ
 جسده بأدوية ماسكة وجعل في تابوت من ذهب وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز
 واكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرة وزيره على الناوس تأمخ موته وأقاموا عليه طليسمان معه من
 الحشرات المفسدة * وملك بعده ابنه نقاوش بن نقراوش وكان كأيته في علم الكهانة والطليسمات وهو
 أول من عمل بمصر هيكلًا وجعل فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافع ومضاره
 وألبسها كلها الشباب الفاخرة وأقام لها خدمة وسدنة وخرج من أمسوس مغربًا حتى بلغ البحر المحيط وأقام
 عليه أساطين على رؤسها أصنام تسرج عيونها في الليل ومضى على بلاد السودان إلى النيل وأمر ببناء حائط
 على جنب النيل وعمل له ابوابًا يخرج منها الماء وبني في صحراء الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين
 مشرفات من حجارة ملونة شفاقة وفي كل مدينة عدة خزائن من الحكمة وفي أحدها صنم للشمس على صورة
 إنسان وجسد طائر من ذهب وعينه من جوهر أصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفي يده معصف
 العلوم وفي أحدها صنم رأسه رأس إنسان بجسد طائر ومعه صورة امرأة جالسة قد علمت من زينة معقود لها
 ذؤابتان في يدها امرأة وعلى رأسها صورة كوكب وقد رفعت المرأة يديها إلى وجهها وفي أحدها مطهرة فيها
 سبعة ألوان من سائل يرد إليها ولا يغير بعضها لون بعض وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من القير وزج
 وبين يديه صبية جلوس كلهم من عقيق وفي بعضها صورة هرمس يعسقى عطارده وهو ينظر إلى مائدة بين يديه
 من نوحادر على قوائم من كبريت أحمر وفي وسطها صحفة من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر
 وعينه من ياقوت أصفر وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجله ورفعت رأسها كأنها تنفخ عليه
 وجعل فيها صفة المترنج وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد أخضر وجعل فيها عودا من
 جوهر أحمر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وجعل فيها قبة من آنك على أربعة أعمدة من جرع أزرق
 وفي سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة رجل وامرأة يتحاذيان وجعل فيها قبة من كبريت
 أحمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بصفائرها وتحبها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من
 علومهم كأنه يقرأ فيه عليها وجعل في بقية الخزائن من كنوز الأموال والجواهر والحلي واكسير الصنعة
 وصنوف الأدوية والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طليسمان يمنع من دخولها وأنفذ لها
 مسارب تحت الأرض بنفذ بعضها إلى بعض طول كل سرب ثلاثة أميال وبني أيضًا مدينة بأرض مصر اسمها
 حلجمة وعمل فيها جنة صفح حيطانها بالجواهر الملوثة بالذهب وغرس فيها أصناف الأشجار وأجرى تحتها الأنهار
 وغرس فيها شجرة مولدة تطعم سائر الفواكه وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ووكل
 بها شياطين إذا خرج أحد من بيته في الليل هلك وأقام بها أساطين زبر على جميع العلوم وصور العقاقير
 ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين
 هذه المدينة عشرون ميلًا فلم تزل هذه المدائن حتى أفسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه
 على مصر جعل في ناوس مطليسم ودفن فيه * وملك بعده أخوه مصرايم بن نقراوش الجبار بن مصرايم ويقال
 به سميت مصر وكان حكمًا فعمل هيكلًا للشمس من مرمر مموج بذهب أحمر وفي وسطه فرس من جوهر أزرق عليه
 صورة الشمس من ذهب أحمر وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضئ أكثر من السراج ثم انه ذلل
 الاسد وركبها وسار إلى البحر المحيط وجعل في وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل
 صنمان نحاس زبر عليه أنهما مصرايم الجبار وكاشف الأسرار الغالب القهار وضعت الطليسمات الصادقة
 وأتت الصور الناطقة ونصبت الأعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا يهلك أحد أشد من
 أيدي وعاد إلى أمسوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن

آدم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه فجمعهم عيقاتهم بعد ما أعلم مصرام فظهر لهم
 في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا فخرؤا له ساجدين ودعوا له ثم أحضر
 إليهم الطعام فأكلوا وشربوا وأمرهم بالرجوع إلى مواضعهم ولم يروه بعدها * فلما بعده خليفته عيقاتهم وقد حكى
 عنه أهل مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال أن أدريس عليه السلام رفع في أيامه وأنه رأى في علمه كرون
 الطوفان فبنى خلف خط الاستواء في سفح جبل القصر قصر من نحاس وجعل فيه خمسة وعشرين عمالا من
 نحاس يخرج ماء النيل من حلقها ويصب في بطحاء تنتهي إلى مصر وسار إليه من أمسوس فشاهد حكمة
 بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيه من النقوش من صور الافلاك وغيرها وكان قصر اتسرج فيه المصابيح وتنصب
 فيه الموائد وعليها من كل الاطعمة الفاخرة في الاواني النفيسة ما لو اكل كل منها عسكرا لما نقصت ذرة
 ولا يعرف من علمها ولا من وضعها وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر وترى حركته من وراء ما جدد
 منه فأعجب بمارأى وعاد إلى أمسوس واستخف ابنه عرياق وقلده المالك وأوصاه وعاد إلى ذلك القصر وأقام
 به حتى هلك وإلى عيقاتهم هذا يعزى مصحف القبط الذي فيه توارى عنهم وجميع ما يجري في آخر الزمان * فقام
 من بعده ابنه عرياق ويقال أرياق بن عيقات ويقال له الاثيم فعمل أعمالا عجيبية منها شجرة صفراء لها أغصان
 من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها أخذته تلك الخطاطيف ولا تفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه لخصمه
 ومنه أصم من كعدان اسود سماء عبد زحل كانوا يتحاشون اليه فن زاع عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر
 على الخروج منه حتى ينصف خصمه من نفسه ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر إلى الكوكب
 وتضرع وذكر اسم عرياق فاذا أصبح وجد حاجته على يابه وعمل شجرة من حديد ذات أغصان ولغنها بدواء
 مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش إليها حتى يتمكن من صيدها وكان اذا غضب
 على أهل إقليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة يجعل ماءهم من الايداق ويقال ان هاروت وماروت كانا
 في زمانه وأنه بنى جنة عظيمة واعتصب النساء الحسان واسكنن فيها فعملت عليه امرأة من بنات جنسه فهلك *
 وملك بعده لوجيم بن نقاوش ويقال بل هو من بنى نقراوش الجبار ويعرف بلوجيم الفتي وهو الذي أخذ المالك
 من عرياق بن عيقات الكاهن وردة لبي نقراوش بعد ما خرج منهم بالاحرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة
 والاطلسمات فعمل أعمالا عجيبية منها أن الغداف والغراب كثير في أيامه وأتلف الزرع فعمل أربع منارات في
 جوانب مدينة أمسوس الأربع وعلى كل منارة صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه فنفرت عنهم الطيور
 المضرة من حينئذ ولم تقربهم حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيرة منصف للريعية عادلا مقربا
 للكهنة ولمامات دفن في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم يحميه * وملك بعده ابنه خصليم وكان
 فاضلا عالما كاهنا فعمل أعمالا عجيبية وهو أول من عمل مقياسا لزيادة ماء النيل بأن جمع أرباب العلوم والهندسة
 ففقدروا بيتا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعليها من جانبيها عقابان
 من نحاس أحدهما ذكر والآخر أنثى فاذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجمع الكهان فيه
 بين يديه وزعم الكهان بكلامهم حتى يصفروا أحد العقابين فان صفرا الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان
 الماء ناقصا فيستعدون عند ذلك لغلاء الاسعار بما يصلحون به شأنهم وهو الذي بنى القنطرة ببلاد النوبة على
 النيل ولمامات جعل في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم * وملك بعده ابنه هو صال ويقال يوصال ومعناه
 خادم الزهرة ويقال سومال بن لوجيم المالك النقراوش بنى نقراوش الجبار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد
 في أيامه وكان فاضلا كاهنا عالما بالسحر والاطلسمات فعمل عجائب منها أنه بنى مدينة عمل في وسطها صنفا للشمس
 يدور يدور انما ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سربانت النيل فشق الارض وخرج منه متسكرا حتى بلغ
 مدينة بابل وكشف أعمال الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه وولده عشرون ولدا فجعل مع كل واحد منهم
 قطرا وهو رأس الكهنة وأقام في الملك مائة وسبع عشرة سنة ثم لم يزل الهياكل وأقام اولاده على حالهم كل منهم
 في قسمه الذي أعطاه اياه أبوه مدة سبع سنين * ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تدرشان
 وقيل تدرسان فلما ملك نفى جميع اخوته إلى المداين الداخلة في الغرب واقصر على امرأة من بنات عمه وكانت
 ساحرة وعمل له قصرا من خشب منقوشا فيه صورة الكواكب وبسطه بأحسن الفرش وحمله على الماء وصار

يجلس فيه فيبيناهو فيه ذات يوم اذهبت ريح شديدة اضطرب منها الماء فانقلب القصر وتكسر فغرق هو ومن كان معه في القصر * وملك بعده أخوه عمرو الجبار ويقال شمرود بن هوصال فأحسن السيرة وأنصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وقرق عليهم كنوز أخيه ففسر الناس به وطلب امرأته أخيه الساحرة فقترت منه بآنها الى مدينة بيلاد الصعيد وامتنعت عليه بسحرها وأقامت مدة واجتمع السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون وحملوه على طلب الملك فصار وخرج اليه شمرود واخوته فاقتتلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله * وملك من بعده فقام توميدون بن تدرسان بالملك في مدينة أمسوس وكان عالما فاضلا فتقوى بسحر أمه وعملت له أعمالا عجيبه منها قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران القلأ وصورت فيها صور الكواكب فكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع وعلوم العالم فلما ماتت امه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه النتن والحشرات ودفنت تحت صتم القمر ويقال انها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الارواح وتخبرهم بعجائب وتنجيب عما تسأل عنه ولما مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين وأدخل فيها بعد ما طلى بالادوية المانعة من النتن وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت واقيم في هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له في كل سنة عيد * وملك بعده ابنه شرياق ويقال له شرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال وكان كأبيه في علم الكهانة والسحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبه منها على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا يمر الى مدائن الغرب وبني عليه أعلاما ومدنا ومنزهات وسار ملك من بني فراخي بن آدم ويقال من بني صواني بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر ليأخذ ملكها فقبل له انك لا تقدر عليها السحر أهلها فتكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال اهل مصر فلما وصل الى أول حد مصر حبسه الموكون بذلك الحد هو ومن معه حتى يأمر الملك فيهم بأمره ويعلنوا اليه بصفتهم وكان قد رأى في منامه كأنه على منار عال وكان طائر أعظما انقض عامه ليخطفه فحاده حتى كاد يسقط من المنار فخاوزه الطائر وسلم منه فاتبعه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة فقال يملكك ملك ولا يقدر عليك ونظر في نجومه فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى حد مصر فأمر باحضارهم اليه بعد ما يطاف بهم على عجائب مصر كلها ليروها فأرثقوهم وساروا بهم وأوقفوهم على عجائب أرض مصر وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا الى الاسكندرية ثم الى أمسوس ثم الى الجنة التي عملها مصرام وكان الملك شرياق مقيما بها فعند ما وصلوا اليها أظهرت السحرة القنائل العجيبة فدخلوا عليه وحوله الكهنة وبين يديه نار لا يصل اليه احد حتى يحوضها فمن كان يربأ لم تضربه ومن كان يريد بالملك سوءا أو أضمر له مكرها أخذته النار فشق القوم في وسط النار واحد بعد واحد من غير أن تضربهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعند ما دنا من النار أخذته بجزءها فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق فلم يزل به حتى اعترف فأمر بصلبه فصلب على الحصن الذي أخذ منه ونودي عليه هذا جزاء من طلب ما لا يصل اليه وعفا عن الباقي فصاروا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات شرياق بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين سنة فجعل في ناوس ومعه امواله وطلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعده ابنه شهلوق وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت نار وهو أول من عبد النار وعمل بأمسوس عجائب منها شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من جنى أو انسى أو سمع أو طائر وعمل بالمدينة قبة من كبة على سبعة أركان ولها سبعة ابواب على كل ركن باب وفي وسط القبة قبة من صفر وفي أعلاها صور الكواكب السبعة وتحت القبة قبة اخرى معلقة على سبع أساطين وعلى الباب الاقل من القبة أسد ولبوة من صفر وهما رابضان كان يذبح لهما جروا أسود ويخبرهما بشعره وعلى الباب الثاني ثور وبقرة يذبح لهما عجلا ويخبرهما بشعره وعلى الباب الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويخبرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش وشاة يذبح لهما سخلة ويخبرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ

ثعلب ويخترهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب واتشاه يذبح لهما فرخ عقاب ويخترهما بريشه وعلى الباب
 السابع نسر واتشاه يذبح لهما فرخ نسر ويخترهما بريشه ويلطخ كلا منهما ما يذبح له وتحرق سائر القرابين
 ويوضع رمادها تحت عتبات ابواب القبة وجعل لهذه القبة سدة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر
 سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من ابواب تلك القبة فكان الخصب اذا تقدم الى ثنى من تلك الصور وكان ظالمما
 فانه يلتصق بها ولا يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذي عليه الذكر والذكر واللائى لللائى فيعرفون بذلك
 الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبة بأمسوس حتى أزالها الطوفان ويقال انه رأى أباه في النوم وهو يأمره
 أن ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفحتها كذا على بابها أفعى لها رأسان اذا قبل اليها
 كشرت في وجهه فخذ معك طائرين صغيرين ذكر وانثى فاذهبهما اليها وألقهما اياهما فانها تأخذ برأسيهما
 وتتخلى بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجدهما امرأة عظيمة من نور حار يابس فانها تسطع لك وتحبس
 بحرارتها فلا تدن منها تحترق وان كان اقعد حذاءها وسلم عليها فانها تخاطبك فافهم ما تقول لك واعمل به فانك
 تشرف بذلك وتلدك على كنوز جدك مصرام فانها حافظة لها فلما اتت به عمل ما امره ابوه فلما قعد بجانب المرأة
 وسلم قالت له أتعرفنى قال لا قالت أنا صورة النار المعبودة في الامم الخالية وقد أردت أن تتبى ذكرى وتجددلى
 بيتا تقدى فيه نارا دائمة بقدر واحد وتتخذ لها عيدا في كل سنة تحضره أنت وقومك فانك تتخذ بك عندى يدا
 انيلك بها شرفا الى شرفك وملكا الى ملكك وأمنع عنك من يطلبك بسوء وأدلك على كنوز جدك مصرام فضمن
 لها أن يفعل كل ما أمرته به فدلته على الكنوز التي تحت المدائن المعلقة وعلمته كيف يصير اليها وكيف يحترس من
 الارواح الموكلة بها وما ينجيها منها ثم قال لها كيف لي بأن أراك في وقت آخر قالت لا تعدفان الا فنى لا تمكثك
 ولكن بخرفي بينك ~~بكذا~~ فاني آتيك فسر بذلك وغابت عنه وخرج ففعل ما أمرته به من عمل بيت النار وأخذ
 كنوز مصرام ولما مات جعل في نأوس ومعه سائر امواله وكنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه من يقصده *
 وملك بعده ابنه سوريد وكان حكيما فاضلا وهو أول من جبي الخراج بمصر وأول من امر بالانفاق على المرضى
 والزمنى من خزائنه وأول من سن رقعة الصباح وعمل أعمالا عجيبية منها امرأة من أخلاط كان ينظر فيها الى
 الاقاليم فيعرف فيها ما حدث من الحوادث وما يخبص منها وما يجذب وأقام هذه المرأة في وسط مدينة أمسوس
 وكانت من نحاس وعمل في أمسوس صورة امرأة جالسة في حجرها صبي ترضعه وكانت المرأة من نساء مصر
 اذا أصابته آفة في موضع من جسمها أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع
 من الصورة فتزول عنها الآفة وان قل لبنها مسحت ثديها بشدي الصورة فيغز لبنها وان قل حبيضا مسحت
 فرجها بفرج الصورة فيكثر حبيضا وان كثر دمها مسحت أسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة
 امرأة مسحت رأس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها وان أرادت التكبى الى زوجها مسحت وجهها
 وتقول افعلى كذا وكذا فاذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تتوب ولم تزل هذه الصورة الى أن أزالها
 الطوفان وفي كتب القبط انها وجدت بعد الطوفان وأن اكثر الناس عبدها وعلى سوريد صنما من أخلاط كثيرة
 فكان من أصابته آفة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فانه يبرأ وسوريد
 هذا هو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شتاد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادة دخلت
 بلادهم لقوة سحرهم ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة وانه ملك
 مائة سنة وتسعين سنة * فلما بعده ابنه هر جيب وكان كاهنه حكيما فاضلا في علم السحر والطلسمات فعمل
 أعمالا عجيبية واستخرج معادن كثيرة وظهر علم الكيمياء وبني اهرام دهشور وحل اليها اموالا عظيمة وجواهر
 نفيسة وعقاقير ومهمات وجعل عليها روحانيات تحفظها وشج رجل رجلا فأمر بقطع اصابعه وسرق رجل مالا
 فلما المسروق له راق السارق ولما مات دفن في الهرم ومعه جميع امواله وذخائره * وملك بعده ابنه مناسوس
 ويقال مناسوس وكان كاهنه في الحكمة الا انه كان جبارا فاسقا سافكا للدماء يتزع النساء من ازواجهن
 ويبيع ذلك لخواصه وعمل أعمالا عجيبية واستخرج كنوزا وبني قصورا من ذهب وفضة وأجرى فيها الانهار وجعل
 حصباءها من اصناف الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لمحاربة الامم الغريبة
 فقتل منهم خلائق ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنع من كل طالب

* وملك بعده ابنه افروس وكان كائنه في العلم والحكمة ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورد النساء اللاتي عصبن في أيام أبيه على أزواجهن وعمل قبة طولها خمسون ذراعاً في عرض مائة ذراعاً وركب في جوانبها طيوراً من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتر ساعة وعمل في وسط مدينة أمسوس مناراً عليه رأس إنسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صاحبة يعلم من سمعها بمضى ساعة وعمل مناراً عليه قبة من صفر مذهب ولطخها بطوخت فاذا غربت الشمس في كل ليلة اشتمعت القبة نوراً تضيء له مدينة أمسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الأمطار فاذا طلع النهار تخدضوها وأهدى لبعض ملوك بابل مدهناً من زبرجد قطر خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل في الجبل الشرقى صنماً عظيماً قائماً على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور ليلاً حتى يحاذي المشرق مع الفجر فاذا شرقت الشمس استقبلها بوجهه وبني بحمراء الغرب مدناً كثيرة وأودعها كنوزاً عظيمة ونكح ثمانمائة امرأة ولم يولد له ولد فان الله تعالى كان قد أعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت في الناس والبهائم ولما مات وضع في ناس بالجبل الشرقى ومعه امواله وطلسم عليه * وملك بعده ارما لينوس فعمل أعمالاً عجيبة وبني مدناً ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جباراً فأبعده وجهه على جيش ساربه عنه فقهر ملوكاً وقتل امماً عظيمة وغنم اموالاً كثيرة وعاد فشغقت به امرأة من نساء الملك وما زالت به حتى اجتمع بها وتآلفا وأقاما على ذلك مدة فخاف الملك أن يظن بهما فعملت المرأة لارما لينوس سمياً في شرابه هلاك منه * وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور فلم يزل يزعج احد لشجاعته وسياسته ولم تطل اعوامه حتى رأى قليمون الكاهن كأن طيوراً يضاقد نرات من السماء وهي تقول من أراد النجاة فليلق بصاحب السفينة وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الاهرام لاجل ذلك واتخذ الناس سراديب تحت الارض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها تدبير وعمل منها فرعان لنفسه ولاهله عدة بما كذب أن جمع اهله وولده وتلاميذه وخلق بنوح عليه السلام وآمن به وأقام معه حتى ركب في السفينة وجاء الطوفان في أيام فرعان فأغرق أرض مصر كلها وخرب عمارها وأزال تلك المعالم كلها وأقام الماء عليها ستة اشهر ووصل الى أنصاف الهرمين العظيمين وسيأتى خبر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب ويقال ان فرعان كان عاتياً متجبراً يغضب الاموال والنساء وانه كتب الى الدرشميل بن لحويل يبابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة والهياكل ففسدت في أيامه أرض مصر ونقص الزرع واجدبت النواحي لانهم ما كه في ضلاله وظلمه واقبله على لهوه ولعبه وان الناس اقتدوا به ففسدوا ولم يبق لهم لبعض وانه لما قبل الطوفان وسخت الامطار قام سكران يريد الهرب الى الهرم فخنكت الارض به وطلب الابواب فحتمت رجلاه وسقط يخور حتى هلك وهلك من دخل الاسراب بالغم والله تعالى أعلم

* (ذكر مدينة منف وملوكها) *

هذه المدينة كانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر وهي اول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وصارت دار الملكة بعد مدينة أمسوس التي تقدم ذكرها الى أن اخرجها بنحت نصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب جامع البيان في تفسير القرآن عن السدي أنه قال كان موسى عليه السلام حين كبر يركب كراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم ان فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب مركباً في اثره فأدركه المقييل في أرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت اسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي يقول الله جل ذكره ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة أول من سكن بمصر بعد أن أغرق الله قوم نوح عليه السلام بصير بن حام بن نوح فسكن منف وهي اول مدينة عمرت بعد الطوفان هو وولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة اولاد قد بلغوا وترجووا وهم مصر وفارق وماج وباج بنو بصير وكان مصر اكبرهم فبذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط ثلاثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هنالك منازل كثيرة وقال ابن جرودويه في كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هي مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذها

سبعين بابا من حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفير وفيها كانت الانهار تجري من تحت سريره وهي
أربعة ويرى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير وتقدير حتى أن الماء يجري تحت منازلها وأبنيتها
فيحبسونه فكيف شاؤوا ويرسلونه كيف شاؤوا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه
الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون وكان بها كثير من الاصنام لم تنزل قائمة الى أن سقطت فيما سقط من
الاصنام في الساعة التي أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب في يده وهو
يطوف حولها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع
لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بق منها صنم الا وقع وفي تلك الساعة سقطت أصنام الارض
من الشرق الى الغرب وبقي اصحابها متعجبين لا يعلمون لها سببا اوجب سقوطها وبقيت أصنام مدينة منف
ساقطة من ساعته وفيها الصنمان الكبيران المجاوران للبيت الأخضر الذي كان به صنم العزيز وكان من ذهب
وعينه اياقوتان لا يقدر على مثلها ثم قطعت الاصنام والبيت الأخضر من بعد سنة ستمائة * ويقال كانت
منف ثلاثين ميلا طولا في عشرين ميلا عرضا وان بعض بني يافث بن نوح عمل في أيام مصر ايم آله تحمل الماء
حتى تلقى به على أعلى سور مدينة منف وذلك انه جعلها درجا مجرفة كلما وصل الماء الى درجة امتلأت الاخرى
حتى يصعد الماء الى أعلى السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم يخرج من موضع الى خارج المدينة
* وكان بمنف بيت من الصوان الأخضر المانع الذي لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة
وعلى وجهه باب صور حيات ناشرة صدورها لواجتمع ألوف من الناس على تحرير ما قد روا لعظمه وثقله والصابئة
تقول انه بيت القمر وكان هذا البيت من جملة سبعة بيوت كانت بمنف للكهنة السبعة وهذا البيت
الأخضر هدمه الامير سيف الدين شيخون العمري بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شيء في خانقاهه وجامعه
الذي بخط الصابئة خارج القاهرة وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسي في كتابه تحفة الالباب
ورأيت في قصر فرعون موسى بيتا كبيرا من صخرة واحدة الأخضر كالأس في صورة الافلاك والنجوم لم نر جمعا
احسن منه * وقال ابو الصلت ايم بن عبد العزيز الاندلسي وكانت دار الملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف
وهي في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من القسطنطينية الاسكندرية مدينة الاسكندرية رغب الناس
في عمارتها فكانت دار العلم وقر الحكمة الى أن فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واخذت
عروبن العاص مدينة المعروفة بالقسطنطينية فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت
قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر أخبار مدينة
أمسوس وخراب عمائر أرض مصر بطوفان نوح عليه السلام وما نزل الماء كان أول من ملك مصر بعد
الطوفان بيهر بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الجبابرة من اهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا
بها وكان قليمون الكاهن الذي تقدم ذكره في خبر مدينة أمسوس من جملتهم وكان قد زوج ابنته ببيهر المذكور
وجاءت معه الى مصر وولدت منه ولدا سماه مصر ايم فلما مات بيهر دفن في موضع دير أبي هر ميس ويقال دير أبي
هر ميس غربي الاهرام ويقال انها أول مقبرة دفن بها بأرض مصر وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين
مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصر ايم مدينة سماها باسمه فجاءه رجل من بني يافث فعمل له سورا قائما
وصنع له درجا وأجرى الماء الى أن بقي يصعد الى أعلى السور بحكمة انقنها ثم ينزل ذلك الماء من أعلى السور الى
المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية أخرى وكتب على السور هذه صنعة من يموت
لا صنعة من يدوم * وملك بعد بيهر ابنه مصر ايم (ويقال له مصر) بن بيهر فأظهره قليمون الكاهن على كنوز
مصر وعلمه قراءة خطهم وأطلعهم على حكمهم وبنى مصر ايم المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينة
عظيمة سماها درسان وهي العريش ونكح امرأة من اولاد الكهنة فولدت له ابنا سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة
مكان الاسكندرية ولما مات مصر ايم جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا وبسط بالمرمر الأبيض وعمل في
وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب وله أربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب وهو
جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ونقش في صدر كل تمثال آيات مائة وحبسوا جسده في جسد من
زبرجد أخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعا دفن فيه ومعه جميع ما كان في خزانته من ذهب وفضة وجوهر

منها ألف قطعة من زبرجد مخروط وألف تمثال من جوهر نفيس وألف برنية من ذهب مملوءة درا نفيسا وألف
 آنية من ذهب وعدة سبائك من فضة وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه وزبروا عليه مات مصرايم بن
 يصبر بن حام بن نوح بعد ألفين وستمائة عام وقيل بعد سبعمائة سنة مضت من الطوفان ولم يعبد الاصنام فصار
 الى الجنة لا هرم فيها ولا سقم ولا هم ولا حزن وكتب اسم الله الاعظم عليه حتى لا يصل اليه احد الا ملك
 يأتي في آخر الزمان يدين بين الملك الديان ويؤمن بالبعث والفرقان والنسب الداعي الى الايمان في آخر الزمان
 وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام وهالوا عليه الرمال حتى سددوا بين جبلين متقابلين * ويقال كان
 مصر بن يصبر مع جد أبيه نوح عليه السلام في السفينة فدعاه أن يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التي هي
 أم البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذلها
 ويقومهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها وكان يصبر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصرايم وجميع
 اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر * وملك بعده ابنه قبطيم (ويقال له فقط) بن مصرايم وهو اقل من
 عمل العجايب بعد الطوفان فاستخرج المعادن وشق الانهار ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات * ويقال
 ان مصرايم لما مات اختلف اولاده من بعده وكان فقط اصغرهم فاجتمعوا عند الاهرام ورضوا بأن من غلب منهم
 أخاه أخذ الملك فتحارب اشوم وازيب فغلب اتريب ثم تحارب صا هو واشوم فغلب اشوم ثم تحارب فقط وصا
 فغلب فقط فأخذ فقط الملك بعده ابيه وأطاعه اخوته وسكن مدينة منف دار ملكة أبيه وتزوج امرأة ولدت له
 اربعة اولاد هم قفطريم واشمون وازيب وصا فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم الارض بين اولاده
 الاربعة عند وفاته فجعل لولده قفطريم من اسوان الى فقط وجعل لولده اشمون من مدينة فقط الى مدينة منف
 وجعل لولده اتريب الجرف كله وجعل لولده صا من ناحية البحيرة الى الغرب وجعل أمرهم الى قفطريم وامر
 كل واحد منهم أن يبنى لنفسه مدينة في حيزه وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر وعمل فيه
 منافذ للريح فصارت تنحرق فيه بدوى عظيم وأقام في السرب رؤساء من نخاس مملوكة تضيء كالسرج ليلا ونهارا
 ولما مات وضع جسده بهذا السرب في جرن من ذهب بعده ما لبس شيئا منسوجة بالدر والمرجان واقم عند رأسه
 عمود من مرمر عليه جوهرة تضيء وعمل حول الجرن قوايت من ججارة مملوكة حوالها مصاحف الحكمة
 ووضعت عنده امواله وكنوزه وذخائره وزبروا عليه كما زبروا على ابيه وانتقل كل من اولاده الى حيزه فانتقل صا
 بأهله وأولاده وسكن مدينة صا الا أن ذكرها * ويقال كانت البلدة في أيام فقط وأنه ألهمه الله تعالى اللغة
 القبطية وأنه أقام ملكا اربعمائة وثمانين سنة ومات فدفن بأرض الواحات وملك بعده أخوه اشمن بن مصر وقيل
 بل اسكن في حياته ابنه قفطريم في حيزه فشرع في العمارة وكان جبارا عظيم الخلق فأنار من المعادن ما لم يثره
 أحد قبله وبنى مدينة دندرة وعمل في جبل فقط منارا عاليا يرى منه البحر الشرقي ووجد هناك معادن من
 الزئبق وعمل البركة التي سماها صيادة الطير وهلك عاد بالريح في آخر أيامه وفي أيامه اثار الشياطين الاصنام التي
 أغرقها الطوفان فعبدت وأقام ملكا اربعمائة وثمانين سنة ومات * وذكر ابن عبد الحكم بعد مصر بن يصبر فقط
 ابن مصر وأن الذي ملك بعد فقط اخوه اشمن ثم اتريب بن مصر ثم صا بن مصر ثم ابنه مالمق
 ابن تدراس ثم ابنه حزابا بن مالمق ثم ابنه كلكل بن حزابا ويقال ان اشمن لما ملك بعده أخيه ساراليه شدداد
 ابن هداد بن شدداد بن عاد وملك أرض مصر وهدم مبانيها وبني أهراما ومضى الى موضع الاسكندرية فبناها
 وأقام دهرًا ثم خرجت العادية من أرض مصر فعاد اشمن الى ملكه وأنه ملك بعده أخوه صا ثم ملك بعده صا
 ابنه تدراس وفي أيامه بعث الله صالحا الى عمود ومات * فلما ابنه مالمق البودسير وكان من الجبابرة العظام عمل
 أعمالا عظيمة منها منار فوقه قبة لها أربعة اركان في كل ركن كوة يخرج منها في يوم معلوم عندهم من كل سنة
 دخان ملتف في ألوان شتى يستدلون بكل لون على شيء فان خرج الدخان اخضر دل على العمارة والخصب في تلك
 السنة وان خرج ابيض دل على الجذب وقلة الخير وان خرج احمر دل على الحروب وقصد الاعداء وان خرج اصفر
 دل على النيران وآفات تحدث من الملك وان خرج اسود دل على الامطار والسيول وفساد بعض الارض وان
 خرج مختلط دل على كثرة الظلم وبغى الناس بعضهم على بعض وعمل شجرة من نخاس تجذب سائر الوحوش حتى
 تصل اليها فلا تستطيع الحركة الى أن تؤخذ فشبع اهل مصر من لحوم الوحوش واتفق أن غرابا نقر عين صبي

من اولاد الكهنة فقلعها فعمل شجرة من نخاس عليها غراب منشور الجناحين وفي منقاره حية وعلى ظهره اسطر
فكانت الغرابان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال قد كثرت في ايامه على ارض مصر من
ناحية الغرب فعمل صمامان صوان اسود على قاعدة منه وفوق كتفه قفة فيها سمكة ونقش على وجهه وصدره
وذراعيه كتابه وجعل وجهه الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت بها الرياح الى ورائها وصارت تلالا عالية وبعث
بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذي يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدل جانبي النيل وكان قبله يفيض في
مواضع وينقطع في مواضع وسار مغربا لينظر ما وراء ذلك فوقع على ارض واسعة ينحرق فيها الماء والاشجار
فبنى فيها منتهات واقام بها وحول اليها عدة من اهل بلده فعمروا تلك النواحي حتى صارت ارض الغرب كلها
معمورة ثم خالطتهم البربر وحث بينهم حروب كثيرة افنتهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان
البوديسرا احتجب عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه * وذكر
ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان اول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البوديسر
وترجم القبط ان الكواكب كانت تخاطبه وان له عجائب كثيرة منها انه استقر عن الناس عدة سنين من ملكه
وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة في كل سنة وهو حلول الشمس في برج الحمل ويدخل الناس اليه فيخاطبهم
وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة امره ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس في اعلاها
وله وجه عظيم فيخاطبهم * (فلما مات ملك بعده انه ارقليمون) وكان كاهنا سحرا فعمل اعمال عظيمة
منها انه كان يجلس في السحاب فيرويه في صورة انسان عظيم واقام مدة على ذلك ثم انه غاب عن اهل مصر وصاروا
بغير ملك ثم راوا صورة بحداء جرم الشمس عند حلولها اول برج الحمل فامرهم ان يقلدوا الملك عديم بن
قسطيم واعلمهم انه مابق يعود اليهم * (فولوا عليهم عديم بن قسطيم) وكان جبارا عظيما وهو اول من صلب بمصر
وذلك ان امرأة ورجلان زينا فصليهما وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر وبني اربع مدائن اودعها كنوزا عظيمة
وجعل عليها طلسمات وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر
على ارض مصر وعمل قنطرة على النيل في ارض النوبة واقام ملكا مائة واربعين سنة ومات وعمره سبعمائة
وثلاثون سنة * (وملك بعده ابنه شدات بن عديم) وهو الذي تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما
كاهنا سحرا ويقال انه هو الذي بنى الاهرام الدهشورية وعمل اعمالا عظيمة وطلسمات عجيبية وبني في الجانب
الشرقي مدائن وفي ايامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم واقام ملكا تسعين سنة وهو اول من اتخذ الجوارح
وصاد بها وولد الملك السالوقية وعمل في بركة سميوط تماسيح منصوبة تنصب اليها التماسيح من النيل
انصبها بايقظتها ويعلق جلودها في السفن واتفق انه طرد صيدا فكباه فرسه في وهدة فهلك وكان قد غضب
على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فرأى انه يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه
امواله وعمل عليه طلسم يمنع من يقصده وكتب عليه لا ينبغي لذي القدرة ان يخرج عن الواجب ولا يفعل
مالا يجوز له فعله فيجازي بعمله هذا ناوس بن شدات بن عديم فمل ما لا يحل له فعله فلكو في عليه بئله * (وملك
بعده ابنه منقاوش وكان حكيما فاضلا كاهنا عمل اعمالا عجيبية وبني اشياء مجيبة منها انه عمل هيكلا لصور
الكواكب على ثمانية فرائخ من منف وكثر من الاموال ما لا يحصى وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره
وسار في الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض آخر فاتهى في اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحتة اسرايا
ومغايرو دفن فيها امواله ووزر عليها حتى انه من كثرتها يقال انه دفن حبل اثني عشر ألف بعلة ذهبها وجواهر
واقام اربع سنين يرسل في كل سنة بعلا كثيرة يدفنها وبقيت آثار العجل ترى فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا
وبني هيكلا للقمر ويقال انه هو الذي بنى مدينة منف لبنيته وكن ثلاثين بنتا وانه ألزم الناس بعمل الكيمياء
فكانوا لا يفكرون عن عملها لئلا يلاها حتى اجتمع عنده مال عظيم وجواهر كثير وهو الذي بنى مدينة عين شمس
وقسم خراج مصر ارباعا جعل الربع للملك والربع للجنود والربع ينفق في مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحداثة
تحدث وهو الذي قسم ارض مصر على مائة وثلاثين كورة واقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات * (فملك
بعده ابنه عديم بن منقاوش) وكان جبارا لا يطاق وفي ايامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس السحر
والقبط تزعم انهما نزلتا بارض مصر ثم نقلتا الى بابل * (ثم ملك بعده اخوه منقاوش بن منقاوش وكان عالما كاهنا

فاضلابنى مواضع كثيرة في الجبال والصخارى وكنوز فيها كنوز عظيمة وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة وأقام لها منارا وكنز حولها كنوز عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة وهو أول من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم يعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وترز على الحجرة * (ولمات ملك بعده ابنه هرميس) وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيئا مما عمله آباؤه ومات وقد أقام إحدى عشرة سنة * (فلما بعده اشمون بن قبطيم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف في الغرب وحيزه في الشرق الى حد البحر الملح مما يحاذى برقة وهو آخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود اخميم وكانت منزله بمدينة الاشمونين وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها وبني في شرقي النيل مدينة انصنا وبني بها قصر عظيم واتخذ بها أبنية وملاعب وعجائب كثيرة وبني مدينة طهر اطيس وهو أول من لعب بالكرة والصولجان ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها مدينة في سفح الجبل لها أربعة ابواب من كل ناحية باب فعلى الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة نور وعلى الباب الشمالي صورة أسد وعلى الباب الجنوبي صورة كلب وفي هذه الصور روحانيات تنطق فاذا قدم غريب لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت كل شكل من هذه الاشكال الاربعة صنفان الكنوز وغرس في هذه المدينة شجرة مولدة تترك كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تضي سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تكسى من تلك الالوان شعاعا مثل لونها واجر حول المنار ماء شقه من النيل وجعل فيه سمكا من كل لون وأقام حول المدينة طلسمات في هيئة اناس رؤسها كالقردة وأسكن هذه المدينة السحرة فعرفت بمدينة السحرة وكانوا يعملون فيها أصناف السحر وبني بالقرب منها مدينة عرفت بذات العجائب وبني مجالس مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل وبني سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا وقيل انه هو الذي بنى مدينة عين شمس وانه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة وأقاموا بمصر تسعين سنة فأصابهم وباء خرجوا منه الى المدينة بطريق الجباز الى وادى القري فعاد اشمون بعد خروج العمادية الى ملك مصر وهو أول من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت مدينة الهنسا ولمات جعل له نائوس في آخر حد الاشمونين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها ألف برية من العقاقير المدبرة لفنون الاعمال وزبروا على نائوسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنع من يقصده * (وملك بعده ابنه صا) ثم بعد صا ابنه تدراس * (وقيل ملك مناقيوش) وكان شجاعا فاضلا فاستأنف العمارة وبني القري ونصب الاعلام وعمل العجائب الهائلة وبني مدائن منها مدينة اخميم وحول الكهنة اليها وأقام ملكا فيها وأربعين سنة ومات فدفن في الهرم الشرقي ومعه كنوزه * (وملك بعده ابنه) وقد اختلف في اسمه وكان فاضلا حازما معظما عند اهل مصر وهو أول من عمل المارستان وأول من عمل الميدان للرياضة وفي ايامه بنيت مدينة سنترية في صحراء الواحات ثم ان نساء تغارين عليه فقتلته احداهن بسكين فدفن في نائوس ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده ابنه مرقوره) وكان حكيما كاهنا وهو أول من دلى السباع وركبها وبني المدن وعمر الهياكل وأقام الاصنام ولمات جعل له نائوس في صحراء الغرب ودفن معه ماله * (وملك بعده ابنه بلاطس) وكان صيبا فدبرت الله أمر الملك وكانت حازمة فأجرت الامور على أحسن ما يكون وأظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها ولما كبر ابنها أحب الصيد فعملت له امه اعمالا عجيبه وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة وجذر فئات وانتقل الملك الى أعمامه * فلما بعده اتريب بن قبطيم بن مصر ايم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذي بنى مدينة اتريب وعاش خمسمائة سنة منها مائة ملكة ثمانمائة وستون سنة ويقال ان النيل وقف في أيام اتريب مائة واربعين سنة حتى اكلت البهائم بأرض مصر ولم يبق بها جمجمة ورؤى اتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضهم من الجوع ومات عامة اهل مصر جوعا ثم اغتسوا بعد ذلك وكثر الرخاء ودام مدة مائتي سنة وبيع كل أرذب بدانق وأقل ولمات اتم اخوه صابقتله وحاربته اهل مصر تسع سنين وقتلوه * (فلما بعده ابنته تدرورة) وكانت كاهنة ساحرة فساست الملك احسن سياسة ودبرت الملك أجود تدبير وعملت طلسمات عجيبه منها طلسم منع الوحش والطيور أن يشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا

ووقعت في زمانها اصبحة ارتجت لها الارض فهلكت * (وملك بعدها اخوها قليمون بن اريب) وكان حكمها
 فاضلا فبنى البنيان وعمل الطلمسات وفي أيامه بنيت مدينة تينس الاولى وبنيت مدينة دمياط وأقام ملكا تسعين
 سنة ومات فدفن في ناوس * (وملك بعده ابنه فرسون) وكان فاضلا كاهنا بنى المدائن وجدد الهيكل وكان
 حذرا فقصده بعض ملوك حمير في جوع عظيمة فخرج اليهم واقبى مدينة ايليا وقاتله قتالا شديدا حتى تفانى من
 الفريقين معظمهما وأظهر المصريون اشياء من سحرهم فانهم زعم الحميري في طائفة يسيرة وقتل فرسون عامة
 اصحابه وأخذ ما كان معهم وعاد مظفرا الى مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم في رأسه مراة تجذب
 المراكب الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال وأقام ملكا مات في سنة وستين سنة ومات
 فدفن في ناوس خلف الجبل الاسود الشرقي وعمل فيه قبة تحتوى على اثني عشر بيتا في كل بيت اعجوبة ودفن
 معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده نحو أربعة وصار الملك الى صابن قبطيم) وكان اصغر ولداً لبيه
 وأحبهم اليه * (ولمات ملك بعده نونية الكاهنة) وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم
 اليها أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضربه وان كان كاذبا أخذته تلك النار وكانت تتصور
 كل يوم في صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت في سوره أنابيب من نحاس مخوفة
 وكتبت على كل أنبوب فنا من الفنون التي يتحكم الناس بها اليها فكان من أتاها في محكمة وقف عند
 الانبوب الذي فيه محكمته وتكلم بما يريد وسأل عنه بصوت خفي فاذا فرغ جعل اذنه في الانبوب فيأتيه منه
 جواب ما سأل ولم يزل هذا القصر والانابيب حتى أتلفه بخت نصر * (وملك بعده امرقونس) وكان
 فاضلا حكيما وكانت امه بنت ملك النوبة فعملت عجائب وصنع في أيامه كل غريبة وملك ثلاثا وسبعين
 سنة ومات وعمره مائتان وأربعون سنة * (فلك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس وأربعين سنة) وكان
 جبارا طامحا العين فانتزى امرأته وانهكف أمره معها وكان كبره الله واللعب بجمع كل مله في مملكته
 ورفض العلوم وأهمل أمر الهيكل والكهنة وترك النظر في أحوال الناس وبني قصورا على النيل ليستزده فيها
 وأتلف أكثر الاموال في اللعب فكرهه الناس وكرههم الى أن سموه فمات عن مائة وعشرين سنة * (وملك
 بعده ابنه صا) ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو أخو ايساد ولما ملك سكن منف ووعد الناس بخير
 وملك الاحياز كلها وعمل بها عجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر ونصب العقاب
 الذي عمله أبوه وشرف هيكله ودعا اليه وبني بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة وجعل على
 الاطراف اصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على حافى النيل منابر يوقد عليها اذا حزنهم
 أمر أو قصدهم أحد وجعل بحافة بحر الملح منار يعلم به أمر البحر ويقال انه بنى أكثر مدينة منف وكل
 بنيان عظيم بالاسكندرية وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء ونظر في النجوم وكان بها حذقا فرأى أن مصر
 لا بد أن تغرق من نيلها وانها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام بجمع كل فاعل بمصر وبني مدينة في الواح
 الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف وقدم معه ألف مراكب وهدم أكثر الاسكندرية ودخل
 الى النيل من رشيد حتى أخذ منف وفر منه صا الى المدائن الداخلة وتحصن بها من عدوه فامتعت بالطلسمات
 أياما كثيرة ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه من زما ورجع الى منف فتبع الكهنة وقتل منهم كثيرا وأقام ملكا
 سبعا وستين سنة وعاش مائة وسبعين سنة * (وملك ابنه تدراس واستولى على الاحياز كلها ووصفاه الوقت
 وملك مصر وكان محتكما مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهيكل واهلها قيا ما حسنا
 وبني بيتا للزهرة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض
 اهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه في النيل بثلاثمائة سفينة فلقى السودان وكانوا زهاء ألف
 ألف فهزهم وقتل أكثرهم وأسرى منهم خلقا كثيرا وساق القليلة والنور الى مصر وعمل على حدود بلده منارات
 زبر عليها اسمه ومسيره وظفره وفي أيامه بعث الله نبيه صالحا الى ثمود ويقال انه هو الذي انزل النوبة حيث هي
 وذلك أنه لما أغل في أرض الحبشة وقتل امم السودان وجد فيهم امة تقرأ صحف آدم وشيث وادريس فن عليهما
 وأزلها على نحو من شهر من أرض مصر فسموا النوبة ومات بمنف * (فلك بعده ابنه مالميق) وكان عاقلا كريما
 حسن الصورة مجربا بخالفا لبيه وأهل مصر في عبادة الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين أجداده

قبطيم ومصر ايم وكانت القبط تدمه لذلك وأمر الناس باتخاذ كل قاره من الخيل واقبى السلاح وأكثر الاسفار
 وانشأ في بحر المغرب مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر وأتى البربر فهزمهم واستأصل أكثرهم
 وبلغ أفريقيا وسار الى الاندلس يريد الافرنجة فلم يتر بامة إلا أبادها فخذله ملك الافرنجة وطاربه شهرا ثم طلب
 صلحه وأهدى اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة وعمل
 أعمالا على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره وخرب مدن البربر ورجع فقتل قساها اهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع
 اللهو وفرشت له الطرقات فهابه الملوك وحلوا اليه الهدايا وما زال موحدا حتى مات * (فلاك بعده ابنه خزايا)
 وكان لينا سهل الخلق قد عرفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك بعده الى دين قومه وغزا
 الهند والسودان بعد ما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند وتجهز وحمل معه امرأته ووجوه اصحابه
 واستخلف ابنه كلكل على مصر وكان صيبا وجعل معه وزيرا كاهنا فتر على ساحل اليمن وعاش في مدائنه وبلغ
 سرنديب وأوقع بأهلها وبلغ جزيرة بين الهند والصين فأذن له اهلها وتقبل في تلك الجزائر سنين فيقال انه
 أقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع غانما فهابه الملوك وبني عدة هياكل وأقام بها الاصنام للذكوا كب
 ثم غزا نواح الشام فأطاعه اهلها ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفع أقدار
 الكهنة ومصاصهم وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة الكواكب له ومات وقدم ملك خساوس سبعين سنة
 * (فقام ابنه كلكل) وعقد له بالاسكندرية فأقام بها شهرا ثم قدم الى منف وكان أصناما فمتر به اهل مصر
 وكان يحب الحكمة واظهار العجائب ويقرب اهلها ويجيزهم وعمل الكيمياء وخزن اموالا عظيمة بصحارى الغرب
 وهو أقول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدمه من الملوك امر وأترك صنعها
 فعملها كلكل وملا دورا الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر أكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان مائة
 ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف منقال فاستغنوا عن ائارة المعادن وعمل أيضا من الحجارة الملونة التي تشف
 شيئا كثيرا وعمل من الفير وزج وغيره اشياء واخترع امورا تخرج عن حد العقل حتى سمي حكيم الملوك وغلب
 جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان فرود ابراهيم عليه السلام في وقته فأنصل بنود خبر
 حكمته وسحره فاستزاره وكان النرود جبارا مشوه الخلق يسكن السواد من العراق وآناه الله قوة وقدرة
 وبطشا فغلب على كثير من الامم فتقول القبط ان النرود لما استزار كلكل وجهه اليه أن يلقاه بموضع كذا فسار
 الى الموضع على أربعة أفراس تحمله ذوات أجنحة وقد أحاط به نور كالنار وحوله صور هائلة وقد خيل بها وهو
 متوشح بعبان متحزم ببعضه وقد فغرفاه وهو بضربه بقضيب أس فلما رآه النرود هاله وأقر له بجلبيل الحكمة
 وسأله أن يكون ظهيره ويقال انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوخ على رأسه فاذا هم اهل
 البلاد امر اجمعهوا حول الهرم فيقيم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم استمر مدة حتى توههوا أنه هلك فطمع فيه
 الملوك وقصده ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادى هيب فأقبل حتى جلاهم من سحره بشئ كالغمام
 شديد الحر فأقاموا تحته أياما متخيرين ثم طار الى مصر وأمرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم قد ماتوا هم
 ودوابهم فهابه الكهنة مهابة لم يهابوها أحد قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره * وقال ابن عبد الحكم ان كلكل
 ابن خزايا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له * (فلاك أخوه مالباب خزايا قال ابن وصيف شاه وقام اخوه
 مالباب) وكان شرها كثيرا الاكل والشرب منفردا بالفاهية غير ناظر في شئ من الحكمة وجعل أمر البلاد الى وزيره
 واشتغل بالنساء وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل امرأته
 كانت عنده * (وملك بعده ابنه طوطيس) ويقال انه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن حمير بن سباب يشجب بن
 يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وانه أحد فراعة مصر من ولد دان بن فلهوج بن امرأ بن أشود بن سام
 ابن نوح وقيل فراعة مصر من ولد عملاق الاول بن لاود بن سام بن نوح وكان جبارا جريا شديدا لباسا مهابا
 والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقال ان الفراعنة سبعة هو وأولهم وحفر
 نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرقا السفن في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر أم اسماعيل
 التي أعطاها ابراهيم عليه السلام الخنطة وأصناف الغلات فتصل الى جدة فأحيى بلاد الحجاز مدة ويقال ان كل
 ما حليت به الكعبة في ذلك العصر مما أهدها ملك مصر وأكثر ما حمل الى الحجاز سمته العرب من جرهم

الصادوق * وفي كتاب هرودوتس أن سلطان المصريين في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدي قوم يدعون بني قالميق بن دارش ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امراز بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور أنهم من العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان قال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه اكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة تخافت لكثرته قتله الناس فقتلته بسم وله في الملك مائة وسبعون سنة * (وملكت بعده جورياق) فوعدت الناس بالاحسان وجمعت الاموال وقد تمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت اقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا رجلا من ولد اتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وجورياق اول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت * (فملك بعدها ابنة عمها زلفى بنت مامون) وكانت عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها أمين الاتريبي واستنصر بملك العمالة فسير معه قائد فأخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى قتل منهم كثير من الناس ثم انهم زحفوا الى منف وهم في اقصى نفخ فخرجت زلفى الى الصعيد ونزلت الاشموين فكان بين ابني عمها كرا العمالة حروب انهم زحفوا فمروا عن منف بعدما عاثوا فيها وعدوا الى الجرف فامتنعوا به وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان زلفى عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة اشهر حتى انهم زحفوا الى قوص وأمين خلفها فلما أيقنت انها تؤخذ سميت نفسها فملكها وملكها ابن عبد الحكم ثم توفي طوطيس بن ماليا فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلفى ابنة مامون بن ماليا فعمرت دهر اطول ولا وكنزوا ونمو اوملا وأرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالة فغزاهم الوليد بن دوع فقاتلهم قتالا عظيما ثم رضوا أن يملكوهم عليهم فملكهم نحو امان مائة سنة فظفي وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سبعة فاقترسه واكل لحمه * والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة * وملك امين وتجبر وقتل خلقا من حاربه وكان الوليد بن دوع العماليق قد خرج في جيش كئيف فبعث غلاما يقال له فرعون الى مصر ففقهها ثم قدم بعده واستباح اهل مصر وأخذ اموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فرأى جبل القمر وأقام في غيبته أربعين سنة ورجع الى مصر وقد خالفه فرعون وفرمته فاستعبد اهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك * (وملك ابنه الريان بن الوليد بن دوع) أحد العمالة وكان أقوى اهل الارض في زمانه وأعظمهم ملكا * والعمالة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نهر اوش وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث بن قاران ابن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اسليخان بن لود بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى ابوابيه واسمه برخو وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس بالجميل وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وفرق المال فيهم * وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذي يقال له العزيز وكان عاقلا أديبا مستعملا للعدل والعمارة فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه فكفى نهر اوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلافة فقام على قصفه مائة والبلد عامر فقصدته رجل من العمالة وسار الى مصر في جيوشه فخرج اليه وقتلته وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعاث هنالك فهايته الملوكة ولا طفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وخرج اغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف ومز بأرض البربر وجلا كثيرا منهم ومز الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم النوبة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم * (وملك بعده ابنه دريعوش) ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع فخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر في أيامه معدن فضة فأثار منه شيا عظيما وفي أيامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس وأخذ اموالهم فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد في التبري حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من اهلها فكان لا يسمع بأمرأة حسنة في موضع الا وجهها فحملت اليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطلوا الصنائع والاعمال والأسواق فعدا عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين وانفق فيهم مالا فسكتوا وفي أيامه ثار القبط على بني اسرائيل وطلبوا

من الوزير أن يخرجهم من مصر فزال بهم حتى أمسكوا وبلغ الملك ذلك وكان قد خرج إلى الصعيد فتوعد أهل
 مصر فشغبوا عليه وحشدوا له فخار بوه فقتل منهم خلقا كثيرا ونظر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد
 إلى أعظم ما كان عليه من أخذ الأموال والنساء واستخدم أشرف القبط وبنى إسرائيل فأجمع الكل على ذمته
 فركب النيل للنزهة وثار به ريح عاصف فغرق فلم يوجد إلا بناحية شطونف وقيل فيما بين طرا وحلوان * (فقدّم
 الوزير ابنه معاديوس) وكان صبيبا ويقال له معدان فأسقط عن الناس ما أسقطه أبوه من الخراج ووعد
 بالاحسان فاستقام له الأمر وردّ نساء الناس وهو خامس الفراعنة وحدث في زمانه طوفان مصر وكثروا
 إسرائيل وعابوا الاصنام فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم وأقطعوا موضعا في قبلي منف
 فاجتمعوا فيه وبنوا فيه معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام ومنع من الضريبة التي كانت على أهل الشام
 لملك مصر فاجتمع الناس إلى معدان وحشوه على المسير لحربه فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعموا أنه قام في
 هيكل زحل للعبادة فتجلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك وباء على أهل بلدك وحبوتك بالقدره عليهم وعلى
 غيرهم وسأرفعك إلى * فلا تخل من ذكرى فعظم عند نفسه وتجبر وأمر الناس أن يسموه رباً وترفع عن أن ينظر
 في شيء من أمر الملك وجعل عليه ابنه كسامس * (فقام ابنه كسامس في الملك) ويقال كاسم بن معدان فرتب
 الناس مراتب وقسم الكور والأعمال وأمر باستنباط العمارات وإظهار الصناعات ووسع على الناس في
 أرزاقهم وأمر بتنظيف الهيكل وتجديد لباسه وأوانيه وأزاد في القرابين وهو الذي يقال له كاسم بن معدان
 ابن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي وهو سادس الفراعنة وسموا فراعنة بفرعان الأول فصار اسما
 لكل من تجبر وعلا أمره فطال ملكه وأقام أعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومنابر للوقودات
 وطلسمات وأقام سبع سنين بأجل أمر فلما مات وزير أبيه استخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له ظلمنا
 ابن قومس وكان شجاعا ساعرا كاهنا كاتباً حكيماً متصرفاً في كل فن وكان نفسه تنازعه الملك فأصلح أمر
 الملك وبنى مدنا من الجانبين ورأى في نجوده أنه سيكون حدث فبنى بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع
 وشيكا إليه القبط من الأسريين فقال لهم عبيدكم فأدلوهم من حينئذ وخرج إلى ناحية البر فبعث وقتل وسبي
 وفي أيامه بنيت منارة الاسكندرية وحاج البحر الملح فغرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع ومات كسامس
 وكان ملكا إحدى وثلاثين سنة منها إحدى عشرة سنة يدبر أمره ظلمنا فلما مات اضطرب الناس واتهموا ظلمنا
 أنه سمه فقام * وولي لا طيس بن كسامس) وكان جرياً عجبا صلفا قاسيا ونهى وأزم الناس أعمالهم وقال أنا
 مستقيم ما استقيمتم وان ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم وصرف ظلمنا عن خلافته
 واستخلف غيره وأنفذ ظلمنا إلى الصعيد في جماعة من الأسريين وجدّد بناء الهيكل وبنى القرى وأغار
 معدان كثيرة وكثر في صحراء الشرق عدّة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا أمره وأمر أن لا يجلس
 أحد في مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على أرجلهم حتى يمضوا وزاد في أذى الناس
 والعنف بهم ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وجع أموالهم وطلب النساء وانتزع كثيرا منهم وفعل
 أكثر مما فعله من تقدم قبله واستعبد بنى إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام وثار ظلمنا
 بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لا طيس بصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف حتى دخل
 منف * ظلمنا بن قومس فرعون موسى يقال إن اسمه الوليد بن مصعب بن اراهون بن الهلوت بن قاران بن عمرو
 ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن اسليخان بن لود بن سام بن نوح وأنه من العمالة وكان قصيرا طويلا اللحمية أشهل
 العين اليمنى صغير العين اليسرى أخرج وزعم قوم أنه من القبط وإن نسبته ونسب أهل بيته مشهور عندهم وقيل
 غير ذلك وكان من خبره ما ذكرنا في كنيسة دموه وقال ابن عبد الحكم ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر
 بعد غرقه ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق إلا العبيد والأجراء والنساء فأعظم أشرف من بمصر من
 النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهم أن يولين امرأة يقال لها دلوكة * (فلكت دلوكة ابنة زبا) ويقال
 دلوكة بنت قاران وكان لها عقل وتجارب ومعرفة وكانت في شرف منهم وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فبنت
 جدارا حصنت به مصر من الأعداء وكان من حدثنج إلى أفر يقمة إلى الواحات إلى بلد النوبة على كل
 موضع منه حرس قيام ليهم ونهارهم يقدون النار وقودا لا يطفأ أبدا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها

في ستة أشهر وهو حائط العجوز وفي أيامها بنت تدور الساحة البرابي في وسط منف فملكهم دلوكة عشرين سنة
 حتى بلغ صبي من أبناء الكارهم يقال له * دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه يودست ثم توفي
 يودست بن دركون فاستخلف أدقاش فلم يلك الا ثلاث سنين حتى مات فاستخلف أخوه مريئان بن مريئوس
 ثم توفي فاستخلف استادس بن مريئان فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وباعوا رجلا
 من أنصارهم يقال له بلاطوس بن مينا كيل فملكهم أربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس
 فاستخلف أخوه مينا كيل بن بلاطوس بن مينا كيل فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن مينا كيل فملكهم
 مائة وعشرين سنة وهو الأعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تمكن وطغى وبلغ
 مبلغا لم يبلغه احد من قبله بعد فرعون فصرعته دابته فمات وقيل له الأعرج لانه لما غزا اهل بيت المقدس ونهبهم
 وسبى ملكهم يوشابن أمون بن منشابن حرقياهم أن يصعد على كرسى نبي الله سليمان بن داود وكان بلولاب
 لا يمكن أحدا أن يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار اللولاب على ساقه الاخرى
 فاندقت فلم يزل يجمع بها الى أن مات فلذلك سمي الأعرج * فاستخلف مريئوس بن نوله فملكهم زمانا ثم توفي
 واستخلف ابنه قرقورة فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مريئوس وانهدم البرابي في
 زمنه فلم يقدر أحد على اصلاحه ثم توفي نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بخت
 نصر وقتله وخرّب مدينة منف وغيره من المداين وسبى اهل مصر ولم يترك بها أحدا حتى بقيت أرض
 مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن * وذكر في ترجمة كتاب هرويش الاندلسي في وصف الدول
 والحروب أن فيما بين عرق فرعون موسى الى مائة وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى نوشردس كان يقتل الغرباء
 والاضياف ويذبحهم لا وثنائه ويجعل دماءهم قربانا له وأز بعد عرق فرعون الى ثلثمائة وثمان وعشرين سنة
 كان بمصر ملك يسمى برويه وكان عظيم المملكة قوى السلطان أخذ بالحرب أكثر وأوحى الجنوب بزا وبجرا
 وهو أول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك الغوط وكان قد أرسل اليهم يدعوه الى طاعته ويخوفهم
 حربه فاجابوه ليس من الرأي المجود للملك الغنى محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف حوادثها
 بالظفر والهلاك وانالانظر مجيئك بل نسرع لغارتك وأتبعوا قولهم عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا مسرعين
 اليه وهزموا جيوشه ونهبوا عساكره وامواله وعدده وجميع ذخائره ومضوا فتهبوا أرض مصر حتى كادوا
 يغلبون عليها لولا وحول عرضت لهم منعهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة حتى أذلوا
 اهلها وجعلوهم يؤذون اليهم المعامر وأقاسوا محاربتهم لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا
 الى بلادهم حتى اتهم من نساءهم من يقن لهم اما أن تنصرفوا واما أن تتخذوا الزواج وتطلب النسل من
 عند المجاورين لنا فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقدامتلات ايديهم اموالا وأوقارا جمة وقد خلفوا
 وراءهم ذكرا مفرغا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد عرق فرعون وهلاك دلوكة
 حتى اخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط وان جالوت ابن جالوت لما قتله داود
 سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر وهبها ملوك مدين فأنزله ملك مصر بالجانب الغربي فأقام بها مدة ثم سار
 الى بلاد الغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر بعد دلوكة وابنهامدة ستمائة سنة وعشرين سنة وعندتهم
 سبعة وعشرون ملكا هم ديوسه وليط او مدته ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده
 سمنا دوس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس مدة مائة سنة ثم ملك مفخراس أربع سنين ثم ملك
 اما ناقوناس تسع سنين ثم امهوريس ست سنين ثم فسينا خمس تسع سنين ثم فسوسانس خمس وثلاثين
 سنة ثم ملك سسوناخوسيس احدى وعشرين سنة ثم ملك اساليون خمس عشرة سنة ثم طافالونيس ثلاث
 عشرة سنة ثم طافاناسطلس خمس وعشرين سنة ثم اسارا ثون تسع سنين ثم ملك فساهرس عشر سنين
 ثم اوفانيواس اربعا واربعين سنة ثم ساياقور ثنتي عشرة سنة ثم شخص الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم طراحوش
 الحبشي عشرين سنة ثم امراس الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم استطا فينياس سبع سنين ثم باخفاسوس ست
 سنين ثم ياخو ثمان سنين ثم فساماملاطيقوش اربعا واربعين سنة ثم بجنوقاست سنين ثم فساهرتاس
 سبع عشرة سنة ثم وافر س خمس وعشرين سنة ثم أماسلس اثنتين واربعين سنة * وملك بعده هولاء

مصر خمسة ملوك من ملوك بابل وهم امرطيوش ست سنين ثم ما فرطاس سبع سنين ثم اوخرس اثنتي عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موتا طوس سبع سنين * ثم ملك ثلاثة ملوك من اثور وهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل والجزيرة وهم نافاطا نبوش ثلاث عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطا نياس ثمان عشرة سنة * ثم انتقل ملك مصر منهم الى الاسكندر بن فيليبش اليوناني وهذه اسماء رومية واعلمها او بعضها متداخلة فيما تقدم ذكره من ملك بعدد دلوكة وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفا سنة وثلاثمائة وست وخمسون سنة واشهر ويجمع من حساب ما وقع في التوراة أن بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين ألفا وسبعمائة وأربعمائة وثمانين سنة وهذا خلاف ما نقله المسعودي والله تعالى أعلم بالصواب

*** (ذكر مدينة الاسكندرية) ***

هذه المدينة من اعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعها وقد بنيت غير مرة فأول ما بنيت بعد كون الطوفان في زمان مصر ايم بن بصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في ايام اليونانيين جددوها الاسكندر بن فيليبش المقدوني الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة شمسية فعرفت به ومنذ جددوها الاسكندر المذكور انتقل تحت المملكة من مدينة منف الى الاسكندرية فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر أرض اسلام فانتقل تحت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر وصار الفسطاط من بعد الاسكندرية دار مملكة ديار مصر * وسأقص عليك من أخبار الاسكندرية ما وصل اليه على ان شاء الله تعالى * (ذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن الكوكبة وهي اتمة في غابر الدهر من اهل ايله ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كورة واربعه اقسام كل قسم عمل وبنوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله برابواهي بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية واسمها رقودة خمس عشرة كورة وجعلوا فيها اكار الكهنة ونصبوا فيها كلها من اصنام الذهب اكثر مما نصبوا في غيرها فكان ماها ما تناسخ من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على اربعة اقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجائب * وذكر بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن أن مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المريح وساعاتها اربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك أربع ساعات مستوية وثلاث عشرة ساعة * وقال ابن وصيف شاه في ذكر أخبار مصر ايم بن بصر بن نوح وعلمهم ايضا عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وجنانهم وينابونهم فعملوا الهيا الطلسمات فغابت ولم تعد وبنوا على غير البحر مدنا من مدينة رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبعة على أساطين من نحاس مذهب والقبعة مذهبة ونصبوا فوقها امرأة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وارتفاع القبعة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التي حولهم فان كان مما يهيمهم وكان من البحر عملوا تلك المرأة عملوا فالت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقت فلم تزل الى أن غاب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبهها بها وكان عليها أيضا امرأة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتمل عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من أزالها وكانت من زجاج مدبر قال وذكر بعض القبط أن رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجائبها وضمن له أن يوصله الى ملكها واموالها ويرفع عنه أذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد فلما انصل بصابن مرقونس أخى ايساد وهو ملك مصر يومئذ أن صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه عمدا الى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل فأصعد اليه اكثر كنوزه وبنى عليها قبابا مصفحة بالمرصص ونظهر صاحب بلاد الافرنجة في ألف مركب فكان لا يمر بشيء من أعلام مصر ومنارها الا هدمه وكسر الاصنام بمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعات فيها وفيما حولها وهدم اكثر معالمها الى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحي يحاربونه وهو يتهب مامربه ويقتل ما قدر عليه الى أن طلب المدائن الداخلة

لاخذ كنوزها فوجدوها ممتلئة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق والشداخت فقام عليها أياما كثيرة
 فلم يمكنه الوصول اليها وغضب على الكاهن فقتله من أجل أن جماعة من اصحابه هلكوا فاجتمع اهل النواحي
 وقتلوا من اصحابه الذين بالمر اكب خلقا وأحرقوا بعض المراكب وقام اهل مصر بسحرهم وتهاويلهم فأنت
 رياح اغرقت اكثر من اكبه حتى نجى بنفسه وقد خرج فعاد الناس الى منازلهم وقرأهم ورجع الملك صالى
 مدينة منف وأقام بها وتجهز لغزو بلدان الروم وبعث اليها وخرب الجزائر فبأنه المملوك وتبع الكهنة فقتل
 منهم خلقا كثيرا وأقام ملكا سبعة وعشرين سنة ومات وعمره مائة وسبعون سنة ودفن بمنف في وسطها تحت
 الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل آباؤه منها أربعة آلاف مثقال ذهب على صور
 حيوانات بزية وبحرية وثمان عقاب من بحر أخضر وتمثال تين من ذهب وزبروا عليها اسمه وغلبته المملوك
 وسيرته وعهد الى ابنه تدراس قال ولما جلست جورياق ابنة طوطيس اول فراغته مصر وهو فرعون ابراهيم
 الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها لا ييها وعدت الناس بالاحسان وأخذت في جمع الاموال
 فاجتمع لها ما لم يجتمع للملك وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقذارهم وأمرت بتجديد
 الهيكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد اتريب يقال له ايد اخس ففعل على
 رأسه تاجا واجتمع اليه جماعة فأنفذت اليه جيشا فهزموه وقتلوا اكثر اصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون
 فاستغاث بملكهم فجهزهم بجيش عظيم ففتحت جورياق الخزان وقرقت الاموال وقوت السحرة فعملوا أعمالهم
 وتقدم ايد اخس بجيوش الكنعانيين وعليها قائد منهم يقال له جبرون فلما نزلوا أرض مصر بعثت ظئرا اليها من
 عقاء النساء الى القائد سرعا عن ايد اخس تعترفه رغبتهما في تزوجه وانها لا تختار احدا من اهل بيتها وأنه ان
 قتل ايد اخس تزوجت به وسلبته ملك مصر ففرح بذلك وسمي ايد اخس بسم أنفذه اليه فقتله وبعث اليه بمد
 قتل ايد اخس أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى يظهر قومك في بلدى وتبنى لى مدينة بحبيبة وكان اقتنارهم حينئذ
 بالبنيان وأقامه الاعلام وعمل الجحائب وقالت اتقل من موضعك الى غربي بلدى فثم آثارنا كثيرة فافتت
 تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبني مدينة في صحراء الغرب يقال لها قديمه وأجرى اليها من النيل نهر او غرس
 حواها غرسا كثيرة وأقامها منارعا عاليا فوقه منظر مصفى بالذهب والفضة والزجاج والرخام وهى ممد
 بالاموال وتكتاب صاحبه عنه ومدايه وهو لا يعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا مدينة اخرى حصينة كانت
 لا وائلنا وقد خربت منها امكنة وتسعت حصنها فامض اليها واعمل في اصلاحها حتى أتقل انالى هذه المدينة
 التى يبيتها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فأنفذ الى جيشك حتى اصير اليك وأبعد عن مدينتى وأهل بيتى فانى
 اكره أن تدخل على بالقرب منهم فضى وجد في عمل الاسكندرية الثانية * وأهل التاريخ يذكرون أن الذى
 قصدها الوليد بن دوعم العمليقي ثانى الفراعنة وكان سبب قصدها أنه كان به علة فوجه الى الاقطار ليعمل اليه
 من مائها حتى يرى ما يلائمه فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحل اليه من مائها وألطفها
 وعاد اليه فعرّفه حال مصر فسار اليها فى جيش كثيف وكاتب الملكة يحطيم بالنفسه فأجابته وشرطت عليه أن
 يبنى لها مدينة يظهر فيها ايده وقوته ويجعلها الهامهرا فأجابها وشق مصر الى ناحية الغرب فبعثت اليه أصناف
 الراحين والفواكه وخلقت وجوه الدواب فضى الى الاسكندرية وقد خربت بمد خروج العبادية منها فقتل
 ما كان من ججارتها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث اليها مائة ألف فاعل وأقام فى بنائها مدة
 وأنفق جميع ما كان معه من المال وكل ما بنى شيئا خرج من البحر دواب فقتلعه فاذا اصبح لم يجد من البناء شيئا
 فاهتم لذلك وكانت جورياق قد أنفذت اليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها فى مطبخه وكانت مع
 راع تثنى به يرعاها هنالك فكان اذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء فتتوق
 نفسه اليها فاذا اكلمها شرطت عليه أن تصارعه فان صرعاها كانت له وان صرعه أخذت من المعز رأسين فكانت
 طول الايام تصرعه وتأخذ الغنم حتى أخذت اكثر من نصفها وتغير باقيها الشغل بحب الجارية عن رعيها ونخل
 جسمه فزبه صاحبه وسأله عن حاله فأخبره الخبر خوفا من سطوته فلبس ثياب الراعى وتولى رعى الغنم يومه الى
 المساء فخرجت اليه الجارية وشرطت عليه الشرط فأجابها وصارعهما فصرعهما وشدها فقالت ان كان ولا بد من
 أخذى فسلبنى لصاحبى الاقل فانه ألطف بى وقد عذبت مدته فرددتها اليه وقال لها ساعن هذا البنيان الذى

بنبيه ويزال من ليلته من يفعل ذلك وهل في ثباته من حيلة فساء لها الراعي عن ذلك فقالت ان دواب البحر التي
 تنزع بنيانكم فقال فهل من حيلة قالت نعم تعملون قوايت من زجاج كثيف بأغطية وتجعلون فيها أقواما
 يحسنون التصوير ويكون معهم صحف وأنقش وزاد يكفيهم أياما وتحمل التوايت في المراكب بعد ما تشد
 بالحبال فاذا توسطوا الماء أمروا المصورين أن يصوروا جميع ما يريهم ثم ترفع تلك التوايت فاذا وقفت على
 تلك الصور فاعملوا لها أشباها من صفر أو حجارة أو رصاص وانصبوها قدام البنيان الذي تبنيه من جانب
 البحر فان تلك الدواب اذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد فترى الراعي صاحب ذلك ففعله وتم البنيان
 وبني المدينة * وقال قوم ان صاحب البناء والغنم هو جبرون كان قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد
 جورياق وقهرهم وملاك مصر * وذكروا أن الاموال التي كانت مع جبرون فقدت كلها في تلك المدينة ولم تتم
 فأمر الراعي أن يخبر الجارية فقالت ان في المدينة التي خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤسها تماثيل
 من صفر قدام فقترب لكل تمثال منها ثور اسمينا واطخ العمود الذي تحته من دم الثور وبخره بشعر من ذنبه
 ونشئ من تحته قرونة وأظلافه وقل له هذا قربانك فأطلق ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة التي يتوجه
 اليها وجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل فانك تنتهي بعد خمسين ذراعا الى بلاطة
 عظيمة فاطنحها بمرارة الثور وأظفها فانك تنزل الى سرب طوله خمسون ذراعا في آخره خزانة مغلقة ومفتاح القفل
 تحت عتبة الباب فخذها واطنح الباب ببقية المرارة ودم الثور وبخره بنحانة قرونة وأظلافه وشعر ذنبه وادخل فانه
 يستقبلك صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض ميتا تجده ولا ما عليه
 وكذلك كل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع
 ذلك سبه وامثله فوجد ما لا يدرك وصفه ووجد من العجائب شيئا كثيرا فتم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق
 فسأها وكانت قد أرادت اتعابه وهلا كده بالحيلة ويقال انه وجد فيما وجد درج من ذهب فحتموا فيه
 مكبله زبرجد فيها ذرورا خضر ومعه عرق احمر من اكل من ذلك الذرور بالعرق وكان اشيب عاد شابا واسود
 شعره وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر عيت السماء وأمطرت ومثال غراب
 من حجر اذا سئل عن شيء صوت وأجاب عنه ووجد في كل خزانة عشر عجوبات * فلما فرغ من بناء المدينة وجه
 الى جورياق يحتمها على القدوم اليه فحملت اليه فرشاً فاخر البسطه في المجلس الذي يجلس فيه وقالت له اقسم
 جيشك أن لا تأفأ نفذا الى ثلثه حتى اذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ الثلث الاخر فاذا جرت نصف الطريق فأنفذ
 الثلث الباقي ليكونوا من وراءى لئلا يراى احد اذا دخلت عليك ولا يكون عندك الا صبىة تتق بهم يخدمونك
 فافى وافيك في جوارتك فيك الخدمة ولا احتشمت ففعلت وأقامت تحمل الجهاز اليه والاموال حتى علم
 بسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فعملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وأنزلهم جوارمها وحشمتها وقدموا
 اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وأنواع اللهو فلم يصح منهم احد حيا وسارت فلقبها الثلث الاخر ففعلت به مثل
 ذلك وهي توجه اليه انها نفذت جيشه الى قصرها وملكتهما يحفظونهما وسارت حتى دخلت عليه هي وظنرها
 وجوارمها فنفخت ظنرها في وجهه نفخة بهت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت أعضاؤه وقال من ظن
 أنه يغلب النساء فقد كذبتة نفسه وغلبته النساء ثم انها قصدت عروقه وقالت دماء الملوك شفاء وأخذت رأسه
 ووجهته به الى قصرها ونصبت عليه وحوات تلك الاموال الى مدينة منف وبنيت منارا بالاسكندرية وزبرت
 عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت فلما بلغ خبرها الملوك ها بها وأطاعوها وهادوها وعملت بمصر
 عجائب كثيرة وبنيت على حدمصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها واعتلت فقلدت
 ابنة عمها زلفى بنت مامون وماتت * وقال ابن جر داويه روى أن الاسكندرية بنيت في ثلثمائة سنة وأن اهلها
 مكثوا سبعين سنة لا يمضون فيا بالنهار الا بخرق سود مخففة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ومنارتها
 العجيبة على سرطان زجاج في الجدران كان فيها سوى اهلها سقانة ألف من اليهود خول لاهلها * وقال ابن
 وصيف شاه وكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد والاسكندرية الى برقة فكان الرجل يسير في أرض مصر
 فلا يحتاج الى زاد لكثرة القواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تسيره من حر الشمس وعمل الملك صابن قبطيم
 في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غرسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربى الى حد

الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض اولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وبأدأهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكي ما رآه فيها من الآثار والعجائب * وقال ابن عبد الحكم وكان الذي بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذوالقرنين الرومي واسمه الاسكندر وبه سميت الاسكندرية وهو أول من عمل الوشي وكان أبوه أول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبان مرزبه اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل كان من اهل لوبية كورة من كور مصر الغربية وقال ابن الهيثم وأهلها روم ويقال هو رجل من حير قال تبع

قد كان ذوالقرنين حدي مسلما * ملكا تدين له الملوك بمحمد

بلغ المغارب والمشارق يمتدني * أسباب علم من حكيم مرشد

فراى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذى خلب وثأط حرم

ويروى قد كان ذوالقرنين قبلي مسلما وحدثني عثمان بن صالح حدثني عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن سعد بن مسعود الجببي عن شيخين من قومه قالوا كنا بالاسكندرية فاستطلنا يوما فقلنا لو انطلقنا الى عقبة بن عامر تحدثت عنده فانطلقنا اليه فوجدناه جالساً في داره فأخبرناه اننا استطلنا يومنا فقال وأما مثل ذلك انما خرجت حين استطلت ثم أقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ منه فإذا أنا برجال من اهل الكتاب معهم مصاحف اكتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف اليه فأخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي ولاهم يسألوني عما لا أدري انما أنا عبد لا أعلم الا ما علمني ربي ثم قال بلغني وضوء فتوضأ ثم قام الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال أدخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي فأدخله قال فأدخلهم فلما وقفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم أخبركم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا وان احببتكم تكلمتم وأخبرتمكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن نتكلم قال احببتكم أن تسألوني عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوباً عندكم ان أول امره انه غلام من الروم اعطى ملكاً ففسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحبك فقال أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلفت مدينتي مع المدائن فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتي وحدها ولا ارى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذي ترى يحيط بها هو البحر وانما أراد ربك أن يريك الارض وقد جعل لك سلطاناً فيها سوف يدهم الجاهل ويثبت العالم ففسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يرتلق عنهما كل شئ عبقني السد ثم جازياً جوج ومأجوج فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقمانون يا جوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد أمة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد أمة من الغرائق يقاتلون القوم القصار ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد أن امره هكذا كما ذكرت وانما تجد هكذا في كتابنا * وعن خالد بن معدان الكلاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفراً أما رضىتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتهم بالملائكة * وقال قتادة عن الحسن كان ذوالقرنين ملكاً وكان رجلاً صالحاً قال وانما سمي ذا القرنين لان علياً رضى الله عنه سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن ملكاً ولا نبياً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله ونصح الله فنصحه الله بعثه الله عز وجل الى قومه فضر به على قرينه فبات فسمي ذا القرنين ويقال انما سمي ذا القرنين لانه جاوز قرني الشمس من المغرب والمشرق ويقال انما سمي ذا القرنين لانه كان له غدirtان من شعر رأسه يطافيهما وقيل بل كان له قرنان صغيران نواريهما العمامة * وعن ابن شهاب انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال كان أول شأن الاسكندرية أن فرعون اتخذ بها مصانع وبجالس وكان أول من عمرها بنى فيها فلم تزل على بناءه ومصانعه ثم تداولها ملوك مصر بعده فبنت دلوكة بنت زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الارض اتخذ بها مجلساً

وبني فيه مسجد اثنان من القرنين ملكهما فهدم ما كان من بناء المولك والآخر اعنته وغيرهم الابناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره واصبح ما كان رث منه واقرا المنارة على حالها ثم بنى الاسكندرية من اولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولها المولك بعده من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه * قال ابن لهيعة وبالحق انه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه انا شداد بن عاد وانا الذي نصب العماد وحيد الاحياد وشهد براءه الواد بنيتهم اذ لا شيب ولا موت واذا الحجارة في اللين مثل الطين وفي رواية وكثرت في البحر كنز اعلى اثني عشر ذراعا لن يخرج منه أحد حتى يخرج منه أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن لهيعة والاحياد كالمغار وقال ياقوت على القلبي في كتاب الامالي وأنشد ابن الاعرابي وغيره

تسأني عن السنين كم لي * فقلت لو عمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن الفطحل
لو أني اوتيت علم الحسل * وعشت دهر ا زمن الفطحل * لكنت رهن هرم او قتل
وفي رواية

علم سليمان كلام النخل * ايام كان الصخر مثل الوحل

وقال آخر زمن الفطحل اذ السلام رطاب * وعندهم ان زمن الفطحل زمان كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن الفطحل زمن لم يخلف بعد وقوله علم الحسل الحسل ما لا يسمع صوته من الحيوان وهذا الرجز روبة بن الججاج بن روبة بن لبيد بن صخر بن كثيف بن حي بن بكر بن ربيعة بن سعد ابن مالك بن زيد مناة بن تميم وذلك انه ورد ما لعسل فرأى فتاة فاجتبه فخطبها فقالت ارى سنا فهل من مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا آل عسل اكبر او امعار قال روبة

لما ازدرت قدرى وقلت ابلى * تألفت واتصلت بعسل * حظى وهزت رأسها تستبلى
تسأني عن السنين كم لي * فقلت لو عمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل

وفي رواية

لو أني اوتيت علم الحسل * علم سليمان كلام النخل

وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال تزعم العرب انه زمان كانت فيه الحجارة رطبة * قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى الاسكندرية شداد بن عاد والله أعلم * وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منيعة وهي موضع المنارة وما والاها والاسكندرية رهي موضع قصبة الاسكندرية اليوم ونقطة وكان على كل واحدة منهم سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية سبعة حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخصها بالرخام الابيض جدرانها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد والحجرة فن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوص بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر أدخل الرجل الذي يخيط بالليل في ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط في ثقب الابرة * ويقال بنيت الاسكندرية في ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائة سنة وخرت ثلثمائة سنة ولقد مكثت سبعين سنة ما يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض حصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنة ما يستسرح فيها قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راعي عري على شاطئ البحر فكان يخرج من البحر شيء فياخذ من عنده فكمين له الراعي في موضع حتى خرج فاذا جارية قد نفشت شعرها وما نعتت عن نفسها ففوى عليها فذهب بها الى منزله فأنست به فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهيأت لهم الطلسمات فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر في الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة النهار كالبحرين فاذا اتصف النهار اشتدت * وقال المسعودي ذكر جماعة من اهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده وسار حتى يختار أرضا صحيحة الهواء والربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها اثربان وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو القلم الاول من أقلام حمير ومولود عاد أنا شداد بن عاد شددت بسا عدى الواد وقطعت عظيم

العماد وشواخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأردت أن أبني هنا
مدينة كآرم وأقل اليها كل ذي قدم وكرم من جميع العسائر والأهم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام
ولا سقم فأصابني ما عجزني وعمأ أردت قطعني ومع وقوعه طال همي وشيبي وقل تنومي وسكني فارتحلت
بالاعس عن داري لآلقهر ملك جببار ولا نخوف جيش جزار ولا عن رغبة ولا عن صغار ولكن لتقام المقدار
وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فن رأيت في أثرى وعرف خبري وطول عمري ونفاد بصري وشدة
حذري فلا يغتر بالدينا بعدى فأنما غزارة غدارة تأخذ مني ما نه على وتسترجع منه ما توفى وكلام كثير يرى
فناء الدنيا ويمنع من الاعتزاز بها والسكون اليها * قتل الاسكندر مفكرا تدبر هذا الكلام ويعتبره ثم يمشي
يخبر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها آميالا وجع اليها العمود والرخام وأتته المراكب
فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد اقريقية واقريطش واقاصي بحر الروم على
مصبه بجزاير قيانوس وجعل اليه أيضا من جزيرة رودس وأمر الفعلة والصناع أن يدوروا بمارسم لهم من
أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة جبالا
منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود بحرسا عظيما
مصوتا وأمر الناس واقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت
الجبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا حرصوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر
أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره وطالع سعد فترك الاسكندر رأسه وأخذته نعسة في
حال ارتقابه الوقت المحمود فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فخرجه وخرج صوت
الجرس وتحركت الجبال وخفق ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بركات هندسية وحيل
حكيمية فلما رأى الصناع تلك الجبال قد تحركت وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع
الضجيج بالتحميد والتعديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فأعجب وقال أردت أمرا
وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فناءها وخرابها وتداول الملوك اياها وان
الاسكندر لما أحكم بناءها وثبت أساسها وحق الليل عليهم خرجت دواب البحر فأتت على جميع البنين فقال
الاسكندر حين أصبح هذا بدو الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري سبحانه من زوالها فتطير من فعل الدواب فلم
تزل البناء في كل يوم تبني وتحكم ويوكل من ينزع الدواب اذا خرجت من البحر فيصيحون وقد خرجت وخربت
البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من البحر فأقبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة تنفع في ذلك حتى
تدفع الازية عن المدينة فساخت له الحيلة عند خاؤه بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا الصناع
فأخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها
خشب التابوت باستدارتها وقد أمسك ذلك بالقار والرفث وغيره من الاطربة الدافعة للماء حذرا من دخول
الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للجبال ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان من كتابه ممن له علم بالثقان
التصوير وأمر أن تستد عليه الابواب وأن تطل بما ذكرنا من الاطربة وأمر بركبين عظيمين فأخرجوا الى لجة البحر
وعلق في التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتتوى بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين
الركبين وألصقهما بخشب بينهما ملا يفترقا وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت
حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيواته من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا بصور
الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل رؤس السباع وفي أيديهم القوس مع بعضهم وفي أيدي بعضهم
المنشير والمقامع يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء فأبنت الاسكندر ومن معه
تلك الصور وحكوها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها وتشو وخفها وقد ودها ثم حركت الجبال فلما
أحس بذلك من في المركبين جذبوا الجبال واخرجوا التابوت فخرج الاسكندر وأمر صناع الحديد والنحاس
والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ماصور فلما فرغوا منها وضعت على العمود بشاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا
فلما جئ الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمود مقابلة الى البحر فرجعت ولم تعد
بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت وأمر الاسكندر أن يكتب على ابواب هذه الاسكندرية أردت أن

أبنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومفني الأمم أن يثبتها كذلك فبنيتها وأحكمت بنيانها وشيدت سورها وآتاني الله عز وجل من كل شيء علما وحكمة وسهل لي وجوه الأسباب فلم يفتخر علي في العالم شيء مما أردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطف من الله عز وجل وصنع على وصلا حال عباده من أهل عصرى والمجد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شيء ورسم بعده هذه الكتابة كل ما يحدث بيلده من الاحداث بعينه في مستقبل الزمان من الاوقات والعمران والحراب وما يؤول امرها اليه الى وقت دثور العالم * (وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قنطرة مقطرة عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس ويدهم مخ لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الأزاج والقنطرة التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والأزاج مخاريق ومنفصات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وأزقتها مقطرة كلها لا يصيب اهلها شيء من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربعات تعلق في المدينة شقائق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناءها وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تحتطف باناءل اهل المدينة فيصجون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على اعمدة هنالك تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السرو وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالاً وكتابة * قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودي من أن الاسكندر وهو الذي عمل التابوت حتى صور أشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه اعرف بأخبار أهل مصر وكذلك ما ذكره المسعودي من أن المسال من عمل الاسكندر وهم أيضا بل هذه المسال هي المنابر التي كان ينور عليها والاعلام التي كانت ملوك مصر القدماء تنصبها وهي من أعمال ملوك القبط الاول ومن أعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان

* (ذكر الاسكندر) *

هو الاسكندر بن فليبيش بن آمنتته (ويقال آمنتاس) بن هر كلش (ويقال هر قول) الجبار الذي هو ابن الاسكندر الاعظم ولى ابوه فليبيش الملك في بلاد مقدونية (ويقال مقدونية) خمس وعشرين سنة استتبط فيها ضر وبامن المكر وابتدع انواعا من الشر تقدم فيها كل من ولى الملك بها قبله * وكان في اول امره قد جعل له أخوه الاسكندر رهينة عند أمير من الروم فأقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب الفلسفة فلما قتل أخوه الاسكندر واجتمع الناس على تولية فليبيش فولوه أميراً فقام في السلطان مقاماً عظيماً فخارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية فقتل بها من الناس آلافاً وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا يقاد وجيش لا يرام فأذل جميع الروم وذهبت عينه في بعض الحروب وغمر البلدان والمدائن عماره وهدمها وسببها واتها بانهم حشد جميع اهل بلاد الروم وعبي عسكريا فيه مائتا ألف راجل وخمسون ألف فارس سوى من كان فيه من اصحابه المقدونيين ومن غيرهم من اجناس اليونانيين يريدهم والفرس * فيبناها وجمع هذا الجمع نظر في تزويج ابنة له يقال لها قلو بطره من ختنه أخي امرأته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس بيومين يحدث قواده اذ سئل عن اى الموتات احق أن يمتساها الانسان فقال الواجب على الرجل القوى الظافر المجرب يريد نفسه أن لا يمتنى الموت الا بالسيف فجأة لئلا يعذبه المرض وتحمل قوته الاوجاع فيجمل له ما تنى في ذلك العرس وذلك أنه حضر اعبا كان على الخيل بين ولده الاسكندر وختنه الاسكندر فيبناها في ذلك غافله أحد أحداث الروم بطعنة فقتله بها نائراً بأبيه عندما تمكن منه منفردا فولى الاسكندر الملك بعد أبيه فليبيش وكان اول شيء اظهر فيه قوته وعزمه في بلاد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين الى طاعة الفرس فدرسهم واستأصلهم وخرّب مدنهم وجعلهم سبياً مبيعاً وجعل سائر بلادهم وكورهم تؤدى اليه الخراج ثم قتل جميع أختانه واكثر قاربه في وقت تعبته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكريه اثنين وعشرين ألف فارس وستين ألف راجل وكانت من اكبه خمس مائة مركب وثمانين مركباً فخرّب به هذه العدة بكار ملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية

ودخل بيت المقدس وقرب فيه لله تعالى قربانا وخرج يريد محاربة دارا وكان في عسكر دارا ملك الفرس في اول
ملاقاة اياه ستمائة ألف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك على الفرس وقعة شنعاء ونكبة دهياء قتل
فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الا مائة وعشرون فارسا وتسعون راجلا * ومضى
الاسكندر ففتح مدائن وانهب ما فيها فبلغه ان دارا قد عصى واقبل نحوه بجميع عظيم خفاف ان يلحقه في ضيق
الجبال التي كان فيها فقطع نحوها من مائة ميل في سرعة عجيبه حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط
البرد حتى اقتبض عصبه فلا فاه دارا في ثلثمائة الف راجل ومائة الف فارس فلما التقى الجمع ان كاد الاسكندر
يفتر لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ووقع القتال بينهما وباشر القواد الحرب بأنفسهم وتنازل الابطال
واختلف الطعن والضرب وضاق الفضاء بأهل فباشر كلا الملكين الحرب بأنفسهم دارا والاسكندر وكان
الاسكندر اكل اهل زمانه فروسية واشجعهم وأقواهم جسما فباشرا حتى جرحا جميعا وتمادى الحرب بينهما
حتى انهزم دارا ونزلت الوقعة بالفرس فقتل من راجلهم نحو من ثمانين ألفا ومن فرسانهم نحو من عشرة آلاف
وأسر منهم نحو من اربعين ألفا ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان وثلاثون راجلا ومائة وخمسون فارسا
فانهب الاسكندر جميع عسكر الفرس وأصاب فيه من الذهب والفضة والامثلة الشريفة ما لا يحصى كثرة
وأصيب من جملة الاسارى أم دارا وزوجته واخته وابنتاه فطلب دارا من الاسكندر فديتهن بنصف ملكه
فلم يجبه الى ذلك فعبى دارا مرة ثالثة وحشد الفرس عن آخرهم واستجاش بكل من قدر عليه من الامم فبعث
الاسكندر قائدا في أسطول للغارة على بلاد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فتلقاه هناك ملوك الديار خاضعين
له فغفعا عن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احرار طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشأن
وأهلها قندوثقوا بعبون اهل أفرقية لهم لصهر كان بينهم فحاصروهم فيها حتى اقتحمها ومضى منها الى رودس وإلى
مصر فانهب الجميع وبني مدينة الاسكندرية بأرض مصر وقال هرودوتس في بنيانها أخبار طويلة
وسياسات كرهنا تطويل كتابها * ثم ان دارا لما ينس من مصالحة أقبل في أربع مائة ألف راجل
ومائة ألف فارس فلقى الاسكندر مقبلا من ناحية مصر في أعمال مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجيبه
شنيعة اجتهدا من الروم على ما كانوا خبروه واعتاذا من الغلبة والظفر واجتهدا من الفرس بالتوطين
على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فقلما يحكى عن معركة كان القتل فيها اكثر منه في تلك المعركة
فلما نظر دارا الى اصحابه يتغلب عليهم ويمزقون عزم على استجبال الموت في تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر
حتى يقتل معترضا للقتل فلطف به بعض قواده حتى سلوه فانهم وذبحت قوة الفرس وعزهم وذل بعدها سلاطنتهم
وصار بلاد المشرق كله في طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة أربع مائة عام وخمسين عاما واشتغل الاسكندر
بتحصيل ما أصاب في عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على عسكره ثلاثين يوما ثم مضى الى مدينة الفرس التي
كانت رأس مملكتهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها ونهب ما فيها فبلغه عن دارا انه صار عند
قوم مكبلا في كبول من فضة قهيا وخرج في ستة آلاف فوجد بالطريق مجر وحاجرات كثيرة فلم يلبث ان
هلك منها فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمروية له وأمر بدفنه في مقابر الملوك من اهل مملكته وكان في أمر هذه
الثلاث معارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اعتد اذ قتل فيها من اهل مملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف ألف بين
راكب وراجل من اهل بلاد آسيا وهى العراق وقد كان قتل من اهل تلك المملكة قبل ذلك بنحو من ستين سنة
نحو تسعة عشر ألف ألف الى ألف مائتين راجل من اهل بلاد العراق والشام وطرسوس ومصر
وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين دورهم الاسكندر أجمعين وكان سلطان الدنيا مقسوما بين قواده بعد
ما زلزل بدواهم العظيمة العالم كله وعم اهل بعض بالانبايا الفظيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لاهوالها وأوصى
عند وفاته أن يلقب كل قائم في اليونانيين بعده ببطليموس ثم ولا للاعداء لان معناه الحربى فهذه هو الصحيح
من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه * ويقال انه كان أشقر أزرق وهو أول من سمر باللبل وكان له قوم
يضحكونه ويحكون له الخرافات يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك في السمر واتخاذ
المضحكين والمخترفين

قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بنبي القرنين على سني الروم
وعليه عمل اكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس * ولما ورد بيت
المقدس امر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه
واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد ان عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول وقت تحرك ليتموا
الف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستمعين له وعليه عمل اليونانيون
وكافوا قبله يورخون بخروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب * وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول
تشرين الاول وموافق اليوم الرابع من بابه ومبادئ الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى
أن يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كل يوم بيليته ومبادئ الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه
دائما وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه أسماءها وعدد أيام كل شهر منها
(تشرين الاول) أحد وثلاثون يوما (تشرين الثاني) ثلاثون يوما (كانون الاول) أحد وثلاثون يوما (كانون
الثاني) أحد وثلاثون يوما (شباط) ثمانية وعشرون يوما (آذار) أحد وثلاثون يوما (نيسان) ثلاثون
يوما (ايار) أحد وثلاثون يوما (حزيران) ثلاثون يوما (تموز) أحد وثلاثون يوما (آب) أحد وثلاثون
يوما (أيلول) ثلاثون يوما فسبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوما وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوما
وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين
يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عددا أيام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع
يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوما ويسمونها السنة الكبيسة وانما زادوا الربع في كل
سنة ليقترب عددا أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى امورهم على نظام واحد فتكون شهور
البرد وشهور الحر وأوان الزرع ولقاح الشجر وجنى الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك
البيئة وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر
هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما وبين
يوم الجمعة اول يوم من الطوفان ألف سنة وسبعمائة سنة واثنان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما
وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين اول تاريخ الاسكندر أربع مائة وخمسة وثلاثون سنة شمسية ومائتا يوم
وثمانية وثلاثون يوما * وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية الشهر المسمى
تموز فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كان له قصة بحبيبة طويلة وهو أنه دعاه ملكا الى عبادة
الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وان الملك قتله وعش بعد القتل ثم قتله قتلات بعد ذلك فبيحة وفي كلها
يعيش ثم مات في آخرها وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين
كانوا مكان اقليم بابل قبل الكسديين وذلك أن تموز هذا ليس من الكسديين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين
ولا الجرامقة وانما هو من الحزناسيين الاولين ولذلك يقولون في كل شهورهم انما اسماء رجال مضوا وان تشرين
الاول وتشرين الثاني اسماء أخوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول وكانون الثاني وان شباط
اسم رجل نكح ألف امرأة أبكارا كهنت ولم ينسل نسلا ولا ولد ولدا فجعلوه في آخر الشهور لنقصانه عن النسل
فصار النقصان من العدد فيه والصابئون من البابليين والحزناسيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون على
تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعتدون تعديدا عظيما وخاصة النساء فانهم يثمن
ههنا جميعا وينحن ويبكين على تموز ويذبن في أمره ههنا طويلا وليس عندهم علم من أمره اكثر من أن يقولوا
هكذا وجدنا سلافنا ينوحون ويكون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز والنصارى تذكر أنهم يعملونه
لرجل يسمى جورجيس أحد حواري عيسى عليه السلام دعاه ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بثلث
القتلات فلا أدري وقع الى النصارى قصة تموز فأبدلوا مكان اسم جورجيس وخالفوا الصابئين في الوقت لان
الصابئين يعملون ذكران تموز اول يوم من شهر تموز والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان ويقال ان
بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهورهم كانت الى زمانه عشرة أشهر كل شهر

سنة وثلاثون يوما * ويقال ان فيوفوس اول من ملك مدينة رومية وانه أقام ملكا ثلاثا وأربعين سنة وزاد
كانون الثاني وشباط في شهور الروم بحكم انها كانت الى ذلك الزمان عشرة أشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما وكان
سبب نقص شباط يومين وقوع غارة في ايام فيطن رئيس جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فروريوس آلت
الى نصرة فيطن وأخذ مملكة الروم وامر بفروريوس فنودي عليه اعيان مدينته وتفسيره اخرج ياشباط ثم غرق
في البحر وسما شهر شباط فروريوس ليكون تذكار سوء له فان هذا الفعل كان في يومى التاسع والعشرين
والثلاثين من شباط فنقصوهما من شباط وزادوهما في تموز وكانون الثاني فجعلوا كل شهر منهما احدا وثلاثين
يوما ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال لا يحسن أن يكون شباط في وسط السنة فنقله الى آخرها ولم يزل
الروم من ذلك الوقت يطهرون من شباط

* ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهم ارجلان *

اعلم أن التحقيق عند علماء الاخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله في كتابه العزيز فقال ويسألونك عن ذى القرنين
قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكأله في الارض وآتيناه من كل شئ سبيبا الايات عربى قد كثر ذكره في أشعار
العرب وأن اسمه الصعب بن ذى مرثد بن الحارث الرأش بن الهمال ذى سد بن عاد ذى منح بن عامر الملقاط
ابن سكك بن وائل بن حجير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن ارنخش بن سام بن
نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك حير وهم العرب العاربة ويقال لهم ايضا العرب العرباء وكان ذوا القرنين تبعا
متوجا واماولى الملك تجبر ثم نواضع لله واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فاميش هو ذوا القرنين
الذى بنى السد فان لفظة ذو عربية وذوا القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذلك روى يونا في قال ابو جعفر
الطبري وكان الخضر في ايام افريدون الملك بن الضحاك في قول عامة علماء اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن
عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام
وان الخضر بلغ مع ذى القرنين أيام مسيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذوا القرنين ولا من معه
نخلد وهو حي عندهم الى الآن وقال آخرون ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو
افريدون بن الضحاك وعلى مقدمته كان الخضر * وقال ابو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان في معرفة
ملوك الزمان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى ذكرناه وكان تبعا متوجا لى الملك تجبر ثم نواضع واجتمع بالخضر
بيت المقدس وسار معه مشارق الارض وغاربها وأتى من كل شئ سبيبا كما اخبر الله تعالى وبني السد على
يا جوج ومأجوج ومات بالعراق * وأما الاسكندر فانه يونانى ويعرف بالاسكندر المجذونى (ويقال المقدونى)
سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذى القرنين من كان فقال من حير وهو الصعب بن ذى مرثد الذى مكنه الله
تعالى في الارض وآناه من كل شئ سبيبا فبلغ قرن الشمس ورأس الارض وبني السد على يا جوج ومأجوج
قيل له فلا سكندر قال كان رجلا صالحا روميا حكيميا بنى على البحر في افرقية منارا وأخذ أرض رومة وأتى بحر
الغرب وأكبر عمل الآثار في الغرب من المصانع والمدن * وسئل كعب الاخبار عن ذى القرنين فقال الصحيح
عندنا من أخبارنا وأسلافنا انه من حير وانه الصعب بن ذى مرثد والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد
عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم ما ورجال الاسكندر أدركوا المسيح ابن مريم
منهم جالينوس وأرسطاطاليس * وقال الهمداني في كتاب الانساب وولد كهلان بن سبأ زيدا فولد زيد عريبا
وما لكوا غالب وعمي كرب وقال الهيثم عمي كرب بن سبأ أخو حير وكهلان فولد عمي كرب أبنا ملك فدرحا
ومهييل ابني عمي كرب وولد غالب جنادة بن غالب وقدم ملك بعد مهيليل بن عمي كرب بن سبأ وولد عريب عمرا فولد
عمرو زيدا والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو ذوا القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير
نحن ذابعدنا من الناس معشرا * كراما فذوا القرنين منا وحاتم

وفيه يقول الجارقي

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه * في الجاهلية لاسم الملك محمدا
كاتبين وذى القرنين يقبله * اهل الحلي فأحق القول ما قبله
وفيه يقول ابن ابي ذئب الخزاعي

ومنا الذي بالخافقين تغربا * واصعد في كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا * وفي ردم بأجوج بني نمصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حجير * بعسكر قبل ليس يحصى فيحسبا

قال الهمداني وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربيعة بن الجبار بن مالك
وفي ذي القرنين أقاويل كثيرة وقال الامام نضر الدين الرازي في كتاب تفسير القرآن الكريم ومما يعترض به
على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس بأمره ياتر وبهيه ينتهي
واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبى فكيف يقتدى نبى بأمر كافر في هذا الاشكال * وقال
الجاحظ في كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وابوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى
الله عنه رجلا ينادى رجلا ذا القرنين قال افرغتم من اسماء الانبياء فارفعتم الى اسماء الملائكة وروى المختار
ابن ابي عبيدان عليا رضى الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط والله اعلم

* (ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر) *

قال في كتاب هروشيوش ان الاسكندر ملك الدنيا اثنتي عشرة سنة فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته
فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذي ألقى صيده بين يدي اشباله
فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده وذلك انهم اقتسموا البلاد فصارت مصر وافريقية كلها وبلاد الغرب الى قائد
وصاحب خيله الذي ولي مكانه وهو بطليموس بن لاوى ويقال بطليموس بن اربنا المنطقي وذكر بقية ممالك القواد
من اقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ثم قال فنارت بينهم حروب وسيدها رسالة فكانت خرجت من عند
الاسكندر بأن يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق والعبودية فاستنقل ذلك ملك بلاد الروم
اذخاف أن يكون الغرباء والمنفيون اذ ارجعوا الى بلدانهم ومواطنهم يطلبون النعمة لانفسهم فكان هذا
الامر سبب خروجهم عن طاعة سلطان المجدونين * وقال غيره وبطليموس هذا سبي بنى معتد بعد ما غزا فلسطين
ثم اطلقهم وحباهم بأثمة جوهر وضعت في بيت المقدس وملاك عشرين سنة وقال غيره ولي اربعين سنة
وقيل ثمانيا وثلاثين سنة وقيل ان اسمه فيلدلفوس وهو محب الاب وكان مجديا وهو الذي غنم اليهود
ونقل كثير منهم الى مصر وفي زمانه كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا وأقبل برديقا أحد
قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم ففترق سلطان مجديا على قسمين ثم ان بطليموس
جمع عساكر مصر وافريقية ولاقي برديقا فهزمه وأصاب عسكره ثم قتله وأصاب ما كان معه وحارب عدة
من قواد الاسكندر * وقال غيره وكان بطليموس هذا حكيما عالما شابا مدبرا وهو أول من اقتنى البزاة ولعب
بها وضرها وكان من قبله من الماول لا يلعب بها * ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطليموس الثاني واسمه
فيلوذوفوس ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وهو الذي أطلق اليهود الذين كانوا
أسורים بأرض مصر وردة الاواني المقدسة على عزيز النسي وهو الذي تخير السبعين مترجما من علماء
اليهود الذين ترجوا كتب التوراة والانبياء من اللسان العبراني الى اللسان الرومي اليوناني واللاتيني وكان
فيلسوفاً منجما ومات فولى بعده ابنه بطليموس اوراخيطة المعروف بحب الاب ستاوعشرين سنة * ثم ولي
بعده أخوه بطليموس فيلو بطور سبع عشرة سنة وهو الذي قتل من اليهود نحو اثنى عشر ألفا وغلب
عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي * ثم ملك بعده ابنه بطليموس أسفاميش
محب الام أربعاً وعشرين سنة * ثم ولي بعده ابنه بطليموس فلونا طره وهو الصانع خساو ثلاثين سنة وهو
الذي غلب ملك الشام وحمل اليهود انواع البلاء والعذاب * ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابرياطيش
وهو الاسكندراني تسعاً وعشرين سنة وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترفت مدينة
قرطاجنة بالنار وأقامت النار فيها سبعة عشر يوماً فهدمت وحولت أساساتها حتى صار خام أسوارها
غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنائها وبيع جميع أهلها رقيقا الا قليلا من خيارهم وأشرفهم وكان
المتولى لتخريبها قواد رومة * ثم ولي بعده ابنه بطليموس شوطار الذي يقال له الحديس سبع عشرة سنة وكان
قبيح السيرة تزوج بأخته ثم فارقها على أقيع حال مما تزوجها عليه في خبر له ثم تزوج ربيته التي كانت بنت

أخته ثم تزوجها من ابنه المولود له من اخته وكثرت فواحيه حتى نقاه اهل الاسكندرية ثمان منقما * وولى
 أخوه بطليموس الاسكندر وهو الخوالع عشر سنين * ثم ولى بعده ابنه بطليموس ديوشيس ثمانا وثلاثين سنة
 وفي زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس وجعل اليهود يؤدون اليه الجزية * وظهرت في ذلك الزمان
 علامات في السماء مهولة منها انه ظهر في السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة بمائلي ناحية الجنوب نار
 ملتهبة عظيمة وكسر قوم خبزا في صنع لهم فانفجر من الخبز دم سائل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة ايام متواالية برد
 كان يوجد في داخله حجارة وشقاق وانفتحت الارض فصار فيها غور عظيم وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه
 بالغ السماء ونظر أهل رومة يومئذ الى عود من الارض الى السماء لونه لون الذهب وكان من عظمه تكاد الشمس
 أن تغيب منه * ثم ولى الاسكندرية بعده كلوباطرة ستين فدامت مملكة الاسكندرية وهي الدولة المجدونية
 الى اول ملوك قيصر الذي هو اول ملوك الرومانيين مائتين وأحدى وثمانين سنة فبعث قيصر قائدين بعساكر كثيرة
 لفتح مصر فتزوج أحدهما كلوباطرة ابنة ديوشيس الملقب بطليموس وقتل القائد الآخر وخالف قيصر فصار
 اليه قيصر بنفسه وجرت امور آت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل
 كلوباطرة وولدها وقتل القائد الذي تزوجها ويقال بل سميت نفسها عند ما تيقنت غلبة قيصر لها ويقال انها كانت
 ذات حزم ومعرفة وتدبير وانما حفرت خليج الاسكندرية وأجرت فيه الماء من مصر وبنت بالاسكندرية أبنية
 عجيبه منها هيكل زحل وعملت فيه صمامان نحاس اسود وكان اهل مصر والاسكندرية يعملون له عيدا في اليوم
 الثاني والعشرين من هاتور ويحج اليه اليونانيون من سائر الاقطار ويذبحون له ذبائح لا تحصى كثيرة فلما ظهرت
 حلة النصر في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى أن هدمها جيوش المعزدين الله عند
 قدومهم من المغرب الى أرض مصر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة من سني الهجرة النبوية * ويقال ان كلوباطرة
 هي التي بنت حائط المجوز بمصر ويشبه أن يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقبلا ساجدة ابيها ومقبلا ساجدة
 بأنصا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنة وليس بصحيح وبموت كلوباطرة انقطعت مملكة مصر وصارت تحت
 يدمولوك الروم من اهل مدينة رومة ثم تحت يدمولوك الروم من اهل قسطنطينية فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من
 قبلهم من شاءوا فيصير الى الاسكندرية ويقيم بها الى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن
 والاسكندرية وجميع أرض مصر ويقال معنى كلوباطرة الباطنة فكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة
 البطالسة من الاسكندرية وقدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستمائة سنة وبضعا وسبعين سنة وفي
 خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القياصرة وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على أرض
 مصر والاسكندرية في أيام كسرى أبرويز بن هرمز فبعث قائدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم
 وأقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استبهر قتل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال
 من سائر مملكته اخذ جمعا ودمشق وسار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس فأمر ببنائها وسار منها الى أرض
 مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس وأقام بها بطريقا ثم عاد الى قسطنطينية فاستقرت مصر بعده
 تحت ابدالة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل بناء بمصر من آجر فهو للفرس وما فيها من بناء حجر فهو للروم
 والله أعلم

* (ذكر منارة الاسكندرية) *

قال المسعودي فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين من عني بأخبار بلدهم
 أن الاسكندر بن فيليبش المقدوني هو الذي بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة بنتها وجعلتها من قبلها يرد من
 العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها ومنهم من رأى أن الذي بنى
 مدينة رومة هو الذي بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر
 لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فظهرت به وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا
 والاسكندر لم يطره في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه في بلده ويعزوه في داره فيكون هو الذي جعلها
 من قبلا وان الذي بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان
 الذي هو داخل في البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تماثيل قد أشار بسببها من يده

البقي نحو الشمس ايما كانت من الفلك واذا علت في الفلك فأصبغ به يشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده
 سفلا تدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو قومه على نحو من ليله فاذا دنا وجاز أن
 يرى بالبصر اقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين او ثلاثة فيعلم اهل المدينة أن
 العدو قد دنا منهم فيرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف
 ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب * وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ
 خادما من خواص خدمه ذارأى ودهاء فجاء مستأمنا الى بعض الثغور فوردبأ كة حسنة ومعه جماعة فجاء
 الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وأنه أراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها اصل وأنه استوحش
 ورغب في الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرّب من قلبه وتصح اليه في دفاش استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها
 من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفاش فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه
 واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان هاهنا اموالا وجواهر ودفاش للملوك فسأله الوليد عن الخبر
 فقال تحت منارة الاسكندرية اموال ملوك الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التي
 كانت لشذاذ بن عاد وملوك مصر فبنى لها ازجا تحت الارض وقنطر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها
 تلك الذخائر من العيين والورق والجواهر وبني فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرآة في
 علوه والديابة جلوس حوله فاذا انظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرأة صوتوا لمن قرب منهم ونشروا اعلاما
 فيراها من بعد منهم فتخذر الناس وتندر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم يجيش
 واناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من اعلاها وازيلت المرأة فضج الناس من هذا وعلموا انها مكيدة
 وحيلة في امرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينم الى الوليد وأنه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل
 في مركب كان قد أعده وواطأ على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين
 وثلاثين وثمناة وكان حوالى منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر يتخذ منه فصوص
 للجواهر انواعا من الجواهر يقال ان ذلك من آلات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرت أمه ورمت بها
 في تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغزقه حول المنارة لكيلا
 تخلو من الناس حوالها الا من شأن الجواهر أن يكون مطلوباً أبدا في كل عصر ويقال ان هذه المنارة انما
 جعلت المرأة في اعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان
 بالاسكندرية من الملوك تلك المرأة ترى من يرد في البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا
 بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر
 في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتأهوا فيها وفي طرق توول الى مهاوتهم
 الى السرطان الزجاج وفيه مخارج الى البحر فتهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان
 تهوّرهم كان على كرسى لها اقتامها وفي المنارة مسجد في هذا الوقت يربط فيه مطوعة المصريين وغيرهم
 وفي سنة سبع وسبعين وسبع مائة سقطت راس المنارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة
 مهندمة مضببة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سلطان وكان في المنارة ثلثمائة بيت
 بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحملها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذه البيوت طاقات تشرف
 على البحر وكان على الجانب الشرقي من المنارة مكتبة عرّبت فاذا هي بنت هذه المنظرة قريبا بنت مرسوس
 اليونانية (صد الكواكب * وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار مصر ايم بن يعصر بن حام بن نوح وبنيوا على
 البحر مدنا منهار قوذة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبّة مذهب
 ونصبوا فوقها منارة عليها امرأة من اخلاط شقي قطرها خمسة اشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا
 قصدهم قاصد من الامم التي حوالهم فان كان مما يهيمهم ومن البحر عملوا تلك المرأة عملا فالت شعاعها على ذلك
 الشيء فاحرقته فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها البحر فنسفها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة الذي كان شيئا
 بها وقد كان ايضا عليه امرأة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتمل بعض ملوك الروم فوجه من أزالها
 وكانت من زجاج مدبر * وقال المسعودي في كتاب التنبية والاشراف وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن

يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيمه الى برقة في سنة ثمان وأربعين ومائتين صار الى الاسكندرية من بلاد مصر
فراى حجرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب فقد رآه يلزمه أن لا يفطر اذا كان صائماً او تغرب الشمس
من جميع أقطار الارض فأمر انساناً أن يصعد الى اعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط
الشمس فاذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشاء الاخرة ففعل
افطاره بعد صلاة العشاء الاخرة فيما بعد اذا صام في مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى سر من رأى لا يفطر
الا بعد عشاء الاخرة وعنده أن هذا فرضه وأن الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرص
ومجاري الشرق والغرب وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصيفي
جبلًا شامخًا جدًا وأن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل
الصبح ثلاث ساعات * ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين
بعد وفاة الاسكندر بن فيلديس الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر فعملوا هذه المنارة
مرقباً في أعمالها مرآة عظيمة من نوع الاحجار المشقة ليشاهد منها مراكب البحار اذا اقبلت من رومة على مسافة
تجزأ البصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك في تلك المرآة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول المنارة في هذا
الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعاً وكان طولها قديماً نحو مائة ذراع فهدمت على طول
الازمان وتزاد الزلازل والامطار لان بلد الاسكندرية قار وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر اذا كان
الاجلب عليها أن لا قطر الا اليسير وبنائها ثلاثة اشكال فقريب من النصف وأكثر من الثلث مربع الشكل بناؤه
بأحجار يرض يكون نحو مائة ذراع وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد ذلك من الشكل مبني بالحجر
والحص نحو مئتين ذراعاً وحواليه فضاء يدور فيه الانسان وأعلىها مدور * وكان أحد بن
طولون رمت شيئاً منها وجعل في اعلاه قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهي مبسوطة مورية بغير درج
وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر
ومقدارها على جهة الارض نحو مائة ذراع وماء البحر قد بلغ اصلها وقد كان تهتم احداً كانها
الغربية مما يلي البحر فبناها ابو الجديش بخاريه بن احمد بن طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا الوقت
نحو مئتين ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبتيه وهي مبنية على فم ميناء الاسكندرية وليس
بالميناء القديم لان القديم في المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب لبعده عن العمران والميناء هو الموضع
الذي ترسى فيه مراكب البحر * وأهل الاسكندرية يخبرون عن اسلافهم انهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحو
مما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت فغلب عليه ماء البحر في المدة المسيرة وان ذلك في زيادة قال وتهتم في شهر
رمضان سنة اربع وأربعين وثلثمائة نحو مئتين ثلاثين ذراعاً من اعاليها بالزلة التي كانت يبلد مصر وكثير من بلاد
الشام والمغرب في ساعة واحدة على ما وردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدًا
مهولة قطيعة اقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت ثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو
الخامس من كانون الآخر والتاسع من طوبة وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خميس العدس يخرج سائر أهل
الاسكندرية الى المنارة من مساكنهم بما كلهم ولا بد أن يكون فيه عرس فيفتح باب المنارة ويدخله الناس فتم
من يدكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على
البحر من هجوم العدو * وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركب السفن تلك
النار على بعد فاذا رأى أهل المنار ما يريهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا رآها الحرس ضربوا الابواق
والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو * ويقال ان المنار كان بعيداً عن البحر فلما كان في أيام
قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكأش عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها
بعد ذلك وياخذ منها شيئاً بعدئذ * وذكر بعضهم أنه فاسه فكان مائتي ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وهي ثلاث
طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة واحد وعشرون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثانية مربعة
وهي احدى وعشرون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثالثة مدورة وهي احدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً *
وذكر ابن جبير في رحلته أن منار الاسكندرية يظهر على ازيد من سبعين ميلاً وانه ذراع احدى جوانبه الاربعة

في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فأناف على خمسين ذراعاً واثني عشر طول المناراً يزيد من مائة وخمسين قامة وفي أعلاه
مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه * وقال ابن عبد الحكم ويقال أن الذي بنى منار الاسكندرية كلوا بطرة المملوك
وهي التي ساقت خيلها حتى أدخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها إنما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة
السكرىون خفرته حتى أدخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعه * ولما استولى احمد بن طولون على
الاسكندرية بنى في أعلى المنار قبة من خشب فأخذتها الرياح وفي أيام الظاهر بيبرس تدعى بعض أركان المنار
وسقط فأمر ببناء ما تهدم منه في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وبني مكان هذا القبة مسجد أوهدم في ذي
الحجة سنة اثنتين وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ثم بنى في شهر سنة ثلاث وسبعمائة على يد الأمير ركن الدين
بيبرس الجاشنكير وهو باب إلى يومنا هذا ولله در الوجهية الدروري حيث يقول في منار الاسكندرية

وسامية الأرجاء تمدي أخطا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلم
ابست بها بردا من الانس صافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظلتني من ذراها بقبلة * ألا حظ فيها من صحابي النجما
نخيل أن البحر تحت غمامة * وأني قد خيمت في كبد السما

وقال ابن قلاؤس من أبيات

ومنزلة جاوز الجوزاء مرتقيا * كأنما فيه للنسر ين أو كابر
راسي القرارة ساعى الفرع في يده * للنسور والنور أخبار وأخبار
أطلقت فيه عنان النظم فاطردت * خيل لها في بديع الشهر مضمار

وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبدربه

لله در منار اسكندرية كم * يسهر اليه على بعد من الحدق
من شاخ الانف في عرينه شمم * كأنه ياهت في دارة الاق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كوقع النوم في أجفان ذي أرق

وقال عمر بن أبي عمر الكندي في فضائل مصر ذكر اهل العلم أن المنارة كانت في وسط الاسكندرية حتى غلب
عليها البحر فصارت في جوفه ألا ترى الابنية والاساسات في البحر الى الآن عيانا * وقال عبد الله بن عمرو عجائب
الدينا أربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس المجلس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما
عرض البحر وذكر الثلاثة

* (ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره من العجائب) *

قال القاضي ومن عجائب مصر الاسكندرية وما بها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسواري والملعب الذي
كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بأكره فلا تقع في حجر أحد الملوك مصر وحضر عيداً من أعيادهم
عمرو بن العاص فوقعت الكرة في حجره فملك البلد به ذلك في الاسلام ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس
فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعاً او لعب لون من اللعب رأوه عن
آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلية * وقال ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة
من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحياة خلا به عمرو بن العاص واستأذنه في المسير الى مصر
وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها أنه قدم الى
بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش فاذا هم بشمس من شماسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت
المقدس فخرج في بعض جبالها يسبح وكان عمرو يرى ابله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوباً بينهم فبينما هم
يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاها فسقاها عمرو
من قربته فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية
عظيمة فبصر بها عمرو فترع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد أنجاه الله منها فقال لعمر
ما هذه فأخبره عمرو انه رماها فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحيا في الله بك مرتين مرة من شدة
العطش ومرة من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لي نطلب الفضل في تجارة فقال له

الشماس وكم ترأى ترجو أن نصيب في تجارتك قال رجاءى أن أصيب ما اشتري به بعيرا فاني لا املك الا بعيرين
فأمل أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبخرة فقال له الشماس أرايت دية احدكم بينكم كم هي قال مائة من الابل
فقال له الشماس اسسنا اصحاب ابل انما نحن اصحاب دنائير قال تكون ألف دينار فقال له الشماس انى رجل
غريب في هذه البلاد وانما قدمت أصلى في كنيسة بيت المقدس وأسيح في هذه الجبال شهر اجعلت ذلك نذرا على
نفسى وقد قضيت ذلك وأنا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك أن تتبعنى الى بلادى ولك على عهد الله وميثاقه
أن أعطيك ديتين لأن الله عز وجل احببني بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها
الاسكندرية فقال له عمرو ولا أعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لودخلتها علمت انك لم تدخل قط مثلها فقال
له عمرو وتبلى بما تقول ولى عليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك والله على العهد والميثاق أن انى
لك وأن أردك الى اصحابك فقال له عمرو وكم يكون مكثى في ذلك قال شهر اطلق معى ذاهبا عشر اوتقيم عندنا
عشرا وترجع في عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرنى
حتى اسأرا اصحابى في ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيمون على حتى
ارجع اليكم ولكم على العهد أن أعطيكم شطردلك على أن يصحبني رجل منكم أنس به فقالوا نعم وبعضوا معه رجلا
منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس حتى اتوها الى مصر فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من
الاموال والخير ما أعجبه فقال عمرو للشماس ما رأيت مثل ذلك ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة
ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بناتها وكثرة اهلها فازداد عجبها ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها
عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأنصارهم ولهم كورة من ذهب مكللة يتراعى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأ كما هم وفيها
اختبروا من تلك الكورة على ما وصفها من مضى منهم انهم وقعت الكورة في كفة واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم
فلما قدم عمرو والاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه اياه وجلس عمرو والشماس
مع الناس في ذلك المجلس حيث يتراعى بالكورة وهم يتلقونها بأ كما هم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى
وقعت في كم عمرو فحبسوا من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الكورة الا هذه المرة أتري هذا الاعرابى يملكنا هذا
ما لا يكون أبدا وان ذلك الشماس منى في اهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياء مرتين وانه قد ضمن له ألفى
دينار وسألهم أن يجتمعوا ذلك فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعت معهما الشماس
دليلا ورسولا وزودهما وأكرهما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فما قبل ذلك عرف عمرو مدخل مصر
وتخرجها ورأى منها ما علم انها أفضل البلادواكثرها مالا فلما رجع عمرو الى اصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف
دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو وكان اول مال اعتقده وتأثله

* (ذكر عمود السوارى) *

هذا العمود حجر أحمر منقط وهو من الصوان الماتع كان حوله نحو أربع مائة عمود كسرها قراجا الى الاسكندرية
في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ورماها بشاطئ البحر ليوعر على العدو سلوكه اذا قدموا ويذكر أن
هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذى كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه
خزانة كتب أحرقتها عمرو بن العاص بإشارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويقال ان ارتفاع هذا العمود
سبعون ذراعا وقطره خمسة اذرع وذكر بعضهم أن طوله بقاعدته اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على
نشر طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع فجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلاث ذراع وطول قاعدته
السفلى اثنا عشر ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة اذرع ونصف * قال المسعودى وفي الجانب الغربى
من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر فما
العمود والقواعد والرؤس التى يسميها اهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فقلت نقرها الا قولون قبل حدوث
النصرية بمئين من السنين ومنها العمود التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله
وقد رأيت في جبل اسوان أخا هذا العمود وقد هندس ونقروا لم يفصل من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه وانما كانوا
ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى * وكان بالاسكندرية من العمود العظيم
فأنواع الحجارة والرخام الذى لا تقل القطعة منه الا بألوف من الناس وقد علق بين السماء والارض على فوق

المائة ذراع وفوق رؤس أساطين دائرة الاسطوانة مابين الخمسة عشر ذراعا الى العشرين ذراعا والجرف فوقه عشرة اذرع في عشرة اذرع في ستمائة اذرع بغرائب الالوان * وكان بالاسكندرية قصر عظيم لا نظير له في معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من اعظم بناء واتقنه كل عضادة منه حجر واحد وعتبه حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلهما عظمتها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها قاذف حجر وعليها رأس محكم الصناعة يدل على انه كان فوق ذلك بناء وتحتها قاعدة حجر أحمر محكم الصناعة عرض كل ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة في عمود من حديد قد خرقت به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك ورجما وضع تحتها الحجارة فطعنتم لشدتها حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدي عجائب الدنيا وقد زعم قوم انها مما عملها الجن لسليمان بن داود عليه ما السلام كما هي عادت في نسبة كل ما يستعظمون عمله الى انه من صنيع الجن وليس كذلك بل كانت مما عملها القدماء من اهل مصر * وكان في وسطه قبة ومن حولها أساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام ابيض كأحسن ما أنت راء من الصنائع * ويقال ان بعض ملوك مصر دخل الاسكندرية فأعجب به هذا القصر وأراد ان يبني مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقولوا له قصر اعظما على هيئته فاسمهم الامن اعترف بجحزه عن مثله الاشياء منهم فانه التزم أن يصنع مثله فسمي الملك ذلك وأذن له في طلب ما يحتاج اليه من المون والالات والرجال فقال انشؤني بشورين مطيقين وعجلة كبيرة فللحال أتى بذلك فغضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا أخرج منه بحجمه عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فاجرتها الثوران مع قوتها ما الابد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدي الملك قال أصليح الله سيدنا ان أتيتني بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس عملت لك مثل هذا القصر فتيقن الملك عند ذلك بحزأهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر * وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يزن به اللحم زنته ثمانية اربطال * ويقال ان عمود السوارى الموجود الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتى بأحدها البتون بن مرة العادي وهو يحمله تحت ابطه من جبل بريم الاحمر قبلي اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان ضعيف القوى في قومه فشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاد وقال ليتني فديته بنصف ملكي وجاء بعمود آخر بحدرد بن سنان التودى وكان قويا فحمله من اسوان تحت ابطه وجاء بقيمة رجالهم كل رجل بعمود فأقام العمود السبعة الحارود بن قطن المؤتقي وكان بناءها بعد أن اختاروا لها طالع السعيد كما هي عادت في عاصمة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الصخور في القديم من الدهر كانت تلبس بعمل منها أعمدة ناعط ومارب وبنون وماترا لهن وأعمدة دمشق ومصر ومدن وتدمر وان كل شيء كان يتسكلم قال أمية بن ابي الصلت

واذهب لللبوس لهم عراة * واذهبوا للسلام لهم رطاب

وقال قوم عمود السوارى من حلة أعمدة كانت تحمل روافا يقال له بيت الحكمة وذلك حيث انتهت علوم اهل الغرب الى خمس فرق وهم اصحاب الرواق هذا واصحاب الاسطوانة وكانوا يعلبك واصحاب المظال وهم باظاكية واصحاب البرابي وكانوا بصعيد مصر والمشائرون وكانوا بمقدونية وكانى بن قل عليه ينكر على ايراد هذا الفصل ويراد من قبيل الحال ومما وضعه القصاص ويجزى بكذبه فلا يؤحسنك حكايتي له واسمع قول الله تعالى عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة اى طولا وعظم جسم قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم سستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال ان كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصر اعين لواجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يطيق قوه وان كان أحدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافى عن ابن بكرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في تحف رجل من العماليق وعن زيد بن اسلم بالغنى أن الضبعة وأولادها ريين في حجاج عين رجل من العماليق وقال تعالى ألم تركبوا لربك بعد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال المبرد وقولها يعنى الخنساء رفيع العماد انما تريد الطول يقال رجل معمد يريد طويلا ومنه قوله تعالى ارم ذات

العماد أي الطوال وقال البغوي سمو ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد
والكلبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سمو ذات العماد لطول قاماتهم قال ابن عباس يعني
طولهم مثل العماد قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعاً وفي كشاف الزمخشري لم يخلق مثلهما مثل عاد
في البلاد عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربع مائة ذراع وكان يأبى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقها على
الحى فيهلكهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقدّر بالله أي الفضل جعفر بن المعتضد كنز عصر فيه ضلع
إنسان طوله أربعة عشر شبراً في عرض ثلاثة أشبار * وأعلم أن أبا عيسى بن آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم في محل
صغير فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم أصل يقتضونه عليه
الأمأ يشاهدونه أو يألفونه عجلاً إلى الارتياح فيه وساروا إلى الشك في الخبر عنه الأمن كان معه علم وفهم فانه
يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلاً على قبوله وأوردته وكيف يرد مثل هذه الاخبار وفي الصحيح أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً في السماء ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وذكر محمد
ابن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الغرناطي في كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبي في كتاب سير الملوك
أن الضحالك بن علوان لما هرب منه لام بن عامر إلى ناحية الشمال أرسل في طلبه أميرين مع كل أمير طائفة من
الجبارين خرج أحدهما قاصداً إلى بلغار والآخر إلى باسقرد فأقام أولئك الجبارون في أرض بلغار وفي باسقرد
قال الاقليشي وقد رأيت صورهم في باسقرد ورأيت قبورهم بها فكان مما رأيت نية أحدهم طولها أربعة
أشبار وعرضها شبران وقد كان عندى في باسقرد نصف أصل النية أخرجت لي من فكه الأسفل فكان عرضها
شبراً ووزنها ألف مثقال ومائتا مثقال أنا وزنتها بيدي وهي الآن في دارى في باسقرد وكان دور فلذلك العادى
سبعة عشر ذراعاً وفي بيت بعض أصحابى في باسقرد عضداً أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعاً وأضلاعه كل
ضلع عرضه ثلاثة أشبار وأكثر كاللوح الرخام وأخرج إلى نصف رسغ يداً أحدهم فكنت لا أقدر أن أرفعه بيد
واحدة حتى أرفعه بيدي جميعاً قال ولقد رأيت في بلد بلغار سنة ثلاثين وخمسة مائة من نسل العاديين رجلاً
طوالاً كان طوله أكثر من سبعة أذرع وكان يسمى دنقي وكان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الإنسان الطفل
الصغير وكان إذا وقع القتال تلك الناحية يقاوم بشجرة من شجر البلوط يسكها كالعصا في يده لو ضرب بها
الفيل قتله وكان خيراً متواضعاً لكل التقاضى سلم على ورحب بي وأرمنى وكان رأسى لا يصل إلى حقوه وكان له
اخت على طوله رأيتها في بلغار مراعاة قال لي القاضي يعقوب بن النعمان يعني قاضى بلغار إن هذه المرأة
الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى أهل بلغار ضمتها إلى صدرها فكسرت أضلاعه
شأت من ساعته قال ولم يكن في بلغار حجام تسعهم الاحمام واحدة واسعة الابواب انتهى * وقد حدثني الحافظ
ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الفريابي عن أبيه أنه شاهد قبراً احتقر عذينة قرطاجنة من افرقية فاذا جثة
رجل قدر عظم رأسه كثورين عظيمين ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه مقطعة
مانصه أنا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد ملكت بهذه الارض ألف مدينة وبنيت بها على ألف بكر
وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف جر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يغن عنى ذلك شيئاً وجاءني صائح
فصاح بي صيحة أخرجتني من الدنيا فن كان عاقلاً ممن جاء يعدى فليعتبر بي وأنشد

يا واقضارى السهى * برسم ربع قد وهى

قف واسمع ثم اعتبر * ان كنت من اهل النهى

بالامس كما فوقها * واليوم صرنا تحتها

لكل حد غاية * لكل امر منتهى

قال فأمر السلطان ابو بكر بن يحيى الحفصى صاحب تونس بطمه فطمم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا
أدركت شيئاً من ذلك وهو أنه ترفع في بعض الايام طائفة من الجبارين إلى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام
بضع وتسعين وسبع مائة وقد اختلفوا على مال وجدوه يجبل المقطم وهو أنهم كانوا يقطعون الحجارة من مغار فيما
بلى قلعة الجبل من بحريها فأنكشف لهم حجر أسود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في
وجود مال فاتمى بهم القطع إلى عمود عظيم قائم في قلب الجبل فلجئتهم أقبلوا بمعاولهم عليه حتى تكسر قطعاً فاذا

هو مجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهة رأسه دنائير كثيرة فاقسموها وتنافسوا في قسمتها
واختلفوا حتى اشتهر أمرهم وترافعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود وقد تكسر
فاخذ منهم ما وجد بأيديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر فسامع الناس بالحيرة فأقبلوا الى
المغار وعينوا برقة الميت فأخبرني من شاهد سمان اسنان هذا الميت انها سوداء بقدر الباذنجانة وان عظم
ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيجي هذا من حساب طوله عشرة ذراعا وأزيد ودماغ سن واحدة
من اسنانه في قدر الباذنجانة ما هو الا كالقبة الكبيرة وأخبرني السيد الشريف قاضي القضاة بدمشق شهاب
الدين احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني المعروف بابن عدنان وبابن أبي الجن انه وقف في سنة أربع عشرة
وثمانمائة بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما انتهى القبر ولم يبق الا أن يدلى فيه الميت
انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كازرق الالوان حتى كادت تظهرهم فنزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله
اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد وأخبرني أيضا انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله
ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو في قدر البطيخة وانه وزن بحضرته بلغ رطلين وتسع اواق بالرطل الشامي
وان القطعة التي انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامي فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحو اثنى عشر رطلا
بالمصري والله تعالى أعلم

* (ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية) *

قال ابو عمرو الكندي أجمع الناس انه ليس في الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية ولما دخل عبد
العزیز بن مروان الاسكندرية سأل رجلا من علماء الروم عنبها وعن عدد أهلها فقال والله أيها الأمير ما أدرك علم
هذا أحد من الملوك والذي أخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم أمر بلحاصهم فكانوا ستمائة ألف قال
فما هذا الخراب الذي في اطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر انه أمر بفرض دينار على كل
مختم لعمران الاسكندرية فأناه كبراء أهلها وعلمائهم وقالوا أيها الملك لا تتعب فان الاسكندرية أقام الاسكندر
على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها خراب منذ ثلثمائة سنة ولقد أقام أهلها سبعين سنة
لا يشقون فيها نارا الا بحرق سود في أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها * ومن فضائلها ما قاله بعض
المفسرين من أهل العلم انها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق
مثلها في البلاد وقال احمد بن صالح قال لي سفيان بن عيينة يا مصري أين تسكن قلت أسكن القسطاط فقال
أتأني الاسكندرية قلت نعم قال تلك مكانة الله يجعل فيها خيار سهامه * وقال عبد الله بن مرزوق الصدفي
لما نعي لي ابن عمي خالد بن يزيد وكان قد توفي بالاسكندرية لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث
ابن سعد متفرقين كلهم يقول أليس مات بالاسكندرية فأقول نعم فيقولون هو حي عند الله يرزق ويجري عليه أجر
رباطه ما أقامت الدنيا وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون في الاهوية والبلدان وترتب
الاقاليم والامصار انه لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بحر بوط من كورة الاسكندرية ووادي فرغانة
وقال الحسن بن صفوان وأما الاسكندرية وتونس وأما لهما فقر بهما من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم
وظهور ربح الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم وليس لهم ما يعرض لاهل اليشمون من
غلظ الطبع والحارية وقد وصف أهل الاسكندرية بالجليل قال جلال الدين بن مكرم بن أبي الحسن بن احمد
الجزيري ذلك الحفظ

نزبل سكندرية ليس يقرى * بغير الماء او نعت السواري
ويتحف حين يكرم بالهواء * ملائق والاشارة للمنازل
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز * فما فيها لذاك الحرف قاري

وقال احمد بن جرداديه من القسطاط الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم الى مروط ثلاثون ميلا ثم
الى كوم شريك ثلاثون ميلا ثم الى كريون أربعة وعشرون ميلا ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا وقال
آخر وطريق الاسكندرية اذا انصب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياع وذلك اذا أخذت من شطونف الى

سبك العبد فهو منزل فيه منية لطيفة وينهم اثنا عشر سقسا ومن سبك الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمامات وأسواق وبها قوم فيهم يسار ووجوه من الناس وينهم مائة عشر سقسا ومن منوف الى محلة صرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقسا ومن محلة صرد الى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكر وجند وبه الكنان الكثير وزيت الفجل وقوح عظيمة ستة عشر سقسا ومن سخا الى شبريكة وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن شبريكة الى مسير وهي مدينة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن مسير الى سنهور وهي مدينة ذات اقليم كبير وبها حمامات وأسواق وعمل كبيرة ستة عشر سقسا ومن سنهور الى النخوم وهي اقليم وبها حمامات وفنادق وأسواق ستة عشر سقسا ومن النخوم الى نسترو وكانت مدينة عظيمة حسنة على بحيرة المشهون عشرون سقسا ومن نسترو الى البرلس وهي مدينة كثيرة الصيد في البحيرة وبها حمامات عشر سقسا ومن البرلس الى اخنا وهي حصن على شط بحر الملح عشر سقسا ومن اخنا الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل في البحر من قوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا وكان بها أسواق صالحة وحمام وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية * وهذا الطريق الاخذ من شط منوف الى رشيد ربما امتنع ساوكة عند زيادة النيل والسياب المنسوجة بالاسكندرية لانظير لها وتحمل الى أفطار الارض وفي ثياب الاسكندرية ما يباع الكنان منه اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة

* (ذكر فتح الاسكندرية) *

قال أبو عمرو الكندي لما حاز المسلمون الحصن بمافيته أجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار في جمادى الآخرة منها * وذكر سيف بن عميرة عمرو بن العاص بعث الى الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن مالك فنزل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم أن تنزلوا فلكم الامان فقاموا فمروا بهم وتربصوا أهل عين شمس وسار المسلمون من بين ذلك * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصرها لثلاثة اشهر وألح عليهم فخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك فحدثنا يزيد بن أبي حبيب ان المقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من أراد من الروم المسير ويقر من أراد من الروم على أمر قد سماه فبلغ ذلك هرقل ملك الروم فخطأ أشد الخطأ وأكرأ أشد الانكار وبعث الجيوش فأغلقوا أبواب الاسكندرية وأدوا عمرو بالحرب فخرج اليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ماهن قال لا تبدل للروم ما بذلت لي فاني قد نصحت لهم فاستغشوني ولا تنقض القبط فان النقض لم يأت من قبلهم وأن تأمرني اذا مت فادفني في بختس فقال عمرو هذه أهونهن علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحو اليهم الطرق وأقاموا اليهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فيها جمع عظيم من الروم بالعدة والسلاح فخرج اليهم عمرو من القسطنطينية متوجها الى الاسكندرية فلم يرمهم أحدا حتى بلغ مربوط فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلهم قتالا خفيفا فهزمهم الله ومضى عمرو بن معاذ حتى لقي جمع الروم يكوم شريك فاقبلوا ثلاثة أيام ثم فتح الله على المسلمين وولى الروم أكافهم * ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمى في آثارهم فأدركهم عند الكوم الذي يقال له كوم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو عير ومربوط فاجلأوه الى الكوم فاعتصم به وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك بن سمى أمر ابانا عمة مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له أشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فانخط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره فأقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرفت ثم التقوا بساطيس فاقبلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله تعالى ثم التقوا بالكر يون فاقبلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصاب عبد الله بن عمرو وجراحات كثيرة فقال يا وردان لو تفقهرت قليلا نصيب الروح فقال وردان الروح تريد الروح امامك وليس خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال

أقول لها إذا جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحي

وهذا البيت لعمر وابن الاطنابة وهو أن رجلا من بنى التجار كان مجاور المعاذ بن النعمان فقتل فقال معاذ لا أقتل به
الاعمر وابن الاطنابة وهو يومئذ أشرف الخزرج فقال عمرو

أأمن مبلغ الأكفاء عني * وقد تهدي النصيحة للنصح

بأنكم وما تزجون شطري * من القول المرغى والصريح

سبقتهم بعضكم بجلالته * وما أثر اللسان إلى الجروح

أبت لي عفتي وأبي بلائي * وأخذى الحمد بالثمن الربيع

وأعطاني على المكروه مالي * وأقدا لي على البطل المشيع

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحي

لادفع عن ما ترصالحات * وأجبي بعد عن عرض صحبي

بذي شطب كلون الملح صاف * ونفس لم تقتر على القبيح

الشطب ضعف الخلل الأخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن أو فزع وجاشت دارت للغبان وقيل
هما بمعنى ارتفع والشيخ الباردا المنكماش * فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو هو ابنى حقا وصلى
عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية
فحصن بها الروم وكان عليها حصون متينة لا ترام حصن دون حصن فقتل المسلمون ومعهم رؤساء القبط يمدونهم
بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة فأما مشركهم من ثقبول فخرجت عليه خيل من ناحية البحيرة مستترة
بالحصن فواقعوهم فقتل يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا ورسلك الروم تحتلف إلى الاسكندرية في المراكب
بمادة الروم * وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ففنى ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه
ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وإنما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية
فقال الملك لئن غلبونا على الاسكندرية هلك الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازهم ومصلحتهم ونظر وجهه إلى
الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه فلما فرغ من جهازه صرعه الله عز وجل فأماه وكفى المسلمين مؤتة وكان
موته في سنة تسع عشرة فبكسر الله بموته شوكة الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه * وقال الليث مات
هرقل في سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستأذنت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على اهل
الاسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا
رجلا من مهرة واحتزوا رأسه ومضوا به بفعل المهرين يتغضبون ويقولون لاندفننه الا برأسه فقال عمرو
تغضبون كأنكم تغضبون على من يبالي بغضبكم اسجلوا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه
برمونكم برأس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقبلوا فقتل من الروم رجلا من بطارتهم فاحتزوا رأسه ورموا به
الروم فرمت الروم برأس الميرى اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم * وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من
مصر أما مهرة فقوم يقبلون ولا يقاتلون وأما عافق فقوم يقاتلون ولا يقبلون وأما بل فأكثرها رجلا صاحب النبي
صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا وقال رجل لعمر ولو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم حائطهم فقال عمرو
تستطيع أن يفتى مقامك من الصف وقيل له ان العدو قد عشول ونحن نخاف على رايطة يريدون امرأته فقال
اذا اتخذوا رايطة كثيرة * ولما استجبر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه
وهوى اليه ليقبله حتى حماه رجل من اصحابه وكان مسلمة لا يقاوم ولكنهما مقادير فقرحت بذلك الروم وشق على
المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما بال الرجل الستة
الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجع ثم اشتد القتال حتى
اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن
الاربعة نفر تفرقوا في الحصن وأغلقت عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص والاخر مسلمة ولم تحفظ
الاخرين وحاولوا ينسحبون بين اصحابهم ولا يدرى الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص والتجأ إلى
دياس من حماهم فدخلوا فيه فاحتزوا به فأمر واروميا أن يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا

اسارى فاستاسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان في ايدي اصحابكم منار جالا أسروهم ونحن
نعطيكم العهود نقادى بكم أصحابنا ولا تقتلهم فأبوا عليه فلما رأى ذلك الروم منهم قال لهم هل لكم الى خصلة
وهي نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأمرتم لنا وأمكنتمونا من أنفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خيلنا
سبيكم الى اصحابكم فرفضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمر ومسلمة وصاحباهما في الحصن في الديماس فندعوا
الى البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدة وشدة وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو
أن يبرز فنهه مسلمة وقال ما هذا الخطل مرتين تشد من اصحابك وأنت امير واما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك
لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء على اصحابك مكانك وانا كفيتك
ان شاء الله تعالى فقال عمرو دونك فربما فترجها الله بك فبرز مسلمة للروم فنجحوا ولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله
فكتر مسلمة واصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدري الروم أن
أمير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيطا على ما فاتهم فلما خرجوا استحي
عمرو بما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو
ما أخشيت قط الا ثلاث مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما مننت مرة الا وقد ندمت وما استحييت
من واحدة منهمن أسدما استحييت مما قلت لك ووالله اني لارجو أن لا أعود الى الرابعة ما بقيت قال وأقام
عمرو محاصر الاسكندرية شهرا فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما أبطؤا بالفتح الا لما أحدثوا
وكتب الى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك
الا لما أحدثتم وأحببتهم من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوم الا بصدق نياتهم وقد كنت
وجهت اليك أربعة نفر وأعلمت أن الرجل منهم مقاوم ألف رجل على ما كنت أعرف الا أن يكونوا غيرهم
ما غير غيرهم فاذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورجهم في الصبر والنية وفتحهم
اولئك الاربعة في صدور الناس ومرا الناس جميعا أن يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد وليكن
ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر
على عدوهم فلما أتى عمرو بن العاص رضى الله عنه الكتاب جع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضى الله عنه
ثم دعا اولئك النصر ففتح الله عليهم * ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة فقال أشركني في قتال
هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر الى رجل له معرفة وتجارب من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتعده له على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيكم فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعاه
عمرو فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دامنه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناو لى سنان
رحمك فناول له اياه فنزع عمرو وعامته عن رأسه وعقده ولولا قتال الروم فتنقذ عبادة مكانه فصادف
الروم وقتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل
تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمسهل المحرم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمرو
الكندي وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو ولمسهل
المحرم سنة احدى وعشرين * قال القضاة عن الليث أقام عمرو بالاسكندرية في حصارها وفتحها سنة
أشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا في ذي القعدة * وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تعالى
الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم في البر والبحر خلف عمرو بالاسكندرية ألف رجل من اصحابه ومضى
ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا
من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرا فكثرا جعافتها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير عهد فكتب اليه عمر رضى الله عنه يقبح رأيه ويأمره
أن لا يجاوزها قال ابن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها هذا أن رجلا يقال له ابن بسامة
كان بوابا فسأل عمرا أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو الى ذلك ففتح له ابن
بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان الى أن فتحت اثنتان

وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معي فقال له عمرو وما أصنع بالكتاب ألتست رجلا عريا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت • فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن خديج بعثني عمرو بن العاص الى عمر رضى الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهيرة فأفخت را حلتى بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينما أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرأتني شاحبا على ثياب السفر فأتتني وقالت من أنت فقلت أنا معاوية بن خديج رسول عمرو بن العاص فأنصرفت عني ثم أقبلت تشدد أسمع حفيف ازارها على ساقها حتى دنت مني ثم قالت قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك فقبعتها فلما دخلت فاذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازارها بالآخرى فقال ما عندك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للمؤذن أذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فأخبر أصحابك فقامت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأمت بخبز وزيت فقال كل فأكلت حياء ثم قال كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لا كنت معك فأصبت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأنت بتمر في طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين فأنزل قال بشئ ما ظننت لئن تمت النهار لاضيعن الرعية ولئن تمت الليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية * ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية وأربع مائة ملهى للملوك وعن أبي قبيل ان عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو وفي الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودي • وكان بالاسكندرية فيما أحصى من الجمادات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف رجل فلقوا بأرض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مراكب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقي من بقي من الأسارى من باغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمها فكان اكثر الناس يريدون قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها وأذرها يكون خراجها فيا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفرصة دينارين على كل رجل لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه اكثر من دينارين الا أنه يلزم بتدبير ما توسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من ولهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها انطيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سبائهم بالمدينة وغيرها فردهم عمرو ابن الخطاب الى قراهم وصبرهم وجماعة القبط اهل ذمة * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرا سبي اهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا فقتلوا وبلغ اولهم المدينة حين تقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بردهم فردهم وجد منهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الاسلام فان أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه نفلوا بينه وبين قريته فكان البلهيب خير يومئذ فاختموا الاسلام * وفي رواية ان اهل سلطيس وصاوا بلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا في مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قرى ذمة للمسلمين وتضرب عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعرون فيثا ولا عبيدا ففعل ذلك * ويقال انما ردتهم عمرو رضى الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن ابي عمير جئ عمرو جزية الاسكندرية ستمائة ألف دينار لانه وجد ثلثمائة ألف من اهل الذمة فقدر عليهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية

ثمانية عشر ألف دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار ويقال ان عمرو ابن العاص استبقى اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل النوبة

* (ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتفاض الروم) *

قال ابن عبد الحكم فاما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت اخاذا من اخذ منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية اقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذي فيه مسجد عمرو ابن العاص فقال معاوية بن خديج تنزل فنزل عمرو والقصر ونزل أبو ذر منزلا كان غربى المصلى الذي عند مسجد عمرو ومبايلى البحر وقد اندم ونزل معاوية بن خديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال ان أبا الدرداء كان معه والله أعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربعا في السواحل والنصف مقيمون معه وكان بصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شتية ستة أشهر وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه اخاذا * وعن يزيد بن أبي حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابعدوا فكان الرجل منهم يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزوا قال عمرو اني أخاف أن تحزبوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند الكريون قال لهم سبروا على بركة الله فنركز منكم رحمة في دار فهي له وابنى فيه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رحمة في منزل منها ثم يأتي الآخر فيركز رحمة في بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقيمتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكن الروم وعليهم مرمتها وكان يزيد بن أبي حبيب يقول لا يحل من كرائها شئ ولا يبيعها ولا يورث منها شئ انما كانت لهم يسكنونها في رباطهم * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها مفرغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيهاها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال نعم يا امير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو اني لأحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم شتاء ولا صيفا فتحول عمرو بن العاص الى القسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى الى عام له بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلا بينى وبينكم ماء متى ما أردت أن أركب اليكم راخلي حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد بن أبي وقاص من مداين كسرى الى الكوفة وتحوّل صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل بالبصرة وتحوّل عمرو ابن العاص من الاسكندرية الى القسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولاء لا يغفلها ويكتبها ولا يأمن الروم عليها * وكتب عثمان رضى الله عنه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد علمت كيف كان هم امير المؤمنين بالاسكندرية وقد تنقضت الروم مرتين فألزم الاسكندرية مرابطها ثم أجزع عليهم ارزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر قال وكانت الاسكندرية اتنقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصى في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت وقد كان عثمان رضى الله عنه عزل عمرو بن العاص ورأى عبد الله ابن سعد بن أبي سرح فلما نزلت الروم سال اهل مصر عثمان أن يقر عمر حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها خلف عمرو بن العاص لأن أظفره الله عليهم ليهدم سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان فخرج اليهم عمرو في البر والبحر فضعوا الى المقوقس من أطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعمه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمر وناهضهم قبل أن يكثر مددهم فلا آمن أن تنقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن أدعهم حتى يسبروا الى فانهم يصيرون من مروا به فيخزي الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من تنقض من اهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خورها وياكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به فلم يعترض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم القبط فرموا بالنشاب في الماء رميا شديدا حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو في لسته وهو في البر فعفر قتل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر فنفخوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم

شأ وجعلوا على المسلمين حلة ولى المسلمون منها وانهم شريك بن سمي في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفاً خلف صفوف وبرز يومئذ بطريق من جاء من ارض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل من زبيد يقال له حومل يكنى أبا مذبح فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة فجعل عمرو يصيح أبا مذبح فيجيبه لييك والناس على شاطئ النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم قبحوا ولا ساعة بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحمله وكان شحيفاً فاخترط حومل خنجره كان في منطقته اوفى ذراعه فضرب به نحر العليج اوترقوته فأثبتته ووقع عليه فأخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله فرى عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصى وقتلهم عمرو حتى أمعن في مدينتهم فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذي بالاسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك وهدم سورها كله وجعل ما أصاب منهم بقاءه اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقتلوا قد كفا على صلحنا وقد مر علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يدك فردت عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه المدينة وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا كان لنا أن تقابل عنا لاننا في ذمتك ولم تنقض فأما من نقض فأبعده الله فندم عمرو وقال يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية هذا أن ظملاً صاحب اخنا قدم على عمرو فقال أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لواء عيطني من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أنتم خزائننا ان كنزنا علينا كنزنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا وخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله تعالى وأسرفأى به الى عمرو فقال له الناس اقبله فقال لا بل انطلق فخننا بجيش آخر وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان فرضى باداء الجزية فقبل له لو أنيت ملك الروم فقال لو أنيت لقتلني وقال قتلت اصحابي وعن أبي قبيل أن عتبة ابن أبي سفيان عقد لعقمة القطيفي على الاسكندرية وبعث معه اثني عشر ألفاً فكتب لعقمة الى معاوية ابن أبي سفيان يشكو عتبة حين غزاه وبعث معه فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعشرة آلاف من اهل الشام وبخمسة آلاف من اهل المدينة فكان في الاسكندرية تسعة وعشرون ألفاً وفي رواية أن عقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفاً فكتب الى معاوية انك خلقتني بالاسكندرية وليس معي الا اثنا عشر ألفاً ما يكاد بعضنا يرى بعضاً من القلة فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من اهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالمله في أربعة آلاف ممسكين بأعنة خيولهم حتى بلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال ابن لهيعة وقد كان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة * وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية التي تعرف اليوم بخربة وردان * واختلف علينا السبب الذي خربته فحدثنا سعيد بن عفير أن عمر لما توجه الى نفوس لقتال الروم عدل وردان لقضاء حاجته عند الصبح فاخترطه اهل الخربة فغيبوه ففقد عمرو وسأل عنه وقفاً أثره فوجدوه في بعض دورهم فأمر باخراجهما واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهباناً كلهم فغدروا يقوم من ساقعة عمرو فقتلوه بعد أن بلغ عمرو الكريون فأقام عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم وخربها فهدى خراب الى اليوم وقيل كان اهل الخربة اهل تويت وخبث فارسى أرسل عمرو الى أرضهم فأخذله منها جراب فيه تراب من ترابها فكلهم فلم يجيبوه الى شيء فأمر باخراجهم ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قد عليه ثم دعاهم فكلهم فأجابوه الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شيء فعل ذلك مراراً فلما رأى عمرو ذلك قال هذه بلدة لا يصلح أن توطأ فأمر باخراجهما فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضى الله عنه أن يكون عمرو بن العاص على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو انا اذا كملت البقرة بقرتها وأخرجيها فأبى عمرو وكان فتح عمرو هذه اعنوة قسراً في خلافة عثمان سنة خمس وعشرين وبنه وبين الفتح الاول أربع سنين وقال الليث كان فتح الاسكندرية الاول سنة اثنتين وعشرين وكان فتحها الاخر سنة خمس وعشرين وأقامت الجيوش من السماء يقاتلون الناس سبع سنين بعد أن قحمت مصر مما يقتحون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا

٣٠ قوله وأقامت الخ هكذا في الاصول التي بيدي وانظر ما معنى هذه العبارة فانها لا تخلو عن سقط او تحريف فاحش وكذا قوله قبلها باسطر اهل تويت وخبث فانه بعد المراجعة لم يفهم له معنى واحله محترف عن برنة وجبت ودعناهما الحذافة بالامر والمحرر وحذر اه

عبد الله بن سعد بن أبي سرح ذا الصواري في سنة أربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة أن عبد الله بن سعد لما نزل ذو الصواري أنزل نصف الناس مع بسر بن أرطاة في البر فلما مضوا أتى أت إلى عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة وكانت مرابك المسلمين مائتي مركب ونياف فقام عبد الله بن سعد بن ظهري الناس فقال بلغني أن ابن هرقل قد أقبل اليكم في ألف مركب فأشيروا علي فما كمل رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع اليهم أفندتهم ثم قام الثانية فكلهمهم فما كمل أحد فجلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شيء فأشيروا علي فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال أيها الأمير إن الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما في كل مركب نصف شخصته لانه قد خرج النصف الآخر الى البر مع بسر فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار فقال ما فعلوا قالوا قد اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض فقتلوا بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير بمركب من مرابك العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد القطيفي وكان مع عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسيسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى ايها فقال له ان علقمة قد خطبها وله علي فيها رأي فان تركها أفعل فكلهم عبد الله علقمة فتركاها فترقجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فترقجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فترقجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحتها وقيل مشت الروم الى قسطنطين ابن هرقل في سنة خمس وثلاثين فقالوا أنتزل الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينة الكبري فقال ما أصنع بكم ما تقدرون أن تعملوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على اناموت قبايعوا على ذلك فخرج في ألف مركب يريد الاسكندرية فسار في أيام غلبة الرياح فبعث الله عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين فانه شجا بمركبه فألقته الرياح بصقاية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا شت النصرانية وأفنت رجالها لودخلت العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فضعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم ومة تملون ملككم قالوا كانه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه في المركب قال ابو عمرو الكندي وانما سميت غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها

* (ذكر بحيرة الاسكندرية) *

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخبز بقرضة عليهم فكثير الخراج عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لا حاجة لي في الخبز أعطوني دنائير فقالوا ليس عندنا فأرسلت اليهم الماء فغزقوا فصار بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بني العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم صارت بحيرة طواها اقلاع يوم في عرض يوم ويصير اليها الماء من اشتوم في البحر الرومي ويخرج منها الى بحيرة دونها في خليج عليه مدينتان احدهما الحدية والاخرى اتكو وهي كثيرة المقاي والنخل وكها في الرمل ويصب في هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسمك والعشب وكان السمك بوجود هذه البحيرة في الاسكندرية غاية في الكثرة يباع بأقل النقيم وأجس الثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ

* (ذكر خليج الاسكندرية) *

يقال ان كلو باطرية الملكة هي التي سافت خليج الاسكندرية حتى ادخلته اليها ولم يكن يبلغها الماء فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرغام من اوله الى آخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال ابو الحسن الخزومي في كتاب المنهاج أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بودة ليس على شيء منها سد بومخرج محلة

بتول اسينة اورين محلة فرفو محلة حسن منية طراد وتعرف بالقاعة محلة ناصر ومسروق فأما ترعة لقانة فانها
 تفتح بعد سبعة أيام من توت والترعة الجديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بودرة تفتح بعد سبعة أيام من
 توت وترعة بويحي وترعة بوالسحما وترعة القهوقية ليس على شيء من ذلك ست وترعة الشراك تفتح بعد سبعة
 أيام من توت وترعة بوخراشة وترعة البريط يشرب منها ديسو وسفراط وشيرنوبه ومنية حماد وسنادة وبعض
 محلة مارية وترعة فيشة بلخا تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة أن تفتح في النوروز ترعة بويط ومقطع سمديسة
 يفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع ياطس يفتح في تاسع عشر توت ولما استحدثت ترعة افلاقة وخرجت في ارض ياطس جرت
 ترعة تروى الصفة القبلية منها فتفتح في يوم النوروز ولما استحدثت ترعة افلاقة وخرجت في ارض ياطس جرت
 العادة اذا رويت الصفة القبلية من افلاقة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من ياطس الى أن يروى
 وترعة القارورة محدثة وترعة بفوها تفتح في ثاني عشر توت وترعة افلاقة تفتح في عاشر توت وترعة اسكنيدة تفتح
 في سادس توت * تراعى بحر دمنهور تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت ويروى منها بعض طاموس
 وبعض كنيسة الغيط وبعض قرطسا ودمنهور * ترعة القواديس منها يشرب شبرا النحلة وكوم التلول وتراعى شبرا
 النحلة تفتح على أعاليها من اول توت وترعة بشرطى تفتح في خامس عشر مسرى وترعة مسيد تفتح في ثامن توت
 وترعة سنوية تفتح في ثامن عشر توت وبجرد مشوية يفتح في العشرين من مسرى ومنه تشرب منية رزقون
 وسقط كرادسة ودمشوية ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشوية تفتح في تاسع توت ويقيم الماء عليها
 سبعة عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم الماء عليها ثلاثين يوما ويستبدل بعد ذلك على دمشوية
 سبعة أيام وعلى سقط ومنية رزقون ترعة برسيق كانت تفتح في اول توت * محلة برسيق ليس عليها ست * محلة
 الكروم تفتح في ثامن توت ومنها يشرب عدة أما كن وهي محلة الكروم وكفورها وهي دينة وكوم الولائد
 وكوم العنزة ودير امس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهي تلسا والجللون من حقوق محلة كبل ومنها
 تشرب الجهة الغربية * شبرا بارليس عليها ست وترعة هافله كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الآن ست وترعة
 بلقار وكفورها كانت تفتح في تاسع توت وليس عليها الآن ست * ترعة الراهب ليس عليها ست وترعة دسونس
 المقاريض تسقى الحلفاية وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة مر حنا والمعقبة وترعة يلامه وبيشاي وآخر تراعى
 الخبيجة وترعة الكريون تفتح في ثامن توت وترعة السلجون كانت تفتح في سادس توت وليس عليها الآن ست وترعة
 ارمياخ تفتح في ثاني عشر توت وترعة ابوق تفتح في سادس توت وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان
 يضرب الست فيه على تراعى رمسيس من اول النيل الى سابع عشر توت والذي يشرب من الست المذكور من
 النواحي والكفور رمسيس ومحلة جعفر وفليشان وبعض أبنية البعيدى وبعض خربا وبعض البلكوس وبعض
 بواين وبعض محلة وافد والبيضاء وبعض طيلاس ثم يفتح ست دكدولة وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة أيام
 وتشرب منه دكدولة ومحلة دهن ومنية أسامى وبعض صيفية ثم يقطع ست الفطامى وهو محدث ومنه يشرب
 بعض جنبوية وبليانة الجوية والسرّة وأبو حمار والهوط ثم يقطع ست رسونس وأبو دينار وترعة طبرينة
 فيشرب منه دنسال وطلوس يقيم الماء عليها ستة أيام ومنه تشرب منية عطية وسلطيس * وأما مجرد دمنهور فانه
 يستد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطيس وزهرا وبعض طابوس وبعض قرطسا وبعض كنيسة
 الغيط ودمنهور ثم يقطع ست ندية وهو محدث فيقيم ثمانية أيام ومنه تشرب ندية ودقرس والعميرية والنسرين
 ثم يفتح ويستد على محلة خفض ومحلة ككيل ومحلة نمر ثم يقطع ست سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة أيام
 بعد اختلاط الماءين ببحر دمنهور ورمسيس ثم يقطع جسر ملولة ومنه تشرب تروجة وأرسيس والمراسى وغابة
 الاعساس وبعض سمرو ومحلة نمر ويبقى هنالك الى انقضاء النيل * وأما ترعة طبرينة فهي محدثة واذا رويت
 طبرينة تطلق على دسونس أم دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار ريهانم تطلق في النيل العالى على ارض قراقس
 ويطلق الماء على قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطبرينة اذا خرج الماء منه يسقى منه في اول النيل الى أن يضرب
 جسر شبرا وسيم فيسقى منه شبرا وسيم وبعض البلكوس وحقيرة الزعفرانى وبعض بواين ومسجد غانم والصوواف
 وكوم شريك ومنية مغيين وتل الفطامى ومحلة وافد ثم يقطع جسر دليجة ومنه يشرب بعض خربا وبعض فليشان
 وبعض بواين والبيضاء ودنست وتلبانة الابراج وتل بقا والحدين واليودية والنسوم وابوصمادة والحصن

وقلاوة بن عبيد ووطوخ دخاية ودرشاوسقرا ودليجة ولحمة وطيبة ثم يقطع على منية وزراقة الحجر والمحزون
وبعض حيارس وافريم وابوسمار وأم الصروع * خليج ابن زلوم ويعرف بخليج ابن ظلوم وسد يخرج التعبدى
لا يفتح الى عشرة أيام من نوت ومنه يشرب شابور وكنيسة مباركو وبعض سرسيقة وبعض دموشة ومنية يزيد
وحوض الماصلى وحصة سلون وبعض سنيت وبعض التعبدى وبعض فليشان ثم يفتح فيشرب منه أمليط
وبعض انباى وبعض كنيسة عبد الملك وبعض أرمنية وميسنا وبعض محلة عبيد وسقط خالد وبرنامة
وشراوبة وكيان شراس وبعض دمشوه وتقام الخراس على جسر سنفط ويشرب من خليج الاسكندرية
وما يفيض منه اهل الباطن واهل البحيرة في خجاج وأودية فيكون ذلك الماء صلبة وهم قبيل من دنانة والرحانة
وبني زان وقبائل البربر ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج وبين مشارق الفرمان ناحية جوجير وفاقوس
وبين آخر ما يشرب من خليج الاسكندرية مسيرة شهر كان عامرا كله في محلول ومعقود الى ما بعد الخمسين وثلاثمائة
من سنى الهجرة وقد خرب معظم ذلك * وقال أبو بكر الطرطوسي عن حدثه من مشايخ البحارنة قال شاهدت
الاسكندرية والصيدى الخاليج مطلقا للريعية والسملك فيه يطفو الماء به كثرة حتى تصيده الاطفال بالخرق ثم حجره
الوالى ومنع الناس من صيده فذهب حتى كاد لا يرى فيه الا الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا * وقال ابو عمرو
الكندى في كتاب الموالى عن الحارث بن مسكين انه تقلد قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الوائى بالله
في سنة تسع وثلاثين ومائتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد الكتاب بصرفه في شهر ربيع الآخر
سنة خمس وأربعين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفي ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين
أمر أحمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية * وقال المسعودى وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية
قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وقد كان الاسكندرية بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم
ماء النيل فكان يسقى الاسكندرية وبلاد مروط وكانت بلاد مروط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض
برقة وكانت السفن تجرى في النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بطلت أرض خليجها في المدينة بالأحجار
والمرمر وانقطع الماء عنها عوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار شربهم من الآبار وصار النيل
على يوم منهم * وذكر المسيحي أن الحاكم بأمر الله أبان منصور بن العزيز أطلق لحفر خليج الاسكندرية في سنة
أربع وأربعمائة خمسة عشر ألف دينار فحفر كله وفي سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر ببرس
الأمير عليا أمير جندار لحفر خليج الاسكندرية وقد امتلأت فوهته بالطين وقل الماء في الاسكندرية فابتدأ
بالحفر من التعبدى وأنشأ هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم نعيم سيف ناظر الدواوين ثم بعث
السلطان في سنة أربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الأمير علم الدين سنجر المسرورى ثم سار بعاقبة الامراء
والاجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الامراء وجميع الناس الى أن زالت الرمال التي كانت على الساحل
بين التعبدى وفم الخليج ثم عدى الى باربار وغرق مراكب هنالك وبني عليها بالجارية فلما تم الغرض عاد الى قلعة
الجبلى ثم تعطل استقرار جريان الماء فيه بطول السنة وصار يحفر سريعا بعد شهرين او نحوهما من دخول الماء
اليه واحتاج اهل الاسكندرية في طول السنة الى الشرب من الصهاريج التي يخزن فيها الماء الى أن كانت
سنة عشر وسبعمائة فقدم الأمير بدر الدين بكتوت الخزندارى المعروف بأمرشكار متولى الاسكندرية الى
قلعة الجبل وحسن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حفره وذكره ما في ذلك من المنافع اولها حمل الغلال
وأصناف التجار الى الاسكندرية في المراكب وفي ذلك توفير للكاف وزيادة في مال الديوان وثانيها عمارة ما على
حافى الخليج من الاراضى بأبناء الضياع والسواقي فيمنع الخراج بهذا كثيرا وثالثها ارتفاع الناس به
في عمارة بساتينهم وشرب مائه دائما فاعجب السلطان ذلك وتنب الأمير بدر الدين محمد بن كندى بن الوزير
مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع امراء الدولة باخراج مباشرهم لاحضار رجال النواحي الجارية في اقطاعهم
للعمل للحفر وكتب لولاة الاعمال بالوقوف في العمل فاجتمع من النواحي نحو الاربعين ألف رجل جمعت في نحو
العشرين يوما ووقع العمل في شهر رجب من السنة المذكورة وأفرد لكل اهل ناحية قطعة يحفرونها
حتى كمل قضاء قباس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شنبار ثمانية آلاف قصبة حاكية ومن شنبار الى الاسكندرية
مثلها وكان الخليج الاصلى يدخل الماء اليه من حشد شنبار فجعل فم هذا البحر يرمى عليه وعمل خمسة قصبات

في عرض ثمانى قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفر أيضا على نظير الخليج المستجدة فصارا بحرا واحدا
وركبت عليه السدود والقناطر ووجد في الخليج الاول عند حفره من الرصاص المبنى تحت الصهاريج كثير
جدا فلم يعترض السلطان لشيء منه وأنعم به على الأمير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذي
تجاوز البحر منه غلب عليه الماء فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من أسفله ثم كثر الماء فركبت السواقي
حتى نزحت الا أن عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن حرت فيه طول السنة واستغنى اهل الاسكندرية
عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبي الخليج فلم يمض غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على
مائة ألف قدان زرعت بعد ما كانت سببا خاوما ينف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنيلة والسمسم
وفوق الاربعين ضيعة وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة وتحول عالم عظيم الى سكنى
ما استجد عليه * وفيه وما فرغ العمل في الخليج شرع الأمير بكتوت في عمل جسر من ماله فان الناس كانوا في وقت
هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الماء على أراضي السباح فأقام ثلاثة أشهر حتى بنى رصيفاً ذلك أساسه
بالبحر والارصاص وأعلاه بالبحر والكلس وعمل فيه ثلاثين قنطرة وأنشأ خاناً ينزله الناس ورتب فيه الخفراء
ووقف على مصالحه رزقة تبلغ مصر وفيه نحو الستين ألف دينار مصرية سوى ما أخذ من الجبارة التي بعضها
من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجد من الرصاص في سرب بأسفل هذا القصر يتنهن عن
يمشى فيه الى قريب البحر وسوى ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة
الى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فانقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل اليه الا في أيام زيادة ماء النيل فقط
ثم ينف عند نقصه فتكلف من أجل هذا اكثر بساكنين الاسكندرية وخرت وتلاشى كثير من القرى التي كانت
على هذا الخليج * وسبب انقطاع الماء عنه غلبة الروم على الاشتوم الذي كان يعبر منه ماء بحر الملح الى بحيرة
الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقى الرياح في الخليج فانطام فيه وعلا قاعه وقصد من أدركاه من ملوك مصر
حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهى بذلك الى أن كانت سلطنة الملك الأشرف برسباي فغذب لحفره الأمير جرباش
الكرمي المعروف بعاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمانمائة وخمسة
وسبعين رجلاً ابتدؤا في حفره من حادى عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثمانمائة الى حادى عشر
شعبان تمام تسعين يوماً فاتهى عملهم ومشى الماء في الخليج حتى انتهى الى حده من مدينة الاسكندرية
وجرت فيه السفن فسر الناس به سروراً كبيراً وجبى ما انفق على العمال في الحفر من أرباب النواحي التي
على الخليج ومن أرباب البساكنين بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت به عادة الولاة في مثل ذلك
ولله الحمد وعندما انتهى قدم الأمير جرباش الى قلعة الجبل فباع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الخجائب فلم
يسمّر ذلك الا قليلاً حتى انطام بالرميل وتغذر ساوكة الخليج بالمرأكب الا في أيام النيل فقط

* (ذكر سجل حوادث الاسكندرية) *

وفي سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي أمير مصر وبين
عبد العزيز بن الوزير الجروى الناصر بتدبير ففقد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هشام بن خديج
فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذي يقال له عمر بن ملاك ثم عزله
المطلب بعد ثلاثة أشهر بأخيه الفضل بن عبد الله بن ملاك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا
من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ماجرى لاهل قرطبة بوقعة الرض مع الحكم بن هشام في سنة اثنين
وثمانين ومائة فأخرج جماعة منهم فوصلوا الى ثغر الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف وكان سبب ثورتهم
أن قصايا من الاسكندرية رعى وجه رجل منهم بكرش فأنفوا من ذلك وصاروا الى ما صاروا اليه وذلك
لما نزلوا رمل الاسكندرية ليتبعوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامراء لا يتيحهم دخول
الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروى
يا امره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء لهم فاقبعت عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه
في اخراج الفضل عنها فصاروا معه وأخرج الفضل ودعا للجروى فوثب اهل الاسكندرية على الاندلسيين
وأخرجوهم وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفراً منهم الباكون الى مراكبهم فعزل المطلب أخاه وولى عليها

اسحاق بن أبرهة بن الصباح في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عزله بأبي ذكر بن جنادة المعافى فلما اقتتل
السري بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السري على مصر وثب عمر بن ملاك على أبي ذكر وأخرجه
من الاسكندرية ودعا للجروى وأقبل الاندلسيون اليه فافسدوا فأمرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك
عليهم وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف ويعارضون السلطان في اموره فترأس
عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفى فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتصموا بنظم وكانت نخم
اعز من في ناحية الاسكندرية فنوصم ابو عبد الرحمن الصوفى الى عمر بن ملاك في امرأة فقضى على أبي
عبد الرحمن فوجد في نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فأنف بينهم وبين نخم ورجا اهل الاندلس أن يدركوا
ثارا من عمر بن ملاك فصاروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة آلاف فحصره في قصره وخشي أن القصر
لا يمنعهم وخاف أن يدخلوا عليه عنوة فيفضح في حرمه فاعتسل وتحنط وتكفن وأمر أهله أن يدلوه اليهم
فدلى فأخذته السيوف فقتل ثم ولى أخوه محمد بن عبد الله الذى يلقب بجيوس فقتل ثم ولى عليهم عبد الله البطال
ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فقتل ثم ولى عليهم أخوه ابو هبيرة الحارث فقتل ثم ولى
عليهم خديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذى القعدة ثم فسد ما بين نخم والاندلسيين عند مقتل
ابن ملاك واقتتلوا فانهزمت نخم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية في ذى الحجة فولوها بأبا عبد الرحمن الصوفى قبل
من الفساد والنهب والقتل ما لم يسبق بمثله فعزله الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكفانى ثم حاربت بنو مدج
الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفروهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدج على الرجوع الى ارض الاسكندرية حتى
طلب السري من الاندلسيين أن يرثوهم فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا وكان ابو قبيل يقول أنا على الاسكندرية
من أربعين مراكبا مسلمين وليسوا بمسلمين تأتى في آخر الصيف أخوف منى عليها من الروم فيقتال له ما هذه الاربعون
مراكبا في هذا الخلق لو كانت نيرانا تضرم فيقول اسكت ويليك منها ومن فيها يكون خراب الاسكندرية وما حولها
وبلغ عبد العزيز الجروى قتل ابن ملاك فصار في خمسين ألفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى
أجهد من فيها فبلغه أن السري بن الحكم بعث الى تنيس بعثا فكثر راجعا في المحرم سنة احدى ومائتين فدعا
الاندلسيون للسري ثم لما خلع اهل مصر المأمون ودعوا لابرهم بن المهدي وقام الجروى بذلك سارا الى
الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له بها ثم سار عنها الى القسطنطينية فحارب السري
وقتل ابنه ثم انصرف فسار الاندلسيون بعامل الجروى وأخرجوه من الاسكندرية وخلعوا الجروى ودعوا
للسري فسار اليهم الجروى في شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسجنا وأمدتهم بنو مدج
وهم في نخوم من مائتي ألف فهزمهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السري وبين اهل
الصعيد حروب ثم أن الجروى سار الى الاسكندرية سيرة الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة أشهر
من أول شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس فأصاب الجروى قلعة من حجر منجنيقه فمات سلخ
صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه على فلم تزل الفتن بالاندلسيين في الاسكندرية متصلة الى أن قدم
عبد الله بن طاهر الى مصر من قبل أمير المؤمنين المأمون وأخرج عبيد الله بن السري من مصر وسار الى
الاسكندرية في قواد العجم من اهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين فحاصرها باضع عشرة ليلة
حتى خرج اليه اهلها بأمان وصالحه الاندلسيون على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا على أن لا يخرجوا
في مراكبهم أحدا من اهل مصر ولا عبدا ولا أبقا فان فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم وتوجهوا
فبعث ابن طاهر من يقتل عليهم مراكبهم فوجدوا فيها جعانا من الذين اشتراط عليهم أن لا يخرجوهم فأمر
بأحراق مراكبهم فسألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقريطش وملكوها وكان الأمير معهم
ابو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى أن غزاها الروم سنة خمس وأربعين
وثلاثمائة وملكها بعد حصار طويل وولى على الاسكندرية الياس بن أسد بن سامان ورجع الى القسطنطينية
في جمادى الآخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض أسفل الارض في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين
وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الرافقى أمير مصر وبعث عبد الله بن يزيد بن يزيد الشيباني الى
الغربية فانهزم الى الاسكندرية واستجاشت عليه بنو مدج وحصره في شوال فسار الافشين وأوقع بمن

في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده فلقبته طائفة من بني مدلج فهزمهم مرتين واسر منهم و قتل ودخل
 الاسكندرية لعشر بقين من ذي الحجة فقتل منه رؤسا وهاوكان عليهم معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن
 ابن معاوية بن خديج فأصلح أمرها ثم خرج الى اهل البشرو فاستنوعوا عليه حتى قدم المأمون الى مصر فصار
 الى البشرو والافشين قد أوقع بالقبطها كما تقدم ذكره * ولما ولي ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب افرريقية
 في سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة وبني الحصون
 والمخارس على ساحل البحر حتى كانت لو قد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية في فصل الخريف منها الى الاسكندرية
 في ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر * وفي سنة اثنتين وثلاثمائة دخل حباسة في جيوش افرريقية الى الاسكندرية
 في المحرم ومعه مائة ألف اوزياد عليها وقد امت الجيوش من المشرق مدد التمكن أمير مصر وسار حباسة
 من الاسكندرية ونودي بالنعير في القسطنطينية من جمادى الآخرة فلم يتخلف عن الخروج الى الجيزة
 أحد من الخاصة والعامة الا من عز عن الحركة لمرض أو عذروا تأمهم حباسة فلقوه وهزموه ثم دار عليهم
 فقتل من اهل مصر نحو مائة ألف ونهض حباسة الى افرريقية وأقاموا بمصر مضطربين فأقبل مونس
 الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة فصرف تكين في ذي القعدة وولى ذكاء الاعور في صفر سنة ثلاث
 وثلاثمائة فخرج في جيوشه الى الاسكندرية وتبعه كل من يؤم اليه بمكاتبة صاحب افرريقية فسيجن منهم و قتل
 كثيرا وجلا اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية في شوال سنة أربع وثلاثمائة خوفا من صاحب برقة
 * وفي سنة سبع وثلاثمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله من افرريقية مع ابنه أبي القاسم الى لوبية فهرب اهل
 الاسكندرية وجاؤا عنها وخرج منها مظفر بن ذكاء الاعور في جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة ثمان خلون
 من صفر وقرأ اهل القوة من القسطنطينية الى الشام فخرج ذكاء أمير مصر الى الجيزة وعسكر بها ثم مرض ومات
 على مصافه بالجيزة في ربيع الاول فولى تكين بعده ولأبيه الثانية من قبل المقدر ونزل الجيزة وأقبلت مراكب
 صاحب افرريقية الى الاسكندرية عليها اسمان الخادم فقدم ثم الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقيا
 برشيد في شوال فاقتتلا فبعث الله رجا على مراكب سليمان ألقها الى البر فقتلها كثيرا وأخذ من فيها أخذاً
 باليد وقتل اكثرهم وأمر من بقي وسبقوا الى القسطنطينية فقتل منهم نحو مائة رجل وسار أبو القاسم
 ابن المهدي من الاسكندرية الى الفيوم وملك جزيرة الاشمونين والفيوم وأزال عنها جند مصر قضى ثل الخادم
 في مراكبه الى الاسكندرية فقاتل من بها من اهل افرريقية فظفر بهم ونقل اهل الاسكندرية الى رشيد وعاد
 الى القسطنطينية ومضى في مراكبه الى اللاهون وطلقة العساكر فدخلوا الى الفيوم في صفر سنة سبع وثلاثمائة
 فخرج أبو القاسم بن المهدي الى برقة ولم يكن بينهم قتال ورجعت العساكر الى القسطنطينية وما زالت الاسكندرية
 وأعمالها في اضطراب الى أن قدمت جيوش المعز لدين الله مع القائد جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
 فدخلتها وما برحت الى أن قام بها زار بن المستنصر وكان من أمره ما قد ذكر عند ذكر خزانة القصر * وفي سنة
 ثنتي عشرة وسقانة اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج وقدت بطسة الى المينا في امن ملوك الفرنج
 ملكان فهموا أن يثوروا ويقتلوا اهل البلد ويملكوها فتوجه الملك العادل أبو بكر بن أيوب اليها وقبض
 على التجار المذكورين وعلى من بالبطسة واستصفي أموالهم وسجنهم وسجن الملكين وجرت خطوب حتى أطلق
 السلطان نساءهم وعاد الى القاهرة * وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك
 على بليس حصنا من لبن * وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير شاور وأسد الدين
 شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم طائفة الى الاسكندرية ثم كانت لشيركوه على شاور فانهزم منه الى
 القاهرة ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه اهل النغرة وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والى النغرة
 وقاضيه الاشرف بن الخباب وناظره القاضي الرشيد بن الزبير وسروا بقدمه وسلوه المدينة ثم سار منها
 يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على النغرة في ألف فارس فنزل عليه شاور
 ومعه مائة الف فرنج فقام معه اهل النغرة واستعدوا للقتال شاور فكان مأخر جوه أربعة وعشرين ألف
 فرس فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخمس اذا سلوه صلاح الدين فأبوا ذلك وألحوا
 في قتاله فحصرهم حتى قل الطعام عندهم فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جوعا كثيرة فبعث اليه

شاو و بذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع إلى الشام فأجاب به إلى ذلك وفتحت المدينة وخرج صلاح الدين إلى مصرى ملك الفرنج وجلس معه فزال به شاو وأن يسلمه صلاح الدين فلم يوافق بل سيره إلى عمه شيركوه من البحر على عكا بمن معه إلى دمشق ودخل شاو إلى الاسكندرية في سابع عشر شوال فاستتر ابن مصال وقر إلى الشام وقبض على ابن الخياط وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج إلى رشيد هذا وقد امتنع الفقيه أبو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة بالنار فوقف عليهم شاو فقال له ابن عوف أعذرنا يا أمير الجيوش وسأحنا بما فعلناه فعفا عنهم وولى القاضي الأشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجح ناظرا على الأموال وخرج ومعه مصرى ملك الفرنج إلى القاهرة ثم توجه مصرى إلى بلاده * وفي سنة إحدى وسبعين وسقانة ورد الخبر بحركة الفرنج إلى ثغور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بأمر الشواني ونصب على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق * وفي يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج إلى ظاهر باب البحر حيث يجتمع العامة بفرجة وتعرض إلى صبي أمرد يرأوده عن نفسه فأكر ذلك بعض من هنالك من المسلمين وقال هذا ما يحل فأخذ الفرنج خفا كان بيده وضربه على وجهه فصاح بالناس فأتوه فقام الفرنج مع صاحبهم واتسع الخرق إلى أن ركب متولى الثغر وأغلق أبواب المدينة وطلب من أثار الفتنه ففروا وعاد إلى داره وترك الأبواب مغلقة وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عادتهم في حوائجهم فليل بينهم وبين بيوتهم وجاء الليل وهم قيام على الأبواب ينجبون ويصيحون فغضب أعيان البلد إلى المتولى وما زالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادرين وهم يزدهون فمات منهم زيادة على عشرة أنفس وتلفت أعضاء جماعة وذهب من عمام الناس ومناديلهم وغير ذلك شئ كثير وعظم البكاء والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالى لكشف أحوال الناس فتسكثروا عليه ورجعوه فانهمزم منهم إلى داره فقبضوه وقتلوه فقاتلهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهم دماء كثيرة وأحرقوا بابيه ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستجد إلى دمنور ومن حوله من العربان فأتوه واحتاطوا بالمدينة وسرح الظاهر إلى السلطان بمخروج أهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتد غضبه وخشي من اطلاقهم الامراء المسجونين وبعث إلى القضاة فجمعهم واستفتاهم في قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج اليهم الوزير مغطاي الجلالى وطوغان شاذلداوين وأيدهم أمير جندار وعدة من المماليك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة باراقة دماء أهل الفساد ومصادرة جماعة وأخذ أموال أهل البلد والقبض على الاسلحة المعدة بها للغزاة وامساله القاضي والشهود وحمل الامراء المسجونين إلى القاهرة فصاروا في عاشره وقدموا الثغر بعد ثلاثة أيام ونزل الوزير بالخير وفرض على الناس خمسمائة ألف دينار مصرية وأحضر قاضي القضاة عماد الدين ونائبه في الحديد وانكر عليهم ما كونهما شهرا النداء في البلد بالغزاة في سبيل الله فأكر وقوع هذا منهم وأنهم لم يكن في قدرتهم ما رد السواد الأعظم فضرب نائبه ابن الشيبى ضربا مبرحا وأزمه بحمل ستمائة ألف درهم وأزم القاضي بخمسمائة ألف درهم وكان قد رسم بشبهة فتلطف في مكاتبة السلطان واعتذر عنه وبرأه حتى عفا عنه وتبع العامة فوسط منهم ثلاثين رجلا في يوم الجمعة ثالث عشره فصار على الناس إلى دورهم من الخوف فذهبت عدة عمام واشتد الخوف مدة عشرين يوما وكتب السلطان تنو إلى بالايقاع بأهل الثغر وأخذ أموالهم والوزير يحسن في الجواب إلى أن جهز الامراء المسجونين وسار من الثغر وقد استعرض ما به من السلاح فوجد ستة آلاف عدة كاملة جعلها جميعها في قاعة وختم عليها وبلغت الجباية من الناس ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار فكانت هذه من المحن العظيمة والحوادث الشنيعة والله الامر من قبل ومن بعد

* (ذكر مدينة اتريب) *

هذه المدينة بناها اتريب بن قطيم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وكان اتريب قد انتقل إلى حيزه بعد موت أبيه قطيم وهي المدينة التي كان أبوه بناها له وكان طولها اثني عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل في شارعها الأعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض منها قبة في وسط المدينة وقبتان في طرفها وجعل على كل قبة مرقبا كبيرا وفي كل ناحية منها لمعا ومجالس ومنزهات تشرق وشق في غربها نهرا وعقد عليه قناطر وجعل من فوقها محباس متصلة وحولها المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض

من روعة من خلفها الجنان والبساتين وعلى كل باب من الابواب اعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام
 تمنع من يؤذى وجعل في داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدوها أحد من اهل الخير قهقهه
 الشيطان الذي عن يمين الباب وان كان من اهل الشر يكي الشيطان الذي عن يسرة الباب وجعل في كل منزله
 منها من الوحش الآكف والطيور المغردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة صوراً تصفر اذا هبت الرياح ونصب
 مرآة ترى البلاد البعيدة وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناماً بارزة في صور مختلفة
 وفي وسطها بركة اذا مرت بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ وجعل لها حصناً باثني عشر باباً على كل باب
 تمثال يعمل اعجوبة وعمل حوالها جناناً وجعل بالقرب منها في ناحية الشرق مجلساً منقوشاً على ثمانى أساطين
 وفوقه قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر في كل يوم ثلاث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس
 وأقام فيها أصناماً ومجائب كثيرة وبني مدناً كثيرة وأقام فيها رجلاً يقال له برسان يعمل الكيمياء وضرب منها دنانير
 في كل دينار سبعة مناقيل عليها صورته وعاش اربع مائة وستين سنة وبلغ من العمر ثمانمائة سنة
 وعمل له نائوس في جبل بالشرق حفرة تحته سرب بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سريره من ذهب مرصع
 وحملت اليه ذخائره وجعلوا على بابه صورة اثنين لا يدنو منه أحد الا هلك وسقوا عليه الرمال وزبروا عليه اسمه
 وتاريخ وقته وقال ابن الكندي أربع كور بمصر ليس على وجه الارض أفضل منها ولا تحت السماء لهن نظير
 * كورة الفيوم * وكورة اتريب * وكورة سمود * وكورة انصنا * وكورة اتريب من جملة كور أسفل الارض
 وهي مائة وثمانى قرى وكان يقال مدائن الصحرة من ديار مصر سبع وهي أرمنت * وبيا * وبوصير * وانصنا
 * وصان * واتريب * وصا

* (ذكر مدينة تنيس) *

تنيس بكسر التاء المنقوطة باثنين من فوقها وكسر النون المشددة وياء آخر الحروف وسين مهمله بلدة من بلاد
 مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح ويقال بناها قليمون من ولد اتريب بن قبطيم
 أحد ملوك القبط في القديم قال ابن وصيف شاه ومملكت بعد اتريب ابنته فدبرت الملك وساسته بأيد وقوة خمساً
 وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعده ابن أختها قليمون الملك فرد الزوراء الى مراتبهم وأقام الكهان
 على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رأيهم وجد في العمارات وطلب الحكم * وفي أيامه بنيت تنيس الاولى التي
 غرقها البحر وكان بينه وبينها شيء كثير وحولها الزرع والشجر والكرم وقرى ومعاصر الخمر وعمارة لم يكن
 أحسن منها فأمر الملك أن يبنى له في وسطها مجالس وينصب له عليها قباب وتزين بأحسن الزينة والنقوش وأمر
 بفرشها واصلاحها وكان اذا بدا النيل يجرى انتقل الملك اليها فأقام بها الى النوروز ورجع وكان للملك بها أمراء
 يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بقناطر وكان كل ملك يأتي بأمر
 بعمارها والزيادة فيها ويجعلها له منزلاً * ويقال ان الجنيتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول
 واضرب لهما مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل الآيات كاتلاً الاخرين من بيت
 الملك أقطعهم ما ذاك الموضع فأحسن عمارته وهندسته وبنائه وكان الملك يتنزه فيهما ويؤتي منهما بغرائب الفواكه
 والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيبه فحجب بذلك المكان أحد الاخرين وكان كثير الضيافة
 والصدقة ففرق ماله في وجوه البر وكان الآخر ممسكاً بخير من أخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قسمه شيئاً
 اشتراه منه حتى بقي لا يملك شيئاً وصارت تلك الجنة لأخيه واحتاج الى سؤاله فأنهزه وطرده وعيره بالتبذير
 وقال قد كنت أنصحك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعني امساكي فصرت أكثر منك مالا وولداً وولى عنه مسروراً
 بماله وجنته فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعاً فأقبل صاحبها يولول ويدعو بالشور ويقول
 يا ليتني لم أشرك بربي أحد اقال الله جل جلاله ولم تكن له فتنة ينصرونه من دون الله * وفي زمان قليمون الملك بنيت
 دمياط وملوك قليمون تسعين سنة وعمل لنفسه نائوساً في الجبل الشرقي وحول اليه الاموال والجواهر وسائر
 الذخائر وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف من دخل قطعته وجعل عن يمينه ويساره
 اسدين من نحاس مذهب بلوالب من أتاه حطماه وزبر عليه هذا قبر قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصر عمر

دهرا وأتاه الموت فما استطاع له دفعاً فن وصل اليه فلا يسلبه ما عليه ولياً خذ من بين يديه * ويقال ان تنيس
 أخ لدمياط وقال السعدي في كتاب مروج الذهب وغيره تنيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب
 تربة وكانت جناناً ونبلاً وكرماً وشجراً ومزارعاً وكانت فيها بحار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس باذا
 أحسن من هذه الارض ولا أحسن اتصالاً من جنانها وكرمها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا القيوم
 وكان الماء منحدر الى اليا لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جنانهم اذا شاوروا وكذلك زروعهم وسائرهم يصب
 الى البحر من جميع خلجانها ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان
 فيها بين العريش وجزيرة قبرس طريق ميسور الى قبرس تسلكه الدواب ببساط لم يكن بين العريش وجزيرة قبرس
 في البحر سير طويل حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وقبرس فلما مضت لقاطيا نفوس من ملكة ما تثنان
 واحدى وخسرون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد
 في كل عام حتى أغرقها بأجمعها فكان من القرى التي في قرارها غرق وأما الذي كان منها على ارتفاع من الارض
 ففي منه تونه وبورا وغير ذلك مما هو باق الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان اهل القرى التي في هذه البحيرة
 يتقلون موتاهم الى تنيس فنبشهم واحداً بعد واحد وكان استحكام غرق هذه الارض بأجمعها قبل أن تفتح
 مصر بمائة سنة قال وقد كان الملك من الملوك التي كانت دارها القرماع اركون من أراكنة البليسا وما اتصل
 بها من الارض حروب عمت فيها خنادق وخلجان فحمت من النيل الى البحر تمتع بها كل واحد من الآخرو كان
 ذلك داعياً للشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض * وقال في كتاب اخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة
 لها مائة باب وقال ابن بطالان تنيس بلد صغير على جزيرة في وسط البحر ميسلة الى الجنوب عن وسط الاقليم الرابع
 خمس درج وأرضه سبخة وهوؤه مختلف وشرب اهله من مياه مخزونة في صهاريج تملأ في كل سنة عند عذوبة
 مياه البحر بدخول ماء النيل اليها وجميع حاجاتها مجلوبة اليها في المراكب واكثر أغذية اهاليها السمك والحب
 وألبان البقر فان ضمان الحب السلطاني سبعة مائة دينار حساباً عن كل ألف قاب دينار ونصف وضمان السمك
 عشرة آلاف دينار وأخلاق اهله ميسلة منقادة وطبايعهم مائلة الى الرطوبة والافوثة قال ابو السري الطيب
 انه كان يولد بها في كل سنة ما تناحنت وهم يحبون النظافة والمائة والغناء واللذة وأكثرهم بيتون
 سكارى وهم قليلو الرياضة لضيق البلد وأبدانهم ممتلئة الاخلاط وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسي
 أقام بأهلها ثلاثين سنة * وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له ابو ثور من العرب المنتصرة
 فلما فحمت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم فحو عشرين ألفاً من العرب المنتصرة والقبط والروم فكانت
 بينهم حروب آلت الى وقوع أبي ثور في ايدي المسلمين وانهم ازم أصحابه فدخل المسلمون البلد ونوا كنيستها جامعاً
 وقسموا الغنائم وساروا الى القرماع فلم تزل تنيس بيد المسلمين الى أن كانت اميرة بشر بن صفوان الكلبي على
 مصر من قبل يزيد بن عبد الملك في شهر رمضان سنة احدى ومائة فنزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن مسلمة
 المرادي أميرها في جمع من الموالي وفيهم يقول الشاعر

الم تر بع فيخبرك الرجال * بما لاقى بتنيس الموالي

وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للاوائل وكان اهلهما ميسراً أصحاب ثراء واكثرهم حاكمة وبها بحار
 ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا وكان يصنع فيها الخلقة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداة
 ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تتحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار
 وليس في الدنيا طراز ثوب كان يبلغ الثوب منه وهو سادج بغير ذهب مائة دينار عينة غير طراز تنيس ودمياط
 وكان النيل اذا اطلق يشرب منه من بمشارق القرماع من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس فكانت من
 اجل مدن مصر وان كانت شطاً وديفو ودميرة وتونة وما قاربها من تلك الجزائر يعمل بها ارفع فليس
 ذلك يقارب التنيسي والدمياطي وكان الحمل منها الى ما بعد سنة ستين وثم مائة يبلغ من عشرين ألف دينار
 الى ثلاثين ألف دينار بلهاز العراق فلما تولى الوزير يعقوب بن كاس تدبير المال استأصل ذلك بالنواب وكان
 يسكن بمدينة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان اهل تنيس يصيدون السمك في غير ذلك من الطير على
 ابواب دورهم والسمك في طائر يخرج من البحر فيقع في تلك الشبالة وكانت السفن تركب من تنيس الى القرماع

وهي على ساحل البحر * ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الأمين وأراد الغدر والنكث
بالمأمون كان على مصر حاتم بن هرثمة بن أعين من قبل الأمين فلما ناز عليه أهل تنوخي بعث إليهم السري بن
الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي فغلبا بعد الثمانية من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ثم ولي الأمير جابر
ابن الأشعث الطائي مصر وصرف حاتم بن هرثمة وكان جابر ليما فلما تابعا ما بين محمد الأمين وبين أخيه عبد الله
المأمون وخلع محمد أخاه من ولاية العهد وترك له على المنابر وعهد إلى ابنه موسى ولقبه بالشديد ودعى له
تكلم الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمأمون فبعث إليهم جابر ينهأهم عن ذلك ويخوفهم عواقب الفتن
وأقبل السري بن الحكم يدعو الناس إلى خلع محمد وكان ممن دخل إلى مصر في أيام الرشيد من جند
الليث بن الفضل وكان خادما لرافع ذكره بقيامه في خلع محمد الأمين * وكتب المأمون إلى أشرف مصر يدعوهم
إلى القيام بدعوتهم فأجابوه وبايعوا المأمون في رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فأخرجوه وولوا عباد
ابن محمد فبلغ ذلك محمد الأمين فكتب إلى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الحرثي وكان رئيس قيس
الحوف فانتقاد أهل الحوف كلهم معه يماؤيسها وأظهروا دعوة الأمين وخلع المأمون وساروا إلى القسطنطينية
لحاربة أهلها واقتتلوا فكانت بينهم موقعة ثم انصرفوا وعادوا مرارا إلى الحرب ففقد عباد بن محمد لعبد العزيز
الجروي وسيره في جيش لمحاربة القوم في دارهم فخرج في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائة وحاربهم
بعمريت فانهم زعم الجروي ومضى في قومه من لحم وجمادى إلى فاقوس فقال له قومه لم لا تدع نفسك أنت بدون
هؤلاء الذين غلبوا على الأرض فمضى فيهم إلى تنيس فقتلها ثم بعث بعماله ليحبسون الخراج من أسفل الأرض فبعث
ربيعة بن قيس يئذه من الجبابرة وسار أهل الحوف في المحرم سنة ثمان وتسعين إلى القسطنطينية واقتتلوا وقتل جمع
من الفريقين وبلغ أهل الحوف قتل الأمين فتفرقوا وولى امرأة مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون
فدخلها في ربيع الأول وولى عبد العزيز الجروي شرطته ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الأرض ثم صرف
المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى في شوال فولى عبد العزيز الشرطة فلما نارا الجند وأعادوا المطلب في
المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروي إلى تنيس وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة إلى الحوف فقتل
ببليس ودعا قيسا إلى نصرته ثم مضى إلى الجروي بتنيس فأشار عليه أن ينزل دار قيس فرجع إلى ببليس في
جمادى الآخرة وبها مات مسهوما في طعام دسه إليه المطلب على يد قيس فدان أهل الاحواف للمطلب وبايعوه
وساروا إلى جب عميرة وسالموه عندما القوه وبعث إلى الجروي يأمره بالشخص إلى القسطنطينية فامتنع من
ذلك وسار في مراكبته حتى نزل شطون فبعث إليه المطلب السري بن الحكم في جمع من الجند يسألونه الصلح
فأجابهم إليه ثم اجتمع في الغدر بهم قتيق طواله فمضى راجعا إلى بناة فاتبه وعوه وحاربوه ثم عاد فدعاهم إلى الصلح
ولاطف السري فخرج إليه في زلاج وخرج الجروي في مثله فالتقيا في وسط النيل فبالب سندفا وقد أعد
الجروي في باطن زلاجه الحبال وأمر أصحابه بسندفا إذا لقي بزلاج السري أن يجر الحبال إليهم فلصق
الجروي بزلاج السري فربطه في زلاجه وجر الحبال وأسرا السري ومضى به إلى تنيس فحبسه بها وذلك في
جمادى الأولى ثم كثر الجروي وقاتل فلقبه جموع المطلب بسفط سليط في رجب فظفر واما عزل عمر بن ملاك
عن الاسكندرية ثار بالاندلسيين ودعا للجروي فأقبل عبد الله بن موسى بن عيسى إلى مصر طالبا بدم أخيه
العباس في المحرم سنة مائتين فقتل على عبد العزيز الجروي فسار معه في جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى
نزل الجيزة فخرج إليه المطلب في أهل مصر فخاربه في صفر فرجع الجروي إلى شرقين ومضى عبد الله بن
موسى إلى الحجاز وظهر المطلب على أن أباحرمله فرجا الأسود هو الذي كتب عبد الله بن موسى وحرّضه على
المسير فطلبه ففر إلى الجروي وجد المطلب في أمر الجروي فأخرج الجروي السري بن الحكم من السجن
وعاهده وعاقده على أن يشور بالمطلب ويخلعه فعاهده السري على ذلك فأطلقه وألقى إلى أهل مصر أن كتابا ورد
بولاية فاستقبله الجند من أهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولايته فقتل داره بالجماء وأمده
قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه الأمان فأمنه وخرج من مصر واستبد
السري بن الحكم بأمر مصر في مستهل شهر رمضان * فلما قتل الاندلسيون عمر بن ملاك بالاسكندرية سار إليها
الجروي في خمسين ألفا فبعث السري إلى تنيس بعثا فكثر الجروي راجعا إلى تنيس في محرم سنة إحدى

وما تين فلما نار الجند بالسري في شهر ربيع الاول وبايعوا سليمان بن غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام
بالامر على بن حزة بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في مسهل شعبان فامتنع عباد أن يبايعه
ولحق بالجرى ثم لحق به أيضا سليمان بن غالب فكان معه وعاد السري الى ولاية مصر في شعبان وقوى سلطانه
فلما كان في المحرم سنة اثنتين ومائتين ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولي عهده على بن موسى
الرضي فبويج له بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي يبعث اذ وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع
المأمون وولي عهده وبالوثوب على السري فقام بذلك الحارث بن زرعة بن محترم بالقسطاط وعبد العزيز بن
الوزير الجري بأسفل الارض ومسلمة بن عبد الملك الطحاوي الأزدي بالصعيد وحالفوا السري ودعوا الى
ابراهيم بن المهدي وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي فخاربه السري وظفر به في صفر
ولحق كل من كره بيعة على رضي بالجرى تمنعه بتينس وشبهه سلطانه فصار الى الاسكندرية ومملكها ودعى
له بها ويلا الصعيد ثم سار في جمع كبير لمحاربة السري واستعد كل منهم الصاحبه بأعظم ما قدر عليه
فبعث اليه السري ابنه ميمونا لثقيبا بشظوف فقتل ميمون في جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين وأقبل
الجرى في مراكبه الى القسطاط ليخرقه فخرج اليه اهل المسجد وسألوه الكف فانصرف عنها وحارب
الاسكندرية غير مرة وقتل بها من حجر أصابه من مخبئة في آخر صفر سنة خمس ومائتين ومات السري بعده
بثلاثة اشهر في آخر جمادى الاولى وقام بعد الجري ابنه على بن عبد العزيز الجري فخاربه أبانصر محمد بن
السري أمير مصر بعد أبيه بشظونف ثم التقيا بدمنهور فيقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا سبعة آلاف
وانهزم ابن السري الى القسطاط فبعثه مراكب ابن الجري ثم عادت فدخل ابو حرملة فرج بينهم حتى
اصطلحوا ومات ابن السري في شعبان سنة ست ومائتين فولد بعده أخوه عبيد الله بن السري فكف عن
ابن الجري وبعث المأمون محمد بن يزيد بن يزيد الشيباني الى مصر في جيش من ربيعة فامتنع عبيد الله
ابن السري من التسليم له وماتته فقتلوا وانضم على بن الجري الى خالد بن يزيد وأقام له الانزال وأغاثة
وسار حتى نزل على خندق عبيد الله بن السري فقتل في شهر ربيع الاول سنة سبع ومائتين ووجرت بينهما
حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد الى أرض الخوف فكره ذلك ابن الجري ومكر به حتى أخرجه من عمله
الى غربي النيل فنزل فيها وانصرف ابن الجري الى تنيس فصار خالد في ضرر وجهد وعسكر له ابن السري في
شهر رمضان وأمره وأخرجه من مصر الى مكة في البحر وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السري على ما في يده
وهو قسطاط مصر وصعيدا وغربها بولاية على بن عبد العزيز الجري تنيس مع الخوف الشرقي وضمه
خواجه وأقبل ابن الجري على استخراج خواجه من أهل الخوف فأنعوه وكتبوا الى ابن السري يستدونه
عليه فأمدتهم بأخيه فاتقيا بكورة بنا في بلقينة فقتلوا في صفر سنة سبع ومائتين وامتدت الحروب بينهم الى
أثناء ربيع الاول وهم منه فون فانصرف ابن الجري فبين معه الى دمياط فصار ابن السري الى محلة تسمى قون
ونهبها وبعث الى تنيس ودمياط فملكهما ولحق ابن الجري بالفرما وسار منها الى العريش فقتل فيما بينها وبين غزة ثم
عاد وأغار على الفرما في جمادى الآخرة ففر أصحاب ابن السري من تنيس وسار ابن الجري الى شظونف فخرج
اليه ابن السري واقتتلا فكانت لابن الجري في اول النهار ثم اتاه كمين ابن السري فأنهزم وذلك في رجب
فغضى الى العريش وسار ابن السري الى تنيس ودمياط ثم أقبل ابن الجري في المحرم سنة عشر ومائتين ومات
تنيس ودمياط بغيرة قتال فبعث اليه ابن السري البعوث فخاربهم فبينما هم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر
قتله ابن الجري بالاموال والانزال وانضم اليه ونزل معه ببليس فامتنع ابن السري ودافع ابن طاهر
قتل أخيه وبعث فجي المال ونزل زفتا وبعث الى شظونف عيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن
الجرى على سفنه التي جاءت من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السري في المحرم سنة إحدى عشرة
وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السري في صفر وخلع عليه وأجاز به عشرة آلاف دينار وأقره بالخروج الى المأمون
فسكنت قن مصر بعبد الله بن طاهر * وفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ولدت بتينس معزى جدية لقرون عدة
ورأسه مع صدره وبدنه وقدمه بصوف أبيض ومؤخره بشعر أسود وزنبه ذنب شاة وولدت امرأة مكنة لها
رأس مدور ولها يدان ورجلان وذنب وثلاث تين من ذى الحجة من هذه السنة حدث بتينس رعد وبرق وريح

شديدة وسواد عظيم في الجوف ثم ظهر وقت السحر في السماء عمود نار اجرت منه السماء والارض أشد حمرة وخرج
 غبار ودخان يأخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك خمسة أيام * وفي سنة
 اثنتين وثلاثين وثلاثمائة حضر عند قاضي تنيس أبي محمد عبد الله بن أبي الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل
 بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت بها منذ خمسة أيام فوجدت لها مال الرجال ومال النساء فبعث اليها القاضي
 امرأة تشرف عليها فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرًا بخصيتين والفرج تحتها والذكر أكلف وانها رابعة
 الحسن فطلقها الزوج * قال ابو عمرو الكندي حدثني ابو نصر أحمد بن علي قال حدثني يس بن عبد الاحد قال
 سمعت أبي يقول لما دخل عبد الله بن طاهر مصر كنت فين دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي
 قبيل عن سبيع قال يا أهل مصر كيف بكم اذا كان في بلدكم قتل فوليكم فيها الاعرج ثم الاصفر ثم الامرد ثم يأتي
 رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ رايته البحر الاخضر يلاها عدلا فقلت كان ذلك كانت الفتنة فوليها
 السري وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو النصر والامرد عبيد الله بن السري وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين
 ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية وأصلح امرها وأخرج ابن الجروي الى العراق ثم قدم به الافشين
 الى مصر في ذي الحجة سنة خمس عشرة وقد أمر الافشين أن يطالبه بالاموال التي عنده فان دفعها اليه والاقتله
 فطالبه ولم يدفع اليه شيئا فقتله بعد الاضحية بثلاث فقتله * وفي جمادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين نار
 يحيى بن الوزير في تنيس فخرج اليه المظفر بن كندر أمير مصر فقاتله في بحيرة تنيس وأسرته وتفرق عنه أصحابه *
 وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتنيس قتل على عمارته عنبسة بن اسحاق أمير مصر
 وأتقى فيه وفي حصن دمياط والفرما ما لا عظميا وفي سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تنيس صيفا وشتاء
 ثم عادت لمخاضها وشتاء وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة وفي سنة ثمان وأربعين
 وثلاثمائة وصلت مراكب من صقلية فذهبوا مدينة تنيس وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة صيد بأشتوم تنيس
 حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك طول رأسه تسعة أذرع ودائر بطنه مع ظهره خمسة عشر
 ذراعا وفكته ثمانية وعشرون شبرا وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف وله يدان يجذف بهما طول كل يد ثلاثة
 أذرع وهو أملس أغبر غليظ الجلد مخطط البطن بياض وسواد ولسانه أحر وفيه خيل كالريش طوله نحو الذراع
 يعمل منه امشاط شبيه الذيل وله عينان كعيني البقر فأمر أمير تنيس أبو اسحاق بن لوبنة به فشق بطنه وملح بجافة
 اردب ملح ورفع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير منح وجعل
 الى القصر حتى رآه العزيز بالله وفي ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة شاد اهل
 تنيس تسعة أعمدة من نار تلتب في آفاق السماء من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلدي عون الله تعالى
 حتى اصبحوا نجبت تلك النيران وفيها صيد بحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه رأس وعيinan
 وعنق وصدر على صورة أسد ويداؤه في صدره بخالبه ونصفه الادنى صورة حوت بغير قشر حمل الى القاهرة
 وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ولدت جارية بتبار أسين أحدهما بوجه أبيض مستدير والآخر بوجه أسمر
 فيه سهولة في كل وجه عيinan فكانت ترضعهما وكلاهما مريض على عنق واحد في جسد واحد بيد
 ورجلين وفرج ودبر فحملت الى العزيز حتى رآها ووهب لهما اجلة من المال ثم عادت الى تنيس وماتت بعد
 شهر وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة وصل الى تنيس من شوا في صقلية نحو أربعين مراكب فحصروها يومين
 وأقلعوا ثم وصل اليها من صقلية أيضا في سنة ثلاث وسبعين نحو أربعين مراكب فقاتلوا اهل تنيس حتى ملكوها
 وكان محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فتميز في طائفة من المسلمين الى مصلى تنيس
 فلما اجتمع الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم في غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤسهم فأصبح الفرنج
 الى المصلى وقتلوا من بهامن المسلمين فقتل من المسلمين نحو السبعين وسار من بقي منهم الى دمياط فمال الفرنج
 على تنيس وألقوا فيها النار فأحرقوها وساروا وقد امتلأت ايديهم بالغنائم والاسرى الى جهة الاسكندرية بعد
 ما أقاموا بتنيس أربعة أيام ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة نزل فرنج عسقلان في عشر حرايق على أعمال
 تنيس وعاميا رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر
 صلاح الدين يوسف عندما سار الى بلاد الشام ثم مضى المعز وعاد فأسر ونهب قناريه المسلمون وقتلوه فظفرهم

الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه * وفي سنة سبع وسبعين وخمسة انتدب السلطان
 اعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها عندما اشتد خوف اهل تنيس من الاقامة بها فقد راعمارة سورها
 القديم على أساساته السابقة مبالغ ثلاثة آلاف دينار عن ثمن اصناف وآجر * وفي سنة ثمان وثمانين وخمسة
 كتب باخلاء تنيس ونقل اهلها الى دمياط فأخليت في صفر من الذراري والاثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة في
 قلعتها * وفي شوال من سنة اربع وعشرين وسقانة امر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن ايوب بهدم
 مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلية تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة * قال الفاكهي في
 كتاب أخبار مكة ورأيت كسوة مما يلي الركن الغربي يعني من الكعبة مكتوباً عليها مما أمر به السرى بن
 الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى بأمر الفضل بن سهل ذى الرباستين وطاهر بن الحسين سنة سبع
 وتسعين ومائة ورأيت شقة من قباطى مصر فى وسطها الا انهم كتبوا فى أركان البيت بخط دقيق أسود مما أمر
 به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين ورأيت كسوة من كسا المهدي مكتوباً عليه باسم الله بركة من الله
 لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به اعميل بن ابراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على
 يد الحكم بن عبيدة سنة اثنين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطى مصر مكتوباً عليه باسم الله بركة من الله
 مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع فى طراز تنيس كسوة الكعبة
 على يد الخطاب بن مسلمة عامه سنة تسع وخمسين ومائة * قال المسيحي فى حوادث سنة أربع وثمانين وثلاثمائة
 وفى ذى القعدة ورد يحيى بن ايمان من تنيس ودمياط وأمر ما بهديته وهى أسفاط وتخت وصناديق مال
 وخيل وبغال وحير وثلاث مظال وكسوتان للكعبة * وفى ذى الحجة سنة اثنين وأربع مائة وردت هدية تنيس
 الواردة فى كل سنة منها خمس فوق مائة رأس من الخيل بسر وجها ولجها وتجافى وصناعات عدة
 وثلاث قباب ديقية بمراتبها ومقرقات وبنود وما جرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز ولما قدم الحاكم
 استدعت أخته السيدة سيدة الملك الى عامل تنيس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويجعل توجيهه
 وقيل انه كان ألف دينار وألفى ألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد ثلاث سنين وأمره الحاكم بتركها
 عنده قبل ذلك اليها وبه استعانت على ما دبرت * وفى سنة خمس عشرة وأربع مائة ورد الخليفة
 الظاهر لاعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله أن السودان وغيرهم ناروا بتنيس وطلبوا أرزاقهم
 وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا فى البلد وأفسدوا ومدوا أيديهم الى الناس وقطعوا الطرقات
 وأخذوا من المودع ألفاً وخمسة مائة دينار فقام الجرحى وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وساءنا
 فعل هذا بتنيس أوبيت المال وسير خمسين فارساً لاقبض على الجناة وما زالت تنيس مدينة عامرة ليس بأرض
 مصر مدينة أحسن منها ولا أحصن من عمارتها الى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب
 فى سنة اربع وعشرين وسقانة فاستقرت خراباً ولم يبق منها الا رسومها فى وسط البحيرة وكان من جملة كورة
 تنيس بورا ومنها وايوان وشطا ومجسرتا الا أن يصاد منها السمك وهى قليلة العمق يسافر فيها بالعادى وتلتقى
 السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة تريح واحدة وقمع كل واحدة منهما ملوء بالريح سيرهما فى السرعة مستو
 توسط البحيرة عدة جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة يضم العين المهمله وزاى ثم باء موحدة سكن طائفة من
 الصيادين وفى بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذى ملوحته وماؤها ملح وقد يحلو أيام النيل * (توبة) *
 وكان من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها توبة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة
 الكعبة أحياناً * قال الفاكهي ورأيت أيضاً كسوة لهرون الرشيد من قباطى مصر مكتوباً عليه باسم الله
 بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله لهرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل فى طراز
 توبة سنة تسعين ومائة * (سمناى) * قرية من قرى تنيس غلبت عليها بحيرة تنيس فصارت جزيرة فلما كان فى شهر
 ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وثمانمائة كشف عن بحارة وأجر بها فإذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على
 بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله نزار ومنها ما عليه اسم الامام الحاكم بأمر
 الله ومنها ما عليه اسم الامام الظاهر لاعزاز دين الله ومنها ما عليه اسم المستنصر وهو أكثرها أخبرنى بذلك من
 شاهده ورآه * (بورا) * كانت فيما بين تنيس ودمياط واليه ينسب السمك الذى يقال له البورى واليه ينسب

أيضا وبورى الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية * وفي سنة عشر وستمائة وصل العدو اليها بشوانيه
وسبها فقدمت اليها القطائع التي كانت على رشيد فسار عنها العدو * (القيس) * بفتح القاف وبعدها سين
مهملة بلا ينسب اليها الثياب القيسية آثارها الى اليوم باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والورادة وبعدها من
مدينة القرما قريب من ستة برد في البر وهناك تل عظيم من رمل خارج في البحر الشامي يقطع القرنيج عنده
الطريق على المارة وبالقرب من التل سبخا ينبت فيه ملح يحمله العربان الى غزة والرمله ويقرب هذا السبخا آبار
يزرع عندها مقاني لعربان تلك البرادى

(* ذكر مدينة صا)

قال ابن وصيف شاه ولسا قسم قبطيم بن مصر ايم الارض بين اثمنون واتريب وقطوصا انتقل كل واحد الى
قسمه وحيزه فخرج صا بأهلها وولده وحشمه الى حيزه وهو بلد البحيرة والاسكندرية حتى انتهى الى برقة ونزل
مدينة صا قبل أن تبني الاسكندرية وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبه اليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات
وبناء المداين والبلدان والهياكل وأظهر العجائب كما صنع أخوته وطلب الزيادة في ذلك * وقال مرهون
الهندي صاحب بانه فبنى من حداثا الى حذلونية ومراقبة على البحر أعلاما وجعل على رؤس تلك الاعلام
مرأى من اخلاط شتى فكان من دواب البحر وأذاها ومنها ما اذا قصدهم عدو من الجزائر وأصابها
الشمس ألفت شعاعا على مراكبهم فأحرقتها ومنها ما يرى المداين التي تحاذيهم من عدوة البحر وما يعملها أهلها
ومنها ما ينظر فيها الى اقليم مصر فيعلم منه ما يخص وما يجذب في كل سنة وجعل فيها حمامات تقدم من نفسها
وجعل مستشفيات ومنزعات وكان ينزل كل يوم منها في موضع بمن يخصه من خدمه وحشمه وجعل حوالها
بساتين وسرحا فيمسا الطيور المغردة والوحش المستأنس والانهار المطردة والياض الموقنة وجعل شرفات
قصوره من حجارة ملوثة تلعب اذا أضاءتها الشمس فينشر شعاعها على ما حولها ولم يدع شيئا من آلة النعمة
والرفاهية الا استعمله فكانت العمارة تمتد في رمال رشيد ورمال الاسكندرية الى برقة وكان الرجل يسافر
في أرض مصر لا يحتاج الى زاد لكثرة القواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستر من الشمس وعمل في تلك
الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربي الى حد
الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى ونحرت تلك المنازل وبدا أهلها
ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكي ما رآه فيها من الآثار والعجائب * قال مؤلفه رحمه الله حدثني الثقة
عن دخل مدينة صا ومشى في خرابها فاذا هو ببلنة طولها أربعة أشبار قسنا ولها أو خذيتا ملها ثم كسرها فاذا
فيها سنبله قدر شبر وافر كأنها كما حصدت وفركها بيد من مخرج منها قمح أبيض كبار حبه جدا في قدر حب اللوبيا
فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل آخر اليها قبيل سنة تسعين وسبع مائة وأخذ منها البنية طولها ذراع ونصف
في عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبله قمح ثخن كل قمحة منها في مقدار ما يكون أكبر من الحنظل فليطوق كسره
الا بعد ما رضعه بالبخارة رضا ووجد بصا صنم لطيف طول اصبع فاتفق انه ألقى في خاوية ماء فصار خراوكان
ذلك عند رجل من تنيس فحلت حاله من بيعه ذلك الخمر فطلبه الأمير الاوحد مستولى تنيس وما زال به حتى
أخذ الصنم منه

(* رمل القراني)

اعلم أن هذا الرمل تمتد في الارض ويسميه بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراء جبل طى الى أن يتصل مشرقا
بالبحر ويمضي من وراء جبل طى الى أرض مصر ثم الى بلاد النوبة ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر ومنه
عرف يضرب من القادسية الى البحرين فيعبر البحرين فيمر على مشارق خورستان وفارس الى أن يرد بحبستان
ويعبر مشرقا الى مرو وأخذ على جيكون في بركة خوارزم ويأخذ في بلاد الخلد الحمية الى الصين والبحر المحيط في جهة
الشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالشرق الى المحيط بالمغرب وفيه جبال عظام لا ترتقى وبعضه في
أرض سهلة ينتقل من مكان الى مكان ومنه اصفر لين اللبس وأحمر وأزرق سماوي وأسود حالك وأكل مشبع
كالنيل وأبيض كالثلج ومنه ما يحكي الغبار نعومة ومنه خشن جريش اللبس وزعم بعضهم أن رمل القراني

وما يتصل به من حدث العريش الى أرض العباسية حدث * وذكر في سبب كونه خبر فيه معتبر وهو أن شداد بن
 هداد بن شداد بن عاد أحد الملوك العاديين قدم الى مصر وغلب بكثرة جيوشه اشمون بن مصر بن يصر بن حام
 ابن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو وآبائه وبني لنفسه اهراماً ونصب أعلاماً زبر عليها الطليسمات واختط موضع
 الاسكندرية وأقام هناك دهرًا الى أن نزل به وبقومه وباء فخر جوا من أرض مصر الى جهة وادي القري فيما
 بين المدينة النبوية وأرض الشام وعمروا الملاعب والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الأمطار والسيول
 فكان سعة كل مصنع ميلًا في ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين راية وأيلة الى البحر
 الغربي وامتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والجفارى أرض سهلة ذات عيون تجري وأشجار ثمرة
 وزروع كثيرة فأقاموا بهذه الأرض دهرًا طويلاً حتى عثوا وبغوا وتجبروا وطغوا وقالوا نحن الأكثرون قوة
 الأشدون الأغلبون فسلط الله عليهم الريح فأهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سحلتها رملًا فتراهم من
 هذه الرمال التي بأرض الجفارى ما بين العباسية حيث المنزلة التي تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل
 مصانع العاديين وسحالة صخورهم لما أهلكهم الله بالريح ودمرهم تدميرًا وإياله وانكار ذلك لغرابته ففي
 القرآن الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه
 إلا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وقيل الرميم نبات الأرض اذا يبس وديس وقيل الورق الجاف
 المتحطم مثل الهشيم والرميم الخلق البالي من كل شيء * (مراقبة) * مدينة مراقبة كورة من كور مصر الغربية
 وهي آخر حد أرض مصر وفي آخر أرض مراقبة تلقى أرض انطاكس وهي برقة وبعدها من مدينة سستريه
 نحو من بردين وكان قطارًا كبيرًا به نخل كثير ومن أروع وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وعرها جيد الى الغاية
 وزرعها اذا بذرت من الحبة الواحدة من القمح مائة سنبله وأقل ما تنبت تسعون سنبله وكذلك الارز بها
 فانه جيد الزو به الى اليوم بساتين متعدده وكانت مراقبة في القديم من الزمان سكنها البربر الذين نفاهم داود
 عليه السلام من أرض فلسطين فنزلها منهم خلائق ومنها تفرقت البربر فنزلت زناته ومغيلة وضربته الجبال
 ونزلت لواته أرض برقة ونزلت هوارة طرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السويس فلما كان في شوال سنة
 أربع وثلاثمائة من سنى الهجرة المحمدية جلى اهل لوية ومراقبة الى الاسكندرية خوفاً من صاحب برقة ولم تزل
 في اختلال الى أن تلاشت في زمننا وبها بعد ذلك بقية جيدة * (كوم شريك) * هذا المكان بالقرب من
 الاسكندرية له ذكر في الاخبار عرف بشريك بن سمي بن عبد يغوث بن جزء المرادي القطيفي من الصحابة
 رضى الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية الشافى فعند ما كثرت جمائع الروم
 المحاربين الى هذا الكوم بأصحابه ودافع الروم حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة خوف رمسيس
 * (غيفة) * قرية تقارب مدينة بلبيس من الفسطاط انهارا حلتان كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان
 صواع الملك الذي فقد من مدينة مصر وجد في رجال اخوة يوسف عليه السلام بغيفة هذه * (منود) *
 كان بها برابا عليه هيئة درقة فيها كتابة حكى ابن زولاق عن أبي القاسم مأمون العدل انه نسخ الكتابة في قرطاس
 وصوره على درقة قال فما كنت أستقبل به أحدا الا ولى هاربا وكان بها أيضا تماثيل وصور من ملك مصر فيهم
 قوم عليهم شاسيات وأيديهم الخراب وعليهم مكتوب هؤلاء يملكون مدينة مصر

(ذكر مدينة بلبيس)

وسميت في التوراة أرض حاشان وفيما نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليه السلام فأنزله بأرض حاشان
 وهي بلبيس الى العلاقة من أجل مواسمهم قال ابن سعيد بلبيس واليه يصل حكمه الى الوردية وهي آخر حد
 مصر واليه تنتهي المعاملة بفضة السواد ويصير الناس يتعاملون بالفلوس بعدها الى العريش وهي أول الشام
 وقيل هي آخر مصر * وقال أبو عبيد البكري بلبيس بفتح اؤه واسكان ثانيه بعد باء مثل الأولى مفتوحة
 أيضا وباء ساكنة وسين مهملة وهو موضع قريب من مصر معروف وذكر ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك
 أن ابن بلبيس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرين ميلا * وذكر الواقدي أن المقوقس زوج ابنته
 ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهزها بأموالها وجوارها وعلمائها وحشمها لتسير اليه حتى يبنى عليها
 في مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت الى بلبيس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير في أنى فارس

الى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحدا من الروم ولا غيرهم يعبر الى مصر ويبعث المقوقس رسله الى اطراف بلاده مما يلي الشام أن لا يتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتخذوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل العرب في قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الى مصر نزل على بلييس وبها أرمافنوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانهمز من بقي الى المقوقس وأخذت أرمافنوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبطي ببلييس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير اليه ابنته أرمافنوسة مكرمة في جميع مالها مع قيس بن أبي العاص السهمي فسير بقدمها ثم سار عمرو الى القصر ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل عليها مري ملك الفرنج وأخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل منها الآلاف ولها أخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة ست وثمانمائة بعدما ادركها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين وأهلها اصحاب يسار ونعم سنية

* (ذكر بلاد الوردية) *

الوردية من جلة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الطريق والارض من الرملة الى اردود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الوردية ثمانية عشر ميلا ثم الى الغريب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المأمون لذلك كان بالميدان أقصر منه بالفرما غريب في قرى مصر يقاسى الهم والسدما ثم الى جبر ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلييس أحد وعشرون ميلا ثم الى فسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا * وقال جامع تاريخ دمياط ولما افتتح المسلمون الفرما بعدما افتتحو دمياط وتيس ساروا الى البقارة فأسلم من بها وساروا منها الى الوردية فدخل أهلها في الاسلام وما حولها الى عسقلان * وقال القاضى الفاضل في منجذات شهر المحرم سنة تسع وستين وخمسمائة وصاحبنا الوردية فبينما على ميناء الوردية ودخلنا الوردية فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربعمائة واسم الحاكم بأمر الله عليها والوردية من جلة الجفار ويقال أخذ اسمها من الورد ولم يزل جامعها عامر اتقام به الجمعة الى ما بعد السبع مائة وبلد الوردية القديمة في شرقي المنزلة التي يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمارة وفخيل قليل * (الصالحية) * هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب بن شاذى بأرض المسامخ والعلاقة في أول الرمل الذي بين مصر والشام وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوقا لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة أربع وأربعين وستمائة

* (ذكر مدينة ايلة) *

ذكر ابن حبيب أن اثال بضم اوله ثم ثاء مثلثة وادى ايلة وايلة بفتح اوله على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وايلة أول حد الحجاز وقد كانت مدينة جميلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة وأهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم في الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود اية مصر قد كان فيه مسلحته يأخذون المكس وبين ايلة والقدس ست مراحل والطور الذي كأم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايلة وكانت في الاسلام منزلا لبني أمية واكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا اسقاء الحاج وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزروع وعقبة ايلة لا يصعد اليها من هوراكب وأصلحها فائق مولى بخاريه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استرم منها وكان بأيلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود ويزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه بعثه اليهم امانا وكانوا يخرجونه رداء عدينا ملفوفا في الثياب قد أبرز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتهم حينئذ يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبون لا تأتهم كذلك بل وهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والسدي هي ايلة وعن ابن عباس أيضا انها مدينة بين ايلة والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وزيد بن أسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة

يقال لها معنأة وسئل الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الاقوتنا والحرام يأتينا جزافا
قال نعم في قصة ايلة اذ تأتيتهم حينئذ يوم سبتهم شترعوا يوم لا يسبتون لا تأتيتهم * وكان من خبر أهل القرية
انهم كانوا من بني اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال انما نهيتم عن
أخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فبقى فيها فلا يملكها الخروج
منها لقله الماء فأتوا خذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ويضع فيه وهقه ويلقيه في ذنب الخوت وهو
بصر يك الهاء واسكانها جبل كالطول ويجعل في الطرف الآخر من الخيط وتد او يتركه كذلك الى يوم الاحد ثم
تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يتبلى حتى كثرا الصيد للحيتان ومشى به في الاسواق وأعلن الفسقة
بصيده فقامت طائفة من بني اسرائيل وجاهرت بالنهي واعتزت وقالت لانسا كنكم فقمتموا القرية بجدار
فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس لسانا فعملوا على الجدار
فاذا هم قردة فدخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس فجعلت تأتيتهم فتشم ثيابهم وتبكي فيقول الناهون
للقردة لم تهكم فقول برأسنا نعم قال فتادة فصارت الشباب قردة والشيخوخا زيرفا فجاء الذين نهوا وهلك
سائرهم وقيل ان ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام وقيل ان ايلة اصلها ايليا اليه وقد وقع ذكرها
في التوراة كذلك وقال الشريف محمد بن أسعد الجوافي دكالة من البربر بطن من المصامدة وقالت طائفة ان
دكالة ولدا ايلة ويقال ايل الذي سميت به عقبه ايلة وآخرانهم من دغل بن ايلة وانهم يعزون الى البربر ويقولون
نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم * وذكر المسعودي أن يوشع بن نون عليه السلام حارب
السميدع بن هزبر بن مالك العمليقي ملك الشام ببلد ايلة فحومدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول
عون بن سعيد الجرمي

ألم تر أن العمليقي بن هرعر * بأيلة أمسي لمحمة قد عزعا

تداعت عليه من يهود بحافل * ثمانون ألفا حاسرين ودرعا

وهي آيات كثيرة وقال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه تحية بن روبة صاحب
ايلة فصالحه وأعطاه الجزية وأناه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب تحية بن
روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا امانة من الله ومحمد النبي رسول التحية بن روبة وأهل ايلة أساقفهم وسائرهم في
البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا
فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من
بر أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشربيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة
تسع من الهجرة ولم تزل مدينة ايلة عامرة آهلة * وفي سنة خمس عشرة واربعمائة طرق عبد الله بن ادريس
الجعفرى ايلة ومعه بعض بني الجراح ونهبها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدة غلال وسبي النساء والاطفال ثم
انه صرف عن ولاية وادى القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربتها * قال القاضي الفاضل وفي سنة ست
وستين وخسمائة انشا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مراكب مفصلة وجعلها على الجبال وسار بها من
القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قدم ملكها الفرنج وامتنعوا بها فصار لها في ربيع الاول وأقام
المراكب وأصلحها وطردها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى فتحها في
العشرين من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسرىهم وأسكن بها جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون
اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة في آخر جمادى الاولى * وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب النائب
بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل اليريس لعنه الله الى ايلة وربط العقبة
وسير عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر فلما كان في شعبان
من السنة المذكورة كثرا المطر بالجبل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت به مياه استغنى بها أهل القلعة عن
ورود العين مدة شهرين وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر وهت اضعف اسامها فقدر كرها اصحابها وأصلحوها
* وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان ومن أبادها الحدثان الكوكبة وهم أمة لهم أربعة ملوك ملكوا
أرض ايلة والحجاز وبني كل واحد منهم مدينة سماها باسمه وجعلوا سائر الارض خيمات وقسموها على ثلاثين كورة

وجعلوها أربعة أعمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته وعمل برابوها بيت الحكمة وعمل هيكلا
 لاخذ الكواكب وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها رقودة فجعلوا لها
 خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من أصنام الذهب أكثر مما في غيرها وكان فيها
 ما تناسخ من ذهب وقصوها الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه أربعة أقسام وكان عدد مدن أهل مصر الداخلة
 في كورها ثلاثين مدينة فيها العجائب وقيل ان حيرالاكبر واسمها العرنجيج بن سبأ الاكبر واسمها عامر
 ويعرف بعبد شمس بن شجيب بن يعرب بن قطان لما ملك بعده أيه جمع جيوشه وسار يطا الأهم ويدوس الممالك
 كما فعل أبوه فأمر في المنشق حتى أبعد بأجوج ومأجوج الى مطلع الشمس ثم قفل نحو المغرب فجاءه قبائل من
 أهل اليمن من بني هود بن عابر بن صالح بن أرخش بن سام بن نوح يشكون من نوح بن سام بن نوح
 وما نزل بهم من ظلمهم فأعرض برفعهم من أرض اليمن وأنزلهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصل الى اطراف
 جبل نجد فطعت ثمود هناك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وتكبروا وطغوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا
 ورسولا فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقا من صخرة فأخرجها لهم فعقروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا
 في ديارهم جاثمين * وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار بين اسرئيل بعد موت أخيه هرون الى أرض اولاد
 العيص وهي التي تعرف بجبال السمرة جنب بلاد الشوبك ثم مر فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى بركة باب حيث
 بلاد الكرك حتى حارب تلك الأمم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصيون جليلية عظيمة * (مربوط)
 كورة من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يشون
 فيها وفي أيديهم خرق سود خوفا على أبصارهم ومن شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد مربوط في نهاية
 العمارة والجنان المتصلة بأرض بركة وهي اليوم من قرى الاسكندرية يزرعها الفواكه وغيرها وقد وقفها
 الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات بركة الجامع الحاكمي من القاهرة وبها جامع عمر في سنة ست
 وستين وستمائة ثم استأجرها الملك المؤيد شيخ الموحدي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ووجدت عمارة
 بستانها وقد خرب لترداد عرب لبلدة وبرقة اليه فاستقرت في ديوان السلطان * (وادي هيب) * هذا
 الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر في ما بين مربوط والقيوم يجلب منه الملح والنظرون عرف بهيب بن
 محمد بن معقل بن الواقعة بن حزام بن عضان الغفاري أحد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح
 مكة وروى عنه ابو تميم الجدياني وأسلم مولى نجيب وسعيد بن عبد الرحمن الغفاري وكان قد اعتزل عند قننة
 عثمان رضي الله عنه بهذا الوادي فعرف به وكان يقول لا يفرق بين قضاء دين رمضان ويجمع بين الصلاتين في
 السفر ويقال لهذا الوادي أيضا وادي المنول وادي النظرون وبترية شهاب وبترية الاسقيط وميزان القلوب
 وكان به مائة دير للنصارى وبقى به سبعة ديورة وقد ذكرت عند ذكر الاديان من هذا الكتاب وهو وادي كثير
 الفوا فيه النظرون ويحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراقي والملح السلطاني وهو على هيئة ألواح الرخام
 وفيه الوكت والكحل الاسود ومعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين أصفر في داخل حجر أسود يحك في الماء
 ويشرب لوجع المعدة وفيه البردي لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ماء في هيئة البركة وطولها نحو خمسة
 عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع في مغارة الجبل لا يعلم من أين يأتي ولا الى أين يذهب وهو حلورائق * ويذكر
 أنه خرج منه سبعون ألف راهب يدعى واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانة مر جمعه من
 الاسكندرية يطلبون أمانه لهم على أنفسهم واديهم فكتب لهم بذلك أمانا بقي عندهم وكتب لهم أيضا بجرابة
 الوجه البحري فاستقرت بأيديهم وان جراتهم جاءت في سنة زيادة على خمسة آلاف ارب وهي الآن
 لا تبلغ مائة ارب

* (ذكر مدينة مدين) *

اعلم أن مدين أمة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قنطورا ابنة يقطان الكنعانية ولدت له
 ثمانية من الولد تاسات منهم احم ومدين على بحر القلزم تحاذي تبوك على نحو ست مراحل وهي اكبر من تبوك
 وبها البئر التي استقى منها موسى السائمة شعيب وعمل عليها بيت * قال القراء مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة
 سميت باسم ابيها مدين ويقال له مديان بن ابراهيم فله مقبرتين وغيره والجمهور على أن مدين اجمعي وقيل

عربيّ فان كان عربيا فانه يحتمل أن يكون فعيلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل مهمل او مفعلا من دان فتحكيجه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم الارض او اسم القبيلة بمجما او عربيا * وقال المسعودي قد تنازع اهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مثر بن عيقاب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم المباندة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحسن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وأن شعيبا آخرهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة فمنهم المسمى بأبيجد وهوز وحطى ولكن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحسن بن جندل وأحرف الجبل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الاثنان والعشرون حرفا التي علم احساب الجبل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا من الوجوه فكان أبيجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطى ملكين يلا دوج وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد ولكن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل يلا دمصر وكان كلن على ملك مدين ومن الناس من رأى انه كان ملك جميع من سمي نامشا عامتصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه فوعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بن آمن معه الى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة نحو مدين فلما أحسن القوم بالبلاء واشتد عليهم الحزن وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلمت سخابة بيضاء طيبة التسميم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من مواضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأتت عليهم فرثت جارية بنت كلن أباهما وكانت بالحجاز فقالت

كلن هدم ركني * هلكه وسط المعلة

سيد القوم أتاه السحفت نار اوسط ظله

كوت نارافأضحت * دارقوى مضعله

وقال المتنصر بن المنذر المديني

الا يا شعيب قد نطقت مقالة * أبدت بها عمرا ونحيي بني عمرو

هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه * كمثل شعاع الشمس في صورة البدر

وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قطورا وقازوا بالكارم والفخر

ملوك بني حطى وسعفص ذي الندى * وهوز أرباب الثنية والحجر

قال المسعودي ول هؤلاء الملوك أخبار عجيبه من حروب وسير وكيفية تعلمهم على هذه الممالك وتلكهم عليها وبادتهم من كان فيها قبا لهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الايكة المرسلين وفي قوله سبحانه وتعالى وان كان اصحاب الايكة انظالمين فاقسمنا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضة نحو مدين وقيل بل اصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا يتنولون بين الحجر وأول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال أبو عبيد البكري الايكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل قوم شعيب روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في روايتان احدهما ان الايكة من مدين الى شعيب والرواية الثانية انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المتل والايكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا اصحاب شجر ملتف وقال قوم الايكة الغيضة وليكة اسم البلد وما حولها كما قيل مكة وبكة وقال أبو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم البلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم ان بكة هو موضع المسجد وما حولها مكة كما فرق بين الايكة وليكة فليل الايكة الغيضة وليكة البلد حولها * وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا وهم بل مدين من أرض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدينة مدين أميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فأصاب سبيا من أهل مينا قال ابن اسحق ومينا هي السواحل فبيعوا وقرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سيكون قتال ما لهم فآخبر خبرهم فقال لا تبعوهم الا جميعا ومدين من منازل جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن ادد بن زيد بن عمرو بن عزيب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى أهل مدين أحد بني وائل

ابن جذام * وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو فند جذام من حجاب قوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يترجح فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من اعراض المدينة مثل فندك والفرع ورهاط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وكان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة قديما أهلها وخربت وبقى منها الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد يجهل اسمه فما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة والسنيطة والمدره والمنية والاعوج والخويرق والبئرین والماءين والسبع والمعاق وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيرا ما تنقل تجارتها الى غزة ويبني بها هناك ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ايلة ومدينة مدين ومدينة مدين الى الآن آثار عجيبه وعمد عظيمة * ووجد في مدينة الاعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جب بقلعها بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع وبقاها عدة أسفار على رفوف حمل منها سفر طول ذراعا وأزيد قد علف بلو حين من خشب وكتبته بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شبر فوجد ببلاد الكرك من قرأه فاذا هو سفر من عشرة أسفار قديما تداءه بحمد الله ثم قال خروج موسى من أرض مصر الى بلاد مدين ومولوك بني مدين فيما بعد شعيب فذكر لموسى عليه السلام عدة أسماء منها اسم بالمرية موسى بن عمران وبالعبرانية موشى وبالفارسية داران وبالقبطية هروسيس وذكر أنه تزوج ابنة شعيب وأنه أقام بمدين ثمانى حجج ثم قال لابن شعيب قد أعمت لك شرطك وسأزيدك سنتين فضلا مني

(بقية خبر مدينة مدين) *

قال وخرج موسى متوجها الى مصر والملك يومئذ على مدين ابجد قال وقوى أمر ابجد فطغى حتى ملك الحجاز واليمن وكان له خمسة اولاد هم هوز وحطى وككن وسعفص وقرشت فأقام ابجد ملكا باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه ككن باليمن وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه حطى على أرض مصر وابنه سعفص على الجزيرة وبلادها حيث الموصل وحران الى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارفها من خراسان وكان قرشت هو الحبار فيهم وكان سعفص وهوز وككن اهل عدل وحلم وكان حطى صاحب بطش وجرأة وكان بنو امريئيل اذ ذاك بالشام فلم يملك اولاد ابجد أرض الشام ولا احتبوا عليها وكانت مدة ملكهم نحو مائة وخمسين سنة فم لهم بدولة أبيهم ابجد ثلثمائة سنة وأزيد ثم ملك بعدهم على بني اسرائيل روزيت بن هوز وعزيت بن حطى بن ابجد نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن اولاد ابجد وأقام هذا الكتاب عندهم زمانا ثم أعادوه الى الجب من قلعة الاعوج حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط أبو عبد الله محمد ابن احمد بن محمد بن عبد الرحمن الغرياني التونسي المالكي قال حدثني به شتر بن غنيم العامري شيخ لقيه بأرض فلسطين أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعربن حجر بن جديله بن لحم كان له أربعة وعشرون ولدا ذكرافكثر اولادهم حتى بنوا المدائن والقرى والحصون وعمرها بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة وقيل انما كان استيلاء ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى أخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

(ذكر مدينة فاران) *

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العماليق على تل بين جبلين وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصى مملوءة أمواتا ومن هناك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك ساحل بحر فاران وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران والتيه مرحلتان ويذكر أن فاران اسم لجبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت في التوراة والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهي غير فاران المذكورة في التوراة وقيل ان فاران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم فقيل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الى اليوم وبها نخيل كثير مثمر اكلت من ثمره وبها نهر عظيم وهي خراب يتر بها العربان

* (ذكر أرض الحفار) *

اعلم أن الحفار اسم نخس مدائن وهي القرما والبقرة والورادة والعريش ورفج والحفار كله رمل وسمي بالحفار لشدة المني فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعدهم راحله والحفار تجفر فيه الابل فاتخذله هذا الاسم كما قيل للجبل الذي يسبح به البعير هجار والذي يسبح به حجار والذي يعقل به عقال والذي يبطن به بطان والذي يخطم به خطام والذي يزعم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الوريد والعريش أخذ من العرش وقيل ان رفج اسم جبل * وكان يسكن الحفار في القديم خدام بن العريان ويقال ان أرض الحفار كانت في الدهر الاقل والزمن الغابر متصلة العمارة كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر وكان مأوها غزيرا عذبا ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحي الى أن دمرها الله تدميرا فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش والى رفج كله قعر تعرف بقعرته رمل الغرابي قليل الماء عديم المرى لا ينس به فسبحان محيل الاحوال

* (ذكر صعيد مصر) *

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل ما لم يخالطه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الارض وقيل الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم انما حدث في الاسلام سماها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عمادونها من أرض مصر ولذلك يقال فيها أعلى الارض ولانها أرض ليس فيها رمل ولا سبخة بل كلها أرض طيبة مباركة ويقال للصعيد ايضا الوجه القبلي * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه وما حضرت مصر ايام الوفاة عهد الى ابنه قبليم وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لقبليم من بلد فقط الى اسوان ولاشمون من بلد اشمون الى منف ولا ترب الحوف كله ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة وقال لاخته فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقية وولده الافارق وامر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه * وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه فقط موضع فقط فسكنها وبه سميت فقط فقطا وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمون من اشمون فمادونها في الشرق والغرب الى منف فسكن اشمون اشمون فسميت به وقطع لاتبين منف الى صا فسكن اتيب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزين بالصعيد وجزين بأسفل الارض * وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوي في كتاب الطالع الصعيد في تاريخ الصعيد مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثني عشر يوما بسيرا الجبال وعرضه ثلاث ساعات واكثر بحسب الاماكن العاصرة ويتصل عرضه في الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضي البجة وفي الغربية بالوادي وهي كورتان شرقية وغربية والنيل بينهما فاصل وأول الشرقية من مرج بنهميم المتصلة أرضها بأراضي جرجان على الخميم وآخرها من قبلي الهو ويلها اول أراضي النوبة وفي هذه الكورة تيج وقطع وقوص وأول الكورة الغربية برديس تتصل أرضها بأرض جرجان وفي هذه الكورة الغربية سمهود وآخر الكورة الغربية اسوان وبجافته اكثر النخل من الجانبين تكون مساحة الاراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان والمستوى على اقليم الصعيد المشترى * ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أراذب ترفعها بعض الولاة فلم تحمل في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي وبيع منها في الغلاء كل وية بدينار ويقال لما صورت الدنيا لامير المؤمنين هرون بن محمد الرشيد لم يستحسن الا كورة سيوط من صعيد مصر فانها ثلاثون ألف فدان في استواء من الارض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها * وبالصعيد بقايا سحر قديم * حكى الامير ططبا والى قوص في ايام الناصر محمد بن قلاوون قال أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها اريد أن أبصر شيئا من سحرك فقلت أجود على أن أسحر العقرب على اسم شخص بعينه فلا بد أن تقع عليه ويصيبه سمها فقتله فقلت أريني هذا واقدني بسحرك فأخذت عقربا وعملت ما أحبت ثم أرسلت العقرب فتبعني وأنا نتج عنه وهو يقصدني فجلست على تحت وضعت على بركة ماء فأقبل العقرب الى ذلك الماء وأخذ في التوصل الى فلم يطق ذلك فز الى الحائط وصعد فيه وأنا أشاهده حتى وصل الى السقف

ومرّفته الى أن صار فوق وألقى نفسه صوي وسعى نحوى حتى قرب منى فضر به فقتله ثم قتلت الساحة أيضا
 * وأرض الصعيد كثيرة المواشي من الضأن وغير ذلك لكثرة تساجه حتى ان الرأس الواحد من نعاج الضأن
 يتولد عنه في عشر سنين ألف وأربع وعشرون رأسا وذلك بتقدير السلامة وأن تلد كلها انا وتلد مرة واحدة في
 كل سنة وتلد في كل بطن غير رأس واحد والافان ولدت في السنة مرتين وكان في كل بطن رأسان تضاعف
 العدد وتأمل حساب ما قلناه تجده صحيحا وقد شوهد كثيرا أن من أغنام الصعيد ما يلد في السنة ثلاث مرات
 ويلد في البطن الواحد ثلاثة أرؤس * وكانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لست قبائل وهم بنو هلال وبنو
 وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب وكان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الانصار ومن مزيينة وبنو
 دراج وبنو كلاب وثعلبة وجذام * وبلغ من عمارة الصعيد أن الرجل في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها
 كان يمر من القاهرة الى اسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور للضيافة اذا دخل دارا منها
 أحضر لدايته علفها وحبى له بما يليق به من الاكل ونحوه وآل أمره الا أن لا يجد الرجل أحدا فيمابين
 القاهرة واسوان يضيفه لضيق الحال ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراق في أيام الاشرف شعبان
 ابن حسين بن محمد بن قلاوون سنة ست وسبعين وسبعمائة وتزايدت الاشيه في أيام الظاهر برقوق بطور الولاة
 ولم يزل في اديار الى أن كانت سنة ست وثمانمائة وشرقت مصر بقصور مد النيل فدهى اهل الصعيد من ذلك
 بما لا يوصف حتى انه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف انسان ومات من مدينة سيوط أحد عشر ألف
 انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هو خمسة عشر ألف انسان وذلك كله سوى الطرحى على الطرقات ومن
 لا يعرف من الغرباء ونحوهم ثم دقر في أيام المؤيد شيخ فلم يبق منه الا رسوم تبذل الولاة للجهدي في نحوها نسأل الله
 حسن الخاتمة

* ذكر الجنادل ولع من أخبار أرض النوبة *

الجنادل ما يبل الرجل من الجارة وقيل هو الحجر كما الواحدة جندلة والجنادل الجنادل قال سيديويه وقالوا جندل
 يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البناء عما لا ينصرف وأرض جندلة ذات جندل وقيل الجنادل المكان
 الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير الجنادل * قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة
 والمقرة وعلوة والبعة والنيل * وأقول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال وآخر حصن
 للمسلمين جزيرة تعرف ببلق ينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع
 جنادل كثيرة الحجر لا تسلكها المراكب الا بالحملة ودلالة من يخبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك لأن
 هذه الجنادل مقطعة وشعاب معترضة في النيل ولا نصيبا به فيها خير عظيم ودوي يسمع من بعد وهذه القرية
 مسطحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاولى من بلد النوبة عشر مراحل وهي الناحية التي يتصرف فيها
 المسلمون ولهم فيما قرب املاك وتجرون في أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحد منهم بالعربية
 وشجرها كثير وهي ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجبال وما تخرج عن النيل وقراها متسطرة على شاطئها وشجرها
 النخل والمقل وأعلاها اوسع من أدناها وفي أعلاها الكروم والنيل لا يروى مزارعها لارتفاع أرضها وزرعها
 الفدان والفدانان والثلاثة على أعناق البقر بالدواليب والقمح عندهم قليل والشعير كثير والسلت ويعتقبون
 الارض اضيقة فيزرعونها في الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب الدخن والذرة والجاورس والسمسم واللوبياء
 وفي هذه الناحية نجر اش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة اخرى دونها وبها ميناء تعرف بأدواء ينسب اليها
 نعمان الحكيم وذو النون وبها برابجيب ولهذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من
 أجل ولا تهم اقربيه من أرض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فعاملته معه في تجارة أو هدية اليه
 او الى مولاة يقبل الجميع ويكافئ عليه بالرقى ولا يطلق لاحد الصعود الى مولاة الاسلام ولا غيره * وأقول الجنادل
 من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى هي ساحل والى انتهى مراكب النوبة المصعدة من القصر اقول بلدهم
 ولا تجاوزها المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا باذن من صاحب جبلهم ومنها
 الى المقس الاعلى ست مراحل وهي جنادل كلها وشر ناحية رأيتها لهم لصعوبتها وضيقتها ومشقة مسالكها
 أما جرها جنادل وجبال معترضة فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب يضيق في مواضع حتى يكون سعة ما بين

الجانين خمسين ذراعا وبزها مجابوب ضيقة وجبال شاهقة وطرق ضيقة حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها والراجل الضعيف يجتزئ عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها وهذه الجبال حصنهم واليهما يفرح أهل الناحية التي قبلها المتصلة بأرض الاسلام وفي جزائرها نخيل يسير وزرع حقير وأكثر الكاهن السمل ويتدهنون بشحمه وهي من أرض مريس وصاحب الجبل واليهيم والمسلحة بالمقس الأعلى صاحبهم من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى أن عظيمهم إذا صار بها وقف به المسلح وأوهم أنه يقنص عليه حتى يجد الطريق إلى ولده ووزيره فمن دونهما ولا يجوز هادي نار ولا درهم إذ كانوا لا يتبايعون بذلك إلا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك لا يبيع بينهم ولا شراء وإنما هي معاوضة بالرقيق والمواشي والجبال والحديد والحبوب ولا يطلق لأحد أن يجوزها إلا بأذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كأنما من كان وبهذا الاحتياط تنكح أخبارهم حتى أن العسكر منهم يجمع على البلد إلى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسبب الذي يخرط به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع بغطس عليه فيوجد جسمه بارد الخفافا للبحارة فإذا أشكل عليه نفخ فيه بالنفخ فيموت ومن هذه المسلحة إلى قرية تعرف بساي جنادل أيضا وهي آخر كرسيمهم ولهم فيها أسقف وفيها بربا ثم ناحية سقلودا وتفسيرها السبع ولاة وهي أشبه الأرض بالأرض المتاخمة لأرض الاسلام في السعة والضيق في مواضع والنخل والكرم والزرع وشجر المقل وفيها شئ من شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشة وبها شجر الزيتون واليهما من قبل كبيرهم وتحت يده ولاة تصرفون وفيها قلعة تعرف بأصطنون وهي أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلا معترضا من الشرق إلى الغرب في النيل والماء ينصب من ثلاثة أبواب وربما رجع إلى باين عند انحساره شديد نظير عجيب المنظر يتخذ الماء عليه من علو الجبل وقاية فرش بجارة في النيل نحو ثلاثة برد إلى قرية تعرف بيسو وهي آخر قرى مريس وأول بلد مقرة ومن هذا الموضع إلى حد المسلمين لسانهم مريس وهي آخر عمل متلكهم ثم ناحية بقون وتفسيرها الحبب وهي عند اسمها الحسن ما رأيت على النيل أوسع منها وقد رت أن سعة النيل فيهما من الشرق إلى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزائر تقطعه والأنهار منه تجري بينها على أرض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وأنعام واسعة كثيرة مد يدها منها وطبورها النقيط والنوبى والبغوا وغير ذلك من الطيور الحسان وأكثر نزهة كبيرهم في هذه الناحية * قال وكنت معه في بعض الاوقات فكان سيرنا في ظل شجر من الحافيتين في الخلمان الضيقة وقبل أن التمساح لا يضرب هناك ورأيتهم يعبرون أكثر هذه الأنهار سباحة ثم سجد بقل وهي ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم الآن في جزائر حسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالانبيسة الحسان والكائن والاديار والنخل الكثير والكرم والبساتين والزرع ومروج بكافها ابل وجمال صعب مؤبلة للتساج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لا تقربها القبلي يحمذى دنقلة مد يدهم ومن مدينة دنقلة دار المملكة إلى اسوان خمسون مرحلة وذکر صفتها ثم قال انهم يسقفون بحاشب السنت وبخشب الساج الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة سقالات منحوتة لا يدري من أين تأتي ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دنقلة إلى أول بلد علوة أكثر مما بين ما بين اسوان وفي ذلك من القرى والصباع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم أضعاف ما في الجانب الذي إلى أرض الاسلام وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال والوحش والصباع ومغاوير يخاف فيها العطش والنيل يتعطف من هذه النواحي إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالمخدر وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل إلى الممدن المعروف بالشلة وهو بلد يعرف بشنقر ومنه خرج العمري وتغلب على هذه الناحية إلى أن كان من أمره ما كان وفرس البحر يكثر في هذه المواضع ومن هذا الموضع طرق إلى سواكن وباصع ودهلك وجزائر البحر ومنها عبر من فجما من بني أمية عندهم إلى النوبة وفيها خلق من الجبة يعرفون بالنافج اتقلوا إلى النوبة قديما وقطنوا هناك وهم على حدتهم في الرى واللغة لا يخاطون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النوبة

* (ذكر شعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم) *

اعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المريس المجاورون لأرض الاسلام وبين أول بلادهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال ان سلها جند النوبة ومقرى جند المقر من اليمن وقيل النوبة ومقرى من

حير واكثر اهل الانساب على انهم جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وأول
 أرض المقررة قرية تعرف بنافة على مسحلة من اسوان ومدينة مملكتهم يقال لها بنجر اش على أقل من عشر
 مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه في أيام فرعون فأخرب نافة وكانوا
 صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة ومدينة دنقلة هي دار مملكتهم
 وأول بلاد علوة قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب ولهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة
 يعرف بالاسراح * والنيل يشعب من هذه الناحية على سبعة أنهار فمنها نهر يأتي من ناحية المشرق كدر الماء
 يجف في الصيف حتى يسكن بطنه فاذا كان وقت زيادة النيل ينبع فيه الماء وزادت البرك التي فيه وأقبل
 المطر والسيول في سائر البلد فوقعت الزيادة في النيل وقبل ان آخر هذا النهر عين عظيمة تأتي من جبل قال مؤرخ
 النوبة وحديثي سمعون صاحب عهد بلاد علوة أنه يوجد في بطن هذا النهر حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما
 في النيل يحفر عليه قامة وأكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولدين العلوة والبجة يقال لهم الديجيون
 وجنس يقال لهم بازه يأتي من عندهم طير يعرف بحمام بازين وبعد هؤلاء اول بلاد الحبشة ثم النيل الأبيض
 وهو نهر يأتي من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة
 عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكروا أنه يخرج من جبال الرمل أو جبل الرمل وأنه يجتمع في بلد السودان في
 برك عظام ثم ينصب الى ما لا يعرف وأنه ليس بأبيض فاما أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر
 ينصب اليه وعليه أجناس من جانبيه ثم النيل الأخضر وهو نهر يأتي من القبلة مما يلي الشرق شديد الخضرة
 صافي اللون جدا يرى ما في قعره من السمك وطعمه مخالف لطم النيل يعطش الشارب منه بسرعة وحيثان
 الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف ويأتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والغناء وخشب له رائحة كرائحة
 اللبان وخشب غليظ ينحت ويعمل منه مقدم وعلى شاطئيه ينبت هذا الخشب أيضا وقبل انه وجد فيه عود
 البخور قال وقد رأيت على بعض سقالات الساج المخوثة التي تأتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان
 النهران الأبيض والأخضر عند مدينة مملكت بلاد علوة ويقعان على ألوانهما قريبان من مرحلة ثم يحتلطان بعد
 ذلك وبينهما أمواج كبار عظيمة تتلاطمهما قال وأخبرني من نقل النيل الأبيض وصبه في النيل الأخضر فبقى
 فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطا وبين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين
 نهاية فأولهما يعرف عرضه ثم يتسع فيصير مسافة شهر ثم لا تدرى سعتهما لخوف من يسكنهما بعضهم من بعض
 لأن فيهما أجناسا كثيرة وخلقًا عظيما قال وبلغني أن بعض مملكي بلاد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد
 سنين وأن في طرفها القبلي جنسا يسكنون ودوابهم في بيوت تحت الأرض مثل السمراذيب بالنهار من شدة حر
 الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم عراة والانهار الاربعة الباقية تأتي أيضا من القبلة مما يلي الشرق أيضا
 في وقت واحد ولا يعرف لها نهاية أيضا وهي دون النهرين الأبيض والأخضر في العرض وكثرة الخيطان
 والجزائر وجميع الانهار الاربعة تنصب في الأخضر وكذلك الأول الذي قد مت ذكره ثم يجتمع مع الأبيض وكلها
 مسكونة عامرة مسلول فيها بالسفن وغيرها وأحد هذه الاربعة يأتي مرة من بلاد الحبشة قال ولقد اكرت
 السؤال عنها واستكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الانهار والذي
 انتهى اليه علم من عرفني عن آخرين الى خراب وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الانهار الكواكب وأبواب وغير
 ذلك فيدل على عمارة بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون انها من الامطار مع مادة تأتي من ذاتها والدليل على
 ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجائبه أن زيادته في أنهار مجتمعة وسائر النواحي
 والبلدان في مصر وما يليها والصعيد واسوان وبلاد النوبة وعلوة وما وراء ذلك في زمان واحد واكثر ما وقف
 عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا باسوان ولا توجد بقوص ثم تأتي بعد فاذا كثرت الامطار عندهم
 واتصلت السيول علم أنها سنة رى واذا قصرت الامطار علم أنها سنة ظما قال وأما من طرق بلاد الرنج فانهم
 أخبروني عن مسيرهم في بحر الصين الى بلاد الرنج بالبحر الشمالي مساحلين للجاناب الشرقي من جزيرة مصر
 حتى ينتهوا الى موضع يعرف برأس حفرى وهو عندهم آخر جزيرة مصر فينظرون كوكبا يتدون به فيقصدون
 الغرب ثم يعودون الى البحر ويصير الشمال في وجوههم حتى يأتوا الى قبيلة من بلاد الرنج وهي مدينة مملكتهم

وتصير قبلتهم للصلاة الى جنة قال وبعض الانهار الاربعة يأتي من بلاد الرنج لانه يأتي فيه الخشب الرنجي وسوية
مدينة العلوى شرق الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر في الطرف الشمالى منها عند مجتمعهما
وشرقيها النهر الذى يجف ويسكن بطنه وفيها بنية حسان ودور واسعة وكأأس كثيرة الذهب وبساتين ولها رباط
فيه جماعة من المسلمين وتلك علوة أكثر ما لامن ممتلك المقررة وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقررة
وبلده أخصب وأوسع والنخل والكرم عندهم يسير واكثر حبوبهم الذرة البيضاء اتى مثل الارز منها خبزهم
ومزهرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشى والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا في ايام
وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية باقية وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية
كالنوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم أقل فهم من النوبة وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم
وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش
فليكن أمره وهو يتقوج بالذهب والذهب كثير في بلده * ومما في بلده من العجائب أن في الجزيرة الكبرى التي
بين البحرين جنسا يعرف بالكرينا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل
واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الخطه يسيرا وجعل البذر في وسط
الخطه وشيأ من المزر وانصرف عنه فاذا أصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصد
بسرار منه ووضع في موضع أراد ومعه مزرب وتصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرت فاذا أراد دراسته
وتدريته فعل به كذلك وربأ أراد أحدهم أن ينقى زرعه من الخشيش فيلفظ بقلع شئ من الزرع فيصبح وقد قطع
جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد
وميرة بلد علوة ومثل كهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب قنوسق وربما وقع بينهم حرب * قال وهذه
الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون
فيه ولا يرتابون به ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله لما ذكرت شيئا منه لاشناعته فأما أهل
الناحية فيزعمون أن الحق تفعل ذلك وانما يظهر لبعضهم وتخدمهم بحجارة يطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب
وان السحاب يطيعهم * قال ومن عجائب ما حدثني به ممتلك المقررة للنوبة انهم يعطرون في الجبال ويلتقطون منه
لوقت سمكا على وجه الارض وسألته عن جنسه فذكروا أنه صغير القدر بأذناب حمر قال وقد رأيت جماعة
وأجناسا من تقدم ذكرنا أكثرهم يعترفون بالبارى سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب
ومنهم من لا يعرف البارى ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة وذكر انه رأى
رجلا في مجلس عظيم المقررة سألته عن بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثة أهلة وسألته عن دينه فقال ربي وربك الله
ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال في السماء وحده وقال انه اذا أنطا عنهم المطر
أو أصابهم الوباء أو وقع بدوابهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضى حاجتهم قبل أن ينزلوا وسألته
هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعشة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما أيدوا به من
المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا * قال مؤلفه رحمه الله وقد
غلب أولاد كثر الدولة على النوبة وملكوها من سنة
وبنى بدقله جامع بأوى الله

الغريباء واعلم أن على ضفة النيل أيضا الكنائس وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالى مسافة بعيدة جدا وقاعدة ملكه
بلدة اسمها حمي واول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زرلا وآخرها طول بلدة يقال لها كاكواوينها نحو ثلاثة
أشهر وهم يتنعمون وملكهم متعجب لا يرى الايوى العبدين بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه أحد الا من
وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتمين والليمون والباذنجان
واللفت والرطب ويتعاملون بقمماش ينسج عندهم اسمه دندى طول كل ثوب عشرة أذرع يشتركون به من ربيع
ذراع فأكثر ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك القماش وفي
جنوبها شعاري وصحارى فيها أشخاص متوحشة كالقمل قريسة من شكل آدمي لا يلحقها الفارس تؤذى
الناس ويظهر في الليل أيضا شبه نار تضيء فاذا شئ أحد ليحلقها بعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل
لا تزال أمامه فاذا رماها بجحر فأصابها تلظى منها شرر وتعظم عندهم القطينة حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها

في النيل * وهذه البلاد بين افر بيقية وبرقة ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهي بلاد قحط وشن وسوء مزاج واقل من بث بها الاسلام الهادي العثماني ادعى انه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه وصارت بعده للزيين من بنى سيف بن ذى رزن وهم على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يابسون في الدين لا يلينون وبنو اعدية مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق في سني أربعين وستائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها في المدارس ان شاء الله تعالى

* (ذكر البجة ويقال انهم من البربر) *

اعلم ان أول بلد البجة من قرية تعرف بالحزبة معدن الزمرّد في صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مرّاحل وذكر الجاحظ انه ليس في الدنيا معدن الزمرّد غير هذا الموضع وهو يوجد في مغاير بعيدة مظلة يدخل اليها بالمصايح ويجبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويجفر عليه بالاعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه الجزيرة أعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلا حيثما كان الرعي بأخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء وكل بطن منهم رئيس وليس عليهم مثل ذلك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصاب ويقولون ان ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديما رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هي أقصى جزيرة البجة ويركبون النجب الصهب وتنتج عندهم وكذلك الجمال العرب كثيرة عندهم أيضا والمواشي من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملحة بقرون عظام ومنها جمل كباشهم كذلك منقورة ولها ألسان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للجبن قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطونهم نحاس وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة في الجري يباينون بها الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبورة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاوتون عليها وتندور بهم كما يشتهون ويقطعون عليها أمن البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرحى الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار اليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت في الارض ضرب الجمل بجراحه الارض فأخذها صاحبها ونبغ منهم في بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديد مقدم وله جمل ماسمع بمثله في السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلي مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون للبلوغ اليها في مثله حقيقة فوفي بذلك وأشرف على المقطم وضربت الجبل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذي أوجب أن يكون في السفح طليعة يوم العيد وكان الطلولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقعون في سفح الجبل المقطم مما يلي الموضع المعروف بالحلبش جيشا كثيفا مراعىا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد وهم أصحاب ذمة فاذا غدر أحدهم رفع المغدورة ثوبا على حربة وقال هذا عرش فلان يعني ابا الغادر فتصير سيئة عليه الى أن يترضاه وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرّق أحدهم الضيف ذبح له فاذا تجاوز ثلاثة نفر فخر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو لغيره وان لم يكن شيء فخر راحلة الضيف وعوضه ما هو خير منها وسلاحهم الخراب السباعية مقدار طول الحديدية ثلاثة اذرع والعود أربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدية في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا في بعض الاوقات لان في آخر العود شيئا شبيها بالفلكة يمنع خروجها عن أيديهم وصناع هذه الخراب نساء في موضع لا يمتلئ بهن رجل الا المشتري منهن فاذا ولدت احدا هن من الطارقين لهن جارية استحيتهن وان ولدت غلاما قتلته ويقان ان الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقبولة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس وكذلك الدهليكية ومن دابة في البحر وقسيم عريية كبار غلاظ من الصدر والشوخط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرافا فاذا أراكوا تجر به شرط أحدهم جسده وسيل الدم ثم شمه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جمد ومسخ الدم لئلا يرجع الى جسمه فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحمام وليس له عمل في غير البحر والدم وان شرب منه لم يضر وبلدانهم كلها معادن وكلما تصاعدت كانت أجود ذهبها وأكثر وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وجر المغنيطيس والمرقشيتا والحسيت والزمرّد وحجارة شطبا فاذا بلت الشطبة منها ريت وقدت

مثل القليلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عساواه والوجه لا تتعرض لعمل شيء من هذه المعادن
وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والأذخر والشيخ والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وبأقصى بلدتهم النخل
وشجر الكرم والياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبها سائر الوحش من السباع والقليلة والثور والفرود
والقرود وعناق الأرض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء إذا
صيدت ومن الطيور البيغا والنقيط والنوبي والقماري ودجاج الحبش حمام بازين وغير ذلك وليس
منهم رجل إلا منزوع البيضة العنق وأما النساء فمقطوع أشعار فروجهن وأنه يلحمن حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار
ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل إن السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط
عليهم قطع ثدي من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط
وقلبوا المعنى في أن جعلوا قطع الثدي للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقولون ثاياههم ويقولون لا تشبه
بالخير وفيهم جنس آخر في بلاد الجبسة يقال لهم البازة نساء جميعهم ينسبون باسم واحد وكذلك الرجال
فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بعضا وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة
فجعلوا ينظرون إليه من بعد * وتعظم الحيات ببلددهم وتكثر أصنافها وريئت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها
والثفت على امرأته وردت فقتلتها فروى شحمها قد خرج من دبرها من شدة الضغطة وبها حية ليس لها رأس
وطرفاها سواها منقشة ليست بالكبيرة إذا مشى الإنسان على أثرها مات وإذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به
من عود أو حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بخشبة فأنشبت الخشبة وإذا تأمل هذه
الحية أحد وهي ميتة أو حية أصابه ضررها وفي الجبسة شر وتسرع إليه ولههم في الإسلام وقبله أذية على شرق
صعيد مصر خربوا هناك قرى عديدة وكانت قراعتهم مصر تغزوهم وتوادعهم أحيانا لاحتاجتهم إلى المعادن وكذلك
الروم لما أن ملكوا مصر ولههم في المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فحمت مصر * قال عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل الجبسة
فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرفعون إليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان
أول من هادنهم عبيد الله بن الحجاب السلوي ويذكر أنه وجد في كتاب ابن الحجاب لهم ثلثة مائة بكر في كل عام
حين ينزلون الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقيموا مسلما ولا ذميا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوا عبيد
المسلمين وإن يردوا أقيمهم إذا وقعوا إليهم ويقال إنهم كانوا يؤاخذون بهذا وبكل شاة أخذها الجبساوى فعليه
أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيما بالريف رهينة بيد المسلمين ثم كثرا المسلمون في المعدن فخاطبواهم
وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب أسلا ماضعفا وهم شوكة القوم ووجوههم وهم بمبالي
مصر من أول حدثهم إلى العلاق وعيذاب المعبر منه إلى جددة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالنافج
هم أكثر عدد من الحدارب غير أنهم تبع لهم وخفروا ثم يحمونهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب
قوم من النافج في حملته فهم كالعبيد يتراوونهم بعد أن كانت النافج قديما أظهر عليهم ثم كثرت أذيتهم على المسلمين
وكان ولاية أسوان من العراق فرفع إلى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج إليهم عبد الله بن الجهم فكانت
لهم معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون بقرية بينهم هجر المقدم ذكرها
كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير أبي
اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين لكنون بن عبد العزيز
عظيم الجبسة بأسوان أنك سألتني وطلبت إلى أن أوصلك وأهل بلدك من الجبسة وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى
جميع المسلمين فأجبتك إلى أن أعقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقامت واستقاموا على ما أعطيتني
وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجباها من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين
دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير
المؤمنين إلا أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في الجبسة وعلى أن تؤدى إليه الخراج في كل عام على ما كان
عليه سلف الجبسة وذلك مائة من الإبل أو ثلث مائة دينار وازنة داخل في بيت المال والخيار في ذلك لأمير المؤمنين
ولولائه وليس لك أن تخرم شيئا علك من الخراج وعلى أن كل أحد منكم أن ذكر محمد رسول الله صلى

الله عليه وسلم أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به أو قتل أحد من المسلمين حرّاً أو عبداً فقد برئت منه الذمة
 ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين وحلّ دمه كما يحلّ دم
 أهل الحرب وذرايرهم وعلى أن أحد منكم أن أعان المحاربين على أهل الاسلام بما لا يؤدله على عورة من عورات
 المسلمين أو أثر اعزتهم فقد نقض ذمته عهدهم وحلّ دمه وعلى أن أحد منكم أن يقتل أحد من المسلمين عبداً أو سهواً
 أو خطأ حرّاً أو عبداً أو واحداً من أهل ذمة المسلمين أو أصاب لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم ما لا يبلد الجبه
 أو يبلد الاسلام أو يبلد النبوة أو في شيء من البلدان براً أو بحراً فغلبه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد
 المسلم عشرة قيم وفي قتل الذميّ عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبغوه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه
 وإن دخل أحد من المسلمين بلاد الجبه تاجراً أو مقيماً أو محتاجاً أو حاجاً فهو آمن فيكم كما حدكم حتى يخرج
 من بلادكم ولا تؤوا أحد من أتقى المسلمين فإن اتاكم آت فعليكم أن تردوه إلى المسلمين وعلى أن تردوا أموال
 المسلمين إذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك وعلى أنكم إن نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو محتاجين
 لا تظهرون سلاحاً ولا تدخلون المدائن والقرى بجمال ولا تنعموا أحد من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة
 فيها براً ولا بحراً ولا تخيفوا السبيل ولا تنزعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل الذمة ولا تسرقوا مسلم
 ولا ذميّ ما لا وعلى أن لا تهدموا شيئاً من المساجد التي أبتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولاً
 وعرضاً فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة وعلى أن تكون بن عبد العزيز يقيم ريف صعيد مصر وكيلا يفي
 للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما أصابه الجبه للمسلمين من دم ومال وعلى أن أحد من الجبه
 لا يمترض حدّاً القصر إلى قرية يقال لها قبان من بلد النبوة حدّاً لا عمدة عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين
 لكنون بن عبد العزيز كبير الجبه الامان على ما مئنا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فان زاع
 كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد الجبه لقبض صدقات من أسلم
 من الجبه وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلقه من
 الوفاء والميثاق ولا يكون بن عبد العزيز وجميع الجبه عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير
 أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم
 ما وافي كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير كنون أو بدل أحد من الجبه فذمة الله جل اسمه وذمة
 أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين برتبة منهم
 وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفاً فزكريا بن صالح الخزرجي من سكان حجة وعبد الله بن اسمعيل القرشي
 ثم نسق جماعة من شهود اسوان فأقام الجبه على ذلك برهة ثم عادوا إلى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضحيج
 منهم إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فندب لحربهم محمد بن عبد الله القميّ فسأل أن يختار من الرجال من
 أحبّ ولم يرغب إلى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال متخففة وسارت المراكب
 في البحر فاجتمع الجبه لهم في عدد كثير عظيم قدر كبوا الأبل فهاب المسلمون ذلك فشغلهم بكتاب طويل كتبه في
 طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراءته فعمل عليهم وفي أعناق الخيل الأجراس فنشرت الجبال بالجبه ولم تثبت
 لصلصلة الأجراس فركب المسلمون أقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن أخيه وبعث
 يطلب الهدنة فصالحهم على أن يطأ بساط أمير المؤمنين فسار إلى بغداد وقدم على المتوكل بسرّ من رأى في سنة
 إحدى وأربعين ومائتين فصالح على أداء الادارة والبطق واشترط عليهم أن لا يمنعوا المسلمين من العمل
 في المعدن وأقام القميّ بأسوان مدة وترك في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ
 منه حتى لم يبقوا منه شيئاً فلما كثروا المسلمون في المعادن واختلطوا بالجبه قلّ شرّهم وظهور التبر لكثرة طلاله
 وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمريّ بعد محاربة
 النبوية في سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في الجبه حتى
 صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الخلاب التي تحمل من القلزم إلى عيذاب
 ومالت الجبه إلى ربيعة وترحووا اليهم وقبل أن كهان الجبه قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة
 لبيعة والذين كانوا معافهم على ذلك فلما قتل العمريّ واستولت ربيعة على الجزائر والاهم على ذلك الجبه

فأخرجت من خالفهما من العرب وتصاهروا إلى رؤساء البجّة وبذلك سكف ضررهم عن المسلمين والبجّة
 الداخلة في صحراء بلاد علوة مما يلي البحر الملح إلى أول الحبشة ورجالهم في الطعن والمواشي واتباع الرعي والمعيشة
 والمراكب والسلاح كحال الحدارب الآن الحدارب أشجع وأهدى من الداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان
 والافتداء بكهانهم ولكل بطن كاهن يضرب له قبة من آدم معبدهم فيما فازاروا استخباره عما يحتاجون إليه
 تعزى ودخل إلى القبة مستديرا ويخرج إليهم وبه اترجون وصرع يقول الشيطان يقرئكم السلام ويقول
 أنكم ارحلوا عن هذه الحلة فإن الرهط الفلاني يقع بكم وسألتهم عن الغزو إلى بلد كذا فسيروا فأنكم تظفرون
 وتغفون كذا وكذا والجمال التي تأخذونها من موضع كذا هي في الجارية الفلانية التي تجدونها في الغباء
 الفلاني والغنم التي من صفتها كذا ونحو هذا القول فيزعون أنه يصدقهم في أكثر من ذلك فاذا غنموا أخرجوا
 من الغنمة ما ذكر ودفعوه إلى الكاهن يتولاه ويحرمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حل
 الكاهن هذه القبة على جل مفرد فيزعون أن ذلك الجمل لا يثور الا بجهد وكذا سيره ويتصب عرقا والخيمة
 فارغة لا شيء فيها وقد بقي في الحدارب جماعة على هذا المذهب ومنهم من يتسل بذلك مع اسلامه * قال مؤرخ
 النوبة ومنه نلصت ما تقدم ذكره وقد قرأت في خطبة الاجناس لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
 ذكر البجّة والسكجة ويقول عنهم شديد كلهم قليل سلبهم فالبجّة كذلك وأما السكجة فلا أعرفهم انتهى ما ذكره
 عبد الله بن احمد مؤرخ النوبة * وقال أبو الحسن المسعودي فأما البجّة فأنزلت بين بحر القلزم وينيل مصر
 وتشعبوا فراقوا ملكوا عليهم ملكا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وسمي سراياهم
 ومناسرهم على النجب إلى بلاد النوبة فيغزون ويسببون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجّة إلى أن قوى
 الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معادن الذهب وبلاد العلاق وعذاب وسكن في تلك الديار خلق من
 العرب من ربيعة بن زرار بن معد بن عدنان فاشتمت شوكتهم وترجوا من البجّة فقويت البجّة ثم صاهرها
 قوم من ربيعة فقويت ربيعة بالبجّة على من ناوذا وجاورها من قطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار وصاحب
 المعدن في وقتنا هذا وهو سبعة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة يركب في ثلاثة
 آلاف ألف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجّة في الجف التكاوية وهم
 الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجّة والداخلة من البجّة كقار يعبدون صنما لهم والبجّة المالكة لمعدن
 الزمرد يتصل ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وأقرب العمارة إليه
 مدينة اسوان وجزيرة سوا كن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحبشي بحرقصير يخاض وأهلها طائفة
 من البجّة تسمى الخاسة وهم مسلمون ولهم بهاملك * وقال الهمداني تكبح كنعان بن حام أرتيب بنت شاول
 ابن ترس بن يافث فولدت له حقا والاساود ونوبة وقران والزيغ والزغاوة وأجناس السودان وقيل البجّة من
 ولد حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجّة قبيلة من الحبش اصحاب أخبية من شعر
 وألوانهم أشد سودا من الحبشة يتزويون بزى العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما يتقل
 اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة وكانت البجّة تعبد الاصنام ثم أسلموا في اماره عبد الله بن سعد
 ابن ابي سرح وفيهم كرم ومماحة وهم قبائل وأنفا لكل نخدرئيس وهم أهل شجعة وطعامهم اللحم واللبن فقط

* (ذكر مدينة اسوان) *

اسوان من قولهم أسى الرجل يأسى أي اذا حزن ورجل اسيان واسوان أي حزين واسوان في آخر بلاد
 الصعيد وهي ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر وكانت كثيرة الحنطة وغيرها من الحبوب
 والفواكه والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ولحمانها نال غاية في الطيب
 والسمن وكانت أسعارها أبا رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها إلى بلاد النوبة ولا يتصل باسوان من
 شرقها بلاد اسلامي وفي جنوبها جبل به معدن الزمرد وهو في بركة منقطة عن العمارة وعلى خمسة عشر يوما
 من اسوان معدن الذهب ويتصل باسوان من غربها الواحات ويسلك من اسوان إلى عذاب ويتوصل من
 عذاب إلى الجحاز وإلى اليمن والهند * قال المسعودي ومدينة اسوان يسكنها خلق من العرب من قطان

وتزار بن ربيعة ومضر وخلق كثير من قريش واكثرهم من الخجاز والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير وتودع النواة في الارض قنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ولبن باسوان ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتعت هذه الضياع من النوبة في صدر الاسلام في دولة بني امية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدي المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم يوفد وفد بهم الى القسطنطينية وكروا عنه أن اناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما ملكهم على هذه الضياع تلك العبيد العاشرين فيها جعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستزعم من أيديهم فاحتلوا على ملك النوبة بأن يقدّموا الى من ابتاع منهم من النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقرروا الملكهم بالعبودية وأن يقولوا سيدنا معاشر النوبة سيدكم مع ملككم يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيد الملككم واموالكم له فحقن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أنواب هذا الكلام للحاكم ونحوه مما وقفوهم عليه من هذا المعنى قضى البيع لعدم اقرارهم بالرق الملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس * قال واما النوبة فاقترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربها فأنخت على شاطئها واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقرى من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفرقة الاخرى من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة عظيمة سموها سرقته والبلد المتصل بمملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الریح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها فأما العمود والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فكل تلك نقرها الاقلون قبل حدوث النصرانية بمئتين من السنين ومنها العمود التي بالاسكندرية * وفي ذى الحجة سنة أربع وأربعين وثلثمائة أغار ملك النوبة على اسوان وقتل جمعاً من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أونوجور بن الاخشيدي في محرم سنة خمس وأربعين فساروا في البر والبحر وبعثوا بعثة من النوبة اسروهم فضربت أعناقهم بدماء وأوقع بملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبي أهلها وقدم الى مصر في نصف جمادى الاولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيراً وعدة رؤس * وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغراسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار وقال الكمال جعفر الادفوى وكان باسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع وتحصل من اسوان في سنة واحدة ثلاثون ألف اردب تمرا وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شرباً خاصة وان مكتوباً آخر رأى فيه ستين شرباً فادون من عداهم قال ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين وستمائة من الهجرة * وكان بثغراسوان بنو الكثر من ربيعة امرأ ممدوحون مقصودون صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشاً الى كنز الدولة وأصحابه ترحلوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن بن الزبير قال فيها

وينجده ان خانه الدهر أو سطا * اناس اذا ما أفتجد الذل اتموا

أجاروا فاحتت الكواكب خائف * وجادوا فما فوق البسيطة معدم

وانه أجازهم علياً بألف دينار ووقف عليه ساقية تساوى ألف دينار وكان باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية اهل ذلك فسار ملك النوبة في عشرة آلاف ونزل بجاء اسوان في جزيرة وأسر من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه اولاد الكثر من بعد سنة تسعين وسبعمائة فأفسدوا فساداً كبيراً وكانت لهم مع ولادة اسوان عدة حروب الى أن كانت الحن منذ سنة ست وثمانمائة وخرّب اقليم الصعيد فارتفعت يد السلطنة عن ثغراسوان ولم يبق

للسلطان في مدينة اسوان وال واقع حاله عدة سنين ثم زحفت هواراة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة الى اسوان وحاربت اولاد الكنز وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هنالك من النساء والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة اسوان ومضوا بالسبي وقد تركوها خرابا يابا لا سكن بها فاستمرت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة ان ابا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمري لما غلب على المعدن كتب الى اسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن فخرج اليه رجل يعرف بعثمان بن حنيفة التميمي في ألف راحلة فيها الجهاز والبر * وذكر ان العمري لما عاد الى بلاد البجة بعد حروبه للنوبة كثرت العمارة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب قال ومما شاهدته جماعة من شيوخنا الفقهاء باسوان بقرية تدعى اساشي هي من اسوان على مرحلتين ونصف انهم رأوا شرفها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها جيزة وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيئا وهذا يكون في الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس مجمعون على رؤيتها وصحة هذا الخبر وكان بها انواع من القروا وأنواع من الرطب منها نوع من الرطب أشد ما يكون من خضرة السلق وأمر هارون الرشيد أن يجمع له من ألوان تمر اسوان من كل صنف تمر واحدة فجمع له وبية ولا يعرف في الدنيا بسر يتقر قبل أن يصير رطبا الا باسوان

* (ذكر بلاق) *

بلاق أجل حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل محيط بها النيل فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها فخل عظيم ومنبر في جامع واليها انتهت سفن النوبة وسفن المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي اول بلد النوبة ميل واحد وبينها وبين اسوان أربعة اميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر لا تسلكها المراكب الا بالحيطة له ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك وبالقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة

* (ذكر حائط العجوز) *

هذا الحائط كان حصنا لارض مصر يحرق بجميعها وكان فيه محارس ومسالخ ومن ورائه خليج يجري فيه الماء معقود عليه القناطر علمته دلوكه بنت زبا وقد وهى وتلاشى ولم يبق منه الا يسير في شط النيل الشرقي انتهى الى اسوان قال ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد في كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعني فرعون وجنوده وليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشرف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهم أن يولين امرأة منهم يقال لها دلوكه بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهم وموضع وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة فملكوها فخافت أن يتناولها ملوك الارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يتدعونه اليها وقد هلك اكبرنا واشرفنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصنا أحسق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالخ على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجلا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من اى جهة كانت في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فنبئت بذلك مصر عن أرادها وفرغت من بناءه في ستة أشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كبيرة والله أعلم

* (ذكر البقط) *

البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه الكلمة عربية فهي اما من قولهم في الارض بقط من بقل وعشب أى نبذ من مرعى فيكون معناه على هذا نبذة من المال أو

يكون من قولهم ان في بني تميم بقطا من ربيعة اى فرقة أو قطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة
منه ومنه بقط الارض فرقة منها وبقط الشيء فرقه والبقط أن تعطى الحبة على الثلث أو الربع والبقط أيضا ما سقط
من التمر اذا قطع فأخطأ المخرف فيكون معناه على هذا بعض ما فى أيدي النوبة وكان يؤخذ منهم فى قرية يقال لها
القصر مسافتها من اسوان خمسة اميال فيما بين بلد بلق وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص وأول ما تقرر
هذا البقط على النوبة فى اماره عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعد فتح مصر الى النوبة
سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين فى عشرين ألفا فكتب بها زمانا فكتب اليه عمرو يأمره بالرجوع
اليه فلما مات عمرو رضى الله عنه نقض النوبة الصلح الذى جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى
الصعيد فأخربوا وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبى سرح وهو على اماره مصر فى خلافة عثمان
رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدة دقة حصارا شديدا وورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبة
تعرفه وخسف بهم كنيسهم بجعر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليد وورث الصلح وخرج الى عبد الله
وأبدي ضعفها ومسكنة وتواضعوا فلقاه عبد الله ورفعهم وقر به ثم قر الصلح معه على ثمانمائة وستين رأسا فى كل سنة
ووعده عبد الله بحبوب يهديها اليه لما سكا له قلة الطعام ببلده وكتب اليهم كتابا بنسخته بعد البسيلة عهد من الامير
عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عهده على الكبير والصغير من النوبة من حد
أرض اسوان الى حد أرض علوة أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة تجارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم
من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد
النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تخاربكم ولا تنهب لكم حروبا ولا تغزوكم ما أقمتم على الشروط التى بيننا وبينكم على
أن تدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلادكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلادكم
أو يطرقة من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وإن عليكم رد كل أبى خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى
أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنه وعليكم
حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كنسها واسراجها وتكرمتها وعليكم
فى كل سنة ثمانمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقبى بلادكم غير المعيب يكون فيها
ذكران وانا ايس فيم باشيهرم ولا يجوز ولا تطفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والى اسوان وليس على
مسلم دفع عذوقكم ولا تمنعه عنكم من حد أرض علوة الى أرض اسوان فان انتم أو يمت عبد المسلم أو قتلتم
مسلم أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئا من الثمانمائة رأس
والستين رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وانتم على سواء حتى يحكمكم الله بيننا وهو خير
الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمة وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك أعظم
ما تدنيون به من ذمة المسيح وذمة الخواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملكتكم الله الشاهد بيننا وبينكم
على ذلك كتيبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة احدى وثلاثين * وكانت النوبة دفعت الى عمرو بن العاص
ما صولحوا عليه من البقط قبل نكثهم وأهدوا الى عمرو أربعين رأسا من الرقيق فلم يقبلها ورد الهدية الى كبير البقط
ويقال له سمعوس فاشترى له بذلك جهازا وخرجها ووجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من
الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا وما باو خيلا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسعا يأخذونه عند دفع البقط
فى كل سنة وصارت الاربعون رأسا حتى أهديت الى عمرو يأخذها الى مصر وعن أبى خليفة حميد بن هشام
البحترى أن الذى صولح عليه النوبة ثمانمائة وستون رأسا الى المسلمين ولصاحب مصر اربعون رأسا ويدفع
اليهم ألفا رطب قمحا ولرسالة ثمانمائة رطب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألفا قنير للمملىك ولرسالة ثمانمائة
قنير وفارسين من نتاج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطى أربعة اقواب للمملىك ولرسالة
ثلاثة ومن البقطرية ثمانية اقواب ومن المعلة خمسة اقواب وجبة مجملة للملك ومن قصص أبى بقط عشرة
اقواب ومن أمه ص عشرة اقواب وهى ثياب غلاظ قال ابو خلفه ليس فى كتاب عبد الله بن وهب ولا فى كتاب
الواقدي تسمية ينتهى اليها وانما أخذت التسمية من أبى زكريا قال أبو زكريا سمعت والدى عمرو بن صالح
يقول هذا الخبر فخطت منه ما وفقت عليه وقال حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال

أتت عثمان بن صالح الذي وجهنا اليك في كتاب بقط النوبة قلت نعم فأقبل علي محفوظ بن سليمان فقال ما أعجب
 أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطالب علماء من علومهم وإلى هذا الشيخ فمأثفانا أحد منهم فقلت أصلح الله
 الامير ان الذي طلبت من خبر النوبة عندي قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هناك والهدنة والصلح
 الذي جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبة ثم حدثته عن أخبارهم كما سمعت فأنكر عطية الخمر فقلت قد أنكرها
 عبد العزيز بن مروان وكان هذا المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد أن تم الصلح بينه وبين
 عبد الله بن السمرى بن الحكم التميمي الامير كان قبله قال عثمان بن صالح فوجه الامير الى الديوان بظهر المسجد
 الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرت فستره ذلك * وعن مالك بن انس انه كان يرى
 أن أرض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يجيز شراء رقيقهم وكان أصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله
 ابن وهب والليث بن سعد ويزيد بن أبي حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث بن سعد
 نحن أعرف بأرض النوبة من الامام مالك بن انس انما صولحوا على أن لا تغزوهم ولا تمنع منهم عدواً واسترقه
 متملكهم أو غزوا بعضهم بعضاً فشرأوه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسرقهم فغير جائز وكان عند جماعة
 منهم جوار نوبيات لفرشهم ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى أيام أمير
 المؤمنين المعتصم بالله أبي اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن جحس وكانت النوبة ربما عجزت عن
 دفع البقط فشنت الغارة عليهم ولادة المسلمين القرييون من بلادهم ويمنع من اخراج الجهازا اليهم فأنكر فيرقى ولد
 كبيرهم زكرياء على أبيه بذلة الطاعة لغيره واستحججه فيما يدفع فقال له ابوه فماتشاء قال عصيانهم ومخايرتهم
 قال ابوه هذا شيء رءاه السلف من آبائنا صواباً وأخشى أن يفضي هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين
 غير أني أوجهك الى ملكهم رسولاً فأنت ترى حالنا وحالهم فان رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبرة والا
 سألتهم الاحسان الينا فشنخ فيرقى الى بغداد وكانت البلدان تزين له ويسير على المدن واتخذ رباباً اتخذ ربه رئيس
 الجبهه باسبابه ولقي المعتصم فظفرا الى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش وعظم العماره مع ماشاهدها
 في طريقهم ما فقرت المعتصم فيرقى وأداناه وأحسن اليه احساناً تاماً وقبل هديته وكافأه بأضعافها وقال له نحن
 ماشئت فساله في اطلاق المحبوسين فأجابته الى ذلك وكبر في عين المعتصم وذهب له الدار التي نزلها بالاعراق وأمر
 أن يشتري له في كل منزل من طريقه دار تكون لرسولهم فانه امتنع من دخول دار لا حد في طريقه فأخذ له بمصر
 داراً بالحيرة واخرى ببني وائل وأجرى لهم في ديوان مصر سبع مائة دينار وفرسا وسرجاً ولباً ما وسيفاً محلي
 وثوباً مقلاداً وعمامة من الخز وقيص شرب وورداء شرب وثياباً لرسوله غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم
 جلال وخلع على المتولى لقبض البقط وعلمهم رسوم معلومة لقباض البقط والمتصرفين معه وما يهدي اليهم
 بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجدها اكثر
 من البقط وأنكر عطية الخمر وأجرى المحبوب والسياب التي تقدم ذكرها وقدر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث
 سنين وكتب اليهم كتاباً بذلك بقي في يد النوبة وادعى النوبي على قوم من اهل اسوان انهم اشتروا أملاكاً من
 عبيده فأمر المعتصم بالنظر في ذلك فأحضره الى البلد واختار لكم فيه التابعين من النوبة وسألاهم
 عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فأنكروا ذلك وقالوا نحن رعية فزال ما ادعاه وطلب أشياء غير ذلك من ازالة
 المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لان المسلحة على أرضهم فلم يجبه الى
 ذلك ولم يزل الرسم جارياً بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى أن قرمت الدولة الفاطمية
 الى مصر ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال أبو الحسن المسعودي والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة ويحمل
 الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأساً لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين
 وللا مبر بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأساً وخلفيته المقيم بأسوان وهو المتولى لقبض البقط عشرون رأساً وللحاكم
 المقيم بأسوان الذي يحضر مع أمير أسوان قبض البقط خمسة أرؤس ولائى عشر شاهداً عدولاً من أهل أسوان
 يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في بدء
 ابقاء الهدنة بين المسلمين والنوبة وقال البلاذري في كتاب الفتوحات ان المنقر على النوبة اربع مائة رأس
 يأخذون بها طعاماً الى غلة وألزمهم أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ثلثمائة وستين رأساً وزرافه

وفي سنة أربع وسبعين وستمائة كثر خبث داود مملك النوبة وأقبل إلى أن قرب من مدينة اسوان وحرقت
عدة سواق بعد ما أفسد بعذاب فغضى إليه وإلى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة
وحملهم إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم وقدم سكة ابن اخت مملك
النوبة متظلماً من خاله داود فجرد السلطان معه الأمير شمس الدين آق سمنقر الفارقاني الاستادار والأمير عز
الدين إيبك الأفرم وأمير جندار في جماعة كثيرة من العسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلي
والزرايين والرماة ورجال الحراريق فساروا في أول شعبان من القاهرة حتى وصلوا إلى أرض النوبة فخرجوا
إلى لقائهم على النجب بأيديهم الحراب وعليهم دكاك سود فاقبلت الفر يقان قتلاً كبيراً انهزم فيه النوبة وأغار
الأفرم على قلعة الدروقتل وسبي واوغل الفارقاني في أرض النوبة بترابها يقتل ويسرق فخان من المواشي
ما لا يعد ونزل بجيزة ميكائيل برأس الجنادل ونفر المراكب من الجنادل ففر النوبة إلى الجزائر وكتب لقمصر
الدولة نائب داود مملك النوبة أماناً خلف لسكندة على الطاعة واحضر رجال المريس ومن فزو خاص الأفرم
إلى برج في الماء وحصره حتى أخذه وقتل به ما تبين واسر أخا داود فهرب داود والعسكر في أثره مدة ثلاثة
أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذن القوم وأسرت أم داود وأخته ولم يقدر على داود فقتل ر سكة عوضه
وقر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلاث فيلثة وثلاث زرافات وخمس فهود من انشاء مائة فحجب أصحاب
وأربع مائة رأس من البقر المنتجة على أن تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها للعمارة البلاد
وحفظها ما خلا بلاد الجنادل فانها كلها للسلطان لقربها من اسوان وهي نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل
ما بها من القمح والقطن والحقوق التجارية بها العادة من قديم الزمان وأن يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية
في دفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عينا وكتب نسخة عين بذلك حلف عليهم الملك سكة ونسخة عين أخرى
حلفت عليها الرعية وخرب الأميران كائنات النوبة وأخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين أميراً من أمراء النوبة
وأخرج عن كان بأيدي النوبة من أهل اسوان وعذاب من المسلمين في أسرهم وألبس سكة تاج الملك وأفعد
على سرير المملكة بعدما حلف والتزم أن يحمل جميع مال داود ولكل من قتل وأسرى من مال ودواب إلى
السلطان مع البقط القديم وهو أربع مائة رأس من الرقيق في كل سنة وزرافة من ذلك ما كان للخليفة
ثلاثة وستون رأساً ولتأب به بمصر أربعون رأساً على أن يطلق لهم إذا وصلوا بالبطق تاماً من القمح ألف أردب
لملكهم وثلثمائة أردب لرسله

* (ذكر صحراء عذاب) *

اعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة شرفها الله تعالى إلا من صحراء
عذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط إلى قوص ثم يركبون الأبل من قوص ويعبرون هذه
الصحراء إلى عذاب ثم يركبون البحر في الجلاب إلى جدة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون
في البحر إلى عذاب ثم يسلكون هذه الصحراء إلى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تزال
عامرة أهله بما يصدر أو يورد من قوافل التجار والحجاج حتى أن كانت أجمال الهبار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك
لا توجد ملقاة بها والقول صاعدة وهابطة لا يعترض لها أحد إلى أن يأخذها صاحبها فلم تزل مسلكاً للحجاج في
ذعابهم وأيامهم زيادة على مائتي سنة من أعوام بضع وخمسين وأربع مائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة
وذلك منذ كانت الشدة العظمى في أيام الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر واقطاع الحج في البر
إلى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الكعبة وعمل لها مفتاحاً خرج
قافله الحاج من البر في سنة ست وستين وستمائة فقل سلك الحاج لهذه الصحراء واستقرت بضائع
التجار تحمل من عذاب إلى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبع مائة وتلاشى امر قوص من حينئذ
وهذه الصحراء مسافتها من قوص إلى عذاب سبعة عشر يوماً ويفقد فيها الماء ثلاثة أيام متوالية وتارة يفقد
أربعة أيام وعذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهي غير مسورة وأكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم
مراسي الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة
فلما قطع ورود مراكب الهند واليمن إليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن إلى أن كانت أعوام بضع

وعشرين وثمانمائة فصارت جدة أعظم مراسي الدنيا وكذلك هرمن فانها مرسى جليل وعذاب في صحراء
لأنبات فيها وكل ما يוכל بها مجلوب اليها حتى الماء وكان لاهلها من الخجاج والتجار فؤاد لا تحصى وكان لهم
على كل حل يحملونه للخجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الخجاج الجلاب التي تحملهم في البحر الى جدة
ومن جدة الى عذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في اهل عذاب الا من له جلبة فاكثروا على قدر
يساره وفي بحر عذاب مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها تخرج اليه الغواصون في وقت معين من كل سنة
في الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هنالك أياما ثم يعودون بما قسم لهم من الخظ والمغاص فيها
قريب القعر وعيش اهل عذاب عيش البهائم وهم أقرب الى الوحش في أخلاقهم من الانس وكان الخجاج
يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر اهو الاعظيمة لان الرياح تلقىهم في الغالب براس في صحارى بعيدة مما يلي
الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكارونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء فربما هلك اكثرهم عطشا
وأخذ التجار ما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشا والذي يسلم منهم يدخل الى عذاب كانه نشر من كف
قد استحالته حياتهم وتغيرت صفاتهم واكثر هلاك الخجاج بهذه المراسي ومنهم من يساعده الربح فتحطه بمرسى
عذاب وهو الاقل وجلباتهم التي تحمل الخجاج في البحر لا يستعمل فيها سمار البتة انما يحيط خشبها بالقنبار
وهو مستخذ من شجر النار جميل ويحلقونها بدمر من عيدان النخل ثم يسقونها بدمن او دهن الخروع او دهن
القرش وهو حوت عظيم في البحر يتلغى الغرقى وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل ولاهل عذاب في
الخجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون في شتم الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة
ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دائما علينا بالالواح وعلى الخجاج بالارواح وأهل عذاب من
البحاة ولهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وأدركت قاضيها عندنا بالقاهرة أسود اللون والبيضة قوم
لادين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبداعرة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لا يسترون عوراتهم وعذاب
حرها شديد بسموم محرق

* (ذكر مدينة الاقصر) *

هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال ان اهلها المريس ومنها الخير المربسية

* (ذكر البلينا) *

هذه وذكر الكمال الادفوى أنه وقع بينا هل البلاد ووالى قوص فتوجهوا الى
القاهرة وصرفوه وولى غيره وطلع الخطيب بالبلينا صحبتته وكان أقطاعه ارمنت فلما وصل اليها أضافه اهلها
بستين منسفان طعام اللبن فقال للخطيب في بلادكم مثل هذا فقال الخطيب وحلوى فلما وصل الى الخميم تقدم
الخطيب الى البلينا فعند ما وصل الىها أخرجهوا له ستين منسفا حلوى وستين منسفا شواء قال وبعض
الحكام بها في عيد من الاعياد امتدحه من اهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيما من لا يرضى بحدج القاضى وفيها
من تقصر رتبته عن ذلك قال وكان فيها عدة مسابك للسكر ويوصف اهلها بالمكارم

* (ذكر سهود) *

هذه المدينة بالجانب الغربى من النيل قال الادفوى كان بسهود سبعة عشر حجرا لاعتصار قصب السكر
ويقال ان الفار لا يدخل قصبا

* (ذكر ارجنوس) *

هذه المدينة من جلة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بئر يقال لها بئر سريس صغيرة لها عيد يعمل في اليوم
الخامس والعشرين من بشنس أحيد شهور القبط فيفوز بها الماء عند مضي ست ساعات من النهار حتى
يطفو ثم يعود الى ما كان عليه ويستبدل النصارى على زيادة النيل في كل سنة بقدر ما علا الماء من
الارض فيزعون أن الامر في النيل وزيادته يكون موافقا لذلك

* (ذكر ابوط) *

هذه المدينة أيضا من جلة البهنساوية كان بها منارة محكمة البناء اذا هزها الرجل تحركت عينا وشمالا فيرى

ميلها رؤية ظاهرة بالتقال ظلهما عن موضعه

* (ذكر ملوى) *

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها عدة أبحار لا اعتصاره وآخر من كان بها أولاد فضيل بلغت زراعتهم في أيام الناصر محمد بن قلاوون ألفاً وخمسمائة قدان من القصب في كل سنة فأوقع النشواناظر الخاص الحوطة على موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة فوجد من جملة ما لهم أربعة عشر ألف قنطار من القند حملها إلى دار القند بمصر سوى العسل وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قنطار بعد ذلك وأفرج عنهم فوجدوا لهم حاصل لم يتبدله النشوفيه عشرة آلاف قنطار قند سوى ما لهم من عبيد وغلل وغير ذلك

* (ذكر مدينة انصنا) *

اعلم أن مدينة انصنا إحدى مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب ويقال أنه كان مقياس النيل وأنه من بناء دلوكة أحد من ملوك مصر وكان كالطيلسان وفي دائره عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الاحمر المائع ومسافة ما بين كل عمودين مقدار خطوة انسان وكان ماء النيل يدخل إلى هذا الملعب من قوهة عند زيادة الماء فإذا بلغ ماء النيل الحد الذي كان إذا ذاك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها جلس الملك عند ذلك في مشرف له وصعد القوم من خواصه إلى رؤس الأعمدة المذكورة فيستعدون عليها ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الأعمدة إلى الملعب وهو يمتليء بالماء قال أبو عبيد البكري أنصنا بفتح أوله واسكان ثانيه بعده صادمه هذه مكسورة ونون وألف كورة من كور مصر معروفة منها كانت سرية النبي صلى الله عليه وسلم أم ابنه ابراهيم من قرية يقال لها حقن من قرى هذه الكورة ويقال إن بحيرة فرعون كانوا منها وأنه جلبهم من يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام ويقال إن القساح لا يضرب ساحل أنصنا لطاسم وضعت بها وأنه إذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال إن الذي بنى مدينة أنصنا اشمون ابن مصر ايم بن بصير بن حام بن نوح وهي واقعة في شرقي النيل وكانت حكمة البساتين والمنزهات كثيرة الثمار والقواكه وهي الآن خراب وقال ابو حنيفة الدينوري ولا يثبت البنج إلا بأنصنا وهو عود ينش منه الواح للسفن وربما أرغفت ناشرها ويبيع اللوح منها بخمسين ديناراً ونحوها وإذا شتل لوح منها بلوح وطرح في الماء ستة أيام صار اللوح واحداً وكان لأنصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل على كل مركب منحد في النيل جزءاً من حمل صخره إلى القاهرة فنقل بأسره إليها

* (ذكر القيس) *

اعلم أن القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس ابن الحارث المرادى ثم الكعبي شهد فتح مصر بروى عن عمر بن الخطاب وكان يفتي الناس في زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل شديد بن قيس بن ثعلبة وروى عنه عسكر بن سواده وهو الذي فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت إليه وقال ابن الكندي ولهم ثياب الصوف واكسية المرعز وليس هي بالدنيا إلا بمصر وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبي سفيان لما كبر كان لا يدفأ فأجتمعا أنه لا يدفئه إلا الاكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلي العين المصبوغ فعمل له من معدنهما احتاج منها إلى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في الستور والمضارب يعرفون به ومنه طراز أهل الدنيا * وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في أيام السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأمر متولى البهنساوية بكشفه فجمع له أهل المعرفة بالعموم والغطاس فكانوا ما ينفي على مائتي رجل ما فهم الامن نزل السرب فلم يجد له قراراً ولا جوانب فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس السرب وثخنه بالازواد والرجال وركب فيه حبلاً مربوطة في خوازيق عند رأس السرب وحمل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار وعدة شموع وغيرها مما تستخرج به النار وتشعل به وأمرهم أن يسلكوا بالركب في السرب حتى ينفذ نصف ما معهم من

الزاد فساروا بالمركب في ظلمة وهم يرخون الحبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب قازالوا حتى
قلت ازوادهم فأبطلوا حركة المركب بالمجازيف الى داخل السرب وجزوا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى
انتهوا الى رأس السرب فكانت مدة غيبتهم في السرب ستة أيام أربعة منها دخول الى جوفه وتطواف جوانبه
ويومان رجوعا الى رأس السرب ولم يبقوا في هذه المدة على نهاية السرب فكتب بذلك الامير علاء الدين
الطنبغا والى الهمسالى الملك الكامل فتعجب عجا كثيرا واشتغل عن ذلك بمعارية الفرنج على دمياط فلما رحلوا
عن دمياط وعادوا الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

* (ذكر دروط بلهاسه) *

اعلم أن دروط وهي بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء اسم لثلاث قرى دروط أشموم من
الاشمونين ودروط سريان من الاشمونين أيضا ودروط بلهاسه من ناحية الهند بالاصعيد وبها جامع انشاء زياد
ابن المغيرة بن زياد بن عمرو العنكي ومات في المحرم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف الجود حلقة بتر فيها * ما برا الله واحدا كزياد

كان غنيا مصر اذا كان حيا * وأمانا من السنين الشداد

ومات اخوه ابراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة فقال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب * يزاد حسنا على طول الدهار

لو كان يملك ما في الارض يحمله * الى العضاة ولم يهجم بتأخير

ومات احمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنة ست وثلاثين ومائة فقال الشاعر فيه

احمد مات ما جدام فمقودا * ولقد كان احمد محمودا

ورث الجدر عن أب ثم عم * مثله ليس بعده موجودا

* (ذكر سكر) *

هي من الاطفيحية تجاهاها وادبه الى وقتنا هذا شكل جبل من الحجر ككأ كبير ما يرى من الجبال وأحسنها هيئة
وهو قائم على أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى نخذه اليمين كتابة بقلمهم وهي أحرف مقطعة في ثلاثة
اسطر ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جبل آخر مثله سواء ووجهه الى وجه الجبل الاول وليس عليه كتابة وفيما
بين الجبلين المذكورين هيئة أعدل قدملت قاشا عتتها أربعون ركبة موضوعة بالارض عشرين تجاه
عشرين وجميعها من تجارة ولا يشك من رآها انها أجمال قاش وبعد مائة وخمسين خطوة منها جبل ثالث على هيئة
الجبلين المذكورين وهو أيضا قائم وظهره الى ظهر الجبل الثاني ووجهه الى الجبل وهناك آخر الوادي وليس على
هذا الجبل أيضا كتابة أخبرني بذلك من لا اتم روايته

* (ذكر منية الخصيب) *

هذه المدينة تسمى الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد

* (ذكر منية الناسك) *

هي بلدة من جباله الاطفيحية عرفت بالناسك أخى الوزير بهرام الارمني في أيام الخليفة الحافظ ادين الله أبي
الميمون عبد الحميد بن محمد ولى من قبل أخيه مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يومئذ
أجل ولايات مصر فجار على المسلمين واشتد عصفه واذا لهم فعند ما وصل الخبر بقيام رضوان بن ولخشى على
بهرام وهزم يمه منه ونقله الوزارة بعده ثار أهل قوص بالناسك في جادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة
وقتلوه وربطوا كلبا ميتا في رجله وصحبوه حتى ألقوه على منبلة وكان نصرانيا

* (ذكر الحيرة) *

قال ابن سيدة الحيرة الناحية والجانب وجعها جيز وجيز والجيز جانب الرادى وقد يقال فيه الحيرة واعلم أن
الحيرة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة فسطاط مصر لها في كل يوم أحد
سوق عظيم يجي اليه من النواحي أصناف كثيرة جدا ويجمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة * وقد روى

الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة
 من رياض الجنة ومصر خزائن الله في أرضه ويقال أن مسجد التوبة الذي بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه
 السلام الذي قد فته أمة فيه بالنيل وبها النخلة التي أَرْضعت مريم تحتها عيسى فلم يثر غيرها * وقال ابن عبد الحكم
 عن يزيد بن أبي حبيب فاستحب همدان ومن والاهما الجيزة فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب
 رضي الله عنهم ما يعلم بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا في خططهم وما استحب همدان من النزول
 بالجيزة فكتب إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك و يقول له كيف رضى أن تفرق أصحابك لم يكن ينبغي لك
 أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ولا تدرى ما يفتجأهم فاعلمك لا تقدر على غياثهم حين ينزل
 بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان أبو اعليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك فابن عليهم من في المسلمين
 حصنا فعرض عليهم همرو ذلك فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرهما
 وأحبوا ما هنالك فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن في الجيزة في سنة إحدى وعشرين و فرغ من بنائه في سنة
 اثنتين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سال اهل الجيزة أن ينضموا إلى القسطنطين قالوا مقدم قدمناه في
 سبيل الله ما كنا نرحل منه إلى غيره فترك يافع الجيزة فيها مخرج بن شهاب وهمدان وذو أصبح فيهم أبو شمر بن
 ابرهة وطائفة من الحجر * وقال القاضي ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل القسطنطين جعل
 طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل فيها آل ذي أصبح من حمير وهم كثير ويافع
 ابن زيد من رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الازديين بنى الحجر بن الهبوع بن الازد وطائفة من
 الحبشة وديوانهم في الازد فلما استقر عمرو في القسطنطين أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه ففكر هو ذلك
 وقالوا هذا مقدم قدمناه في سبيل الله وأقمنا به ما كنا بالذين نرغب عنه ونحن به منذ أشهر فكتب عمرو بن العاص
 إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ما بذلك يخبره أن همدان وآل ذي أصبح ويافع ومن كان معهم أحبوا المقام
 بالجيزة فكتب إليه كيف رضى أن تفرق عنك أصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفتجأهم فاعلمك لا تقدر
 على غياثهم فاجمعهم اليك ولا تفرقهم فان أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من في المسلمين فجمعهم عمرو
 واخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم ففكر هو ذلك وقالوا الحصن
 احسن لنا من سبوفنا وكرهت ذلك همدان ويافع فأقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على يافع فبنى فيهم الحصن
 في سنة إحدى وعشرين و فرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها فاختط ذو أصبح من
 حمير من الشرق ومضوا إلى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع وكرهوا أن يبنى الحصن فيهم واختط يافع
 ابن الحرث من رعين بوسط الجيزة وبنى الحصن في خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن انفة منه واختطت
 بكيل بن جشم من نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرقها واختطت حاشد بن جشم بن نوف
 في مهب الشمال من الجيزة في غربها واختطت الحياوية بنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة واختطت بنو حجر بن
 ارحب بن بكيل في قبلي الجيزة واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبوع بن الازد فيما بين بكيل ويافع
 والحبشة اختطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناء محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة
 خمسين وثلاثمائة بأمر الأمير علي بن الاخشيد فتقدم كافر إلى الخازن ببنائه وعمل له مستغلا وكان الناس
 قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة في
 الجيزة وشارف بناء هذا الجامع مع الخازن أبو الحسن بن أبي جعفر الطحاوي واحتاجوا إلى عمد للجامع
 ففضي الخازن في الليل إلى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركاناً وحمل العمدة إلى الجامع فترك
 أبو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه مذكاً تورعاً قال اليماني وقد كان ابن الطحاوي يصلي في جامع
 القسطنطين العتيق وبعض عمدته وأكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرة بن
 شريك عامل الوليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار وأنه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها
 التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا وفي سنة أربع وعشرين
 وسبعمائة منع الملك الناصر محمد بن قلاوون الوزير أن يعرض إلى شيء مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه
 يحتمل إليه

* (ذكر سجن يوسف عليه السلام) *

قال القاضي "سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثرين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه فيه وسطح السجن موضع معروف بأجابه الدعاء يذكر أن كافور الأخشيدي سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف بأجابه الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن والنبي الآخر موسى عليه السلام وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن الورد وكان قد هلكت اخته وورث منها مورتا وكان يسمع عليه دائما وكان لسجن يوسف وقت يمضي الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوما يا أصحابنا هذا أوان السجن ونريد أن نذهب اليه وأخرج عشرة دنائير فساو لها أصحابه وقال لهم ما اشتهيتموه فاشتروه فبقي أصحاب الحديث واشتروا ما أرادوا وعدتنا يوم أحد الجيزة كلنا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا إلى مسجد موسى وهو الذي في السهل ومنه يطلع إلى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحملني ويطلعني إلى هذا السجن حتى أحدثه بجديث لا أحدثه لاحد بعده حتى تفارق روعي الدنيا قال الشرفي فأخذت الشيخ وحملته حتى صرت في أعلاه فقتل وقال معك ورقة قلت لا قال أبصر لي بلاطة فأخذ فخمة وكتب حدثني يحيى بن أيوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن اسلم بن يسار عن ابن عباس قال أت جبريل أتى إلى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم فقال له يوسف من أنت الذي مدد خلت السجن ما رأيت أحسن وجه منك فقال له أنا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالانبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فقام إلى آخر النهار حتى أخرج من السجن قال القاضي سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه أبو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطعاوي وذكر سجن يوسف لوسافر الرجل من العراق ليصل في فيه وينظر إليه لما عفتة في سفره وقال الفقيه أبو إسحق المروزي "لوسافر الرجل من العراق لينظر إليه ما عفتة" وذكر المسيحي في حوادث شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة أن العامة والسوقة طافت الأسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الأسواق ما ينفقونه في مضيمهم إلى سجن يوسف فقال لهم التجار شغلنا بعدم الأقوات يمنعنا من هذا أو كان قد اشتد الغلاء وأنهم أحالهم إلى الحضرة المطهرة يعني أمير المؤمنين الظاهر لا عز الدين الله أبا الحسن علي بن الحاكم بأمر الله فرسم لنا نائب الدولة أبي طاهر بن كافي متولى الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج إلى سجن يوسف ووعدوا أن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفي يوم السبت تسع خلون من جمادى الأولى ركب القناصل الأجل عز الدولة وسنادهام معضاد الخادم الأسود في سائر الأتراك ووجه القواد وشق البلد ونزل إلى الصناعة التي بالجسر بين معه ثم خرج من هناك وعدى في سائر عساكره إلى الجيزة حتى رتب لأمير المؤمنين عساكر تكون معه مقعة هناك لحفظه لانه عدى يوم الاثنين لا حدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل وفي جميع من معه من خاصته وحرمة إلى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليتين إلى أن عاد الرماذية الخارجون إلى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماجات فخصم منهم واستظرفهم وعاد إلى قصره بكرة يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت منه وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماجات والتماثيل ويطلقون إلى القاهرة بذلك ليشاهدوا أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم أن لا يعارض أحدا منهم في ذهابه وعوده وأن يعقد كرامهم وصياتهم ولم ير الواعلي ذلك إلى أن تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لاربع عشرة بقيت من جمادى الأولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتماثيل فمعتل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم واجتمع في الأسواق خلق كثير ينظرهم وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك وأطلق جميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثني عشر سواقا ونزلوا مسرورين وبخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لاعلم له أنه أبو هريرة الصحابي وليس كذلك بل هو منسوب إلى ابن ابنته

* (ذكر قرية ترسا) *

قال القاضي وذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحجاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا والقاسم هذا خرج الى مصر وولى خلافة عن أبيه عبيد الله بن الحجاب السلولى على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم أقره هشام على خراج مصر حين خرج أبوه الى اماره افر بقية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة أربع وعشرين ومائة فنزع عن مصر وجمع الحفص بن الوليد عروبها وجمعها فصار بلى الخراج والصلاة معا وترسا هذه كانت وقعة هرون بن محمد الجعدى

* (ذكر منية اندونة) *

هي احدى قرى الجيزة عرفت باندونة كاتب احمد المداينى الذى كان يتقدم ضياع موسى بن بغا الذى يصرف قبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فآخذ منه خمسين ألف دينار

* (ذكر وسميم) *

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير مصر الى وسميم وكانت لرجل من القبط فسأل عبد الله أن يأتيه الى منزله ويجعل له مائة ألف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الى قرية ابى النرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فأقى عبد الله العزل وولاية قرزة بن شريك وهو هناك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل رد المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الى المعتبة وعدى اصحابه قبله وتأخر فورد الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لا بد أن تشرف منزلى وتكون ضيقى وتاكل طعامى ووالله لا عادلى شئ من ذلك ولا ادعك من مصر فافعدى معه

* (ذكر منية عقبة) *

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه * قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ما يسأله ارضا يسترقق فيها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر أصلحك الله ارضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان فى عهدهم شروطا ستة منها أن لا يؤخذ من ارضهم شئ ولا من نسائهم ولا من اولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وأن يشاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبة الى معاوية يسأله نقيعا فى قرية بين فيه منازل ومساكن فأمر له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مواله ومن كان عنده انظر الى أرض تعجبك فاختط فيها واوأتى فقال انه ليس لنا ذلك لهم فى عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من ارضهم شئ ولا يزاد عليهم ولا يكفوا غير طاعتهم ولا تؤخذ ذرارهم وأن يقابل عنهم عدوهم من ورائهم قال ابو سعيد بن يونس وهذه الارض التى اقتطعها عقبة هي المنية المعروفة بمنية عقبة فى جيزة فسطاط مصر * (عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رفاع بن مودوعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمرو الكندى وقال الحافظ ابو عمرو بن عبد البر عقبة بن عامر بن حسن الجهنى من جهينة بن زيد بن مسعود ابن اسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة وقد اختلف فى هذا النسب يكتفى أباجاد وقيل أباسد وقيل أباعمر وقيل أباسعاد وقيل أبالاسود وقال خليفة بن خياط وقتل ابو عامر عقبة بن عامر الجهنى يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلاثين وهذا غلط منه وفى كتابه بعد وفى سنة ثمان وخمسين توفى عقبة بن عامر الجهنى قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وبنى بها دارا وتوفى فى آخر خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وابو امامة ومسلمة بن مخلد وأما رواه من التابعين فكثير وقال الكندى ثم ولها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارنا فقها فرفضيا شاعرا له الهجرة والصحبة السابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذى يقودها فى الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسيلة بن مخلد لعشر بقين من ربيع الاول سنة أربعين فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وقال ابن يونس توفى بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن فى مقبرتها بالمقطم وكان يخضب بالسواد رحمه الله

* (ذكر حلوان) *

يقال انها تنسب الى حلوان بن بلبليون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذي المنار أحد التبايعات * قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع
بالفسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخل في الصحراء في موضع منها يقال
له أبو قرقورة وهو رأس العين التي احتقرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيلة التي غرسها بحلوان فكان ابن
خديج يرسل الى عبد العزيز في كل يوم يخبر ما يحدث في البلد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولا فأتاه
فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال أبو طالب فنقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك
فتقول أبو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاهل بذلك ومرض في تخرجه ذلك ومات هنالك فحمل في البحر يراجه
الفسطاط حتى تغير فأثرل في بعض خصوص ساحل مرس فغسل فيه وأخرجت من هنالك جنازته وخرج معه
بالجمام فيها العود لما كان قد تغير من ريحه وأوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد
ابن زيد بن هاني الرعيي صاحب حرسه وكان صديقه له وقد توفي قبل عبد العزيز فمر بجنازته على باب جناب وقد
خرج عيال بجناب ولبسن السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لنصيب من عبد العزيز
ناحية فقدم عليه في مرضه فاذا له فلما رأى شدة مرضه انشأ يقول

وزور سيدنا وسيد غرنا * ليت التشكي كان بالعواد

لو كان يقبل فدية فديته * بالمصطفى من طارفي وتلاذي

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بأفنديار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفر حوايه ثم مات * وقال الكندي
وقع الطاعون بمصر في سنة سبعين فخرج عبد العزيز بن مروان منها الى الشرقية منتديا فنزل حلوان فأعجبه
فأخذها وسكنها وجعل بها الحرس والاعوان والشروط فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان وبنى عبد العزيز
بحلوان الدور والمساجد وعمرها احسن عماره وأحكمها وغرس نخيلها وكرمه فقال ابن قيس الرقيات

سقبيا حلوان ذي الكروم وما * صنف من تينه ومن عنبه

نخل مواخير بالقناء من الـ * يبرني يستر ثم في سربه

اسود سكاكه الحمام فما * يثقل غرابه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأطمع دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف على غروسه ومساقبه فقال
يزيد بن عروة الجلي "ألا قلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح ما شاء الله لا قوة الا بالله فقال أذكرني شـ
يا غلام قل لا يتأس يزيد في عطائه عشرة دنانير * (عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن
عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أبو الاصمغ الله ليلى ابنة زبان بن الاصمغ الكندي روى عن أبي
هريرة وعقبة بن عامر الجهني وروى عنه علي بن رباح ويحيى بن داود وعبيد الله بن مالك الخولاني وكعب
ابن علقمة ووثقه النساء وابن سعد ولما سار أبوه مروان الى مصر بعثه في جيش الى ايلة ليدخل مصر من
تلك الناحية فبعث اليه ابن جندم أمير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوي فلقى عبد العزيز بصاق وهي سطح
عقبه ايلة فقاتله فانهزم زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر في جمادى الآخرة سنة خمس وستين جعل
صلاتها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعد ما قام بمصر ثم رين فقال عبد العزيز يا أمير المؤمنين كيف المقام
ببلد ليس به أحد من بني أبي فقال له مروان يا بني عهم يا حسنك يكونوا كلهم بني أبيك واجعل وجهك طلقا
تصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عيناه على غيره فينادي قومه اليك
وقد جعلت معك أخاك بشراموسا وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وما عليك يا بني أن تـ كـرن أسيراً
بأقصى الارض أليس ذلك احسن من اغلاق بابك ونحوك في منزلك وأوصاه عند تخرجه من مصر الى الشام
فقال اوصيك بتقوى الله في سرائر وأمرتك وعلايته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل
لداي الله عليك سبيلا فان المؤمن يدعو الى فريضة اقترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً
وأوصيك أن لا تعد الناس موعداً إلا نفذته لهم وان حملته على الاسنة وأوصيك أن لا تعجل في شيء من

الحكم حتى تستشير فان الله لو أغنى احد عن ذلك لا غنى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحى الذى
يأتيه قال الله عز وجل وشاورهم فى الامر * وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فولىها عبد
العزيز على صلاحها وخرجها وتوفى مروان لهلال رمضان وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز
ووفد على عبد الملك فى سنة سبع وستين وجعل على الحرس والخيل والاعوان جناب بن مرثد الرعيى فاشتد
سلطانه وكان الرجل اذا أغلظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضر به وحبسوه وعبد العزيز أول من
عترف بمصر فى سنة احدى وسبعين قال يزيد بن ابى حبيب اقول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد
العصر عبد العزيز بن مروان * وفى سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير
وجعل عليهم مالك بن شرجيل الخولانى وهزم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن بنحس مولى ابن ابرى وهو
الذى قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية فى سنة أربع وسبعين ووفد على أخيه عبد الملك فى سنة خمس
وسبعين وهدم جامع القسطاط كله وزاد فيه من جوائبه كلها فى سنة سبع وسبعين وأمر بضرب الدنانير
المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف
بها على القبائل تحمل على الحمل وكتب عبد الملك اليه أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الى الوليد وسليمان
فأبى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد فلنا اولاد وبقضى الله ما يشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز
بعلى بن رياح يترضاه فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه فسكا عبد الملك وقال فرق الله بيني وبينه فلم
ينزل به على حتى رضى فقدم على عبد العزيز فأخبره عن عبد الملك وعن حاله ثم أخبره بدعوتة فقال افعل أنا والله
مفارقه والله ما دعوتة قط الا أجيت وكان عبد العزيز يقول قدمت مصر فى امرة مسلمة بن مخلد فتميت بها
ثلاث أماني فأدر كتمانيت ولاية مصر وأن أجمع بين امرأتى مسلمة ويحببني قيس بن كليب حاجبه فتوفى مسلمة
وقدم مصر فوليا وحجبه قيس وتزوج امرأتى مسلمة وتوفى ابنه الاصبع بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع
الآخر سنة ست وثمانين فرض عبد العزيز وتوفى ليلة الاثنين ثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست
وثمانين فحمل فى النيل من حلوان الى القسطاط فدفن بها * وقال ابن أبى مليكة رأيت عبد العزيز بن مروان
حين حضره الموت يقول ألا ليتنى لم ألت شيئا مذ كورا ألا ليتنى كناية من الارض او كراعى ابل فى طرف
البحار ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة آلاف دينار وحلوان والقيسارية وثياب بعضها مرقوع وخيل
ورقيق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها فى الاسلام قبله أطول
ولاية منه * وكان بحلوان فى النيل معدية من صوان تعدى بالخيل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرى
بحلوان الى البر الغربى فلما كان وهذا من الاسرار التى فى الخليفة فان جميع الاجسام المعدنية
كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير اذا عمل من شئ منها اناء يسع من الماء اكثر من وزنه
فانه يعموم على وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يغرق وما برح المسافرون فى بحر الهند اذا ظلم عليهم الليل ولم يروا
ما يديهم من الكواكب الى معرفة الجهات يحملون حديدية مجوفة على شكل سمكة ويسمونها السمكة فى ترقيةها جهد
المقدرة ثم يعمل فى فم السمكة شئ من مغناطيس جيدا ويحل فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت فى الماء
دارت واستقبلت القطب الجنوبى بفمها واستدبرت القطب الشمالى وهذا ايضا من أسرار الخليفة فاذا
عرفوا جهتي الجنوب والشمال تين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال
وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا اتحدت الجهات الاربع عرفوا مواقع البلاد بها فبقصدون
حينئذ جهة الناحية التى يريدونها

* (ذكر مدينة العريش) *

العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين واقليم مصر وهى مدينة قديمة من جملة المدن التى اختطت بعد الطوفان
* قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن مصر ايم بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مر فيها
فلما قرب من مصر بنى له عريشاً من أعصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع
مدينة وسماها درسان اى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها
زرعاً وجناناً وعمارة * وقال آخر انما سميت بذلك لان يعصر بن حام بن نوح تحمل فى ولده وهزم اربعة ومعهم

اولادهم فكانوا ثلاثين ما بين ذلك واثني وقدامه مصر بن يعصر أما ما نحو أرض مصر حتى خرج من حد الشام فتأهوا وسقط مصر في موضع العريش وقد استندت تعبته ونام فرأى قائلا يبشره بمجسولة في أرض ذات خير ودر وملك وغرفا فتابه فرعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ماء فحمد الله وسأله أن يجمعه بآبيه واخوته وأن يبارك له في أرضه فاستجيب له وقادهم الله اليه فزلوا في العريش وأقاموا به فأخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمير وبقرة وغنم وابل فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فزلوه وبنوا فيه قرية سميت بالقبطية مائة يعني قرية ثلاثين فبنت ذرية يعصر حتى عمروا الأرض وزرعوا وكثرت مواشهم ونظرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض * وقال ابن سعيد عن البيهقي كان دخول اخوة يوسف وابويه عليهم السلام عليه بمدينة العريش وهي اقل أرض مصر لانه خرج الى تلقيم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هناك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك ثم سميتها العاصمة مدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في اطراف أرض مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف لتقار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعاني يريدون البلد ليعطوهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب فسمى الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شأنهم ما قد ذكر في موضعه ويقال للعرش الج فلهذا كما ترى وابن وصيف شاه اعرف بأخبار مصر * وفي سنة خمس عشرة وأربع مائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفري العريش بمعاونة بني الجراح وأحرقها وأخذ جميع ما فيها * وقال القاضي الفاضل وفي جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسة مائة ورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفرج ~~اص~~ كثره وحملوا جذوعه الى بلادهم وملئت منه ولم يجدوا مخاطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم أن الجفار بأجمعه كان أيام فرعون موسى في غاية العماره بالمياه والقرى والسكان وأن قول الله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وأن العماره كانت متصله منه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية النجوم من الشام وان اليه كان ينتهي رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمى العريش من أجل ذلك وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جذيله بن لحم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبناها مدينة وعن كعب الاحبار أن بالعريش قبور عشرة انبياء

* (ذكر مدينة القرماء) *

قال البكري القرماء بفتح اوله وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر مدينة تلقاء مصر وقال ابن خالويه في كتاب ليس القرماء هذه سميت بأخي الاسكندر كان يسمى القرماء وكان كافرا وهي قرية أم اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسمه القرماء بن فيلقوس ويقال فيه ابن فليس ويقال بليس وكانت القرماء على شط بحيرة تيس وكانت مدينة خصباء وبها قبر جالينوس الحكيم وبنى بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه عنبسة بن اسحاق أمير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين عند ما بنى حصن دمياط وحصن تيس وأنفق فيها مالا عظيما ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أنفذ الى القرماء أبرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربع مائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة * وفي سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة نزل الروم عليها فنصر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا في جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلثمائة فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مراكبا وقتلوا من فيه وأسروا عشرة * وقال اليعقوبي القرماء اقل مدن مصر من جهة الشمال وبها خلط من الناس وبينها وبين البحر الاخضر ثلاثة اميال * وقال ابن الكندي ومنها القرماء وهي اكثر عجائب وأقدم آثارا ويذكر أهل مصر أنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البر فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع الابيض بلوينة * وقال يحيى بن عثمان كنت اربط في القرماء وكان ينشأ بين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في أخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كله

وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان يتيسر الى الفرما في هدم ابواب من حجارة شرقي الحصن احتاج أن يعمل
منها حيرا فلما قطع منها حجرا وحجران خرج اهل الفرما بالسلاح فقتلوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله
فيها على لسان يعقوب عليه السلام يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة والفرما بها
الخل الجيب الذي يمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا فيستدئ هذا الرطب من حين يلد الخجل
في الكوائن فلا ينقطع أربعة اشهر حتى يجي البلع في الربيع وهذا لا يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز
ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون في هذا البسر ما وزن البصرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول
البصرة نحو الشبر والفر * وقال ابن المأمون الباطني في حوادث سنة تسع وخمسمائة ووصلت التجايون من
والي الشرقية تخبر بأن بغداديين ملك الفرنج وصل الى أعمال الفرما فسير الافضل بن أمير الجيوش للوقت الى
والي الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين بها وسير الراجلي من العطوفية وأن يسير الوالي بنفسه بعد أن
يتقدم الى العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوههم بالليل قبل وصول العساكر
اليهم فاعتمد ذلك ثم أمر باخراج الخيام وتجهيز الاحصاب والخواشي فلما توصلت العساكر وتقدمها العربان
وطاردوا الفرنج وعلم بغداديين ملك الفرنج أن العساكر متواصلة اليه وتحقق أن الإقامة لا تمكنه امرأه
بالنهب والتخريب والاحراق وهدم المساجد فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فأخذه
الله سبحانه ونعالي وجعل بنفسه الى النار فكم أصحابه موته وساروا بعد أن شقوا بطن بغداديين وملأوه
ملحاً حتى بقي الى بلاده فدفنوها وأما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد أن
خيموا على طاهر عسقلان وكتب الى الامير ظهير الدين طفد كين صاحب دمشق بأن يتوجه الى بلاد الفرنج
فسار الى عسقلان وحات اليه الضيافات وطوالع بخبر وصوله فأمر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل
والكسوات والبنود والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طقم وخيمة كبيرة مكحلة ومربعة
ملوكية وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج اليه من آلات الفضة وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير خلعة
مذهبة ومنطقة ذهب وسيف وسير برسم المميزين من الواصلين خلع وسيف وسلم ذلك بثبت لاحتجاب
وسير معه قرشان برسم الخيام وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وأن يركب والى عسقلان وظهير الدين وشمس
الخواص وجميع الامراء الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ثم الى بساطها والمرتبة المنصوبة
ثم يجلس الوالي وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف الناس بأجمعهم اجلالاً وتعظيماً ويخلع على
الامير ظهير الدين وشمس الخواص وتشد المناطق في أوساطهما ويقعدا بالسيف ويخلع بعدهما على المميزين
ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالثديف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى أن يصلوا الى الخيام التي ضربت
لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالي والاميران والمقدمون والعساكر الى الخيمة الملوكية ويتناولون فيها
يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك وواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانياً
وجعل لشمس الخواص خاصة في هذه السفرة عشرة آلاف دينار وتسلم ظهير الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان
تقدير ما حصل له ولأصحابه ثلاثين ألف دينار وبلغ المنفق في هذه الفتوة وعلى ذهاب بغداديين وهلاكه مائة ألف
دينار * وفي شهر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة نزل الفرنج على الفرما في جمع كبير وأحرقوها ونهبوا
أهلها وآخر أمرها أن الوزير شاور خربها لما خرج منها متوليا ملهم اخوا الضير غام في سنة

٢١

فاستقرت خرابا لم تعمر بعد ذلك وكان بالفرما والبصرة والورادة عرب من جذام يقال لهم القاطع
وهو جري بن عوف بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام منهم عبد العزيز بن الوزير بن صابى بن مالك
ابن عامر بن عدى بن حرش بن بكر بن نصر بن القاطع مات في صفر سنة خمس ومائتين والسرورى والجروى هذا
أخبار كثيرة نبهنا عليها في كتاب عقد جواهر الاسقاط في أخبار مدينة القسطنطينة وقال ابن الكندي وبها
مجمع البحرين وهو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين ينمى بينهما برزخ لا يبغيان وقال
وجعل بين البحرين حاجزا وهذا بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والفرما وليس
يتقاربان في بلد من البلدان أقرب منهما بهذا الموضع وبينهما في السفر مسيرة شهر

٢١

* (ذكر مدينة القلزم) *

القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي وميم بلدة كانت على ساحل بحر اليمن في أقصاه من جهة مصر وهي كورة من كور مصر واليه ينسب بحر القلزم وبالقرب منها غرق فرعون ويذبح ساو بين مدينة مصر ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس بحذاء بحر رود ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وإنما يحمل الماء إليها من آبار بعيدة وكان بها قريضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات إلى الججاز واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهي تفلح يسير فيه صياد السمك وكذلك من فاران وجيلان إلى أيلة قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم أكثرها باق إلى اليوم ويراهن الزاكب السائر من مصر إلى الججاز وكانت في القديم ساحلا من سواحل الديار المصرية ورأيت شيئا من حسابه من جهة مستخدميه في حواصل القصر وما يتفق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه والاجناد المر كزين به لحفظه وقربه وجامعه ومساجده وكان مسكونا مأهولا * قال المسيحي في حوادث سنة سبع وثمانين وثلثمائة وفي شهر رمضان ساح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله دخل مدينة القلزم مما كان يؤخذ من مكوس المراكب وقال ابن خردادبه عن التجار فيكون في البحر الغربي ويخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يكون البحر الشرقي من القلزم إلى تجاربنة ثم يعضون إلى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس في قرية وصحراء ست مراحل إلى أيلة ويتزودون من الماء لهذه المرحلة الست ويقال إن بين القلزم وبحر الروم ثلاث مراحل وإن ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره تعالى بقوله بينهما برزخ لا يبحران

(التيه)

هو أرض بالقرب من أيلة بينهما عقبة لا يكاد الزاكب يصعد لها لصعوبتها إلا أنها مهدت في زمان خنارويه بن أحمد بن طولون ويسير الزاكب من حلتين في محض التيه هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهناك غرق فرعون والتيه مقدار أربعين فرسخا في مثلها وفيه تاه بنو إسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أروا إلى بيت ولا بدلوأ توبوا وفيه مات موسى عليه السلام ويقال إن طول التيه نحو من ستة أيام وانفق أن الممالك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستمائة متر طائفة منهم بالتيه فتناهوا فيه خمسة أيام ثم رأى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصده فإذ مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها وطافوا بها فإذا هي قد غاب عليها الرمل حتى طمأ أسواقها ودورها ووجدوا بها أواني وملابس وكافوا إذا تناولوا منها شيئا تناثر من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزائير تسعة دنانير ذهباً عليها صورة غزال وكأبة عبرانية وحفر واما وضعها فإذا حجر على صخر مائج فشرى بها منه ماء أبر من الثلج ثم خرجوا ومشوا إلى طائفة من العربان فحملوهم إلى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة فإذا عليها أنها ضربت في أيام موسى عليه السلام ودفع لهم في كل دينار مائة درهم وقيل لهم إن هذه المدينة الخضراء من مدن بني إسرائيل ولها طوفان رمل يزيد تارة وينقص أخرى لا يراها إلا تائه والله أعلم

(ذكر مدينة دمياط)

أعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أثن بن مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال إن أدريس عليه السلام كان أول ما أنزل عليه ذو القوة والجبوت أنا الله مدين المدائن القللك بأمرى وصنهي أجمع بين العذب والمخ والنار والثلج وذلك بقدر في ومكنون على الدال والميم والالف والطاء قيل هم بالسريانية دمياط فتكون دمياط كلمة سريانية أصلها دمطاي القدرة إشارة إلى مجمع العذب والمخ وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلاد قديم بنى في زمن قائمون ابن اريب بن قبطيم بن مصر ايم على اسم غلام كانت أمه ساحرة لقلمون * ولما قدم المسلمون إلى أرض مصر كاد على دمياط رجل من اخوال المقوفس يقال له الهامول فلما اقتنع عمرو بن العاص مصر امتنع الهامول بدمياط واستعد للعرب فأنفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في طائفة من المسلمين فحاربهم الهامول وقتل ابنه في الحرب فبعاد إلى دمياط وجمع إليه أصحابه فاستشارهم في أمره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال أيها الملك إن جوهر العقل لأقيمة له وما استغنى به أحد الا هداه إلى سبيل الفوز والنجاة من الهلاك وهو لا

العرب من يده أمرهم لم ترد لهم راية وقد قبحوا البلاد وأذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة واسنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وإن القوم قد أيدوا بالنصر والظفر والراى أن تعقد مع القوم صلحا تال به الامن وحقق الدماء وصيانة الحرم فمأنت بأكثر رجالا من المقوقس فلم يعبأ الهاموك بقوله وغصب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد وقد ملكوه فعند ما رأى شطابن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة من اصحابه ففت ذلك في عضد أبيه واستأمن للمقداد فسلم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح الى عروبن العاص وخرج شطا وقد أسلم الى البرلس والدميرة وأشهر طناح فحشد اهل تلك النواحي وقدم بهم مدد للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز لاهلها وقاتلهم قتلا شديدا حتى قتل رجه الله في المعركة شهيدا بعد ما انكى فيهم وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط وكان قتله في ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحي عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم وما زالت دمياط بيد المسلمين الى أن نزل عليها الروم في سنة تسعين من الهجرة فأسر واخلد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيره الى ملك الروم فأنفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط في ثمانية وستين من سنة ثمان واربعمائة واذل في سنة احدى وعشرين ومائة ولما كانت القسنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون وكانت الفتن بأرض مصر طمع الروم في البلاد ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمر مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فلكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال وأهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحاق يوم النحر في جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تنيس فأقاموا بأشتمومها فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن الفضل للمتوكل

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوة * وأن يستباح المسلمون ويحربوا
جاراتي دمياط والروم وثب * بتنيس رأى العين منه وأقرب
مقيمون بالاشتوم يبعثون مثل ما * أصابوه من دمياط والحرب ترتب
خارام من دمياط شبرا ولا درى * من العجز ما يأتي وما يتجنب
فلاتنسنا أنابدأ مضيعة * بمصر وإن الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدى في بناءه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وأنشأ من حينئذ الاسطول بعصر فلما كان في سنة سبع طرق الروم دمياط في نحو مائتي مركب فأقاموا يبعثون في السواحل شهر اراهم يقتلون ويأسرون وكانت للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور الاخشيدي طرق الروم دمياط لعشر خلون من وجب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة في بضع وعشرين مركبا فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من المسلمين * وفي سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط سمكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت حير الملح تدخل في جوفها موسوقة فمقرغ ومخرج ووقف خمسة رجال في قحفها ومعهم الجراف يجر فون الشكهم ويناولونه الناس وأقام اهل تلك النواحي مدة طويلة يأكلون من لحمها وفي أيام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيق نزل على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بعث بها الوزير بن رجاو صاحب صقلية فماتوا وقتلوا نزلوا تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثر وافيها الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير السعدي الوزارة الثانية عندما حضر ملك الفرنج مري الى القاهرة وحصرها وقرع على اهلها المال واحترقت مدينة القسطة فقتل على تنيس وأشهر ومنية غمر وصاحب أسطول الفرنج في عشرين شونة فقتل وأسروا مائة وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب للعاقد رصل الفرنج الى دمياط في شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وخمسمائة وهم فيما يزيد على ألف ومائتي

مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة الف وخمسين الف دينار
 فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوما وكانت صعبة شديدة واتهم في هذه النوبة عدّة من أعيان المصريين
 بمالأة الفرنج ومكاتبهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغزما قدموا الى مصر
 من الشام صحبة أسد الدين شيركوه فتحرك الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغزاة فاستدوا اخوانهم
 اهل صقلية فأمدوهم بالاموال والسلاح وبثوا اليهم بعتة وافرة فساروا بالديابات والمجانيق ونزلوا على دمياط
 في صفر وهم في العدة التي ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها بحرا وبراً فبعث السلطان بابن أخيه تقي الدين عمرو
 وأتبعه بالامير شهاب الدين الحارثي في العساكر الى دمياط وأمدّهما بالاموال والميرة والسلاح واشتد
 الامر على اهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكي
 صاحب الشام يستجده ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة الى لقاء الفرنج خوفا من قيام المصريين
 عليه فجهز اليه العساكر شيئا بعد شيء وخرج نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التي بالساحل
 وأغار عليها واستباحها فبلغ ذات الفرنج وهم على دمياط خفاوا على بلادهم من نور الدين أن يتمكن منها فحولوا
 عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الاول بعد ما غرق لهم نحو الثمانيّة مركب وقتل رجالهم بقتل
 وقع فيهم وأحرقوا ما نقل عليهم حمله من المخبيقات وغيرها وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد
 ارسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله الى من الثياب وغيرها * وفي سنة سبع
 وسبعين وخمسمائة رتب المقاتلة على البرجين وشدت مراكب الى السلسلة ليقا تل عليها ويدافع عن الدخول من
 بين البرجين ورمث سور المدينة وشدت ثلثه وأتقنت السلسلة التي بين البرجين فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف
 دينار واعتبر السور فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين ذراعا * وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة
 أمر السلطان بقطع اشجار بساين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج * وفي سنة خمس
 عشرة وستمائة كانت واقعة دمياط العظمى وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمائة
 تتابعت امدادهم من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرهما من بلاد الفرنج وساروا الى مدينة عكا فاجتمع بها عدّة
 من ملوك الفرنج ونعاقدوا على قصد القدس وأخذوا من أيدي المسلمين فصاروا بعكا في جمع عظيم وبلغ ذلك الملك
 ابا بكر بن ايوب فخرج من مصر في العساكر الى الرملة فبرز الفرنج من عكا في جوع عظيمة فسار العادل الى بيسان
 فقصدته الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة عسكره فأخذ على عقبه فيقيريد دمشق وكان اهل بيسان وما حولها
 قد اطمأنوا لتزول السلطان هناك فأقاموا في اماكنهم وما هو الا أن سار السلطان واذا بالفرنج قد وضعوا السيف
 في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من اموال المسلمين ما لا يحصى كثرة وأخذوا بيسان وباناس وسائر القرى التي
 هناك وأقاموا ثلاثة ايام ثم عادوا الى مرج عكا بالغنائم والسبي وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج
 بالمرج أياما ثم عادوا ثانيا ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى مرج عكا فأقاموا به وكان ذلك كله فيما بين
 النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى
 نابلس لمنع الفرنج من طروقها والوصول الى بيت المقدس فنزل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوما ثم عادوا الى
 عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بحجموهم البحر وساروا الى دمياط في صفر فتلوا عليها يوم الثلاثاء
 رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة الموافق لثمان حيران وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة
 ألف راجل فحجموا دمياط في البر الغربي وحفروا على عسكرهم خندقا وأقاموا عليه سورا وشرعوا
 في قتال برج دمياط فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتقنع المراكب الواصلة
 في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وذلك أن النيل اذا انتهى الى فسطاط مصر متر عليه في ناحية
 الشمال الى شطونوف فاذا صار الى شطونوف انقسم قسمين أحدهما يمر في الشمال الى رشيد فصب في البحر
 الملح والشاطر الآخر يمر في شطونوف الى جوجر ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر الى أشوم فتنصب
 في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب في البحر الملح هناك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة
 بين مدينة دمياط والبر الغربي وهذا البر الغربي من دمياط يعرف بجزيرة دمياط يحيط بها ماء النيل
 والبحر الملح وفي مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربي عمالوا الآلات والمراكب وأقاموا اراجيز حفون بها

في المراكب الى برج السلسلة لملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة ومصر
وكان هذا البرج مشحونا بالمقاتلة فتحمل الفرنج عليه وعملوا برجامن الصواري على بسطة كبيرة
وأقلعوا بها حتى أسندوها اليه وقتلوا من به حتى أخذوه فبلغ نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان يختلف
أباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر في ثالث يوم من وقوع الطائر بجزيرة دمياط
فخس خلون منه وامر والى الغربية بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الاسطول فأقام تحت دمياط ونزل
السلطان بمن معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لتمنع الفرنج من السور
والقتال مستقر والبرج تمتنع مدة أربعة أشهر والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيئا بعد شيء حتى
تسكملت عند الملك الكامل واهتم الملك أنزل الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عالفين
فنزله بالمرض ومات في سابع جمادى الآخرة فكتب الملك المعظم عيسى موته ووجهه في محفة وجعل عنده خادما
وطييبا راكبا الى جانب المحفة والشرايد اريصلح الشرايد ويحمله الى الخادم فيشر به ويوهم الناس أن السلطان
شر به الى أن دخلوا به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزائن والبيوتات فأعلن بموته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع
ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية
قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج وألحوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا
السلاسل المتصلة به لتجوز مرابهم في بحر النيل وتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل
جسرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالا شديدا الى أن قطعه و كان قد أنفق على
البرج والجسر ما ينيف على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية
الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة في مكيدة الفرنج فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب
في النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد الفرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه
قدما فخفروه وعمقوا حفره وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مرابهم فيه الى بورة على أرض جزيرة دمياط
مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقابلوه من هناك فلما صاروا في بورة جأؤوه وقتلوه في الماء وزحفوا اليه
عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم
وبين الفرنج وأبواب المدينة مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة
بحيث امتنعوا من الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوى طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يحطفونهم نهارا ويأخذون
الخيم بمن فيها أكن الفرنج لهم عدة كئنا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأدرك الناس الشتاء وهاج البحر على تخيم
المسلمين وغرقهم فعظم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج في القتال وكادوا أن يملكوا فبعث الله ريحا قطعت مرابي
مرمة الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فخرت الى بزم المسلمين فأخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد لاتعمل فيها النار
ومساحتها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الى
الاقاق سبعين رسولا يستجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا
في شوال وأتته النجدات من حماه وحلب وبيننا الناس في ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد بن الامير سيف
الدين أبي الحسين على بن احمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك الكامل عند ما بلغه موت الملك
العادل وكان له لقيف ينقادون اليه ويطيعونه وكان أميرا كبيرا مقدما عظيما في الاكراد الهكارية وافر الحرمة
عند الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك على الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعا أبي النفس
تهابه الملوك وله الوقائع المشهورة وهو من امراء دولة صلاح الدين يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاکراد
على خلع الملك الكامل واقامة أخيه الملك الفاضل ابراهيم ليصير له الحكم ووافقوه الامير عز الدين الجميدى والامير
أسد الدين الهكاري والامير مجاهد الدين وجماعة من الامراء فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم
مجمعون والمصحف بين أيديهم ليحلفوا للفاضل فلما رأوه انفضوا ونفضي على نفسه فخرج فاتفق وصول صاحب
صفي الدين بن سكر من آمد الى الملك الكامل فانه كان استعداه بعد موت أبيه فلقاه وأكرمه وذكر له
ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية في جريدة الى أنعموم
طناح فنزلها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على أخيه وتركوا أنقالهم

وخيامهم واموالهم وأسلحتهم ولحقوا بالسلطان قبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة بغير منازع ولا مدافع وأخذوا سائر ما كان في عسكر المسلمين وكان شيا لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم عظيم وكاد أن يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في أرض مصر كلها وظنوا أنهم قد ملكوها إلا أن الله سبحانه وتعالى أغاث المسلمين ونبت السلطان ووافاه أخوه الملك المعظم بأشهر طناح فاشتد به أزره وقوى جاشه وأطلععه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم اتى المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته فاستقبله حتى يلبس خفيه ومياب الركوب فلم يمهله وأعجبه فركب معه وسأله حتى خرج به من العسكر الكامل ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك وأنتهى أن تمها لنا وأعطاه نفقة وسبله الى جماعة من أصحابه يثق بهم وقال لهم أخرجوه من الرمل ولا تقارقه حتى يخرج من الشام فلم يسع ابن المشطوب الامتنال ما قال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماء ثم مضى منها الى المشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وأمر أخاه الفاضل ابراهيم أن يسير الى ملوك الشام في رسالة عن أخيه الملك الكامل لاستدعائهم الى قتال الفرنج فضى الى دمشق وخرج منها الى حماء فمات بها مسموما على ما قيل فثبت للملك الكامل أمر الملك وسكن روعه وهذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط بزا وبجرا وأحذوا وضيقوا على اهلها ومنعوا القوات من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقا ونوا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم أشد القتال ويعانعونهم وقد غلت عندهم الاسعار لقله الاقوات ثم اتى المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام وأقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمائل أحد الجنادرية في الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح في الماء ويصل الى اهل دمياط فيعدهم بوصول النجدات فظنى بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى عمله الى القاهرة واليه تنسب خزانة شمائل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى أن دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك المنصور محمد بن عمرو بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماء ابنه المظفر تقي الدين محمود الى مصر فجدد نخله الملك الكامل على الفرنج في جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل وأنزله في ميمنة العسكر مسننة آبيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فألح الفرنج في القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل فنهكهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير * قال الحافظ عبد العظيم المندري سمعت الشيخ أبا الحسن علي بن فضل يقول كان لبعض بني خيار بقرة فذبجوها وباعوها في الحصار فجاءت ثمانمائة دينار وقال في المعجم المترجم سمعت الامير أبا بكر بن حسن بن خسويام يقول كنت بدمياط في حصار العدو فبيع السكر بها بمائة وأربعين دينارا الرطل والدجاجة بثلاثين دينارا قال واشترت ثلاث دجاجات بتسعين دينارا والراوية بأربعين درهما والقبر يحفر بأربعين مثقالا وأخذت أختي جلا فسقت جوفه وملائته دجاجا وفاكهة وبقلا وغير ذلك وخاطبته ورمته في البحر وكتبت الى تقول قد فعلت كذا فاذا رأيت بسلاميتنا نخذوه فوقع لنا اليلافا فخذناه وكان فيه ما يساوى بجملة ففرقه على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاثة جمال على هيئته فقطن لها الفرنج فأخذوها وامتلات مساكينهم وطرقات البلد من الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة الباقوت وقعدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه وآلت بهم الحال الى أن لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقط قنصور الفرنج وأخذوا منه البلد في يوم الثلاثاء خمس بقين من شعبان وكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ولما أخذوا البلد وضعوا السيف في الناس فنجوا وزوا الحد في القتل وأسرفوا في مقدار القتل وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد أخذ دمياط بيومين ونزل قبالة طنطا على رأس بحر اشمووم ورأس بحر دمياط وحيز في المنزلة التي صار يقال لها المنصورة وجن الفرنج اسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسة وبثوا سراياهم في القرى فقتلوا منهم وسير السلطان الكتب الى الاقواق ليستحث الناس على الحضور لدفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر في بناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق بمنزلة المنصورة وجهاز الفرنج من اسرهم من المسلمين في البحر الى عكا وخرجوا من دمياط ونزلوا السلطان تجاه المنصورة وصار بينهم وبينه بحر اشمووم وبحر دمياط وكان الفرنج في ما تاتي الق راجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوانهم أمام المنصورة وعدتها مائة قطعة واجتمع الناس من القاهرة ومصر وسائر النواحي من اسوان الى القاهرة ووصل الامير حسام الدين يونس والفقيه

تقي الدين ابو الطاهر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن المحلى فأخرج الناس من القاهرة ومصر ونودي بالنفير العام
 وخرج الامير علاء الدين جلدك وجمال الدين ابن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهرة الى آخر الخوف الشرقي فاجتمع
 عالم لا يقع عليه حصر وأنزل السلطان على ناحية شامساح ألف فارس في آلاف من العربان ليحولوا بين الفرنج
 ودمياط وسارت الشواني ومعها حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانتظمت
 الميرة عن الفرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية وكان قد خرج
 الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط فقدم منهم احم لا تحصي يريدون التوغل في أرض مصر فلما تكاملوا
 بدمياط خرجوا منها في حدهم وحديدهم ونزلوا تجاه الملك الكامل كما تقدم فقد تمت النجدة بتقديمها الملك
 الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقته الملك المعظم عيسى فقتلواهم الملك الكامل وأنزلهم عنده بالنصورية في
 ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وستمائة حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين
 ألف فارس فخاربوا الفرنج في البر والبحر وأخذوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة وأسروا من الفرنج ألفين
 ومائتين ثم ظفر المسلمون بثلاث تطائع اخر فتضعض الفرنج لذلك وضاق بهم المقام فبعثوا يطلبون الصلح فقدم
 عند محبيهم رسلهم اهل الاسكندرية في ثمانية آلاف مقاتل وكان الذي طلب الفرنج القدس وعسقلان وطبرية
 وجبله والاذقية وسائر ما فتحه السلطان ملاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر فبذل المسلمون
 لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا لا بد من أخذهم
 الكرك والشوبك ومبلغ ثلثمائة ألف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس
 وكان المعظم لما مات أبوه العادل واستولى الفرنج على دمياط ونازلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف أن
 يصل منهم في البحر من يأخذ القدس ويحصنوا به فأمر بتخريب أسواره وكانت أسواره وأبراجه في غاية العظمة
 والمنعة فألقى الهدم على جميعها ما خلا برج داود واتقل أكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل وتقل
 المعظم ما كان بالقدس من الأسلحة والالات فامتنع المسلمون من اجابة الفرنج الى ذلك وقتلواهم وعبر جماعة
 من المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج وحفر وامكانا عظيما في النيل وكان في قوة الزيادة فركب الماء
 أكثر تلك الارض وصار حائل بين الفرنج ومدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فأمر
 السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشوم طنح فعبثت العساكر عليها وملكت الطريق التي يسلكها الفرنج
 الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها فاضطربوا وضائق عليهم الارض واتفق مع ذلك وصول مرتبة عظيمة
 للفرنج في البحر حولها عدة حرافات تحميها وقد ملئت كلها بالميرة والأسلحة فقاتلتهم شواني المسلمين وظفروا
 الله بهم فأخذوا المسلمون وعند ما علم الفرنج ذلك ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحجمون
 على اطرافهم فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم وألقوا فيها النار وهموا بالانحرف على المسلمين ومقاتلتهم
 ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراسبة على الارض وخشوا من الإقامة لقلية
 أقواتهم فذلوا وسألوا الامان على أن يتركوا دمياط للمسلمين فاستشار السلطان في ذلك فاختلف الناس عليه
 فنهى من استنصح من تأمين الفرنج ورأى أن يؤخذوا عنوة ومنهم من جنح الى اعطائهم الامان خوفا من وراءهم
 من الفرنج في الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وأن يعطى كل من الفريقين رهائن فتقر بذلك في تاسع شهر
 رجب سنة ثمان عشرة وسير الفرنج عشرين ملكا رهنا عند الملك الكامل وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح
 نجم الدين أيوب وجماعة من الامراء الى الفرنج وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدم ملوك الفرنج وقد وقف
 اخوته وأهل بيته بين يديه وصار في أبهة وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى دمياط فسلموها
 للمسلمين في تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما وعند ما تسلم المسلمون دمياط وصارت بأيديهم قدمت نجدة
 في البحر للفرنج فكان من حيل صنع الله تأخرها حتى ملكت دمياط بأيدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك
 لقوى بها الفرنج فان المسلمين وجدوا مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعث
 الفرنج بولد السلطان وأمرائه اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك في الرهن وتقررت الهدنة
 بين الفرنج والمسلمين مدة ثمان سنين وكان مما وقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والفرنج يطلق ما عنده من
 الاسرى وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل الى

دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكورة ورحل الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان
الى مقر ملكه وأطلقت الاسرى من ديار مصر وكان فيهم من له من ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت
ملوك الشام بعساكرها الى بلادها وعمت بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائر الاقاق فان التتر
كانوا قد استولوا على ممالك المشرق فأشرف الفرنج على أخذ ديار مصر من ايدي المسلمين وكانت مدة نزول
الفرنج على دمياط الى أن أقلعوا عنها سائر من الى بلادهم ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً منها مدة
استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرون يوماً فلما كان في سنة ست وأربعين وستة مائة
حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد ورم في مأبضه تكون منه ناصور فتح وعسر
برؤه فرض من ذلك وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش الآن علو همته اقتضى مسيره من ديار مصر
الى الشام فسار في محفة ونزل بقلعة دمشق فورد عليه رسول الامير طور ملك الفرنج الالهانية بجيزة صقلية في
هيئة تاجر وأخبره سرّاً بأن بواش الذي يقال له رواد فرنس عازم على المسير الى أرض مصر وأخذها فسار
السلطان من دمشق وهو مر بضع في محفة ونزل بأشعوم طنح في المحرم سنة تسع وأربعين وجمع في مدينة
دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة وآلات القتال شياً كثيراً خوفاً أن يجري على دمياط ما جرى في أيام
ابيه فأخذت بغير ذلك ولما نزل السلطان بأشعوم كتب الى الامير حسام الدين ابى على بن أبى على الهدى بأن
نائبه بديار مصر أن يجيز الاسطول من صناعة مصر فشرع في الاهتام بذلك وشحن الاسطول بالرجال والاسلح
وسائر ما يحتاج اليه وسيره شياً بعد شئ وجهاز السلطان الامير نجر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامراء
والعساكر فنزل بجيزة دمياط من برّها الغربي وصار النبل بينه وبينها فلما كان في الساعة الثانية من نهار الجمعة
لتسع بقين من صفر وردت مراكب الفرنج البحرين وفيها جوعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل وأرسوا
بازاء المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتاباً نصه أما بعد فانه لم يخف عليك انى أمين الامة العيسوية كما انه
لا يخفى على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك أن عندنا أهل جزائر الاندلس وما يحكمونه اليان من
الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونزمل النساء ونستأمر البنات والصبيان
ونخلى منهم الديار وأنقد أديت لك ما فيه الكفاية وبذلك النصح الى النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان
وأدخلت على الاقساء والرهبان وحملت قداحي الشمع طاعة للصليبيات لكنت واصلاً اليك وقائلاً في أعز البقاع
اليك فاما أن تكون البلادى فيا هدية حصلت في يدي واما أن تكون البلادك والغلبة على فيدك العليا ممتدة
الى وقد عرفتك وحذرناك من عساكر حضرت في طاعتى تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم
مرسلون اليك بأسيايف القضاء فلما قرئ الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكاتب
القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه
أجمعين أما بعد فانه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدداً بظلالك فتحن أرباب السيوف وما قتل
منافرد الاجتذناه ولا بغي علينا باغ الاذمتناه ولورأت عينك أيها المغرور حدسي وفنا وعظم حروبا وقتحنا
منكم الحصون والسواحل وتخربينا ديارنا واخر منكم والاوائل لكان لك أن تعض على أنانك بالندم
ولا بد أن تزل بك القدم في يوم اوله لنا وآخره عليك فهناك تسمى الظنون وسعلم الذين ظلموا أى منقلب
يتقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة
ص ولتعلن نبأ بعددين ونعود الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغى له مصرع وبغيتك يصرك والى البلاء يقلبك والسلام * وفى
يوم السبت ورد الفرنج وضرخواخيماهم في اكثر البلاد التي فيها عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك رواد فرنس
جرا فضاوشهم المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين يوسف بن شيخ الاسلام والامير صارم الدين
ازبك الوزيري فلما أمسى الليل رحل الامير نجر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر المسلمين جبينا وصلفا
وسار بهم في بر دمياط وسار الى جهة أشعوم طنح نخاف من كان في مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم
في الليل لا يلتفتون الى شئ وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعسكر في أشعوم وهم حفاة عرايا جميع
خياري عن معهم من النساء والاولاد ومروا هارين الى القاهرة فأخذ منهم قطاع الطريق ما عليهم من الثياب

وتركهم عرايا فشنت القالة على الامير نغر الدين من كل أحد وعده جميع منازل المسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة وغيرها خوفاً ان يصيبها في هذه المدة ما اصابها في أيام الكامل فانه ما أتى عليها ذلك الا من قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرنج اكثر من سنة حتى فنى اهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد ولما أصبح الفرنج يوم الاحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا أحد يدفع عنها فظنوا ان ذلك مكيدة وتعلوها حتى ظهر اهلهم خلوت هافد خلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة وآلات الحرب والاقوات الخارجة عن الحد في الكثرة والاموال والامته صفوا بغير كلفة فأصيب الاسلام والمسلمون بلاء لولا لطف الله لمحي اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان وعدم حركته وأما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير نغر الدين وقال أما قدرت أنت والعساكر ان تقفوا ساعة بين يدي الفرنج وأقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاعضاء وغضب على الكثائن الذين كانوا بدمياط ووجههم فقالوا ما نعمل اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمرأوه هربوا وأخربوا الزرد خاتاه كيف لا نهرب نحن فأمر بشقتهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير إذن وكانت عددة من شتى من الامراء الكثائية زيادة على حسين أمير في ساعة واحدة ومن بجلتهم أمير جسيم له ابن جميل سأل أن يشنق قبل ابنه فأمر السلطان أن يشنق ابنه قبله فشنى الابن ثم الاب ويقال ان شنى هؤلاء كان يقتوى الفقهاء تخاف جماعة من الامراء وهموا بالقيام على السلطان فأشار عليهم الامير نغر الدين بن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة فان مات فقد كفيت أمره والافهو بين أيديكم وأخذ السلطان في اصلاح سور المنصورة وانتقل اليها الخمس بقين من صفر وجعل الستائر على السور وقدمت الشواني الى تجاه المنصورة وفيها العدد الكامله وشرع العسكر في تجديد الانبنة هناك وقدم من العربان وأهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم وأخذوا في الاغارة على الفرنج فلا الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات فلما كان اول ربيع الاول قدم الى القاهرة من اسرى الفرنج الذين تحفظهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفي خامس ربيع الآخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفي سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا وفي سادس عشره ورد خمسة وأربعون أسيرا منهم ثلاثة خيالة وفي ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسة أسيرا هذا هو مرض السلطان يتزايد وقواه تنقص حتى أبس الأطباء منه وفي ثالث عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا وأحد عشر فارسا وظفر المسلمون بمسطح للفرنج في البحر فيه مقاتلة بالقرب من نستراوة فلما كانت ليلة الاحد لربيع عشرة مضت من شعبان مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحل في تابوت الى قلعة الروضة وقام بأمر العسكر الامير نغر الدين بن شيخ الشيوخ فان شجرة الدر زوجة السلطان لم ماتت أحضرت الامير نغر الدين والطواشي جمال الدين محسنا واليه أمر الممالك البحرية والحاشية وأعلمته ما بموته فكتموا ذلك خوفاً من الفرنج لانهم كانوا قد أشرفوا على تلك ديار مصر فقام الامير نغر الدين بالتدبير وسيروا الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا الفارس اقطاعي لا حضاره وأخذ الامير نغر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده وللأمر نغر الدين بأن يركب العسكر والقيام بأمر الملك حتى حلفهم كاهم بالمنصورة وبالقاهرة في دار الوزارة عند الأمير حسام الدين بن أبي علي في يوم الخميس لاثني عشرة بقيت من شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال له سهيل لا يشك من رهاها انها خط السلطان ومشي ذلك على الأمير حسام الدين بالقاهرة ولم يتقوه أحد بموت السلطان الى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى القاهرة بدعاء الخطباء في الجمعة الثمانية للملك المعظم بعد الدعاء للسلطان وأن يتقش اسمه على السكة فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم ورجالهم وشوانهم تحاذيهم في البحر حتى نزلوا فارسكور يوم الخميس خمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة من الغد كتاب الى القاهرة من العسكر أوله انفروا خفا فاثقا لا وجهاد واما أموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة بالحث على الجهاد فقرئ على منبر جامع القاهرة وقد جمع الناس اسماعه فارتجت القاهرة ومصر وظواهرهما بالبكاء والوعويل وأيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد فخلوا الوقت من ملك يقوم بالامر لكنهم لم يبنوا

وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلاثاء اول شهر رمضان اقتتل
 المسلمون والفرنج فاستشهد العلاني أمير مجلس وجماعة ووزن الفرنج شارمساح وفي يوم الاثنين سابعه نزلوا
 البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلا شديدا قربهم من العسكر وفي يوم الاحد ثالث عشره وصلوا باتجاه
 المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم وخندقوا عليهم وأداروا على خندقهم سوراستروه بكثير من السمائر
 ونصبوا المجانيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوائبهم بازائهم في بحر النيل وشوانى المسلمين بازاء المنصورة
 والتحم التماسل بزاوية البحر وفي سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة أخبروا بمضايقة الفرنج وفي يوم عيد
 الفطر أسروا من الفرنج كند من أقارب الملك وأبلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلاء كبيرا وأنكروهم زكاة
 عظيمة وصاروا يقتلون منهم في كل وقت ويأسرون ويلقون أنفسهم في الماء ويموتون فيه الى الجانب الذي
 فيه الفرنج ويتحيلون في اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وجلسا على
 رأسه وغطس في الماء حتى حاذى الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى يأخذها لخطفه وأتى به الى المسلمين وفي
 يوم الاربعاء سابع شوال أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند وما تارجل وفي يوم الخميس النصف منه ركب
 الفرنج الى بئر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم أربعون فارسا وسير في عدة الى القاهرة بسبعة وستين أسيرا منهم
 ثلاثة من اكابر الادارية وفي يوم الخميس ثاني عشره احرق الفرنج مرة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون
 عليهم وكان بحر أشموم فيه مخاض فدل بعض من لادين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم
 الثلاثاء خامس ذي القعدة أو رابعه ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على العسكر وكان الامير فخر الدين قد عبر
 الى الحمام فأتاه الصرنج بأن الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ وساق ليأمر
 الامراء والاجناد بالركوب في طائفة من مماليكه فلقبه عدة من الفرنج الادارية وجعلوا عليه فقرأ تحياه
 وأتته طعنة في جنبه وأخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله عز وجل وفي الحال غدت مماليكه
 في طائفة الى داره وكسروا صناديقه وخزائنه ونهبوا امواله وخيلوه وساق الفرنج عندهم قتل الامير فخر
 الدين الى المنصورة ففقر المسلمون خوفا منهم وتفرقوا بمنسة ويسرة وكادت الكسرة أن تكون وتحو الفرنج كلمة
 الاسلام من أرض مصر ووصل الملك رواد فرنس الى باب قصر السلطان ولم يبق الا أن يملكه فأذن الله تعالى أن
 طائفة المماليك من البحرية والجدارية الذين استجدتهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقداري حملوا على
 الفرنج حلة صدقوا فيها اللقاء حتى أراحوهم عن مواقفهم وأبلى في مكافئهم بالسيوف والديابيس فانهم زموا
 وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة في هذه النبوة ألفا وخمسمائة فارس وأما الرجال فانها كانت
 وصلت الى الجسر لتعدى فلوترأخي الامر حتى صاروا مع المسلمين لاعضل الداء على أن هذه الواقعة كانت
 بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما أفلت من الفرنج أحد فنجما من بقي منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا
 خندقا وصارت طائفة منهم في البر الشرقي ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكسرة
 سرتحت على جناح الطائر الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوق وبعض العسكر ولم تغلق
 ابواب القاهرة ليلة الاربعاء وفي يوم الاربعاء سقط الطائر بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزيت
 القاهرة وضربت البشائر بقلعة الجبل وسار المعظم توران شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر
 رمضان واستولى على منبها ولاربع مضي من شوال سقط الطائر بوصوله الى دمشق فضربت البشائر في
 العسكر بالمنصورة وفي قلعة الجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدومه وخرج الامير
 حسام الدين بن أبي علي الى لقائه فوافاه بالصالحية لاربع عشرة بقيت من ذي القعدة ومن يومئذ أعلن بموت
 الملك الصالح بعد ما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة بل الامور على حالها والذهاب السلطاني بحاله
 والسماط على العادة وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان تدبر الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول
 ثم سار من الصالحية قلقا الامراء والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر
 ذي القعدة وفي اثناء هذه المدة عمل المسلمون مراكب وجعلوها على الجبال الى بحر المحلة وألقوها فيه وشحنوها
 بالمقاتلة فعندما حاذت مراكب الفرنج ببحر المحلة وتلك المراكب فيه كمينة خرجت عليهم ووقع الحرب
 بينهما وقدم الاسطول الاسلامي من جهة المنصورة وأحاط بالفرنج فظفر باثنين وخمسين مراكب للفرنج وقتل

وأسر منهم نحو ألف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج واشتد عندهم الغلاء وصاروا محصورين فلما كان أول يوم من ذي الحجة أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حرايق وقرن كان فيها من المسلمين وفي يوم عرفة برزت الشواني الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج في اميرة فأخذت منها اثنين وثلاثين مراكب منها تسع شواني فوهنت قوة الفرنج وتزايد الغلاء عندهم وشروعوا في طلب الهدنة من المسلمين على أن يسلموا دمياط ويأخذوا بلاد منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذي الحجة أحرق الفرنج اخشابهم كلها وأتلفوا امراكبهم يريدون التحصن بدمياط ورحلوا في ليلة الاربعة لثلاث مضي من المحرم سنة ثمان وأربعين وسقاة الى دمياط وأخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب المسلمون أقديةهم بعدما عدوا الى برهم وطلع الفجر من يوم الاربعة وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتلوا وأسروا منهم كثيرا حتى قيل ان عددا من قتل من القرسان على فارسكور يزيد على عشرة آلاف وأسروا من الخيالة والرجال والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال ما لا يحصى وانحاز المالك روادفرنس وأكابر الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسبقوا الى المنصورة فقيدهم روادفرنس واعتقل في انذار التي كان ينزل فيها القاضي نغرا الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء وكل به الطواشي صبيح المعظم واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يحمله اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم اسيف الدين يوسف بن الطوري أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الاسرى فكان يخرج منهم كل ليلة ثلثمائة رجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى قتلوا * ولما قبض على الملك روادفرنس رحل الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برجاً من خشب وتراخي في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نائبه بدمشق وولده نوران شاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بركة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تبشر المجلس السامى الجالى بل تبشر المسلمين كافة بمآمن الله به على المسلمين من الظفر بعد والدين فانه كان قد استكمل أمره واستحكم شره ويئس العباد من البسلاد والاهل والاولاد فتودوا الاتياسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهى سنة ثمان وأربعين وسقاة نعم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزان وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم الا الله جاؤا من كل فج عميق ومكان سحيق فلما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأيننا ولما كانت ليلة الاربعة تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا في آثارهم طالعين وما زال السيف يعمل في أديارهم عامة الليل وقد حل بهم الخزي والويل فلما أصبحنا يوم الاربعة قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج وأما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسي الى المينة وطلب الامان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وسلمناه دمياط بعون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهى اشكر لاطا احمر بفرو وسجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارة الفرنسيس جاءت * فهى حق السيد الامراء

كبياض القرطاس لونا ولكن * صبيحتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر

أسيد أملاك الزمان باسرهم * تتجرت من نصر الآله وعوده

فلا زال مولانا يبيع حتى العدى * ويلبس أثواب الملوك عبده

وأخذ الملك المعظم يمدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطلبها جمال أبيه نفاقته وكاتب ممالك الملك الصالح تتجرتهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أفضاى الى حصن كيفا وعده أن يعطيه امرأة فلم يف له بها وأعرض مع ذلك عن ممالك أبيه وأطرح امراءه وصرف الامير حسام الدين بن أبى على عن نيابة السلطنة وأحضره الى العسكر ولم يعأبه وأبعد علمان أبيه واختص بن وصل معه من المشرق وجعلهم في الوظائف السلطانية فجعل الطواشي مسرورا خادمه استاداروا وعمل صبيحا وكان عبدا حبشيا فلما خازن داره وأمر أن

تكون له عصا من ذهب وأعطاه ما لا يجزيلا واقطاعات جليلة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب رؤسها بالسيف حتى تنقطع ويقول هكذا افعل بالبحرية فانه كان فيه هرج وخفة واحتجب على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وبقي كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشر المحرم وقد جلس على السماط فتقدم اليه أحد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابع يديه ففر الى البرج فاقبحموا عليه وسيوفهم مصلدة فصعد أعلى البرج الخشب فرموه بالنشاب وأطلقوا النار في البرج فألقى نفسه ومتر الى البحر وهو يقول ما أريد ملككم دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يضطهني ويجبرني وسائر العساكر بالسيف واقفة فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية وأدركوه فقطع بالسيف ومات حرقا غرقا قتيلا في يوم الاثنين المذكور وترك على الشط ثلاثة أيام ثم دفن ولما قتل الملك المعظم اتفق أهل الدولة على اقامة شجرة الدر والدة خليل في مملكة مصر وأن يكون مقدم العسكر الامير عز الدين أيك التركماني الصالح وحلف الكل على ذلك وسيروا اليها عز الدين الروحي فقدم عليها في قلعة الجبل وأعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع بعلامتها وهي والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجرى الحديث مع الملك روادفرنس في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حسام الدين بن أبي علي الهدياني فأجاب الى تسليمها وأن يخلى عنه بعد محاورات وسير الى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلموها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعدما قامت بيد الفرنج احد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الملك روادفرنس وعن أخيه وزوجته ومن بقي من اصحابه الى البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر وأقلعوا الى عكا وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته • مقال نصيح عن قول نصيح
أجر الله على ماجرى • من قبل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر بتبني ملكها • تحسب أن الزمر باطل ربح
فساقت الحين الى ادهم • ضاق به عن ناظر يك الفسح
وكل اصحابك اودعهم • بحسن تدبيرك بطن الضريح
نخسون ألفا لا يرى منهم • الا قتيلا أو اسير جريح
وفقد الله لامثالها • لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم بدا راضيا • قرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان أضمر واعدة • لاخذ نار اول نقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها • والقيد باق والطواشي صليح

وقدر الله أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عتة جوع وقصد تونس فقال شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه أخت مصر • فتأهب لما اليه نصير
لا في دار ابن لقمان قبر • وطواشيك منكرو نكير

فكان هذا فالاحسن فانه مات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامراء دمياط وردت البشري الى القاهرة فضربت البشار وزينت القاهرة ومصر فقدمت العساكر من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان في سلطنة الاشرف موسى بن الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين التركماني وكثرا لاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز على دمشق اتفق أرباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها التجار بن والفعلة فوقع الهدم في أسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وأربعين وستمئة حتى خربت كلها وحيت آثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قلبها أخصاص على النيل سكنها الناس الضعفاء وسموها المنشية وهذا السور هو الذي بنه أمير المؤمنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استتب الملك الظاهر بيبرس البندقداري

الصالحى بمملكة مصر بعد قتل الملك المنظر قطز اخرج من مصر عدة من التجارين في سنة تسع وخمسين
وسمائه لادم فم بجر دمياط فوضوا وقطعوا كثيرا من القرايص وألقوها في بحر النيل الذي ينصب من شمال
دمياط في البحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب
البحر الكبار أن تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع في مراكب نيلية تعرف عند أهل دمياط بالجرور
واحدها جرم ونصير مراكب البحر الملح واقفة بأخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم أهل دمياط الآن أن
سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل في فم البحر أو ردل يتربى هناك وهذا قول باطل جهلهم عليه ما يجدونه
من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان وجهلهم باحوال الوجود وما تمر من الوقائع والى يومنا هذا
يخاف على المراكب عند ورودها فم البحر وكثيرا ما تتلف فيه * وقد سرت اليه حتى شاهدته ورأته من
أعجب ما يراه الانسان * وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تخريب مدينة دمياط وعمل هناك أخصاص
وما برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها
تشرف على النيل الاعظم ومن ورائها البساتين وهي أحسن بلاد الله منظرا * وقد أخبرني الامير الوزير المشير
الاستاد اريبلغا السالمى رحمه الله أنه لم يرفى البلاد التي سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه
فظننت أنه يغلو في مدحها الى أن شاهدتها فاذا هي أحسن بلد وأزهره * وفيها قول

سقى عهد دمياط وحياه من عهد * فقد زادني ذكراه وجداد على وجد
ولازالت الأنواء تسقى أصحابها * ديارا حكمت من حسناتها الجنة الخلد
فيا حسن هاتيك الديار وطيبها * فكم قد حوت حسنا يجلب عن العت
فقله أنها تحف بزورها * لكانم هف المصقول او صفحة الخلد
وبشنيها الريان يحكي متيها * تبدل من وصل الاحبة بالصدة
فقام على رجليه في الدمع غارقا * يراعى نجوم الليل من وحشة الفقد
وظل على الاقدام تحسب انه ■ اطول انتظار من حبيب على وعد
ولاسيما تلك النواخير انسابا * تجدد حزن الواله المندف الفرد
اطارحها شجوى وصارت كأنما * تطارح شكواها بمثل الذي أبدى
فقد خلتها الافلاك فيها نجومها * تدور بحض النفع منها والسعد
وفي البرك الغراء يا حسن نوفر * حلا وغدا بالزهر يسطو على الورد
سماء من البلور فيها كواكب * عجبة صبغ اللون بحكمة النضد
وفي شاطئ النيل المقدس زهرة * تعيد شباب الشيب في عيشه الزغد
وتنشى رباحا تطرد الهمة والاسى * وتنشى ليل الى الوصل من طيبها عندي
وفي مرج البحرين جثم عجايب * تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كأن التقاء النيل بالبحر ازغدا * مليكان سارا في الخافل من جند
وقد نزلا للعرب واحتدم اللقا * ولا طعن الا بالمثقة الملسد
فطلا كما باتا وما برجا كما * هما من جليل الخطب في اعظم الجهد
فكم قد مضى لي من افانين لذة * بشاطئها العذب الشهي لذى الورد
وكم قد نعمنا في البساتين برهة * بعيش هنيء في أمان وفي سعد
وفي البرزخ المأنوس كم لي خلوة * وعند شطا عن أيمن العلم الفرد
هناك ترى عين البصرة ما ترى * من الفضل والافضال والخير والجد
فيارب هي لي بفضلك عودة * ومن به في غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التي هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد
الذي أسسه المسلمون عند فتح دمياط اول ما فتح الله أرض مصر على يد عمرو بن العاص وعلى باب مكتوب بالقلم
الكوفي أنه عمر بعد سنة خمسمائة من الهجرة وفيه عدة من عمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف

بجامع فتح لنزول شخص يقال له فاتح به فقالت العامة جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمان الاسمر التكروري
قدم من مرا كش الى دمياط على قدم التجريد وسقى بها الماء في الاسواق احتساباً من غير أن يتناول من احد
شيئاً ونزل في ظاهر النغر وزم الصلاة مع الجماعة وترك الناس جميعاً ثم أقام بناحية تونة من بحيرة تنيس وهي
خراب نحو سبع سنين ورم مسجد هاشم انتقل من تونة الى جامع دمياط وأقام في وكر بأسفل المنارة من غير أن
يخالط أحداً الا اذا اقيمت الصلاة خرج وصلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه أحد بحديث كله وهو
قائم بعد انصرافه من الصلاة وكانت حاله أبداً اتصالاً في انفصال وقرباً في ابتعاد وانسا في نفاًر ورج فكان
يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت النزول ويكون سيره منفرداً عنهم لا يكلم أحداً الى أن عاد الى
دمياط فأخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقي ما كان فيه من الوطواط بسقوفه وساق الماء الى
صهاريجها وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا في يوم
الجمعة فقط فرتب فيه اما مراتب يصلي الخمس وسكن في بيت الخطابة وواظب على إقامة الاوراد وجعل فيه
قراء يتلون القرآن بكرة وأصيلاً وقرقره رجلاً يقرأ ميعاداً يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط
مكاناً أفضل من الجامع لاقت به ولو علمت في الارض بلد اكون فيه الفقير أجل من دمياط لرحت اليه وأثقت به
وكان اذا ورد عليه أحد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به وكان يبيت ويصبح ولبس له
معلوم ولا ما يقع عليه العين او تسمعه الاذن وكان يؤثر في السر الفقراء والارامل ولا يسأل أحداً شيئاً ولا يقبل
غالباً واذا قبل ما يفتح الله عليه أثر به وكان يسذل جهده في كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد
منه لذلك وعرفت له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من الفسك بالكتاب والسنة والنفور عن الفتنة
 وترك الدعاوى واطراحها وسهر حاله والحفظ في اقواله وأفعاله وكان لا يرافق أحد في الليل ولا يعلم أحد يوم
صومه من يوم فطره ويجعل دائماً قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره والله ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميري
أشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة فتزوج في آخر عمره بامرأتين لم يدخل علي واحدة منهما نهراً
البته ولا اكل عندهما ولا شرب قط وكان ليس له ظرفاً للعبادة لكنه يأني اليهما أحياناً وينقطع أحياناً لاستغراق
زمنه كله في القيام بوظائف العبادات واشار الخلوة وكان خواص خدمه لا يعلمون بصومه من فطره وانما يحمل
اليه ما يأكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط أكلاً وكان يحب الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطارع على التجول
والخفا ويتواضع مع الفقراء ويتعاطم على العظماء والاغنياء وكان يقرأ في المصحف وبطالع الكتب ولم يره أحد
يخط يده شيئاً وكانت تلاوته للقرآن بخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة قط ولا أخذ على أحد عهد ولا لبس
طاقية ولا قال انما شيخ ولا أنا فقير ومتى قال في كلامه انا تظن لما وقع منه واستماذ بالله من قول انا ولا حضر
قط سماعاً ولا أنكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحاً ويبالغ في الترفع على ابناء الدنيا ويتراخى
على الفقراء ويقدم لهم الاكل ولم يقدم لغنى الا كلاً البته واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغني واذا
مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف بغير نعل ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى
عنه ومن كان من الفقراء يشار اليه بشيخة جالس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه في الطريق ويقول ما أقول
لا أحد افعلاً ولا تفعل من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى أفعاله فان لم يتسلك ينظره لا يتسلك بسمعه وقال
له شخص من خواصه يا سيدي ادع الله لنا أن يفتح علينا فنحن فقراء فقال ان أردتم فتح الله فلا تتقوا في البيت
شيئاً ثم اطلوا ففتح الله بعد ذلك فقد جاء لاتسأل الله ولك خاتم من حديد ومن كلامه انفق بجمال البكر اذا سأل
زالت بكارته وسأله بعض خواصه أن يدعوله بسعة وشكا له الضيق فقال انا ما أدعولك بسعة بل اطلب لك
الافضل والاكمل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا ينسى حاجته حتى
يقضيها ولا يراهم الوفاء لاصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم
الايام ويشفق على الضعفاء والارامل ويذل شفاعته في قضاء حوائج الخاص والعام من غير أن يعل ولا يتبرم
بكثرة ذلك ويكثر من الاثار في السر ولا يمسك لنفسه شيئاً ويستقل مأمونه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع
اليه وان كان يسيراً ويكافئ عليه باحسن منه ولم يصحب قط اميراً ولا وزيراً بل كان في سلوكه وطريقه يرفع
في تواضع ويعزز مع مسكنة وقرب في ابتعاد واتصال في انفصال وزهد في الدنيا واهلها وكان اكبر من خبره

ومن دعائه لنفسه ولمن يسأل له الدعاء اللهم بعدنا عن الدنيا وأهلها وبعدها عنا وما زال على ذلك الى أن مات آخر ليلة أسفر صبا حها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ ألفي درهم ديننا ودفن بجوار الجامع وقبره يزار الى يومنا هذا

* (ذكر شطا) *

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليه تنسب الثياب الشطوية ويقال انها عرفت بشطابن الهامول وكان أبوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على أرض مصر جهرز بعثا لفتح دمياط فنازلوها الى أن ملكوا سور المدينة فخرج شطا في ألفين من أصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويميل الى ما يسمعه من سيرة اهل الاسلام ولما ملك المسلمون دمياط امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا الى البرلس والدميرة واشتهر طناح يستنجد بجمع الناس لقتال اهل تنيس وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مددا من عند عمرو بن العاص الى قتال اهل تنيس فالتقى الفريقان وأبلى شطا منهم بلاء حسنا وقتل من أبطال تنيس اثني عشر رجلا واستشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من الهجرة فقبر حيث هو الآن خارج دمياط وبني على قبره وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويغدون للحضور من القرى وهم على ذلك الى يومنا هذا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا قال الفاكهي ورأيت فيها كسوة من كسا أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطي مصر مكتوب عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا كسوة الكعبة سنة احدى وتسعين ومائة * ومن المواضع المشهورة بدمياط * (البرزخ) * وهو مسجد بجيرة دمياط تسميه العامة البرزخ ولا عرف مستندهم في ذلك وشاهدت فيه عجايبا وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر اذا هزها أحد اهتزت فلما صعدت أعلاها حيث يقف المؤذنون وحزرتا رأيت ظلها قد تحركت بتحركي لها ويوجد حول هذا المسجد رمم أموات يشبه أن تكون من استشهد في وقائع الفرنج والله يعلم وأنتم لا تعلمون * (ديق) * قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب المثلثة والعمائم الشرب الملوثة والديق العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقائق منسوجة بالذهب قبيل العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمائم وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز سنة خمس وستين وثلاثمائة الى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة * (الحريرية) * قرية من الاعمال الغربية أسس حكرها الأمير شمس الدين سنقر السعدي نقيب الجيش في أيام الناصر محمد بن قلاوون وبالغ في عمارتها فبلغت في أيامه عشرة آلاف درهم فضة ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع امرها حتى أنشئ فيها زيادة على ثلاثين بستانا ووصل حكرها لكثرة سكانها الى ألف درهم فضة لكل قدان وصارت بلدا كبيرا العمل يبلغ في السنة ما بين خراجي وهلاقي ثلثمائة ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف دينار ذهبيا ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبع مائة واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حذرة البقر خارج باب زويلة * (جزيرة بنى نصر) * منسوبة الى بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك أن بنى حاس بن ظالم بن جعيل بن عمرو بن درهمان بن نصير بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملؤا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلوالة ولوالة تزعم انها من قبس فأجلت بنى نصر وأسكنها الجدار فصاروا اهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل وهي جزيرة بنى نصر هذه

* (ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق) *

اعلم أن البريد أول من رتب دوايه الملك دارا بن بهمن بن كيش ستاسف بن كهراسف أحد ملوك الفرس وأما في الاسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله بغالا وبلا وذلك في سنة ست وستين ومائة وأصل هذه الكلمة بريد ذنب فان دارا أقام في سلك البريد دواب محذوفة الاذنان سميت بريد ذنب ثم عرت وحذف منها نصفها الاخير فقل بريد وهذا الدرب

الذي يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب الذي يسلك في القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيه من الرمل الآن الا بعد الخمسمائة من سني الهجرة عندما انقضت الدولة الفاطمية وكان الدرب اولاً قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلاً ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلاً ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلاً ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة اميال ومن طبرية الى البجون عشرون ميلاً ثم الى القلنسوة عشرون ميلاً ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلاً والطريق من الرملة الى اردود اثنا عشر ميلاً ثم الى غزة عشرون ميلاً ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلاً في رمل ثم الى الوردانة ثمانية عشر ميلاً ثم الى أم العرب عشرون ميلاً ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلاً ثم الى جريز ثلاثون ميلاً ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلاً ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلاً ثم الى بليس احد وعشرون ميلاً ثم الى القسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلاً فهذا كما ترى انما كان الدرب المسلول من مصر الى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بليس الى الفرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السبخ من الخوف ويسلك من الفرما وهي بالقرب من قطية الى أم العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والورادة ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيمانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كثيرة المقدار ويسلك من أم العرب الى الوردانة وكانت بلدة في غير موضعها الآن قد ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمائة لاخذ البلاد من أيدي المسلمين وأخذ بغدوين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بيت المقدس من ايدي الفرنج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة واكثر من الايقاع بالفرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى أن ولي ملك مصر الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر ابن ايوب فأنشأ بأرض السبخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة اربع وأربعين وستمائة وصار ينزل بها ويقوم فيها ونزل بها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في سائر الطرق حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق في أربعة ايام ويعود في مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويتحكم في سائر ممالكه بالامز والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق في ذلك ما لا عظمى حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة وما زال أمر البريد مستمراً فيها بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكز عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سقاس وللخيل رجال يعرفون بالسواقين واحد هم سواق ركوب مع من ركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويحذمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا برسوم سلطاني فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من اتدبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان برسوم سلطاني وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره وكثرت ما كان فيه من الامن ادركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زاداً ولا ماء فلما أخذت يورثك دمشق وسبى اهلها وحرقت في سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدولة بما نزل بالبلاد من الخن ومادها وبه من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعه طريق الشام خلافاً لحشا والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة

* (ذكر مدينة حطين) *

هذه المدينة آثارها الى اليوم باقية فيما بين حبة والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين قطية والعريش تجاهاها بيل ماء عذب تسميه العرب ابا العروق وهو شرقيها وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال حطبي بن الملك ابي جاد المدني واهل قطية اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطين والجفر وملك حطين هذا أرض مصر بعد موت أبيه وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة في جبال الاردن قريباً من طبرية واليه تنسب قرية حطين التي بها

الآن قبر شعيب بالقرب من صفد

(ذكر مدينة الرقة) *

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عند ما خرج موسى عليه السلام بني اسرائيل من مصر قوم من نخم آل فرعون يعبدون البقر واياهم عنى الله بقوله تعالى وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأولع قوم بعكفون على أصنام لهم الآية قال قتادة أولئك القوم من نخم وكانوا زولا بارقة وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر ولهذا أخرج لهم السامري بجلا وأثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيما بقي من مدينة فاران والقلزم ومدين وأيلة تمر بها الاعراب

(ذكر عين شمس) *

وكان يقال لها في القديم رعساس وكانت عين شمس هيكل يحج الناس اليه ويقصدونه من أقطار الارض في جملة ما كان يحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد وثمود وزعمون انه عن شيث بن آدم وعن هرمس الاول وهو ادريس وان ادريس هو أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية وبني الهياكل ومجد الله فيها ويقال ان الهياكل كانت عدتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكل وهي هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهيكل السادس هيكل زحل وهو مستدس وبعده هيكل المشتري وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو أيضا مربع وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر من وعلاوا عبادتهم للهياكل بأن قالوا لما كان صانع العالم مقتدا عن صفات الحدوث وجب التجزؤ عن ادراك جلاله وتعين أن يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعوا لهم ويكونوا وسائط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا أنها المدبرات للكونا كب السبعة السيارة في أفلاكها وهي هياكلها وانه لا بد لكل روحاني من هيكل ولا بد لكل هيكل من فلك وأن نسبة الروحاني الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا أنه لا بد من رؤية المتوسط بين العباد وبين بارئهم حتى يتوجه اليه العبد بنفسه ويستفيد منه فزعموا الى الهياكل التي هي السيارات فعرفوا بيوتها من الفلك وعرفوا مظالمها ومغاربها واتصالاتها ومآلاتها من الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف في موضعه من العلم الرياضي وسموا هذه السبعة السيارة أربابا وآلهة وسموا الشمس اله الآلهة ورب الارباب وزعموا أنها المقيضة على السنة أنوارها والمطهرة فيها آثارها فكانوا يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيين لتقربهم الى الباري لزمهم أن الهياكل أبدان الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب يوما يزعمون أنه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة أوقات الاولى عند طلوع الشمس والثانية عند استوائها في الفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لرحل يوم السبت وللمشتري يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلاثاء وللزهرة يوم الاربعاء ولعطارد يوم الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان ببلخ هيكل بناه بنو حير على اسم القمر لتعارض به الكعبة فكانت الفرس تتجه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهر فلما تجست الفرس عملته بيت نار وقيل للموكل بسداته بمرمك يعنى والى مكة وانتهت البرمكة الى جند خالد جند جعفر بن يحيى بن خالد فأسلم على يده شام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا الهيكل قيس بن الهيثم في أول خلافة معاوية سنة احدى وأربعين وكان بناء عظيم حوله اربعة وثلاثون وستون مقصورة لسكن خدامه وكان بصنعاء قصر غمدان من بناء الضحاك وكان هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمان بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض الكبيرة هيكل المشتري من بناء كلوبطرة بنت بطليموس وكان بفرغانة بيت يقال له كلوسان هيكل للشمس بناء بعض ملوك فارس الاول خربه المعتصم وقد اختلف فيمن بنى هيكل عين شمس وسأقص من أخباره ما لم أره مجموعا في كتاب * قال ابن وصف شاه وقد كان الملك متقاسا اذا ركب عملوا بين يديه التخاييل العجيبة فيجتمع الناس ويعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له

خصوصا ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها أصناما ومعجائب فكان الملك يركب اليه
 ويقوم فيه سبعة أيام وجعل فيه عمودين زبرعليهما تاريخ الوقت الذي عمله فيه وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع
 الذي يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير ومعجائب ودفن فيها ابوين واحيها
 وأقام ملكا احدي وتسعين سنة ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له نائوس في صحراء الغرب وقيل
 في غربي قوص ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجواهر ومن الذهب المضروب شيء
 كثير ودفن معه تماثيل روحاني الشمس من ذهب يلع وله جناحان من زبرجد وصنم على صورة امرأته وكان
 يحبها فلما مات أمر أن تعمل صورتها في الهيكل كلها وعمل صورتها من ذهب بدوابة سوداوين وعليها حلة
 من جواهر منظومة وهي جالسة على كرسي وكان يجعلها بين يديه في كل موضع يجلس فيه يتسلى بذلك
 عنهما فدفنت هذه الصورة معه تحت رجليه كأنها تخاطبه * وقال الحكيم الفاضل أحمد بن خليفة في كتاب عيون
 الانباء في طبقات الاطباء واشتاق فينا غورس الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا يصرفون على اهل مدينة
 الشمس المعروفة في زمانا بعين شمس فقبولوه قبولاً كريهاً وامتنعوا زماناً فلم يجدوا عليه نقصاً ولا نقصاً فوجهوا به
 الى كهنة منف كي يبالغوا في امتحانه فقبولوه على كراهة واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيباً ولا أصابوا له
 عثرة فبعثوا به الى أهل ديوسوس ليمتنعوا فلم يجدوا عليه طريقاً ولا الى احد حاضه سبيلاً فقرضوا عليه فرائض
 صعبة كيما يتنعم من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لفرائض اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتد
 اعجابهم به وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى اماسيس ملك مصر فأعطاه سلطاناً على ضحايا الرب وعلى سائر
 قرايينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كان للكواكب السمعة السيادة هياكل تشج الناس اليها من سائر
 أقطار الدنيا وضعها القدماء فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلاً في ناحية من نواحي الارض وزعموا أن البيت
 الاول هو الكعبة وأنه مما وصى ادريس الذي يسمونه هرمس الاول المثلث أن يحج اليه وزعموا أنه منسوب
 لرحل والبيت الثاني بيت التريخ وكان بمدينة صور من الساحل الشامي والبيت الثالث للمشتري وكان
 بدمشق بناء جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بني امية والبيت الرابع بيت الشمس بمصر ويقال انه من
 بناء هرشيك أحد ملوك الطبقة الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة
 وكان بجنين والبيت السادس بيت عطارده وهو بصيدان من ساحل البحر الشامي والبيت السابع بيت القمر وكان
 بجوزان ويقال انه قلعتها ويسمى المدور ولم يزل عامراً الى أن خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابئة الاعظم
 * وقال شافع بن علي في كتاب عجائب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محدقاً ممدوماً
 ويظهر من أمرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من تحت الحجارة ما يكون
 طول الصنم بقدر ثلاثين ذراعاً وعضاؤه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام قائمة على قواعد وبعضها
 قاعد على نصبات عجيبه واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى الآن وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على
 شكل الانسان وغيره من الحيوان وكتابة كثيرة بالقلم الجوهول وقلاترى جبر اخلا عن كتابة او نقش او صورة وفي
 هذه المدينة المملكتان المشهورتان وتسميان مساتي فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة أذرع في
 مثلها عرضا في نحوها سمكة قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عود مثلث مخروط ينسف طوله
 على مائة ذراع يتدنى من القاعدة بسطة قطرها خمسة أذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس
 الى نحو ثلاثة أذرع منها كالقلم وقد ترنجر بالطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة وكأها
 عليها كتابات بذلك القلم وكانت المملكتان قائمتين ثم خربت احدهما وانصدعت من نصفها العظم الثقل وأخذ
 النحاس من رأسها ثم أن حولها من الاصنام شيئاً كثيراً لا يحصى عدده على نصف تلك العظمى أو يليها وقلما
 يوجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم اكثرها وانما بقيت
 قواعدها * وقال محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه وفي رابع شهر رمضان يعني من سنة ست وخمسين وستائة
 وقعت احدي مسلتى فرعون التي بأراضي المطرية من ضواحي القاهرة فوجدوا داخلها ما أتى قنطار من نحاس
 وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار * ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دوعم من الملوك العماليق وقيل بناها
 الريان بن الوليد وكانت سرير ملكه والفرس تزعم أن هرشيك بناها * ويقال طول العمودين مائة ذراع وقيل

أربعة وثلاثون ذراعاً وقيل خمسون ذراعاً ويقال إن بخت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل إلى مصر وقال
القضاة وعين شمس وهي هيكل الشمس بها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء
نحو من خمسين ذراعاً وهما محمولان على وجه الأرض وبينهما صورة إنسان على دابة وعلى رأسهما شبه
الصومعيتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسيهما ما تستبينه وتراه منهما واضحا يبيع حتى يجري من
أسافلهم ما فينبت في أصلهما العوسج وغيره وإذا دخلت الشمس دقيقة من الجدى وهو أقصر يوم في السنة
انتهت إلى الجنوب من رأسها فطلعت عليه على قمة رأسه ثم إذا دخلت دقيقة من السرطان وهو أطول يوم في
السنة انتهت إلى الشمال من رأسها فطلعت على قمة رأسه وهما منتهى الميلىن وخط الاستواء في الواسطة منهما
ثم خارت بينهما ذاهبة وجاءت سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب
وكانت عين شمس في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط
الآن وإنما قدم عمرو بن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى فتحها * وقال جامع السيرة الطولونية
كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كدان أبيض محكم الصنعة يتخيل من استعرضه أنه ناطق
فوصف لأحد بن طولون فاشتاق إلى تأمله فقام ندوسة عنه وقال ما رأيته والقط الأعزل فركب إليه وكان هذا
في سنة ثمان وخمسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطا عين وأمرهم باجتنائه من الأرض ولم يترك منه شيئاً ثم قال
لندوسة خازنه ياندوسة من صرف مناصبه فقال أنت أيها الأمير وعاش بعدها أحمد ثلثي عشرة سنة أميراً *
وبني العزيز بالله نزار بن المعز قصورا بعين شمس * وقال أبو عبيد البكري عين شمس بفتح الشين واسكان ثلثه
بعده سين مهذلة عين ماء معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بنى فرعون الصرح وزعم قوم أن عين
شمس إلى هذا الماء أضيف وأول من سمي هذا الاسم سبأ بن يشجب وذكر الكلبي أن شمسا الذي تسموا به صنم
قديم وقال ابن خرداذبة واسطوأتين بعين شمس من أرض مصر ومن بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل
أسطوانة طوق من نحاس يقطر من أحدهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الأسطوانة لا يجاوز ولا ينقطع
قطره ليلا ولا نهارا فوضعه من الأسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء إلى الأرض وهو من بناء أوسمنك *
وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الباب أن هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة محدّد
الرأس على قاعدة من حجر وعلى رأس المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة إنسان على كرسي قد استقبل
المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة أذرع وقد ثبت منه شيء كالطلب فلا يبرح
لمعان الماء على تلك الخضرة أبداً صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يصل إلى الأرض منه شيء وبعين شمس نبت يزرع
كالقضباني يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسم لا يعرف بمكان من الأرض إلا ههنا وتوكل على هذه
القضباني فيكون له طعم وفيه حرارة وحرارة لذية وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسم وهو شجر
قصار يسقى من ماء بئر هناك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقدسها وتغتسل بمائها وتستشفى به ويخرج
لاعتصار البلسان أو ان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه ويحمله إلى الخزانة السلطانية ثم ينقل
منه إلى قلاع الشام والمارستانات المعالجة المبرودين ولا يؤخذ منه شيء إلا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم
بذلك والملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون أنهم
لا يصح عندهم لاحد أن يتنصر إلا أن ينغمس في ماء المعمودية ويعتقدون أنه لا بد أن يكون في ماء المعمودية
شيء من دهن البلسان ويسمونه المبرون وكان في القديم إذا وصل من الشام خبر انتهى إلى صاحب عين شمس
ثم يرد من عين شمس إلى الحصن الذي عرف بمصر الشمع حيث الآن مدينة مصر ثم يرد من الحصن إلى مدينة
منف حيث كانت منف تحت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما ذكره في كتاب السنكسار وهو
يشتمل على أخبار النصارى أن المسيح لما خرجت به أمه ومعهم ما يوسف النجار من بيت المقدس فرار من
هيرودس ملك اليهود نزلت به أول موضع من أرض مصر مدينة بسطة في رابع عشرين بشنس فلم يقبلهم أهلها
فتزلوا بنهارها وأقاموا أياماً ثم ساروا إلى مدينة سمند وعادوا النيل إلى الغربية ومشوا إلى مدينة الاشمونين
وكان بأعلاها إذ ذاك شكل فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم إليها غرب صهل فخاوا
نظروا في أمر القادم فعند ما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام إلى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر

فدخلت به أمته وظهرت له عليه السلام في الاشمونين آية وهو أن خمسة جمال محملة زاحمتهم في مرورهم فصرخ فيها المسيح في الاشمونين فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين وأقاموا بقية تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وهي التي يقال لها اليوم القوصية فنطق الشيطان من أجواف الاصنام التي بها وقال ان امرأته أنت ومعها ولدها يريدون أن يخربوا بيوت معابدكم فخرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردوهم عن المدينة فمضوا الى ناحية ميرة في غربي القوصية ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير المحرق وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف النجار في منامه قائلا يخبره بموت هيرودس وبما مره أن يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذي يعرف اليوم في مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا بمغارة تعرف اليوم بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد اتسخت وصبت غسلتها تلك الاراضي فأثبت الله هناك البلسان وكان اذ ذاك بالاردن فانقطع من هناك وبقي بهذه الارض وغمرت هذه البئر التي هي الآن موجودة هناك على ذلك الماء الذي غسلت منه مريم وبلغني أنهم الى الآن اذا اعتبرت يوجد ماؤها عينا جارية في أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر وللبلسان فانه انما سقى منها والله أعلم

* (المنصورة) *

هذه البلدة على رأس بحر أشموم تجاه ناحية طخنا بناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ست عشرة وستمائة عندما ملك الفرنج مدينة دمياط فقل في موضع هذه البلدة وخيم به وبني قصر السككناه وأمر من معه من الامراء والعساكر بالبناء فبني هناك عدة دور ونصبت الاسواق وأدار عليها سورا ممالى البحر وستره بالآلات الحربية والستائر وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق والاسنة فذل الملك الكامل دمياط من الفرنج ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصورة وبني يديه اخوته الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرهما من أهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت على عودها

والماطي فرعون ~~ع~~ كما وقومه * وجاء الى مصر ليفسد في الارض

أني نخوهم موسى وفي يده العصا * فأغرقهم في اليم بعضا على بعض

فطرب الاشرف وقال لها بالله ~~ك~~ ترى فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها وقال لجاريته غني أنت فأخذت العود وغنت

أيأهل دين الكفر قوموا لتظروا * لما قد جرى في وقتنا وتجددا

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن حبارة أولها (أبي الوجد الآن أيت مسهدا) فأعجب ذلك الملك الكامل وأمر لسكران الجاريتين بخمسمائة دينار فنهض القاضي الصدر الاجل الرئيس هبة الله بن محاسن فاضى غزوة وكان من جملة الجلوساء على قدميه وأنشد يقول

هنيئا فان السعد جاء ~~م~~ خلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

حسبا بالله الخلق فتحا لنا ~~ب~~ دا * مينا وانعاما وعزاً مؤبدا

يهدل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا

ولما طغى البحر الخضم بأهله ~~ال~~ * طغاة وأضحى بالمرأكب مزبدا

أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام المهندا

فلم ينج الاكل شلو ~~م~~ قتل * نوى منهم اومن تراه مقيدا

ونادى لسان الكون في الارض رافعا * عقيرته في الخافقين ومنشدا

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

فكانت هذه الليلة بالمنصورة من أحسن ليلة مرتت الملك من الملوك وكان عند انشاده يشير اذا قال عيسى الى

عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال محمد الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذي
أنشد هذه الايات انما هو راجع المحلى الشاعر

* (العباسة) *

هذه القرية فيما بين بليس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها للملك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن
طولون فسماه لذلك أبوه العباس وولد بها أيضا الملك الامجد تقي الدين عباس بن العادل أبي بكر بن ايوب
وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه تلوم مصر اذا أتت بها أصطاد الطير من السماء
والسمك من الماء والوحش من الفضاء وبصل الخبز من قلعة الجبل الى بيها في قلعتي وهو سخن وبني بها آدرا
ومناظر وبساتين وبني امراؤه بها أيضا عاتمة مساكن في البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك
الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المنزلة الصالحة فتلاشى حينئذ أمر العباسة وخربت المناظر في سلطنة الملك
المعز أيك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس متر على السدير وهو قوم الوادي فأعجب به وبني في
موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية وأنشأ بها جامعاً وذلك في سنة ست وستين وسبعمائة * وسميت
بالعباسة بنت أحمد بن طولون فانها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها فطر السدي بنت خمارويه
ابن أحمد بن طولون لما حلت الى المعتضد وضربت هناك فساطيطها ثم بنت قرية فسميت باسمها

* (ذكر مدينة فقط بصعيد مصر) *

هذه المدينة عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصر ايم بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام وكانت في الدهر الاول
مدينة الاقليم وانما بدا خرابها بعد الاربعمائة من تاريخ الهجرة النبوية وآخر ما كان فيها بعد السبعمائة من سن
الهجرة أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب ويقال كان فيها قباب بأعلى دورها وكانت اشارة من ملك
من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل في داره قبة وبالقرب منها معدن الزمرد لم يطل الامن قريب فان قفطريم
ولى الملك بعده أبيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان اكبر ولداً به وكان جباراً أعظم الخلق وهو الذي وضع أساسات
الاهرام الدهشورية وغيرها وهو الذي بنى مدينة دندرة ومدينة الاصنام وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه وأثار
من المعادن ما لم يثر غيره وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرخي ومن الزبرجد مثل الاسطوانة ومن الاسبادهشم
في صحراء الغرب كالثقل وعمل من عجائب شياً كثيراً وبني مناراً علياً على جبل فقط يرى منه البحر الشرقي
ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه تماثلاً كالعمود لا ينحل ولا يذوب وعمل البركة التي سماها صيادة الطير اذا متر
عليها طائر سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتى يؤخذ وهذه البركة يقال انها هنالك الى الآن وأما المنار فسقط وعمل
بعجائب كثيرة وفي أيامه أثار عبادة الاصنام التي كان الطوفان غرقها وزين الشيطان أمرها وعبادتها ويقال
انه بنى المداخن الداخلة وعمل فيها عجائب وبني غربى النيل وخلف الواحات الداخلة مدناً عمل فيها عجائب كثيرة
ووصل بها الروحانيين الذين يمنعون منها ما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها الآن يعمل قرايين
لاؤلك الروحانيين وأقام قفطريم ملكاً أربع مائة وثمانين سنة واكثر العجائب عملت في وقته ووقت ابنه
البودسير ولذلك كان الصعيد اكثر عجائب من أسفل لاق حيز قفطريم فيه ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا
في الجبل الغربي قرب مدينة الكهان في سرب تحت الارض معقود على آراج الى الارض وتقرت تحت الجبل
داراً واسعة وجعل دورها خزاناً منقورة وفي سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار بالمرمر وجعل
في وسط الدار مجلساً على ثمانية اركان مصفحاً بالزجاج الملون المسبول وجعل في سقفه جواهر تسمى مرج وجعل
في كل ركن من اركان المجلس تماثلاً من الذهب بيده كالقوق الذي يوق به وتحت القبة دكة مصفحة
بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسد بعد أن لطخ بالادوية المجففة
ووضع في جانبه آلات كافور وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكل وعن
جوانب الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبول في صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب وعلى صدره
من فوق الثياب سيف فاخر قائمه من زبرجد وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والتيجان
والجوهر وبراقى الحكم وأصناف العتاقير والطلسمات ومصاحف العلوم ما لا يحصى كثيرة وجعل على

باب المجلس ديكامن ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور الجناحين من بورا عليه آيات مانعة وجعل على كل مدخل أربع صورتين من نحاس بأيديهم ماسيفان وقد أمهما بلاطة تحتها ألواب من وطئها ضرب به بأسيا فهاهما فقتلاه وفي سقف كل أزج كرة وعليها الطوخ مدبر يسرج فيقد طول الزمان وسد باب الأزج بالاساطين المرصصة ورصوا على سقفه البلاط العظيم وورد موافوقها الرمال وزبروا على باب الأزج هذا المدخل إلى جسد الملك المعظم المهيب الكريم الشديدي فقطريم ذي الأيد والفخر والغلبة والقهر أقل نجمه وبقي ذكره وعلمه فلا يصل أحد إليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد سبع مائة وسبعين ودورات مضت من السنين * وقال المسعودي ومعدن الزمر في عمل الصعيد الأعلى من مدينة فقط ومنها يخرج إلى هذا المعدن والموضع الذي هو فيه يعرف بالخرية وهي مفازة وجبال والبحج تحمي هذا المكان المعروف بالخرية واليه يؤدى الخفارات من يرد إلى حفرة الزمرز ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر يخبرون أنه يكثر ويقل في فصول السنة فيكثر في قوة مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الأربع وتقوى الخضره فيه والشعاع النورى في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر وبين الموضع المعروف بالخرية الذى فيه معدن الزمرز وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي فقط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة النيل وبين النيل فقط نحو من ميلين * ولم يبق فقط وقوص أخبار عجيبه في بدء عمارتهما وما كان في أيام القبط من أخبارهما إلا أن مدينة فقط في هذا الوقت متداخلة للغراب وقوص أعمر والناس فيها أكثر وكان فقط بر باموكل بهاروحاني في صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا حكى أنها رثت بهامرا ومعدن الزمرز في البر المتصل بأسوان وكان له ديوان فيه شهود وكاب وينفق على العمال به وتسال لهم المون لحفره واستخراج الزمرز منه وهو في جبال مرملة يحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فهاوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل إلى القسطاط ومنه يحمل إلى البلاد وقد كان الناس يسرون من قوص إلى معدن الزمرز في ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت البحاه تنزل حوله وقر يامنه لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الأخذ على شرف النيل في بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى اقوشندة وليس هنالك من الجبال أعلى منها وهو في منقطع من البر لا عمارة عنده ولا حوله ولا قري يامنه والماء عنه مسيرة نصف يوم أو أزيد وهو ما يتحصل من المطر ويعرف بغدير عين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته وهذا المعدن في صدر مفازة طويلة في تجرأ يضر يستخرج منه الزمرز وهذا الحجر الأبيض ثلاثة أنواع أحدها يقال له طلق كافورى والثاني يقال له طلق فضى والثالث يقال له حجر جروى ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرز وهو كالغريق فيه وأنواعه الرياني وهو أقل من القليل لا يخرج إلا في النادر وإذا استخراج ألقى في الزيت الحار ثم يحط في قطن ويصير ذلك القطن في خرخام أو نحوها وكان الاحتراز على هذا المعدن كثيرا جدا ويفتش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك فيختلسون منه بصناعات لهم في ذلك ولم ينزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرز إلى أن ابطل العمل منه الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زنبورى في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سنة بضع وستين وسبعمائة * وفي سنة اثنين وسبعين وخمسمائة كانت قننة كبيرة بمدينة فقط سبها أن داعيا من بنى عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبابكر بن أيوب على جيش فقط من أهل فقط نحو ثلاثة آلاف وصالهم على شجرها ظاهرا فقط بعماعهم وطيا لستهم

* (ذكر مدينة دندرة) *

هي إحدى مدن الصعيد الأعلى القديمة بناها فقطريم بن مصر ايم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام وكان فيها برابغة فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل يوم من كوة حتى تأتي على آخرها ثم تكثر راجعة إلى حيث بدأت وكانت روحانيتها الموكلة بها تظهر في هيئة انسان له رأس أسد بقرنين وكان بها أيضا شجرة تعرف بشجرة العباس متوسطة وأوراقها خضر مستديرة إذا قال الانسان عندها يا شجرة العباس جاءك العباس تجتمع أوراقها وتحزن لوقتها ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص برید واحد وكانت بر بادندرة أعظم من بر بالخييم

* (ذكر الواحات الداخلة) *

الواحات منقطة وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها من قبل
السلطان وال واما يحكم عليها من قبل مقطوعها * وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة
والجبلية بعضها داخل ببعض وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر الى سواء وأرضها شديدة وزاجية
وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخلد وعيون مختلفة الطعم من الحامض والقابض والمالح ولكل
نوع منها خاصية ومنفعة وهي على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة جملتها أربع واحات ويقال ان الواحات
ولدوا حويل بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وان آخر سببان كوش أبو الحبش وأبو شيبان كوش أبو زغاوة
وأبو شغبان بن كوش أبو الحبش المرم * قال ابن وصيف شاه ويقال ان فطر يسمي المدائن الداخلة وعمل فيها
بجائب منها الماء القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين اي صيادة الطير اذا مر عليها
الطير سقط فيها ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر اذا قرب الاسد
أو الحيات أو غيرها من الاشياء المضرة من تلك المدينة صقر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على
أربعة ابواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب الا التي عليه النوم والسبات فينام
عندها ولا يبرح حتى يأتيه اهل المدينة وينفخون في وجهه ليقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال نائما عند الاصنام
حتى يهلك وعمل منار الطيفاء من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعمل على رأس المنار صورة صنم من أخلاط
كثيرة وفي يده كالقوس كأنه يرمى عنها فان عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى ينحسره اهل المدينة وكان
ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الآن وان الناس تحاموا
تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والنجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين انسان عليه فلا يزال
قائما حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنه وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل في بعض المدائن
الداخلة امرأة يرى فيها جميع ما يسأل الانسان عنه وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها
بجائب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها ما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها أو يعمل قربان
أو تلك الروحانيين فيصل اليها حينئذ ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر وبني الملك صا بن الساد
وقيل صا بن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف وذلك لان حياز كلها
وعمل بجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفي المهملين وأغل الشر من كان يصحب الساد بن مرقونس
وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على غربي النيل منابر يوقد
عليها اذا حز بهم امر أو قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء اليه ونظر في نجومه وكان بها حظا
فراى أن بلده لا بد أن تغرق بالطوفان من نيلها ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل
فاعل بمصر وبني في الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحكم
والاموال وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني امية لما قدم من المغرب فلما دخل مصر أخذ
على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها
حصن وأبواب من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا صعد اليها الرجال وعلوا الحصن وأشرفوا على المدينة
ألقوا أنفسهم فيها فلما أعياه أمر هامض وهلك من أصحابه عدة قال وفي تلك الصحارى كانت منتزعات القوم
ومدنهم العجيبة وكنوزهم الا أن الرمال غلبت عليها ولم يبق ملك الا وقد عمل للرمال طلسمات دفعه ففسدت
طلسماتها القدم الزمان قال ولا ينبغي لاحد أن ينكر كثرة بنيانهم ولا مدائنهم ولا مناصبوه من الاعلام العظام
فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان آثارهم لبينة مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما في صحارى الشرق
والجبال المنخوة التي جعلوا كنوزهم فيها والودية المنخوة ومثل ما بالصيد من البرابي وما نقشوه عليها من
حكمهم فلونعاطى جميع ملوك الارض أن يبنوا مثل الهرم من ما تباهيهم وكذلك أن ينقشوا بالطلال بهم الامد
ولم يمكنهم * وحكى عن قوم من البسائين في ضياع الغرب أن عاملا عندهم عنف بهم فقرروا في صحراء الغرب
ومعهم زاد الى أن تنصلح أحوالهم ويرجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا الى سفح جبل فوجدوا
عيرا أهليا قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فأتته الى مساكن وأشجار ونخل ومياه تطارد قوم هنالك

يرعون ولهم مساكن وكلهم وأعجب بهم فجاء الى أصحابه وقدم بهم على أولئك القوم فسألوهم عن حالهم
فأخبروهم وأقاموا عندهم حتى صلت أحوالهم وخرجوا ليأتوا بأهاليهم ومواسيهم ويقيموا عندهم فساروا
مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأقن لهم العود فأسفوا على ما فاتهم * وضل آخرون عن الطريق في الغرب
فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس والمواشي والنخل والشجر فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا في
طاحونة فسكروا من الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من حتر الشمس فاذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد
نخافوا وخرجوا وظلوا يومهم سائرين الى المساء فظهرت لهم مدينة أكبر من الاولى وأعمروا كثيرا هلا
وشجرا ومواسي فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الاولى فعملوا يحبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى ولاية
لبعض أهل المدينة فأكوا وشربوا وعنوا بهم حتى سكروا فلما كان من الغد اتهم واذا هم في مدينة عظيمة ليس
فيها أحد وحولها نخيل قد تساقط ثمره وتكدس نخر جواوهم يجدون ريح الشراب ومبادئ الخمار فساروا يوما
الى المساء واذا راع يرعى عما فسألوه عن الطريق فدلهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا مدينة الاشمونين
بالصعيد قال وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجحان ومنها ما سترته عن العيون فلا ينظر اليها
أحد وقال ان البودسير بن قنطريم بن قبطيم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام في أيامه بنيت بصحراء الغرب
منابر ومنزهات وحول اليها جماعة من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنا فيها حتى صارت أرض الغرب
عامرة كلها وأقامت على ذلك مدة كثيرة فخالفهم البربر ونكحوا منهم ثم تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت
فيها تلك الجهات وبادت الا بقية منازل تسمى الواحات

* (ذكر مدينة سنترية) *

ومدينة سنترية من جملة الواحات بناها سناقيوش بنى مدينة الخيم كان أحد ملوك القبط القدماء قال ابن
وصيف شاه وكان في حرم أبيه وحنكته تعظم في أعين أهل مصر وهو أقول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة
انفسهم فيه وأقول من عمل المارستان لعلاج المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الاطباء وأجرى
عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على ذلك وصنع لنفسه عيدا فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملوك
في يوم من السنة فيأكلون ويشربون سبعة أيام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب
وألبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والازجاج والذهب وفي أيامه بنيت
سنترية في صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفي كل حائط باب في وسطه شارع الى حائط محاذ
له وجعل في كل شارع مئنة ويسرة أبوابا تنتهي طرفاتها الى داخل المدينة وفي وسط المدينة ملعب يدور به من
كل ناحية سبع درج وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفي وسطه منار من رخام عليه
صنم من صوان أسود يدور مع الشمس بدورانها وبسائر نواحي القبة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة
فكان الملوك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية
رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤساء الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمجتمون والاطباء وأرباب
العلوم وعلى الخامسة اصحاب العمارات وعلى السادسة اصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف
منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم لا تلحقوهم وهذا ضرب من التأديب وقتلته امرأته بسكين
فمات وكان ملكه ستين سنة وسنترية الآن بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون سنيوة ولغتهم
تعرف بالسنيوية تقرب من لغة زنانية وبها حداث نخيل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الآن
نحو العشرين عينا تسيح ماء عذب ومساقفها من الاسكندرية أحد عشر يوما ومن جيزة مصر أربعة عشر يوما
وهي قرية يصيب أهلها الجحى كثيرا وثمرها غاية في الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفراد منهم
وتسمع الناس بها عزيف الجن

* (ذكر الواحات الخارجة) *

بناها أحد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قنطريم بن قبطيم بن مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح عليه
السلام قال ابن وصيف شاه وأراد البودسير أن يسير مغربا لينظر الى ما هنالك فوقع على أرض واسعة متفرقة

بالمياه والعيون كثيرة العشب فبنى فيها منابر ومنزهات وأقام فيها جاسعة من اهل بيته فعمروا تلك الدواحي
وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عمارة كلها وأقامت كذلك مدة كثيرة وحاطهم البربر فنكح بعضهم من بعض
ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض فكانت بينهم حروب فغرب ذلك البلد وبادأهله الابقية منازل تسمى
الواحات * وقال المسعودي * وأما بلاد الواحات فهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب وأرض
الاحابش من النوبة وغيرهم وبها أرض شبيهة وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات
في وقتنا هذا هو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواتة الا انه من وائي المذهب
ويركب في آلاف من الناس خيلا ونجيا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة ايام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا
من العمر هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره
ولا يفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزيت والعناب * وحدثني وكيل ابني الشيخ المعز حسام الدين عمرو
ابن محمد بن زكي الشهرزوري أنه سمع ببلاد الواحات أن فيها شجرة نارنج تقطف منها في سنة واحدة أربعة عشر
ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ما هو أخضر فلم أصدق ذلك لغرابته وقت حتى شاهدت الشجرة
المذكورة فاذا هي كأعظم ما يكون من شجر الجيز بمصر واكبر وسأت مستوي في البلد عنها فأحضر الى جرائد
حسب باناته وتصفحها حتى أوقفني على أن منها في سنة كذا قطف من النارنج الفلانية أربعة عشر ألف حبة
نارنج مستوية صفراء سوى ما بقي عليها من الاخضر وسوى ما تناثر منها وهو صغير * وبالواحات الشب
الايض بواد تجاه مدينة ادفو كان في زمن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر وفي زمن ابنه الصالح
نجم الدين ايوب علي مقطعي الواحات حمل ألف قنطار شب ايض في كل سنة الى القاهرة ويطلق لهم في نظير
ذلك جوا الى الواحات ثم أهمل هذا فبطل * وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة سار ملك النوبة في جيش عظيم الى
الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسرها كثيرا

* (ذكر مدينة قوص) *

اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في أيام ملك من ملوك القبط الاول يقال له
سدان بن عديم بن البودسير بن قفطريم قيل سميت باسم قوص بن قفط بن أنخيم بن سيف بن أشمن بن مصر قال
ابن وصيف شاه سدان بن عديم هو الذي بنى الاهرام الدهشورية من الحجارة التي قطعت في زمان أبيه وعمل
مصاحف النهر نجات وهيكل أرممت وعمل في المدائن الداخلة من أنصا هيكلًا وأقام فيه في اتريب وهيكلًا
في شرقي الاسكندرية وبنى في الجانب الشرقي مدائن وفي ايامه بنيت قوص العالية وأسكن فيها قوما من اهل
الحكمة وأهل الصناعات وكانت الحبش والسودان قد عاثوا في بلده فأخرج اهلهم ابنه متقاوش في جيش عظيم
فقتل منهم وسبي واستعباد الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم واقتطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك
السبي يعملون فيه ويحملون الذهب اليه وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية
من الذئاب والكلاب الالهية وعمل من العجائب والطلسمات لكل قنقن ما لا يحصى كثرة * وقال الادفوي في
تاريخ الصعيد وقوص بجانب قفط حكى بعض المؤرخين انها شمرت في العمارة وشمرت قفط في الخراب من
سنة اربع مائة قيل انه حضر مرة قاضي قوص فخرج من اسوان اربعمائة راكب بغله الى لقائه * وفي شهر
رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة احضر الى الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص فأخذ منها
فلس فاذا على أحد وجهيه صورة ملك واقف وفي يده اليمنى ميزان وفي اليسرى سيف وعلى الوجه الآخر رأس
فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة وبدائر الفلس كتابته فقرأها رهاب يوناني فكان تاريخه الى وقت قراءته
ألفين وثلاثمائة سنة وفيه انا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن اطاع والسيف في يساري لمن عصي
وفي الوجه الآخر انا غليات الملك اذني مفتوحة لسماع المظلوم وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي وقوص
كثيرة العقارب والسام أبرص وبها صنف من العقارب القاتلات حتى انه كان يقال بها اكلة العقرب لانه كان
لا يرحي لمن لسته حياة واجتمع بها مرة في يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا وكان
الواحد من اهلها اذا مشى في الصيف لا يخرج داره يأخذها بحدي يديه مسرجة تضئ له وبالاخرى مشك
من حديد يشك به العقارب ثم انها نلاشت بعد سنة ثمانمائة فلما كانت الحوادث والحزن مات بها سبعة عشر

ألف انسان في سنة ست وثمانمائة وكانت من العمارة بحيث انه تعطل منها في شراقي البلاد سنة ست وسبعين وسبع مائة وخمسون غلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جدا

*** (ذكر مدينة اسنا) ***

قال الادفوي وذكر أن اسنا في سنة حصل منها أربعون ألف اردب ثمان عشرة ألف اردب زبيب واسنا تشغل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل وقيل انه كان بها في وقت سبعون شاعرا

*** (ذكر مدينة ادفو) ***

ومدينة ادفو يقال بالادال المهمة ويقال أيضا بالتاء المثناة من فوق قال الادفوي أخبرني الخطيب العدل ابو بكر خطيب ادفو أن جارة طرحت ثلاثة شماريح في كل شروخ قرة واحدة وانه قلع الجارة بأصلها ووزنها ثغافت خمسة وعشرين درهما كلها بجريد هاو خشبها وذلك بأدفو ولما كان بعد سنة سبع مائة حفر صنائع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسى وعليها مثال شبكة وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني رأيتها على هذه الحالة في مدينة ادفو

*** (اهناس) ***

هي كورة من كور الصعيد يقال أن عيسى ابن مريم عليه السلام ولد بها وأن نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل بها إلى آخر أيام بني امية والذي عليه الجاهرة أن عيسى عليه السلام انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وباهناس شجر البنج

*** (ذكر مدينة البهنا) ***

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المحبرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب واذا صنع بها شيء من الستور والاكسية والثياب من الصوف او القطن فلا بد أن يكون فيها اسم المتخذة مكتوبا على ذلك مضوا جيل بعد جيل * وقبط مصر مجمعون على أن المسيح واثمه مريم كانا بالبهنسا ثم انتقلا عنهما إلى القدس * وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح واثمه وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين الربوة البهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقاوش * قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه واستخرج كتبها واكرم اهلها وبذل فيهم الجوائز وطلب الاغراب في عمل العجايب وكان كل من ملوكهم يجهد جهده في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وزر على الحجارة في نواحيهم وهو أول من عبد البقر من اهل مصر وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة تدس منه فيها فرأى في منامه صورة روحاني عظيم يقول له انه لا يخرجك من علتك الاعبادك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرين ففعل ذلك وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة وعمل له مجلسا في قصره وسقعه بقبة مذهبة فكان يخبره ويطيّب موضعه ووركل به سائسا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سترامن اهل مملكته فبرأ من علة وهو أول من عمل الجمل في علة فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك من أحب من نسائه وخدمه إلى المواضع والمنتهات وكان البقر يجزه فاذا مر بمكان نزهة أقام فيه واذا مر بمكان خراب أمر بعمارة فيقال انه نظر إلى ثور من البقر الذي يجزى بجلته أبلق حسن الشية فأمر بترفيه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلاما من ديباج فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار إليه وقد انفرد عن عبيده وخدمه والثور قائم اذا خاطبه الثور وقال له لورفهي الملك عن السير معه وجعلني في هيكل وعبدني وأمر اهل مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريد وعاونته على أمره وقويت في مملكته وأزلت عنه جميع علة فارتاع لذلك وأمر بالثور فغسل وطيّب وأدخل في هيكل وأمر بعبادته فأقام ذلك الثور بعد مدة وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل الا اطراف ورق القصب الاخضر في كل شهر مرة فاقتن الناس به

وصار ذلك أصلاً لعمادة البقر وبني مواضع كنز فيها كنوزاً وأقام عليها أعلاماً وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزاً ويقال ان هذه المدينة قائمة وأن قوماً جازوا بهامن فواحى الغرب وقد ضلوا الطريق فسمعوا بهما عزيق الجن ورأوا ضوءاً يتراءى بهما وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن ثمانية قرونه وأظلافه ويجعل في التمثال المذكور وعزفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر أحمر ويدفن في الهيكل وينصب تمثاله عليه وزحل في شرفه والشمس تنظر اليه من ثديي القمر زائد النور وينتشر على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكلوا به بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عن يمينه جرن عتيق وغرسوا في الهيكل عليه شجرة بعد ما دفنوه في الجرن الاحمر وبنيوا منارا طوله ثمانون ذراعاً على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام ثم تعود الى اللون الاول وكسوا الهيكل ألوان الثياب وشقوا نهر من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلسمات رؤسها رؤس القردة وعلى أبدان الناس كل واحد منها لدفع مضرة وجلب منفعة وأقام عند الهيكل أربعة اصنام على أربعة أبواب ودفن تحت كل صنم صنفاً من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسكنها الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النيروز بمصر وفي زمانه بنيت الهنسا وأقام بها اسطوانات وجعل فيما فوقها مجلساً من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس القت شعاعها على المدينة ويقال انه ماله معهم ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في أحد الأهرام الصغار القبلية وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال والجواهر والمجائب شيء كثير واصناف الكواكب السبعة التي يرى الدفين والحية وألف سرج ذهباً وفضة وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج وألف عقاقير لقنن الاعمال وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته * وفي سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر بالاشمونين في وادي بن جبلين فساقى مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا فثنى شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها ويقال انها من عمل سوريد باني الأهرام لتكون عتدها كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان نارى فردم هذا الوادى بعد ذلك خوفاً من تلاف الناس * يقول الشيخ الامام محمد بن احمد الغرياني حدثني علي بن حسن بن خالد الشعري ثلاث مرات لم يختلف قوله علي فيها قال حدثني رجل من فزاراة الساكنين بكورة الهنسا قال خرجت أنا ورجل رفيق لي نرتاد البلاد ونطلب الرزق في الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فتقطعنا الجبل الغربي من ناحية الهنسا وسرنا متوكئين على الله تعالى فأقننا أياماً ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب فوق عناقى واد كثير الشجر والنبات والماء والكلا ليس فيه أنيس وهو واد واسع في الطول والعرض نحو يوم في الطول ويوم في العرض كله أعين وبساتين نخيل وزيتون كثير الابل والمعز والذئب والضبع به كثير والابل به متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آتية به وليس بالوادى لرائح ولا غاد من الناس قال فأخبرني أنهما أقاما بالوادى نحواً من شهرين او ثلاثة وانهما رأيا في وسط الوادى مدينة حصينة منيعة عالية السور شاذخة القصور فاذا تقربا من سورها سمعا نجيحاً عظيماً وأصواتاً مهولة مخوفة ورأيا دخاناً يرتفع الى جوف السماء حتى يغطي سور المدينة وجميع ما فيها وان تلك الابل الوحشية عدت على رواحلها الانسية فاذنوا وقتلتها فتحييل عند ذلك الرجلان الفزاريان بجيول وقتل احبلاً وأشراً كاشباً كما من ليف النخل وقيد تلك الابل الوحشية وقتلوا خوصاً وضفراً قفاً فامن الخوص لرادهما وملاهما تراً وزلا من تلك الابل الوحشية مكان رواحلها عوضاً عن اوركباها متوجهين نحو الشرق وجلا معهم من الجريد أعنى جريد النخل ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها ويجعلان ذلك أمارات لمروهما اليها فكانا كلمراً على شرف جعل عليه جريدتين علماً حتى وصلا الى الجبل الغربي من مصر فزلا الى الهنسا فعرفا قومهما وتحملاً بأهاليهما فلما علوا سطح الجبل الغربي وجدوا كل ما فرقه من جريد النخل على رؤس الآكام مجتمعة في مكان واحد في أعلى الجبل فرجعاً عند ذلك لاهاليهما ومن معهم الى أرض الهنسا وهذا ما حدثني به والله أعلم

قوله واصناف الكواكب
الخ هكذا في النسخ التي
بيدي ولا تخلو العبارة عن
تحريف فاحش لا يفهم معه
الكلام فليست أم

* (ذكر مدينة الاشمونين) *

كانت من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء اشمون بن مصر بن يصير بن حام بن نوح عليه السلام * وقال

ابن وصيف شاه كان اشمون اعدل ولداً بيه وأرغهم في صنعة تبي ويبقى ذكرها وهو الذي بنى المجالس المصنعة
بالزجاج الملقون وسط النيل وتقول القبط انه بنى سرباً تحت الارض من الاشمونين الى انصنا تحت النيل وقيل انه
حفره وعمله لبنائه لانهم كثر يمشون الى هيكل الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف
بالزجاج النخيل الملقون وقيل ان اشمون كان اطول اخوته ملكاً وقال اهل الاثر انه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد
انزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد فاقبلوا الى الدثيمة من طريق
البحر الى وادي القري فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع وسلط الله عليهم الذرفاء حكمهم وعاد ملك مصر الى
اشمون ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكان الغريب اذا جاء ليدخل المدينة صاحت الاوزة
وصفقت بجناحها فيعلم به فان أحبوا منعوه وان أحبوا تركوه وكثرت الحيات في وقته فكانوا يصيدونها
ويعملون من لحومها أدوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادي الحيات في جبال لوبية ومراعية فسيجنوها
هناك * وقال في كتاب هرودوتس ان اشمون بن قبط اول ملوك المصريين وانه كان في زمان شاروخ بن راغوبن فالغ
ابن عابر بن شالخ بن ارغخش بن سام بن نوح وان سنى الدنيا صارت الى زمان شاروخ ألفين وتسعمائة وخمس
سنتين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة وبها كانت فرهة الخيل والبغال والحمير وكان
يعمل بها فرش القرمز الذي يشبه الارمني وكان ينزل بأرض الاشمونين عدة بطون من بني جعفر بن أبي
طالب رضي الله عنه وكانوا بادية اصحاب شوكة وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان حلفاء لهم
ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون انهم من بني امية
صلبية وكان معهم أيضاً حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ينزلون أرض دجلة عند اشمون

• (ذكر مدينة اخميم) •

ضبطها البكري بكسر الهمزة واسكان الخاء ثم ميم وياء وميم على بناء افعيل وهي في الجانب الشرقي من
النيل والذي بناها مناقبوش أحد ملوك القبط الاول * قال ابن وصيف شاه كان جلدًا محتكًا فاستأنف
العمارة وبني القري ونصب الاعلام وجعل الحكم ومصاحف الملوك والحكام وعمل الجباب وبني لنفسه مدينة
انفرد بها وعمل عليها حصناً ونصب عليه أربعة اعلام في كل ركن من أركانه علم وبين تلك الاعلام عمالون صغار من
نحاس وأخلاق في أيديهم السلاح وزبر على صدرها آياتها وكان ينفذ رجل من اولاد الكهنة من اعلم الناس
بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حذقوا علم غيرهم فأمر الملك أن يبنى له
مدينة ويحول اليها وهي اخميم فحكمهم مناقبوش نيفاً وأربعين سنة ومات فدفن في الهرم المحاذي لاطفيح ومعه
شيء كثير من المال والجواهر والآنية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذي هلك فيه قال وذكر اهل اخميم أن
رجلاً أتى من الشرق وكان يلزم البريا ويأتى اليه كل يوم بخور وخلق فيخبر ويطيّب صورة في عضادة الباب
فيجد تحتها ديناراً فيأخذه وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل ما لا
يخرج عن البلد * وكانت برية اخميم من أعجب البرايا وأعظمها قد بنيت لخزن برهم فانهم قضوا على اهل مصر
بالطوفان قبل وقته بقرون لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نار تحرق ما على جميع وجه الارض وقال
آخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البرايا قبل الطوفان وكان في هذه البرايا صور الملوك الذين يملكون مصر
وكانت مبنية بحجر المرمر وطول كل حجر منها خمسة اذرع في سمك ذراعين وهي سبعة دهايل يسوقها حجارة
طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعاً في عرض خمسة اذرع مدهونة بالالازورد وغيره من الاصباغ التي يحسبها
الناظر كأنها فرغ الدهان منها الا نخلتها وكان كل دهلين منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة
وبعد ان هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهياكل والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيمياء والسياسة
والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك أودعها تلك الصور * وذكر ابن جبير في رحلته أن طول
هذه البرايا مائتان وعشرون ذراعاً وسعتها مائة وسبعون ذراعاً وأنها قائمة على أربعين سارية سوى الحيطان دور
كل سارية خمسون شبراً وبين كل ساريتين ثلاثون شبراً ورؤسها في نهاية العظم كلها منقوشة من أسفلها الى أعلاها
ومن رأس كل سارية الى الاخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها ما ذكره ستة وخمسون شبراً طولاً في عرض
عشرة اشبار وارتفاع ثمانية اشبار وسطحها من ألواح الحجارة كأنها فرش واحد فيه التصاوير البديعة

والاصبغة الغريبة كهيئة الطيور والادميين وغير ذلك في داخلها وخارجها وعرض حائط البريا ثمانية عشر
شبرامن حجارة مرصوة كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسائة ويقال ان ذالنون عرف منها
علم الكيمياء وما زالت هذه البريا قائمة الى سنة ثمانين وسبع مائة فخر بها رجل من اهل الخميم يعرف بالخطيب
كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين على ونال منها ما لا فطن لطل حيانته ومات ومن حينئذ ثلاثي امر الخميم الى ان
خربت وقد ذكر جماعة ان بريا الخميم كانت في هيئة غلام امرد عريان وان قوما دخلوها مرة فبعضهم واخذ
يضربهم ضربا وجيعا حتى خرجوا هارين وحكي مثل ذلك عن دخل الاهرام ايضا * وقد حكى ان رجلا ألصق
على صورة من بريا الخميم شمعة فكان اذا تركها في موضع التيجات العقارب اليها واذا وضع الشمعة في تابوت
اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في بريا الخميم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى
الهواء وفي جبهته وحواليه كتابة وله احليل ظاهرا ملتصق بالحائط وكان يذكر ان من احتال حتى ينقب
على ذلك الاحليل حتى يخرج منه غير ان ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال منعظا الى ان ينزعه ويجامع
ما أحب ولا يفتر مادام معلقا عليه وان بعض من ولي الخميم اقتلعه فوجد منه شيئا عجيبا من ذلك وكانت
الانطاع تجلب من الخميم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر ألف عريف على التهجرة وكان بها شجر البنيخ
ويقال ان الذي بنى بريا الخميم اسمه دومريا وانه جعل هذه البريا مثلا للامم الاتية بعده وكتب فيها التواريخ الامم
والاجيال ومفاخرهم التي يفخرون بها وصور فيها الانبياء والحكام وكتب فيها من ياتي من الملوكة الى آخر الدهر
وكان بناؤه اياها والنسر برأس الحمل والنسر يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة قات والنسر في زماننا سحر
باب برج الجدي فيكون على ذلك لهذه البريا منذ بنيت نحو الثلاثين ألف سنة * وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب ان هذه البريا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة ابواب يفضى كل باب
الى بيت له أربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الى بيوت كالغرف على قدرها

* (ذكر مدينة العقاب) *

قال المسعودي مدينة العقاب غربي اهرام ابو صير بالحيزة على مسيرة خمسة ايام بلياليه للراكب المجتهد وقد عور
طريقها وعي المسالك اليها والسمت الذي يؤدى نحوها وفيها عجائب البنيان والجواهر والاموال * وقال ابن
وصيف شاه وكان الوليد بن دؤمق العمليقي قد خرج في جيش كشف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار
بالشام وجه غلامه يقال له عون فسار الى مصر وقتلها ثم سار قبلقاه عون ودخل مصر فاستباح اهلها ثم سار
له ان يقف على مصب النيل فخرج في جيش كشف واستخلف عون على مصر واقام في غيبته أربعين سنة وان
عونا بعد سبع سنين من مسيره بجبر وادعى انه الملك وانكر ان يكون غلام الوليد وانما هو أخوه وغلب بالسحر
وسبي الحرائر فمال الناس اليه ولم يدع امرأة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبها
وهو مع ذلك بكرم الكهنة ويعظم الهياكل فاتفق انه رأى الوليد في منامه وهو يقول له من امرك ان تسمى باسم
الملك وقد علمت انه من فعل ذلك استحق القتل ونكحت بنات الملوك واخذت الاموال بغير واجب ثم امر بقدر
مائة زيتا واهيت حتى غلت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فأتاه عقاب فاخطفه وحلق به في الحق وجعله في هوة على
رأس جبل فسقط الى واد فيه حمأة منتنة فانتبه مرعوبا وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخلصك منه بان تعمل
عقابا وتعبده فانه الذي خلصك في نومك فقال أشهد لقد قال لي اعرف في هذا المقام ولا تنسه فعمل عقابا من
ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجواهر وعمل له هيكل لطيفا وأرعى عليه ستور الحرير وأقبلوا على
تخيره وقربانه حتى نطق لهم فأقبل عون على عبادته ودعا الناس الى ذلك فأجابوه ثم أمر بجمع له كل صانع بمصر
وأخرج اصحابه الى صحراء الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل اليها من مواضع صعبة وجبال
وعرة بحيث تقرب من مغيض الماء التي هي اليوم الفيوم وكانت مغيضا للماء النيل حتى اصلحها يوسف عليه السلام
ليجري الماء منها الى المدينة فخرجوا واقاموا نهرا يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس
ولا أحد له بصيرة بالبناء وقطع الصخور ونحتها الواجه اليها وأنفذ ألف رجل من الجيش وسبع مائة ساحر
لمعاونتهم وانفذ معهم الآلات والازواد على المجل وطريق هذه المجل الى الفيوم في صحراء الغرب واضحة
من خلف الاهرام فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة خطوا المدينة فرسخين في مثلهما وحفروا في

الوسط يتراجعوا فيها شمال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيرا واطخوا التمال بدمه في وجهه وبخروه بشئ من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه ومارته وجعلوا في اذنيه من مراته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماذه في قبة من نحاس بين يدي التمال ونقشوه بآيات زحل ثم شقوا في البئر من الجهات الاربع في كل جهة سربا الى حيطان المدينة وعملوا على أفواهها منافس تجذب الهواء وسدوا البئر وعقدوا فيها قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من ابواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب ووجوهها تتجه الى ابواب وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود فوقه حجر أحمر عليه حجر أصفر من فوقه حجر أخضر وفوق الجميع حجر ابيض يشف وكلاهما مبنية بالرصاص المصبوب بين الحجارة وفي قلوبها اعمدة من حديد على بناء الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين وعلى رأس كل باب حصن بأعلاه عقاب كبير من صفر وأخلاق قد نشر جناحيه وهو أجوف وعلى كل ركن فارس بيده حربة ووجهه الى خارج المدينة وساق الماء الى الباب الشرقي يتخدر في صبه الى الباب الغربي ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي وقرب للعقاب عقبان ذكورا واجتلب الرياح الى أفواه التماثيل فصارت يسمع لها اصوات هائلة ووكل كل منها ارواحا تمتنع الداخل اليها الآن يكون من اهلها ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة اركان على كل ركن وجه شيطان وجعلها على عمود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم في كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل الى المدينة الاموال والجواهر التي بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الفضة والعقاقير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا يحتل اهل صناعة بسواهم وعمل بهار بضالا أصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار قناطر يمشي عليها الداخل الى المدينة وجعل الماء يدور حول الرض ونصب عليها أعلاما وحرسا ثم غرس وراء ذلك مما يتصل بالبرية النخل والكرم وجميع اصناف الشجر على أقسام مقسومة ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة كل ذلك خوفا من الوليد * قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة ايام وكان يقيم فيها ويخرج اليها ثم يعود الى منف وكان لها أربعة اعياد في السنة وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمان قلبه الى أن وافى اليه كتاب الوليد من النوبة يأمره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في البر والبحر بما أراد وحول اهل ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبراء الى المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع ما فعله عون فغضب وهم أن يبعث اليه جيشا فعترف بخبر المدينة ومنعتها وخبر السحرة فكاتب اليه أن يقدم عليه ويحذره عاقبة الخلف فأجابته ما على الملك من مؤنة ولا تعرض ولا عيب في بلده لاني عبده وأتاله رده في هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب ولا اقدر على المسير اليه لخوفي منه فليقرني الملك بجالي كأحد عماله وأوجه اليه ما يلزم من خراج وهدايا وبعث اليه بأموال جارية وجوهر نفيس فكف عنه وأقام الوليد بمصر حتى مات

* (ذكر مدينة الفيوم) *

اعلم أن موضع الفيوم كان مغيب ماء النيل فلما ولي السيد يوسف الصديق عليه السلام تدبير أمور مصر عمرها * قال ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف والقبط تسميه نهر اوش جلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا متمكنا فوعده بالجميل وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفتق المال في الخاص والعام وملك على البلد رجلا من اهل بيته يقال له أطفين وهو الذي يسميه اهل الاثر العزيز فأمر أن ينصب له في قصر الملك سرير من فضة يجلس عليه ويغدو فيه ويروح الى باب الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فكفى نهر اوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذته فانغمس نهر اوش في لهوه ولم يتطرق في عمل ولا ظهر للناس حينما والبلد عامر وهو لا يسأل عن شئ وعمل له مجالس من زجاج ملون وحولها ماء فيه أسماك مقرطة وبلور ملون فكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعملت له عدة منزهات على عدد ايام السنة فكان كل يوم في موضع منها وعمل له في كل موضع من الاثنية والفرش ما ليس لغيره فاقبل بملوك

النواحي تشاغله بلدته وتدبيراً طفين فصار ملك من العماليق يقال له ابو قابوس عاكر بن ينحوم الى مصر ونزل على
خدودها فجهاز اليه العزيز جيشاً عليه قائد يقال له بريانس فأقام يحاربها ثلاث سنين فظفر به العمليق وقتله
وهدم الاعلام والمصانع وقوى طمعه في البلد فاجتمع الناس الى قصر الملك واستغاثوا بفرج اليهم وعرض
جيشه وخرج في ستمائة ألف مقاتل سوى الاتباع فالتقوا من وراء الخوف وكان بينهما قتال شديد فانهمزم
العمليق وتبعه نهراوش الى حد الشام وقتل خلقاً من اصحابه وأفسد زروعهم وأشجارهم وحرق وصلب
ونصب أعلاماً على الاماكن التي وصلها وزبر عليها الى من تجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل
وضرب على اهل الشام خراجاً وبني عند العريش مدينة لطيفة وشحن بالرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع
الاعمال جنوداً واستعد لغزو ذلك الغرب وخرج في سبع مائة ألف فخر بأرض البربر واجلى كثير منهم وجهز قائداً
في السفن من ناحية رقودة الى جزائريين يافت فعات فيها وخرج من ناحية أرض البربر فقتل وصالح بعضهم على
مال حاله اليه ومضى الى افريقية وقرطاجنة فصالحوه على مال ومز حتى بلغ مصب البحر الاخضر الى بحر الروم
وهو موضع اصنام النحاس فأقام هناك صتما زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه وضرب على اهل تلك النواحي
الخراج وعادى الى الارض الكبيرة وسار الى الاندلس فخاربه ملكها اياماً ثم صالحه على مال وأن يمنع من يغزو
مصر من ناحيته وانصرف على غير البحر مشرفاً في بلاد البربر فلم يمر بأمة الا ودخلت في طاعته ومز في الجنوب
فقتل خلقاً وبعث قائداً الى مدينة على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكر له حال الريان ومصالحة الملوك له
فقال ما بلغنا أحد قط وسأله القائد عن البحر هل ركب احد قط فقال ما يقدر أحد على ركوبه وربما اظله غمام
فلا يرى اياماً وقدم الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكهة اكثرها الموز وجبارة سوداء اذا جعلت في الماء صارت
بيضاء ثم سار الملك على اعم السودان الى ملكة الدمدم الذين ياكلون الناس فخرجوا اليه عراة فهزمهم
وظفر بهم ومز على البحر المظلم فغشيهم منه غمام فترجع شمالاً حتى انتهى الى شمال من حجر أحمري حتى بيده ارجعوا
وعلى صدره مزبور ما وراءى أحد فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادي المظلم فكانوا
يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحد الشدة ظلمته وسار الى وادي الرمل فرأى على معبره أصناماً عليها اسماء
الملوك فأقام عليه صتما زبر عليه اسمه فلأبى الرمل جاز عليه الى الخراب المتصل بالبحر الاسود فرأى سباعاً
يزرب بعضها على بعض فخكم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعادى وادى الرمل ومز بأرض العقارب فهلك
بعض اصحابه ودفعوا عن انفسهم أذاها بالرقى وجازها الى مدينة الحكماء وتعرف بمدينة الكند ففرقوا منه الى
جبل فأقام عليه اياماً حتى كاد يهلك جيشه عطشا فنزل اليه من الجبل رجل من أفاضل الحكماء وقد لبس
شعره جسده فقال للملك اين تريد أيها المغرور الممدود في الاجل الممزق فوق الكفاية أنعمت نفسك وجيشك
ألا اجترأت بما تملكه واتكملت على خالقت وريجت الراحة وتركت العناء والغرر بهذا الخلق ففجج من قوله وسأله
عن الماء فذله عليه وسأله عن موضعهم فقال موضع لا يصل اليه أحد ولا يبلغه قبلك أحد فقال ما عيشك قال
من اصول النبات تنفع به ويكفيها البسير قال فن ابن تشربون قال من الامطار والثلوج قال فلم هربتم منا قال
زهادة في مخالطتكم والافليس لنا ما نخافكم عليه قال فكيف بكم اذا اجبت الشمس قال نأوى الى غيران تحت
هذا الجبل قال فهل لكم في مال اخلقه لكم قال انما يريد المال اهل الترف ونحن لانستعمل منه شيئاً استغنينا
عنه بما قد اكتفينا به وعندنا منه ما لورأيت لا حتمرت ما عندك قال فأرنيه فانطلق بنفر من اصحابه الى أرض
في سفح جبلهم فيها قضبان ذهب نائمة وأراهم واديا لهم في حاقبه حجارة زبرجد وفيروز فأمر نهراوش اصحابه
أن يحملوا من كبار تلك الحجارة ففعلوا ورأى الحكماء جماعة الملك يصلون الى صتم يحملونه معهم فسأل الملك
أن لا يقيم بأرضهم وخوفه من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يمر بأمة الا اترفها حتى بلغ النوبة فصالحهم على
مال وأقام على دقله صتما وزبر عليه اسمه ومسيره وسار يريد مدينة منف فكان اهل كل مدينة من مدائن مصر
يتلقونه بالفرح والسرور والياحين والطيب الى أن بلغ منف فخرج اهلها اليه مع العزيز بأصناف الياحين
والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلساً من زجاج ملون وفرشه بأحسن فرش وغرس حوله الاشجار والياحين
وجعل فيه بحيرة من زجاج سماوى وفي أرضه شبه السمك من زجاج أيضاً فقتل الملك فيه وأقام الناس
ياكلون ويشربون اياماً كثيرة وتنفق جيشه ففقد منهم سبعين ألفاً ووجد فيهم من اسره منف وخسعين ألفاً فكانت

مدّة غيبته عن مصر في مسيره هذا احدى عشرة سنة فلما بلغ الملوک قدومه هابوه واشتدّ بأسه وتجبر وبنى في
 الجانب الشرقی قصورا من رخام ونصب عليها أعلاما وأمر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضي
 حتى زاد الخراج على مائة ألف ألف دينار ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته
 وباعوه وكانت قوافل الشام تعبر بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام ونودي عليه وهو * يوسف الصديق
 ابن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم وسلامه فاشتراه اطفين لبيديه الى الملك فلما أتى به قصره
 رآته امرأته زليخا وهي ابنة عمه فقالت اترك لنا نريه لينفعنا وكان من أمرها ما قصه الله تعالى في القرآن فكانت
 تكتم حبه حتى غلبت نفلت به وتزيت له وعرفته أنها تحبه وأنه ان واتاها على ما تريده منه حبه بما لعظيم فامتنع
 من ذلك ورأت أن تغلبه فإزالته تعاركة وهو ممتنع منها الى أن وافى زوجها ورأه وهو هارب منها وكان العزيز
 عينيا لا يأبى النساء فجعل يوسف يعمد راليه وقالت انى كنت نائمة فأتاني يراودني عن نفسي وتبين من شاهد
 أهلها أن الامر من قبل امرأته فقال ليوسف أعرض عن هذا اى عن اعتذارك وقال لها استغفري لذنبك
 وقد كان خيرا اطفين والغلام بلغ الملك وكان نهر اوش عاود العكوف على اللهو والاحتجاب عن الناس واتصل
 خبر زليخا ويوسف بنساء الخاصة فغيرن ما بذلك فدعت جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشربا وعلمت مجلسين
 مذهبين وفرشتهما بديباج أصفر مذهب وأرخت عليهما ستورا لالديباج وأمرت المواصلتين يوسف واخراجه
 من المجلس الذى يحاذى المجلس الذى كانت مع النسوة فيه وكان المجلس محاذيا للشمس فأخذته المواصلتين
 ونظمن شعره بأصناف الجواهر وألبسنه ثوب ديباج أصفر قد نسج يدارات حجر مذهب فيها اطيار صغار
 خضر مطن بيطانة خضراء ومن تحته غلالة حراء وعلى رأسه تاج قد نظم بالدرّ والجوهر وأخرجن من تحت
 التاج أطراف شعره على جبهته ورددن ذوائبه على صدره وجعلن جبهته مكشوفة والتاج محيط بها وفى
 اذنيه قرطى جوهر ومن خلف طوق القباء شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب والجوهر وفى عنقه
 طوق منظوم بذهب مشدّد بجوهر أحمر ودرّ فاخر وفى وسطه منطقة ذهب فيها لوالب جوهر ملون ولها
 معاليق منظومة وألبسنه خفين أبيضين منقوشين بأخضر على نقوش ذهب وجعلن للقباء الذى عليه وشاحين
 وافرارور محيط بأسفله وكبسه من جوهر أخضر وعقرن صدغيه على خديه وكحلن عينيه ودفعن اليه مذبة
 شعرها أخضر فلما فرغ النساء من طعامهن وشربن أقفا حاقدمت اليهن سكاكين قبضهن من جوهر ليقطعن بها
 الفاكهة فيقال انهن اخذن اترجاوهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغنى حديثك فى امرى مع عبدى فقلن لها
 الامر كما بلغك لانك اعلی قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن اولاد الملوک لحسنك وشرفك فكيف ترضين بغلامك
 فقالت لم يلبثكن الصدق ولا هو عندي بهذا وأومأت الى المواصلتين أن يخرجن يوسف فرفعن الستور عن
 المجلس الذى يحاذى مجلسها وبرزته يوسف محاذيا بوجهه الشمس فأشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف
 وأقبل بالمذبة وهن يرمقنه فوقف على رأس زليخا يذب عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقطعن ايديهن موضع
 الفاكهة التى كانت معهن ولا يعين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن يوسف فقالت لهن زليخا ما لكن
 قد اشتغلتن عن خطابتى بالنظر الى عبدى فقلن معاذ الله ما هذا عبدك ان هذا الاملك كريم ولم يبق منهن امرأة
 الا حاضت وأنزلت شهوة من محبته فقالت زليخا عند ذلك فهذا الذى لمتنى فيه فقلن ما ينبغي لاحد أن يلومك
 فى هذا ومن لامك فقد ظلمك فدونك قالت قد فعلت فأبى على نفاطبه لى فكانت كل واحدة منهن تحاطبه
 وتدعوه سرا الى نفسها وتبتذل له وهو يمتنع عليها فاذا لبست منه أن يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا
 وقالت مولاتك تحبكن وأنت تكثرها ما ينبغي أن تخافها فقالت ما لى بذلك حاجة فلما رأين ذلك اجعلن على
 أخذه غصبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لا يمنعنه اللذات ولا سجنه وأنتزع جميع ما اعطيته
 فقال يوسف رب السجن أحب الى مما يدعونى اليه فأقسمت باللهها وكان صغارا من زبرجد أخضر باسم عطار
 انه ان لم يفعل لتعجلن له ذلك ثم أمرت بنزع ثيابه وألبسته الصوف وسألت العزيز حبسه ايزول ما قد فها به فأمر
 به فحبس ورأى الملك فى منامه كان آتيا ثاء فقال له ان فلانا وفلانا قد عزم على قتلك يريد صاحب طعامه
 وشرا به فلما أصبح قرّرهما فاعترفاه وقيل اعترف أحدهما وانكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم صاحب
 الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان يوسف عليه السلام وهو فى السجن رؤفا بن فيه ويعدهم

الفرج فأخبره صاحبها طعام الملك وشربه برؤياهما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه يوسف ورأى الملك
البقرات والسنابل فعرّفه الساقى خبر يوسف فضى اليه وقصها عليه فلما عاد الى الملك قال جئوني به فقال
يوسف ما أخرج أوبكشاف أمر النسوة اللاتي من اجلهن حبست فكشف عن ذلك فاعترفت زليخا بالقصة
ووجه اليه فأخرج وغسل من درن السجن وألبس ما يليق بالدخول على الملوك فلما رآه امتلأ قلبه من حبه
واكباره وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك قال اناخلع عليه خلع
الملوك وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الجيش معه وتردد الى قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه
الملك على ملكه مكانه * ويقال ان العزيز اطفين كان قد مات فزوجه امرأته وقال لها يوسف هذا اصلي مما أردت
فقات اعذرني ان زوجي كان عنيينا ولم ترك امرأته الا صبا قبلها الملك من حسنك وجاءت سنو خصب في مصر
فجمع يوسف الغلال وخرنها وأكثرتها فلما جاءت سنو الجذب بدأ النيل في النقصان وكان ينقص كل سنة اكثر
من التي قبلها فقطط البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب والياب والآتية والعقار وكاد أهل مصر
يرحلون عنها ولا تدبر يوسف وخط الشام أيضا وكان من مجيء اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى أبيه
فحمل الى مصر وجميع اهله وخرج في وجوه اهل مصر فلقاه وأدخله على الملك وكان يعقوب مهابا فأعظمه
الملك وسأله عن سنه وصناعته وعبادته فقال سني عشرون ومائة سنة وأما صناعتي فلما غنم ترى نافع بها
وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني وهو اله آتاني واله كل شيء وكان في مجلس الملك كأهـن جليل
القدر فقال للملك اني انا ان يكون خراب مصر على يد ولد هذا فقال له الملك فأتني لانا خبره فقال الكاهن
ليعقوب أرفى الهك ايها الشيخ قال الهى اعظم من أن يرى قال فانا نرى آلهتنا قال ان آلهتكم من ذهب وفضة
وججارة وجوهر وثحاس وخشب مما يعمل به بنو آدم وهم عبيد الهى لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهن
ان كل شيء لا تراه العيون ليس بشيء فغضب يعقوب وكذبه وقال ان الله شيء لا كالأشياء وهو خالق كل شيء
لا اله الا هو قال فصفه لنا قال انما يوسف الخلق لكنه خالق واحد قديم مدبر أراني يرى ولا يرى وقام يعقوب
مغضبا فأجلسه الملك وأمر الكاهن فكشف عنه فقال الكاهن انا نجد في كتبنا أن خراب مصر يجري على
أيدي هؤلاء فقال الملك هذا يكون في ايامنا قال لا ولا الى مدة كثيرة والصواب أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته
أحدا فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا أن ندفعه ولا نقدر على قتل هؤلاء وأنزل يعقوب ومن معه
بوادي السدير الى أن مات فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهر اوش الملك آمن وكنتم
ايامه خوفا من فساد أمره وأقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف الفيوم فان اهل مصر كانوا
وشوابه الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفعه فاخبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابنتي وكانت مغايب للماء
فدبرها لها فعملها يوسف واحتمل للمياه حتى اخرجها وقلع اوحالها وساق المنهى وبني اللاهون وجعل الماء
فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهر أربعة فمحبوا من حكمته * ويقال انه أول من هندس بمصر ومات
نهر اوش خلف ابنه درجوش وسيمته اهل الاردارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم خالف سنة أبيه
وكان يوسف خليفته فقبل منه بعضا وخافه في البعض فمات يوسف في ايامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وجعل
في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فأخصب ونقص الشرق فحول اليه فأخصب ونقص الغربي
فاتفقوا على أن يجعلوه في الشرق عاما وفي الغربي عاما ثم حدث لهم من الرأي أن يجعلوا له حلقا وثاقا ويشدوا
التابوت في وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما * وقال ابن عبد الحكم فلكهم الريان بن الوليد بن دوميح
وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى الملك رؤياه التي رأى وعبرها يوسف أرسل اليه الملك
فأخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما فأناه الرسول فقال ألق عنك ثياب السجن واللبس ثيابا
جدا و اقم الى الملك فدعاه اهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أتاه رأى غلاما حادنا فقال أيعلم هذا
رؤياي ولا تعلمها السكرة والكهنة وأقعدته قدماه وقال له لا تخف قال فلما استنطقه وسأله عظم في عينيه
وجعل اليه امره فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف باه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة
مزينة كدابة الملك وضرب بالطميل بمصر ان يوسف خليفة الملك * وعن عكرمة أن فرعون قال ليوسف
قد سلطنتك على مصر غير أني أريد أن أجعل كرسي أطول من كرسيك بأربع اصابع قال يوسف نعم وأجلسه

على السرير ودخل الملك بيته مع نسائه وقوض امر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك يوسف مصر
 * وعن الليث بن سعد قال حدثني مشيخة لنا قالوا اشتد الجوع على اهل مصر فاشترى الطعام بالذهب حتى
 لم يجدوا ذهباً فاشترى بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشترى بأغنامهم حتى لم يجدوا غنماً فلم يزل يبيعهم الطعام حتى
 لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة في تلك السنين فأتوه في الثالثة فقالوا لم يبق لنا الا انفسنا واهلونا
 وأرضونا فاشترى يوسف ارضهم كلها فرعون ثم أعطاهم يوسف طعاماً ما يزرعون به على أن فرعون الخمس ويقال
 في خبر بناء يوسف عليه السلام مدينة الفيوم أنه لما وزر فرعون ثلاثين سنة عزله فقال لم عزلتني فقال لم عزلك
 لريبتك ولا انسى بركتك ولكن أباعى عهد والى أن لا يتولى لنا وزيراً أكثر من ثلاثين سنة وانا نخشى أن يتأصل
 الوزير حتى يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت بصحبي لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكاً لك فأقطعني ارضاً
 تكون لقوتي وقوت اهلي وعشيرتي فقال له فرعون اختر حيث شئت فشتي يوسف في قفار الارض حتى رأى
 ارض الفيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها يركبه النيل فخرق خرقي في ذلك
 الجبل وساق الماء فيه الى الفيوم فسقى الارض وعمل في جوانب الماء ثلثمائة وستين قرية على عدد ايام السنة
 وشحنها بالغلال والاوقات التي ازدرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه في
 قرية من قرى الفيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها الملك ففطم شأن يوسف وكثر ماله فردّه الملك بعد مدة الى
 وزارته وتوفى وهو وزير فأوصى بخروجه جثته الى الارض المقدسة فخرج بها هارون بن ابراهيم بن يوسف في
 مائة ألف من بني اسرائيل فنهضته الجسارة فيا بين مصر والشام وهلك اكثر من معه وعاد بمن بقي معه الى مصر
 فأقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام الى فرعون رسولا فخرج بني اسرائيل من مصر ومعه
 جثة يوسف عليه السلام وفي ذلك الزمان استنبطت الفيوم وقيل كان سبب ذلك أن يوسف عليه السلام لما ملك
 مصر وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنه مائة سنة قال وزراء الملك له ان يوسف قلّ علمه وتغير عقله ونفدت
 حكمته فغفهم فرعون ورد عليهم مقالتهم وأساء اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال لهم
 هلموا ما شئتم من اى شئ أختبر به وكان بلد الفيوم يومئذ يجرى الجوبة وانما كانت لمصالة ماء المعيد وفضوله
 فاجتمع رأيهم على أن تكون هي الخمة التي يتكئون بها يوسف فقالوا لفرعون سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة
 عنهم ويخرجهم منها فتردد ابلدا الى بلدك وخرجا الى خارجك فدعا يوسف فقال تعلم مكان ابنتي فلانة متى وقد رأيت
 اذا بلغت أن أطلب لها بلدا وانى لم اصب لها الا الجوبة وذلك انه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه الا من
 غابة او صحراء وكذلك ليست هي تؤتى من ناحية من النواحي من مصر الا من مفازة وصحراء فالفيوم وسط
 مصر كمثل مصر في وسط البلاد لان مصر لا تؤتى من ناحية من النواحي الا من صحراء أو مفازة قال وقد اقتطعتا
 اياها فلا تترك وجهها ولا نظرا الا بقلته فقال يوسف نعم ايها الملك متى أردت ذلك فابعث الى فاني ان شاء
 الله فاعل ذلك قال ان احبه الى وأرفعه اجعله فأوحى الى يوسف أن تحفر ثلاثة خلج خليجا من اعلى الصعيد من
 موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى
 موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهى من أعلى اشمون الى اللاهون وأمر البنائين أن يحفروا
 اللاهون وحفر خليج الفيوم وهو الخليج الشرقى وحفر خليج بقرية يقال لها بنهت من قرى الفيوم وهو
 الخليج الغربى فخرج ماؤه من الخليج الشرقى فصب في النيل وخرج من الخليج الغربى فصب في صحراء بنهت
 الى الغرب فلم يبق في الجوبة ماء ثم أدخلها الفعلة فقطع ما كان فيهما من القصب والطرفاء وأخرجهم منها وكان ذلك
 ابتداء بحرى النيل وقد صارت ارض الجوبة قيمة بركة وارتفع ماء النيل فدخل في رأس المنهى فخرى فيه حتى
 انتهى الى اللاهون فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فاسقاها فصارت بحة من النيل وخرج اليها الملك ووزرائه
 وكان هذا كله في سبعين يوما فلما نظر اليها الملك قال لوزرائه اولئك هذا عمل الف يوم فسميت الفيوم وأقامت
 تزرع كما تزرع غواطم مصر قال وقد سمعت في استخراج الفيوم غير هذا أن يوسف عليه السلام ملك مصر وهو
 ابن ثلاثين فأقام يدبرها أربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر يوسف واختلف رأيه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك
 من الموات أرضاً تقطعها لنفسك وتصلحها وتعمل رأيك فيها فان رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم انك في
 زيادة من عقلك رد ذلك الى ملكك فاعترض البرية في نواحي مصر فاختار موضع الفيوم فأعطىها فشق اليها خليج

المنهى من النيل حتى ادخله الفيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله في سنة * قال يزيد بن ابي حبيب وبلغنا انه انما
 عمل ذلك بالوحى وقوى على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فنظروا فاذا الذى احياه يوسف من الفيوم لا يعلمون له
 بمصر كلها مثلاً ولا نظيراً فقاموا ما كان يوسف قط افضل عقلاً ولا رأياً ولا تدبيراً منه اليوم فردوا اليه الملك فأقام
 ستين سنة اخرى تمام مائة سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك
 وانه انما كان ذلك على الخنة منهم له فقال للملك عندي من الحكمة والتدبير غير ما رأيت فقال له الملك وماذا لك
 قال أنزل الفيوم من كل كورة من كورة مصر أهل بيت وأمر أهل كل بيت أن يذروا انفسهم قرية وكانت قرى
 الفيوم على عدد كورة مصر فاذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما اصير لها من الارض
 لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص وأصير لكل قرية شرباً في زمان لا ينالهم الماء الا فيه واصير مطاطاً للمرتفع
 ومبرقاً للمطاطى بأوقات من الساعات في الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه ولا يزداد
 فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السماء قال نعم فبدأ يوسف فأمر بينان القرى وحدد لها حدوداً
 وكانت اول قرية عمرت بالفيوم قرية يقال لها سانه وهى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون ثم أمر بحفر الخليلج
 وبينان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الماء ومن يومئذ حدثت الهندسة ولم يكن
 الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من قاس النيل بمصر يوسف ووضع مقياساً بنفسه * قال جامع وفي التوراة
 ان فرعون أكرم بنى اسرائيل البناء وضرب اللبن فبنوا له عدة مدن محصنة منها افيثوم وعمرسيس قال الشارح هى
 الفيوم وحوف رمسيس وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون
 نفساً ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس الى الفرما وهى أرض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا
 من مصر أرسل يهودا الى يوسف فخرج اليه يوسف فلقبه فالتزمه وبكى فلما دخل يعقوب على فرعون كله
 وكان يعقوب شيخاً كبيراً حليماً حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون ايها الشيخ كم اتى عليك
 قال عشرون ومائة وكان به من ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في كتبه
 واخبر أن خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البريات وصفات من تخرب مصر على يديه
 فلما رأى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما سأله عنه أن قال من تعبد ايها الشيخ قال له يعقوب اعبد الله اله
 كل شئ فقال فكيف تعبد من لا ترى قال يعقوب انه أعظم وأجل من أن يراه أحد قال فحقن نرى آلهتنا قال
 يعقوب ان آلهتكم من عمل ايدي بنى آدم من يموت ويلى وان الهى لا عظم وارفع وهو أقرب الينا من جبل الوريد
 فنظر به من الى فرعون فقال هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه قال فرعون فى ايامنا او فى ايام غيرنا قال
 ليس فى ايامك ولا ايام بنيتك قال الملك فهل تجد هذا فيما قضى به الهكم قال نعم قال فكيف تقدر أن تعبد من يريد
 الهه هلاك قومه على يديه فلا يعبد بهذا الكلام * وعن كعب أن يعقوب عاش فى ارض مصر ست عشرة
 سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفننى بمصر فاذا مت فاحملونى فادفنونى فى مغارة جبل جبرون وجبرون
 مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً قال فلما مات لظوه بئر وصبر وجعلوه
 فى تابوت من ساج فكانوا يفعلون به ذلك اربعين يوماً حتى كمل يوسف فرعون فأعلمه أن أباه قد مات وانه سأله
 أن يقبره فى ارض كنعان فأذن له وخرج معه أشرف اهل مصر حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر
 فأقام بها نحواً من ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس وأوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان بن الوليد
 فلكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفي زمانه توفى يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون
 من ارض مصر الى ارض آباءكم فاحملوا عظامى معكم فأت جملوه فى تابوت ودفنوه فى احد جانبي النيل
 فأخصب الجانب الذى كان فيه وأجذب الجانب الآخر فحولوه الى الجانب الآخر فأخصب الجانب الذى
 حولوه اليه وأجذب الجانب الآخر فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صندوق من حديد وجعلوا فيه سلسلة
 وأقاموا عموداً على شاطئ النيل وجعلوا فى اصله سكة من حديد وجعلوا السلسلة فى السكة وألقوا الصندوق
 فى وسط النيل فأخصب الجانبان جميعاً * وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام أن سارة ابنة أسر بن
 يعقوب عمرت حتى صارت عجوزاً كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام بنى اسرائيل غشيتهم
 ضبابية طالت بينهم وبين الطريق أن يصبروه وقيل لموسى ان تعبر الا ومعك عظام يوسف قال ومن يدري أين

موضعها قالوا يجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع موسى فلما سمعت حسه قالت ما ردك قال
أمرت أن احمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا الا وأنا معكم قال دليلى على عظام يوسف فدلته عليها فأخذ
عظام يوسف معه الى التيه * (يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم) * خليل الرحمن صلوات الله عليهم أحد
الاسباط الاثنى عشر ولد بأرض كنعان من بلاد الشام وراى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين
وعمره سبع عشرة سنة وكأخوته على ذلك وباعوه من قوم مدينين فصاروا به الى مصر وباعوه لقائد فرعون
فأقام في منزله اثني عشر شهرا ثم راوده امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى أن حبس ومكث في
السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى أن رأى الساقى والخباز ذنك المنامين وفسر لهما يوسف
وخرجا فأنسى الساقى يوسف سنيتين الى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره وأناه فقص عليه الرؤيا
وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ ثلاثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت الى أن صار يعقوب الى
مصر تسع سنين منها سبع سنين من سنى الشيع وسنتين من سنى الجوع وكان ليعقوب في السنة التي
صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان اهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ سار الى مصر الى أن ولد
موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة اخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفي وعمره مائة وسبع
وأربعون سنة فخاف الاسباط حينئذ مقابلة يوسف اياهم فقالوا ان أبناك اوصى أن تغفر ذنب اخوتك فانك
وهم عبيد الله اله آيين فبكى يوسف وقال لهم لا تتحاجون الى ذلك ووعدهم بخير ثم مات يوسف وله مائة
سنة وعشر سنين والله أعلم

* (ذكر ما قيل في الفيوم وخليجها وضياعها) *

قال اليعقوبى كان يقال في متقدم الايام مصر والفيوم بحلالة الفيوم وكثرة عمارتها وبها القمع الموصوف
وبها يعمل الخيش * وكي المسعودى أن معنى الفيوم الفيوم * قال القاضي الفيوم وهي مدينة دبرها
يوسف النبي عليه السلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضيعة تدير كل ضيعة منها مصري يوما واحدا فكانت تدير
مصر السنة وكانت تروى من اثني عشر ذراعا ولا يستجر ما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم
مجرى ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنفذة وبني به اللاهون * وقال ابن رضوان الفيوم
يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلى يغزلون النيل وطعمه واكثر
ما تحسن هذه الحالة في البحيرة التي تكون في أيام القبط سقط ونهيا وصاعدا الى ما يلي الفيوم وهذه حالة تريد في
رداة اهل المدينة يعنى مصر ولا سيما اذا هبت ريح الجنوب فان الفيوم في جنوب مدينة مصر على مسافة
بعيدة من أرضها وقال القاضي السعيد ابو الحسن على بن القاضي المؤتمن بقية الدولة ابي عمرو عثمان بن
يوسف القرشى الخزرجى في كتاب المنهاج في علم الخراج وهذه الاعمال من أحسن الاشياء تدبيرا وأوسعها
أرضا وأجودها قطرا وانما غلب على بعضها الخراب لظلمة هامة أهلها واستيلاء الرمل على كثير من أرضها
وقد وقعت على دستور عمه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحاق اذ كر خليجان الاعمال المدفورة
وما عليها من الضياع وقد أوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما تغيرت اسماءه ومنه ما جهلت مواضعه
بالدثور ولكن أوردته ليعلم منه حال العامر الآن ويستقصى به من له رغبة في عمارة ما يقدر عليه من الغامر
وفي اراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع ونسخته * (دستور) * على ما اوضحه الكشف من حال الخليج
الامهات بمدينة الفيوم وماله من المواضع وشرب كل ضيعة منها ورسمها في السد والفتح والتعديل والتحرير
وزمان ذلك عمل في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بتدبير بعون الله وحسن توفيقه بذكر
حال البحر الاعظم الذي منه هذه الخليج فندكر ما دته التي صلاحه بصلاحها * (خليج الفيوم الاعظم) * يصل
الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهى ذى الحجر اليوسفى وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف
بكرسى الساحرة من أعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع الاشمونية والقيسية والاهناسية وعلى
جانبه ضياع كثيرة شربها منه وشرب كروم ماله كروم منها قال * (الحجر اليوسفى) * والحجر اليوسفى
جد ارمبى بالطوب والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبنائه من جهة الشمال الى
الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بناءه على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره

ميلان منه في نهايته وطوله مائة ذراع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعاً منه من جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم من الجنوب وفائدة بناء الجدار الاعظم رد الماء اذا انتهى الى حدود اثني عشرة ذراعاً الى مدينة الفيوم وطول ما يتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض من حدود هذا الميل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعاً وبعد ما بين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراعاً وعشرة أذرع ومقدار المنخفض منه أربعة أذرع وهذا المنخفض هو الذي يستبحر من حشيش يسمى لبشا وعرض ما يجري عليه الماء وهو موضع اللبش وما يقابله الى جهة الشرق أربعون ذراعاً وعليه مسك اللبش الثاني ويتصل بهذا الميل الى جهة الشمال ما طوله ثلثمائة واثمان وسبعون ذراعاً ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يمر على استقامته الى البحر بمضى بالجسر طوله على استقامته الى جهة الشرق مائة ذراعاً ثم ينخفض أيضاً من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله عشرين ذراعاً وقد ران المنخفض منه ذراعاً وهذا المنخفض أيضاً يستبحر حشيش يسمى الكبد وطول بقية الجدار الى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعاً وقبالة هذا بطوله منه مبلط وفيه قناطر مبنية بالجحر كانت قديماً ترذ الماء الى الفيوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم وكان عليها أبواب وعدتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذراع الجدار الاعظم من نهايته سبع مائة واثني وسبعين ذراعاً بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب الى الشرق ويعبر هذا الجدار الاعظم من كلتا جهتيه جميعاً حتى يتصل بالجبل فتوجد آثاره في القيز مرورا على غير استقامة وعرضه مختلف وكلما انتهى الى سطحه قل عرضه وعرض أعلاه مع الظاهر من اسفله جميعاً ستة عشر ذراعاً وفيه منافس يخرج منها الماء وهي براخ زجاج ملونة بشبه المينا وأزرق وسليمانى وهو من العجائب الحسنة في عظم البناء واتقانه لانه من الابنية اللاحقة ببنارة الاسكندرية وبناء الاهرام فن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام الى هذه الغاية وما تغير عن مستقره ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان الى مدينة الفيوم من خليجها الاعظم ما بين أرض الضيعة المعروفة بدمنة واللاهون ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما مسجوماً ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقروان قصر النيل عن الصعود الى سوادها سقطت منه على أعناق البقر وزرعت وينتهي في الخليج الاعظم الى خليج يعرف بخليج الاواسى وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا تعديل وينتهي الى الضيعة المعروفة ببياض فيلاً بركها وغيرهما من البرك وللبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها لغايته ومقدار شرب ما عليه وينتهي الى الضيعة المعروفة بالواسية الكبرى فمنه شرب ما من مقسمين لها وبرهما باب ومنه يشرب نخلاها وشجرها وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء ثم ينتهي الى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطينة منها مقسم لها ومقسم لبقالات عدة والمقسم الثالث يسقى أحداً حيا النخل وبهذا الحى سواق وبساتين قد خربت وجيز دائر به وكان بها بيوت في اقبية النخل ثم ينتهي الى حى ثان على صفة الاول ثم ينتهي الى الضيعة المعروفة بالجوبة فيلاً بركها وينتهي الى ثلاثة مقاسم في صف وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع ثم ينتهي الماء من هذا الخليج الى البطس وهو نهايته وعلى الخليج الاعظم بعد هذا أبانيز شرب ما منه من افواهها مسجوماً فاذا انضب ماء النيل نصب على افواهها برسم صيد السمك شباك ثم ينتهي الخليج الاعظم على عنة من يريد الفيوم الى خليج يعرف * (بخليج سمسطوس) * منه شرب سمسطوس وغيرها وأبانيز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه ومن قبله وهي ما بين هذا الخليج وخليج الاواسى ثم ينتهي الخليج الاعظم ايضا الى * (خليج ذهالة) * ومنه شرب عدة ضياع وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهي الخليج الاعظم الى ثلاث خلج ثم ينتهي الى * (خليج بنطاوة) * وبهذا الخليج ثلاثة أبواب قدمية يوسفية سعة كل باب منها ذراعان بذراع العمل ويمر فيه الماء وينتهي أيضاً الى بابين يوسفين ورسم هذا الخليج أن يسده هو وسائر المطاطية على استقبال عشر تحلو من هاتور الى سلخه ويفتح على استقبال كيهك الى عشر تبق منه ثم يسد الى عشر تحلو من طوبة ثم يفتح ليلة الغيطاس الى سلخ طوبة ثم يسد على استقبال أمشير الى عشرة تبق منه ثم يفتح لعشر تبق منه الى عشر تحلو من برمهات ثم يفتح الى عشر تحلو من برمودة ثم يعدل في موضعه وقد خرب ما على بحريه من الضياع ويشرب منه عدة ضياع وهذا الخليج مغيض معمول تحت الجبل بقبو يخرج منه الماء في زمان تكاثره ثم ينتهي الخليج الاعظم الى * (خليج دله) * وهو من المطاطية وحكمه في السد والفتح والتعديل والتحسين كما تقدم وهو

على يسرة من يريد المدينة وله بابان يوسفیان مبنیان بالجرسعة كل منهما ذراعان وربيع ومنه شرب عدة ضياع
 أمهات وغيرها وفي وسطه مفيض لزمان الاستبحار يفتح فيفيض الماء الى البركة العظمى وفي أقصى هذه البركة
 أيضا مفيض له أبواب يقال انها كانت من حديد فاذا زادت فتحت الابواب فيفيض الماء الى الغرب وقيل انه
 يمر الى سسترية وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البقر وينتهي الخليج الاعظم الى
 * (خليج الجنونة) * سمي بذلك لعظم ما يصير اليه من الماء وحكمه في السد وغيره على ما ذكر ومنه شرب
 ضياع كثيرة وبه تدارطوا حين واليه تصير مصالات مياه الضياع القبلية والى بركة في أقصى مدينة القيوم تجاور
 الجبل المعروف بأبي قطران ويلقى ما ينصب من مصالات الضياع البحرية فيها وهي البركة العظمى ثم ينتهي الخليج
 الاعظم الى * (خليج تلاله) * وله بابان يوسفیان مبنیان بالجرسعة كل منهما ذراعان وثلاث ذراع وليس
 فيه رسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا تحجير الا في تقصير النيل فانه يحجز بحشيش ومنه شرب طوائف المدينة وعدة
 أراض وضياء وفيه فوهة خليج البطش الذي اليه مفاضل المياه وفيه ابواب تسد حتى يصعد الماء الى أراض
 مرتفعة بقدر معلوم واذا حدث بالسد حدث بفسده كانت النفقة عليه من الضياع التي تشرب منه بقدر
 استحقاقها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلبان من جانيه في قبله وبحره ثم ينتهي الى * (خليج صموه) * وهو على
 يمينه من يريد مدينة القيوم وهو من المطاطة وله بابان يوسفیان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم
 ما تقدم ومنه شرب طوائف كثيرة وعدة ضياع وينتهي الى اربعة مقاسم بأبواب والى خلبان تسقى ضياعا
 كثيرة منها * (خليج بدود) * فيه عين حلوة فاذا سدت هذا الخليج سقى منها أراضى ما جاورها وظهرت هذه العين
 لما عدم الماء وحفر هذا الموضع لي عمل بئر اظهرت منه هذه العين فاكثرت بها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلبان
 بها شاذروانات ومقاسم قديمة يوسفية وبها أبواب يوسفية بها رسوم في السد والفتح يشرب منها ضياع كثيرة
 ورسم الترع أن يسد جميعها على استقبال عشرة ايام تخلو من هاتورا الى سلخه وتفتح على استقبال كملة مدة
 عشرين يوما وتسد لعشر تبقى منه الى الغطاس وتفتح يوم الغطاس الى سلخ طوبة وتسد على استقبال امشير
 عشرين يوما ثم تفتح لعشر تبقى منه الى عشرين من برمهات وتفتح عشرة ايام تخلو من برهودة ثم تعدل فيهم
 بعمارتهما ولهم في التعديل قسم تعطى منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت أسماء
 الضياع التي ذكرها الخراب اكثرها الآن والله أعلم

*** (ذكر فتح القيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق) ***

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جارا خيلا الى القرى التي حولها فأتت القيوم
 سنة لا يعلم المسلمون مكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو ومعه ربيعة بن حبيش بن عرفة الصديقي
 فلما سلكوا في الجبال لم يروا شيئا فهموا بالانصراف فقالوا لا تجاؤا سيروا فان كان قد كذب فأقدركم على
 ما اردتم فلم يسيرا الا قليلا حتى طلع لهم سواد القيوم فبهجوا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال
 ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصديقي وهو صاحب الاشقر على فرسه ينقض الجاية ولا علم له بما خلفه من
 القيوم فلما رأى سوادها رجع الى عمرو فأخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى
 الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس فرائ على عمرو وخبره فقال ربيعة بن حبيش كفيت
 فركب فرسه فأجاز عليه البحر وكانت اثني فأتاه بالخبر ويقال انه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى الى القيوم
 وكان يقال افرسه الاعمى والله أعلم * وقال ابن الكندي في كتاب فضائل مصر ومنها كورة القيوم
 وهي ثلثمائة وستون قرية دبرت على عدد ايام السنة لا تنقص عن الرى فان قصر النيل في سنة من السنين
 مار بدمصر كل يوم قرية وليس في الدنيا ما ينبت بالوحى غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنف منسه ولا اخصب
 ولا اكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ولو فائسنا بأنهارا القيوم أنهارا البصرة ودمشق لكان لتلك الفضل ولقد عدت
 جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق القيوم وخبرها فاذا هي لا تحصى فتركون ذلك وعدوا ما فيها من المباح
 مما ليس عليه ملك لاحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوى والضعيف فاذا هو فوق السبعين صنفا *
 وقال ابن زولاق في كتاب الدلائل على امراء مصر للكندي وعفدت لكافور الاخشيدي القيوم في هذه
 السنة يعني سنة ست وخمسين وثلثمائة ستمائة ألف دينار وبنفا وعشرين ألف دينار * وقال القاضي الفاضل

في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقلت ان القيوم بلغت في سنة خمس وعشرين وخمسمائة مبلغ مائة ألف
واثنين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير وقال البكري والقيوم معروف هنالك بغل في كل يوم ألفي
مئقال ذهباً

* (مدينة التحريرية)

كانت أرضاً مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جملتهم شمس الدين سنقر السعدى فأخذ قطعة من أراضى
زراعتها وجعلها اصطبلًا لدوابه وخيله فشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور قلاوون فسأله عن ذلك فقال
اريد أن أجعله جامعاً لقيام فيه الخطبة فأذن له السلطان في ذلك فابتدأ عمارته في اخريات سنة ثلاث وعشرين
وسمائه حتى كل في سنة خمس وعشرين فعمل له السلطان منبراً واقبت به الجمعة واستمرت الى يومنا هذا وانشأ
السعدى حوانيت حول الجامع فلم تزل يده حتى مات وورثها ابنه عز الدين خليل وركن الدين عمر فباعها
بعد مدة للامير شيخو العمري فجعلها عمارته على الخانكاه والجامع اللذين انشأهما بخط صليبة جامع ابن
طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مدائن اراضى
مصر بحيث بلغت احوال القرايين فيها وترقى سنقر السعدى في الخدم حتى صار من
الامراء وولى نقيب المماليك السلطانية وانشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حجرة البقر في بابين
قلعة الجبل وبركة الفيل في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبني أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة في العمارة فمحبها
للازراعة كثير المال ظاهر الغنى ثم انه اخرج الى طرابلس وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

* (ذكر تاريخ الخليفة)

اعلم انه لما كانت الحوادث لا بد من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين ازمنة الحوادث الا بالتاريخ
المستعمل العام الذى لا ينكره الجماعة واكثرها وذلك أن التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم
يلا ذكره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصانه انما يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط
وكذلك خارج اراضى مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضى انما يعتمدون في اوقاتها أيام
الاشهر القبطية عادة وسلمكوا فيها سبيل اسلافهم واقتفوا منها هجرا قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر أسراء
العوايد احتيج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليفة لتعيين موقع تاريخ القبط منها فان ذلك
يتم الغرض فأقول التاريخ عبارة عن يوم نسب اليه ما يأتى بعده ويقال أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة
نعم من اول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات المحدودة ولا غنى عن التاريخ في جميع الاحوال الديونية
والامور الدينية ولكل امة من امم البشر تاريخ يحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة أزمتهاتها تنفرد به دون
غيرها من بقية الامم وأول الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى
والمجوس في كنيسته وسباق التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله في التواريخ وكل ما يتعلق معرفته ببدء الخلق
وأحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد وعجز المعنى به عن حفظه وقد قال الله
سبحانه وتعالى ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى أن
لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرفة تبدل أو خبر يتقله
النقات واذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وأسألوا عنك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا
في كتاب واقدّم بين يدي هذا القول ما قيل في مدة بقاء الدنيا

* (ذكر ما قيل في مدة أيام الدنيا ما مضى وباقها)

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة فقال قوم من القدماء الاول بالا كوار والادوار وهم
الدهرية وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألفوف من السنين معدودة وهم في ذلك
غالطون من جهة طول أدوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قوم من الهند والفرس قد عملوا أدوار النجوم ليصحوا
بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم وانه كلام مضى

ذلك العدد عادت الاشياء الى حالها الاول وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل ابي معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيئا ما وذلك انك اذا طلبت عددا مستترا بغيره اعداد معلومة فانك تقدر ان تضع لكل زيج ايام معلومة كالذي وضعه الهند والفرس فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال في هذه الادوار ظنوا انها عدد ايام العالم فتقطن ترشد وعنده هؤلاء ان الدور هو اخذ الكواكب من نقطة وهي سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وان الكور هو استئناف الكواكب في ادوارها سيرا آخر الى ان تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة ان الادوار منحصرة في انواع خمسة * الاول ادوار الكواكب السيارة في افلاكها دائرية * الثاني ادوار مركز افلاك التدوير في افلاكها الحاملة * الثالث ادوار افلاكها الحاملة في ذلك البروج * الرابع ادوار الكواكب الثابتة في ذلك البروج * الخامس ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الادوار ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقي الادوار يكون في أزمنة اخر أطول من هذه لاجابة بنا في هذه المسألة الى ذكرها قالوا ادوار الكواكب الثابتة في ذلك البروج تكون في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنقل اوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبها راتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال في الزمان والمكان والاشخاص والامور بحيث لا يتخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون في كيفية ماضى من ايام العالم وما بقي فقال البراهمة من الهند في ذلك قولاً غريباً وهو ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب القانون المسعودي انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له ابراهيم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوماً زمان النهار منها بقدر مدة دوران الافلاك والكواكب لا تارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في قول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة شمسية وهو زمان اثني عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم الكلية و زمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من تارة الكون والفساد ثم يثور في مبدأ اليوم الثاني بالحركة والتكون فيكون زمان اليوم بيلته من سني الناس ثمانية آلاف ألف سنة وستمائة ألف سنة وأربعين ألف سنة فاذا مضى بنا ذلك في ثلثمائة وستين تلخ سنو ايام السنة البرهموية ثلثة آلاف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف سنة وأربعمائة ألف سنة شمسية فاذا مضى بناها في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموي من سني الناس ثلثمائة ألف ألف سنة وأحد عشر ألف ألف سنة وأربعين ألف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ما شاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سمو كل أربع عشرة قطعة منها نوباً وسموا الخمس عشرة قطعة الباقية فصولاً وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصوراً بين نوبتين وقد مواز زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة و زمان الفصل هو خمس الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين ألف سنة وخمسة آلاف ألف سنة الفصل الف سنة وسبعمائة ألف سنة وثمانية آلاف ألف سنة وستة آلاف ألف سنة سنة و زمان النوبة عندهم احد وسبعون دوراً مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرين ألف سنة وقد قسموا الدور أيضاً بأربع قطع اولها أعظمها وهي مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة ارباع الفصل ومدة ثلثها ألف ألف سنة ومائة ألف سنة وستة وتسعون ألف سنة وثالثها نصف الفصل ومدة ثلثها ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدة ثلثها أربع مائة ألف سنة واثنتان وثلاثون ألف سنة ولكل واحد من هذه القطع الاربعة اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كالحال لانهم يزعمون انهم في زمانها وان الذي مضى من عمر الملك

الطبيعي على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة اشهر وأربعة ايام ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعنى تسعة اعشاره ومضى من القطعة الرابعة أعنى من اول كل كمال الى هلاك شكل عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع اليانمن عظماء انبيائنا المتألهين برواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا أن في مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تتجدد أزمنة العوالم وتنقل من حال الى حال وأن الماضي من اول كل كمال الى شكل ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة والماضى من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة واثمان وسبعون ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضي من عمر الملك الطبيعى الى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف سنة وثلثمائة ألف سنة وخمسة عشر ألف ألف سنة وسبع مائة ألف سنة واثني وثلاثين ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسع وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضي من عمر الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايعر في ذلك قولنا أعجب من قول الهند وأعرب على ما نقلته من زيج أدوار الانوار وقد تلخص هذا القول من كتب أهل الصين وذلك أنهم جعلوا مبادئ سنينهم مبنية على ثلاثة أدوار الاول يعرف بالعشرى مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به والثاني يعرف بالدور الاثنى عشرى وهو أشهرها خصوصا في بلاد الترك يسمون سنينهم بأسماء حيوانات بلغت الخطا والايعر والثالث مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميها في الدورين جميعا وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى شانكون وجونكون وخاون ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة اوسط ومرة أصغر فيقال دور شانكون الأعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون الأصغر وبهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وأيامه وجملة مائة وعشرون سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى وانفق وقوع مبدأ الدور الأعظم في الشهر الاول من سنة ثلاث وثلاثين وسقائة ليزجر د واسمها بلغتهم كادره وبلغه العرب سنة الغار وكان دخول اول فرودين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ ترتب مبادئ سنينهم وأيامهم في الماضي والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهرا لكل شهر منها اسم وبلغه الخطا والايعر لاحاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون اليوم الاول ببليلته اثني عشر قسما كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم منها يقال له كوك ويقسمون اليوم ببليلته أيضا عشرة آلاف فنك وكل فنك منها مائة مياو فيصيب كل جاغ ثمانية وثلاثة وثلاثين فنكا وثلث فنك وكل كوك مائة وأربعة أفتال وسدس فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة ومبدأ اليوم ببليلته عندهم من نصف الليل وفي منتصف جاغ كسكو يتغير اول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان وفي منتصف النهار ينصف جاغ يوند وهم يكبسون في كل ثلاث سنين قرية شهرا واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادئ سنى الشمس في زمان واحد من سنة أخرى ويكبسون احد عشر شهرا في كل ثلاثين سنة قرية ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوما او تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم اكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادئ شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا كان وقع الاجتماع ليلا كان اول الشهر في اليوم الذي بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب ارضادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما وألفان وأربعمائة وستة وثلاثون فنكا والسنة أربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما وألفان ومائة وأربعة وعشرون فنكا وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة فاسم اول قسم من فصولها الحن واوله أبدا حيث تكون الشمس في ست عشرة درجة من

برج الدلو وهكذا أوائل كل فصل اثنا تكون في حدود اواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل الحن من اول
 الدور الستيني في السنة المذكورة احد عشر يوما وسبعة آلاف وستمائة وستين فنسكا واسم مدخله
 بي خاني وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما وبعد مدخله عن اول الدور في كل
 سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور وهو خمسة ايام وأربعة وعشرون فنسكا فان زادت الايام على
 ستين يوما كان الباقي بعد الحن في تلك السنة عن اول الدور الستيني ويتفاضل البعدي بينهما في كل سنة بقدر
 فضل سنة الشمس على سنة القمر التي هي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون
 فنسكا ومقدار الفضل بينهما عشرة ايام وعشرون ألفا وسبع مائة وأربعة وستون فنسكا فان زادت الايام
 على زمان الشهر القمري الاوسط الذي هو تسعة وعشرون يوما وخمسة آلاف وثمانمائة وستة افسانك نقص
 منها هذا العدد واحتسب بالباقي فاذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف وستمون
 الف وستمون كل وستمون عشرة آلاف سنة مضى من ذلك الى اول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزيد وهو دور شاتكون
 الاعظم ثمانية آلاف وستمون وثلاثة وستون وناوتسعة آلاف وسبع مائة وأربعون سنة فتكون
 المدة العظمى على هذا ثلاثة آلاف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وهذه الصورة
 ٣٦٠٠٠٠٠٠٠ والمضى منها الى السنة المذكورة ثمانية وثمانون ألف ألف سنة وستمائة ألف
 سنة وتسعة وثلاثون ألف سنة وسبع مائة سنة وأربعون سنة وهذه الصورة ٨٨٦٣٩٧٤٠ ولله
 غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما ذكرت طرفا من حساب سني البراهمة وطرفا من حساب
 سني الخطا والايض المستخرج من حساب الصين ليعلم المنصف أن ذلك لم يضعه حكما وهم عبثا ولا امر ما جدع
 قصير انفه وكمن جاهل بالتعالم اذا سمع اقوالهم في مدة سني العالم يبادر الى تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه
 وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجعه على الآخر والله يعلم وأنتم لا تعلمون * وقال
 أصحاب السند همد ومعه الزهر الدار الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في اول برج الحمل
 عند كل أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف الف سنة وعشرين ألف ألف سنة شمسية وهذه مدة سني
 العالم قالوا واذا جمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التي يحويها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة
 الدنيا وهذه المكونات هي المعدن والنبات والحيوان فاذا فسدت بقي العالم السفلي خرابا دهر اطويلا الى أن
 تتفرق الكواكب والاوجات والجوزهرات في بروج الفلك فاذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد فعاادت
 احوال العالم السفلي الى الامر الاول وهذا يكون عودا بعد بدء الى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب
 والاوجات والجوزهرات عدة أدوار في هذه المدة يدل كل دور منها على شيء من المكونات كما هو مذکور
 في كتبهم مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذي تقدم ذكره * وقال أصحاب
 الهازروان من قدماء الهند ان كل ثلثمائة ألف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره ويبقى مثل
 هذه المدة ثم يعود بعينه ويعقبه البديل وهكذا ابدى يكون الحلال لا الى نهاية قالوا ومضى من ايام العالم المذكورة
 الى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ومضى من الطوفان الى سنة الهجرة
 المجدية ثلاثة آلاف وسبع مائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة اشهر وأيام وبقي من سني العالم حتى يتبدى ويفنى
 مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية اولها تاريخ الهجرة الذي يؤرخ به اهل الاسلام * وقال أصحاب
 السند همد وهذا أيضا منتزع من قول البراهمة * وقال ابو معشر وابن بونخت ان بعض الفرس يرى أن عمر
 الدنيا اثنا عشر الف سنة بعدة البروج لكل برج ألف سنة فكان ابتداء أمر الدنيا في اول الف الحمل لان الحمل
 والثور والجوزاء تسمى أشرف الشرف وينسب الى الحمل الفصل وفيها تكون الشمس في شرفها وعلوها
 وطول نهارها ولذلك الدنيا كانت الى ثلاثة آلاف سنة علوية وروحانية طاهرة ولان السرطان والاسد والسنبلة
 منقصة فان الشمس تخط من علوها في اول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وأبنائها منخطا في الثلاثة آلاف
 الثانية ولان الميزان اهبط المهبوط وبئر الآبار وضد البرج الذي فيه شرف الشمس دل على انه اصابت الدنيا
 واكتسب اهلها المعصية والميزان والعقرب والقوس اذا نزلتها الشمس لم تزد الا بالخطا والايام الانقصانا

فلذلك دلت على البلايا والضيق والشدة واشترى وحيث تبلغ الآلاف الى اول الجدى الذى فيه اول ارتفاع الشمس واشراقها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب في تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يصحكون في ذلك فعلى قدر صاحب الآلاف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب في اول سلطان صاحب الآلاف فلا يزال ذلك في زيادة حتى يعود أمر الدنيا في آخرها الى مثل ما كان عليه ابتداءها وهي في ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الآلاف اشتد الزمان وكثرت البلايا لان آخر البرج في حدود النحوس وكذلك في آخر المئين والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كابتدا اول مرة وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس في ابتداء المسير فدار الفلك وبحرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحركت سائر الخلائق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشتري وفي البيت الرابع الذى هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل وكان الذنب في القوس والمريخ والجدى والزهرة وعطارد في الحوت ووسط السماء برج الحمل وفي اول دقيقة منه الشمس وكان القمر في الثور وفي بيت السعادة وكان الرأس في برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفي تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرا وشرا وانحطاطها وارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية اصحاب الآلاف وغير ذلك من احوالها ولان المشتري كان في السرطان في شرفه وزحل في الميزان في شرفه والمريخ والشمس والقمر في اشراقها دلت على كائنة جليلة فكان نشوء العالم وانبرز زحل فتولى الآلاف هو والميزان وكان المشتري في الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوءه وكان زحل هو المستولى والعالمى في الفلك والبرج طويل المطالع فطالت أعمار تلك الآلاف وقويت أبدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء اول حدوث العالم وعلى أن أهل ذلك الزمان ينظرون في عمارة الارضين وتشديد البنين ثم ولى الآلاف الثانى العقرب والمريخ وكان في الطالع المريخ فدل على القتل في ذلك الآلاف وسفك الدماء والسبي والظلم والجور والخوف والهمم والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الآلاف الثالث القوس وشاكره عطارد والزهرة بطولعهما وكان الذنب في القوس فدل المشتري على التجدة في تلك الآلاف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر في تلك الآلاف مرات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الآلاف الرابع الجدى وكان فيه المريخ فدل على ما كان في تلك الآلاف من اهراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة انبيائه والرغبة في الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك في آخرها وظهور الشر والتفرق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب في أصناف كثيرة وتحول ذلك وتلقونه وكون الجدى منحطا دل على أنه يظهر في آخر تلك الآلاف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلون الاشياء وولى الآلاف الخامس الدلو بطولع القمر وكان القمر في الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة أمرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة الجلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام في الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر في شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاية الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة في العمارة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج ما يبايدل على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير ويلى الآلاف السادس برج الحوت بطولع المشتري والرأس فيدل على المحمدة في الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصارع عطارد خاتما في برج السدنة وزعم ابن بونجحت أن من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك انوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك في ألف الجدى وتدمير الشمس ومنه

الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام بزجر
تسع سنين وثلاثمائة وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى أن قام بزجر ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون
سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة *
وزعم ابو معشر أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأن الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس
مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة
السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرها ألف الذنب وأن الاعمار طالت في تدبير
آلاف الثلاثة العلوية وقصرت في آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد
البروج الاثني عشر لكل برج ألف سنة وبعد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال
قوم عمر الدنيا احدى وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون
ألف سنة في تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفي تدبير برج الثور احدى عشر ألف سنة وفي تدبير الجوزاء
عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار في هذا الربع اطول والزمان أجدة ثم تدبير الربع الثاني مدة أربعة وعشرين
ألف سنة فمكون الاعمار دون ما كانت في الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع
الرابع ستة آلاف سنة وقال قوم كانت المدة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة
عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر
يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون ألف سنة
منحصرة في ألف جيل ولنفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلاته ان الجيل سبعون سنة ومن قوله في
الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء البشر ألف جيل فجاء من ذلك أن مدة الدنيا
سبعون ألف سنة واستظهر والقولهم هذا بما في التوراة من قوله واعلم أن الله الهك هو القادر المهيمن
الحافظ العهد والفضل لمحببيه وحافظي وصاياه لآل جيل * وذكر ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي في
كتاب اخبار الزمان عن الاوائل انهم قالوا كان في الارض ثمان وعشرون امة ذات ارواح وأيد وبطش
وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امة منفردة تعرف بها تلك الامة وينعون أن تلك الامة كانت
الكواكب النابتة تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثني عشر قسم دوا مهابا في
سلطانها فجعل للعمل اثني عشر ألف عام وللثور احدى عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان
تسعة آلاف عام وللأسد ثمانية آلاف عام وللسنبله سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب
خمس آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام وللجدى ثلاثة آلاف عام وللذئب ألف عام وللحوت ألف عام
فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلاثة وثلاثون ألف
عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع
من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء والهوام فلما كان عالم السنبله تكونت
الانسان الاقلاق وهما آدمانوس وحنوانوس وذلك تمام سبعة عشر ألف عام فخلق دواب الماء وهوام
الارض وتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلق الارض في عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض
اولا وأقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحاني ثم خلق الله تعالى هوام الماء
ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تمت أربعة وعشرون ألف عام فخلق دواب الماء وهوام
الارض وتمام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع وتمام سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين
خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهم في الارض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام منها
لرحل ستة وخمسون ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمترج ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال
ان الامة المخلوقات قبل آدم هي كانت الجبلية الاولى وهي ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر خلقت من
امزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها فتم امة خلقت طواالازرقا وذوات
اجنحة كلامهم قرعة على صفة الاسود ومنها امة أبدانهم ابدان الاسود ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور
وأذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لها وجهان وجه أمامها ووجه خلفها ولها أرجل كثيرة وكلامهم

كلام الطير ومنها امة ضعيفة في صور الكلاب لها اذنان وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها امة تشبه
 بني آدم أفواهم في صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها امة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة
 ورجل يقفزون بها قفزا ويصبحون كصباح الطير ومنها امة لها وجوه كوجوه الناس وأصلا ب كاصلا ب
 السلاحف في رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها امة مدقورة الوجوه لهم شعور بيض وأذنان كاذنان
 البقر ورؤسهم في صدورهم لهم شعور وندى وهم اناث كهت ليس فيهن ذكر يلحقن من الریح ويلدن امثالهن
 ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنها امة على خلق بني آدم سود وجوههم
 ورؤسهم كروؤس الغربان ومنها امة في خلق الهوام والحشرات الانها عظيمة الاجسام تاكل وتشرب مثل
 الانعام ومنها امة كوجوه دواب البحر لها اذنان كاذبان الخنازير واذنان طوال ويقال ان هذه الثمانية
 والعشرين امة تناحلت فصارت مائة وعشرين امة * وسئل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضى الله عنه
 هل كان في الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله
 ويقصدونه لا يفترون وكانوا يطيطون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعملون منهم خبير
 ما في السماء ثم ان طائفة منهم تزدت وعنت عن امر ربها وبغت في الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض
 وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ما سواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأظهروا في الارض
 الفساد وكثرت قتلهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطائفة
 المطيعة لله والمسيحين له وكان يصعد الى السماء فلا يحبب عن الحسن طاعته ويروي ان الجن كانت تفترق على
 احدى وعشرين قبيلة وان بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملك يقال له شلال بن ارس ثم افتروا ففلكوا
 عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك دهر اطويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة
 فأهبط الله تعالى اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملائكة
 فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطمع وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان
 فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فألقيت عليه شهوة الجناح وجعل لقاحه لقاح
 الطير ويضيه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء وعشر
 قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل بدفع شرها ومنهم صنف
 من السعالى يتصورون في صور النساء الحسنات ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور
 الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده او عزير عنده * وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما انه قال ان الكلاب من الجن فاذا راوكم تأكلون فآلقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعني انهم
 يأخذون بالعين وقد روى ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحسن
 والبسن وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاشوا وسفكوا الدماء
 فأنزل الله اليهم جنودا من الملائكة فألقوا على اكثرهم قتلا وأسرا فكان من اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما
 صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد في العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيئا
 خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر
 للملائكة تكبره وابانة ما خفي عنهم من مكتوم أنبائه والى عمارة الارض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله
 تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بها من قبل والله أعلم بمراده
 وقال ابو بكر بن احمد بن علي بن وحشية في كتاب الفلاحة انه عرّب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين
 الى اللغة العربية وانه وجدته من وضع ثلاثة حكماء قدماء وهم صعيريت وسوساد وفوقاي ابتدأه الاول وكان
 ظهوره في الالف السابعة من سبعة آلاف سني زحل وهي الالف التي يشارك فيها زحل القمر وقمره الثاني
 وكان ظهوره في آخر هذه الالف واكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذي
 هو سبعة آلاف سنة وانه تظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر الف سنة شمسية وبعض
 الالف التاسعة عشر وقد اختلف أهل الاسلام في هذه المسألة أيضا فروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى
 الله عنهما انه قال الدنيا جمعة من جمع الاخرة واليوم ألف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن

الاعمش عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال قد خلا
من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة الى لا عرف كل زمان منها ومن فيه من الانبياء فقبل له فكلم الدنيا
قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفي حديث أبي
هريرة الحقب ثمانون عاما اليوم مناسدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمة * قال ابو محمد الحسن بن
احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل **وكان** الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة
وعشرين جزءا وثلاث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثمانمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم
فاذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قمرية ستة آلاف ألف سنة فاذا جعلناه
جزءا وضربناه في أجزاء الحقب وهي أربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلاث وعشرون وثلاث خرج من السنين
ثمانية وعشرون ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف واربعون ألف ألف واذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع
هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب * وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الصواب من القول ما دل
على صحته الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس
وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة
جميعا ان كادت لتسبقني قال فاعلم ان كان اليوم اوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبي
صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا
والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل
شيء مثليه على التخيّر انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى
والسبابة انما يكون نحو ما من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام ان يعجز الله أن يورث هذه الأمة نصف
يوم يعني نصف اليوم الذي مقداره ألف سنة فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخرة عن كعب
قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف وكان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن
الباقى من ذلك في حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذا كان ذلك نصف يوم من الايام التي قدر الواحد منها
الف عام كان معلوما أن الماضي من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة او نحو
ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة لو كان صحيحا
لم يعد القول به الى غيره وهو حديث أبي هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم مناسدس الدنيا قسرين من هذا
الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذي هو من ايام الآخرة مقداره ألف سنة
من سني الدنيا كان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة ايام من ايام الآخرة
وذلك ستة آلاف سنة وقال ابو القاسم السهيلي * وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى
اليوم بنيف علم وليس في قوله لن يعجز الله أن يورث هذه الأمة نصف يوم ما ينفي الزيادة على النصف ولا في قوله
بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعني الطبري فقد نقل في تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه
وبين الساعة نبى ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقربت الساعة وقال أتى أمر الله
فلا نستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث في الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى
الحروف المقطعة في أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * (الم يسطع نصق حقه) * ثم
تأخذ العدد على حساب أبي جاد فيجيء تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى أوائل السور الا هذه الحروف فليس
يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من
حديث الالف السابع الذي بعث عليه السلام فيه غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه او من وفاته او من
هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أسراطها ولكن لا تأتكم الا بغتة وقد روى أنه عليه السلام
قال ان احسنت اتقى فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففي الحديث تقيم
للحديث المتقدم ويان له اذ قد انقضت الخمسمائة والأمة باقية وقال شاذان البلخي المتبحر مدته الاسلام
ثمانمائة وعشرين سنين وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين من سني الهجرة

اختلاف كثير وقال حراس ان المتبحرين اخبروا كسرى انوشروان بقلك العرب وظهروا النبوة فيهم وأن دليلهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم ألفا وستين سنة ولأن طالع القرآن الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبته في شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه أن الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بأمره العرب لخمس وأربعين سنة من وقت القرآن وأن العرب تلك المشرق والمغرب من أجل أن المشتري دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقرآن قد انتقل من الملائكة الهوائية الى الملائكة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب أيضا وهذه الأدلة تقتضي بقاء الملة الإسلامية بقدر دور الزهرة وهو ألف وستون سنة شمسية وقال نصيب الرومي وكان في أيام بني أمية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القرآن الكبيرة وهي تسعمائة وستون سنة شمسية فإذا عاد القرآن بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته في الابتداء فحينئذ يفتر العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعاً وعشرين درجة من برج الاسد الذي هو حد المزيخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قرآن الملة ويقال ان ملك رابستان وهي عزبة نبت الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دويان في جملة هدية فأعجب به المأمون وسأله عن مدة ملك بني العباس فأخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم أولاً ثم يسره حالهم حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندي مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعني اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة او أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود والشعرة السوداء في الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد اهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا حد سواء فصيح أنه صلى الله عليه وسلم انما عني شدة القرب لافضل السبابة على السبابة اذ لو أراد ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضاً فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بأنا كالثور كذا وبمعنا ذلك من ذلك فصيح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربع مائة عام ونيف والله تعالى اعلم بما بقي للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لانسبة له عند ما سلف لقلته وتضايفه بالاضافة الى ما مضى فهو الذي قاله صلى الله عليه وسلم من اتساف من مضى كالشعرة في الثور والرقعة في ذراع الحمار وقد رأيت بخط الاميرابي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلداً له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربع مائة ألف سنة قال ابو محمد الا أن لكل ذلك اولاً ولا بد ونهاية لم يكن شئ من العالم موجوداً قبله ولله الامر من قبل ومن بعد والله أعلم

* (ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط) *

التاريخ كلمة فارسية أصلها ما روز ثم عرب * قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا الشقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شئ آخره وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قوم ما الى به ينتهي شرفهم ويقال ورخت الكتاب تورخا وأرخته تأريخا اللغة الاولى لقيم والثانية لقيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تورخ اولاً بتاريخ

الخليفة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت بنجت نصر وأرخت بفيلس
 وأرخت بالاسكندر ثم بأعشطش ثم بانطيس ثم بدقطينافوس وبه تورخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ
 الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ أخرى قد انقطع ذكرها * فأما تاريخ
 الخليفة ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
 والمجوس في كنيسته وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر ألف عام
 على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادشت صاحب شريعتهم قال ان الماضي من الدنيا الى وقت
 ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادشت وأول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة
 وثمان وخمسون سنة واذا احسبنا من اول يوم كيومرت الذي هو عندهم الانسان الاول وجهنامة كل من
 ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربع وخمسين
 سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجلة وقال قوم الثلاثة الاف الماضية انما هي من خلق كيومرت فانه مضى
 قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبائع غير مستحيلة والامهات غير متمازجة والكون والفساد
 غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول في معدن النهار وتولد الطيوان
 ونوادوت ناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال
 اليهود الماضي من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف واربع مائة وثمان وأربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما
 خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام في
 الالف الرابع وسط السبعة آلاف التي هي مقدار العالم عندهم - حتى يخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من
 الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما في التوراة التي بيد اليهود
 من المدة التي بين ادم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفا وست مائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى
 في انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراههم بعيدة عن التخالط وتزعم
 النصارى أن توراة السبعين التي هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك
 وتقول السامرية بأن توراههم هي الحق وما عداها باطل وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجألة له
 وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا في الانجيل وذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف
 واحد أحدها انجيل متى والثاني لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة الانجيل
 على حسب دعوته في بلاده وهي مختلفة اختلافا كثيرا حتى في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته ووقت
 الصلب بزعمهم وفي نسبه أيضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقون
 واصحاب ابن ديسان الانجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولا يصح ما في الانجيل على حدة يخالف ما عليه
 النصارى من اوله الى آخره يزعمون أنه هو الصحيح وما عداها باطل ولهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين
 ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم يشكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رأيت
 ولم يكن للقياس والرأى مدخل في تميز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول
 على شيء من اقوالهم فيه وأما غير اهل الكتاب فانهم ايضا يختلفون في ذلك * قال أسوش بن خلق آدم وبين ليلة
 الجمعة اول الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال
 ماشاء واسمه منساب اثرى منجم المنصور والمأمون في كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل والمستري في بدء
 التحرك يعني ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من
 ألف الماريج فوقع القران في برج الثور من المثلية الارضية على سبع درج واثنين وأربعين دقيقة وكان انتقال
 الممر من برج الميزان ومثلثة الهوائية الى برج العقرب ومثلثة المائية بعد ذلك بالنسبة واربع مائة سنة
 واثنى عشرة سنة وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الاولى من
 القران الثاني من قرانات هذه المثلية المائية وكان بين وقت القران الاول الكائن في بدء التحرك وبين الشهر الذي
 كان فيه الطوفان ألفان واربع مائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما قال وفي كل
 سبعة آلاف سنة وستين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي كان

في بدء التحرك وهذا القول اعزله الله هو الذي اشتهر حتى ظن كثير من الملأ أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الى أصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مائة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلوه تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند واهل الصين وأصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان وأقربه بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع في زمان طمهورت وان اهل المغرب لما انذرهم بالطوفان اتخذوا المباني العظيمة كالمهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورت الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدة وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء والترية فوجد ذلك بأصهبان فأمر بتجديد العلوم ودقها فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثمناة من سنى الهجرة في حى من مدينة أصهبان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوءة أعدا الأعداء كثيرة قدملت من لحاء الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى التور مكتوبة بكتابة لم يدرك أحد ما هي وأما المتجهون فانهم صحوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشتري التي اثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذا كان الطوفان ظهوره من ناحيةهم فان السفينة استقرت على الجودي وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية ايام واعتصموا بأمرها وصحوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين أول ملك بخت نصر الاول أنى سنة وستمائة وأربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر اربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى ابو معشر أوساط الكواكب في زيجه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدراً أنى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوماً وبينه وبين يوم الخميس أول المحرم من السنة الاولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوماً يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوماً ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس ولما انقضى عنده الجلة المذكورة وخرجت له المدة التي تسمى أدوار الكواكب وهي بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأقولها متقدم على وقت الطوفان بمائة ألف وثمانين ألف سنة شمسية حكم بأن الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بجهة او من معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سنى القبط وعليه يعمل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطي ثم أدوار قالليس وأول ادواره في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان قالليس من جله اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث واربعين سنة وهو اسم فارسي أصله بخت برسي ومعناه كثير البكاء والالين ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطار دوهو ينطق وذلك لتخيبه على الحكمه وتغريب اهلها ثم عذب فقيل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبش فانه على سنى القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدوني وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش فسواء كان من موت الاول او من قيام الآخر فان الحالة المؤرخة هي كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدوني ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى تاون الاسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر فانه على سنى الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما

تاريخ اغسطس فانه لا يعرف اليوم احد يستعمله واغسطس هذا هو اول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغسطس هذا المأجلت به امه ماتت في الخاض فشق بطنها حتى اخرج منه فقيل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصارى ان المسيح عليه السلام ولد لاربعة سنين من ملكه وفي هذا القول نظر فانه لا يصح عند سيقا السنين والتواريخ بل يجي تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشر من ملكه *
 واما تاريخ انطينس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطى لاول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

(ذكر تاريخ القبط) *

اعلم ان السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في تلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكواكب الى اى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك انها تستوفي الازمنة الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الاربعة وتنتهي الى حيث بدأت وفي هذه المدة يستوفي القمر اثنتي عشرة عودة واقل من نصف عودة ويستكمل اثنتي عشرة مرة فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثنتا عشرة في تلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح واسقط الكسر الذي هو احد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم اخذوا تواريخ سنينهم من مسير الشمس والقمر فالاخذون بسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والاخذون بسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون * فاعل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد اخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما واخذوا الارباع بها في كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسهوا تلك السنة كبيسة لان كسار الارباع فيها * واما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامة وذلك في كل ألف واربعمائة وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ في اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية * واما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم في مائة وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة الذي يتبع ربع اليوم عندهم يوم واحد فالحقوا الشهر التام بها في كل مائة وست عشرة سنة واقبى اثرهم في هذا اهل خوارزم والصفد ومن دان بدین فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملوكوا الدنيا بخدا فبها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بيوم ويسمونها كبيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب خمسة الايام والثاني بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة * واما قدماء القبط واهل فارس في الاسلام واهل خوارزم والصفد فتركوا الكسور اعنى الربع وما يتبعه اصلا * واما العبرانيون وجميع بني اسرائيل والصابئون والخرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون اعيادهم وصيامهم على حساب قري وتكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قريه بستة اشهر وواقعهم النصارى في صومهم وبعض اعيادهم لان مدار امرهم على نسخ اليهود وخافوهم في الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب في جهاتها تنظر الى فضل ما بين سدهم وسنة القمر وهو عشرة ايام واحد وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بشهر اكملتم منها ما يستوفي ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النساء من بني كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلس وهو البحر الغزير وهو ابوتامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبدقيق وآخر من فعله ابوتامة واخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجي دين الاسلام بنحو المائتي سنة وكانوا يكبسون في كل اربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن اوقاتها ولا تتقدم الى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة

ما حترم الله فيحلوا ما حترم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين نخطب صلى الله عليه وسلم
وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسيء وزالت شهور العرب عما كانت
عليه وصارت اسماؤها غير التي على معانيها * وأما أهل الهند فانهم يستعملون رؤية الالهة في شهورهم ويكبسون
كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشهر قري ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع في أول دقيقة من
برج ما واكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق في إحدى نقطى الاعتدالين ويسمون السنة الكبيسة بذلك فهذه
آراء الخليفة في السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الكل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف
فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن أجل أن شهور العرب مبنية على مسير القمر وأائلها
مقدمة برؤية الهلال والهلل يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم
بليته من طلوع الشمس بارزة من افق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا
على قولهم بأن النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت
والسما افضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجاري لا يقبل عفونة كالراكد واحتج الآخرون
بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالأقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة
والدعة اليه وقالوا الحركة انما هي الحاجة والضرورة والتعب تنتج الحركة والسكون اذا دام في الاستقصاءات
مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصاءات واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف
والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليته من موافاة الشمس فلن نصف النهار الى موافاة اياه
في الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر وبنوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتداء اليوم من نصف
الليل وهو صاحب زيج شهر بارازانسه وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا اشترط الليلة في التركيب فأما
على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف
ذلك وعكسه وحد بعضهم أول النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخط الابيض من الخط الاسود من الفجر ثم أمموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان هما طرفا النهار
وعورض بأن الآية انما فيها بيان طرفي الصوم لا تعريف أول النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من
جهة المشرق وهما متساويان في العلة فلو كان طلوع الفجر أول النهار لكان غروب الشفق آخره وقد ائتم ذلك
بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنتقول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه
بعضهم تاريخ دقلطيانوس

* (ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القبط به) *

اعلم أن دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقيصرية ملك في منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة
من سني الاسكندر وكان من غير بيت الملك فلما ملك تجبر وامتد ملكه الى مدائن الكسرة ومدينة بابل
فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تحت ملكه بمدينة انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى
المغرب فلما كان في السنة التاسعة عشر من ملكه وقيل الثانية عشر خالف عليه أهل مصر والاسكندرية
فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلقت كنائسهم ومنع من دين النصارى
وحمل الناس على عبادة الاصنام وبالغ في الاسراف في قتل النصارى وأقام ملكا احدي وعشرين سنة وهلك
بعد علل صعبة دود منها بدنه وسقطت اسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده
فانما كان على دين النصرانية فان الذي ملك بعده ابنه سنة واحدة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الأكبر
فأظهر دين النصرانية ونشره في الارض ويقال ان رجلا ثار بعصر يقال له اجله وخرج عن طاعة الروم فسار
اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى اخذ أجله وقتله وعم أرض مصر كلها
بالسبي والقتل وبعث قائده فحارب سابور ملك فارس وقتل اكثر عسكره وهزمه وأسرا مرأته واخوته وأئجن
في بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعامة بلاد رومة فاكثرت قتلهم وسبهم فكانت ايامه
شنعة قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعة بالنصارى

هي الشدة العاشرة وهي أشنع شدائدهم وأطولها لانهادامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كثرتهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم او هرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر النصراني وابطال دين النصرانية من الارض فلقد اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو اول ايام ملك الاسكندر بن فيلبس المقدوني خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة ايام وبين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس اول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قريه وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهر السنة القبطية اثني عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء فاذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة ايام زيادة على عدد ايامها وسماها هذه الخمسة الايام ابو عمناء وتعريف اليوم بأيام النسي فيكون الخصال في النسي على ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسي ستة ايام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والاربع يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سننتهم الى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سننتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا أن الكبس يختلف فاذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة * (واسماء شهور القبط) * توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمهاث برمودة بشنس بؤونه أيب مسري فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما واذا كانت عدة شهر مسري وهو الشهر الثاني عشر زادوا ايام النسي بعد ذلك وعملوا النوروز اول يوم من شهر توت

* (ذكر اسابيع الايام) *

اعلم أن القدماء من القرس والصفد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الارض لاسميا أهل الشام وما حو اليه من اجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيما هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وان الله خلق السموات والارض في ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم في سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحوّلهم الى اليمن بابل وعندهم أخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ القرس وما زالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغشطش بن بوحس فأراد أن يحلهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقي حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حلهم على كبس الشهور في كل اربع سنين بيوم كاتفعل الروم قتل القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملوا اسماء الايام الثلاثين من أهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل دثرت كما دثرت غيرها من اسماء الرسوم القديمة والاعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط في الزمن القديم توت بووني اتور سواق طوبى ماكير فامينوت برموتى باحون باووني افيعي ايضا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمى كيهك كيا ويقول في برمهاث برمهاوط وفي بشنس بشانس وفي مسري ماسورى ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة ايام النسي ومنهم من يسميها ابو عمناء ومعنى ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق في آخر مسري وفيه يزاد اليوم الكبس فيكون ابو عمناء ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سنى نوح وشيث وادم منذ ابتداء العالم وانهم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فعملوا اول سننتهم خامس عشر نيسان كما مروا به في التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سننتهم الى اول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سننتهم الى اول يوم من ملكه فصار اول توت عندهم يتقدم اول يوم

خلق فيه العالم بثمانين وثمانية ايام اولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت وكان توت اوله في ذلك الوقت يوم الاحد وهو اول يوم خلق الله فيه العالم الذي يقال له الآن تاسع عشرى برمهات وذلك أن اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصر ايم ابن حام بن نوح عليه السلام متش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصر ايم وهو ثاني ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملتا نار مخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كاتقدم

* (ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر) *

روي يونس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فإن السخط ينزل عليهم في مجامعهم ولا تعلموا رطاتهم فخلقوا ببعض خلقهم * وعن ابن عباس في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما قال أعياد المشركين قليل له أو ما هذا في الشهادة بالزور فقال لا انما هي شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا * اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب العقويية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التي هي مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيداً في كل سنة من سنهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً ككبارا وسبعة يسمونها أعياداً صغاراً * فالأعياد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خيس الأربعين وعيد الخيس وعيد الميلاد وعيد الغطاس * والأعياد الصغار عيد الختان وعيد الأربعين وخيس العهد وسبت النور وأحد الحدود والتجلى وعيد الصليب ولهم مواسم أخرى ليست هي عندهم من الأعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الأعياد ما لا تجدهم مجموعاً في غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى ونوار مخ أهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع أحد من صومهم وسنتهم في عيد الشعانين أن يخرجوا سفع الخلل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنود وهو الجمار في القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو بأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويساعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة كان عيد الشعانين ففزع الحاكم بأمر الله ابو علي منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وحلهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيئاً من ذلك وأمر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها في الديوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرق عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح * هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويرغمون أن المسيح عليه السلام لما تمألاً اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقتله قبضوا عليه وأحضره الى خشبة ليصلب عليه فاضل على خشبة عليه الصلصان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذي صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجسد ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبانيين وتاسع عشرى برمهات وخامس عشرى آذار سنة ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق فزعوا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحراً ومضى بطرس ويوحنا التليذان الى القبر واذا الثياب التي كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأموال قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصلوات

بثلاثة ايام * (خمس الاربعين) * ويعرف عند أهل الشام بالمسلاق ويقال له أيضا عيد الصعود وهو الثاني والاربعون من الفطر ويزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عينوا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عند اكمله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر فرجع التلاميذ الى اوراسليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم بأشتمار أمرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثا * (عيد الخمس) * وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيامة وزعموا أن بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامته المسيح اجتمع التلاميذ في عليه صهيون فجلى لهم روح القدس في شبه ألسنة من نار فامتلاوا من روح القدس وتكلموا بجميع اللسان وظهرت على ايديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فحباهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح * (عيد الميلاد) * يزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد وسنتهم فيه كثرة التوقود بالكثائس وتزينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستاديين الخنكين والاسراء المطوقين وسائر الموالى من الكتّاب وغيرهم الجاهات من الخلاوة القاهرة والمشارد التي فيها السعيد وقربات الجلاب وطما فير الزلاية والسملك المعروف بالبوري * ومن رسم النصرى في الميلاد اللعب بالنار * ومن أحسن ما قيل

ما اللعب بالنار في الميلاد من سقه * وانما فيه للاسلام مقصود

ففيه بيت النصرى ان ربهم * عيسى ابن مريم مخلوق ومولود

وأدركا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر وموسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصماغ المليحة والتمثيل البدعية بأموال لا تحصر فلا يبق أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشتري من ذلك لاولاده وأهله وكانوا يسمونها القوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالخوانيت شيئا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالات في اثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت ببلغ مصر وفها ألف درهم وخمسائة درهم فضة عما يومئذ ما ينفع على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال في الطرقات أيام هذه المواسم وهم يسألون الله أن يصدق عليهم بفانوس فيشتري لهم من صغار القوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلف امور مصر كان من جملة ما بطل من عوايد الترف عمل القوانيس في الميلاد الا قليلا * (الغطاس) * ويعمل بمصر في اليوم الحادى عشر من شهر طوبه وأصله عند النصرى أن يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف بيوحنا المعمدان في عهد المسيح اى غسله في بحيرة الاردن وعند ما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصرى لذلك يغمسون اولادهم في الماء في هذا اليوم ويتزولون فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال المسعودى * واليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهي ليلة الحادى عشر من طوبه ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طفج أمير مصر في داره المعروفة بالختار في الجزيرة الراكبة للنيل والتيل يطيف بها وقد أمر فأسرج في جانب الجزيرة وجانب القسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل في تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين ومن النصرى منهم في الزوايق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشطوط لا يتناكرون كل ما يظهرون من المأكول والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهي والغزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشزة للداء * وقال المسيحي في تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلاثمائة منع النصرى من اظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهي ونودي أن من عمل ذلك نقي من الحضرة وقال في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاسرة في عدة مواضع على شاطئ النيل ونصبت اسرة للرئيس فهدى بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاد برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والمهون وجلس مع اهله يشرب الى أن كان

وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة احدى واربعمئة وفي ثامن عشرى جمادى الاولى وهو
عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم في البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة
واربعمئة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى بجري الرسم من الناس في شراء الفواكه
والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لا عزازدين الله اقمصر جسده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه
الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود
متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل في الليل وكان وقفا
كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هناك طويلا الى أن غطسوا * وقال ابن
المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمئة وذكر الغطاس ففرق اهل الدولة ما جرت به العادة
لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون في المراكب وأطنان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة
بالديوان لكل واحد * (الختان) * يعمل في سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم
وهو الثامن من الميلاد والقبطن دون النصارى تحت بخلاف غيرهم * (الاربعون) * وهو عندهم دخول
المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمه وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر أُمشير
* (خمس العهد) * ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يلقوا اناء من ماء ويزمنون عليه ثم يغسل
للتبركة به ارجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بسلامته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ثم
أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر في وقتنا يقولون خمس العدس
من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصني ويقول اهل الشام خمس الارز وخمس البيض ويقول اهل
الاندلس خمس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خمس العدس هذا
خمسمة دينار فتعمل خرايب تفرق في اهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر في أخبار القصر من القاهرة عند
ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خمس العدس هذا في القاهرة ومصر وأعمالها من جلة المواسم
العظيمة فيساع في اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقام به العبيد
والصبيان والغوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم
بعضا ويهدون الى المسكين أنواع السمك المتوقع مع العدس المصني والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت
منه بقية * (سبت النور) * وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم في هذا
اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف اهل الفصح والتفتيش على أن
هذا من جلة مخاريق النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جلة المواسم ويكون ثالث يوم
من خمس العدس ومن توابعه * (حد الحود) * وهو بعد الفصح بثمانية أيام فيعمل أول احد بعد الفطر
لان الاحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجتدون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون في المعاملات والامور
الدنيوية والمعاش * (عيد التجلي) * يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه بعد
ما رفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام فأحضرهما اليهم بصلبي بيت المقدس ثم صعد الى
السماء وتركهم * (عيد الصليب) * ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر نوت وهو من الاعياد المجددة وسببه
ظهور الصليب بزعمهم على يدهي لانه ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه * (ذكر قسطنطين) *
وقسطنطين هذا هو ابن قسطنس بن وليطنوش بن ارشميوش بن دقيون بن كلوديس بن عايش بن كتيان اعسب
الاعظم الملقب قبصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع الاوثان وهدم هيكلها وبنى البسيع وآمن
من الملوكة بالمسيح وكانت امه هيلانة من مدينة الرها فتشأ بهامع أمته وتعلم العلوم ولم يزل في غاية من الظفر
والسعادة معانا منصورا على كل من حاربه وكان في أول أمره على دين الجوس شديد على النصارى ما قتال بينهم
وكان سبب رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاغتم لذلك غما شديدا وجمع الحذاق من
الاطباء فاتفقوا على ادوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعد أخذ تلك الادوية في صهر ريج ملو من دماء
اطفال رضع ساعة يسيل منهم قنقذ ثم أمره بجمع جلة من اطفال الناس وأمره بذبجهم في صهر ريج ليستنقع في
دمائهم وهي طريقة جمعت الاطفال لذلك وبرز ليضفى فيهم ما تقدم به من ذبحهم فسمع ضجيج النساء الا أن أخذ

أولادهن فرجهن وأمر فذبح لكل واحدة ابنها وقال احتمال علقى اولى بي وأوجب من هلاك هذه العدة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهن وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى منبجعه رأى في منامه شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وامتهاتهم ورأيت احتمال علك اولى من ذبحهم فقد رحمتك الله ووهبت السلامة من علك فابعث الى رجل من اهل الايمان يدعى شلبشقر قد فر خوف منك وقف عند ما يامر له والتزم ما يحضك عليه تتم لك العافية فانتبه مذعورا وبعث في طلب شلبشقر الاسقف فأقْبى به اليه وهو يظن أنه يريد قتله لما عهده من غلظته على النصارى ومقتله لديهم فعند ما رآه تلقاه بالبشر وأعلمه بمآراءه في منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم فبعث قسطنطين في جمع الاساقفة المنفيين والمسبيين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من الجذام فأيد الديانة واعان بالايمان بدين المسيح وبيناهو في ذلك اذ توقع وثوب أهل رومة عليه وايقاعهم به فخرج عن اوى مدينة قسطنطينية بنينا جليليا فعرفت به وسكنهم فصار موضع تحت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان يرون الملك الذى قبل الخواريين ومن بعده ممن ملك رومة في كل وقت يمتلئون ويحبسون ويشتردون بالنفى فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوى وجوههم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلعوا طاعته وقد مروا عليهم ملكا فأهمه ذلك ومثرت له معهم عدة أخبار مذكورة في تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدت الحرب فلما قاربهم اذ عنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب الفرس وخرج اليهم فقهروهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان في عشرين سنة من دولته خرجت الفرس على بعض اطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى في منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان اردت أن تظفر بمن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسككك فلما انتبه أمر تجهيز امه هيلانة الى بيت المقدس في طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس واقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التي زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليها ما عمل به اليهود فحفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عند ما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها فالتخذوا ذلك اليوم عيد اوسموه عيد الصليب وكان في اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة وثمان وعشرين سنة وجعلت هيلانة لخشب الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح برعهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرفت بالصليب معها الى ابنها وما زال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمنكرات من انواع المحرمات ويجزاهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبثوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة وهو يوم الصليب فخرج الناس من الخروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة خرج الناس فيه الى بنى وائل وجروا على عادتهم في الاجتماع واللهو وفي صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرى في سابعه سبيل بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عيد الصليب وأن لا يظهروا بزيهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا من انهم يظل ذلك حتى لم يكذب يعرف اليوم بديار مصر البتة * (النيروز) * هو أول السنة القبطية بمصر وهو أول يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراس بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار في الليلة التي فيها ابراهيم وفي صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها احد في الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فن اجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رعى فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتجزوا بها ووسموا تلك الليلة نيروزا والنيروز في اللسان السرياني العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال انه اول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاتخذته الاعاجم سنة قال الحافظ ابو القاسم علي بن

عسا كرفى تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضى الله عنهما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان
هذا الساحر علم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه نحن
ولانت فاجتمع انت وهرون وتجمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت
فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفى رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد
واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الا كبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز اول
سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفى شهر برمهاث ويقال اول من احداثه جمشيد من ملوك الفرس وانه
ملك الاقاليم السبعة فلما اكل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيداً وسماه نوروزاً فى اليوم الحديدي وقيل
ان ساميان بن داود عليه السلام اول من وضعه فى اليوم الذى رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذى شفى
فيه ايوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا معتل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم
عيداً وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام سبط من بنى اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق
فبلغ ملك الحجاج خبرهم فأمر أن تبني عليهم حظيرة يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا أربعة آلاف رجل ثم
ان الله تعالى اوحى الى نبي ذلك الزمان ارايت بلادك ذاك وكذا اخرجهم بسبط بنى فلان فقال يارب كيف احاربهم
وقدم ماتوا فأوحى الله اليه اني احبهم لك فأمرهم الله ليلة من الليالى فى الحظيرة فأصبحوا احياء فهم الذين
قال الله فيهم ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرجع
أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النيروز
فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء فى النيروز فقال قول الله تعالى ألم ترالى الذين
خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هؤلاء قوم اجدوا تقول مات فلان
هزالاً فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلادهم فلما احياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا
جعلوا صب الماء فى مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى ان الذين خرجوا من
ديارهم وهم ألوف قوم بنى اسرائيل فترؤوا من الطاعون وقيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت باقتل فى الجهاد
فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك فأماهم الله ليعترفهم انه لا ينجم من الموت شئ ثم احياهم على يد حزقيل
احد انبياء بنى اسرائيل فى خبر طويل قد ذكره اهل التفسير * وقال على بن حمزة الاصفهاني فى كتاب اعياد
الفرس ان اول من اتخذ النيروز جمشيد ويقال جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النيروز اليوم الحديدي
والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي كما أن المهرجان اول الاعتدال الخريفي ويزعمون أن
النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان فى ايام افرديون وانه اول من عمله لما قتل الضحاك وهو
بيوراست فجعل يوم قتله عيداً سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النيروز بألفى سنة وعشرين سنة * وقال
ابن وصيف شاه فى ذكر مناشوش بن منقاش أحد ملوك القبط فى الدهر القديم وهو أول من عمل النيروز
بمصر فكانوا يقيمون سبعة أياماً يكون ويشربون اكراماً للكوكب * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو
السبب الاعظم فى عمارة أرض مصر رأى المصريين القدماء وخاصة الذين كانوا فى عهد قلد يانوس الملك أن
يجعلوا اول السنة فى اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة فى الامر الاكثر فجعلوا اول شهرهم نوت ثم
بابة ثم هاتور وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفى هذه السنة يعنى
سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع امير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النيروز فى السكك ومن صب
الماء يوم النيروز * وقال فى سنة اربع وستين وفى يوم النيروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل
الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى فى الاسواق ثم
أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فخبسوا واخذ قوم فطيف بهم على الجمال *
وقال ابن المأمون فى تاريخه وحل موسم النيروز فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة
ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز ونعرا الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريرى
والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف
المختصة بالموسم على اختلافها بتقصيلها واسماء اربابها واصناف النيروز البطح والمان وعنا قيد الموز وأفراد

البسر واقفاص القرقوصى واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلمة مع حبر يرمق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدّة كثيرة من شقق ديقية مذهبات وحريريات ومعابر وعصائب نسائيات ملونات وسقولا مذهب وحريرى ومسفع وفوط ديقية حريرية فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزة القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والخواشي والمستخدمين ورؤساء العشاريات ومجاريها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهراس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء ارباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الاماثل والاعيان ممن له جاه ورسم في الدولة * وقال القاضى الفاضل في متبذدات سنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى وهو مستهل ثوبت ووقت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والقواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمر النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبته ويرسم على دورا لا كبريا للجل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع باليسور من الهبات ويجمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاحى وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزمر شرابا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجة بالاقذار وان غلط مستور وخروج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بجرمته فأما أن يفدى نفسه وأما أن يفضح ولم يجر الحال على هذا ولكن قدرش الماء في الحارات وقد أحيا المنكرات في الدور ارباب الخسارات * وقال في متبذدات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجذبه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفريه في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالخلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبع مائة وأمر الدولة بديار مصر وتديرها الى الامير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فنع من لعب النوروز وهدت من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيئا من ذلك في الخيلان والبرك ونحوها من مواضع التتره بعدما كانت أسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور واما اتقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتل اواكثرو لم يبق الا أن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكنى * وكل ما فيه يحكى وأحكيه

قنارة كل هيب النار في كبدى * ونارة كتوالى دمعى فيه

○ (وقال آخر) *

نورز الناس ونورزت ولكن بدموعى

وذكرت نارهم والنار ما بين ضلوعى

○ (وقال آخر) *

ولما أتى النوروز باغاية المسقى * وأنت على الاعراض والهجر والعذ

بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ذكر ما وافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله

اهل مصر عن قدمائهم واعتمدا عليه في امورهم

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظاً وأعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة * (توت) بالقبطي هو ايلول وكانت عادة مصر مذ عهد فرعونتها في استخراج خراجها وجباية أموالها أنه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها إلا عند تمام الماء واقتراسه على سائر أرضها ويقع انمامه في شهر توت فإذا كان كذلك وربما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجح في الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفي أوله يكون يوم النور ووزو رابعة أول ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثاني عشره يطلع الفجر بالصرفة وسابع عشره عيد الصليب فيشرط البلسان ويستخرج دهنه ويفتح ما يتأخر من البحر والترع وترتب المدامسة لحفظ الجسور وفي ثامن عشره تنقل الشمس إلى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفي خامس عشره يطلع الفجر بالعوا ويكبر صغار السمك وفي هذا الشهر يعم ماء النيل أراضى مصر وفيه تجبل النواحي وتسترفع السجلات والقوانين وتطلق التقاوى من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب وهبوب الصبا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساساً وفيه يكثر بمصر العنب الشتوى وتبذر المحضات * (بابه) في أوله يحصد الارز ويزرع القول والبرسيم وسائر الحبوب التي لا تنشق لها الارض وفي رابعة أول تشرين الأول وفي ثامنه طلوع الفجر بالسمك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيجوز بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفي تاسعه يكون مجيء الكراكي إلى ارض مصر وفي عاشره يزرع الكتان وفي ثاني عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفي ثامن عشره تنقل الشمس إلى برج العقرب ويقطع الخشب وفي تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل ويكثر البعوض وفي حادى عشره يطلع الفجر بالغفر * وفي هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضى ويخرج المزارعون لتخضير الاراضى فيسدون ببذر زراعة القرط ثم زراعة الغلة البدرية أولاً فأولاً وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك القرو والزبيب والسمسم والقلقاص وفيه يكثر صغار السمك ويقبل بكاره ويسمن الراى والابرميس من السمك خاصة وتستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه أطيب منه في سائر الشهور التي يكون فيها ويضع الضأن والمز والبقر الخيسية وفيه يملح السمك المعروف بالبورى ويهزل الضأن والمعز والبقرة ولا تطيب لحومها وتدرك المحضات وفيه يجب كتابة التذاكر بالأعمال القوصية وفيه يغرس المنشور ويزرع السليم * (هاثور) في خامسه يكون أول تشرين الثانى ويطلع الفجر بالزبان في رابعة وفي سادسه يزرع الخشخاش وفي سابعه يصرف ماء النيل عن اراضى الكتان ويسذر في النصف منه وبعد تمام شهر يسجن وفي ثامنه أول المطر الوسمى وفي حادى عشره تهب ريح الجنوب وفي خامس عشره تبرد المياه بمصر وفي سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفي ثامن عشره تنقل الشمس إلى برج القوس وفي تاسع عشره يغلق البحر الملح وفي سابع عشره تهب الرياح اللواتح * وفي هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وبراغ الغلة في جميع ما يحتاج اليه فيها ويهتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتهويض عنه بغيره وأفراد الاتبان برسم وقود القنود وترتيب القوامصة لعمل الاباليج والقواديس والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنثور ومن البقوليات الاسباناخ والبلسان واختار قدماء المصريين في هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب حلال السنة حله وفيه يكثر العنب الذى كان يحمل من قوص * (ككيك) أوله الاربعينات بمصر ويدخل الطير وكركه وفي سادسه بشارة مريم بحمل عيسى عليه السلام وفي سابعه أول كانون الأول وفي عاشره آخر اليالالى الباق وأولها أول هاتور وفي حادى عشره أول اليالالى السود ويدخل النمل الاجسرة وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر وفي سابع عشره تنقل الشمس إلى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفي حادى عشره يكون آخر اليالالى البلق وفي ثاني عشره عيد البشارة وفي ثالث عشره تزرع الحلبة والتمس وفي سادس عشره يطلع الفجر بالنعام وفي ثامن عشره يبيض النعام وفي تاسع عشره الميلاد * وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه
القبلي وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطباقين لطبخ القنود وفيه
يكون ادرال الترجمس والمحضات والبقول الاخضر والكرب والجزر والكراث الابيض واللقت وفيه يقل
هبوب ربح الشمال ويكثر هبوب ربح الجنوب وفيه يجود الجداوي يكون اطيب منها في جميع الشهور التي يكون
فيها وفيه يزرع اكثر حبوب الحرث ولا يزرع بعده في شيء من ارض مصر غير السمسم والمقاني والقطن
* (طوبه) في ثلثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس وفي سادسه اول كانون الثاني وفي تاسعه
يطلع الفجر بالبلد وعاشره صوم الغطاس وحادي عشره الغطاس وفي ثاني عشره يشتد البرد وفي رابع عشره
يرتفع الوباء بمصر وبغرس النخل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندى ويكثر
ابتداء غرس الاشجار وفي العشرين منه يكون آخر الليالي السود وحادي عشره الليالي البلق الثانية
وفي ثاني عشره يطلع الفجر بسعد الذابح وفي ثالث عشره تهب الرياح الباردة وفي رابع عشره تفرخ جوارح
الطير وفي خامس عشره يكون نتاج الابل المجودة وفي سابع عشره يصفو ماء النيل وفي ثامن عشره يتكامل
ادرال القرط * وفي هذا الشهر تقلم الكروم وينظف زرع الغلة من اللسان وغيره وينظف زرع الكتان
من القبل وغيره وفيه تبرش الاراضي اول سكة ترسم الصيافي والمقاني والقطن والسمسم وينتهي برشها في اول
امشير وفيه تسقى ارض القلقاس والقصب وتنشق الجسور في آخره وفيه تستخرج اراضي الخرس ويكسر القصب
الراس بعد افرار ما يحتاج اليه من الزريعة وهو اكل فتان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة
السواني وحفر الآبار وابتداء ابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه ايضا يكون هبوب
ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقل الاخضر والجزر
اطيب منها في غيره وفيه يتناهي ماء النيل في صفائه ويخزن فلا يتغير في اوانيه ولو طال لبثه فيها وفيه تطيب
لحوم الضأن اطيب منها في سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من اجل ربيعها وبطوبه يطالب
الناس باقتناح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود
* (امشير) في اوله تختلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر بسعد بلع وفي سادسه يكون اول شباط وفي تاسعه
يجري الماء في العود وحادي عشره اول جرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت وفي سابع
عشره يخرج النسل من الاجخرة وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود وفي العشرين منه ثاني جرة فاترة
وفي ثالث عشره تقلم الكروم وخامس عشره يفرخ النخل وسابع عشره ثالث جرة حامية ويورق الشجر
وهو آخر غرسها وفي آخره يكون آخر الليالي البلق * وفي هذا الشهر يقطع السليم ويستخرج خراجه وفيه ينشئ
برش الصيافي وتبرش ايضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتفتح الاراضي ويرقد البيض في المعامل
اربعة أشهر آخرها بنس وفيه يكون ربح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغي أن تعمل اواني الخزف للماء
لتستعمل فيه طول السنة فان ما عمل فيه من اواني الخزف يبرد الماء في الصيف اكثر من تبريد ما يعمل
في غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه يترك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج
والمنثور * ويقال امشير يقول للزرع سيرو يلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهواء الذي فيه
سخونة ما وفي امشير يؤخذ الناس فيه بانعام ربح الخراج من السجلات * (برمهات) اول يوم منه يطلع الفجر
بالاخبية وفي خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع السمسم وثاني عشره يقلع الكتان ورابع عشره يكون اول
الاعجاز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفي سادس عشره تفتح الحيات أعينها وفي سابع عشره تنقل الشمس
الى برج الحمل وهو اول فصل الربيع ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفي العشرين منه يكون آخر
الاعجاز وثاني عشره نتاج الخيل المجودة وثالث عشره يظهر الذباب الازرق وخامس عشره تظهر هوام
الارض وسابع عشره يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفي آخره يتفرق السحاب * وفي هذا الشهر تجرى المراكب
السفريه في البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط
وتينس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشواني لحفظ الثغور وفيه زرع المقاني والصيفي
ويترك القبول والعدس ويقطع الكتان وتزرع اقصاب السكر في الارض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد

عن الزراعة ويأخذ الحشرون في تنظيف الارض المزروعة من القش في وقت الزراعة ويأخذ القطاعون في قطع الزريعة ويأخذ المزارعون في رمي قطع القصب وفيه يؤخذ في تحصيل النطرون وحله من وادى هببت الى الشونة السلطانية وفيه يكون ريح الشمال اكثر الياح هبوبا وفيه تزهرا الاشجار وينعقد اكثر ثمارها وفيه يكون الابن الرائب اطيب منه في جميع الشهور التي يعمل فيها وفي برمهات يطالب الناس بالربع الثاني والثمن من الخراج * (برموده) في سادسه اول نيسان وفي عاشره يطلع الفجر بالرشاء وفي ثاني عشره يطلع الفجل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الثور وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس الحمل وأول منازل القمر وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفي هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الخراج الذي كان بهصر في القديم أيام الدولة الفاطمية والايوية ويجري الى السواحل لتيسر حمله في زمن النيل الى ساحل مصر يعمل شواني واحطابا برسم الوقود في المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد وزرع الخيار شنبه والموخيا والباذنجان وفيه يقطف اوانل غسل النخل وينفض بز الكتان واحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجز وفيه تقع المساحة على اهل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج من سبيلاتهم ويحصد بديري الزرع * (بشنس) في خامسه تكثر الفاكهة وسادسه اول ايار وفيه طلوع الفجر بالبطين وثامن عيد الشهيد وتاسعه افتتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس اول برج الجوزاء وفيه يطيب الحصاد وفي تاسع عشره يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم ورابع عشره يكون عيد البلسان بالمطرية ويرعون انه اليوم الذي دخلت فيه مريم الى مصر * وفي هذا الشهر يكون دراس الغلة وهدار الكتان ونفض البرز والتقاوى والاتبان وحملها وفيه زراعة البلسان وتقليمه وسقيه وتكريم اراضيه من بؤونة الى آخرها تور واستخراج دهنه بعد شطره في نصف نوت وان كان في اوله فهو اصلح الى آخرها تور وصلاح أيامه أيام الندي ويقيم في الندي سنة كاملة الى أن يشرب اعصاره وأوساخه ويطبخ الدهن في الفصل الريحي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصرى أربعة وأربعون رطلا من مائة فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن * وفي هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسي ويتدى فيه التفاح المسكي والبطيخ العبدلى ويقال انه اول ما عرف بهصر عند ما قدم اليها عبدالله بن طاهر بعد المائتين من سن الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلى وفيه أيضا يتدى البطيخ الجربى والشمس والخواخ الزهرى ويجنى الورد الابيض وفيه تقتر المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال كالصرف والجهنزة وحق المراعى والقرط والكتان على رسوم كل ناحية ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس * (بؤونة) في ثانيه يطلع الفجر بالديران وفي خامسه يتنفس النيل وفي تاسعه أوان قطف النخل وفي حادى عشره تهب رياح السموم وفي ثاني عشره عيد ميمى كائيل فيؤخذ قاع النيل وفي ثالث عشره يشتد الحر وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة وفي عشره تحل الشمس اول برج السرطان وهو أول فصل الصيف وفي سابع عشره ينادى على النيل بما زاده من الاصابع وفي ثامن عشره يطلع الفجر بالهنعة * وفي هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال القوسية ونواحى الوجه البحرى وفيه يقطف غسل النخل وتخرص الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يتدى الكتان ويقلب أربعة اوجه في بؤونة وأبيب وفيه زراعة النيلة بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد في كل مائة يوم حصدة ويحصل في أول كميل وطوبه وأمشير وبرمهات ويطالع في برمودة وتحصد في عشرة أيام من أبيب وتقيم في الارض الجيدة ثلاث سنين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثاني سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات وفي هذا الشهر يكون التين القيومى والخواخ الزهرى والكمثرى والقراصيا والقناء والبلخ والحصرم ويتدى ادراك العصفور وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جهور العسل فتكون رياحه قليلة والتين يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور وفيه يطلع النخل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة * (أبيب) في سابعه اول تموز وفي عاشره آخر قطع الخشب وفي حادى عشره يطلع الفجر بالذراع وثاني عشره ابتداء تعطين الكتان وفي خامس عشره يقل ماء الآبار وتدرك الفواكه ويموت الدود وفي حادى

عشر به تحل الشمس بأول برج الاسد وتذهب البراعيث ويرد باطن الارض وتهيج أوجاع العين وفي خامس عشر به يطلع الفجر بالنثرة وفي سادس عشر به تطلع الشعري العبور اليمانية * وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بجي العنب ويتغير البطيخ العبدلي وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويطيب البلح وفيه يقطف بقايا غسل النخل وتقوى زيادة ماء النيل فيقال في أبيب يذب الماء ويب وفيه ينقع الكتان بالميلات ويباع برسيم البذر برسم زراعة القرط والكتان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرط وفيه تستم ثلاثة أرباع الخراج * (مسرى) في سابعه يطلع الفجر بالطرف وفي ثامنه اول آب وفي حادى عشره يجمع القطن وفي رابع عشره يحصى الماء ولا يبرد في سابع عشره استكمال الثمار وفي عشره يطلع الفجر بالجهة وفي حادى عشره تحل الشمس برج السنبله وفي ثالث عشره يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وفي خامس عشره يكون آخر السموم وفي تاسع عشره يطلع سهيل بمصر * وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل سبعة عشر ذراعاً في غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل في خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلل والهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخزّصون النخل ويخرجون زكاة الثمار في هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجيها السلطان من الرعية وأكثر ما يهب في هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخرو يعمل الخل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقلته حاضه ولذته طعمه وفيه يكون ابتداء ادراك الزمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدت أيام النسي ففي اولها ابتداء هيج النعام وفي رابعها يطلع الفجر بالخراتان وفي مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضي زراعتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق الكتان في مسرى وأبيب لان الكتان يبل في نوت ويدق في بابه

(ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية)

وكيف عمل ذلك في الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما للام في كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحترز المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع في النسي الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا تداخلك السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية سنة شمسية وسما ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبأ ذلك ما لم أره مجموعاً * قال ابو الحسين عبد الله بن احمد بن ابي طاهر في كتاب أخبار امير المؤمنين المعتضد بالله ابي العباس احمد بن ابي احمد طليحة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بصير النوروز لا حدى عشرة ليلة خلت من حزيران رافة بالرعية واشار بالرافقها وقالوا خرج التوقيع في المحرم سنة اثنين وثمانين ومائتين بإنشاء الكتب الى جميع العمال في النواحي والامصار بترك اقتتاح الخراج في النوروز الفارسي الذي يقع يوم الجمعة لا حدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل ما يفتح من خراج سنة اثنين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج في تصدير اقتتاح الخراج في حزيران (أما بعد) فان الله لما حوّل أمير المؤمنين للحمل الذي احله به من امور عباده وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفها الا ما به العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة وأن يتولى لها صلاح امورها ويستقرئ السيرة والمعاملات التي كانت تعامل بها ويقرّ منها ما اوجب الحق اقراره وينيل ما اوجب ازالته غير مستكثر لها كثيراً يسقطه العدل ولا مستقل لها قليل ما يلزمها اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا والله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحيطة ما قلده من امورها وهو خير موفق ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذي يفتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل به مما يجري مجراه من الوقت

الذي صار فيه من الزمان الى الوقت الذي كان عليه متقدماً مع ما أمر به في مستقبل السنين من الكسب حتى يصير العدل عاماً في الزمان كله باقداً على غابر الدهر ومتر الايام موامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك في آخر كتابه مع ما وقع به فيها التمثيل فافعل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين * نسخة الموامرة أنهيت الى أمير المؤمنين أن بما انعم الله به على رعيته ورزقها اياه من رأفته وحسن نظره وأقامته عليها من عدله وانصافه ورفعها عنها في خلافته من الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والمذمى فيه سواء ما حررت من نقل كتب الخراج عن السنة التي كانت تنسب اليها من سني الهجرة الى السنة التي فيها تدرلك الغلات ويستخرج المال وان ذلك ما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المغالين استعمله من تثبيت الخراج على اهلهم ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعيانهم بذلك سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحداهما وتدرلك الغلات ويقع الاستخراج في الأخرى منهما في حساب شهور الفرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والحبيل وما يتصل به من جميع نواحي المشرق وما يضاف اليه اذا كن عمل الشام والجزيرة والموصل جرى على حساب شهور الروم الموافقة للآزمنة فليست تختلف اوقاتها مع الكيسة المستعملة فيها والعمل في خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بما ترك من الكسب منذ أزال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذي كان الخراج يشتق فيه بالعراق والمشرق قد تقدم في ترك الكسب شهرين وصار ايبته وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جيل الله عليه رأيه في النوروز الى كل ما عايد بصلاح رعيته وحسب للأسباب المؤدية الى اعيانها بنأ خير النوروز الذي يقع في شهور سنة اثنتين وثمانين ومائتين من سني الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لا حدى عشرة تخلو من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كسبها وهي ستون يوماً حتى يكون نوروز السنة واقعا يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادى عشر من حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراهما وينسب ويضاف اليهما ويسائر أعمالهم وما يعمل أصحاب الحساب من التقويمات وجميع الاعمال وما بعده الفرس من شهورهم الى شهوره الكيسة الاولى والاخرى يكسب بعد ذلك في كل اربع سنين من سني الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام وليكن ابداً واقعا في حزيران وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين ينسب الى الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر النواحي والآفاق اذ كان مقدار سني أيام الهجرة والسنة الجامعة للآزمنة التي تتكامل فيها الغلات وأن يخرج التوقيع بذلك لتنشا الكتب به من ديوان الرسائل الى ولاية معاون والاحكام وتقرأ على المنابر ويحتمل أصحاب معاون الرعية عليه وتأخذها بامثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الاحكام في ديوان حكمهم لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطاع رأى أمير المؤمنين في ذلك فرأى أمير المؤمنين في ذلك موفق ان شاء الله تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك ان شاء الله تعالى وكتب في شهر ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين * قال وكان السبب في نقل الخراج الى حزيران في أيام المعتضد ما حدثني به ابو احمد يحيى بن علي بن يحيى المخيم القديم قال كنت أحدث أمير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تأخير النوروز فاستحسنه وقال لي كيف كان ذلك قلت حدثني ابي قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بسائنه الخاصة التي كانت في يدي وهو متوكل على يحمادني وينظر الى ما أحدث في ذلك البستان فترزع فراه اخضر فقال يا علي ان الزرع اخضر بعدما أدركه وقد استأمر في عبيد الله بن يحيى في استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج في النوروز والزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجري الامر اليوم على ما كان يجري عليه في أيام الفرس ولا النوروز في هذه الايام في وقته الذي كان في أيامها قال وكيف ذاك فقلت لانها كانت تكسب في كل مائة وعشرين سنة شهراً وكان النوروز اذا تقدم شهراً وصار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار في خمس من ايار وأسقطت شهراً وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله القسري وحضر الوقت الذي تكسب فيه الفرس منها من ذلك وقال هذا من النسيء الذي نهى الله عنه فقال انما النسيء زيادة في الكفر وأنا لا أطالقه حتى أستأمر فيه أمير المؤمنين فبدلوا على ذلك ما لا جليلا فامتنع عليهم

من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعترفه ذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسيء الذي نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكس تقدم النوروز فقد ما شديدا حتى صار يقع في نيسان والزراع أخضر فقال له المتوكل فأعمل لهذا يا علي علامات النوروز فيه الى وقته الذي كان يقع فيه في ايام الفرس وعرف بذلك عبيد الله بن يحيى وأذاليه رسالة مني في أن يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابي الحسن عبيد الله بن يحيى وعرفته ما جرى بيني وبين المتوكل وأذيت اليه رسالته فقال لي يا ابا الحسن قد والله فرجت عني وعن الناس وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المؤمنين اجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فمثلك من يجالس الخلفاء وأحب أن يتقدم بالعمل الذي أمر به المتوكل وينفذه الى حتى اجري الامر عليه وان تقدم في كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحررت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم في ايام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران فيصير في خمسة ايام تخلو من ايار فتكسب سنتها وترده الى خمسة ايام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر أن يستفتح الخراج في خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم بن العباس في أن ينشي كتابا عن أمير المؤمنين في ذلك ينفذ نسخته الى النواحي فعزل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور في أيدي الناس * قال ابو احمد فقال لي المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وينبغي أن يعمل به فقلت ما احسد أولي بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جعه الله فيه من المحاسن ووجهه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له اجمع من يحيى ما يخبرك به وأمض الامر في استفتاح الخراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرفته الخبر فأحب تأخير عن ذلك لئلا يجري الامر الجري الاول بعينه فجعله في احد عشر من حزيران واستأمر المعتضد في ذلك فأماضه فقلت في ذلك شعر انشدته للمعتضد في هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لا يتأخر

من حزيران يوافي * أبدا في احد عشر

قال وأخبرني بعض مشايخ الكتاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما وقل وأكثر ليكون ذلك سببا لتأخير اقتتاح الخراج على اهله * وأما المهرجانات فلم تكن تؤخر عن وقته يوما واحدا فكان اول من قدمه عن وقته يوم المعتمد بمدينة السلام في سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال ابو الریحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ما ذكره ابن أبي طاهر وزاد ونفذت الكتب الى الآفاق يعني عن المتوكل في محرم سنة ثلاث وأربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل في تأخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل اخذ ما بين سنته وبين أول تاريخ يزدجر دفأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجر ظنا أن اهملهم أمر الكس من ذلك الوقت فوجدته مائتي سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الاربع وستون يوما وكسرها فزاد ذلك على النوروز في سنة وجعله ينتهي تلك الايام وهو من خرداد ما في تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافق اليوم الحادي عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكسب شهره اذا كسبت الروم شهرها وقال القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف الخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقها السنة القبطية لان أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما وبقية خمس ايام النسيء وربع يوم بعد تقضى مسرى وفي كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام لينجبر الكسرو يسمون تلك السنة كبيسة وفي كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذي تطابق به احدى السنتين الأخرى وقد قال ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج في سنين قبل سنة احدى وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين

المتوكل على الله رحمة الله عليه تجرى كل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخير الشهور الشمسية
 عن الشهور القمرية في كل سنة احد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين
 وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة اولهن سنة ثمان ومائتين
 من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر في أيام سنة شمسية كاملة
 وهي ثمانمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك الغلات وثمار سنة احدى وأربعين
 ومائتين في صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر
 سنة احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت وينسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين
 فجرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع
 وسبعين ومائتين فلم ينبه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان رؤسائهم
 في ذلك الوقت اسماعيل بن بلبل وبنو القرات ولم يكونوا يعملوا في ديوان الخراج والضيايع في خلافة أمير
 المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان
 مولد احمد بن محمد بن القرات قبل هذه السنة بخمس سنين ومولد علي أخيه فيها وكان اسماعيل بن بلبل يعلم
 في مجلس لم يبلغ أن ينسخ فلما تولدت لناصر الدين أبي احمد طلبة الموفق رحمه الله أعمال الضيايع بقزوین ونواحيها
 لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقبلا بأذربيجان وخليفته بالجبل جرادة بن محمد واحد بن محمد كاتبه
 واحتجبت الى رفع جماعتي اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة
 سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكرها
 وسألني عن السبب فيها فشرحت لهما واكدت ذلك بأن عزفتمما الى قد استخرجت حساب السنين الشمسية
 والسنين القمرية من القرآن الكريم بعدما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شيء من الاثر
 فكان ذلك اوكد في اطف استخراجي وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين
 وازدادوا تسعا فلم أجد احدا من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما خاطب الله عز وجل نبيه
 صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذه التسع أن الثمانمائة كانت شمسية بحساب العجم
 زمن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا أضيف الى الثمانمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية
 صحيحة فاستحسنه فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام ووفى الناصر رحمه الله وتوكل
 القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى لجرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه فقرر
 اليه وطعنا على أبي القاسم عبيد الله في تأخيرها ياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى أبي القاسم بإنشاء الكتب
 بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت
 السنون سنة بعد سنة الى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة اولهن السنة التي كان النقل وجب فيها
 وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرهن انقضاء سنة سبع وثلثمائة وقد تمها ادراك الغلات والثمار في صدر
 سنة ثمان وثلثمائة ونسبته اليها وقد علمت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان
 اصحاب الدواوين في أيام المتوكل لما نقل سنة احدى وأربعين ومائتين الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين جبوا
 الجوالي والصدقات لسنين احدى واثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد لأن الجوالي بسر من رأى ومدينة
 السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبي على شهور الالهة وما كان من جاجم اهل القرى في الخراج والضيايع
 والصدقات والمستغلات كان يجبي على شهور الشمس وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية
 كاملة فألزم اهل الذمة خاصة بالجوالي ورفعها العمال في حساباتهم فمن لم يرفعها ألزموه بجوالي السنة الزائدة
 فأحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالي على شهور
 الالهة تجرى الامر على ذلك قال القاضي ابو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع
 وتسعين واربع مائة الهلالية تجرى مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين واربع مائة الى سنة
 احدى وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمه الله وآخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس وستين
 وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فمطابقت السنين وذلك اني لما قلت للقاضي الفاضل ابي علي

عبد الرحيم بن علي البيسانى انه قد آن نقل السنة فانشأ سجيلا ينقلها نسخ الدواوين و جعل الامر على حكمه
وما برح الملوك والوزراء يعنون بنقل السنين في احيائها * وقال ابو الحسن هلال بن الحسن الصابي
حدثني ابو علي قال لما أراد الوزير ابو محمد المهلبى نقل سنة خمس وثلاثمائة الهلالية امر أبا اسحاق والدى وغيره
من كتابه في الخراج والرسائل بانشاء كتاب عن المطيع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدى الكتاب
الموجود في رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختره منها وتقدم بأن يكتب الى اصحاب الاطراف وقال لابي
الفرج بن ابي هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتباً محقة وانسخ في اواخرها هذا الكتاب السلطاني
فعاظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدى وقد كان عمل نسخة اطرح في جملة ما طرح
وكتب قدراً بنا نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني وعرف الوزير
ما كتب به ابو الفرج فقال له لماذا اغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتب الى العمال وابثاته في الديوان
فأجاب جواباً عاك فيه فقال له يا أبا الفرج ما تركت ذلك الا حسداً لابي اسحاق وهو والله في هذا الفن اكتب
اهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب في اواخرها قال القاضي ابو الحسن وأنا ذكر بمشيتة الله نسخة
الكتاب الذى أشار اليه ابو الحسن على بن الحسن الكاتب وكتاب أبي اسحاق وكتاب القاضي الفاضل ليستين
للتاظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب
الفاضل اكثر نجازاً وأعظم اعجازاً ولا يخفى على المتأمل قدر ما اورد فيه من البلاغة كما لا يخفى على العارف قدر
ما تضمنه كتاب الصابي من الصناعة * نسخة الكتاب الذى أشار اليه ابو الحسن الكاتب * ان أولى
ما صرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر النى الذى خصه الله به
وألزمه جمعه وتوقيفه وحياطته وكثيره وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات
الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحسين البيضة والذب عن الحرم ووج البيت وجهاد العدو وسد الثغور
وأمن السبيل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وأمر المؤمنين بسأل الله تعالى راغباً اليه ومتوكلاً عليه أن
يحسن عونه على ما حله منه ويديم توقيفه بما أرضاه وارشاده الى أن يقضى عنه وله وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان
يجرى عليه أمر جباية هذا النى في خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك
من الغلات والثمار في كل سنة اقلاً على مجارى شهور سنى الشمس في التجوم التى يحل مال كل صنف منها
فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً وربعاً وزيادة عليه ويكون
ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب تأخرها فلا تزال السنون تقضى على ذلك سنة بعد سنة
حتى تقضى منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهى ثلثمائة
وخمسة وستون يوماً وربع يوم وزيادة عليه فحينئذ يتهيأ بمشيتة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التى تجرى
عليها الضرائب والظسوق فى استقبال المحترم من سنى الاهلة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت
قد انقضت ونسبتها الى السنة التى أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين
المتوكل على الله رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرت سنة احدى وأربعين ومائتين فخرت
المكاتب والحسابات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرت
انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها
الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين
الى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رحمة الله عليه في سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان
وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فخرى الامر على ذلك الى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون
سنة اولاهن السنة التى كان يجب نقلها فيها وهى سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء شهور
خراج سنة سبع وثلاثمائة ووجب اقتراح خراج ما يجرى على الضرائب والظسوق في اولها وان من صواب
التدبير واستقامة الاعمال واستعمال ما يخف على الرعية معاملة بها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثلاثمائة
الى سنة ثمان وثلاثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه وبوأخذها به من العناية بهذا النى وحياطة
اسبابه واجرائها مجارىها وسلك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم اجمعين فيما أن يكتب اليك والى سائر

العمال في النواحي بالعمل على ذلك وأن يكون ما يصدر اليكم من الكتب وتصدرونه منكم وتجري عليه أعمالكم ورفوعكم وحساباتكم وسائر منافعكم على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كل مضنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم وأكتب بما يكون منك في ذلك ان شاء الله تعالى * (نسخة ابى اسحاق الصائبي) * أما بعد فأت أمير المؤمنين لازل مجتهدا في مصالح المسلمين وباعشاهم على مرشد الدنيا والدين ومهيأ لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأي فيما يبرمون ويتقضون فلا يلوح له خلة داخلية على امورهم الاستداه وتلافها ولا حال عائدة بحظ عليهم الا اعتدها وأتاها ولا سنة عادلة الا أخذهم باقامة رسمها وامضاء حكمها والاعتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها واذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور البلبها وتجهله العامة بتصور أفعالها وكانت او امره فيه خارجة اليك والى امثالك من أعيان رجاله وأما نل عماله الذين يكتبون بالاشارة ويجتزون يسيرا لالبانة والعبارة لم يدع أن يبلغ من تخليص اللفظ وإيضاح المعنى الى الحد الذي يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بعمالات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الخلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز في المعرفة مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في صدورها ولا أن يقتصر على اللجة الدالة في مخاطبة جهورها حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس في فهم ما أمر وا به وفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الساكين ولا استرابة المستريين اطمانت قلوبهم وانشرت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستقر الاتفاق بينهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من خراز الزبغ والاعوجاج فكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لامقلدون مسلمون وطائعون مختارون لامكروهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه وحراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له ابواب النجاح وينهضه بما اهله لجله من الاعباء التي لا يدعى الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونه ولا يتوجه فيها الابدالاته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن اولى الاقوال أن يكون سدادا واخرى الافعال أن يكون رشادا ما وجدله في السابق من حكم الله اصول وقواعد وفي النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالامة الى قوام من دين أو دنيا ووفقا في آخرة او اولى فذلك هو البناء الذي يثبت ويعلو والغرس الذي يثبت ويزكو والسعي الذي تنجح مباديه وهو اديه وتبهرج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكها وتوردهم موارد السعود في مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تقابل عليه من اتصال واقتراق ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر في كروور الشهرور والاعوام وحرور الليالي والايام وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاطمان وتغاير الفصول والازمان ونشو النبت والحيوان مما ليس في نظام ذلك خلل ولا في صنعه زلل بل هو منوط ببعضه ببعض ومحوط من كل ثمة ونقض قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل ألم تر أن الله يوبخ الليل في النهار ويوبخ النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجري مسرعة لهما ذلك تقدير العزيز العليم وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففضل الله تعالى بهم الايات بين الشمس والقمر وأبأننا في الباهر من حكمه والمجزم من كلامه أن لكل منهم ما طريقا سخر فيه ما طبيعة جبل عليها وأن تلك المباني والمخالفات في المسير يؤديان الى موافقة وملازمة في التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع بالتقريب المعمول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وهي المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرة واحتيج اذا انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذي يطابق احدي السنتين بالآخرى اذا افرقتا ويدا في بينهما ما اذا تفاوتا وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اقتسان من طرقها ومذاهمها وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول في قصة اهل الكهف وابشوا في كهفهم ثلثمائة

سنتين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب التقريب فأما الفرس فانهم
اجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا وأيامها اثنا عشر يوما ولقبوا بالشهور
بأثنى عشر لقبا وسماوا أيام الشهر منها ثلاثين اسما وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المستترقة وكبسوا الربع
في كل مائة وعشرين سنة شهرا فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته
وانفج ما بينه وبين حقيقة وقته انفر اجاهوزا ندلا ينف ودلا لا يتقطع حتى ان موضوعهم في النوروز أن يقع
في مدخل الصيف وسينتهي الى أن يقع في مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان أن يقع في
مدخل الشتاء وينتهي الى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظرا
في العاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارضاد شهورها وأنواء عرفوها وفضوا الخمسة الايام على الشهور
وساقوها على الدهور وكبسوا الربع في كل أربع سنين يوما وسموا أن يكون الى شباط مضافا فقرروا ما بعده
غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا اثرهم لاجرم ان المعتضد بالله رحمه الله على اصولهم بنى ولثا لهم احتذى
في نصيبه نوروزة اليوم الحادى عشر من حزيران حتى سلم مالحق النواير في ساقف الا زمان وتلافوا الامر
في بحز سنى الهلال عن سنى الشمس بأن جبروها بالكبس فكلما اجتمع من فصول سنى الشمس وما بقى تمام شهر
جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا فرماتم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين ورماتم في
سنتين بحسب ما يوجب الحساب قصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين ابدالا لاتباع ما بينهما وأما
العرب فان الله تعالى فضلها على الامم الماضية وورثها غرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صياها وما وقت
أعيادها وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها في بارؤية الالهة ارادة منه أن تكون
مناهجها واضحة وأعلامها لأئمة فيسكافا في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام والناقص
الفقه والتمام والاثني والذكر والصغير والكبير والا كبر فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الغلات
المقسومة وخراج الارض المسووعة ويحسبون في سنة الهلال الجوالى والصدقات والارباء والمقاطعات
والمستغلات وسائر ما يجرى على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقيح جدا وازداد بعدا
اذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهى اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها فوجب مع هذا أن
تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز الى ما بعدها ولا يتخطى ولم يجز لهم أن يعتدوا بالخالفهم في كبس السنة الهلالية
بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لخرحت الاشهر الحرم عن موافقها وارتجت المناسك عن حقائقها وانقصت
الجباية في سنى الالهة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانظروا بذلك الفضل الى أن تم السنة وأوجب
الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتأخرة قليلا
لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسمة مع تلك النعمة في دينهم وقد رأى أمير المؤمنين
نقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية جعلا بينهما ولزوما لتلك السنة فيهما
فاعمل بما ورد به امر أمير المؤمنين عليك وتضمنه كتابه هذا اليك ومهر الكتاب قبلك أن يحثذ وارسمه فيما يكتبون
به الى عمال نواحيك ويخلدونه في الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ويعدونه من خروج الاموال وينظمونه في
الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسابات ويوغرون بكتبه من الروزنامجات والبرآت وليكن
المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلاثمائة التي وقع النقل اليها واقم في نفوس من بحضورك من اصناف الخند
والرعية واهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسما ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على قابضى العطاء بنقصان
ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باغضاء عما وجب أدائه فان قرائح اكثرهم فقيرة الى افهام أمير
المؤمنين الذى اثر أن تراح فيه العلة ويستدبه سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا في المسدد الطوال التي في
مثلها يحتاج الى تعريف الناسى وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال
ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية
وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي مع الافضل بن أمير
الجوش في ذلك فأجاب اليه وخرج أمره الى الشيخ أبي القاسم بن الصيرفي بانشاء سجل به فأنشأ ما نسخته
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ارتضى أمير المؤمنين امينه في أرضه وخليفته وألهمه أن يعم بحسن

التدبير عبيده وخلقه ووقفه لمصالح يستمد أسبابها ويفتح بحسن نظره أبوابها وأورثه مقام آياته الراشدين
الذين اختصهم بشرف المفخر وجعل اعتقادهم سبب النجاة في المحشر وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وأعلى منار سلطانه بمدبر أفلاك دولته ومبدأ أعداء مملكته وأشرف من نصب الجند علما
وراية ووقف على مصلحة البرية نظره ورايه وأرشد بهدايته الأبواب الخائرة وأذهب بجملة الأحكام الخائرة
النسيء الأجل الأفضل ونظم النعوت بالدعاء للذي كل تدبيره نظام الصلاح وعمه وسدد تقريره الأمور
في كل ما قصده وعمه ونبه في السياسة على ما أهمله من سبقه وأعفله من تقدمه وتبجح أحوال المملكة
فلم يدع مشكلا إلا أوضحه وبين الواجب فيه ولا خلا لا أصله وبادر بتلافيه ولا مهملا إلا استعمله على ما يوافق
الصواب ولا ينافيه أشار العمارة الأعمال وقصد الما يقضي بتوفير الأموال ونوخيها لمساعد بضروب
لاستغلال واعتناء برجال الدولة العلوية واجنادها واهتماما بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتدادها
ورعاية لمن ضمنه اقطار المملكة من الرعايا وجلالهم على العدل السنن وأفضل القضايا بحمد امير المؤمنين على
ما اعانه عليه من حسن النظر للامة وأذخره لايامه من الفضائل التي صفت بها ملابس النعمة ووقفه لما يعود
على الكفاية بشمول الانتفاع حتى صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة واستيفائها
بمقتضى المعدلة فيما يجرى على احكام الخراج وأوضاع الاهل ويرغب اليه بالصلوة على محمد الذي منزه بالحكمة
وقصص الخطاب وبين به ما استبهم من سبل الصواب وانزل عليه في محكم الكتاب هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى آخيه وابن عمه اينسا أمير
المؤمنين على بن ابي طالب كفيه فيما اعضل لما عدم المساعده وواقبه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد وعلى
الائمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق ويهدلون وان
أولى ما اولاه امير المؤمنين خطا وافيا من تفقده وأسهم له جزأ وافر من كريم تعهده ونظر اليه بعين اهتمامه
واخصه بالقسم الاجزل من استمالة امر الأموال التي يستعان بها على سد الخلل وبرجائها يستدفع ما يطرق
من الحادث الخلل وبوفورها تستتمت شؤون المملكة وتستقيم احوال الدول وباستخراجها على حكم العدل
الشامل ووصية انصاف المعامل تكون العمارة التي هي اصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ولما كانت
جباياتها على حكمين احدهما يجيئ هلاليا وذلك ما لا يدخله عارض ولا اشكال ولا ايهام ولا يحتاج فيه الى
ايضاح ولا افهام لان شهور الهلال يشترك في معرفتها الامير والمقصر ويستوى في الفهم بها المتقدم في العلم
والمأخر اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام من سؤمهم والاخر يجيء خراجيا
ويثبت بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات ما يجرى ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة وتحفظ احبائه
دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه ولا يستقل بعرفته الامن بأشبه وعرف موارده ومصادره فوجب
أن يقصر على السنة الخراجية النظر ويفعل فيها ما تعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر ويعتمد في ايضاح امرها
وتقديم حكمها على ما تحلى به التواريخ وتزين به السير ويكون ذلك شاهدا للمساعى السعيدة الاجل الافضل
الذي لا يزال ساهرا ليله في حياطة الهاجعين شاهر اسيفه في حياطة الوادين مطالعا للدولة بدور السعادة
وشموها مدلا لها صعب الحوادث وشموها ناطقة تارة بأن امة هورا عيا قد فضل الله سائسها واسعد
مسوسها وهذا حين التبصير والارشاد وأوان التبيين للغرض والمراد لتساوى العامة والخاصة في علمه
وتسعهم الفائدة في معرفة حكمه وتحقيق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها وتيقن المعدلة
عليهم فيما يؤمن من المضار التي يحتاج الى استمدراكها ومعلوم أن ايام السنة الخراجية وهي السنة الشمسية
بخلاف السنة الهلالية لان ايام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر الدسي ثلثمائة وخمسة
وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذي الحجة ثلثمائة وأربعة وخسون يوما
والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب
ويقتضيه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق أن يكون أول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت
نسبتها واحدة استقر اتفاق التسمية فيهما وبقي ذلك جاريا عليهما ولم ينال امتد اخلايكون لمدخل الخراجية
في اثناء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة

الهلالية من نوروز يكون فيها وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعله المقدم
 ذكرها ومن اين يستمر بينهما اثتلاف او بعدم لهما اختلاف ام كيف يعقد ذلك أحد من البشر والله تعالى
 يقول لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر فقد وضح دليل التباعد بما جاء منصوصا في الكتاب وظهر برهانه
 بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التي تليها لتكون موافقة للهلالية
 وجارية معها وفائدة النقل أن لا تتحول السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لهما الآن واجبات
 العسكرية على عظمها واتساعها وأرزاق المرتقة على اختلاف أجناسها واطرافها جارية على أحكام الهلالية
 غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال والمحافظة على غرة ارتفاعها متعينة ومنفعة العناية بما تجرى
 عليه واضحة مبينة والما هلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين وأربع مائة الخراجية
 الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم
 اهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبي خراج ما يوافقها فيها ولا تدرك غلات السنة
 الجرى مالها عليها الا في السنة التي تليها فهي تستهل وتنتهي وليس لها في الخراجي ارتفاع والاعمال تطيف
 بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا انتفاع وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية والاذية فيها للرجال
 المقطعين بادية وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متبادية ولا سيما من وقع له بائيات وانعم عليه بزيادات فانهم
 يتجهلون الاستقبال ويتأجلون الاستغلال ومضى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنتين
 هلالية وهي موافقة لغيرها وما لها يجري على سنة تجرى بينهما لان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة
 احدى وخمسمائة وانقضت في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهي متداخلة بين هاتين السنتين
 وما لهما يجري على سنة احدى وخمسمائة والحال في ذلك لا ينتهي الى أمد ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد
 وقد رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه ما خرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذي نبهه على هذا الامر
 وكشف غامضه وأزال بحسن توصله تنافيه وتناقضه أن يوغر الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا
 ما رآه ودره مودعا انفاذ ما أحكمه وقدر من نقل سنة تسع وتسعين وأربع مائة الى سنة احدى وخمسمائة
 لتكون موافقة لهما ويجرى عليها مالها ويكون ما يستأدونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم
 جارية على نظام محروس ونطاق محيط غير مخسوس وشاهد انصيب موفى غير متقوص ويتضح ما أبهم اشكاله
 التسمية ويزول الاستكراه في اختلاف التسمية ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع
 وثلاثين وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبي من الاقطاعات بما كان جارية على ذكر
 سنة تسع وتسعين وأربع مائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجري الاضافة اليها يجري ما يرتفع من الهلالي
 فيم تكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من
 انتقالها وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربع مائة الخراجية الثابتة بالتسمية الى سنة احدى وخمسمائة
 المشار اليها ويكون مالها جارية عليها فليعتمد ذلك في الدواوين بالحضرة وفي سائر اعمال الدولة فاصيها ودانيها
 وفارسها وشاميها وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السن واتباعه
 وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة وأوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه وليحذروا من تجاوزه
 وتعتديه ولينسخ في دواوين الاموال والحيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك في بيوت المال المعمورة وكتب في
 محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه
 نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسمهما
 لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة
 الخراجية الى هذه السنة وكان آخر نقل نقلته هذه السنة في الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربع مائة
 وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وبسبب هذا الانفراج بينهما
 زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية احدى عشر يوما واغفال النقل في سنة ثلاث وثلاثين في أيام
 الوزير الافضل رضوان بن ونحشى وانحجب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها في بعض الى أن صار
 التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يتعدى التسمية ولا يتجاوز اللفظ ولا ينقص

ما لا ديوان ولا مقطع وانما يقصده ازالة الالباس وحل الاشكال * وقال القاضي ابو الحسين وسخنة الكتاب
 الذي انشاء القاضي الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زاد الله في اعلائها بآداب هذا المنشور
 اننا نؤثر من حسن النظر ما يؤثر احسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتجلى به الغير ولا تزال
 خواطرنا تعلى فتطلع الدراري وتغوص قنوج الدرر وان اولى ما استحدثت به البصائر وحسنت فيه المصائر
 كل امر يصح المعاملات وينسرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال وبسرحها وما واجب نقل السنة
 الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لانفراجهما بسنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه
 السنة مطلع المستهلين امضينا هذه السنة الخالية في هذه السنة الآتية واستخبرنا الله تعالى في نقل سنتي
 خمس وست وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية نقيها
 للامور المشبهة والتسمية الموهمة وتنزيها للسني الاسلام عن التكنيس ولتأريخه عن ملاسة التليس واعلاما
 بالوفاق الذي استشعرته آباؤها ونحوها واعلاما باتباعه عناية بعبايد السلف التي خلفوها للخلف ونحوها وفي ذلك
 ما تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب ويؤول به الاشكال ويؤمن به الاختلال وينقسم به
 الغلط في الحساب ويؤلف بين السنين المختلفة الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التواريخ
 معاملته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله هجنته كونه مقدمة في التوفية لان من أعطي في سنة
 التسمية وعن معاملته بيت المال وصحة كونها معذوقة بالمطل وقد بالغت في التوفية لان من أعطي في سنة
 سبع وستين وخمسمائة استحقاق سنة خمس فلا ريب أنه قد مظل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع
 فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسابات بهذا الوضع ويعمل في التقارير والتسجيلات
 على هذا فليفعل في ذلك ما يقضي بارتاج هذا الانفراج وجبر هذا الصدد وليعلم في الدواوين علمه ولينفذ
 فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث ثبت مثله ان شاء الله تعالى * (وأما تاريخ العرب) فانه لم يزل في
 الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الالهة وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا انهم اختلفوا في اسمائها
 فكانت العرب العاربة تسميها ناتي وتيسل وطلبي واسخ وأنخ وحلك وكسح وزاهر ونوط وحرف
 وبغش فنياتق هو المحترم وتيسل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت ثمود تسميها موجب
 وموحر ومورد وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وديمر ودابر وحيل ومسيل فوجب هو
 المحترم وموحر صفر الا انهم كانوا يبدون بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم
 ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخرى مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا والاصم وعادل
 وبابق ووعل وهواع وبرك ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شئ مما تأتي به السنة من اقضيتهما وناجر من النجر
 وهو شدة الحر وخوان فعال من الحيانة وصوان بكسر الصاد وضمة الفاعل من الصيانة والزبا الداهية
 العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا بعد الزبا بانددة وبعد بانددة الاصم
 ثم واغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبيان من القتال اذ كان فيه يبيد كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقليل
 العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستجلبون فيه ويتوخون بلوغ النار والغارات قبل رجب فانه شهر
 حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب
 ولم يدعو ذلك لانه تجمع على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لان الذي يتلوه هي شهور الحج
 وباطل هو مكيال الخمر سمي به لافراطهم فيه في الشرب وكثرة استعماهم لذلك المكيال وأما العادل فهو من
 العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام كانت ترب فيه لقرب
 النحر وأما برك فهو لبروك الابل اذا حضرت المنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع
 الاول نصار وربيع الآخر خوان وجمادى الاولى جتن وجمادى الآخرة الرنة ورجب الاصم وهو شهر
 مضر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمتاز فيه وتغير اهلها وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ويخرجون
 الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتي وشوال واغل وذوالقعدة هواع وذوالحجة برك
 ويقال فيه أيضا برك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمى العرب أشهرها بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع
 الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة

واشتهقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فاحترموا يحترمون فيها لقتال وصفر كانت
تصفر فيه بيوتهم ونحو وجههم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يحمد فيهما الماء لشدة
البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرضاء لانه كان يأتي فيه القبط وشوال تسيل
فيه الابل اذنابها وذو القعدة لقعودهم في دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور
الجاهلية اولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر في احدهما هو صميم الحروب
وفي الآخر رمضان ولا يمكن ذلك في وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولا تستعمل هذه الشهور
على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الهوى اولا لان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات
النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادئ الشهور لرؤية الاهله وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين
فر بما كان بعض الشهور تأما أعني ثلاثين يوما وربما كان ناقصا أعني تسعة وعشرين يوما وربما كانت اشهر
متوالية تأمة اكثرها اربعة وهذا نادر وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب
في ازمة السنة كلها وهو أبدا عاشر ذي الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم
الحج تفرقت العرب طائفة أما كنهم واقام اهل مكة بها فلم يزوالوا على ذلك دهورا طويلا الى أن غيروا دين
ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا في معيشتهم ويجعلوا حجهم في وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود
والثمار ونحوها وأن ثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الازمنة وأخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود
الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبي بني اسرائيل وعملوا النسيء قبل الهجرة بنحو ما تقي سنة وكان الذي يلي
النسيء يقال له القلس يعني الشريف وقد اختلف في اول من أنشأ الشهور منهم فقيل القلس هو عدى بن
زيد وقيل القلس هو سري بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الاهله ثلثمائة وأربعة
وخمسين يوما وأرى شهور الحج ثلثمائة وخمسة وستين يوما فبيننا وبينهم احدى عشر يوما فقي كل ثلاث سنين
ثلاثة وثلاثون يوما فقي كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج في ذي القعدة فاذا جاءت ثلاث
سنين أخر في المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال وألبستها باللال وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد
الا خنم وكان النسيء في بني كنانة ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذي يلي ذلك منهم ابو ثمامة المالكي ثم
من بني فقيم وبني فقيم هم النساء وهو نسيء الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهتكم العزى قد
أنسأت صفر الاول وكان يحلده عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك عطفان وهو ازن وسليم وقيم وآخر
النساء جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن قيس وقيل القلس هو حذيفة بن عبد بن
قيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم
الذي قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور
وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا ارد أن ينسيء منها شيئا أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر
فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا اجاب ولا اعاب في امرى
والامر لما قضيت اللهم اني قدأ حلت دماء المحلين من طي وخنم فأقتلوهم حيث تقتلوهم اي ظفرت بهم اللهم اني
قدأ حلت أحد الصغرين الصفر الاول وأنسأت الآخر من العام المقبل وانما أحل دم طي وخنم لانهم كانوا
يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل اول من أنشأ سري بن ثعلبة وانقرض فأنشأ
من بعده ابن اخيه القلس واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة ثم صار النسيء في ولده وكان آخرهم
ابو ثمامة جنادة وقيل عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد أبيه عباد بن
حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن قيس وكان يقال لحذيفة القلس وهو أول من أنشأ الشهور على العرب
فأحل منها ما أحل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام
وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدا يقال انه أنشأ أربعين سنة ولهم يقول عير بن قيس جذل الطعان يفخر

وأى الناس لم يسبق لبوتر * وأى الناس لم يعلك لجاما

ألسنا الناسين على معدة * شهور الحل نجعلها حراما

وقال آخر

اتزعم اني من فقيم بن مالك * لعمري لقد غيرت ما كنت اعلم

لهم ناسي يمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس في كل اربع وعشرين سنة قرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم وكان النسيء الاول للحرم فسمي صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسيء الثاني بصفر فسمي الذي كان يتلو بصفر أيضا وكذلك حتى دار النسيء في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يعبثون ادوار النسيء ويحدثون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطولع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسيء بلغت شعبان فسمي محرمًا وشهر رمضان صفر وقيل ان النسيء الثاني المحرم وجعله كبسا وآخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهر اغضى على ذلك مائتان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة وهي السنة التي حج فيها ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجة هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع وأنزل الله تعالى ابطال النسيء بقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطبوا عدة ما حرم الله فيحلبوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسيء واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهله ولله الحمد * وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فحما كانت تواريخه ان كانه أرخت من موت كعب بن لؤي حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لؤي والفيل خمسمائة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فسألهم من اي يوم يكتب التاريخ فقال علي بن ابي طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعنه سهل بن سعد الساعدي قال اخطأ الناس في العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد بن عبد الله بن الخطاب رضي الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمري أمانورخون تكتبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اي شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلح محله شعبان فقال اي شعبان هو أشعبان الذي نحن فيه او الاتي ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استخضر عمر رضي الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسبا باسمه ماه روزمناه حساب الشهور والايام فعرىوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اول التاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد نصرت من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقري ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول محرم هذه السنة ثم احصوا من اول يوم في المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشرين سنين وشهرين وأما اذا

حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعد هاتسعين سنين وأحد عشر شهرا
واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون
سنة تنقص شهرين وثمانية أيام وابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس أول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة
آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفت فنام الخلاف في ذلك
وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيليبس المقدوني الرومي تسعمائة واحد وستون سنة قرية وأربعة وخسون
يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنين وثلاثين سنة ومائتين وتسعة وثمانين يوما عن التسعة أشهر وتسعة
عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما * وقال ابن ماشا الله ان
انتقال المرم من المثلثة الهوائية التي هي برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التي كانت دولة
الاسلام فيها عند تمام ستين ألف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وقت القران
الأول الواقع في بدء التحرك يعني خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع في أربع درج ودقيقة
واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسلامية قال وفي السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه السنة وبين أول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية
عدها احدى وخسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت
قران الملة ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنان وعشرة سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود أن من
آدم عليه السلام الى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنين وأربعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت النصارى أن
بينها خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت المجوس اعنى الفرس أن بينهما أربعة آلاف
ومائة واثنين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت أن شهر تاريخ الهجرة قرية وأيام كل
سنة منها عدها ثلثمائة وأربعة وخسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية
الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب
على ما ستراه في ذكر القارة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج ما لا بد منه من معرفة الاهلة
وسمت القبلة وغير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربي وجعلوا شهر السنة العربية شهرا كاملا وشهرا
ناقصا وابتدؤا بالمحرم اقتداء بالصحابه رضى الله عنهم فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما
وربيع الأول ثلاثين يوما وربيع الآخر تسعة وعشرين يوما وجادى الأول ثلاثين يوما وجادى الآخر
تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوال تسعة
وعشرين يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم الذى
هو خمس وسدس يوما في ذى الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذى الحجة في تلك السنة
ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة وبصير عددها ثلثمائة وخمسة وخسين يوما ويجمع في كل ثلاثين من
الكبس احدى عشر يوما والله أعلم * وأما تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تلك
يزدجرد بن شهر يارب بن كسرى ابرويز ارخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام في المملكة بعدما تقدم ملك فارس
واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضا آخر ملوك فارس وبقته تفرق ملكهم وأول هذا التاريخ يوم
الثلاثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون يوما وأيام سنة هذا التاريخ تنقص
عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون في كل مائة وعشرين سنة شهر واحد اولهم في كبس السنة آراء ليس
هذا موضع ارادها وعلى هذا التاريخ يعتمد في زمننا اهل العراق وبلاد العجم والله عاقبة الامور

* (ذكر فسطاط مصر)

قال الجوهري الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اختط في الاسلام
بعد ما فتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية
ومبانية وحين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسى المملكة من مدينة الاسكندرية بعدما كانت منزل الملك
ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به امراء مصر فلم ينزل على

قوله وقال ابن الخ
هكذا هذه العبارة
في جميع النسخ التي
بيدي ولا تخلو عن
تحريف ظاهر ككثير
من عبارات هذا
الكتاب ولا يعلم الغيب
الا الله اه

ذلك حتى بنى العسكر بظاهر القسطنطينية فيه امراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم القسطنطينية فلما أنشأ
الامير ابو العباس احمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا
الى أن انقرضت دولة بنى طولون فصار امراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج القسطنطينية وما زالوا على
ذلك حتى قدمت عساكر الامام المعز لدين الله ابي تميم مع مدد الفاطميين مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة
وصارت خلافة واستمر سكنى الرعية بالقسطنطينية وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عادة مدن
المعمور حاشا بغداد وما زال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مري ملك الفرنج
بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستدلاء على مملكة مصر وأخذ القسطنطينية والقاهرة فحجز الوزير شاور
ابن مجير السعدي عن حفظ البلدين معا فأمر الناس باخلاء مدينة القسطنطينية والحقاق بالقاهرة للامتناع
من الفرنج وكانت القاهرة اذئذ من الحصانة والامتناع بحيث لا ترام فارتحل الناس من القسطنطينية
وساروا وباسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار في القسطنطينية فلم تزل به بضعا وخسين يوما حتى
احترقت أكثر مساكنه فلما رحل مري عن القاهرة واستولى شريكوه على الوزارة تراجع الناس الى القسطنطينية
ورموا بعض شعبه ولم يزل في نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار القسطنطينية يعرف في زماننا بمدينة مصر والله
اعلم

* (ذكر ما كان عليه موضع القسطنطينية قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة) *

اعلم أن موضع القسطنطينية الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي
الذي يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم ببعضه بقصر الشمع وبالمعلقة
ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القيصرية ملوك الروم عند مسيرهم من مدينة الاسكندرية ويقع فيه
ما شاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن
في النيل الى باب الغربى الذي كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل من باب الغربى
حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التي تجاه الحصن وهي التي تعرف اليوم بالروضة
قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود في زقاق مسجد
ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعني سنة عشرين وثمانمائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة
وسير في هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهي الجهة الشمالية اشجار
وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي
يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التي كانت بجانبه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بجبل
يشكر حيث جامع ابن طولون والكيش عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي كان يعرف في
اوائل الاسلام بالجراة وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقي بالجراة عدة من الديارات الى
أن هدمت في ساطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى
فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية انفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واخطط الجامع المعروف
بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واخطط قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالقسطنطينية
ونزل الناس بها فالتحقسروا بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن ارض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون
يوقفون هناك دوابهم ثم اخطوا فيه المساكن شيئا بعد شيء وصار ساحل البلاد حيث الموضع الذي يقال له اليوم
في مصر المعاريح مارا الى الكوم الذي على يسرة الداخل من باب مصر بمجد الكبارة وفي موضع هذا الكوم
كانت الدور المطلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث يستأن ابن كيسان الذي يعرف اليوم
ببستان الطواشي في اول مراغة مصر وجميع الاماكن التي تعرف اليوم بمراغة مصر وبالجرف الى الخليج
عرضا ومن حيث قنطرة السدة الى سوق المعاريح طولا كان غار ابناء النيل الى أن انحسر عنه ماء النيل بعد
سنة ست مائة من سقى الهجرة فصار رملية ثم اخطط فيها الامراء مما يلي النيل آرا عند ما عمر الملك الصالح
نجم الدين أيوب قلعة الروضة واخطط بعضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون جامع المعروف بالجامع

الجديد الناصري ظاهر مصر فعمروا حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراني الى بركة الحبش طولا ومن ساحل النيل بموردة الخلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريج وما على ستمته الى تجاه المشهد الذي يقال له مشهد الرأس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها بجزر الايجول بين الحصن والجامع وما على ستمته الى الجراء الدنيا التي منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة شيء سوى ماء النيل وجميع ما في هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلا قليلا واخط على ما يتبين لك في هذا الكتاب

* (ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع) *

اعلم أن هذا القصر احدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف في الوقت الذي بنى فيه ومن أنشأه من الملوك فذكر الواقدي أن الذي بناه اسمه الريان بن الوليد بن ارسلان وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر وذلك انه اذا حلت الشمس في برج من البروج اوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلداني فأقام خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منه الا اثره فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدي اليونانيين ولي مصر من قبلهم رجل يقال له ارجليس بن مقرطيس فبنى القصر على ما وجد من اساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في ملكة الفرس فوليا منهم كشرجوش الفارسي باني قصر الشمع وبعده طخارست الطويل الولاية وتوالت بعده ثواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذي بناه طخاشا أحد ملوك الفرس عندما سار لمحاربة اهل مصر فلما غلب قسطو ملك مصر الذي يعرف بفرعون سابان وفرغ منه الى مقدونية غلب على ملك مصر واستولى عليها وبنى للفرس قصرا وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل في القصر بيت نار وهو بواق * وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذي يقال له باب اليون وهو الحصن الذي بقسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جوع فارس عن الروم وأخرجتهم الروم من الشام اتمت بناء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان ابو الاسود نصر بن عبيد الجبار يقولها بالميم يعني باب اليوم ويقال انما سمي كذا لانهم كانوا يقولون من يقاتل اليوم * وقال القاضي ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال ان فارس لما ظهرت على الروم وملككت عليهم الشام وملككت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنيت فيه هيكلًا لبيت النار ولم يتم بناؤه على ايديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتمت بناءه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان وبحضرتها مسجد معلق احمدته المسلمون * وقال ابو عبيد البكري باب اليون بمصر ان كان عربيا فانه مثل يوم ويوح مما فاؤميا وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلا من بين وهو اسم موضع على مذهب ابي الحسن في فعل من البيع يوع قال وليست الاقف واللام فيه للتعريف فعلى هذا يجب أن تثبت في الرسم وقال ابو صخر

وحلوا تمهاى ارضنا وتبدلوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية في شعر كثير عزة في قوله

جرى بين باب البون والعصب دونه * رياح اشقت بالنقى واشت

بالباء وفتح النون غير مجرور للجمة على أن همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال الحازمي باب البون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسموها القسطاط وقال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب اليه مصر هو بابليون ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمى عمرا هذا طوطيس ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضي القاضي في ظاهر القسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلده مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بناءه بقية مبنية بالحجارة

على طرف الجبل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح في أن قصر باب اليون غير قصر الشمع فان قصر الشمع في داخل القسطنطينية وقصر باب اليون هذا عند القضاة على الجبل المعروف بالشرف والشرف خارج القسطنطينية وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر والله اعلم * ويقال ان في زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه اول من اظهر علم الحساب والسحر وجعل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفي ذلك الزمان بنيت بابل يون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وأما قسطنطينية مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب قسطنطينية حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فان قسطنطينية عمرو انما كان مضر وباعند درب حمام شمول بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة وهو أقدم بخط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجناتنا وحاز موضعه قيسمة التيجاني ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وستقف على هذا ان شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو عند ذكر الجواني مع من هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه اربعة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر باب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقرب عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال ابو عمرو الكندي في كتاب الامراء وقد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب وطروق المسجد في اماره يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة على مصر وورد كتاب ابي جعفر المنصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من القسطنطينية الى القسطنطينية وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة والله اعلم

* (ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر) *

اختلاف الناس في فتح مصر فقال محمد بن اسحق وابو معشر ومحمد بن عمرو والواقدي ويزيد بن ابي حبيب وابو عمرو الكندي فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخلابه فقال يا امير المؤمنين ائذن لي أن اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي اكثر الارض اموالاً وأعجز عن القتال والحرب فتحثو عمر بن الخطاب وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم امره عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على اربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخسمائة وقال له عمر مر وأنامستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سر يعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابي أمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها او شيئاً من ارضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكانه يخوف على المسلمين في وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمر الكتاب اذ هو برقع فتحثو عمرو بن العاص هو اخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين ربيع والعريش فسأل عنها فقبل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه أستم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان امير المؤمنين عهد الي وأمرني ان لحتني كتابه ولم ادخل ارض مصر أن ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بفلسطين فقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغير اذن فكتب فيه الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمرو وهو دون العريش فبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصي ابن العاصي أما بعد فانك سرت الى مصر ومن

معك وبها جوع الروم وانما معك نفر يسير ولعمري لو نكل بك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال
عمر والحمد لله أية ارض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو ويقال بل كان عمرو في جندته على قيسارية مع من كان
بها من اجناد المسلمين وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ذاك بالجالية فكتب سرافا مستأذن أن يسير الى مصر
وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل الى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقدوا امرأ
الاجناد استنكروا الذي فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر الى العاصي ابن
العاصي أما بعد فانك قد غررت بمن معك فان أدركك كلابي ولم تدخل مصر فارجع وان أدركك وقد دخلت فامض
واعلم أني ممدك * ويقال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام أن انذب
الناس الى المسير معك الى مصر فن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبيدة فذهبهم عمرو فأسرعوا الى
الخروج مع عمرو ثم ان عثمان بن عفان رضي الله عنه ادخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتبت الى عمرو بن
العاص يسير الى مصر من الشام فقال عثمان يا أمير المؤمنين ان عمر الجري وفيه اقدام وحب للمارة فأخشي
أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون ام لا فقدم عمر على كتابه الى
عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب اليه ان أدركك كلابي قبل أن تدخل الى مصر فارجع الى موضعك وان كنت
دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع القسطاط فكان يجهر
على عمرو والجيوش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل
عمرو حتى اذا كان بجبل الجلال نفرت معه راشدة وقبائل من لخم فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش أدركه النحر
فخشي عن أصحابه يومئذ بكبش وتقدم فكان أول موضع قوتل فيه الفرما فالتته الروم قتلا شديدا فتحوامن
شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على مينة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه
وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه
لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع وبأمرهم يتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ
لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فسمع رجل من لخم نقرأ من القبط يقول
بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جوع الروم وانما هم في قلة من الناس فأجابهم رجل
منهم فقال ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد الا ظهر واعليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لايدافع الا بالامر
الخفيف حتى اتى بليس فقاتلوه بها فتحوامن الشهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى
ام دين فقاتلوه بها قتلا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستدته فأمدته بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف
وقيل بل أمدته باثني عشر ألفا فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم أربعة آلاف عليهم أربعة
الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة
دون مسلمة ثم احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندقوق الذي يقال له الاعرج من قبل المقوقس بن قرقة
اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان هرقل غير أنه كان حاضرا الحصن حين حاصره المسلمون
فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال انذب معي خيلا حتى آتى من دياراتهم عند القتال
فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة في قول فسا روا من وراء الجبل حتى دخلوا مغاربي
واثل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له ابوابا وبنوا في افنيها حبل الحديد فالتقى القوم
حين اصبحوا وخرج خارجة من وراءهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على
الحصن وقاتلهم قتلا شديدا يصحبهم ويمسيهم وقبل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستدته
ويعلمه بذلك فأمدته بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد
ابن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لا يعدون مسلمة وقال عمر ان معك
اثني عشر الفا ولا تغلب اثنا عشر الفا من قلة وقبل قدم الزبير في اثني عشر الفا وان عمر لما قدم من الشام
كان في عدة قليلة فكان يفرق أصحابه ليرى العدو وأنهم اكثرتهم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا
ما صنعت وانما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك اياما يغدو في السحر
فيصف أصحابه على افواه الخندق عليهم السلاح فيمينا هو على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم

في اثني عشر ألفا فلقاه عمرو ثم أقبل لا يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخذق ثم فرق الرجال
 حول الخندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المتخنيق ودخل عمرو إلى صاحب الحصن فنادى في شيء مما هم
 فيه فقال عمرو وأخرج واستشيراً أصحابي وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب إذا مر به عمرو أن يلقى
 عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فأنظر كيف تخرج فخرج عمرو
 إلى صاحب الحصن فقال له اني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعو منك مثل الذي سمعت فقال العلي
 في نفسه قتل جماعة أحب إلى من قتل واحد وأرسل إلى الذي كان امره بما امره به من قتل عمرو أن لا يعترض له
 رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت في ناحية يصلي وفرسه عنده فرأه قوم من
 الترم فخرجوا إليه وعليهم حلية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه
 ولوا راجعين فاتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت إليه حتى دخلوا
 الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فخرج ولم يعترض شيء مما طرحوا من متاعهم حتى رجع إلى
 موضعه الذي كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه فلما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير
 اني اهاب الله نفسي أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سبلاً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام
 ثم صعد فأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً فاشعروا الاوازير على رأس الحصن يكبرون معه
 السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر وكبروا في فكريت الناس معه
 وأجابهم المسلمون من خارج فلم يشك اهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً فهدروا وعمد الزبير وأصحابه
 إلى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه ومن معه فنبذ سأل عمرو بن العاص
 الصلح ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابهم عمرو إلى ذلك وكان
 مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر قال وقد سمعت في فتح القصر وجهاً آخر هو أن المسلمين لما
 حصروا باب البون كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلهم شهراً فلما
 رأى القوم الجدة من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبته فيهم خافوا أن يظهر
 عليهم فتحتى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب
 فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل ويقال ان الاعرج تحلف
 في الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم
 ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس إلى عمرو وانكم قوم قد وبلتم في بلادنا وألحتم
 على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصابة يسيرة وقد أظلمتكم الروم وجهوا اليكم ومعهم
 من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجلاً منكم نسمع
 من كلامهم فاعله أن ياتي الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن
 تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقد رعليه ولعلكم أن تندموا ان كان الامر مخالفاً لطلبكم
 ورجائكم فابعثوا الينا رجلاً من أصحابكم نعلم ملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء فلما اتت عمرو
 ابن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه اتروا انهم
 يتناولون الرسل ويستحلون ذلك في دينهم وانما اراد عمرو بذلك أن يرواحل المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله
 انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان تدخلتم في الاسلام فكنتم اخواتنا وكان لكم مالنا
 وان ايتمت فأعطيت الجزية عن يدوانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا
 وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا راينا قوما الموت أحب
 إلى احدهم من الحياة والتواضع أحب إلى احدهم من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نعمة انما
 جلوسهم على التراب واكاهم على ركبتهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف ربيعهم من وضيعهم ولا السيد
 منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم
 فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لزالوها وما يتقوى على قتال هؤلاء
 احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا امسكنتم الارض وقروا

على الخروج من موضعهم فود اليهم المقوقس رسله ابه شوا اليه سلا منكم فعاملهم وتداعى نحن وهم
الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن
الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكام القوم ولا يجيبهم الى شيء يدعو اليه الا احدى
هذه الثلاث خصال فان امير المؤمنين قد تقدم الى ذلك وأمرني أن لا قبل شيئا سوى خصلته من هذه
الثلاث خصال وكان عبادة أسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فها به المقوقس
لسواده وقال نحو اعني هذا الاسود وقد مواعيره يكلمني فقالوا جميعا ان هذا الاسود افضل لنا رايًا وعلمًا
وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما يرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير دوننا بما أمره وأمرنا
أن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود افضل لكم وانما ينبغي أن يكون هود ونكم قالوا
كلانه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعًا وافضلنا سابقة وعقلًا ورأيًا وليس يشكر السواد فينا
فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد كلامك على ازدادت لك هيبة
فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فمين خلفت من اصحابي ألف رجل اسود كلهم اشته سوادا
معي وافطع منظرًا ولورأيهم لم كنت اهاب لهم منك لي وأنا قد وليت وأدبر شيا بي واني مع ذلك بحمد الله
ما اهاب ما تفرجل من عدوى لو استقبلوني جميعًا وكذلك اصحابي وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله
واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا من حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستئثار منها الا أن الله عز وجل
قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالًا وما يالي احدا ان كان له قطار من ذهب ام كان لا يملك الا
درهم الا غاية احدا من الدنيا اكلة يأكلها يستبها جوعه ليله ونهاره وشمله يلتحفها فان كان احدا لا يملك
الا ذلك كفاه وان كان له قطار من ذهب انفق في طاعة الله واقتصر على هذا الذي يسده ويلغى ما كان
في الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا الله وأمرنا به
نبينا وعهدنا لنا أن لا نكون همة احدا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستعرونه وتكون همته وشغله
في رضوانه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت
منظرة وان قوله لاهيب عندي من منظرة ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم
الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت
مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغت ما بلغت الا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه
الا لجهنم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه النبالا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة
والشدة ما يالي احدهم من لقي ولا من قاتل واننا نعلم انكم لن تقصدوا عليهم وان تطيقوهم لضعفكم
وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا اشهر وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم وشغل نزع عليكم لضعفكم وقلتكم
وقله ما بين ايديكم ونحن تطيب انفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين
ولا ميركم مائة دينار ونخلي بفتكم ألف دينار فتقبضونها وتصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا اقوام لكم به
فقال عبادة بن الصامت يا هذا لا تفرق نفسك ولا اصحابك اما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم
وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك
والله ارجب ما يمكن في رضوانه وجنته وما شئ أقتر لا عيننا ولا احب لنا من ذلك وانما منكم حينئذ
لعل احدي الحسين اما أن تعظم لنا بذلك غنية الدنيا ان ظفرتنا بكم او غنية الآخرة ان ظفرتنا ببناء ولا نها
احب الخصالين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لناسي كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
بإذن الله والله مع الصابرين وما من رجل الا وهو يدعور به صبا حاو مساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده
الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله
وولده وانما همنا ما أماننا وما قولك ان في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فحين في أوسع السعة لو كانت الدنيا
كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريد فيمنه لنا فليس بيننا وبينك خصلة
نقبلها منك ولا يجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاخترت ما شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك امرني

الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل اليينا امان اجبتهم الى الاسلام
 الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه وورسله وملائكته امرنا الله تعالى أن نقاتل
 من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعلينا ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت
 ذلك انت واصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لاكم
 وان ابستم الجزية فأدوا اليينا الجزية عن يد وانتم صاغرون وان نعمنا عليكم على شئ نرضى به نحن وانتم في كل
 عام ابداما بقيننا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لاكم في شئ من ارضكم ودمائكم وأموالكم
 ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابستم فليس بيننا وبينكم الا المحاربة
 بالسيف حتى نموت من آخرنا او نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا
 وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال المقوقس هذا ما لا يكون ابداما تريدون الا أن تتخذونا عبيدا ما كانت
 الدنيا فقال له عبادة هو ذلك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس افلا تحبسوننا الى خصلة غير هذه الثلاث
 خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ ما لكم عندنا
 خصلة غيرها فاخترنا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القوم فماترون
 فقالوا او يرضى احدكم هذا الذل اما ما ارادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون ابدأ أن نترك دين المسيح
 ابن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه وأما ما ارادوا أن يسبوننا ويجعلونا عبيدا فالموت أي من ذلك لورضوا منا
 أن نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فماترى فراجع
 صاحبك على أن نعطيكم في مرتكهم هذه ما تمنيت وتصرفون فقال عبادة واصحابه لا فقال المقوقس
 عند ذلك أطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تحببوا اليها
 طائعين لتحببهم الي ما هو أعظم كارهين فقالوا وأي خصلة تحببهم اليها قال اذا اخبركم ما دخلكم في غير
 دينكم فلا آمركم به وأما قتالهم فأنا علم انفسكم لن تقوا وعليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا
 فسكون لهم عبيدا ابدأ قال نعم تكونون عبيدا مسيطرين في بلادكم آمين على انفسكم وأموالكم وذراريكم
 خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتزقوا في البلاد مستعبدين ابدأ انتم واهليكم
 وذراريكم قالوا فالموت أهون علينا واهموا بقطع الجسر من القسطاط والجزيرة وبالقصر من جميع القبط
 والروم كثير فالح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق
 كثير واهرب من اسروا فنجرت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون يراقبونهم وقد أحرق بهم الماء من كل وجه
 لا يقدر على أن يتقدموا نحو الصعيدي ولا الى غير ذلك من المدن والقرى والمقوقس يقول لاصحابه ألم اعلمكم
 واخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتحببهم الي ما ارادوا طوعا ولتحببهم الي ما هو أعظم منه كرها فاطيعوني
 من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم مارا ووقال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون
 بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص اني لم ازل حرصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال
 التي ارسلت الي بها فأبى على من حضر في من الروم والقبط فلم يكن لي أن اقتات عليهم في أموالهم وقد
 عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم ورجعوا الى قولي فأعطى امانا اجتمع انا وأنت انا في نفر من اصحابي وأنت
 في نفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمر واصحابه
 في ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيا وغنمة كما صار
 لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمت ما عهد الى امير المؤمنين في عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال
 الثلاث التي عهد الي فيها اجبتهم اليها وقات منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم
 فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران
 ديناران عن كل نفس شريفة ووضعهم من بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ
 الحلم ولا على النساء شئ وعلى أن للمسلمين عليهم انزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد
 من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم وأن لهم ارضهم وأموالهم لا تعرض
 لهم في شئ منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض

عليهم الدينار ان رفع ذلك عرفاؤهم بالايان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها
من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضة عليهم يومئذ اثني
عشر ألف دينار في كل سنة * وقال ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي لما فتح عمرو مصر صالح عن
جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي فأحصوا
بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم أن يخبروا فن
احب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماله مقترضا عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها
من ارض مضر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيسار في الروم خاصة
حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه
وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويحجزه ويرد
عليه ما فعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من بهامن كثرة عدد القبط
ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر
من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على
ما قدر رأيت فحجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون انت ومن معك من الروم في حال القبط اذ لا فتان لهم انت
ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كبريتكم وقوتكم وعلى قدر قلة
وضعفهم كأكلة ناضهم القتال ولا يمكن لك رأي غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة
الروم قتال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قلة وضعفهم اقوى وأشد منا على قوتنا
وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل ما تفرجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة
يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يفتي أن لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم اجرا عظيما في قتله
منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولالة الا قدر بلغة العيش من الطعام
واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهو لا وكيف صبرنا معهم واعلموا
معشر الروم والله اني لا اخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وانى لا علم انكم سترجعون غدا الى قولي
ورأيي وتتنون أن لو كنتم اطعموني وذلك اني قد عانيت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه
أما يرضى احدكم أن يكون آمن في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو
فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب الى والي جماعة الروم أن لا ترضى بمصالحك وأمرهم بقتال حتى
يظفروا بك او تظفر بهم ولم اكن لا اخرج مما دخلت فيه وغاقتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن أطاعني
وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على نفسي والقبط متمون لك على الصلح
الذي صالحتهم عليه وعاقبتهم وأما الروم فأنا منهم بريء وأنا أطلب اليك أن تعطيني ثلاث خصال لا تنقض بالامط
وأدخلني معهم وأزمني ما لمزهم وقد اجتمعت كلتي وكلمتهم على ما عاقدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب وأما
الثانية ان سألت الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيا وعبيدا فانهم اهمل ذلك لاني
نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني وأما الثالثة أطلب اليك ان اتأمرهم أن يذنبوني بحبس
الاسكندرية فأنت لهم له عمر وبذلك وأجابه الى ما طلب على أن يضموا له الحسمين جميعا ويقمو الهم الانزال والضيافة
والاسواق والجسور ما بين القسطنطينية الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء في الحديث
وقال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شرح فصار عمرو بن معمر حتى نزل على الحصن فحاصروهم
حتى سالوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل
من أصحابه دينارا وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسألوه أن يأذن لهم أن يهيموا له ولاصحابه ضنعا ففعل وأمر
عمرو أصحابه فتهيموا ولبسوا البرود ثم أقبلوا فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم أنفقت قالوا عشرين ألف
دينار قال عمرو ولا حاجة لانهن بكم بعد اليوم ادوا المئاة عشرين ألف دينار فجاءه نفر من القبط فاستأذنه
الى قرأهم وأهليهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نزال احسننا فقال الرجل الذي قال في المرة الاولى
انكم لن تروا انظفرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وأمر به فطلب اليه أصحابه وأخبروه

انه لا يدري ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمر ا قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل في طلب ذلك القبطي فوجدوه قد هلك فحجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمرو بن الخطاب قلت هو ما قال القبطي فلما حدثت انه انما قتله ابولؤلؤة رجل نصراني قلت لم يعن هذا انما عني من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت أن ما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من صنعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا ذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الأكسية واشمال السماء والعقود على الركب فلما حضروا الروم وضعوا كراسي الديباج فجلسوا عليها وجلس العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فيتطير على من الى جنبه من الروم فشعرت الروم ذلك وقالت أين أولئك الذين كانوا أنونا قبل فقبل لهم أولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب * وقال الكندي وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفاً وخمسة مائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص أن الذين جرت سمماتهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفاً وثلثمائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا في هذا الحصار من المسلمين دفنوا في اصل الحصن * وذكر القاضي أن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة ثمان وعشرين وقيل فتحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدي وقيل فتحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها فتحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

* (ذكر ما قيل في مصر هل فتحت بصلح او عنوة) *

وقد اختلف في فتح مصر فقال قوم فتحت صلحا وقال آخرون انما فتحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفي قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقي من الاسارى بها من بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمهم فكان اكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلم بقصتها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضى الله عنه لا تقسمها وذرههم يكون خراجهم فبألمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحا بقرينة دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدّون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة * وقال عبد الله بن أبي جعفر حدثني رجل ممن أدرك عمرو ابن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمى ثلاثة نفر وفي رواية ان عهد أهل مصر كان عند كبارهم وفي رواية سألت شيخنا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناسا يزعمون انه لم يكن لهم عهد فقال ما يلى أن لا يصلى من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند ظلمات صاحب اخا وكتاب عند قرمان صاحب رشيد وكتاب عند مجنس صاحب البراس قلت كيف كان صلحهم قال دينارين على كل انسان جزية وأرزاقي المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أراضيتهم ولا يزاد عليهم * وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي جعفر مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه يسأله ارضا يستفرق بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر اصلحك الله ارضا صالحة فقال له عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة لا يؤخذ من أنفسهم شيء ولا من نسايتهم ولا من أولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك * وعن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريبات من مصر منهن أم دين وبلهيت عهد وان عمرو بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يجيرهم فان دخلوا في الاسلام فذال وان كرهوا فارددهم الى قراهم وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد فتح الله ارض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل وبلهيت فانه كان للروم جمع قضاها الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا في مع الاسكندرية فكتب

عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمساكين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيها ولا عبيدا ففعلوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفيان بن وهب الخولاني لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال أقسمها يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله لا أقسمها فقال الزبير والله لنقسمن كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا أقسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أقرها حتى يغزونها حبلى الحبله وصولح الزبير على شيء أَرْضِي بِهِ وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة أن مصر فتحت عنوة وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال سمعت أبا سفيان يقولون أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد منهم من أبى يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبي الأسود عن عروة أن مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص أنه قال لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبط مصر على عهد ولا عقد الا اهل انطابلس **كان لهم عهد** يوفى به ان شئت قبلت وان شئت خست وان شئت بعت وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبس درهما وضرها أن يخرج منه شيء نظار الاسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد من عاهده فلم يوجده فلم يوجده لاهل مصر عهد فن أسلم منهم أقامه ومن أقام منهم قومه وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية مولى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعد ولا عقد وانما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية مولى القبط على أحيائهم وقال يحيى بن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية في سفينة فاحتاج الى رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلّم في ذلك فقال انما هم بمنزلة العبيد ان احتبنا اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حيان حدثه أنه احتج الى خشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز بذلك وأنه وجد خشبا عند بعض اهل الذمة وأنه **كره** أن يأخذها منهم حتى يعلمه فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فاني لم أجده لاهل مصر عهدا افي لهم به وقال عمر ابن عبد العزيز لسالم أنت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن عمرو ابن العاص كتب الى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث فكتب اليه عمر أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان لم يكن له عقب فاجعل ماله في بيت مال المسلمين فان ولاءه للمسلمين * وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمة وجعلهم على ذلك فغضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيئا من أرض مصر لانه كان يحدث عن يزيد بن أبي حبيب أن مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه أيضا عبد الله ابن لهيعة ونافع بن يزيد لأن مصر عندهم كانت عنوة

* (ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم) *

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ومن لم يكن له بر رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعمرو ابن العاص وكان أمير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة بن خذافة العدوي وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن أبي العاص السهمي والمقداد بن الاسود وعبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح العامري ونافع بن عبد قيس الفهري ويقال بل هو عقبه بن نافع وأبو عبد الرحمن بن يزيد بن أنيس الفهري وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعه ابنا شرجيل بن حسنة ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصاري وقد شهد بدرا وهو الذي بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر فقام عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن

العوام ومسلمة بن محمد الانصاري يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصاري وأبو الدرداء وعمر بن عامر
وقيل عويم بن زيد ومن أحياء القبائل أبو نصر جميل بن نصر الغفاري وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري
وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهيب بن معقل واليه ينسب وادي هيب الذي بالمغرب وعبد الله بن الحارث
ابن جزء الزبيدي وكعب بن ضبة العبسي ويقال لكعب بن يسار بن ضبة وعقبه بن عامر الجهني وهو كان
رسول عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع أن لم يكن دخل أرض مصر وأبو زمعة
البلوي وبرح بن حنبل ويقال برح بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن أبي أمية الأزدي وسفيان
ابن وهب الخولاني وله صحبة ومعاوية بن خديج الكندي وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمرو بن الخطاب
بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جل الذي يقال له
عامر جل شهد الفتح وهو عمول وعامر بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان وجهه إليها في بعض أموره
قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فنكرنا خطه ومنهم من لم يذكر له خطة قال فاختط عمرو بن العاص
داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو
فيمار عم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ في البلد والحمام الذي يقال له حمام الفاروا لما قيل له حمام الفار
لأن حمامات الروم كانت ديماسات بكارا فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام الفار

* (ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالقسطاط)

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها
مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيها فكتب إلى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك
فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل فكتب عمرو إلى عمرو
أن لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية إلى
القسطاط قال وكتب عمرو بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى وإلى عامله
بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب اليكم
راحلي حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى إلى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان
الذي كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى القسطاط قال وانما سميت القسطاط
لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام
قد فترخ فقال عمرو لقد تحترم منا تحترم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من
الاسكندرية قالوا أين ننزل قالوا القسطاط القسطاط عمرو الذي كان خلفه وكان مضربا في موضع الداراتي
تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة * قال الشريف محمد بن اسعد الجواني كان فسطاط عمرو عند
درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث في حديث النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله على القسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والقسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط
وقال البكري الفسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانياه اسم لمصر ويقال فسطاط وبسطاط قال المطرزي
وفسطاد وفستاد وبكسرا وائل جميعها فهي عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط وذكر حديث
عليكم بالجماعة فان يد الله على القسطاط وأخبرني أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال حدثني رجل من بني تميم قال
قرأت في كتاب رجل من قريش هذا ما اشتري فلان بن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسة مائة جريب
حبال القسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي في الآبق إذا أخذ في القسطاط عشرة وإذا أخذ خارجا
عن القسطاط أربعون وأراد أن يد الله على أهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم في الرأي فقد خرج عن
يد الله وفي ذلك آثار والله أعلم

* (ذكر الخط التي كانت بمدينة القسطاط)

اعلم أن الخط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقبل لتلك في مصر خطة

وقيل لها في القاهرة حارة * قال القاضي * ولمراجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت
القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التجيبي وشريك بن سمى
الغطفاني وعمرو بن قحزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المغافري وكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل
وذلك في سنة احدى وعشرين * (خطة اهل الراية) اهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة واسلم وغفار
ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بني كنانة ولدت بن بكر والعقلاء منهم الآن
منزل العقلاء في غير الراية وانما سمو اهل الراية ونسبت الخطة اليهم لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد
ما ينفرد به عوة من الديوان فذكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية
ولم ينسبها الى أحد فقال يكون موقفكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع
هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع
جوانبه ابتدوا من المصف الذي كانوا عليه في حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذي يقال له باب الشع
ثم مضوا بخطتهم الى حمام الفار وشرعوا بغريبيها الى النيل فاذا بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب
المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين ثم يسلك على حمام شمول وفي هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عفان
الى سوق الحمام الى باب القصر الذي بدأ بناذكره * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة
ابن مالك بن جبر * وخطة مهرة هذه قبلي * خطة الراية واخطت مهرة أيضا على سفح الجبل الذي يقال له
جبل يشكر عما يلي الخندق الى شرقي العسكر الى جنان بني مسكين ومن جملة خطة مهرة الموضع الذي يعرف
اليوم بمساطب الطباخ واسمه حمد ويقال ان الخطة التي لهم قبلي الراية كانت حوزا لهم يربطون فيها خيلهم
اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم يشكر * (خطة تجيب) وتجبب هم بنو عدي
وسعد بن الاشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدي وسعد يقال لهم تجيب
وتجبب أمهم وهذه الخطة تلي خطة مهرة وفيها درب الموصوفة آخره حائط من الحصن الشرقي * (خطط
نظم في موضعين) فمنها خطة نظم بن عدي بن مرة بن ادوم خالطها من جذام فاستدأت نظم بخطتها من الذي
انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال وفي هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط فيما بين نظم والراية
ولهم خطتان آخران احدهما منسوبة الى بني رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من نظم وأولها شرقي
الكنيسة المعروفة بكائيل التي عند خليج بني وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب
القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة من نظم وهي متاخمة للخطة التي قبلها وفي هذه
الخطة جامع راشدة وحنان كهمس بن معمر الذي عرف بالمدارفي ثم عرف بحنان الامير تميم وهو
اليوم يقال له المعشوق بجوار الاسمار النبوية ولهم مواضع مع اللقيف وخطط أيضا بالجرهاء * (خطط اللقيف)
انما سمو بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر أن مراكب
الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمر بن جباله الازدي الجري ليأتيه بالخبر فغضب
واسرعت هذه القبائل التي تدعى اللقيف ونعاقدوا على اللحاق به واستأذنوا عمرو بن العاص في ذلك فأذن لهم
وهم جمع كثير فلما رأهم عمرو بن جباله استكثرهم وقال تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم وانكم كما قال
الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم ليقيف فبذلك سموا من يومئذ اللقيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفردهم
دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك فقالوا العمرو فانما نجتمع في المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين
في المنزل متفرقين في الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بني أبيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم
في قوله جئنا بكم ليقيف قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الجبر ومن غسان ومن شجاعة والتف بهم نفر من
جذام ونظم والزحاف وتنوخ من قضاة فهم مجتمعون في المنزل متفرقون في الديوان وهذه الخطة أولها مما يلي
الراية سالك اذا ذات الشمال الى نقاشي البلاط وفيها دار ابن عشرين الى نخوم سوق وردان * (خطط اهل
الظاهر) انما سمي هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التي نزلته كانت بالاسكندرية ثم نقلت بعد قفول عمرو بن العاص
وبعد أن اخط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ
أرى لكم أن تظهروا على اهل هذه القبائل فتخذوا منزلا فسمي الظاهر بذلك وكانت القبائل التي نزلت الظاهر

العتقاء وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون على أيام النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتي بهم ثم أسرى
فأعتقهم فقبل لهم العتقاء وديوانهم مع أهل الرابية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الأزد
وفهم وأول هذه الخطة من شرق خطه نخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت
بذلك لأن زياد المأولاه معاوية بن أبي سفيان البصرة عزب جماعة من الأزد إلى مصر وبها مسلمة بن مخلد
في سنة ثلاث وخسين فبذل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين فقبل لموضعهم من خطه الظاهر سويقة العراقيين
* (خطه غافق) هو غافق بن الحارث بن عك بن عبد ثمان بن عبد الله بن الأزد وهذه الخطة تلي خطه نخم إلى
خطه الظاهر بجوار درب الاعلام * (خطه الصدق) واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن جبر ودعوتهم
مع كنده * (خطه الفارسيين) واستتب بخطه خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان
عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام أسلموا بالشأم ورغبوا في الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص إلى مصر
فأخذوا بها وأخذوا في سفح الجبل الذي يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقي من وراء خطه جامع
ابن طولون تعرف أرضه بالأرض الصفراء وهي من جملة العسكر * (خطه مذحج) بالخاء قبل الجيم وهو مالك بن
مرة بن اد بن زيد بن كهلان * (خطه غطيف) بن مراد * (خطه وعلان) بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من
مذحج فأخذت وعلان من الزقاق الذي فيه الصنم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق أوله باب السوق الكبير
وأخذت أيضا بخولان ثم انفردت وعلان بخطها مقابل المسجد المعروف بالدينوري وأسندت إلى خولان
وهذه الخطة اليوم كيمان تطل على قبر القاضي بكار * (خطه يحصب) بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث وهذه
الخطة موضعها كيمان وهي تتصل بالشرف الذي يعرف اليوم بالرصد المطل على راشدة * (خطه رعين) بن زيد
ابن سهل * (خطه ذى الكلاع) بن شرجيل بن سعد من حمير * (خطه المغافر) بن يعفر بن مرة بن أد وهذه
الخطة من الرصد إلى سقاية بن طولون وهي القناطر التي تطل على عصفه وتنفصل بين القراقين والقناطر للمغافر
ولهم إلى مصلى خولان وإلى الكوم المشرف على المصلى (خطه سببا وخطه الرحبة) بن زرعة بن كعب (خطه
السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطل على القاضي بكار وبين المغافر (خطه بنى وائل) بن زيد مائة بن أفصى بن
أياس بن حرام بن جذام بن عدى وهي من سفح الشرف المعروف بالرصد إلى خطه خولان (خطه القبض)
بالتحريك بن مرثد وهي بجانب خطه بنى وائل إلى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بنى وائل والقبض وروية
وراشدة والفارسيين هذه المواضع أنهم كانوا في طوابع عمرو بن العاص فنزلوا في مقدمة الناس وحازوا هذه
المواضع قبل الفتح * (خطه الجراوات الثلاث) قال الكندي وكانت الجراة على ثلاثة بنو به ورويل
والأزرق وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام إلى مصر من عجم الشأم ممن كان رغب في الإسلام
من قبل اليرموك ومن أهل قيسارية وغيرهم وقال الفضاخي وإنما قيل الجراة لنزول الروم بها وهي خطط بني
ابن عمرو بن الحاف بن قضاة وفهم وعدوان وبعض الأزد وهم ثراد وبنى بحر وبنى سلامان ويشكر بن نخم
وهذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر وبنى به وبنى الأزرق وهم من الروم وبنى رويل وكان يهوديا فأسلم
* فأول ذلك الجراة الدنيا خطه بنى بن عمرو بن الحاف بن قضاة ومنها خطه تراد من الأزد وخطه فهم بن عمرو
ابن قيس عيلان ومنها خطه بنى بحر بن سواده من الأزد * ومن ذلك الجراة الوسطى منها خطه بنى به وهم قوم
من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطه هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ومنها خطه بنى سلامان
من الأزد ومنها خطه عدوان * ومن ذلك الجراة القصوى وهي خطه بنى الأزرق وكان روميا حضر الفتح منهم
أربع مائة وخطه بنى رويل وكان يهوديا فأسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطه بنى يشكر بن جزيلة بن نخم
وكانت منازل يشكر مفرقة في الجبل فذرت قديما وعادت بحراء حتى جاءت المسودة يعني جيوش بنى العباس
فعمروها وهي الآن خراب * وقال ابن المتوج الجراوات ثلاث أولى ووسطى وقصوى فأما الأولى فتجتمع جابر
الأور وعقبه العداسين وسوق وردان وخطه الزبير إلى نقاشي البلاط طولاً وعرضاً على قدر ذلك وأما الوسطى
فنن درب نقاشي البلاط إلى درب معاني طولاً وعرضاً على قدره وأما القصوى فنن درب معاني إلى القناطر
الظاهرية يعني قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه الجراوات جل عمارة مصر في زمن
الروم فإذا الجراة الأولى والوسطى هما الآن خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريج وحماطن من شرقهما

الى ما يقابل المراجعة في الشرق وأما الجزاء الدنيا فهي الآن تعرف بخط قناطر السباع وبخط السبع سقايات
وبحجر الخليلي وحكر أقبغا والكوم حيث الأسرى ومنها أيضا خط الكيش وخط الجامع الطولوني والعسكر
ومنها حدرة ابن قتيبة الى حيث قطرة السد وبستان الطواشي وما في شرقه الى مشهد الرأس المعروف بن بن
العابدين وسأني لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة القسطاط على قسعين هما عمل
فوق وعمل أسفل * فعمل فوق له طرفان غربي وشرقي فالغربي من شاطئ النيل في الجهة القبليمة وأنت مار
في الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقي من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل
ما عدا ذلك الى حد القاهرة

*** (ذكر امراء القسطاط من حين فتحت مصر الى ان بنى العسكر) ***

اعلم ان عدة من ولى مصر من الامراء في الاسلام منذ فتحت وسكن القسطاط الى ان بنى العسكر تسعة
وعشرون أميرا في مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر وأولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة
التبوية وهو يوم فتح مصر وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن علي بن عبد الله
ابن عباس على مصر وأول ولاية أبي عون عبد الملك وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر * وأول أمراء
القسطاط بعد الفتح على ما ذكر الكندي وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو
ابن هيصم بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك أبو عبد الله كان تاجرا في الجاهلية وكان يختلف بتجارته
الى مصر وهي الادم والعطر ثم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشام فخلفا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه
فاستأذنه في المسير الى مصر فسار في سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره سبعة أشهر الى أن فتحه في يوم
الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر في ثلثي عشر بؤنة سنة سبع وخسين وثلثمائة لقلطيانوس
فعلى هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة وتحرر بذلك أن الذي بين يوم الجمعة أول يوم من
ملئد قلطيانوس وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما
فاذا الغنا ذلك من تاريخ مصر في ثلثي عشر بؤنة سنة سبع وخسين وثلثمائة بقى ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر
وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنهما من سنى القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فكون ذلك
في ثالث عشر ربيع الأول سنة عشرين فعمل الوهم وقع في الشهر القبطي وحاز الحصن بما فيه وسار الى
الاسكندرية في ربيع الأول منها فحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل
سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة فافتتحها عنوة في سنة اثنين وعشرين وقيل في سنة ثلاث وعشرين
وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدمتين استخلف في احدهما زكريا بن جهم العبدي
وفي الثانية ابنه عبد الله وتوفي عمر رضى الله عنه في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وبيع أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضى الله عنه فوفد عليه عمرو وسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن صعيد مصر وكان عمر ولاه
الصعيد فامتنع من ذلك عثمان وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها
وخراجها منذ افتتحها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهر * (عبد الله بن سعد) بن أبي سرح واسمه الحسام
ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ولى من قبل أمير المؤمنين عثمان
رضى الله عنه فجاءه الكتاب بالقيوم بفعل لاهل اطواف جعلوا يقدموا به القسطاط ثم ان منوبيل الخصى سار
الى الاسكندرية في سنة أربع وعشرين فسأل اهل مصر عثمان أن يردهم عمرو بن العاص لمحاربه فرده والبايع الى
الاسكندرية فخارب الروم بها حتى افتتحها وعبد الله بن سعد مقيم بالقسطاط حتى فتحت الاسكندرية الفتح
الثاني عنوة في سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها وخراجها ومكث أميرا مدة
ولاية عثمان رضى الله عنه كلها محمودا في ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها شأن غزاه فرقة سنة سبع
وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاسود حتى بلغ دقله في سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصواري
في سنة أربع وثلاثين فلقبهم قسطنطين بن هرقل في ألف مراكب وقيل في سبع مائة مراكب والمسلمون في مائتي
مراكب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذى الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها ووفد على عثمان

حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهني وقيل السائب بن هشام العامري وجعل
على خراجها سليمان بن عتر التميمي وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب * (محمد بن ابي حذيفة) بن عتبة
ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أتمر في شوال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله
ابن سعد فأخرجه من القسطنطين ودعا الى خلع عثمان واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شر يقدر عليه
فاعتزله شيعة عثمان وناذروه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد في جمع
كثير وبعثوا الى عثمان بامرهم وبصنيع ابن ابي حذيفة فبعث سعد بن ابي وقاص ليصلح امرهم فخرج اليه
جماعة فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم واقبل عبد الله بن سعد فذمعه
أن يدخل فانصرف الى عسقلان وقتل عثمان رضى الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن ابي حذيفة على بعث
جيش الى عثمان فجهز اليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ثم قتل عثمان في ذي الحجة منها فثار
شيعة عثمان بمصر وعقدوا للمعاوية بن خديج وبابعوه على الطلب بدم عثمان وساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن
ابي حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن خديج الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن ابي حذيفة بجيش
آخر فاقتلوا بخربتا في اول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهم زوم الجيش واقامت شيعة عثمان بخربتا وقدم
معاوية بن ابي سفيان يريد القسطنطين فقتل سلنت في شوال فخرج اليه ابن ابي حذيفة في اهل مصر فذمعه ثم اتفقا
على أن يجعلارهناء يترك الحرب فاستخلف ابن ابي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن هو وابن
عديس وعدة من قتله عثمان فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها وسار الى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم أمير
فلسطين فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن عباد الانصاري ولاد أمير المؤمنين علي بن
ابي طالب رضى الله عنه لما بلغه مصاب ابن ابي حذيفة وجمع له الخراج والصلاة فدخل مصر مستهل ربيع الاول
سنة سبع وثلاثين فاستمال الخارجية بخربتا شيعة عثمان وبعث اليهم أعطياتهم ووفد عليه فذمهم فأكرمهم
وكان من ذوى الرأي فجهده عمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها
فانما كانت من جيش على رضى الله عنه فامتنع منهم ما بالدها والمكايدة فلم يقدر على مصر حتى كاد معاوية
قيسا من قبل على رضى الله عنه فأشاع أن قيسا من شيعته وأنه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرا فسمع ذلك
جواسيس على رضى الله عنه وما زال به محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب الى قيس بن سعد يأمره
بالقدوم اليه فوليا الى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف الخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فوليا
* (الاشتر مالك بن الحارث) بن خالد النخعي من قبل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب فلما قدم القلزم شرب
عسلافات فبلغ ذلك عمرا ومعاوية فقال عمرو ان الله جنودا من عسل * ثم وليها (محمد بن ابي بكر الصديق)
من قبل على رضى الله عنه وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور
شيعة عثمان ونهب اموالهم وسجن ذرارهم فنبهوا له الحرب ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية فلقنوا
بمعاوية بالشأم فبعث معاوية وعمرو بن العاص في جيوش اهل الشأم الى القسطنطين وتغيب ابن أبي بكر فظفر به
معاوية بن خديج فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين
فكانت ولايته خمسة اشهر * ثم وليها (عمرو بن العاص) ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبي سفيان
رضي الله عنه فاستقبل بولايته شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وجعل اليه الصلاة والخراج جميعا وجعلت
مصر له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة في مصلحتها ثم خرج عمرو والحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل
بل خارجة بن حذافة ورجع الى مصر وتعاقد بنو لحم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علي ومعاوية وعمرو
وتواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فضى كل منهم الى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو فعرضت لعمرو
علة منعه من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس فشد عليه يزيد فضر به حتى قتله فدخل به على عمرو فقال
أما والله ما أردت غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله أراد خارجة ولله در القائل

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وعقد عمرو لشريك بن سمى على غزواته من البر فغزاهم في سنة أربعين وصالحهم ثم اتفقوا فبعث اليهم
عقبة بن نافع في سنة إحدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضا على غزوة وقرية وعقد لشريك

ابن سمي على غزو ولده فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين فقتلوا عمرو وشديد الدنف في مرض موته وتوفي ليلة الفطر
فغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى وصلى عليه فلم يبق احد شهد العبد الاصلى عليه ثم صلى بالناس صلاة
العبد وكان ابوه استخلفه وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارادنانير والهار جلد ثور ومبلغه اردبان بالمصري
فلما حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بمافي فأي ولده أخذه وقال حتى ترد الى كل ذي حق حقه فقال
والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بمافي * ثم وليها (عتبة بن أبي سفيان) من قبل أخيه
معاوية بن أبي سفيان على صلاتها فقدم في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وأقام شهرا ثم وفد على أخيه
واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عتبة فرجع
الى مصر وصعد المنبر فقال يا اهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا
قال فعل فان أبيتكم درأكم يده فان أبيتكم درأكم بسيقه ثم رجا في الاخير ما أدرك في الاول ان البيعة شائعة
لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأيا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا
سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلوات والخراج وعقد عتبة العلقمة بن يزيد على الاسكندرية
في اثني عشر ألفا من اهل الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها امرابطا في ذي الحجة سنة اربع وأربعين فبات بها
واستخلف على مصر عتبة بن عامر الجهني فكانت ولايته ستة أشهر * ثم وليها (عتبة بن عامر) بن عبس
الجهني من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارئا فقيمها مفرضا شاعرا له الهجرة والحببة والسابقة
ثم وفده مسلمة بن محمد الانصاري على معاوية فولاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عتبة بن عامر وجعل عتبة على
البحر وأمره أن يسير الى رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عتبة الى الاسكندرية فلما توجه سائرا
استوى مسلمة على سرير امارته فبلغ ذلك عتبة فقال اخلعا وغربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الاول
سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولى (مسلمة بن محمد) بن صامت بن نيار الانصاري من
قبل معاوية وجمع له الصلوات والخراج والغزو فانتظمت غزواته في البر والبحر وفي امارته نزلت الروم البرلس
في سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو
ابن العاص بناء من المسجد وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها الاخولان وتجبب وخرج الى الاسكندرية
في سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن أبي سفيان في رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية
فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الا عبد الله بن عمرو بن العاص فدعا عابس بالنار ليحرق عليه يابه
لحقية ذبايع ليزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء في سنة احدى وستين وقال
مجاهد صليت خلف مسلمة بن محمد فقرأ سورة البقرة فماتت ألفا ولاواوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد
كان مسلمة بن محمد يصلي بنا فيقوم في الظهر فقرأ الرجل البقرة وتوفي مسلمة وهو والنجس بقين من رجب
سنة اثنتين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها
(سعيد بن يزيد) بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدي من أهل فلسطين فقدم مستمل رمضان سنة اثنتين وستين
فتلقاه عمرو بن حفز المخولاني فقال يغفر الله لامير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم
ولم تزل أهل مصر على الشناك له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفي يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير
رضي الله عنه الى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم اليه فبعث لعبد الرحمن بن
بجدم فقدم واعتزل سعيدا فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عتبة) بن بجدم من قبل
عبد الله بن الزبير فدخل في شعبان سنة اربع وستين في جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا اليه
فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب شيعة بني أمية ثم يبيع مروان بن الحكمم بالخلافة في
اهل الشام وأهل مصر معه في الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز في جيش الى ايلة ليدخل مصر من هناك
وأجمع ابن بجدم على حربه وحفر الخندق في شهر وهو الذي في شرقي القرافة وقدم مروان فخاربه ابن بجدم وقتل
بينهما كثير من الناس ثم اصطلما ودخل مروان لعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن
بجدم تسعة أشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الانفرام المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب
أعناقهم وكنوا ثمانين رجلا وذلك للنصف من جمادى الآخرة يومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص

فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخراجها إلى ابنه عبد العزيز وسار وقد أقام بهم شهرين لاهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن الحكم بن أبي العاص أبو الأصبع ولى من قبل أبيه لاهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج ومات أبوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فالتجدها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلاها وكرمها وعرف بمصر وهو أول من عرف بها في سنة احدى وسبعين وجهز المبعث في البحر لقتال ابن الزبير في سنة اثنتين وسبعين ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما فولى (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل أبيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاهدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم إليه أبوه أن يقتل آثاره عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالاصحاب ومات عبد الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقر أخاه عبد الله وأمر عبد الله فسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفي ولايته غلت الاسعار فتشام الناس به وهى أول شدة رأوها بمصر وكان يرتشى ثم وفد على أخيه في صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قنم الخولاني وأهل مصر في شدة عظيمة ورفع ستيف المسجد الجامع في سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة اشهر * فولى (قزعة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسي للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها فقد مها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخروج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل مملكته فأحيط به في الاردن وأخذ سائر ما معه وجعل إلى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز في المسجد فهدم أول سنة اثنتين وتسعين وبنى واستنبت قزعة بن شريك بركة الحبش من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقبل لها اصطبل قزعة واصطبل القماش ثم مات وهو والى ليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعه فكانت ولايته ست سنين وإياما * ثم ولى (عبد الملك بن رفاعه) بن خالد بن ثابت الفهمي من قبل الوليد ابن عبد الملك على صلاتها وتوفي الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقر ابن رفاعه وبويع سليمان وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعه فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولى (أيوب بن شرحبيل) بن أكسوم بن أبرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها في ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في اعطيات الناس عاتمة وخزرت الخمر وكسرت وعظمت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت موارث القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع الناس الجماعات وتوفي عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على الصلات إلى أن مات لاهدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولى (بشر بن صفوان) الكلبي من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها السبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفي امرته نزل الروم تليس ثم ولاه يزيد على افر يقية فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف أخاه حنظلة * فولى (حنظلة ابن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج إلى الاسكندرية في سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة النخعي وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والقبايل فكسرت كلها وحجبت القبايل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة في شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) بن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاهدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد إلى الصعيد هاربا من الوباء إياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلبها الا ثلثون شهر وانصرف إلى الاردن * فولى (الحز بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفي امرته كان أول اتقااض القبط في سنة سبع ومائة ورابط بدمياط ثلاثة اشهر ثم وفد إلى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم في ذى القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبنى فيها وصرف في ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعانة بالمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله

ابن الحجاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد سبعين يوم الاضنى بشكوى ابن الحجاب منه وقيل صرف الخ ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعه) ثانيا على الصلوات فقدم من الشام على لثنتي عشرة بقية من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى اول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى اخوه (الوليد بن رفاعه) باستخلاف اخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلوات وفى ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم وخرج وهيب اليحصي شاردانى سنة سبع عشرة ومائة من اجل أن الوليد اذن للنصارى فى ايتناء كنيسة يومئذ بالجراة وتوفى وهو وال اول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر * فولى (عبد الرحمن بن خالد) بن مسافر الفهمى ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفى امرته نزل الروم على تروجة فاصروها ثم اقتبلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة اشهر * وولى (حنظلة بن صفوان ثانيا) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فاتقض القبط وحاربهم فى سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ثم ولده هشام افر ببقية فاستخلف حفص بن الوليد باهرة هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة اشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرى ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فأقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة اربع وعشرين بجمع له الصلوات والخراج جميعا واستسقى بالناس وخطب ودعاهم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فأقر حفصا على الصلوات والخراج ثم صرف عن الخراج يعيسى بن ابى عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلوات ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبه بن نعيم العمين وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع بن زيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصا باللعاق بجنده وأمره على الثلاثين ألفا وفرض القروض وبعث بيعة اهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد وبويع ابراهيم بن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدى فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فأعفا مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الاشهر * وولى (حسان بن عثاهية) بن عبد الرحمن التجيبى وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتي عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلوات ويعيسى بن ابى عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصر واحسان فى داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا بل يد وأخرجوا يعيسى بن ابى عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جمادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان سنة عشر يوما * فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها اخذه قواد القروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افر ببقية وقد أخرج اهلها فبزل الحيرة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الخوف الشرقى ومنعوه من المقام بالقسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد القسطاط فخاربه وهزموه وسكت مروان عن مصر ببقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحوثة بن سهل) بن العجلان الباهلى فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثة وسألوه الامان فأتمهم ونزل ظاهر القسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهم زعم الجند ودخل معه عيسى بن ابى عطاء على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعث مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عثاهية وقيل ابا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة اشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزارى على الصلوات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابا الجراح الحرثى وتوفى لثنتي عشرة خلت من جمادى الاولى

سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد في النصف من جادى الآخرة * وولى (عبد الملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلوات والخراج وكان والياً على الخراج قبل أن يولى الصلوات في جادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر بإتخاذ المنابر في الكور ولم تكن قبله وإنما كانت ولاية الكور يخطبون على العصي إلى جانب القبلة وخرج القبط فخاربهم وقتل كثيراً منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان واجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي فبعث إليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد إلى مصر منهمزماً من بني العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سود أهل الحوف الشرقي وأهل الاسكندرية وأهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعبئة النيل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل إلى الحيزة وخرق الجسرين وبعث بجيش إلى الاسكندرية فاقبلوا بالكر يون وخالفت القبط برشيد فبعث إليهم وهزمهم وبعث إلى الصعيد فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان هو وأبو عون عبد الملك ابن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من الحيزة بعدما استخلف على القسطنطين معاوية بن بحيرة بن ريسان فخارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسميع بقين من ذى الحجة ودخل صالح إلى القسطنطين يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان إلى العراق وانقضت أيام بني أمية * فولى (صالح بن علي) بن عبد الله بن عباس ولى من قبل أمير المؤمنين أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفاة أهل مصر إلى أبي العباس السفاح ببيعة أهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة وقتل كثيراً من شيعة بني أمية وجل طائفة منهم إلى العراق فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على البياتى والمساكين وزاد صالح في المسجد وورد عليه كتاب أمير المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف أباعون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير ملزماً وعدة من أهل مصر صحابة لأمير المؤمنين وأقطع الذين سود واقطاع منها مائة بولاق وقرى أهلها وغيرها ثم من بعد صالح بن علي سكن أمراء مصر العسكر وأول من سكنه أبو عون والله تعالى أعلم

* (ذكر العسكر الذى بنى بظاهر مدينة قسطنطين مصر) *

أعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالجراة القصوى وقد تقدم أن الجراة القصوى كانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر بن جريته ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى مصر منهمزماً من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي وأبو عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء وأمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن علي من مصر خرب أكثر ما بنى فيه إلى زمن موسى بن عيسى الهاشمي فابتنى فيه داراً أنزل فيها حشمة وعبيده وعمر الناس ثم ولى السرى بن الحكم فاذن للناس في البناء فابتنوا فيه وصار مملوكاً بأيديهم واتصل بناؤه ببناء القسطنطين وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة ايضا في العسكر وقيل لها الشرطة العليا وإلى جانبها بنى احمد بن طولون جامعاً الموجود الآن وسمى من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد أبي عون فقال الناس من يومئذ كتابا بالعسكر وخرجنا إلى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بنى احمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة قارون التي صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدرة ابن قتيبة يريد قنطرة السد وعلى بركة قارون هذه كانت جنسان بنى مسكين وبنى كافور الاخشيدي داراً أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وانتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلانه من بخار البركة وعظمت العمارة في العسكر جثداً إلى أن قدم احمد بن طولون من العراق إلى مصر فقتل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب إلى جامع العسكر وينزلها الأمراء منذ بناها صالح بن علي بعد قتله مروان

وما زال بها احمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقناتع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقناتع فلما ولي
ابو الجيش خاويه بن احمد بن طولون بعده ما به جعل دار الامارة ديوان الخراج ثم فرقت جبرا بعد دخول محمد
ابن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بني طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة في العسكر عند المصلى
القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المطل الآن على قبر القاضى بكار وما زالت الامراء تنزل بالعسكر الى
أن قدم القائد جوهر من المغرب وبني القاهرة المعزية ولما بنى أحمد بن طولون القناتع اتصلت مبانيها بالعسكر
وبني جامعها على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحد في الكثرة وقدم جوهر القائد
بعسا كرمولاه المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثمناثة والعسكر عامر الا انه منذ بنيت القناتع هجر اسم
العسكر وصار يقال مدينة القساط والقناتع وربما قيل والعسكر أحيانا فلما خرب محمد بن سليمان
قصر ابن طولون وميدانه بقي بالقناتع مساكن جليله حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا علي
في دار الامارة فلم ينزل اهله بها الى أن خربت القناتع في السنة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر أعوان
بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هناك زيادة على مائة ألف دارسوى البساتين وما هذا بعيد فان ذلك
كان ما بين سفح الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن السكارة خارج مصر
وما على سمتها الى كوم الجراح ومن كوم الجراح الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع
سقايات الى قنطرة الست ومراغة مصر الى المعارج بمصر الى كوم الجراح ففي هذه المواضع كان العسكر
والقناتع ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قبيصة الى كوم الجراح حيث الفضاء الذى
يتوسط ما بين قنطرة الست وبين سور القرافة الذى يعرف بسباب المجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب في
الحمة أمر ببناء طائفة الخراب عن نظر الخليفة اذ اسار من القاهرة الى مصر فيما بين العسكر والقناتع وبين
الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الاسمر بأحكام الله ابى على منصور
ابن المستعلى أمر وزيره ابو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون بن البطايعي فنودي مدة ثلاثة ايام
في القاهرة ومصر بأن من كان له دار في الخراب او مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه او يورثه من
غير ثقل شيء من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان
سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدار الجبال في آخر السنة العظمى وقام بعمارة اقليم مصر أخذ الناس
في نقل ما كان بالقناتع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم فصار موحشا
وخرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك الا بعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس
ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفسى الى ظاهرياب زويلة كما يرد خبر ذلك في موضعه من هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم فصار هذا الفضاء الذى يتوصل اليه من مشهد
السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة الست ومن باب المجدم في سور القرافة وبسلك في هذا الفضاء
الى كوم الجراح ولم يبق الآن من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذى عليه جامع ابن طولون وما حوله
من الكباش وحدرة ابن قبيصة الى خط السبع سقايات وخط قناطر السباع الى جامع ابن طولون وأما سوق الجامع
من قبله وما وراء ذلك الى المشهد النفسى والى القببات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القناتع كما استقف
عليه عند ذكرك القناتع وعند ذكرك هذه الخطط ان شاء الله تعالى وطما سلكت هذا الفضاء الذى بين جامع ابن
طولون وكوم الجراح حيث كان العسكر وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليله والمنازل العظيمة والمساجد
والاسواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت حتى لم يبق شيء منها الا الرابطة
فأنشدت اقول

وبادوا فلا تخبر عنهم * وما لو اجتمعوا وهذا الخبر

فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا في من مضى معتبر

وكان لهم اثر صالح * فأين هم ثم اين الاثر

وسمى في ذلك من يدينان عند ذكرك القناتع وعند ذكرك خط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب ان شاء
الله تعالى

* (ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بقي الى أن بنيت القطائع) *

اعلم أن امراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح الى أن بنى ابو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبي عون انما ينزلون بالعسكر وما برحوا على ذلك الى أن أنشأ الامير أبو العباس احمد بن طولون القصر والمدان والقطائع فتحول من العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من اولاده بعده الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدم جوهر القائد من المغرب * وأول من سكن العسكر من امراء مصر (ابو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولى صلات مصر وخارجها باستخلاف صالح بن علي له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع الوباء بمصر فهرب ابو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم وخرج الى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة وجعل على الخراج عطاء بن شربيل وخرج القبط بسجنود فبث اليهم وقتلهم وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر وفلسطين والمغرب فجعل له ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولى (صالح بن علي) الثانية على الصلات والخراج فدخل نجس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقر عكرمة على شرطة الفسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هاني الكندي وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة لاهل افر بقمية وخرج ابو عون في جنادي الاخرة وجهازت المراكب من الاسكندرية الى برقة فبات السفاح في ذى الحجة واستخلف ابو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى أبي عون بالرجوع ورد الدعاء وقد بلغوا شبر وبلغ ابو عون برقة فأقام بها احدى عشر يوما ثم عاد الى مصر في جيشه فجهزه صالح الى فلسطين لحربه فغلب وسير الى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بليس ورجع ثم خرج لاربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فلقى أبا عون بالقرما فأمره على مصر صلاتها وخارجها ومضى فدخل ابو عون الفسطاط لاربع بقين من رمضان فولى * (ابو عون) ولأيته الثانية من قبل صالح بن علي ثم أفرده ابو جعفر بولايته واقدم ابو جعفر بيت المقدس وكتب الى أبي عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائة فلما صار الى أبي جعفر بيت المقدس بعث ابو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية أبي عون هذه ثلاث سنين وستة اشهر فولى (موسى بن كعب) بن عيينة ابن عائشة ابو عيينة من تميم من قبل أبي جعفر المنصور وكان احدى نقباء بني العباس فدخلها لاربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة على صلاتها وخارجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يقدون ويروحون اليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتهوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه وكان قد اتهم في خراسان بأمر أبي مسلم فأمر به أسد بن عبد الله الجبلي والى خراسان فألجم بلجام ثم كسرت اسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا اسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبز ذهب الاسنان وكتب اليه ابو جعفر اني عزلتك من غير سخط ولكن بلغني أن غلاما يقتل بعصري يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي كما يأتي ان شاء الله تعالى فولى موسى بن كعب سبعة اشهر وصرف في ذى القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن القرات وخرج است بقين منه فولى (محمد بن الاشعث) ابن عقبة الخزاعي من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج وقدم نجس خلون من ذى الحجة سنة احدى وأربعين ومائة وبعث ابو جعفر الى نوفل بن القرات أن اعرض على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فأشهد عليه واختص الى وان ابي فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فأتقن نوفل الدواوين فاقتد ابن الاشعث الناس فقبل لهم عند صاحب الخراج فقدم على تسليمه وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهم لم يخرجوا ابن الاشعث يوم الاضحى سنة اثنتين وأربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد ابن معاوية بن جبير بن ريسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهر وولى (حميد ابن خطبة) بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائي من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج فدخل في عشر بن ألفا من الجند نجس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكر آخر في شوال وقدم على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لايه وعه فدخل اليه حميد فغيب فكتب بذلك الى أبي جعفر فصرفه

في ذي القعدة وخرج لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن
 أبي صفرة من قبل أبي جعفر على الصلوات والخراج فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة فاستخلف على الخراج
 معاوية بن مروان بن موسى بن نصير وفي امرته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي بمصر وتكلم بها الناس وباع
 كثير منهم إلى بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لعشر خاتون من شوال سنة خمس وأربعين كما ذكر في موضعه
 من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في
 ذي الحجة فنصبت في المسجد وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر إلى القسطنطين وأن يجعل
 الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع يزيد أهل مصر من الحج
 سنة خمس وأربعين فلم يخرج أحد منهم ولا من أهل الشام لما كان بالخارج من الاضطراب بأمر بني حسن ثم حج يزيد
 في سنة سبع وأربعين واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا
 لغزو الحبشة من أجل خارجي ظهر هناك فطفر به الجيش وقدم رأسه في عدة رؤس فخلعت إلى بغداد وضم يزيد
 برقة إلى عمل مصر وهو أول من ضمها إلى مصر وذلك في سنة ثمان وأربعين وخرج القبط يسكنوا في سنة تسعين
 ومائة فبعث إليهم جيشا فاسته القبط ورجع منهم ما قصر فيه أبو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة
 فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولى (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل
 أبي جعفر على الصلوات لثنتي عشرة بقية من ربيع الآخر وهو أول من خطب بالسواد وخرج إلى أبي جعفر
 لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخرها ومات وهو وال
 مستهل صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن
 عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقره أبو جعفر على الصلوات ومات وهو وال للنصف
 من شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصف واستخلف موسى بن علي فولى (موسى بن علي) بن رباح
 باستخلاف محمد بن خديج فأقره أبو جعفر على الصلوات وخرج القبط بهيب في سنة ست وخمسين فبعث إليهم
 وهزمهم وكان يروح إلى المسجد ما ساء وصاحب شرطته بني يديه يحمل الخربة وإذا أقام صاحب الشرطة
 الحدود يقول له ارحم أهل البلاد فيقول أيها الأمير ما يصلح الناس الا ما يفعل بهم وكان يحدث فيكتب الناس
 عنه ومات أبو جعفر لست خاتون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدي فأقر
 موسى بن علي إلى سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولى
 (عيسى بن لقمان) بن محمد الجعفي من قبل المهدي على الصلوات والخراج فقدم لثلاث عشرة بقية من
 ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة وصرف لثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ومائة
 فوليا أربعة أشهر ثم ولى (واضح مولى أبي جعفر) من قبل المهدي على الصلوات والخراج فدخل لست بقين
 من جمادى الأولى وصرف في رمضان فولى (منصور بن يزيد) بن منصور الرعيني وهو ابن خال المهدي
 على الصلوات فقدم لاحدى عشرة خاتون من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف للنصف من ذي الحجة
 فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام ثم ولى (يحيى بن داود) أبو صالح من أهل خراسان من قبل المهدي على
 الصلوات والخراج فقدم في ذي الحجة وكان أبوه تركا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبه وأقدمهم على الدم
 وأكثرهم عقوبة فنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الخوانيت حتى جعلوا عليها شراخ القصب لمنع الكلاب
 ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلى آداؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه
 ويقول يا أباصالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات
 بلبس القلائس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بالاردية وكان أبو جعفر المنصور
 اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله فولى إلى المحرم سنة أربع وستين وقدم * (سالم بن
 سواده) التميمي من قبل المهدي على الصلوات ومعه ابو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتي عشرة
 خاتون من المحرم ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي على الصلوات
 والخراج فقدم لاحدى عشرة خاتون من المحرم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج
 دحية بن المعصب بن الاصبع بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد وناشد ودعا إلى نفسه بالخلافة فترأى عنه

ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط المهدي لذلك وعزله عز لاقيحا لسبع خلون من
 ذى الحجة سنة سبع وستين فوليا ثلاث سنين ثم ولي (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على
 الصلوات والخراج من قبل المهدي فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور فردا ابراهيم وأخذ منه وعن عمل
 له ثمانية ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدد موسى في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به
 وارتشى في الاحكام وجعل خرجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند وناذوه وثار قيس واليمانية
 وكتبوا أهل القسطنطين فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج في جند مصر كلهم لقتال
 أهل الخوف فلما اتقوا انهم من أهل مصر بأجمعهم وأساوره فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع
 خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالمًا عاش معه الليث بن سعد يقرأ
 في خطبته انا اعتمدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تقمنا ثم ولي (عسامة بن عمرو)
 باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار بن عمرو وطارب يوسف بن نصير وهو على جيش
 دحية فقتلوا يوسف الرمي في خاصرة بكار ووضع بكار الرمي في خاصرة يوسف فقتلوا معا ورجع الجيشان
 منزعين وذلك في ذى الحجة وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل
 ابن صالح بأنه ولي مصر وقد استخلفه خلفه الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن
 صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم المذكور في جيوش الشام ومات المهدي في المحرم هذا وبيع
 موسى الهادي فأقر الفضل وقدم مصر يضطرب من أهل الخوف ومن خروج دحية فان الناس كانوا قد
 كاتبه وودعوه فسير العساكر حتى هزم دحية وأسروا وسبق الى القسطنطين فضربت عنقه وصلب في جمادى
 الآخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول أنا ولي الناس بولاية مصر لقياسي في أمر دحية وقد عجز عنه
 غيري فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذي بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع وستين فكانوا
 يجمعون فيه ثم ولي (علي بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلوات والخراج
 فدخل في سنة تسع وستين ومائة ومات الهادي للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة وبيع هرون بن
 محمد الرشيد فأقر علي بن سليمان وأظهر في ولايته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاحى والتجور وهدم
 الكنائس المحدثه بهر وبذل له في تركها خمسون ألف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل وأظهر أنه تصلح له
 الخلافة وطع فيها فخط عليه هرون الرشيد وعزله لاربع بقين من ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائة
 ثم ولي (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات
 فاذن للنصارى في بليان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم
 صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ونصفا
 ثم ولي (مسلمة بن يحيى) بن قرة بن عبيد الله الجبلي من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلوات ثم صرف
 في شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليا احد عشر شهرا ثم ولي (محمد بن زهير) الأزدي على الصلوات والخراج
 خمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن عيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة أشهر في سلخ
 ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وقدم
 هو وابراهيم بن صالح بن علي فولى داود الصلوات وبعث بابراهيم لخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل
 لاربع عشرة خلت من المحرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجت الجند العديدة الى المشرق والمغرب في عالم
 كثير فساروا في البحر فأسرتهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة
 ونصف شهر ثم ولي (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات والخراج من
 قبل الرشيد فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف لثلاثين يوما من صفر سنة ست وسبعين
 ومائة فولى سنة واحدة ثم ولي (ابراهيم بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب
 الى عسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن ككثوم خليفة على الخراج مستهل ربيع الأول وتوفي
 عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر فقدم روح بن روح بن زباع خليفة لابراهيم على الصلوات والخراج ثم
 قدم ابراهيم للنصف من جمادى الأولى وتوفي وهو وال لثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين

وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولى (عبدالله بن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبي من قبل الرشيد على الصلوات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اسحاق بن سليمان) بن علي بن عبدالله ابن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج مستهل رجب فكشف امر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الخوف فخار بهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد له رثعة بن اعين في جيش عظيم وبعث به فقتل الخوف فقتلوا اهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فكان صرف اسحق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (هرثة بن اعين) من قبل الرشيد على الصلوات والخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار الى افرقية لثقت عشرة خلت من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولى (عبد الملك بن صالح) بن علي بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج فلم يذخل مصر واستخلف عبدالله بن المسيب بن زهير الضبي وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدي) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج في يوم الاثنين لثقت عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف في شهر رمضان فولى تسعة اشهر وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال فأعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلوات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له لثلاث خلون من رمضان ثم قدم اخر ذى القعدة وصرف في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله بن المهدي) ثانيا على الصلوات فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسماعيل بن صالح) بن علي بن عبدالله بن عباس على الصلوات لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعي ثم قدم نجس بقين منه قال ابن عفير ما رأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فولى (اسماعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف في رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيوردي من اهل بيوردي على الصلوات والخراج وقدم نجس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف أخاه الفضل بن علي ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين فكان كمال غلق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه اهل الخوف وساروا الى القسطنطين فخرج اليهم في أربعة آلاف ليومين بقاء من شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن علي بن رباح على الجند والخراج فواقع اهل الخوف وانهمز عنه الجند فبقي في نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الحب الى غنفة وبعث الى القسطنطين بثمانين رأسا وقدم فرجع اهل الخوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الا بجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصا فولاه الرشيد الخراج وصرف لثلاثا عن الصلوات والخراج وبعث احمد بن اسحق على الصلوات مع محفوظ وكانت ولاية ليث اربع سنين وسبعة اشهر فولى (احمد بن اسمعيل) بن علي بن عبدالله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج وقدم نجس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولى سنتين وشهرا ونصفا ثم ولى (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس على الصلوات واستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمي ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين بن جميل) من قبل الرشيد على الصلوات وقدم العشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلوات في رجب سنة احدى وتسعين وخرج اهل الخوف وامتنعوا من

قوله اخاه الفضل بن
علي هكذا في النسخ
التي يدي ولعله اياه
الفضل الخ تأمل اه
مصححه

اداء الخراج ونخرج ابو النداء بأيلة في نحو ألف رجل فقطع الطريق بأيلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وضوى اليه من جندام جماعة فبلغ من التلب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صبابي الجروى في عسكر فالتقى العسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبي النداء وسار جيش الرشيد الى بليس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة فأذن أهل الخوف بالخراج وصرف ابن جميل لثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن دلهم) بن عبد الكافي على الصلات والخراج وقدم لسبع بقين من جمادى الآخرة وقرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد من أهل الخوف وقدم القسطنطين لعشر بقين من جمادى الآخرة فكتب الى أهل الاحواف أن أقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دلهم فدخل الرؤساء من اليمانية والقيسية فأخذت عليهم الايواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاح) بن التختكان على الصلات والخراج فاستخلف العلاء بن عاصم الخولاني وقدم ثلاث خلون من ربيع الأول ثم مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الأمين فثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق النجاشة لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع الأول سنة اربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسي على الخراج فولى (حاتم بن هرثة) بن اعين من قبل الأمين على الصلات والخراج وقدم في ألف من الأبناء فنزل بليس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه أهل تنو وتي وعسكروا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى القسطنطين ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوال وصرف في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الأشعث) بن يحيى الطائي من قبل الأمين على الصلات والخراج لخمس بقين من جمادى الآخرة وكان ليلى فلما حدثت فتنة الأمين والمأمون قام السري بن الحكم غضبا للمأمون ودعا الناس الى خلع الأمين فاجابوه وبايعوا المأمون لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وأخرجوا جابر بن الأشعث وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان ابونصر من قبل المأمون على الصلات والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثة بن اعين وكان وكيله على ضياعه بمصر في الثامن من رجب سنة ست وتسعين فبلغ الأمين ما كان بمصر فكتب الى دبيعة بن قيس بن الزبير الجرشي رئيس قيس الخوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاضته فقاموا ببيعة الأمين وخلعوا المأمون وساروا لمحاربة أهل القسطنطين فغلب عباد وكانت حروب قتل الأمين وصرف عباد في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر فولى (المطلب بن عبد الله) بن مالك الخزاعي من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل من مكة للنصف من ربيع الأول فمكثت في أيامه حروب وصرف في شوال بعد سبعة أشهر فولى (العباس بن موسى) بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المأمون على الصلات والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصارى في آخر شوال فسجننا المطلب فثاروا وخرجوا المطلب من الحبس وأقاموه لاربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فنزل بليس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروى بتنينس ثم عاد فقات في بليس اثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ويقال ان المطلب دس اليه سمي في طعامه فمات منه وكانت حروب وقتل فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية أشهر ثم ولى (السري بن الحكم) بن يوسف من قوم الزط ومن أهل بلخ باجتماع الجند عليه عند قبيلته على المطلب في مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل البجلي على الصلات والخراج بمبايعة الجند له لاربع خلون من ربيع الأول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة أشهر واعيد (السري بن الحكم) ثانيا من قبل المأمون على الصلات والخراج فدمت ولايته وأخرج الجند من الحبس لثنتي عشرة خلت من شعبان وتبع من حاربه وقوى امره ومات وهو وال لانسلاخ جمادى الاولى سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما فولى ابنه (محمد بن السري) ابونصر اول جمادى الآخرة على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الأرض

فجرت بينهم محروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم ولى
 (عبيد الله بن السري) بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلات والخراج فكانت بينه
 وبين الجروى حروب الى ان قدم عبد الله بن طاهر وأذن له عبيد الله في آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين
 فولى (عبد الله بن طاهر) بن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل يوم الثلاثاء
 لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وأقام في معسكره حتى خرج عبد الله بن السري
 الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنى عشرة واستخلف
 عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع في جمادى الآخرة وأمر بالزيادة في الجامع العتيق
 فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق لحس بقين من رجب وكان مقامه بمصر والياسبعة عشر
 شهرا وعشرة ايام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها الى سابع عشر
 ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقر عيسى
 على الصلات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيراز فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض أهل اسفل
 الارض وعسكروا فبعث عيسى يانه محمد بن جندب فحاربوه فانهزم وقتل اصحابه في صفر سنة اربع عشرة فولى
 (عمر بن الوليد) التميمي باستخلاف ابى اسحاق بن الرشيد على الصلات لسبع عشرة خلت من صفر وخرج
 ومعه عيسى الجلودى لقتال أهل الخوف في ربيع الآخر واستخلف ابنه محمد بن عمر فاقبلوا وكانت بينهم معارك
 قتل فيها عمر بن است عشرة خلت من ربيع الآخر فكانت مدة امره تسعين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا
 لابي اسحاق على الصلات فحارب أهل الخوف بمسبة مطر ثم انهزم في رجب وأقبل ابو اسحاق الى مصر في اربعة
 آلاف من اتركة فقاتل أهل الخوف في شعبان ودخل الى مدينة القس طائفتين من قتلى الكبار الخوف
 ثم خرج الى الشام غزوة الحزم سنة خمس عشرة ومائتين في اتركة ومعه جمع من الاسارى في ضر وجهه شديد
 وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الانباء على الصلات فخرج ناس بالخوف في شعبان فبعث اليهم
 وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الافشين خيدر بن كاوس الصفدى الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على
 ابن عبد العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيئا فقتله وصرف عبدويه وخرج الى برقة (وولى عيسى بن
 منصور) بن موسى بن عيسى الرافعي فولى من قبل ابى اسحاق لاول سنة ست عشرة على الصلات فانتقضت اسفل
 الارض عربها وقبطنها في جمادى الاولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من
 برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى في شوال فأوقعوا بالقوم وأسرا منهم وقتلوا ومضى الافشين
 ورجع عيسى فسار الافشين الى الخوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى ان قدم امير المؤمنين عبد الله المأمون
 لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه فأخذ به لباس البياض ونسب
 الحدث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة
 خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهونصر بن عبد الله ابو مالك الصفدى فورد كتاب
 المأمون عليه بأخذ الناس بالحنة في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن
 عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب اليهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون
 فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة وبويع
 ابو اسحق المعتصم فورد كتابه على كيدر ببيعةه وبأمره باسقاط من في الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل
 ذلك فخرج يحيى بن الوزير الجروى في جمع من لحم وجذام ومات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين
 فولى ابنه (الظفر بن كيدر) باستخلاف ابيه وخرج الى يحيى بن وزير وقتاله وأسره في جمادى الآخرة
 ثم صرفت مصر الى ابى جعفر اشناس فدعى له بها وصرف مظفر في شعبان فولى (موسى بن ابى العباس)
 ثابت من قبل اشناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف في ربيع الآخر سنة
 اربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر فولى (مالك بن كيدر) بن عبد الله
 الصفدى من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع
 الآخر سنة ست وعشرين فولى سنتين وأحد عشر يوما وولى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين

وما تين فولى (على بن يحيى) الارمنى من قبل شناس على صلاتها وقدم لسمع خلون من ربيع الآخر
سنة ست وعشرين وما تين ومات المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبوبع الواثق بالله فأقره
الى سابغ ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وما تين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر ثم فولى (عيسى
ابن منصور) الثانية من قبل شناس على صلاتها فدخل لسمع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين وما تين
ومات شناس سنة ثلاثين وجعل مكانه ايتاح فأقر عيسى ومات الواثق وبوبع المتوكل فصرف عيسى للنصف
من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وما تين وقدم على بن مهرويه خليفة هرثة بن النضر ثم مات عيسى
في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر فولى (هرثة بن نضر) الجبلى من اهل
الجبلى لايتاح على الصلات وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين وما تين فورد كتاب المتوكل بترك
الجدال في القران لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وما تين ومات هرثة وهو وال لسمع
بقين من رجب سنة اربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثة فولى (حاتم بن هرثة) بن النضر باستخلاف
ابيه له على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (على بن يحيى) بن الارمنى الثانية من قبل ايتاح
على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاح في المحرم سنة خمس وثلاثين واستصفيت امواله بمصر
وترك الدعاء له ودعى المنتصر مكانه وصرف على في ذى الحجة منها فولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم
الجبلى من قبل المنتصر ولى عهد آية المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من
ذى الحجة فورد كتاب المتوكل والمنتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا ومات اسحق بعد
عزله اقل ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وما تين فولى (خوط عبد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلمجة
ابن زريق من قبل المنتصر على الصلات والخراج فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين وما تين
وصرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وأقر على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان
وثلاثين بخليفته عنبسة على الصلات والشركة في الخراج مستهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق)
ابن شمير بن عيسى ابو جابر من قبل المنتصر على الصلات وشمر بى كالا محمد بن خالد الضرير قسى صاحب الخراج فقدم
لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وما تين واخذ العمال برذالمظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم
وأظهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان يتأدى في شهر
رمضان السكور وكان يرمى بذهب الخوارج وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها وقتلوا بها جميعا
كثيرا من الناس وسبوا النساء والاطفال فنهر اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين في جيشه وكثير من الناس
فلم يدركهم واضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج اول جمادى الآخرة سنة احدى واربعين
وأقر بالصلات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان في ربيع الاول سنة اثنتين واربعين فدعاه وعنبسة هذا
آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصرف اول رجب منها فقدم العباس بن
عبد الله بن دينار خليفته يزيد بن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة اربع سنين وأربعة اشهر وخرج الى
العراق في رمضان سنة اربع واربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار ابو خالد من الموالى ولاء المنتصر على
الصلوات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين واربعين فأخرج المؤمنين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع
من النداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا في المحرم سنة خمس واربعين ورجع في ربيع الاول
فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقهم وعطل الزهان وباع الخيل التى تتخذ للسلطان فلم تجر الى سنة تسع
واربعين وتتبع الروافض وحملهم الى العراق وبقي مقياس النيل في سنة سبع واربعين وجرى على العلويين
في ولايته شدائد ومات المتوكل في شوال وبوبع ابنه محمد المنتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المنتصر يزيد على مصر
ثم مات المنتصر في ربيع الاول سنة ثمان واربعين وبوبع المستعين فورد كتابه بالاستسقاء لقطكان بالعراق
فاستسقوا السبع عشرة خلت من ذى القعدة واستسقى اهل الآفاق في يوم واحد وخلق المستعين في المحرم سنة
اثنتين وخمسين وبوبع المعتز فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر
فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا يزيد في جيش كفيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواقعهم حتى ظفر
بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام فولى (مزاحم بن خاقان) بن

عروطج ابو الفوارس التركي ثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وخسين ومائتين على الصلوات من قبل المعتز وخرج الى الخوف فأوقع باهله وعاد ثم خرج الى الجزيرة فسار الى تروجة فأوقع بأهلها وأسرعته من اهل البلاد وقتل كثير واسار الى القيوم فطاش سيفه وكثر ايقاعه بسكان النواحي وعاد وولى الشرطة ارجوز ففتح النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤمنين والنواحي ومنع من الجهر بالسلمة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث وخسين ولم يزل اهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها ارجوز واخذ اهل الجامع بتمام الصفوف ووكّل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وأمر أهل الخاق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التي يستند اليها ومن الحصر التي كانت للمجالس في الجامع وأمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح ولم يزل اهل مصر يصلونها سنا الى شهر رمضان سنة ثلاث وخسين ومائتين ومنع من التشويب وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأن يغلس بصلاة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت او يسود وجهه او يحلق شعره وتصيح امرأة وعاقب في ذلك وشدد فيه ثم مات من احم نخس مضي من المحرم سنة اربع وخسين فاستخلف ابنه (احمد بن من احم) فولى باستخلاف ابيه على الصلوات الى أن مات لسبع خلون من ربيع الاخر فكانت ولايته شهرين ويوما فاستخلف (ارجوز بن اوع طرخان التركي) على الصلوات فولى خمسة اشهر ونصف وخرج اقل ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون في شهر رمضان سنة اربع وخسين ومائتين واليه كان امر البلد جميعه من ايام من احم وفي ايام ابنه احمد أيضا والله تعالى اعلم

* (ذكر القطائع ودولة بنى طولون) *

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وهذا اشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من أول الرملة تحت القلعة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالارض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطاني تحت القلعة والرملة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والحير والجمال كانت بستانا ويجاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم بالقيبيات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه احمد بن طولون وبجذاء الجامع دار الامارة في جهته القبليّة ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الامير الى جوار المحراب وهناك أيضا دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكرهم وغلماهم وكل قطعة طائفة فيما لقطعة السودان وقطعة الروم وقطعة الفرائشين ونحو ذلك فكانت كل قطعة لسكنى جماعة بنزلة الحارات التي بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن امير المؤمنين المعتصم بالله ابا اسحق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالاتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط اهلهم ومنعهم العطاء وجعل الاتراك انصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمت عنده منزلة قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذي تقلده من يقوم بأمره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابرهم كما يدعى للخليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الاتراك كما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس وقلد الواثق ايتاح وقلد المتوكل نقاو وصيف وقلد المهتمدي ماجور وغير من ذكرنا من أعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ فقلد بياك كالمصر وطلب من يخلفه عليها وكان احمد بن طولون قد مات ابوه في سنة اربعين ومائتين ولا احد عشر سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده في سنة عشرين ومائتين وولدت أيضا أخاه موسى وحبيسة وسماته وكان طولون من الطغرغر بماحله نوح بن أسد عامل بخارى الى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك في كل سنة وذلك في سنة مائتين فنشأ احمد بن طولون نشأ جيلًا غير نشأ اولاد العجم فوصف بعلموا الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه اهل طبقته وطلب الحديث واحب الغزو وخرج الى طرسوس

مرات ولقي المحدثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدب بأدبهم وظهر فضله فاشتهر عند
الاولياء وتميز على الاتراثوصار في عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوجه ماجورا ابنته وهي
أم ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على النغر فأجابه وخرج الى
طرسوس فأقام بها وشق على امه مفارقتها فكتبته بما اقلقه فلما اقل الناس الى سمر من رأى سارمعهم الى لقاء
امه وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادما الى
بلاد الروم لعمل اشياء نفيسة فلما عاد بها وهي وقرب بغل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن
يسيروا متفرقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع
السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وقتلوا منه وكان من جملة ما استنقذ
من الاعراب البغل المجمل بتناع الخليفة فعظم احمد بما فعل عند الخادم وكبر في عين القافلة فلما وصلوا الى
العراق وشاهد المستعين ما احضره الخادم اعجب به وعرفه الخادم خروجا الاعراب وأخذهم البغل بما عليه
وما كان من صنع احمد بن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وامره أن يعترف به اذ دخل مع
المسلمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلوات الخليفة حتى حسنت حاله ووجهه جارية اسمها مياس استولدها ابنته
خارويه في النصف من المحرم سنة خمس مائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج المستعين الى واسط
واختار الاتراث احمد بن طولون أن يكون معه فسلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التنزه والصيد
وخشى أن يلحقه منه احتشام فألزمه كتابته احمد بن محمد الواسطي وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر
النادرة فأنس به المستعين ثم ان فتحة ام المعتز كتبت الى احمد بن طولون بقتل المستعين وقتلته واسط فامتنع
من ذلك وكتب الى الاتراث يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فزاد محله عند الاتراث بذلك ووجهوا
سعيد الخاحب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فقتله منه وقتله وواراه ابن طولون وعاد الى سمر من
رأى وقد تقلد بابك بالمصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلافته وضم اليه
جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء اسبوعين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين متقلدا
للقصبة دون غيرها من الاعمال الخارجية عنها كالا سكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطي وجلس
الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلاما ابى قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوفاعما يجده في كتبهم فقال هذا رجل
تجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريبا من اربعين سنة فاتم كلامه حتى اقبل احمد بن طولون واذا هو
على النعت الذي قال * ولما تسلم احمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدبر وهو من دهاة الناس
وشياطين الكتاب فأهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقاءه هو وشقيق
الخادم غلام فتحة ام المعتز وهو يتقاد البريد فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدبر مائة غلام من الغور قد اتخبرهم
وصيرهم عتة وجالا وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وبأس شديد وعليهم اقبية ومناطق فقال عرض
وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكناويقة يقفون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس
فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس فلما بعث ابن المدبر بهديته الى ابن طولون
ردّها عليه فقال ابن المدبر ان هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف فخافه وكره
مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد وافتحا على مكاتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام
حتى بعث ابن طولون الى ابن المدبر يقول له قد كنت اعزل الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز أن يعتم
مالك كثره الله فرددتا توفيرا عليك ونحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم احوج
منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه اخرى اعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يرد الاعراض
والاموال ويستهدى الرجال ويشابر عليهم ولم يجد بدا من أن يعتم اليه فتحولت هيبة ابن المدبر الى ابن طولون
ونقصت هيبة ابن المدبر بمفارقة الغلمان مجلسه فكتب ابن المدبر فيه الى الحضرة يعزى به ويحرض على عزله فبلغ
ذلك ابن طولون فكتم في نفسه ولم يبدعه واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهدي بالله محمد بن
الواثق وقتل بابك بالوردي جميع ما كان بيده الى ماجور التركي حوا ابن طولون فكتب اليه تسلم من نفسك
لنفسك وزاده الاعمال الخارجية عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية

أن يسلمها لأحمد بن طولون فغضمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر ونغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون
 إلى ملاطفته والتعزب من خاطره وخرج ابن طولون إلى الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار وأقره عليها
 وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها
 فبعث ابن المدبر سبعة مائة الف وخمسين الف دينار حلا من مال مصر إلى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفترقها
 في اصحابه وكانت الامور قد اضطربت ببغداد فطمع ابن شيخ في التغلب على الشامات واشيع أنه يريد مصر فلما
 قتل المهدي في رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله أحمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا اصحابه
 فبعث اليه بتقليد ارمينية زيادة على مائة الف من بلاد الشام وفسح له في الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا
 حينئذ للمعتمد وكتب إلى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد في عهده وكتب لابن المدبر أن يطلق
 له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر
 ما يحتاج اليه وخرج في تجمل كبير وجيش عظيم وبعث إلى ابن شيخ يدعوه إلى طاعة الخليفة ورد ما أخذ من
 المال فأجاب بجواب قبيح فسارست خلون من جمادى الآخرة واستخلف اخاه موسى بن طولون على مصر ثم
 رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل القسطنطينية في شعبان وقدم من العراق ماجور التركي
 لمحاربة ابن شيخ فلقية اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهم زموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق
 ابن شيخ بنواحي ارمينية وتقلد ماجورا أعمال الشام كله وصار أحمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والاكت
 بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب إلى سفح الجبل في شعبان واهرب بجرث قبور اليهود والنصارى واختط
 موضعها فبنى القصر والميدان وتقدم إلى اصحابه وغنائه وأتباعه أن يختطوا لانفسهم حوله فاخططوا وبنوا
 حتى اتصل البناء لعمارة القسطنطينية ثم قطعت القطائع وسميت كل قطعة باسم من سكنها فكانت للنوبة قطعة
 مفردة تعرف بهم وللروم قطعة مفردة تعرف بهم وللقراشين قطعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان
 قطعة مفردة تعرف بهم وبني القواد موضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة
 وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقبل سوق العيارين وكان يجمع
 العطارين والبزازين وسوق القاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوابين فكان في دكاكين القاميين جميع
 ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن وسوق الطبائخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين
 ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة اعر وأحسن من الشام وبني ابن
 طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالة فسمى القصر كله الميدان وكان
 كل من أراد الخروج من صغير وكبير إذا سئل عن ذهابه يقول إلى الميدان وعمل للميدان ابوابا لكل باب اسم
 وهي باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالة وباب الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة
 ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلي جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خدام خصي واحرمة وباب
 الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلفة يتقلد جنبايات الغلمان السودان الرجالة فقط يقال له
 الدرمون وباب دعناب لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناب وباب الساج لانه عمل من خشب الساج
 وباب الصلاة لانه كان في الشارع الاعظم ومنه يتوصل إلى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب ايضا باب السباع
 لانه كان عليه صورة سبعين من جنس وكان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون وهو الذي يعرج منه إلى
 القصر طريقا واسعا فقطعه بجائط وعمل فيه ثلاثة ابواب كبر ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها
 ببعض واحد بجانب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن
 بغير زجة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بمفرده من غير أن يحتلط به احد من الناس
 وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها في يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح
 الا بترتيب في اوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من
 اعلامه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالة ويخرجون من باب السباع وكان على باب
 السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان وتأهيمهم ونصرفهم
 في حوائجهم فاذا رأى في حال احد منهم نقصا او خلا امره بما يتسع به ويزيد في تجهله وكان يشرف منه ايضا

على البحر وعلى باب مدينة القسطنطينية وما يلي ذلك فكان ممتزها حسنا وبني الجامع فعرف بالجامع الجديد وبني
العين والسقاية بالمغافر وبني تنور فرعون فوق الجبل واتسعت احواله وكثرت اصطبلاته وكرامه وعظم صيته
نحافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يغري به وكتب فيه ابن المدبر وشقيق الخادم وكانت لابن طولون عين
وأصحاب أخبار يطاعونه بساير ما يحدث فلما بلغه ذلك تطفأ اصحاب الاخبار له ببغداد عند الوزير حتى سيرا الى
ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقيق من غير أن يعلم بذلك فاذا فيها ان احمد بن طولون عزم على التغلب
على مصر والعصيان بها فكتب خبر الكتب وما زال بشقيق حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن
الخراج وتقليد هلال فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحبسوه وكانت له معه امورات الى خروج ابن
المدبر عن مصر وتقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والنغور الشامية فأسقط المعاون والمرافق وكانت بصر
خاصة في كل سنة مائة ألف دينار فأظفره الله عقيب ذلك بكتريفة الف الف دينار بنى منه المارستان وخرج
الى الشام وقد تقلد هافس دمشق وحص ونازل انطاكية حتى اخذها وكانت صدقاته على اهل المسكنة والستر
وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجميل متواترة وكان راتبه لذلك في كل شهر ألفي دينار سوى ما يطرأ عليه
من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى ما يجنيه اتى اقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها
يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس في القدور والفخار والقصاص على كل قدر أو قصعة لكل مسكين أربعة
ارغفة في اثنين منها فالزوج والاثنان الاخران على القدر وكانت تعمل في داره وينادي من احب أن يحضر
دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر الى
المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحلمون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم ابن
قراطغان وكان على صدقاته ايد الله الامير ان تنفق في المواضع التي تفرق فيها الصدقة فتخرج انسا الكف
الناعمة المخضوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديد والكف فيها الخاتم فقال يا هذا كل من مديده اليك فأعطه
فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف فاحذر أن ترددا امتدت اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده
ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذي كان لآبيه فجعله كله بستانا وزرع فيه انواع
الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودى الطيف الذي ينال ثمرة القاش ومنه ما يتناول الجالس من
اصناف خيار النخل وحل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا
اجسام النخل فحسا مذهباً حسن الصنعة وجعل بين النحاس واجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى
فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتتخذ الى فساق معمولة ويقبض منها
الماء الى مجار تسقى سائر البستان وغرس فيه من الزيمان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة
يعاهاها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وزرع فيه السيلوفر الاحمر والازرق والاصفر
والجنوى العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل اصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز واشباه
ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن وبني فيه برجاً من خشب الساج المنقوش بالنقش السافد ليقوم مقام
الاقفاص وزوّقه بأصناف الاصباغ وباط ارضه وجعل في تضاعيفه انهارا لطافا جداولها يجري فيها الماء
مدبراً من السواقي التي تدور على الابار العذبة ويسقى منها الاشجار وغيرها وسرح في هذا البرج من اصناف
التماري والدبسي والتونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الانهار
الجارية في البرج وجعل فيه اوكاراً في قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض
لها فيه عبيداً ممكنة في جوانبه لتقف عليها اذا تطايرت حتى يجابو بعضها ببعضاً بالصياح وسرح في البستان
من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئاً كثيراً وعمل في داره مجلساً بارواقه سماه بيت الذهب
طلى حيطانه كلها بالذهب الجسول بالالازورد المعمول في احسن نقش وأطرف تفصيل وجعل فيه على مقدار
قائمة ونصف صوراً في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حطايه والغنيمات الالاق تغنينه
بأحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤسهن الاكبال من الذهب الخالص الابريز الرزين والكواذن
المرصعة بأصناف الجواهر وفي آذانها الاجراس النقال الوزن المحكمة الصنعة وهي مسخرة في الحيطان واوقت

اجسامها بأصناف اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من اعجب مباني الدنيا وجعل بين يدي هذا البيت فسقية مقدرة وملاها زريقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتغميز فأنتف من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر بعمل بركة من زريق فعلم بركة يقال انها خمسون ذراعا طولاً في خمسين ذراعا عرضاً وملاها من الزريق فأنتف في ذلك اموالا عظيمة وجعل في اركان البركة تسككاً من الفضة الخالصة وجعل في السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة في حلق من الفضة وعمل فرشاً من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحككم حينئذ شدته ويلقى على تلك البركة الزريق وتشد زنانير الحرير التي في حلق الفضة بسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يريج ويتحرك بحركة الزريق مادام عليه وكانت هذه البركة من اعظم ما سمع به من الهمم الملوكية فكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزريق ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لآخذ الزريق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم خارويه في عمل مثل هذه البركة وبني ايضا في القصر قبة نصا هي قبة الهواء سماها الملك فكانت احسن شيء بني وجعل لها الستر التي تقي الحار والبرد فسهل اذا شاء وترفع اذا احب وفرش ارضها بالفرش السمرية وعمل لكل فصل فرشاً يليق به وكان كثيراً ما يجلس في هذه القبة لشرف منها على جميع ما في داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنبيل والجبل وجميع المدينة وبني ميداناً آخر أكبر من ميدان ابيه وكان احمد بن طولون قد اتخذ بحجرة بقره فيها رجال سماهم بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلاً بيت منهم في كل ليلة اربعة يتعاقبون الليل نواباً يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ويقرؤون القرآن تطرياً بالحنان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون اوقات الاذان فلما ولي خارويه اقترههم على حالهم وأجرأهم على رسمهم وكان يجلس للشرب مع خطاياء في الليل وقيناته تغنيه فاذا سمع اصوات هؤلاء اذ كرون الله والقدح في يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم ابد حتى يسكت التوم لا يضجره ذلك ولا يغيبه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع وبني ايضا في داره دار السباع عمل فيها يوتاباً راج كل بيت يسع سبعة اولمونه وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل وفي جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدي هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سميع من تلك السباع تنظيف بيته او وضع وظيفة اللحم التي لغذائه رفع الباب بحيلة من اعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة المذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو تنظيف ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدد ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملاؤه ماء ثم يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فخال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل ما هي له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء كفايته فكانت هذه مملوءة من السباع ولهم اوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فيخرج الى القاعة وتتشى فيها وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضاً فقيم يوماً كاملاً الى العشي فيصبح بها السواكس فيدخل كل سميع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سميع ازرق العينين يقال له زريق قد أنس بخمارويه وصار مطلقاً في الدار لا يؤذى احد او يقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم فاذا نصبت مائدة خمارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فينفكه به وكانت له لمبة لم تستأنس كما أنس فكانت مقصورة في بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام على سرير ربض بين يدي السرير وجعل يراعيه مادام نائماً وان كان على الارض بقي قرياً منه وقطن لمن يدخل ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان في عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه مادام نائماً لمراعاة زريق له وحراسته اياه حتى اذا شاء الله انفاذ قضائه في خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لا يغني حذر من قدر وبني ايضا دار الحرم ونقل اليها امهات اولاديه مع اولادهن وجعل معهم المعزولات من امهات اولاده وافرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته وفضل عنه منها شيء وأقام

لكل حجرة من الأتزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن أهلها منه شيء كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطبائخ وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة الكبيرة والتي فيها العدة من الدجاج فنهما ما قلع نخذهما ومنها ما قد تشعب صدرها ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من الفالودج والكثير من اللوزينج والقطائف والهرايس من العصيدة التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالماونية واشباه ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتساقبونهم لذلك واكثر ما يتباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ومنها ما يساع بدرهم فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات وكان شيء موجودا في كل وقت لكثرة واتساعه بحيث ان الرجل اذا طارقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فنجده ما يشتره ليتجمل به اضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا يتهيأ له من اللعوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك وانسعت ايضا اصطبلات خارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبل مفردا فكان للتليل الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة وليعمال القباب اصطبلات ولبشال النقل غير بغال القباب اصطبلات وللتجائب والجنائى اصطبلات لكل صنف اصطبل مفرد للاتساع في المواضع والتفنن في الاثقال وعمل للفرود دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللقليلة دارا وللازراغات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التي بالجيزة فانه كان له في عدة ضياع من الجيزة اصطبلات مثل نيميا ووسيم وسقط وطهرمس وغيرها وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القرط برسم الدواب وكان للخليفة ايضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكرته فيها الخيل لطبقة السباق وللباطي في سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السنوي والوظائف الكثيرة والاموال المتسعة وبلغ رزق الجيش في ايام خوارويه تسعمائة ألف دينار في كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار في كل شهر سوى ما هو موظف بخوارويه وأرزاق من يخدمهون ويتصرفون في حوائجهم وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الخوف وشنة زرة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والبأس لهم خلق عظيم تام وعظم اجسام وأدب عليهم الارزاق ووسع لهم في العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق واذية الناس بخدمة والبسهم الاقبية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض النقال وقادهم السيوف المحلاة بضعون على اكافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت اصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعليهم اقبية سود وعمائم سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم ويصير ابريق درقهم وحلى سيوفهم والبيض التي تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهيج فاذا مضى السودان قدم خوارويه وقد انفرعن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به وكان تام الظهر ويركب فرسا تاما فيصير كالكوكب اذا قبل لا يخفى على احد كانه قطعة جبل في وسط المختارة وكان مهايا ذاسطوة وقد وقع في قلوب الكافة انه متى اشار اليه احد باصبعه او تكلم او قرب منه لحقه مكر وعظيم فكان اذا قبل كما ذكرنا لا يسمع من احد كلمة ولا سعة ولا عطسة ولا نحنة البتة كاتما على رؤسهم الطير وكان يتقلد في يوم العيد سيفا مجمل ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج الى مواضع لم يكن ابوهم يسألها كالا هرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لاجل الصيد فانه كان مشغوبا به لا يكاد يسمع بسبع الا قصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غلبه عنوة وهو سايم فيضعونه في اقفاص من خشب محكمة الصنعة يسرع الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خوارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبة السباق في ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكامل فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون في الاعياد وتطلق الخيل من غايتها فتمر متفانية يقدم بعضها بعضا حتى يتم السباق قال القاضي المنظر بناء احمد بن طولون في ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الاربعة التي منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقى من هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة ببغداد ايضا بعد القاضي بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها

الله تعالى وليس في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خنارويه وانتهى
أمره بدا يسترجع منه الدهر ما أعطاه فأقول ما طرقه موت خطيته بوران التي من اجلها بنى بيت الذهب
وصور فيه صورته وصورته كما تقدم وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له الا بسلا متها وينظره اليها ويمتعه بها فكثير
موتها عيشه وانكسر انكسار بان عليه ثم انه اخذ في تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة
ولا طرفة من كل لون وجنس الاحمله معها فكان من جلته دكة اربع قطع من ذهب عليها قبسة من ذهب مشبك
في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القاضي وعقد
المعتضد النكاح على ابنته يعني ابنة خنارويه قطر الندي فحملها ابو الجيوش خنارويه مع عبد الله بن الخصاص
وحمل معها ما لم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الخصاص بوذعه قال له خنارويه هل بقي بيتي وبينك حساب
فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسري في من الجهاز فقال احضروه فاخرج ربع طومار فيه سبت ذكر النفقة
فاذا هي اربع مائة ألف دينار قال محمد بن علي المادرائي فنظرت في الطومار فاذا فيه وألف تكة الثمن عنها عشرة
آلاف دينار فأطلق له الكل * قال القاضي وانما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على اشياء منها سبعة نفس ابى
الجيوش ومنها كثره ما كان يملكه ابن الخصاص حتى انه قال كسري في من الجهاز وهو اربع مائة ألف دينار
لولا يقضه ذلك لم يذكره ومنها ميسور ذلك الزمان لمسا طلب فيه ألف تكة من اثمان عشرة دنانير قدر عليها
في ايسر وقت وبأهون سعي ولوطب اليوم خسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم في اسواق القاهرة
ومصر تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجب في الحال ولا بعد شهر الا أن يتعني بعملها فتعمل ولما فرغ خنارويه من
جهاز ابنته امر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر فيما بين مصر وبغداد وأخرج معها اخاه شيبان بن
احمد بن طولون في جماعة مع ابن الخصاص فكانوا يسرون بها سير الطفل في المهد فاذا واقت المنزل وجدت
قصر اقد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعذ فيه كل ما يصلح لمثلها في حال الإقامة فكانت
في مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كنهن في قصر ابيها تتهقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد
أول المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خنارويه بدمشق وكانت مدة بني
طولون بمصر سبعة وثمانين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء اولهم (احمد بن طولون)
ولى مصر من قبل المعتز على صلاتها فدخل يوم الخميس السبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين
وخرج بغا الاصفهري وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية في جادى الاولى سنة خمس
 وخمسين وسار الى الصعيد فقتل في الحرب وحمل رأسه الى القسطنطيني لحدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن
الصوفي العلوي وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب ودخل اسنان في ذي
القعدة فتهب وقتل فبعث اليه ابن طولون جيشا فهزم الجيش في ربيع الاول سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر
فواقعه باخيم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي الى الواح فأقام به وخرج احمد بن طولون يريد حرب عيسى بن
الشيخ ثم عاد فابتنأ في بناء الميدان وقدم العباس وخنارويه ابنا احمد بن طولون من العراق على طريق مكة
سنة سبع وخمسين وورد كتاب ماجور يتسلم احمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم
الاسكندرية وخرج اليها ثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طفج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت
من شوال وسخط على اخيه موسى وأمره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا ثمان بقين من شعبان سنة
تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم ثمان خلون من شوال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل في صفر
سنة تسع وخمسين وبناء المارستان للمرضى وورد كتاب المعتمد يستحثه في حمل الاموال فكتب اليه لست اطيق
ذلك والخراج بيد غيري فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد احمد بن طولون الخراج وبولايته على الثغور الشامية
فاقر باا يوب احمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد الخنثى بن بلبرد على الثغور فخرج في جادى
الاولى سنة اربع وستين وتقدم ابو احمد الموفق الى موسى بن بغا في صرف احمد بن طولون وتقليدها ماجور
التركي والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف ليجزئه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقة فبلغ
ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ في بناء الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لاله وحرمة في سنة ثلاث وستين واجتهد
في عمل المراكب الحربية وأقامها بالجزيرة فأقام موسى بالركة عشرة اشهر واضطربت اموره ومات في صفر سنة

اربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي بن ماجور فخر ذلك احمد بن طولون على المشرق وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وامره باقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا اهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجند وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر فابداً ببنائه في سنة أربع وتم في سنة ست وستين ومائتين وخرج في جيوشه ثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه احمد بن محمد الواسطي مدبر او وزير ابلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فتلقاه علي بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له امرها ومضى الى حصن قنسها وبعث الى سيما الطويل وهو بانطاكية يأمره بالدعوة له فأبى فسار اليه في جيش عظيم وحاصره ورماه بالمجانيق حتى دخلها في المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح امواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فنادى اهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن اهل طرسوس ليلج طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدها لم تقم لاهل طرسوس فانهمزوا وخرج عنهم واستخلف علياً طخشي فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه فازججه ذلك وسار خفاف العباس وقيد الواسطي وخرج بطائفته الى الجزيرة ثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فمسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن احمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم احمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأنفذ القاضي بكار بن قتيبة في نفر بكتابه الى العباس فساروا اليه ببرقة فأبى أن يرجع وعاد بكار في اول ذي الحجة ومضى العباس يريد افرقية في جادى الاولى سنة ست وستين فمب لبدء وقتل من اهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاغلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله درى اذا عدا على فرسى * الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفي يدي مارم افرى الرأس به * في حدة الموت لا يقي ولا يذر
ان كنت سائلة عني وعن خبري * فها أنا الليث والصمصمة الذكر
من آل طولون اصرى ان سألتها * فوق لمقتدر بالجود ومقتدر
لو كنت شاهدة كرى بلبدة اذ * بالسيف اضرب والهامة تبذر
اذا العاينت منى ما تبادره * عني الاحاديث والانباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهب امواله وفر الى برقة في ضر وعقد احمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثني عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فأقام بالاسكندرية وفر الى ابنه احمد بن محمد الواسطي من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فعقد على جيش سيره الى برقة فواقوا أصحاب العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيراً وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد احمد الى القسطنطينية ثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى في شوال ثم اخرجوا اول ذي القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضرىوا وألقوا من اعلاها ثم بعث بلؤلؤ في جيش الى الشام فخالف على احمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج احمد واستخلف ابنه خمارويه في صفر سنة تسع وستين فقتل دمشق ومعه ابنه العباس مقيد الخلف عليه اهل طرسوس فخرج يريد محاربته ثم توقف لورود كتاب المعتمد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا احمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الرنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا وولى به جماعة وعقد لاسحق بن كنداح الخزري على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا قري على الناس بأن أبا احمد الموفق فكك بيعة المعتمد وأسره في دار احمد بن الخصب وان المعتمد قد صار من ذلك الى ما لا يجوز ذكره وانه بكى بكاء شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المعتمد وقال اللهم فاكفه من حصره وظلمه وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والنغور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لمخالفة المعتمد وحصره اياه وكتب فيه ان ابا احمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الامة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الابكار بن قتيبة

وآخرين وقال بكار لم يصح عندي ما فعله ابواحمد ولم اعلمه وامتنع من الشهادة والخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خات من ذى القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بعلن احمد بن طولون على المنابر فلعن عليهم بما يصيغونه اللهم العنه لعنايقل حقه ويتعس جدده واجعله مثالا للغابرين انك لا تصلح عمل المفسدين ومضى احمد الى طرسوس فسنار لها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى اذنة وسار الى المصيصة فزلت به علة الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما فركب النيل الى القسوطا فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين فأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجزعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكوا سي * عراقى كوقع الاصل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجمل
شهاب خبا وقده * وعارض غيث اقل * شكت دواقي فقده * وكان يزين الدول

فقام بعده ابنه (ابو الجيش خمارويه) بن احمد بن طولون وبايعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذى القعدة فأمر بقتل اخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله احمد الواسطى على جيش الى الشام لست خلون من ذى الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش آخر وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية فقتل الواسطى فلسطين وهو خائف من خمارويه أن يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس فكتب الى ابي احمد الموفق يصغرا من خمارويه ويحترضه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحق بن كنداح ومحمد بن ابي الساج ونزل الرقة فسلم فسيرين والعواصم وسار الى شيرز فقاتل اصحاب خمارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خمارويه في جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع احمد بن الموفق بنهر ابي بطرس المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقتتلا فانهمز اصحاب خمارويه وكان في سبعين ألفا وابن الموفق في نحو أربعة آلاف واحتوى على عسكر خمارويه بما فيه ومضى خمارويه الى القسوطا وأقبل كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خمارويه فخارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر وهزمه اثني عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خمارويه الى القسوطا لثلاث خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطى فدخل دمشق وخرج خمارويه من مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لانتى عشرة بقيت من شوال ثم خرج في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعد الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداح فكانت على خمارويه فانهزم اصحابه وثبت هو في طائفة فهزم ابن كنداح واتبعه حتى بلغ اصحابه سر من رأى ثم اصطالحا وتظاهرا واقبل الى خمارويه فأقام في عسكره ودعاه في اعماله التي بيده وكاتب خمارويه ابا احمد الموفق في الصلح فأجابته الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فائق الخدام الى مصر في رجب ذكر فيه أن المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم وبولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ثم قدم خمارويه سلع رجب فأمر بالدعاء لابي احمد الموفق وترك الدعاء عليه وجعل على النظام بمصر ومحمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن ابي الساج الى أعماله فخرج اليه في ذى القعدة ولقيه شعبة العقاب من دمشق فانهمز اصحاب خمارويه وثبت هو فخاربه حتى هزمه فأقبح هزيمة وعاد الى مصر فدخلها است بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعي له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذى القعدة ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتمد ابو العباس احمد بن الموفق فبعث اليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتمد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من القرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عماضى وثلثمائة الف للمستقبل ثم قدم رسول المعتمد بالخلع وهي اثنا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتمد نكاح قطر الندى بنت خمارويه في سنة احدى وثمانين وفيها خرج خمارويه الى نزهته ببريوط في شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ سيوط ثم رجع من الشرق الى القسوطا اول ذى القعدة وخرج الى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين فأقام بمنية الاصمغ ومنية مطر ثم رحل حتى اتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواريه

وخدمه وحمل في صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواربه وجواري غلمانه ونساء
قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع في المآتم وخرج الغلمان وقد حلوا أقيمتهم وفيهم من سود ثيابه وشققها
وكانت في البلد شجرة عظيمة وصرخة تتعق القلوب حتى دفن وكانت مدته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما
ثم ولي (ابو العساكر جيش بن خمارويه) بن احمد بن طولون الليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين
ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتغل على امور انكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتكره لهم فخافوه
ودأبوا في الفساد فخرج متنزها الى منية الاصبع ففر جماعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه احمد بن طغان
وكان على الثغر وخلعه طنج بن جف بدمشق فوثب جيش علي عمه مضر بن احمد بن طولون فقتله فوثب عليه
الجيش وخلعوه وجعوا الفقهاء والقضاة فقتلوا من بيعته وحلهم منها وكان خلعه لعشر خلون من جادى
الآخر سنة ثلاث وثمانين فولى ستة اشهر واثني عشر يوما ومات في السجن بعد أيام ثم ولي (أبو موسى هرون
ابن خمارويه) يوم خلع جيش قسام طائفة من الجند وكاتبوا بيعة بن احمد بن طولون وكان بالاسكندرية
ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من اهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهري فسطاط
مصر فخذله القوم وخرج اليه القواد فقتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة اربع وثمانين
وضرب ألف سوط ومائتي سوط فمات المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفي
بالله وخرج القرمطي بالشام في سنة تسعين فخرج القواد من مصر وحاربوه فهزمهم وبعث المكتفي محمد بن
سليمان الكاتب فقتل حص وبعث بالمر اكب من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم
التروية سنة احدى وتسعين وسير المر اكب الحربية فالتقوا بمر اكب محمد بن سليمان في تينس فغلبوا وملك اصحاب
محمد بن سليمان تينس ودمياط فسار هرون الى العباسية ومعه اهله وأعمامه في ضيق وجهه فقتل عنه كثير من
اصحابه وبقي في نفر يسير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماء شيبان وعدى ابنا احمد بن طولون على قتله فدخل عليه
وهو غل فقتله ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنة يومئذ اثنان وعشرون سنة
فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية اشهر وأياما ثم ولي (شيبان بن احمد بن طولون) ابو المواقيت لعشرين من
صفر فرجع الى القسطنطينية وباع طنج بن جف وغيره من القواد قتل هرون فأنكروهم وخالفوا على شيبان وبعثوا
الى محمد بن سليمان فأمنهم وحز كوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسية فلقه طنج في ناس من القواد
كثير فساروا به الى القسطنطينية وأقبل اليهم عامة اصحاب شيبان فخاف حينئذ شيبان وطلب الايمان فأمنه محمد بن
سليمان وخرج اليه ليلة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثني عشر يوما
ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس اول ربيع الاول فألقى النار في القطائع ونهب اصحاب القسطنطينية وكسروا
السجون وأخرجوا من فيها وهجموا الدور واستباحوا الحرم وهتكوا الرعية واقتضوا الابكار وساقوا
النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد احمد بن طولون وهم عشرون انسانا
واخرج قواده فلم يبق بمصر منهم احديذ كر وخلصت منهم الديار وعفت منهم الاثام وتعتلت منهم المنازل وحل
بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك ومساعدة الايام ثم سيق اصحاب شيبان
الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا
فقال احمد بن محمد الحديشي

الحمد لله اقرارا بما وهبنا * قدلم بالامن شعب الحق فانشعبا
الله اصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المنوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدنا * وفزع الظلم والاضلال والكربا
لا ريب رب هياج يقتضي دعة * وفي القصاص حياة تذهب الريسا
رمى الامام به عذراء غادره * فاقض عذرتها بالسيف واقتضبا
محمد بن سليمان اعزهم * نفساوا كرمهم في الذاهيين أبا
سرى بأسد السرى لولم يروا بشرا * اخشى عزيتهم الخطى لا القضا
جسم القضاء على اليموم حين اتوا * مثل الزبا يتحون الزينة الذابا

ايها علوت على الايام مرتبة * ابا على ترى من دونها الرتبة
لما اطال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطايا
هارت بهارون من ذكر البقعة * وشيب الرعب شيئا ناو قد رعبا
وكم ترى لهم من جنة انف * ومن نعيم جني من غدرهم عطيا
فأصبحوا لا ترى الامساكنهم * كانوا من زمان غابر ذهبيا
وقال اجد بن يعقوب

ان كنت تسال عن جلالة ملكهم * فارتع وعج برابع الميدان
وانظر الى تلك القصور وما حوت * واسرح برهرة ذلك البستان
وان اعلمت فقيه ايضا عبيرة * تنيل كيف تصرف العصران
يا قتل هرون اجتمعت اصولهم * واشتت رأس اميرهم شيان
لم يغن عنكم بأس قيس اذا غدا * في بحفل لجب ولا غسان
وعديه البطل الكمي وخزنج * لم ينصرا بأخيمهما عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى * وتمزقت عن شيعه الشيطان
وقال اسمعيل بن ابي هاشم

قف وقفة بقباب باب الساج * والقصر ذي الشرفات والابراج
وربوع قوم ازبحوا عن دارهم * بعد الاقامة اجبا ازعاج
كانوا مصايحا لى ظلم الدجى * يسرى بها السارون في الادلاج
وكان اوجههم اذا ابصرتها * من فضة بيضاء او من عاج
كانوا اليونان لا يرام جاههم * في كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل ثنية وبفاج
وعليهم ما عشت لادع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساجي
وقال سعيد القاص

تجرى دمعته ما بين سحر الى سحر * ولم يجرح حتى اسلته يد الصبر
وبات وقيدا للذى خامر الحشا * بين كما أن الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا لسي * بيت على جرح وبضحي على جرح
تتابع أحداث يضيعن صبره * وغدر من الايام والدهر ذو غدر
اصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوى الدين والدينا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها * بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون في كل موطن * أمر على الاسلام فقدم القطر
فبادوا وأضحو ابعذر ومنعة * احاديث لا تخفى على كل ذى حجر
وكان ابو العباس احمد ماجدا * جميل المحيلا لا بيت على وتر
كان لباني الدهر كانت لحسنها * واشراقها في عصره لبالة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلاة بين السماكين والغفر
فان كنت تبغى شاهدا اعدالة * يخبر عنه بالجلي من الامر
فبالجبل الغربي خطة يشكر * له مسجد يغنى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بنياه * وبانيه لا بالضنين ولا الغمر
تياه باحجر وساج وعرعز * وبما رمى المسنون والجص والحجر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المباني من عقود ومن جدر
فسبح رحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر

وتنور فرعون الذي فوق قلة * على جبل عال على شاطئ وعمر
 بني مسجد فيه يروق بناؤه * ويهدي به في الليل ان ضل من يسرى
 تحال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا ملاح في الليل للسفر
 وعين معين الشرب عين زكية * وعين اجاج للرواة وللظهر
 كأن وفود النيل في جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
 فأركبها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
 بناء لوان الحق جاءت بمسألة * لقييل لقد جاءت بمسقط نكر
 يمر على ارض المغافر كلها * وشعبان والاحور والحي من بشر
 قبائل لانواء السحاب يدها * ولا النيل يرويه ولا جدول يجري
 ولا تنس ما رستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للحوول والشهر
 وما فيه من قوامه وكفاته * ورقته بم المعتقين ذوى الفقر
 فللميت المقبور حسن جهازه * والحي رفق في علاج وفي جبر
 وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر
 ترى أثر لم يبق من يستطيعه * من الناس في بدو البلاد ولا حضر
 ما أثر لا تبلى وان باد أهلها * ومجدي يودى وارثه الى الفخر
 لقد ضمن القبر المقدر ذرعه * اجل اذا ما قيس من قتي حجر
 وقام ابو الجيش ابنه بعد موته * كما قام ليث الغاب في الاسل السمر
 اتته المنايا وهو في أمن داره * فأصبح مسلوبا من النهي والامر
 كذلك الليالى من اعارته بهجة * فيالك من ناب حديد ومن ظفر
 وورث هرون ابنه تاج ملكه * كذلك ابو الاشبال ذوالناب والهزم
 وقد كان جيش قبله في محله * ولكن جيشا كان مستقصر العمر
 فقام بأمر الملك هارون مدة * على كظ من ضيق باع ومن حصر
 وما زال حتى زال والدهر كاشع * عقابه من كل ناحية تسرى
 تذكريتهم لما مضوا اقتابعوا * كما ارفض سلك من جان ومن شذر
 فمن يلك شيأ ضاع من بعد أهله * لفقد هم فليبك حزنا على مصر
 ايبك بنى طولون اذ بان عصرهم * قبورك من دهر وبورك من عصر
 وقال ايضا

من لم ير الهدم للميدان لم يره ■ تبارك الله ما اعلى واقذره
 لوان عين الذي انشاء تبصره ■ والحادثات تعاديه لا كبره
 كانت عيون الورى تعشولهيتيه ■ اذا اضاف اليه الملك عسكره
 أين المملوك التي كانت تحل به ■ واين من كان بالانفاذ دبره
 واين من كان يحسميه ويحرسه ■ من كل ليث يهاب الليث منظره
 صاح الزمان بمن فيه فقرتهم ■ وحطريب البلى فيه فدعثره
 وأخلق الدهر منه حسن جدته ■ مثل الكتاب محج العصر ان اسطره
 دكت مناظره واجتث جوسقه ■ كأنما الخسف فاجاه فدعثره
 اوهب اعصار نار في جوانبه ■ فعادم عروقه للعين منكوره
 كم كان يأوى اليه في مقاصره ■ احوى اغن غضيض الطرف احوره
 كم كان فيه لهم من مشرب غدى ■ فغب صرف الردى فيه فكثره
 ابن طولون بانيه وساكنه ■ امانه الملك الاعلى فأقبره

ما أوضح الامر لو صحت انما فكر * طوبى لمن خصه رشده فذكره
وقال احمد بن اسحق الجفري

واذا ما اردت ان تجوبه الدهر تراها فانظر الى الميدان
تنظر اليين والهيموم وانوا عاوت اليه من الاشجان
يعلم العالم المبصر ان الدهر فيما يراه ذو ألوان
اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخي ونضرة وحسان
اين ذاك المسك الذي ديف بالعنبر يجتسا وعلى بالزعفران
اين ذاك الخنز المضاعف والوشى وما استخلصوا من الكنان
اين تلك القيان تشدو على العرس بما استحسنوا من الالحان
حوز الدهر آل طولون في هوة تقرر مسكونها غير دان
واعاض الميدان من بعد أهليه ذاتا بتعوى بتلك المغاني

ثم امر الحسين بن احمد المادرائي متولى خراج مصر بدم الديوان فابتدى في هدمه في شهر رمضان سنة ثلاث
وتسعين ومائتين وبيع انقاضه وذر كانه لم يكن * فقال محمد بن طسويه

وكان الميدان ثكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليله عرس
تغشي الرياح منه محلا * كان للصون في ستور القدس
وبفرش الاضريح والبسط الذي * سباح في نعمة وفي لين لمس
ووجوه من الوجوه حسان * وخذود مثل اللآلئ ملس
كل نجلاء كالغزال ويحلا * ورداح من بين حور ولعس
آل طولون كنتم زينة الارض * فاضحى الحديد أهدام لبس

وقال ابن ابي هاشم

يا منزل لبني طولون قد دثرا * سقال صرف الغواذى القطر والمطرا
يا منزل اصرت اجفوه وأهجره * وكان يعدل عندي السمع والبصرا
بأنه عندك علم من احببنا * ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا
وقال

ألا فاسال الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضي ابن طولون ما فعل
وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين ابو الجيش القصاصة البطل
وجيش وهارون الذي قام بعده * وشيخان بالامس الذي خاته الامل
ومن قبله اردى ربيعة يومه * وكان هزبرا لا يطاق اذا جل
واين ذرارهم واين جوعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضحل
واين بناء القصر والجوسق الذي * عهدناه معمور القناء له زجل
لقدمه كوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم انقضوا بانقضاء الدول
فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما انقضى الاجل
وصاروا احاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم في ملكهم يضرب المثل

وقال

قف وقفة وانظر الى الميدان * والقصر ذي الشرفات والايوان
والجوسق العالى المنيف بناؤه * ما باله فقر من السكك
اين الذين لهوا به وعنوا به * زمنا مع القينات والتسوان
يجبى الخراج اليهم في دارهم * لا يرهبون غوائل الحدثنان
جمعوا الجوع مع الجوع فأكثروا * واستأثروا بالاروم والسودان

فانظر الى ماشيدوا من بعدهم * هل فيه غير اليوم والغربان
 اين الاولى حفر والعيون بأرضه * وتأنقوا فيه وفي البنيان
 غرسوا صنوف الثفل في ساحاته * وغرائب الاعناب والزمان
 والزعفران مع البهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
 كانوا ملوك الارض في ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
 ففزعوا وتفزعوا فهناك هم * تحت الثرى يملون في الاكفان
 الا اغيلة اسارى بعدهم * في دار مضیعة ودار هوان
 متلذذين بأسرهم قد شردوا * ونفوا عن الاهلين والاطوان
 والله وارث كل حي بعدهم * وله البقاء وكل شيء فان

وقال

ان في قبة الهوا * لذى اللب معتبر * والقصور المشيذات مع الدور والحجر
 والبساتين والجبال والبيت والزهر * والجواري المغنيات ذوى الدل والحفر
 يتجترن في الحريز * وفي الوشى والخبر * وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
 وجيوش مؤيدون لدى الباس بالظفر * من صنوف السودان والترك والروم والخزر
 عمروا الارض مدة ثم صاروا الى الحفر * واستبد الزمان من عاش منهم فلم يذر
 فهم في الهوان والذل اسرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الذل في كدر
 يال طولون مالكم صرتم للورى سمر * يال طولون كنتم خيرا فانقضى الخبر

وقال

هررت على الميدان معتبرا به * فناديته اين الجبال الشواخ
 خمار وعباس واحد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشاخ
 وأين ذراري آل طولون بعدهم * أما فيك منهم ايها الربيع صارخ
 وأين ثياب الخزر والوشى والخلي * وأربابها من اين تلك المطابخ
 وأين قتات المسك والعنبر الذى * عنيت به دهرها وتلك اللطابخ
 لقد غالك الدهر الخوون بصرفه * فأصبت منخطا وغيرك بازخ

وقال

هررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفر الجنب فراعني
 فناديت فيه يال طولون مالكم * فهو قد فاحلق بحرف اجابني
 فأذريت عينات دمع غزيرة * ورحت كتيب القلب مما اصابني
 واني عليهم ما بقيت لوجع * ولست ابالي من الحاني وعابني

وحدث محمد بن ابي يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنين وتسعين ومائتين تذكرت
 ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهرة الثياب
 وكثرة الكراخ وأصوات الابواق والطبول فاعترا في ذلك فكرة ونمت في ليلتي فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك
 والتملك والزينة لما مضى بنو طولون وقال القاضي ابو عمرو عثمان النابلسي في كتاب حسن السيرة في اتخاذ
 الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قد راثني عشرة كراسة مضمونة فهرست شعراء الميدان الذي لاحد بن طولون قال
 فاذا كانت اسماء الشعراء في ثنتي عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد
 قال ابو الخطاب بن دحية في كتاب البراس وخربت قطائع احد بن طولون بعني في الشدة العظمى زمن
 الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان بهامن الساكنين وكانت يفاعلى مائة ألف دار نزهة للناظرين بمحقة
 بالحنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

* (ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت فاهرة المعز على يد القائد جوهر) *

وكان اول من ولي مصر بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب
 اولو غلام احمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائتين ودعا
 على المنبر لامير المؤمنين المكتفي بالله وحده وجعل ابا على الحسين بن احمد المادرائي على الخراج عوضا عن
 احمد بن على المادرائي ثم ورد كتاب المكتفي بولاية (عيسى بن محمد) النوشري ابي موسى فولى على
 الصلوات ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الاولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى
 لاسبوع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان بمصر أربعة اشهر فأخرج
 كل من بقي من الطولونية فلما بلغوا دمشق اتخدت عنهم محمد بن على الخليل في جمع كثير من كره مفارقة مصر من
 القواد فعدو الله عليهم وبأيعوه بالامرة في شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشري بجيش اول رمضان
 وقد دخل ارض مصر ثم خرج اليه النوشري وعسكر بباب المدينة اول ذي القعدة وسار الى العباسية ثم رجع
 لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجيزة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية فقر عنه طائفة الى
 ابن الخليل فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليل) القسطنطين لاربع عشرة بقيت
 من ذي القعدة فوضع العطاء وفرض الفروض وقدم ابو الاعز من قبل المكتفي في طلب ابن الخليل فخرج اليه
 لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحاربه فانهزم منه ابو الاعز وأسر من اصحابه جمعا كثيرا وعاد
 لثمان بقين منه فقدم فأتاك المعتضدي من بغداد في البر فعمسكروا وقدم دميانة في المراكب فأتاك النورية
 فخرج ابن الخليل وعسكر بباب المدينة وقام في الليل بأربعة آلاف من اصحابه ليبيت فأتاك فاضلوا الطريق
 وأصبحوا قبل أن يبلغوا النورية فعلم بهم فأتاك فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليل فانهزم عنه اصحابه وثبت في
 طائفة ثم انهزم الى القسطنطين لثلاث خلون من رجب فاستتر ودخل دميانة في مراكب الثغور وأقبل
 عيسى النوشري ومعه الحسين المادرائي ومن كان معهما نجس خلون منه فعاد النوشري الى ما كان عليه
 من صلاتها والمادرائي الى ما كان عليه من الخراج وعرف النوشري بمكان ابن الخليل فهجم عليه وقبده
 لست خلون من رجب وكانت مدة ابن الخليل بمصر سبعة اشهر وعشرين يوما ودخل فأتاك في عسكره الى القسطنطين
 لعشر خلون من رجب فأخرج ابن الخليل في البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم
 ثلاثون نفرا فكان يوما مذكورا وابتدى في هدم ميدان بني طولون في شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج
 فأتاك الى العراق للنصف من جمادى الاولى سنة اربع وتسعين وامر النوشري بنقي المؤمنين ومنع النوح والتداء
 على الجنائز وامر باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ثم امر بفتح بغداد يوم مات المكتفي في ذي القعدة
 سنة خمس وتسعين فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشري على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر
 المقتدر فأقر النوشري على الصلوات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افرريقية مهزوما من ابي عبد الله
 الشيعي في رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة فنهض النوشري من العبور وكانت بين اصحابه وبين جند
 مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشري لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو واه
 فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدة ابن الخليل سبعة اشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه
 ابو الفتح محمد بن عيسى ثم ولي (تكين الخزري ابو منصور) من قبل المقتدر على الصلوات فدعى له بها يوم الجمعة
 لاهدى عشرة خلت من شوال وقدم خليفته لاسبوع بقين منه ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذي الحجة وتقدم
 اليه بالجد في أمر المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه ابو الهيثم فخاربه حباسة بن يوسف بعساكر
 المهدي عبيد الله افاطمي صاحب افرريقية واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية في زيادة على مائه
 ألف فدخلها في المحرم سنة اثنين وثلاثمائة فقدمت الجيوش من العراق مدد لتكين في صفر وقدم الحسين
 المادرائي واحمد بن كيغلق في جمع من القواد وبرزت العساكر الى الجيزة في جمادى الاولى وخرج تكين
 فكانت واقعة حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مؤنس الخادم من بغداد
 في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الامراء قتل الجراء ولقى الناس منهم شداً وخرج ابن كيغلق
 الى الشام في رمضان وصرف تكين لاربع عشرة خلت من ذي القعدة صرفه مؤنس فخرج لاسبوع خلون من

ذي الحجة وأقام مونس يدعى ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومي) ابو الحسن الاعور من قبل المقتدر
 على الصلوات فدخل لثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة وخرج موسى بجميع جيوشه لثمان خلون
 من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية في المحرم سنة اربع وثلاثمائة ثم عاد في ثامن ربيع الاول وتبع
 كل من يوماً اليه بمكاتبة المهدي صاحب افرقية فنجح منهم وقطع ايدي اناس وارجلهم وجلا اهل لوبية
 وهاجبة الى الاسكندرية خوفاً من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية
 بسبب سب الصحابة رضي الله عنهم وسب القرءان وقدمت عساكر المهدي صاحب افرقية الى لوبية
 وهاجبة عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلاثمائة وقرئ الناس من مصر الى الشام
 في البر والبحر فهلك اكثرهم وأخرج ذكا الجند المخالفون له فعسكر بالجيزة وقدم ابو الحسن بن احمد المادرائي
 واليا على الخراج فوضع العطاء وجد ذكا في أمر الحرب واحقر خندقا على عسكره بالجيزة فرض ومات
 لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول بالجيزة فكانت امرته اربع سنين وشهرا فولى (تكنين) مرة ثانية
 من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن جل و ابراهيم بن كينغ في ربيع الاول ودخل تكنين
 لاحدى عشرة خلت من شعبان فنزل الجيزة وحضر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب المغرب فظفر بها في شوال
 وقدم مونس الخادم من بغداد بعساكره خمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلاثمائة فنزل الجيزة وكان في نحو ثلاثة
 آلاف وسير ابن كينغ الى الاشمونين فقات بالهنساء اول ذى القعدة وملك اصحاب المهدي القيوم وجزيرة
 الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد في عسكر آخر ذى الحجة فعسكر بالجيزة فكانت حروب مع اصحاب
 المهدي بالقيوم والاسكندرية ورجع ابو القاسم بن المهدي الى برقة وصرف تكنين لثلاث عشرة خلت من
 ربيع الاول سنة تسع وثلاثمائة فولى مونس (أبا قابوس محمود بن جل) فأقام ثلاثة ايام وعزله ورد تكنين خمس
 بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة ايام وأخرجه الى الشام في اربعة آلاف من اهل الديوان ثم ولى (هلال
 ابن بدر) من قبل المقتدر على الصلوات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت
 منه ومعه ابن جل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط
 فكثرت النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها في ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة وخرج في نفر
 من اصحابه فولى (احمد بن كينغ) من قبل المقتدر على الصلوات وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جمادى
 الاولى ثم قدم ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرائي على الخراج في رجب فأحضر الجند ووضعوا
 العطاء وأسقطا كثيرا من الرجال وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجال به فقرأوا فاقوس وأدخل المادرائي الى
 المدينة لثمان خلون من شوال وأقام ابن كينغ بفاقوس الى أن صرف بقدر وم رسول تكنين في ثالث ذى القعدة
 فولى (تكنين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلوات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتي
 عشرة وثلاثمائة فأسقط كثيرا من الرجال وكانوا اهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط
 وصلى الجمعة في دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة في مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق في سنة
 سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء في دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر في شوال سنة عشرين وبويع
 ابو منصور القاهرة بالله فأقر تكنين حتى مات في سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلاثمائة فحل
 الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكنين موضعه وقام ابو بكر
 محمد بن علي المادرائي بأمر البلد كله ونظر في اعماله فشغب الجند عليه في طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور
 أهله فخرج ابن تكنين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرائي يأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر برباب
 المدينة وأقام هناك بعد ما رحل ابن تكنين الى سلخ ربيع الاول فلحق ابن تكنين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فغناه
 المادرائي ثم ولى (محمد بن طنج) بن جف الفرغاني ابو بكر من قبل القاهرة بالله على الصلوات فور دكا به
 لسيب خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعي له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوماً الى أن قدم رسول
 (احمد بن كينغ) بولايته الثانية من قبل القاهرة بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسى
 النوشري فشغب الجند في أرزاقهم على المادرائي صاحب الخراج فاستتر منهم فأحرقوا دوره ودور أهله
 وكانت قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكنين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين

وعشرين فأنكر المادرائي ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشري فأثروه عليهم وهزمهم على الدعاء لابن كيغلف فنزل منية الاصمغ لثلاث خلون من رجب فلقى به كثير من اصحاب تكين فقتل ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلف المدينة ليست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة يوم واثنى عشر يوما وخلع القاهرة وبويع ابو العباس الراضي بالله فعاد ابن تكين وأظهر أن الراضي ولا مخرج اليه العسكر وحاربوه فيما بين بليس وفاقوس فانهزم وجرى به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن طفيج سار الى مصر بولاية الراضي له فبعث اليه ابن كيغلف بجيش لينعوه من دخول القرما فأقبلت مراكب ابن طفيج الى تنيس وسارت مقدّمته في البر وكانت بينهم حروب في تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لاصحاب ابن طفيج وأقبلت مراكبه الى الفسطاط سلخ شعبان واقبل فسكر ابن كيغلف للنصف من رمضان ولا قاه لسبع بعين منه فسلم ابن كيغلف الى محمد بن طفيج من غير قتال وولى (محمد بن طفيج) الثانية من قبل الراضي على الصلات والخراج فدخل ليست بعين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فرات بالخلع لمحمد بن طفيج وكانت حروب مع اصحاب ابن كيغلف انهزموا منها الى برقة وساروا الى القاسم بأمر الله محمد بن المهدي بالمغرب فخرّضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سار الى مصر فبعث ابن طفيج عسكره الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة في اسم الامير محمد بن طفيج فلقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر في رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار في المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه الحسن بن طفيج فنزل القرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي في الصلح حتى تم وعاد الى الفسطاط مسهّل جمادى الاولى ثم أقبل ابن رائق من دمشق في شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقيا للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثير منهم وأخذ منهم قتلا وأسرا ومضى ابن رائق فقتل الحسين بن طفيج باللجون ودخل الاخشيد الرملة بخمسمائة اسير فتداعى ابن طفيج وابن رائق الى الصلح فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طفيج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضي بالله وبويع المتقي لله ابراهيم في شعبان فأقر الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو جدان في شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طفيج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فنزل البستان الذي يعرف اليوم بالكافورية من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه ابي القاسم اوفو جور على جميع القواد آخر ذى القعدة وسار المتقي لله الى بلاد الشام ومعه بنو جدان فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقي ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلع المتقي وبويع عبدالله المستكني لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقر الاخشيد وبعث الاخشيد بجناك وكافور في الجيوش الى الشام ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى على بن عبدالله بن جدان بأرض قنسرين وحاربوه ومضى فأخذ منه حلب وخلع المستكني ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال سنة اربع وثلاثين فأقر الاخشيد الى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة فولى بعده ابنه (اوفو جور) ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض على ابي بكر محمد بن علي بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن علي المادرائي وقدم العسكر من الشام اول صفر فلم يزل اوفو جور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع واربعين وثلاثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور محتكما في أيامه ويطلق له في السنة اربع مائة الف دينار فلما مات قوى كافور وكانت ولايته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر فأقام كافورا أخاه (علي بن الاخشيد) أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة فأقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لآخيه في كل سنة وفي سنة احدى وخمسين ترفع السعير واضطربت الاسكندرية والنجية بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح وقدم القرمطي الى الشام في سنة ثلاث وخمسين وقل ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين
 علي بن الاخشيد فنجع كافور من الاجتماع به واعتل "علي" بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت
 من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أيما ولم يدع بها الا للمطيع لله
 وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولي (كافور) الخصى "الاسود مولى
 الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى
 ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن
 توفي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فولى (احمد بن علي" الاخشيد ابو الفوارس)
 وسنه احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طفيج خلفه وأبو الفضل جعفر بن
 الفرات يدبر الامور وسمل الاخشيدى "العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز
 لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتى
 ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدئت دواتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر
 مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة
 وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرمي الامارة منها الى القاهرة ثلاثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة
 وأشهر والله تعالى أعلم

(ذكر ما كانت عليه مدينة القسطنطين من كثرة العمارة)

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار
 فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابوسلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدينار ابد لك قال نعم
 فأخذ منه ابوسلمة ومتر في القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعثني دينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال
 الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجواني "النسابة في كتاب النقط على الخطط سميت الامير تأييد الدولة تحميم بن
 محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الخالجي
 عن القاضي أبي عبد الله القاضي "قال كان في مصر القسطنطين من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وعمانية
 آلاف شارع مسلول وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء
 من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القاضي
 في كتاب الخطط انه طلب لقطر الندي ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف نكة بعشرة آلاف دينار من ثمان كل
 نكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق في ابسر وقت وبأهون سعي وذكر عن القاضي ابي عبيد أنه لما صرف
 عن قضاء مصر كان في المودع مائة ألف دينار وان قائما مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار
 وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل لهم
 الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما بكى على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم
 ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلثمائة
 فرسة كل فرسة لحظية ثمينة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة
 الصنائع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا
 في الصف الا قول فوقف في الصف الثاني فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه
 فكفأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد أن كساهم وحلاهم وذكر غير القاضي
 أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابي جعفر الطجاوي "كتبا قيمتها ألف دينار وان
 رشيقا الاخشيدى استجيبه ابو بكر محمد بن علي" المادرائي فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب
 عشرة آلاف دينار فخاطبه في ذلك خلف بالايمن الغليظة على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرائي بمثل
 ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لا ليجتني ولم يزل في صحبتي الى أن صودر ابو بكر فأخذ
 منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن ابي المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بجر بن سعد كان

على البريد في زمن احمد بن طولون وقتله بخارويه وسبب ذلك ما كان في نفس علي بن احمد المادرائي منه فأغرى
 بخارويه به وقال قد بقي لا يلك مال غير الذي ذكره في وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل
 بخارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار بخارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه
 الى احمد المادرائي فحمله الى داره وأقبلت توقيعات بخارويه ترد اليه بالصلوات والنفقات فيخرجها من فضول
 اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علي في أيام
 الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخائره وأعرضه وعقدته فما ظنك
 برجل ذخيره ألف ألف دينار سوى ما ذكر عن أبي بكر محمد بن علي المادرائي أنه قال بعث الى أبو الجيس
 بخارويه أن اشترى له ارديه وأقنعة للحواري وعمل دعوة خلافا بنفسه وبهم وغدوت متعز فانخبره فقبل لي انه
 طرب لما هو فيه فتردنا نير على الحواري والغلمان وتقدم اليهم أن ماسقط من ذلك في البركة فهو لمحمد بن علي كاتبي
 فلما حضرت وبلغني ذلك أمرت الغلمان فتردوا في البركة فأصعدوا الى منها سبعين الف دينار فما ظنك بما لى
 على اناس فتاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حل المغرب وفي الفسطاط دار
 تعرف بعبد العزيز يصب فيها ان يها في كل يوم اربع مائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها في كل
 يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج في كتاب ايقاظ المتخفل وانعاط المتأمل عن ساحل مصر ورأيت
 من نقل عن نقل عن رأى الاسطال التي كانت بالطاقات المظلة على النيل وكان عددها ستمائة عشر ألف سطل
 مؤبدة يكر وأطناب بها ترخي وتملا أخبرني بذلك من أثق بنقله قال وكان بالفسطاط في جهته الشرقية حمام من
 بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها في زمن بخارويه بن احمد بن طولون وطلبت بمصانعها
 يخدمني فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتي وقيل لي ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسات كم فيها من
 صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم
 ادخلها العدم من يخدمني بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجدته فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذي خدمني
 فيها ناسا فانظر رحك الله ما اشتغل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القاضي من عدد الحمامات وانها ألف ومائة
 وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعور اخ والقمح كل خمسة اراد بدينار
 وبيعت عشرة اراد بدينار في زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار
 عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة
 وقيل انه كان منه قسبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرني بعض المشايخ العدول عن والده وكان
 من اكبر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدر حص مصلوق
 بقسبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والخوانيت التي بها الحص فتأمل اعزك الله ما في هذا الخبر مما يدل
 على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم القضاة الذي بين كوم الجراح
 وبين جامع ابن طولون ومن المعروف أن الاسواق التي تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التي هي خارجها
 ومع ذلك ففي هذا السوق من صنف واحد من الماس كل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر
 اصناف الماس كل وقد كان اذن بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير
 بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحووا
 من اربعين نفسا * وقال ابن زولا في كتاب سيرة المادرائين ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى
 مصر استمدحى ابو علي الحسين بن احمد المادرائي المعروف بابي زبور الدقاق وهو الذي نسبه اليوم الطحان
 وقال ان الاستاذ مونس اقدوا في ولي يشتول قدر ستمين الف اردب قمحا فاذا وافي فقم له بالوظيفة فكان يقوم
 له بما يحتاج اليه من دقيق حواري مدة شهر فلما بكل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه
 الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون في ضيافة ابى علي وأعلم مونس بذلك فقال انا اكل خبز حسين
 لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فغضى الدقاق وأعلم ابازينور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجله فاحشم
 منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذي مضى ولا تعادتم رجعت فقال للدقاق قم له بالوظيفة في المستعمل
 واعمل ما يريدك قال فجئته وقد فرغ القمح وهي الحساب وأربع مائة دينار قال ايش هذا فقلت بقية ذلك القمح

فقال اعفى منه وتركه فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ بأربعمائة دينار حتى وهب الدقاق قمح وما ذل إلا من كثرة المعاش وقس عليه باقي الاحوال وقال عن ابى بكر محمد بن على المادرائى انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية انفق في كل حجة مائة الف دينار وخسين الف دينار وانه كان يخرج معه تسعين ناقة لقبته التي يركبها وأربعمائة بلهازه وميرته ومعه المحامل فيها احواض البقل واهواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أنفق في خمس حجرات آخر ألفي الف دينار ومائتي الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقة لقبتها ومائة وخمسون عربيا بلهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل السرة وذوى الاقدار جارية من المدقق الحواري فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطى بمكة فخرج له ما ذهب له به ما تناقص ديني ثمن كل ثوب منها خمسون ديناراً وقال مرة وهو في عطلة أخذ مني محمد بن طغيع الاخشيدي عينا وعرضنا بلع نفعا وثمانين وية دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنة الذى أخذ أكثر وانا اوقفه عليه ثم قال لايه يا مولاي اليس تكبت ثلاث مرات قال بلى قال اليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكتمتها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينصف عن ثلاثين اردباً من ذهب فانظر ما تضيعته أخبار المادرائى وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه امواله كما قدر أيت وقال الشريف الجوانى ان أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادرائى عمل في أيامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسمى افطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه في اول الحال اشياء عوض ليه لذهب في سخن واحد فضى عليه جلة وخطف قد امه تخاطفه الحاضرون ولم يعد لعله بل الفستق الملبس وكان قد سمع في سيرة المادرائى انه عمل له هذا الافطن له وفي كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لا احد الجلوس افطن له وكان عمل على السماط عدة يحكون من ذلك الجنس لكن ما فيه الدنانير سخن واحد فلما رز الاستاذ لذلك الرجل بقوله افطن له واشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جلة ورءاه الناس وهو اذا اكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره فتنبهوا له وتزاحوا عليه فقيل لذلك من يومئذ افطن له * وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر حدثني بعض اصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبه فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لي انا اخبرك كان ابى في سوق الخشابين فأنفق بضاعته ورثت حاله ومات فأسلمتني اى الى ابن عقيل وكان صديقا لى فكنت اخدمه وأفتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما يجلس عليه فكان يجرى على رزقا تقوت به فأتى يوما فى الحانوت وقد جلس استاذى ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الرف يطاب عود خشب لطاحونة فاشتري من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من اهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها في ليلتي فقلت له انى رأيت البارحة في نومي كذا وكذا فقصت عليه الرؤيا فقال لي اى وقت رأيتها من الليل فقلت انتهت بعد رؤياى في وقت كذا فقال لي هذه رؤيا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فألحت عليه فقال استاذى ابن عقيل فزج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيئا فقال استاذى الا عشرين دينار فقال له ابن عقيل ان قربت علينا وزنت انالك ذلك من عندي فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له ياخذ مثل هذا اليوم الف دينار قال استاذى فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له في ذلك اليوم فليس لي عندك شيء ولا افسر رؤيا ابدا فقال له استاذى قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذى ففتحها ورش شئها واستلقيت على ظهري ففكر فيما قال لي ومن اين يمكن أن يصير الى ألف دينار فقلت لعل سقف المكان يتفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل ففكرى وانى كذلك الى ضحى اذ وقف على جماعة من اعوان الخراج معهم ناس فقالوا هذه دكان ابن عقيل ثم قالوا الى قم فقلت لهم لست

ابن عقيل اناعلامه فقالوا بل انت ابنه وجذبوني فأخرجوني من الدكان فقلت الى اين فقالوا الى ديوان
الاستاذ أبي علي الحسين بن احمد يعنون ابان زبور فقلت وما يصنع بي فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريد
منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر أمشي فقالوا اكره جارا تركبه ولم يكن معي ما اكثري به
جارا فترعت نكة سراويلي من وسطى ودفعتها على درهمين لمن اكراني الجمار ومضيت معهم فجأؤابي الى دار أبي
زبور فلما دخلت قال لي انت ابن عقيل فقلت لا يا سيدي أنا غلام في حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى
قال فانذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجأؤابي الى شط
البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جرع حتى بلغت
قيمه أثنى دينار فقالوا لي انظر هذا الموضع الاسخريه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هو كثير مما قومت بنحو
مرتين فأعجلوني ولم اضبط قيمة الخشب فردوني الى ابى زبور فقال لي قومت الخشب كما أمرتك ففرغت فقلت
نعم فقال هات كم قومتته فقلت ألفا دينار فقال انظر لا تغلط فقلت هو قيمته عندي فقال لي فخذ انت بأثنى دينار
فقلت أنا فقير لا املك دينار واحد فكففت لي بقيته قال ألسنت تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه
ونحن نصبر عليك بالثمن الى أن تباع شيئا شيا وتؤدي ثمنه فقلت أفعل فأمر بكتاب يكتب علي في الديوان
بالمال فكتب علي وتوجهت الى الشط أعرف عدد الخشب وأوصي به الحراس فوافيت جماعة اهل سوقنا
وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لي ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا بكم قومتته فقلت
بأثنى دينار فقالوا لي وأنت تحسن تقوم لا يساوي هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب علي كتاب في الديوان وهو
عندي يساوي أضعاف هذا فقالوا لي اسمكت لا يسمعك احد وكانوا قد قومه قبلي لابي زبور بألف دينار
فقال بهضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسة دنانير دينار فقلت لا والله لا آخذ
فقالوا قدر رأي رؤيا فزيدوه فقلت لا والله لا آخذ أقل من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار فقول اسمك من
الديوان نعطك اذا بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى آخذ الالف دينار في وقتي هذا فمضوا الى حوانيتهم
والى منازلهم حتى جأؤي بألف دينار فقلت لا آخذها الا بنقد الصيرفي وميزانه فمضيت معهم الى صيرفي
النساجية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها فشدتها في طرف ردائي ومضيت معهم الى الديوان
وحولت اسماءهم مكان اسمي ووفوا حتى الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذي فقال لي قبضت
ألف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وتركت الدنانير بين يديه وقلت له يا استاذ خذ ثمن العود الخشب
فقال لا والله لا آخذ منك شيئا أنت عندي مقام ابني وجاء في الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذي العود
الخشب فمضى فهذا خبر رؤياي وتفسيرها فقام الله عز وجل الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة
حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوي الالف من الذهب ونحن اليوم في زمن اذا احتج فيه الى عمارة شيء
من الاماكن السلطانية بخشب او غيره أخذ من الناس اما بغير غن او بأخس القيم مع ما يصيب مالكة من
الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكاف المشتري دفع المال في الحال وفي زمننا اذا
طرح البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل من نصف
ما اشتراها به ويكمل الثمن امانا من ماله او يقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب يبيع بدون القيمة
لم يعضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقله ثمره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد
ونحوه ولعلمهم بعسل السلطان وانه لا ينكت ما عقده وفي زمننا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التي كان
اشتراها من الديوان قيمتها اكثر مما اخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة القيمة جلة اخرى
لاجرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يبغي اليه ما نفق به وكيف لما علم
ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذه بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من
انتشار الخيف في الناس وكثرة اموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمري لو سمع
في زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ
لقامت قيامته وكيف اتسعت احوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار في ساعة وانه ليسر اليوم على
الخشابين أن يزنوا في يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعادتهم وكان

القساط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة وكانت مساكن أهلها خمس طبقات وستا وسبعاً وربما سكن في الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها في كل يوم أربع مائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة أفران يخبز بها بحين أهلها وقد قال أبو داود في كتاب السنن شربت قنائة بمصر ثلاثة عشر شهراً ورأيت اترجة على بعير قطعتهين قطعت وصيرت على مثل عدلين ذكره في باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان في جنان بني سنان البصري خارج مدينة القساط وكانت بحيث لم ير أبداع منها فلما قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأى جنان بني سنان هذه فاجب بها وسأل إبراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل إلى الديوان في كل سنة عشرين ألف دينار فقال المأمون وكتم ترد عليك هذه الجنان قال لا يستطيع حصره إلا أن ما زاد على مائة ألف دينار أنصتق به ولودرهما هذا وله ولد اسمه أحمد بن إبراهيم بن سنان يوصف بعلم وزهد والله تعالى أعلم

* (ذكر الأسماء الواردة في خراب مصر) *

روى قاسم بن أصبغ عن كعب الأحبار قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون المحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه أنه قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون المحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت المحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بني هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب إفريقية من قبل الأندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيوف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يخفونهم حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الابل من قبل عدو يخفونهم مرة بمرارة وخراب الري من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب الصين من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وفي رواية وخراب أرمينية من قبل الرجب والصواعق وخراب الأندلس وخراب الجزيرة من سنابك الخيل واختلاف الجيوش * وعن عبد الله بن الصامت قال إن أسرع الأرضين خراباً البصرة ومصر فقبل له وما يخربهما وفيهما عيون الرجال والأموال فقال يخربهما القتل الجوع والابواب المغلقة في البصرة كأنها نعام جائعة وأما مصر فإن أهلها ينضب أوقال يبيس فيكون ذلك خرابها وعن الأوزاعي إذا دخل أصحاب الرايات الصفر مصر فلتخفروا أهل الشام أسراباً تحت الأرض * وعن كعب علامة خروج المهدي الوية تقبل من قبل المغرب عليهم رجل من كندة أعرج فإذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الأرض يومئذ خير لاهل الشام * وعن سفيان الثوري قال يخرج عتق من البربر فويل لأهل مصر وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن مولى لشرجيل بن حسنة وألعمر بن العاص قال سمعته يوماً واستقبلنا فقال أيها الك مصر إذا رميت بالقسي الأربع قوس الأندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير ثنا هرون بن معروف ثنا حمزة عن الشيباني قال تملك مصر غرقاً أو حرقاً * وعن عبد الله بن مغلا أنه قال لا بنته إذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت فإن كان خوارك بالمغرب فلا تأخذ به حتى تلحق بالمشرق * وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجرها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع من الأرض القرآن كله والعلم كله والخبر من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وأنا على ذهاب به

اقتادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت اهلها خير الدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمي عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول مصر خرابا انطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن سالم بن ابي سالم عن عبد الله بن عمرو قال اني لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال فقلت له ما يخرجنا منها يا ابا محمد اعدو قال لا ولكن يخرجكم منها ليحكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه

* (ذكر خراب القسطنطية) *

وكان لخراب مدينة قسطنطية فسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي والثاني حريق مصر في وزارة شاوور بن مجير السعدي * (فاما الشدة العظمى) * فان سببها أن السعر ارتفع بمصر في سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي - الى مملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك فقام في الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عوناً لها ويمدّها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعفها في طلبتها فخرت لذلك وعاقبت الغلال عن المسير الى مصر فخنق المستنصر وجهاز العساكر وعليها مكيين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فخاربتها بسبب نقض الهدنة وامسك الغلال عن الوصول الى مصر وامتدّها بالعساكر الكثيرة ونودي في بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قرييما من قامية وضائق اهلها وجال في أعمال انطاكية فسبي ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر فخرج بها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسر هو وجاعة كثيرة في شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين ابا عبد الله القاضي برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغرل السلجوقي من العراق بكتابة يامر مملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلات في جامع القسطنطينية فأذن له في ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي فبعث القاضي القاضي الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها وكان شياً كثيراً من اموال النصارى ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كما يرد في موضعه ان شاء الله تعالى واشتد في هذه السنة الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة اربع وخسين وأربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التي خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على الحجب مع النساء والحشم الى ارض الحب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سبيفا وهو سكران على احد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فخنق لقتله الاتراك وساروا بجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهمز من بقي منهم فشق ذلك على ام المستنصر فانها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحببت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبتها في هذا الجنس فحلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار في مصر اذذاك زيادة على خمسين الف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك امتدت العبيد بالاموال والاسلح سراً وكانت ام المستنصر قد تحكمت في الدولة وحققت على الاتراك وحشت على قتلهم مولاها ابا سعد التستري فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ما ذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشيء من المال والاسلح قد بعثت به ام المستنصر الى العبيد فتمدهم به بعد ان زامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلطوا في القول خلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصار الى امه فانكرت ما فاعت وخرج الاتراك فصار السيف قائماً ووقعت الفتنة ثانياً فأتى المستنصر ابا الفرج ابن المغربي ليصلح بين الطائفتين فاصطالحا على غل وخرج العبيد الى شبراد منهم ورفكان هذا اول اختلال احوال اهل مصر ودبت عقارب العداوة بين الفتنين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاتراك وضروا على المستنصر وزاد طمعهم

فيه وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم وضائق احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثر حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فبعثت أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتلوا عدة من اظهروا في آخرها الاتراك على العبيد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه الخبر انه قد تجتمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث بمقدمي الاتراك الى المستنصر فأنكر ما كان من اجتماع العبيد وجفوا في خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من يحضره من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة بالاتراك فجمعوا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة ايام خلف ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى يتفصل الامر اماله أو عليه وجد كل من الفريقين في القتال فظهرت الاتراك على العبيد وأخذوا في قتلهم وأسروهم فعادوا الى القاهرة وتبع ابن حمدان من في البلد منهم حتى افنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبلا اسكندرية أيضاً منهم جمع كثير فسار ابن حمدان الى الاسكندرية وحاصروهم فيها مدة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يثق به وانقضت هذه السنة كلها في قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربع مائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره وصار مقرهم في كل شهر اربعة مائة الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق في الخزان مال فبعثوا بطالبونه بالمال فاعتذرا اليهم بحجزة عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بئس حذارك فلم يجد بدا من اجابتهم وخرج ما كان في القصر من الذخائر فصاروا يقومون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك في واجباتهم وتجهز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت ضرورتهم قد كثرت وضررهم وفسادهم قد تزايد فلقمهم وواقعهم غير مرة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حمل العبيد عليهم حلة انهمزوا فيها الى الجيزة فأخشوا عند ذلك في أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه فأخذوا في اصلاح شأنهم ولم تشعهم وساروا لقتال العبيد وما زالوا يلحون في قتالهم حتى أتت كسرة شنيعة وقتل منهم خلق كثير وقتر من بقي فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء وجهر بالسوء للمستنصر واستتب بسططنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبداً بالامر مخافاً للمستنصر فنقل مكانه على الاتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبداً بالامور دونهم واستأثر بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولا مهم على ما كان من تقويته وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر وواقعوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ويهتده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة واتهب الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سراً الى دار القائد تاج الملوكة شادى وتراعى عليه وقبل رجليه وسأله النصر على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعده بقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى في اصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة وأقبل الوزير الخطير في موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعد للحرب فبين معه فركب المستنصر بلامة الحرب واجتمع اليه الاجناد والعامة وصار في عدد لا يحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن حمدان وقتل كثير من اصحابه فمضى في طائفة الى البحيرة وتراعى على بنى سيس وتزوج منهم فعظم الامر بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى أكل الناس الخيف والميتات ووقف ارباب الفساد في الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به في أزقة مصر فهلك من اهل مصر في هذه الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتد ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم يوفق في محاربتة فكسرها كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال فتقوى به وقطع الميرة عن البلد ونهب اكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر

حتى انه كان يموت الواحد من اهل البيت فلا يمضي يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من في ذلك البيت ولا يوجد
 من يستولى عليه ومدت الاجناد أيديها الى الذهب فخرج الامر عن الحد ونجا اهل القوة بأنفسهم من مصر
 وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجلب وصفه وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند
 ذكر خزائن القصر فاضطر الاجناد ما هم فيه من شدة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه
 ويحمل اليه مال مقرر وينوب عنه شادي بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فتمكن
 ما بالناس من شدة الجوع قليلا ولم يتمكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر
 وحاصرها واتهمها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع الى البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والحال على ذلك
 وشادي قد استبدت بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذي تقرره وشيخ به عليه فلم يوصله
 الا القليل فخرج من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وساروا الى الجزيرة وخادع شادي حتى صار اليه ليل في عدة من
 الاكابر فغضب عليه وعليهم وبعث اصحابه فقبضوا مصر واطاعة وافيها النار فخرج اليهم عسكري المستنصر من القاهرة
 وهزمهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع
 والتشريف فاضطلع امر المستنصر وتلاشني ذكره وتفاقم الامر في الشدة من الغلاء حتى هلكوا فساار ابن حمدان
 الى البلد وليس في أحد قوة ينعه بها تلك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه رسولا يطلب منه المال
 فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعهده من ابهة الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم
 فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفي ناصر الدولة أن اجلس في مثل هذا البيت على هذا
 الحال فبكي الرسول رقة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع امر المستنصر وسوء حاله فكف عنه
 وأطلق له في كل شهر مائة دينار واستد يداه وتحكم وبالف في اهانة المستنصر بمبالغه عظيمة وقبض على امه وعاقبها
 أشد العقوبة واستصفي اموالها فحاز منها شيئا كثيرا ففرق حينئذ عن المستنصر جميع اقاربه واولاده من الجوع
 فذهب من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن اسعد الجواني النساب في كتاب
 النقط حل بمصر غلاء شديد في خلافة المستنصر بالله في سنة سبع وخمسين واربع مائة واثم اقام الى سنة اربع وستين
 وأربع مائة وستم مع الغلاء وباء شديد فقام ذلك سبع سنين والنيل يمتد وينزل فلا يجد من يزرع وشمل الخوف
 من العسكرية وفساد العبيد فانتطعت الطرقات برؤوس الجوع والافسار الكثرة مع ركوب الغرر ونز المارقون
 بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن يبيع رغيف من الخبز الذي وزنه رطل برفاق
 القناديل كبيع الطرف في النداء بأربعة عشر درهما وبيع اردب من القمح ثمانين دينارا ثم عدم ذلك واكلت
 الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من اهل الفساد
 قد سكنوا بيوتا قصيرة السقف قريية من يسمي في الطرقات ويطوف وقد أعدت اسلحا وخطاطيف فاذا هم
 أحد شالوه في أقرب وقت ثم ضربوه بالاحشاب وشترحوالجه واكاه * قال وحديثي بعض نساء الصالحات
 قالت كانت انسانا من الجارات امرأة تربي الخنازير وفيها كالحفر فكانت تسألها فتقول انما من خطفني اكلة الناس
 في الشدة فأخذني انسان وكنت ذات جسم وسمن فأدخلني الى بيت فيه سكاكين وآبار الدماء وزفرة القتلى
 فأضجعني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبا الى اوتاد حديد عريانة ثم شترح من الخنازير شرأخ وأنا استغيث
 ولا أحد يجيبني ثم اضرم الفم وشوى من الحصى وأكل اكل الكلاب ثم شترح سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين هو
 فأخذت في الحركة الى أن انحل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحلات الرباط وأخذت خروفا
 من داره ولففت بها الخنازير وزحفت الى باب الدار وخرجت ازحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتي
 وعرفتهم بموضعه فمضوا الى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء في أنفاذي سنة الى أن ختم الجرح
 وبقي كذا حفرا بسبب هذا الغلاء خرب القسطنطين وبلاد موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة
 حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم امير الجيوش بدر الجسالى الى مصر وقام بتدبير أمرها فقاتل أنقاض
 ظاهر مصر مما يلي القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكما نافيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر
 والقرافة وتراجعت أحوال القسطنطين بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة * (وأما حريق مصر) *
 فكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صاروا يديهم ما بين ملطية

الى بلبيس الامينية دمشق فقط وصار امر الوزارة بديار مصر لشاور بن محمد السعدى والخليفة يومئذ
العاضدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وقام في منصب الوزارة بالقوة في صفر سنة ثمان وخسين
وخسمائة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استتب بالامرة حسده
ضرغام صاحب الباب وجع بجوعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة في شهر رمضان منها فساو شاور الى الشام
واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك
وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة في قتل امرء الدولة وضعفت من اجل ذلك دولة الفاطميين
بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استجد بالسلطان نور الدين محمود بن زكي صاحب الشام فأنجده وبعث
معه عسكرا كثيرا في جمادى الاولى سنة تسع وخسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون انور الدين
اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بعساكره
في مصر ولا يتصرف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه في بلبيس فانهزم وعاد الى مصر فقتل شاور
بن معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره في البلاد وبعث ضرغام الى اهل البلاد فأقوه خوفا من الترتك
القادمين معه وأتته الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة ونظاردوا مع طلائع شاور
بأرض اطباله قتل شاور في المتس وحارب اهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش قتل على الرصد
استولى على مدينة مصر وأقام اياما غال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور قتل شاور باللوق وكانت
بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من
الفرنجيين واختل أمر ضرغام وانهزم فلك شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخسين
فأخلف شيركوه ما وعد به السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث
بابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الى بلبيس ليجمع له الغلال وغيره من الاموال فحشد شاور وقائل
الشاميين فحرق وقائع واحترق وجه الخليج خارج القاهرة بأمره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفرنج
واستجدهم فطمعوا في البلاد وخرج ملكهم مري من عسقلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن
القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبيس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفرنج وحصره بها وكانت اذئذ
حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة اشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ما قرب منه من بلاد الفرنج
وأخذها من ايديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عودته الى الشام فخرج في ذي الحجة ولحق بنور الدين
فأقام وفي نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنتين وستين فجهزه نور الدين الى مصر في جيش قوى
في ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى مري ملك الفرنج مستجدا به فصار بجموع الفرنج حتى نزل
بلبيس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فصار حتى خرج من اطفح الى
جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فسقط في يده ونهض للفور
من بلبيس ومعه الفرنج فكان من حروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد الهزيمة الى
الاسكندرية فملكها وأقربها ابن اخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفرنج وحصر الاسكندرية
أشد حصارا فصار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور وكانت امورات الى الصلح
وسار شيركوه بن معه الى الشام في شوال فطمع مري في البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها
بيد فرسان الفرنج وتقرر لهم في كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج
وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفرنج في القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا بحجز الدولة
عن مقاومتهم وانكشفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة اربع وستين فجمع مري جمعا عظيما من اجناس
الفرنج وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفرنج
غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد ان يلقى ألف دينار يرضيهم بها وسار قتل على بلبيس وحاصرها حتى اخذها
عنوة في صفر فسبى اهلها وقصد القاهرة فسير العاضد كتيبه الى نور الدين وفيها شعور نساءه وبناته يسأله انقاذ
المسلمين من الفرنج وسار مري من بلبيس قتل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى القاهرة فنادى
شاور بمصر أن لا يقيم بها احد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا اموالهم وأنشأ لهم ونجوا بأنفسهم واولادهم

وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا يعبأ والدولده ولا يلتفت اخ الى اخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر ديناراً وكراء الخيل الى ثلاثين ديناراً ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم ويتنظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بليس وبعث شاور الى مصر بعشرين ألفاً قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فترق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظر امهولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام اربعة وخمسين يوماً وانتهت من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم هذه المنازل في طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر وحل مرى من بركة الحبش ونزل بظلم القاهرة مما يلي باب البرقية وقاتل اهلها قتلاً كثيراً حتى زلزلوا زلزالاً شديداً وضعفت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفرنج وحرث امور آلت الى الصلح على مال فيديناهم في جبايته اذ بلغ الفرنج مجيء اسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود فدخلوا في سابع ربيع الآخر الى بليس وساروا منها الى فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان من حينئذ خرجت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو الآن كيمان مصر وتلاشى امرها واقتراهاهاها وذبحت اموالهم وزالت نعمهم فلما استبذ شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار اعيان اهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغنم لمصابهم وسفه رأى شاور في احراق المدينة وأمرهم بالعود اليها فشكوا اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى اى مكان نرجع وفي اى مكان ننزل ونأوى وقد صارت كالتري وبكوا وأبكوا فوعدهم جيلاً وترفق بهم وأمر فتودى في الناس بالرجوع الى مصر فراجع اليها الناس قليلاً قليلاً وعمر واما حول الجامع الى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل ابي بكر بن ايوب استقرت خمس وست وخمسمائة فخرّب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها واكثروا من العمارة بجانب مصر الغربى على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين ايوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة ادرجلية وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل كتب غاسنة ست وتسعين وسبعمائة فخرّب كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة الى سنة تسع واربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذى اقفر منه معظم دور مصر وخرّب ثم تحايا الناس من بعد الوباء وصار ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامراً الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فشرقت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء فخرّب كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيئاً بعد شئ الى سنة تسعين وسبعمائة فعظم الخراب في خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس في هدم دور مصر وبيع أنقاضها حتى صارت على ما هي عليه الآن وتلك التوى اهلها كاهم لما ظلموا وجعلنا المهلكهم موعداً

* (ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر) *

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات اربعة أجزاء الفسطاط والقاهرة والجزيرة والجيزة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم في شرقها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل في شرقه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم اجزائها هو الفسطاط ويلى الفسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربى اشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع في غورفانه يعلمه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالى من عمل فوق اعنى الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى الفسطاط من المشرق او من مكان آخر عال رأيت وضعها في غور وقد بين ابقراط أن المواضع المنخفضة اسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وانيتها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها وبيئة أراد أن الجار لا ينحل منها كما ينبغي لضيق الازقة وارتفاع البناء * ومن شأن اهل الفسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنانيير

والكلاب ونحوها من الحيوان الذي يخاط الناس في شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفوتها الهواء ومن شأنهم أيضا أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وجميعها وخزانات كنهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفي خلال الفسطاط مستودعات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط وهي أيضا كثيرة انبعاث لسخانة أرضها حتى انك ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف في اليوم الواحد وإذا مر الانسان في حاجة لم يرجع الا وقد اجمع في وجهه ولحيته غبار كثير ويعلوها في العشيات خاصة في أيام الصيف بخار كدرا سودا وغبر سينا إذا كان الهواء سليما من الرياح وإذا كانت هذه الاشياء كما وصفنا فمن البين انه يصير الروح الحيواني الذي فيها حاله كهذه الحال فيتولد اذا في البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الا أن الفأجل الفسطاط لهذه الحال وانسهم ما يعوق عنهم أكثر شرها وان كانوا على كل حال أسرع اهل مصر وقوعا في الامراض وما يلي النيل من الفسطاط يجب أن يكون ارطب مما يلي البحراء وأهل الشرق اصح حالا لتخزق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والجرأ الا أن اهل الشرف الذي يشربونه أجود لانه يستقي قبل أن تتخالطه عفونة الفسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرو بها وإذا هبت ريح الشمال مرتت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة في هذه المدينة هي اصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل وإذا كان في الشتاء وأول الربيع حل من بحر الملح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدا فيباع في القاهرة وبأكلها لها وأهل الفسطاط فيجتمع في أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال امرجتهم وصحة أبدانهم في هذا الزمان لكان ذلك يولد في أبدانهم امراضا كثيرة فاقاله الآن قوة الاستمرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يباغ عفنه الى أن يصير له رائحة منكورة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال فمن البين أن اهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع اهل هذه الارض ما خلا اهل الفيوم فانها ايضا قريبة وأردأ ما في المدينة الموضع الغابر من الفسطاط ولذلك غلب على اهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس احد منهم يغيب ولا يضيف الغريب الا في النادر وصاروا من السعاية والاعتياب على امر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة اعوان تسوق منهم مائة رجل واكثر يسوق الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الاخرى ومن قد تدرب في الحرب فقد استبان اذا العلة والسبب في أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع اهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القداماء اتخاذ المدينة في غير هذا الموضع فمنهم من جعلها بمنف وهي مصر القديمة ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد عن كتاب الحكائم * وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعلمه نزل عمرو ابن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما قبحها قسم المنازل على القبائل ونسبت المدينة اليه فقبل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاية مصر فاتخذوها سرا للسلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا امانهم عليها الى أن رسخت بهادولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن الى جانب القاهرة وهي مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحيط في ساحلها المراكب الا تبت من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها منزهات وهي في الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترابها تثيره الارجل وهو قبيح اللون تتكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها وأسواق ضخمة الاناضقة ومبانيها بالقصر والطوب طبقة على طبقة ومذنبات القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفترط في الاغتياط بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العقيقي

أحن الى الفسطاط شوقا واتنى * لادعولها أن لا يحل بها القطر

وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

* وقال عن كتاب آخر فالقسطا ط هي قسبة مصر والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل الزمر * وقال
عن كتاب ابن حوقل والقسطا ط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو
فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر
أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على مزارع خضرة وفي القسطا ط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبصرة
والكوفة الا انها أقل من ذلك وهي سبخة الارض غير نقيمة التربة وتكون بها الدارس سبع طبقات وستا وخمسا
وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان
للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط القسطا ط والاخر على الموقف بناء احمد بن طولون وكان خارج
القسطا ط أبينة بناها احمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده تعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان
وقادة وقد خربتا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة القسطا ط القاهرة * قال ابن سعيد
ولما استقرت بالقاهرة نشوت الى معانية القسطا ط فسار معي احد أصحاب العزمية فرأيت عند باب زويلة
من الجير المعدة ركوب من يسير الى القسطا ط جلة عظيمة لا عهد لي بعثلها في بلد فركب منها جارا وأشار الى
أن اركب جارا آخر فأنتفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب فأعلمني انه غير معيب على اعيان مصر
وعاينت الفقهاء وأصحاب البرقة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعندما استويت راكبا أشار المكارى
على الجار فطاربنى وأثار من الغبار الاسود ما أغشى عيني ودنس ثيابي وعانيت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب
الجار وشدة عدوه على قانون لم أعهد له وقله رفق المكارى وقفت في تلك الظلة المشارة من ذلك الجمجج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الجار وكل الغبار
وخلقى مكار يفوق الريا ح لا يعرف الرفق به في استطار
اناديه مهلا فلا يرعوى الى أن سجدت سجود العشار
وقدمت فوق رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدفعت الى المكارى اجرة وقلت له احسانك الى أن تتركني امشي على رجلي ومشييت الى أن بلغت ما قد تورت
الطريق بين القاهرة والقسطا ط وحققت بعد ذلك نحو الميادين ولما اقبلت على القسطا ط ادبرت عن المسيرة
وتأملت اسوارا مثلية سوداء وأقام مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب معمور بمبان سيئة
الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والتخيل طبقة فوق طبقة وحول ابوابها من
التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الطريق فسرت وانام عاين لاستحباب تلك الحال
الى أن سرت في اسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها بجوائج السوق والروايا التي على الجمال ما لا يفي
به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت الى المسجد الجامع فعيايت من ضيق الاسواق التي حوله ما ذكرت
به ضده في جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعيايت جامعها كبيرا قديم البناء غير من خرف
ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا
بأوطنة أفدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقر عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه اصناف المكسرات
والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في امكنة عديدة غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك
وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات ما كلهم مطروحة
في صحن الجامع وفي زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه في السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون في
صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحجرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع هذا كله على الجامع
المنذ كور من الروث وحسن القبول وانسباط النفس ما لا تجده في جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذي
في صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت انه سر مودع من
وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحته عند بناه واستحسن ما أبصرته فيه من خلق المصددين لاقراء
القرآن والفقهاء والخوفى عدة اما كن وسأت عن واردة ارزاقهم فأخبرت انهما من فروض الزكاة وما شبه ذلك

ثم أخبرت أن اقتضاءها بصعب إلا بالجاء والتعب ثم انفصلنا من هنالك إلى ساحل النيل فرأيت ساحلا كد التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستقامة ولا عليه سور أيضا إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التي تصل من جميع اقطار الارض والنيل وثائق قلت اني لم ابصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فاني اقول حقاً والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعتها قد توسعت الماء ومالت إلى جهة القسطنطينية وبجسورها المبيض الشاخص حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون ممتداً من القسطنطينية إلى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر إلى البر الغربي المعروف ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة إليه وأكثر جوار الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذي بين الجزيرة والقسطنطينية راسكباً احتراما لموضع السلطان ويتناهى في ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من القسطنطينية أحسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جعلت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضفى يزق على ورد
وأصبح يطغى الموج فيه ويرتجى * ويطنو حسانا وهو يلعب بالترد
غدا ماؤه كالريق من أحبه * فحدث عليه حلبة من حلى النذ
وقد كان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المذكا الورود

قلت هذا لاني لم اذق في المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المذكا الذي يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر * وانشدني علم الدين نضر الترك ايد مرعيتي وزير الجزيرة في مدح القسطنطينية واهلها

حبذا القسطنطينية من والده * جنب اولادها دار الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا ما زج اهلها صفا
لطفوا فالمرن لا يألفهم * بخلا لما رآهم أطفافا

ولم أرفى اهل البلاد أطف من اهل القسطنطينية حتى انهم أطف من اهل القاهرة وبينهما نحو ميلين وجملة الحال أن اهل القسطنطينية في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم العجبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على القسطنطينية من متاجر البحر الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما يوصف وبها يجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز إلى القاهرة وسائر البلاد وبالقسطنطينية مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة اعظم منه بالقسطنطينية وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب في القسطنطينية كثير والقاهرة أجند وأعمر وأكثر زجة بسبب انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعناء والنو في مدينة القسطنطينية الآن لجوارتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تسمى الناظر يعني ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

(ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفها) *

قد تقدم من الاخبار جملة تدل على عظم ما كان مدينة قسطنطينية مصر من المباني وكثرتها ثم الاسباب التي أوجبت خرابها وآخر ما رأيت من الكتب التي صنعت في خطط مصر كتاب ايقاظ المتغفل واتعاط المتأمل تأليف القاضي الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيري رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لعهد اثنين وخمسين خطا ومن الخارات ثنتي عشرة حارة ومن الازقة المشهورة ستة وعثمانين زقا ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربا ومن الخوخ المشهورة خمسة وعشرين خوخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقا ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطا ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احدى عشرة عقبة ومن الكيمان المشهورة ستة كيمان ومن الاقباء المشهورة عشرة أقباء ومن البرك المشهورة خمس برك ومن السقايق المشهورة خمس وستين سقيفة ومن القياس

سبع قيسار ومن مطابخ السكر العاهرة ستة وستين مطبخاً ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس
عشرين محرساً ومن الجوامع التي تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقراة أربعة عشر جامعاً ومن
المساجد أربع مائة وثمانين مسجداً ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمانين زوايا ومن الرباط التي
بمصر والقراة بضعا وأربعين رباطاً ومن الاحباس والاقواف كثيراً ومن الحمامات بضعا وسبعين حماماً
ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين مابين دير وكنيسة وقدياد أكثر ما ذكره وودثر وسيرد ما قاله من
ذلك في مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) ان مدينة مصر محدودة الآن بمحدود أربعة *
خدها الشرقي اليوم من قلعة الجبل وأنت أخذت في باب القراة فتمر من داخل السور الفاصل بين القراة ومصر
الى كوم الجمارح وتزمن كوم الجمارح وتجعل كيان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهي الى الرصد حيث اول بركة
الحبش فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق * وحدها الغربي من قناطر السباع
خارج القاهرة الى موردة الخلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضاً طولها من جهة المغرب *
وحدها القبلي من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهي الحد الغربي الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى
الحد الشرقي فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسميها أهل مصر الجهة القبلية * وحدها البحري
من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربي الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقي فهذا عرض مصر من
جهة الشمال التي تعرف بمصر بالجهة البحرية وما بين هذه الجهات الأربع فانه يطلق عليه الآن مصر فيكون اول
عرض مصر في الغرب ببحر النيل وآخر عرضها في الشرق اول القراة وأول طولها من قناطر السباع وآخره
بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففي الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقيه حكر أقبحا
ومن غربيه المريس ومنشأة المهراني ويحاذي المنشأة من شرقي الخليج خط قنطرة السد وخط بين الزاقين
وخط موردة الخلفاء وخط الجامع الجديد ومن شرقي خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط البكرة
وخط المعاريج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التي تطل على النيل وهي متصلة الى جسر الأفوم
المتصل بدير الطين وما جاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هي أعمر ما في مصر الآن وأما الجهة الشرقية فليس فيها
شيء عامر الا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القراة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة
نفيسة من قبله الفضاء الذي كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجمارح ثم خط كوم الجمارح وما بين كوم
الجمارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيان وهي الخط التي ذكرها القاضي
وخربت في الشدة العظمى زمن المستنصر وعند حريق شاور لمصر كما تقدم وأما عرض مصر الذي من قناطر
السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة القيل الصغرى ويجوار خط السبع سقايات ويجاور الدور التي
على هذه البركة من شرقيها خط الحبش ثم خط جامع احمد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهي الى الفضاء الذي
يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذي من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش
فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وما عدا ذلك فقد خرب بخراب الخطوط وكان فيه خطين وأثل وخط راشدة
فأما خط السبع سقايات فانه من جملة الجراء الدنيا وسيرد عند ذكر الخطوط ان شاء الله تعالى وما عدا ذلك
فانه يتبين من ذكر ساحل مصر

* (ذكر ساحل النيل بمدينة مصر) *

قد تقدم أن مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأن بحر النيل كان
ينتهي الى باب قصر الشمع الغربي المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل
حائل ثم انحسر ماء النيل عن أرض تجاه الجامع وقصر الشمع فابتقى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن
مروان لما قدم على أخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك في خلافته وبني فيه فلما زالت دولة بني أمية
قبض ذلك في الصواني ثم أقطعه الرشيد السري بن الحكم فصار في يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره
وذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيئاً بعد شيء وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الأرض المذكورة
حيث الموضع الذي يعرف اليوم بسوق المعاريج * قال القاضي كان ساحل أسفل الأرض بازاء المعاريج

القديم وكانت آثار المعاريح قائمة سبع درج حول ساحل البها الى ساحل البورى اليوم فعرف ساحل
 البورى بالمعاريح الجديد يعنى بالمعاريح الجديد موضع سوق المعاريح اليوم وكان من جملة خطط مدينة
 فسطاط مصر الجراوات الثلاث فالجراة الاولى من جملتها سوق وردان وكان يشرف بغريبه على النيل ويجاوره
 الجراة الوسطى ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل ايضا وبجانب الكبارة
 الجراة القصوى وهى من بحرى الجراة الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الجراة
 القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقها وبأخر الجراة القصوى الكبش
 وجبل يشكرو كان الكبش يشرف على النيل من غريبه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريح اليوم الى
 دار التفاح بمصر وانت مارة الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقه فلما خربت
 مصر بحريق شاور بن مجير اياها صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشانق فانه كان يشنق بأعلاه ارباب
 الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعاريح وهذا
 الكوم لما كان ساحل النيل القالوص * قال القضاى رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص بألف
 والذى يكتب فى هذا الزمان القالوص بحذف الالف فأما القالوص بحذف الالف فهى من الابل والنعام الشابة
 وجمعها قلاص وقلاص وقلاص والقالوص من الجبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمي بالقالوص لانه فى
 مقابلة الجبل الذى كان على باب الريحان الذى يأتى ذكره فى عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهى كلمة رومية
 ومعناها بالعربية مر حبابك ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجبل ويقولون هذه الكلمة على عادتهم
 * وقال ابن المتوج والساحل القديم اقله من باب مصر المذكور يعنى المجاور للكبارة الى المعاريح بجمعها كان
 بحرا يجرى فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعاريح كان موردة سوق السمك يعنى ما ذكره القضاى من
 أنه كان يعرف بساحل البورى ثم عرف بالمعاريح الجديد قال ابن المتوج ونقل أن ببستان الجرف المقابل
 لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنا فيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور
 للحوض من غريبه متصل الى قبالة مسجد العادل الذى بمراغة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) ببستان
 الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على يمنة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جار فى وقف الخانقاه التى
 تعرف بالواصله بين الزقاقين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشى تجاه غيط الجرف المذكور
 بجواره ببستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف ببستان
 ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا وبين ببستان الجرف وبستان الطواشى هذا مراغة مصر المسلول
 منها الى الكبارة وباب مصر * قال ابن المتوج ورأيت من نقل عن نقل عن رأى هذا القالوص متصل الى آدر
 الساحل القديم وأنه شاهد ما عليه من العمائر المظلة على بحر النيل من الرباع والدور المظلة وعدا الاسطال
 التى كانت بالطافات المظلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبدة بيكر مؤبدة فيها اطناب ترخى
 بها وعلما أخبرنى بذلك من اثنى بقوله وقال انه أخبره به من يشق به متصلا بالمشاهد الموثوق به قال وباب مصر
 الآن بين البستان الذى قبلى الجامع الجديد يعنى ببستان العالمه وبين كوم المشانق يعنى كوم الكبارة ورأيت
 السور متصل به الى دار النحاس وجميع ما بظاهرة شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبلى ببستان العالمه
 موجودا أراه وأعرفه الى أن اشترى أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالخشاين القديمة الامير حسام
 الدين طرناى المنصورى فأجر مكانه للعامة وصار كل من استأجر قطعة هدم ما به امن البناء بالطوب الابن وقلع
 الاساس الحجر وبنى به فزال السور المذكور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب
 الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل وأول حفر ساحل مصر فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وذلك أنه
 جف النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى
 الآن بالروضة وبين الجيزة وصار الناس يمشون هم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدي
 وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لاونوجور بن الاخشيدي خليجاً حتى اتصل بخليج بنى وائل ودخل الماء الى
 ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق
 يقل حتى تصير الطريق الى المقياس يسافلا كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل

محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر إلى صناعة القمار الفاضلية وعمل فيه بنفسه فوافق على العمل في ذلك الجهم الغفير واستوى في المساعدة السوقية والامير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائماً بعدما كان عند الزيادة يصير جرداً ولا رقيقاً في ذيل الروضة فإذا اتصل بالبحر بولاق في شهر أيب كان ذلك من الأيام المشهودة بمصر فلما كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة أراد أن يكون الماء طول السنة كثيراً فيأيدار بالروضة فأخذ في الاهتمام بذلك وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة في بئر الجزيرة تجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلي جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يمر قليلاً قليلاً وتكاثر أولاً فأولاً في بئر مصر من دار الملك إلى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية * قال ابن المتوجع عن موضع الجامع الجديد وكان في الدولة الصالحية يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب رملته فترغ الناس فيها الدواب في زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذي هو أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار في كل سنة يحفر هذا البحر يجنده ونفسه ويطرح بعض رمله في هذه البقعة شرع خواص السلطان في العمارة على شاطئ هذا البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبلة موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزية وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالم الممل على الجامع الجديد وغيره ثم قال وإنما عرف بالعالم لأنه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالم فعمرت بجانبه منظره لها وكان الماء يدخل من النيل لباب المنطرة المذكورة فلما توفيت بقي البستان مدة في يد ورثتها ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شوالاً لبان السلطانية وكذلك ما يجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد كثرت العماير من حد مودة الخلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضاً ما وراء الجامع من حد باب مصر الذي كان بجراً كما تقدم إلى حد قنطرة السد وأذكر كذلك كله على غاية العمارة وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فخر بين الرقاين المطل من غربيه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا قليل من الدور وموضعه كما تقدم كان في قديم الزمان غامراً بماء النيل ثم بربى جرفاً وهو بين الرقاين المذكور فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب أيضاً خط مودة الخلفاء وكان في القديم غامراً بالماء فلما ربي النيل الجرف المذكور وترتبت الجزيرة فقام الساحل القديم الذي هو الآن البكرة إلى المعارج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد عمرت مودة الخلفاء هذه واتصلت من بحريها بمنشأة المهراني ومن قبلها بالاملاك التي تمتد من تجاه الجامع الجديد إلى دير الطين وصارت مودة الخلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغلال وغيرها ويملأ منها الناس الروايا وكان البحر لا يبرح طول السنة هناك ثم صار ينشف في فصل الربيع والصيف واستمر على ذلك إلى يومنا هذا وخرب ما خلف الجامع الجديد أيضاً من الاماكن التي كانت بجراً تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهي من آخر خط قنطرة السد إلى قريب من البكرة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المتقدم ذكره وعدة دور كانت بستاننا وشونا إلى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذي صار صناعة وعرف الآن ببستان الطواشي ولم يبق الآن بخط المراغة الامساكن بسيرة حقيرة

• (ذكر المنشأة) •

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الجراء القصوى وكان في الجانب الغربي من هذا الخليج عدة بساتين من جملتها بستان عرف ببستان الخشاب ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالبريس فلما كان بعد الخمسمائة من سني الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق التي ذكره في الاحكار ظاهراً بالقاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الخشاب المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي "البيساني" أنشأ بها بستاناً عظيماً كان غير أهل القاهرة من ثماره وأعنا به وعمر بجانبه جامعا وبني حوله فقيل لتلك الخطة منشأة الفاضل وكثرت بها العمارة وأنشأ بها موفق الدين محمد بن أبي بكر المهدي "العثماني" الديباجي ببستاناً دفع له فيه ألف دينار في أيام الظاهر بيبرس وكان الصرف قد بلغ

كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصفا فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان
بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق لشيء منه اثر وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر
تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين رحم الله الفاضل يا عنب اشارة لكثرة
أعقاب بستان الفاضل وحسنها وكان اكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمائة وكان الموفق
الديباجي المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذي كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل
الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وكان من الزامه حتى قام في عمارة الجامع بمنشأة المهراني ومنشأة
المهراني هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الجراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما
وعرف موضعها بالكوم الاحمر من اجل انه كان يعمل فيها القنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا
الملك الظاهر يبرس في عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل اجابه الى ذلك
وانشأ الجامع بخط الكوم الاحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هناك الامير سيف الدين بلبان المهراني
دارا وسكنها وبني مسجد افرفت هذه الخطبة به وقيل لها منشأة المهراني فان المهراني المذكور اقل من ابني
فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني واكثر وامن العمارة حتى يقال انه كان بها فوق
الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هنالك من الوزراء واماثل الكتاب واعميان القضاة ووجوه الناس ولم تزل
على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخرت وبها الآن بقية يسيرة من الدور ويتصل بخط الجامع الجديد
خط دار النحاس وهو مطل على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد تدرت وصار الخط
يعرف بها * قال القاضي دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير
مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه
الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة الحجر من الازد فاشترها عمر بن مروان وبناها فكانت في يد ولده
وقبضت عنهم وبيعت في الصوافي سنة ثمان وثلاثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدي فبناها قيسارية وحامها
فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق
الاشراف ذوالبابين أحدهما من رحبة امامة والثاني في شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التي تطل على
النيل (جسر الافرم) وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائما
والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالامير عز الدين أيدهم الافرم الصالحى التجمى أمير جندار
وذلك أنه لما استأجر بركة الشعبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربها آذن
للناس في تحكيرها فحكرت وبني عليها عدة دور بلغت الغاية في اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر
محمد بن قلاوون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر وبنيوا وتأثقوا وتقننوا في بديع الزخرفة
وبالغوا في تحسين الرخام وخرجوا عن الحد في كثرة انفاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر
خلاصة العامر من اقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشا وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا
الجسر بأسره وذهبت دوره * وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل وقد أفردها لخبار مستقلا يحتمى
على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من اطراف القطائع
والعسكري وبلى خط باب القرافة القضاء الذي كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر مما يلي
كروم الجراح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون بنى الله يوسف صلوات
الله عليه ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعبر
بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودي عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن
صلوات الله عليهم فاشتراه أطفين العزيز ويقال ان الذي أخرج يوسف من الحب مالك بن دعر بن حجر بن جزيمة
ابن نخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن شجب بن يعرب بن قحطان * وقال القاضي كان الموقف
فضاء لام عبد الله بن مسلمة بن مخلد فتصدق به على المسلمين فكان موقفا تابع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد
ذكرته في الظاهر يعنى في خطط اهل الظاهر فان الموقف من جملة خطط اهل الظاهر * وقال ابن المتوج
بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له اثر وهو قبلى القس طاط اوله بجوار المصنع وخط الطحانين

أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من اكابر المصريين اكثرهم عدول وكان الماريين هذين الصفيين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جملة طواحين واحد فيه سبعة أشجار وتر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عايه السلام وكان بابا بمصر اعين يعلوهما عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمدر خام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن سلاور الى مصر في دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطحانين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبابها الآخر من ناحية الساحل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكسارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسما في ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذي يلي كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها الخطط القديمة وأدركت عامرة لا سيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وخط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبع مائة * وأما الجهة القبليّة من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ست مائة لما أنشأ صاحب نجر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن حنا الجامع هناك وعمر الناس في جسر الافرن وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلي هذه البركة البستان الذي كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار وبجوار المعشوق بركة الحبش وما بين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبليّة طرف خط راشدة * وأما الجهة البحريّة من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلة على البركة التي يقال لها بركة قارون وهي التي تجاور الآن حدرّة ابن قحجة وهي من جملة الجمراء القصوى وبقبلي البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان وبجوار البركة المذكورة خط الكبش وقد ذكر في الجبال ويأتى ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلى خط الكبش خط الجامع الطولوني ويلى خط الجامع القبيبات وخط المشهد النفيسى وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع

* (ذكر ابواب مدينة مصر) *

وكان لفسطاط مصر أبواب في القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك ابواب آخر * (باب الصفاء) * هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر وهي في كمالها ومنه تخرج العساكر وتعب القوافل وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم في أيام الملك الظاهر بيبرس * (باب الساحل) * كان يقضى بسالكه الى ساحل النيل القديم وموضعه قريب من الكسارة * (باب مصر) * هذا الباب هو الذي بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التي تعرف بالمراعة وهو بجوار الكوم الذي يقال له كوم المشايق ويعرف اليوم بالكسارة وكان موضع هذا الباب غامر اجاء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراعة والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الخلفاء فضاء لا يصل اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أن يدير سوراً يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد في سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب الشعريّة والى باب البحر يريد أن يمد السور من باب البحر الى الكوم الاجر الذي هو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاجر الى باب مصر هذا فلم يتهمأ له هذا وانقطع السور من عند جامع المقدس وزاد في سور القاهرة أيضاً من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له وتمد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر فصار هذا الباب غير متصل بالسور * (باب القنطرة) * هذا الباب في قبلي مدينة مصر عرف بقنطرة بني وائل التي كانت هناك وهو أيضاً من بناء قراقوش

* (ذكر القاهرة القاهرة المزددين الله) *

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سري السلطنة اليه من أرض مصر في الدولة الإسلامية وذلك أن الامارة كانت بمدينة القسوط ثم صار محلها العسكر خارج القسوط فلما عجزت القسوط صارت دار الامارة الى أن خربت فسكن الامراء بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الامام المعز الدين الله معه فبنى القاهرة حصناً ومقلاً بين يدي المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحججه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك المنصور محمد ثم الملك العادل ابوبكر بن ايوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة الى قلعة الجبل فسكنها بحججه وخواصه وسكنها الملوك من بعده الى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بعدما كانت حصناً يعقل به ودار خلافة يلتجأ اليها فهانت بعد العز وابنتلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك ما زالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب اكثر المدن والحصون وكذلك كانوا أيام العجم وفي جاهلية العرب وهم على ذلك في أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان وهدم الآطام التي كانت بالمدينة وقد هدم زياد كل قصر وموضع كان لابن عامر وقد هدم بنو العباس مدن الشام لبني مروان واذا تأملت البقاع وجدت بها * نشق كما تشق الرجال وتسعد * وسأيت من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ما تنتهي اليه قدرتي ويصل الى معرفته على وفوق كل ذي علم عليم

* (ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بنات القاهرة) *

اعلم أن القوم كانوا ينسبون الى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم والناس فريقان في امرهم فريق يثبت صحة ذلك وفريق ينعه ويتفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينعم انهم أديعاء من ولد ديصان البوني الذي ينسب اليه النوبة وان ديصان كان له ابن اسمه ميمون القداح كان له مذهب في الغلو فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وانه رتب سبع دعوات يندرج الانسان فيها حتى ينحل عن الاديان كلها ويصير معطلاً لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ويرى انه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم اهل ضلالة وانه قصد بذلك أن يجعل له أتباعاً وكان يدعو الى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وانه كان من الاهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكروه ففر الى البصرة فاشتهر أمره وسار منها الى سلية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه احمد ومات فقام من بعده أحمد وبعث بالحسين الاهوازي داعية الى العراق فلقي أحمد بن الأشعث المعروف بقرمط في سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابته وقام هناك بالامر والى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لاحد بن عبد الله بن ميمون القداح الحسين ومحمد المعروف بأبي الشعاع فلما مات احمد خلفه ابنه الحسين في الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه ابو الشعاع وكان لاحد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصارت تحت حجر عمه وبعث ابو الشعاع بداعيين الى المغرب وهما ابو عبد الله وأخوه ابو العباس فنزلا في البربر ودعواهما واشتهر سعيد بسلية بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان ففر من سلية الى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشري فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسلمجاسة في زى التجار فبعث المعتضد من بغداد في طلبه فأخذ وحبس حتى أخرجه ابو عبد الله الشيعي من محبسه فتمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدي وصار اماماً علوياً من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان البوني الاهوازي وأصله من المجوس فهذا قول من شكر نسبهم وبعض منكرو نسبهم في العلوية يقول ان عبيد الله من اليهود وان الحسين بن احمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلية كان لها ابن من يهودى حذامات وترك لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدي وهذه أقوال ان أنصفت بين انما موضوعه فان بنى على * بن ابى طالب رضى الله عنه قد كانوا اذ ذلك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعةهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسى اولابن

يهودى - فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس
عند ما غصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اصابوا دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بنى
العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت
عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتغيير الكافة عنهم بأشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم
خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن
انفسهم وسلاطنتهم معرة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر
ذلك ببغداد وأجبل القضاة بنفهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفيان
الرضي والمرضى وابو حامد الاسفرائي والقدروري في عدة وافرة عند ما جمعوا لذلك في سنة اثنتين وأربع مائة
أيام القادر وكانت نهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بنى
العباس الطاعنون في هذا النسب والمتطهرون من بنى علي بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم
الافاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من
وراء هذا وكفالك بكتاب المعتضد من خلافت بنى العباس حجة فانه كتب في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب
بالقيروان وابن مدراريس لجماعة بالقبض على عبيد الله فنقطن اعز الله لائحة هذا الشاهد فان المعتضد
لولا حجة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة ولا يدعون
له بوجه وانما يتقادون لمن كان علويا يخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعاء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة
من ضياع الارض وانما كان القوم أعنى بنى علي بن أبي طالب تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطهيرهم لهم
في كل وقت وقصد هم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد شر يدوين خائف يتربص ومع ذلك فان
لشيعتهم الكثرة المنتشرة في اقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه وتكثر قيام الرجال منهم
مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلا ذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جده
عبيد الله المهدي بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرهم المتغلبين عليهم وكانت الشيعة
فرقا منهم من كان يذهب الى أن الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة
بالاسماعيلية من أجل انهم يرون أن الامام من بعد جعفر ابنه اسماعيل وأن الامام بعد اسماعيل بن جعفر
الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب
وكانوا اهل غلوة في دعاويهم في هؤلاء الايمة وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن
من اهل هذا المذهب كثير بعدن وبافريقية وفي كرامة ونفقره تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم على محمد بن
جعفر والد عبيد الله رجل من شيعة باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان وستين ومائتين فأظهرا
أمرهما باليمن وأشهرها الدعوة في سنة سبعين وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث الدعوة بأقطار الارض
وكان من جملة دعاياه ابو عبد الله الشيعي فسيره الى المغرب فلقى كرامة ودعاهم فلما مات محمد بن جعفر عهد
لابنه عبيد الله فطلبه المكتفي العباسي وكان يسكن عسكر مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من امره
ما كان وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر عشر رجلا هذه خلاصة
أخبارهم في انسابهم فقفطن ولا تعتر بزخرف القول الذي لفقوه من الطعن فيهم والله يهدي من يشاء

* (ذكر الخلفاء الفاطميين) *

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أباعبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء الشيعي سار الى أبي القسم الحسين
ابن فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن
حوشب من المغرب خبر موت الخلوافي داعيه في المغرب ورفيقه فقال لابي عبد الله الشيعي قد خبز الخلوافي
وابو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا وليس للبلاد الا أنت فانما موطأة مهددة فخرج ابو عبد الله الى مكة وقصد حجاج
كرامة بفسل قريباتهم وسمعهم يتحدثون بفضائل البيت فخذتهم في معناه فمالوا اليه وسألوه أن يأذن لهم
في زيارته فلما زاروه سألوه عن مقصده فلم يخبرهم وأوهمهم أنه يريد مصر فسرّوا بصحبته ورحلوا وهو رفيقهم

هكذا يباض بالاصل ولعله
اربعة عشر رجلا كما يؤخذ
من بعض التواريخ اهـ

فشاهدوا من عبادته وزهد ما زادهم رغبة فيه هذا وهو يسألهم عن احوالهم وقبائلهم حتى صار يعرف جميع امورهم فلما وصلوا مصر هم بفارقهم فقتلوا اى شئ تطلب من مصر فقال أطاب التعليم بها فقتلوا اذا كان قصده هذا قبل ان أنفع لك وما زالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقتصروا فبين بضيقه منهم ومن بقية اصحابهم ووصلوا به أرض ككتامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين وكادوا يحتربون عليه أنهم ينزل عنده فأبى أن ينزل عندهم وقال اين يكون فجاءه الاخير فمحبوا ذلك اذ لم يكونوا ذكروه له قط فدلوه عليه فسار اليه وقال هذا فجاءه الاخير وما سمى الا بكم ولقد جاء في الاسرار للمهدي هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخير من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتيق من الكتمان وبخروا حكم في هذا الفج مسمى فجاء الاخير فتساوت به القبائل وأتوه فعظم أمره وهو لا يدكر اسم المهدي البتة فبلغ خبره ابراهيم بن احمد بن الاغلب أمير افر يقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام ابى عبد الله ومخاربه لمن خالفه فظفر بهم وصارت اليه اموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من اصحابه فبات ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو وقوى أمر ابى عبد الله وانتشرت جنوده في البلاد وصار يقول المهدي يخرج في هذه الايام ويملك الارض فيسطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى وبغرى الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان اكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر ابى عبد الله واكثر من ذكر كرامات المهدي والارسال الى اصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث برجال من كاتمة الى سليمة من أرض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشهر هناك وطلبه الخليفة المكتفي فخرج من سليمة فارا ومعه ابنه ابو القاسم نزار ومعهما اهلهم واوليهم فاما بمصر مستترين فوردت على عيسى النوشري أمير مصر المكتف من بغداد بصفة عبيد الله وحليته وانه ياخذ عليه الطريق ويقبضه فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان في طلبه ويقال ان النوشري ظفر به فناداه الله في امره فغلى عنه ووصله فدار الى طرابلس وقد سبق خبره الى زيادة الله فصار الى قسطنطينية فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فدخل الى سلجماسه وأقام بها وقد اقيمت له المراسد بالطرق فتلطف باليسع بن مدرار صاحب سلجماسه وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة ابى عبد الله وتجهيزهم اليه فغلبهم ابو عبد الله وغنم سائر ما معهم وقتل اكثرهم وبلغه ما كان من سجن عبيد الله فكتب اليه يشيره فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يبيع اللحم وما زال ابو عبد الله يضيق زيادة الله الى أن قرأ في مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له امر وملك ابو عبد الله القيروان ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين فأمر ونهى وبث العمال في الاعمال وقتل من يخاف شره وأمر فقتل على السكة في أحد الوجهين بلغت حجة الله وفي الاخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة في سبيل الله ووسم الخيل على أخذها الملك لله وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الدون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة في جيوش عظيمة اهتزلها المغرب بأسره يريد سلجماسه فخاربه اليسع يوما كاملا الى الليل ثم فر في خاصته فدخل ابو عبد الله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى في ركابهما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يبكي من شدة الفرح حتى وصل بهما الى قسطنطينية فبشر به في العسكر فأمر له بما فيه وبعث الخيل في طلب اليسع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسلجماسه أربعين يوما ثم سار الى افر يقية في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين فدعى له في جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس كافة الى مذهبهم فن أجاب قبل منه ومن أبى قل وعرض جوارى زيادة الله واختار منهم لنفسه ولولده وقرق ما بقي على وجوه كاتمة وقسم عليهم أعمال افر يقية ودقن الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشق ذلك على أبى عبد الله ونافس المهدي وحسده من اجل انه كف يده ويد أخيه أبى العباس فعظم عليه الفظام عن الامر والنهى والاخذ والعطاء وأقبل ابو العباس يزرى على المهدي في مجلس أخيه ويؤنب اخاه على ما فعل حتى أثر في نفسه فسأل المهدي أن يفوض اليه الامور ويجلس في القصر وكان قد بلغ المهدي ما يبجهر به ابو العباس

من السوء في حقه فرداً بأبي عبد الله ردّاً لطيفاً وأسرها في نفسه واكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقتدين بالمهدي وقال ما هذا بالذي كنا نعتقد طاعته وندعوا اليه لأن المهدي يأتي بالآيات الباهرة فقال اليه جماعة وواجه بعضهم المهدي بذلك وقال له ان كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد ما بين المهدي وبين أبي عبد الله وأوجس كل منهم في نفسه خيفة من الآخر وأخذ أبو العباس يدبر في قتل المهدي والمهدي يحلّ ما كان يبرمه ثم رتب رجالاً فلما ركب أبو عبد الله وأخوه إلى قصر المهدي ثار بهما الرجال فقال أبو عبد الله لا تفعلوا فقالوا له ان الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فثارت فتنة بسبب قتلهم فركب المهدي حتى سكنت وتتبع جماعة منهم قتلهم فلما استقام له الأمر عهد إلى ابنه أبي القاسم وتتبع بنى الاغلب فقتل منهم جماعة وجهز في سنة احدى وثلاثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر فأخذ بركة والاسكندرية والقيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة إلى مصر مع مؤنس الخادم عدة حروب وعاد إلى الغرب فجزى المهدي في سنة اثنتين وثلاثمائة حياصة بجيوش إلى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من أمره ما تقدم ذكره وكان للمهدي ببلاد المغرب عدة حروب وكان يوجد في الكتب خروج أبي يزيد النكاري على دولته فبنى المهدي وأدار عليها سورا جعل فيه ابواباً زينة كل مصر اعمنها ثمة قطار من حديد وكان ابتداء بنائها في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة وبني المصلي بظاهرها وقال إلى هنا يصل صاحب الجمار يعني أبي يزيد فكان كذلك وأنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة وقال اثنتايت هذه لتعتصم الفواطم به ساعة من تهارف كان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا القاسم في سنة ست وثلاثمائة على جيش إلى مصر فأخذ الاسكندرية وملاك جزيرة الاشمونين وكثيراً من صعيد مصر وكانت هناك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد إلى المغرب وخرج أبو القاسم في سنة خمس عشرة بالجيوش إلى المغرب فخارب قوماً وعاد فمات عبيد الله في ليلة الثلاثاء منتفح شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهدية من القيروان عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته اربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً ولما مات اخفى ابنه موته وقام من بعده عبيد الله المهدي ولي عهده (القائم بأمر الله أبو القاسم محمد) ويقال كان اسمه بالمشرق عبد الرحمن قنسى في بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية في المحرم سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريد وتمكن اظهر موت ابيه واستقل بالامر وله سبع واربعون سنة وتبع سيرة ابيه وثار عليه جماعة فظفر بهم وبث جيوشه في البر والبحر فسبوا وغنوا من بلد جنوة وبعث جيشاً إلى مصر فملكوا الاسكندرية والاششيد يومئذ امير مصر فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كندار النكاري الخارجي بأفرقية واشتدت شوكته وكثرت اتباعه وهزم جيوش القائم غير مرة وكان مذهبه تكفير أهل الملة وارقة دماهم ديانة فلما باجة وحرقها وقتل الاطفال وسبي النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهم وبالقلة من زويلة وقوى أمر أبي يزيد ونازل المهدي وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلي حيث أشار المهدي أنه يصل هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيراً من أصحابه وكانت له قصص وأنباء إلى أن مات القائم ثلاث عشرة سنة خلت من شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة عن أربع وخسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق منبر ولا ركب دابة لصيد مدة خلافته حتى مات وصلى مرة على جنازة وصلى بالناس العبد مرة واحدة وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة وستة أشهر وأياماً وترك أبا الظاهر اسمعيل وأبا عبد الله جعفر اوجزة وعدنان وعدة آخر وقام من بعده ابنه * (المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسمعيل) * وكنتم موت ابيه خوفاً أن يعلم أبو يزيد فانه كان قرياً منه وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود وجد في حرب أبي يزيد حتى ظفربه وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلع المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ولم يزل المنصور إلى أن مات سلع شوال سنة احدى واربعين وثلاثمائة عن احدى واربعين سنة وخمسة أشهر وكانت مدة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف في تاريخ ولادته فقيل ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة بالمهدية وقيل بل ولد في سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلاثمائة وكان خطيباً بديعاً يجلب الخطبة لوقته شجاعاً عاقلاً وقام من بعده ابنه * (المعز لدين الله ابو تميم معد) * وعمره نحو اربع وعشرين سنة فانه ولد لانه نصف من رمضان سنة سبع

عشرة وثلاثمائة فأتاه إليه البربر وأحسن إليهم فغظم أمرهم واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الأمير زيري بن مناد الصنهاجي فدخل المغرب واقتح مدنا وقهر عدة أكابر وأسرههم حتى أتى البحر المحيط فأمر بأصطياد سمكة منه وسيرها في قلة من ماء إلى المعز إشارة إلى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذي لا عمارة بعده ثم قدم غانما مظفرا فغظم قدره عند المعز ولما كان في بعض الأيام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كرامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش بالبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يا أخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لأم الأمراء وإنما الآن بحيث تسمع كلامي أترى أخواننا يظنون أناني مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المشقل والدياج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والقباء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضر تكم لتشهدوا حالي إذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لا أفضلكم في أحوالكم إلا بما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله به من أمانتكم واني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم وبذل أعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مشغل ما فعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها إلى غيركم وتحنوا على من وراءكم ممن لا يصل إلى كتحني عليكم ليتصل في الناس الجبل ويكثر الخير ويتشمر العدل وأقبلوا بعدها على نساءكم والزوايا الواحدة التي تكون لكم ولا تشروها إلى التكثر منهن والرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف فحائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون إلى نصر تكم بأبدانكم وعقولكم واعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا امر المشرق كما قرب امر المغرب بكم انهضوا رجكم الله ونصركم فخرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال وهو في وسط القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شد عن ترتيبها فانظرها ورتبها قال فأخذت أجعلها إلى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والقراشين فأخذت إليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها وأن يغلق عليها وتحنم بجاعته وقال قد خرجت عن خاتمنا وصارت إليك فكانت جلستها أربعة وعشرين ألف ألف دينار وذلك في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فأنفقها أجمع على العساكر التي سيرها إلى مصر من سنة ثمان وخمسين إلى سنة اثنين وستين وثلاثمائة * ولما أخذ في تجهيز جوهر بالعساكر إلى أخذ ديار مصر حتى تهيأ أمره وبرز للمسير بعث المعز خفيفا الصقلي إلى شيوخ كرامة يقول يا أخواننا قد رأينا أن تنفذ رجالا إلى بلدان كرامة يقيمون بينهم ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها عليهم في بلادهم فإذا احتجنا إليها انفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله فقال بعض شيوخهم لنخفف ما بلغه ذلك قل لمولانا والله لا فعاننا هذا أبدا كيف تؤدى كرامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحدثنا معكم بالايان وسيوفنا بظاعتكم في المشرق والمغرب فعاد خفيف إلى المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كرامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال ما هذا الجواب الذي صدر عنكم فقالوا هذا جواب جماعة ما كئينا مولانا الذي يؤدى جزية تبقى علينا فقام المعز في ركابه وقال بارك الله فيكم فهكذا أريد أن تكونوا وإنما أردت أن اختبركم فأنظر كيف أنتم بعدى فسار جوهر وأخذ مصر كما قد ذكر في ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبت قدم جوهر بعث كرامته إلى المعز جوابا عن كتابه وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة بني حمدان وصلت إليك كتبهم يبدلون الطاعة ويعدون بالأسايرة في المسير إليك فاسمع لما ذكره لك احذر أن تبدئ احذر أن آل حمدان يكتبوا ترهيبا له ولا ترغيبا ومن كتب إليك كتابا منهم فأجبه بالحسن الجليل ولا تستدعه إليك ومن ورد إليك منهم فأحسن إليه ولا تمكن احدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف فينوح حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم في الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا لاخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد إلى أحد منهم * ولما عزم المعز على المسير إلى مصر أجال فكره فحين يخلفه في بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن علي الأمير فاستدعاه وأسر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب

فقال تترك معي أحد أولادك أو اخوتك يجلس في القصر وأنا ادبر ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجيبه يكون بازاء ما نفقه من الاموال واذا أردت امر افعلته من غير أن أتتظر ورود امر لك فيه لبعده ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى فعضب المعز وقال يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في امري واستبددت بالاعمال والاموال دوني قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشدا فخرج عنه ثم انه استدعي يوسف بن زيري الصنهاجي وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكتب بذلك وقال يا مولانا أنت واولئك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفولي وأنا صنهاجي بربري قتلتي يا مولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى اجاب بشرطة أن المعز يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخيزان يثق به ويجعله قائما بين ايدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم ويصير كالخادم بين اولئك فأحب المعز ما قال وشكره فلما انصرف قال ابو طالب بن القائم بأمر الله للمعز يا مولانا وثق بهذا القول من يوسف وانه يقوم بوفاء ما ذكر فقال المعز يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم يا عم أن الامر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا احسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيلها في مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فخصر اليه في بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومتها فيها وابتاعها منه بسقاية دينار فاذا هي ابنة الاخشيدي محمد بن طفيج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفها حبها فاشتريتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدث المعز بذلك فأحضر الشيبوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيدي مع الصبية الى آخره فقال المعز يا اخواتنا انهم ضلوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شيء فان القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج نفسها وتشتري جارية لتتبعها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم فانهم ضلوا المسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا في حوايجكم فمحن نقدم الاختيار لمسيرنا ان شاء الله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقليان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والوالد المعز وكان المظفر يدل على المعز من اجل أنه عليه الخط في صغره فحرد عليه مرة وولى فسمع المعز يتكلم بكلمة صقلية استراب منها واقننها منه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى احكمها ثم تعلم الرومية والسودانية حتى اتقنهما ثم أخذ يتعلم الصقلية فحزت به تلك الكلمة فاذا هي سب قيح فأمر بمظفر فقتل من اجل تلك الكلمة وبلغه امر الحرب التي كانت بين بني حسن وبني جعفر بالحجاز حتى قتل من بني حسن اكثر من قتل من بني جعفر فأنفذ مالا ورجالا في السمر مارا لوالا بطائفتين حتى اصطلمتا وتحمل الرجال عن كل منهما الجمالات فجاء الفاضل في القتلى لبني حسن عند بني جعفر فحوس سبعين قتيلافأذواعنهم وعقدوا بينهم الصلح في الحرم تجاه الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة فصارت هذه الفعلة يدا عند بني حسن للمعز فلما ملك جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسني بالداء للمعز في مكة وبعث الى جوهر بالخبر فسير الى المعز يعرفه باقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليده الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجيزة فسار عليه وقد زينت له مدينة القسطنطين فلم يشهها ودخل الى القاهرة بجميع اولاده واخوته وسائر اولاد عبيد الله المهدي وتوايت آباءه وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة فعند ما دخل القصر صلى ركعتين فاقتدى به من حضر وبات به ثم اصبح فجلس للهناء وأمر فكتب في سائر مدينة مصر خيرا الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين علي بن ابي طالب وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبيد الله الامير وجلس في القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر في المصلي فسبح في كل ركعة وفي كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدیر حم ومات بعض بني عمه فصرى عليه وكبر سبعا وكبر على ميت آخر خمسا وقد مدت القرامطة الى مصر فسير اليهم الجيوش وهزموهم وما زال الى أن توفي من علة اعتلها بعد دخوله الى القاهرة بستين وسبعة اشهر وعشرة ايام وعمره خمس وأربعون سنة وستة اشهر تقريبا فان مولده بالمهدي في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ووفاته بالقاهرة لاربعة عشرة خات من ربيع

الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثا وعشرين من سنة وعشرة ايام وهو
 اقول الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لان عبده جوهر القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر
 في خبر بنائها * وكان المعز عالما فاضلا جواد احسن السيرة منصف المريعة مغرما بالنجوم اقيمت له الدعوة بالمغرب
 كله وديار مصر والشام والخرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزير بالله ابو منصور نزار) *
 فأقام في الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر
 وأربعة عشر يوما في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بلبيس وحمل الى القاهرة
 * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله ابو علي منصور) * وكانت مدة خلافته الى أن فقد خسا وعشرين سنة
 وثمانرا وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة
 واربعمائة وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر
 لا عزازدين الله ابو الحسن علي) بن الحاكم بأمر الله ولدا بالقاهرة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان
 سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست
 عشرة سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد
 فكتب بخلافته الى الأعمال وشرب الخمر وخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب القنقاع وأكل الملوخيا
 وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء ابو الحسن عمار بن محمد وكان يلي
 ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم الى أن فقد فتولى البيعة للظاهر ثم قتل بعد سبعة اشهر في ربيع
 الاول سنة اثنتي عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا القنوح موسى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولي
 ديوان الانشاء بعد ابن حيران وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه في شوال وقتل فوجد
 له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وولي بعده الوزارة الامير شمس الملوك المكيين مسعود بن
 طاهر * وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدرزي متولى قيسارية ولاية فلسطين فكانت له مع حسان
 ابن مفرح بن جراح الطائي حروب وفيما نزع السعر بمصر وتغذر وجود الخبز وفي المحرم سنة خمس عشرة لقب
 الخادم الاسود معضاد بالقائد عز الدولة وسنأها الى القوارس معضاد الظاهر وخلع عليه وثار رجل من بني
 الحسين ببلاد الصعيد فقبض عليه وأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من
 القوطة التي كانت عليه فسل عن سبب قتله اياه فقال غرت لله وللإسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه
 فقطعت رأسه وسيرت الى القاهرة وفيما اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها قتر الشريف الكبير
 العجمي والشيخ نجيب الدولة الحراري والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد أن لا يدخل على
 الظاهر أحد غيرهم وكانوا لا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرفون في سائر أمور الدولة والظاهر
 مشغول ببلداته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن حيران صاحب الانشاء وداعى الدعاة ونقيب نقباء
 الطالبيين وقاضى القضاة ربما دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوما مرة ومن عداهم لا يصل الى الظاهر البتة
 والثلاثة الاول هم الذين يقضون الاشغال ويمضون الامور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من
 ذبح الابقار لقلتها وعزت الاقوات بمصر وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا وكثر الخوف
 في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر
 ضيق طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه
 واشتد الغلاء وفشت الامراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء
 اقله الظاهر فم البلاء من كل جهة وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع
 عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الحب وأخذت اموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقي فلم ينجح أحد من اهل
 مصر وتفاقم الامر في شدة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع بالجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا ابوك
 ولا جدك فأن الله في امرنا وطرقت عساكر ابن جراح القرما فقرأ اهلها الى القاهرة وأصبح الناس بمصر
 على اقبح حال من الامراض والموتان وشدة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الدعا التي تكبس حتى انه
 لماعل سمط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السمط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه

ونهب الارياك وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت امور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض فحمل بعض
اهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبد اتسهب البلد من الجوع فنودي بأن من تعرض له
أحد من العبيد فليقتله ونذب جماعة لحفظ البلد واستعد الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد
احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد في عسكر
فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد في طلب الحر حراي وغيره من وجوه الدولة
فخسوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة والناس في أنواع من البلاء * وفي سنة ست عشرة امر
الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر
الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفي سنة سبع عشرة ثار بمصر رعايف عظيم بالناس وكثرت زيادة النيل
عن العادة وتصدق الظاهر بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفي سنة ثمان عشرة وقعت
الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر في بلاده وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر
كنيسة قامة بالقدس وأذن لمن اظهر الاسلام في أيام الحاكم أن يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم
وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروبادي وأقام بدله أبا القاسم علي بن احمد
الحر حراي * وفي سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والأتراك قتل فيها كثير * وفي سنة إحدى وعشرين
بويج لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية اشهر وأنفق على ذلك خلع لاهل الدولة وطعام وشار للعامة ما يجلي
وصفه * وفي سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر * وفي سنة
ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحدث الناس بخلعه ثم سكنت الفتنة بعد
انفاق مال جزيل * وفي سنة أربع وعشرين ركب ولي العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات
فيكان اذا مر يقوم قبلوا له الارض ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفي سنة
خمس وعشرين بث الظاهر دعائه يبعثه عند اختلاف الأتراك بهم فكثرت دعائه هناك واستجاب لهم خلق كثير
فلما كان في سنة ست وعشرين كثروا بآبائه بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربع مائة
عن اثنتين وثلاثين سنة الايام فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوبا باللهو
محب الغناء فتأنق الناس في أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والقاصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا
لمساليكه وعلمهم انواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل
الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بافر بقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على
حلب في أيامه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن جراح على اكثر بلاد الشام فتضعفت الدولة *
وقام من بعده ابنه ولي العهد بويج له وهو (المستنصر بالله ابو تميم معد) * ومولده في السادس عشر من
جادي الاخرة سنة عشرين واربع مائة وبويج بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ
سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهر في الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها أن أمه كانت
امة سوداء لتاجر يهودي يقال له ابوسعده سهل بن هرون التستري فابتاعها منه الظاهر واستولدها
المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استمدت أمه ابوسعده ورقته درجة عليية وكان الوزير يومئذ أبا القاسم
الحر حراي فلم يتمكن ابوسعده من اظهار ما في نفسه حتى مات الحر حراي وتولى ابو منصور صدقة بن يوسف
العلاجي الوزارة فأنبسط يد أبي سعد وصار العلاجى يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزانة
البنود فحدث أم المستنصر على العلاجى وصرفته عن الوزارة واستقر أبو البركات صفي الدين الحسين بن
محمد بن احمد الحر حراي في الوزارة * وفي سنة أربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق
بالعساكر الى حلب وحارب متوليا شمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فقلده مظفر الصقلي دمشق
وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم بالمله وخرج امير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته
نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربع مائة ألف دينار بريد الشام ومحاربة بني مرداس * وفي المحرم سنة
احدى واربعين صرف قاضي القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعد ما باشره ثلاث عشرة
سنة وشهرا وأربعة ايام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضي الاجل خطير الملك ابو محمد البازوري * وفيها

حارب رفق بن مرداس قطفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب فأفرج عن ابن حمدان وبقي بالحضرة وقبض على الوزير أبي البركات الحراري ونفي إلى الشام وعمل أبو الفضل صاعد بن مسعود واسطة لاوزيرا ثم قلد قاضي القضاة أبو محمد البازوري الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفي سنة اثنتين وأربعين كانت حروب البحيرة وأخرج بن قرة منها وانزال بن سنيس بعدهم بها وفيها دعا علي بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر وبعث إليه بجمال النجوة والهدن * وفي سنة أربع وأربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح في نسب الخلفاء المصريين ونفيهم من الانتساب إلى علي بن أبي طالب وسيرت إلى الآفاق وقصر مد النيل فحترق السعير بمصر ثم قصر أيضا مد النيل في سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت في الناس * وفي سنة ثمان وأربعين خرج أبو الحارث البساسيري من بغداد متقيا للمستنصر فسيرت إليه الأموال والخلع * وفي سنة ثمان وأربعين عادت حلب إلى مملكة المستنصر * وفي سنة تسعين قبض على الوزير الناصر لدين أبي محمد البازوري وتقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي بن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازوري أبو علي أحمد بن عبد الحكم ثم صرف بعد الحاكم المليحي وفيها أخذ البساسيري ببغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وقر الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى قریش بن بدران فبعث به إلى غانة وسيرت ثياب القاتم وعمامته وغير ذلك من الأسوال إلى مصر وفيها سار ناصر الدولة إلى دمشق أميراعليها * وفي سنة إحدى وخمسين أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجب جميع تلك الأعمال فقدم طغرل إلى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعدما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة وقتل البساسيري وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب فسار إليه ابن حمدان وحارب أهلها فأنكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد إلى دمشق وفيها صرف أبو الفرج بن المغربي عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد إلى الوزارة أبو الفرج الباسلي واستقر في وظيفة القضاء أحمد بن أبي زكري * وفي سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعايا للخليفة وتقدم الأراذل بحيث كان يصل إليه في كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعائيات فاشتبهت عليه الأمور وتناقضت الأحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الأعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها ساع كثرة النفقات والاستخفاف بالأمور وطغيان الأكابر إلى أن آل الأمر إلى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجالحلي في سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بملطنة مصر ما ذكر في ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف إلى أن مات في سنة سبع وعثمانين فأقام العسكر من بعده في الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه فباشير الأمور بسير أومات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة سبع وعثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة أشهر منها في الخلافة ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام مرت فيها أهوال عظيمة وشدائد ألقت به إلى أن جلس على فسخ وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الأشراف تصدق عليه في كل يوم بقعب فيه قنيت فلا يأكل سواه مرة في كل يوم وقدمت في غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلألمات المستنصر أقام الأفضل بن أمير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه (المستعلي بالله أبا القاسم أحمد) * وكان مولده في العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة فخالف عليه أخوه نزار ووفر إلى الاسكندرية وكان القائم بالأمور كلها الأفضل فخار به حتى ظفر به وقتله كما تقدم في خبر أفتكين عند خزان القصر * وفي سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلي وخطب به للعباسي وأخرج الفريخ من قسطنطينية لأخذ سواحل الشام وغيرها من أيدي المسلمين فملكوا انطاكية * وفي سنة إحدى وتسعين خرج الأفضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الأرمن وعاد إلى القاهرة * وفي سنة اثنتين وتسعين ملك الفريخ الرملة وبيت المقدس فخرج الأفضل بالعساكر وسار إلى عسقلان فسار إليه الفريخ وقتلوه وقتلوا كثيرا من أصحابه وغنوا منه شيئا كثيرا وحصره قنجا بنفسه في البحر وصار إلى القاهرة * وفي سنة ثلاث وتسعين عم الوباء أكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفي سنة أربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفريخ وكانت بينهم حروب كثيرة * وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلي بالله ثلاث عشرة بقية من صفرو عمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفي أيامه اختلت الدولة

وانقطعت الدعوة من اكثر مدن الشام فانما صارت بين الاتراك والفرنج وصارت الاسماعيلية فرقتين فرقة
 نزارية تطعن في امامة المستعلي وفرقة ترى صحة خلافة ولم يكن للمستعلي مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ
 كلمة وقيل انه سم وقيل بل قتل سراً * فلما مات أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه (الامر بأحكام الله
 ابا علي منصوراً) * وعمره خمس سنين وشهر وايام فقتل الافضل في ايامه واقام في الخلافة تسعاً وعشرين
 سنة وثمانية اشهر ونصفاً وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الاخر في ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما
 قتل الامر بأحكام الله اقيم من بعده (الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد) ابن الامير أبي القاسم محمد بن
 المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان في المحرم سنة سبع وقيل في سنة ثمان وتسعين وأربع مائة لما خرج
 المستنصر ابنه ابا القاسم مع بقية اولاده في ايام الشدة فلذلك كان يقال له في ايام الامر بأحكام الله الامير
 عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا * ولما قتل النزارية الخليفة الامر أقام برغش وهزار الملوك الامير
 عبد المجيد في دست الخلافة ولقباه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلاً ينتظر في بطن أمه من اولاد الامر
 واستقر هزار الملوك ووزير افشار العسكر وأقاموا ابا علي بن الافضل وزيرا وقتل هزار الملوك ونهب شارع
 القاهرة وذلك كله في يوم واحد فاستبد ابو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين
 وخمسمائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيداً فاستقر الى أن قتل ابو علي في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين
 فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولي عهد كفيلاً لمن يذكر اسمه فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيداً
 سماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك
 في ذي الحجة منها بعد تسعة اشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحد او تولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام
 ابنه سليمان ولي عهد مقام وزير فلم تطل ايامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فخلق ابنه حسن
 وثار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارثية المانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمني
 وأخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانياً فاشتد ضرر المسلمين من النصاري وكثرت
 أذيتهم فسار رضوان بن ولشني وهو يومئذ متولى الغربية وجمع الناس لطرب بهرام وسار الى القاهرة فانزمو
 بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فأوقع بالنصارى
 وأذلهم فسكره الناس الا أنه كان خفيفاً عجولاً فأخذ في اهانة حوائج الخليفة وهم بخلعه وقال ما هو بامام وانما
 هو كفيلاً لغيره وذلك الغير لم يصبح فتوح الحافظ منه وما زال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انزمو فيارضوان
 وخرج الى الشام فجمع وعاد في سنة أربع وثلاثين ففهرز الحافظ العساكر لحاربه فقاتلهم وانزمو منهم الى
 الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحد بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فغلت الاسعار
 بعصر وكثر الجوع وامتد الى سنة سبع وثلاثين فعظم الوباء * وفي سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من
 معتقله بالقصر وخرج من نقب وثار بجماعة وكانت فتنة ألت الى قتله * وفي سنة أربع وأربعين ثارت فتنة
 بالقاهرة بين طوائف العسكر فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة
 خلافة ثمان عشرة سنة وأربعة اشهر وتسعة عشر يوماً أصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازماً سدياً كثيراً
 الإدارة عارفاً بجماع المال مغرباً بعلم التجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة أقيم ابنه (الظاهر بأمر الله
 ابو منصور اسمعيل) * ومولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة فأقام في الخلافة أربع
 سنين وثمانية اشهر الاخيرة ايام وكان محكوماً عليه من الوزارة وفي ايامه أخذت عسقلان فظهر الخلل في الدولة
 وقد ذكرت أخباره في خط الخشبية عند ذكر الخطوط من هذا الكتاب * فلما قتل اقيم من بعده ابنه (الفائز بن نصر
 الله ابو القاسم عيسى) * أقامه في الخلافة بعد مقتل ابيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيك
 والاشمونين بجموعه الى القاهرة ففر عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة
 الى أن مات الفائز ثلاث عشرة سنة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة اشهر
 ويومين منها في الخلافة ست سنين وخمسة اشهر وأيام لم يرفها خيراً فانه لما خرج ليقام خليفة رأى اعمامه قتلى
 وسمع الصراخ فاختل عتله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيك في الخلافة بعده (العاقل لدين الله
 أبا محمد عبد الله) * ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين

وخسمائة وكان عمره يوم بيع نحو احدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل في رمضان سنة
 ست وخسين كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيق بن طلائع وحسنت سيرته فعزل
 شاور بن مجير السعدي عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات في البرية الى تروجة
 فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيق وفتر قبض عليه باطفيح واستقر شاور في الوزارة لايام خلت من
 صفر سنة ثمان وخسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب ففر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة
 فقتل امراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب اكبرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بليس مدة ودافعهم المسلمون
 عدة مرات حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر
 الشام في جمادى الآخرة سنة تسع وخسين فخار به ضرغام على بليس بعساكر مصر وكانت لهم منه معارك
 انهزموا في آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خرجوا به وكان شياً جليلاً فسرّوا بذلك وساروا الى القاهرة
 فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقتله في شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة
 ثانية واختلف مع الغزاقاديين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مري ملك
 الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغزاقاضر وقد صار شيركوه في مدينة
 بليس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومري على بليس وحصر اشيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فصار
 شيركوه بالغزالي الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة في سنة ستين وخسمائة فلم يزل الى أن قدم
 شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية في ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مري ملك
 الفرنج فصار شيركوه على الشروق وخرج من اطفح فصار الى شاور بالفرنج وكانت له معه الواقعة المشهورة فصار
 شيركوه بعد الواقعة من الاشمونين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية
 بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يحبي
 البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة
 وحصرها ثم كانت امور آخرها مسير شيركوه واصحابه من ارض مصر الى الشام في شوال وقد طمع الفرنج
 في البلاد وتسلموا اسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد
 وخش امراء شاور وساءت سيرته وكثر تجزئه على الدماء وانلافه للاموال فلما كان في سنة اربع وستين قوى
 تمكن الفرنج في القاهرة وجاروا في حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فصار مري يريد اخذ القاهرة ونزل
 على مدينة بليس وأخذها عنوة فكتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه
 ويحثه على نجدة الاسلام واتفقا المسلمين من الفرنج فجهاز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير وجهزهم وسرهم الى
 مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مري ملك الفرنج على القاهرة وألح في قتال اهلها حتى كاد أن
 يأخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضى بمال يجمعه له فشرع في جبايته واذا بالخبر ورد بقدم شيركوه
 فرحل الفرنج عن القاهرة في سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد
 وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ما ذكر في موضعه وذلك في سابع عشر ربيع الآخر
 المذكور وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة ايام ومات في الثاني والعشرين من جمادى
 الآخرة فقوض الوزارة لصلاح الدين يوسف بن ايوب فساس الامور ودبر لنفسه فبذل الاموال
 وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل امره في ازدياد وأمر العاضد في نقصان وصار يخطب من
 بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع اصحابه البلاد وأبعد اهل مصر وأضعفهم واستبد بالامور ومنع
 العاضد من التصرف حتى تبن للناس ما يريد من ازالة الدولة الى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا فأبادهم
 وأفناهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل أمره ولم يبق له سوى اقامة ذكره في الخطبة فقط هذا وصلاح
 الدين يوالى الطلب منه في كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخيال والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير
 فرس واحد فطلبه منه وأجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع
 صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهمها لاصحابه وبعث الى أبيه واخوته وأهله فقدموا
 من الشام عليه فلما كان في سنة ست وستين ابطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها

مدرسة للشافعية وانشأ مدرسة اخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك
ابن درباس الشافعي وجعل اليه اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية فتظاهر
الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهم واختفى مذهب الشيعة الى أن نسي من مصر
وأخذ في غزو الفرنج فخرج الى الرملة وعاد في ربيع الاول ثم سار الى ايلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج
في ربيع الآخر ثم سار الى الاسكندرية ولم تفتح سورها وعاد وشيرتوران شاه فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم
مالا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثرت القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحدثوا بخلعه واقامة الدعوة
العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقى من امراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة
فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل وتحكم أصحابه في البلد بأيديهم واخرج اقطاعات سائر المصريين
لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر مواضعه وقبض على القصور وسلمها الى الطواشي بهاء الدين
قراقوش الاسدي وجعله زمامها فضيق على اهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الاذان
حتى على خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فرض ومات وعمره احدى
وعشرون سنة الا عشرة ايام منها في الخلافة احدى عشرة سنة وستة اشهر وسبعة ايام وذلك في ليلة يوم
عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستجد العباسي بثلاثة ايام وكان كريما
لين الجانب مرتبه مخاوف وشدايد وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام
عبيد الله المهدي الى أن مات العاضد مائتي سنة واثنين وسبعين سنة واياها بالقاهرة منها مائتان وثمانين
سنتين فسبحان الباقي

(ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها)

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة في
زماننا بمدينة مصر قبل القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل ملكهم واليه اتجى ثمرات الاقاليم وتاوى الكافة
وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة الناس وسعة الارزاق والتفنن في انواع الحضارة والتأنيق في النعيم
ما ربت به على كل مدينة في المعمور حاشا بغداد فانها كانت سوق العالم وقد راحتها مصر وكادت أن تسامها
الا قليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيديية من مصر واختلف حال الاقليم تنو الى الغلوات وتواتر الاوباء والقنوات
حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله الى تميم معد امير المؤمنين على يد عبده وكتبه القائد
جوهر فتنزل حيث القاهرة الآن وأناخ هناك وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس
عند مسيرهم من الفسطاط الى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف في اول الاسلام بخلج امير المؤمنين
ثم قيل له خليج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحامكي وبين الخليج المعروف بالبحايم وهو الجبل
الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التي يقال لها أم دين ثم عرفت الآن بالمقس
وكان من يسافر من الفسطاط الى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذي كان يعرف بمسجدة الاصبع
ثم عرف الى يومنا بالخندي وعمر العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبع الى بنى جعفر على غيفة وسلنت الى
بليس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بليس الى العلاقة الى القرما ولم يكن الدرب
الذي يسلك في وقتنا من القاهرة الى العريش في الرمل يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تنيس والقرما
واراحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد غلبتهم له مدة من السنين وكان من يسافر في البر من الفسطاط الى الحجاز
ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الحب وبركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بئان سوى
أما كن هي بستان الاخشيدي محمد بن طفيج المعروف اليوم بالكافوري من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير
العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبقي الآن بئر هذا الدير وتعرف ببئر العظام
والعامة تقول ببئر العظمة وهي بجوار الجامع الاقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضا
مكان ثالث يعرف بقصر الشول بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة في الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة
يعرف بقصر الشول من جهة القصور الزاهرة هذا الذي اطلعت عليه انه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد
الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقدس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذي هو الآن

سوق المعاريح وحمام طن والمرغة وبستان الحرف وموردة الخلفاء ومنشأة المهراني على ساحل الجراء وهي موضع قناطر السباع فيمّر النيل بساحل الجراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين الفسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن من هناك على طرف الارض التي تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالحرف وصار الى البعل ومر على طوف منية الاصبع من غربى الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلي بحرى موضع القاهرة مسجد بنى على رأس ابراهيم ابن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ثم مسجد تبر الاخشيدى فعرف بمسجد تبر والعامّة تقول مسجد التبر ولم يكن الممر من الفسطاط الى عين شمس والى الخوف الشرقى والى البلاد الشامية الا بحافة الخليج ولا يكاد يمر بالرملة التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان بهادير للنصارى الا أنه لما عمر الاخشيد البستان المعروف بالكافورى أنشأ بجانبه ميّداً وكان كثيراً ما يقيم به وكان كافور أيضاً يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة الفسطاط مما يلي الخليج المذكور أرض تعرف في القديم منذ فتح مصر بالجراء القصوى وهي موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولونى وما دار به وفي هذه الجراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيئاً بعد شيء الى أن خرب آخرها في أيام الملك الناصر محمد ابن قلاوون وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من العمران فانه حادث بعد بناء القاهرة ولم يكن هناك قبل بنائها شيء البتة سوى كنائس الجراء وسيأتى بيان ذلك مفصلاً في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* (ذكر حد القاهرة) *

قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذى استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من المنجونة الى مشهد السيدة رقية عرضاً أه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور البحر الذى طوله من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العمائر الى الريدانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتد وبالعامة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهراني وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق الى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والاخر يقال له مصر فاما مصر فان حدها على ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذى نحن فيه من حد أول قناطر السباع الى طرف بركة الحبش القبلى مما يلي بساتين الوزير وهذا هو طول حد مصر وحدها في العرض من شاطئ النيل الذى يعرف قديماً بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة الست الى أول القرافة الكبرى * واما حد القاهرة فان طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ النيل بولاق الى الجبل الاحمر وبطلق على ذلك كله مصر والقاهرة وفى الحقيقة القاهرة المعز التي انشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أي تميم معد الى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذى أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرات ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبلية وفيها الآن معظم العمارة وحد هذه الجهة طولاً من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولونى وما بعد الجامع الطولونى فانه من حد مصر وحدها عرضاً من الجامع الطيبى بشاطئ النيل غربى المريس الى قلعة الجبل وفى الاصطلاح الآن أن القلعة من حدكم مصر والجهة البحرية وكانت قبل السبع مائة من سنى الهجرة وبعدها الى قبيل الوباء الكبير فيها اكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النصر الى الريدانية وعرضها من منية الامراء المعروفة في زمننا الذى نحن فيه بمنية الشيرج الى الجبل الاحمر ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريدانية والجهة الشرقية فانها حيث ترب اهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبع مائة وحد هذه الجهة طولاً

من باب القلعة المعروف باب السلسلة الى ما يحاذى مسجد تبر في سفح الجبل وحدثها عرضا فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة الغربية فأكثر العمارت بها لم يحدث أيضا الا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وانما كانت بساتين وبحرا وحدث هذه الجهة طولاً من منية الشيرج الى منشأة المهراني بحافة بحر النيل وحدثها عرضاً من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحتوي مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والزاويا والدور العظيمة والمسكن الخلية والمنظر البهجة والقصور الشاحنة والبساتين المنضرة والحمامات الفاخرة والقياس المعمورة بأصناف الأنواع والأسواق المملوكة مما تشتهى الانفس والخاصات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظمة بالسكان والتراب التي تحكي القصور ما لا يمكن حصره ولا يعرف ما هو قدره الا أن قدر ذلك بالتقريب الذي يصدق الاختيار طولاً بريد او ما يزيد عليه وهو من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش وعرضاً يكون نصف بريد مما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل في هذا الطول والعرض بركة الحبش ومادارها ووسطها الحرف المسمى بالرصد ومدينة القسوط التي يقال لها مدينة مصر والقرافة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشأة المهراني وقطائع ابن طولون التي تعرف الآن بمجدرة ابن قمحية وخط جامع ابن طولون والرميلة تحت القلعة والقبليات وقلعة الجبل والميدان الاسود الذي هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو ما دار عليه السور والحجر والحسينية واليدانية والخندق وكوم الريش وجزيرة الفيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروي وزيرية قوصون وحكر ابن الاثير ومنشأة الكاتب والاحكار التي فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضي اللوق والخليج الكبير الذي تسميه العامة بالخليج الحاكى والحباينة والصلبية والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القرافة وأرض الطبالة والخليج الناصري والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدرنا هذه المواضع وهي عامرة والمشيجة تقول هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة الذي يسميه اهل مصر الفناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ولله عاقبة الامور

(ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية) *

وذلك أن القائد جوهر الكاتب لما قدم الجزيرة بعساكره وولاه الامام المعز لدين الله ابي تميم معذراً قبل في يوم الثلاثاء لسميع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخسين وثلثمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر افواجا وجوهر في فرسانه الى المناخ الذي رسم له المعزم موضع القاهرة الآن فاستقر هنالك واخطت القصر وبات المصريون فلما اصبحوا حضروا للهنا فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدها جوهر لم يحبه ثم قال قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه ديرا الغظام ويقال ان القاهرة اخططها جوهر في يوم السبت است بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخسين واخطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واخطت جماعة من اهل برقة الحارة البرقية واخطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر وقصد جوهر باخطط القاهرة حيث هي اليوم أن تصير حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقا تلهم من دونها فأدار السور اللبن على مناخه الذي نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعاً وقصراً وأعد لها معقلاً يتحصن به وتزله عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية لمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فان أبوابها كانت من الجهات الاربع في الجهة القبليّة التي تفضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بمجذاه المسجد الذي تسميه العامة بسام بن نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف باب القوس وما بين باب القوس هذا وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التي اسماها القائد جوهر وانما هي زيادة حدثت بعد ذلك وكان في جهة القاهرة البحرية وهي التي يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب النصر وموضعها بأول الرحبة التي تقدم الجامع

الحاكمي الآن وادركت قطعة منه كانت قد ادم الركن الغربي من المدرسة القاصدية وما بين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد في مقدار القاهرة بعد جوهروالباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باقى الى يومنا هذا مع عضادته اليسرى وعليه اسطر مكتوبة بالقلم الكوفى وموضع هذا الباب الآن باخر سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين بمبلى باب الجامع الحاكمي وفيما بين هذا العقد وباب الفتوح من الزيادات التي زيدت في القاهرة من بعد جوهروكان في الجهة الشرقية من القاهرة وهي الجهة التي يسلك منها الى الجبل بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهم ما دون مكانهم الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن اسكفته وكان في الجهة الغربية من القاهرة وهي المطة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب القرج وباب ثالث يعرف باب الخوخة أظنه حدث بعد جوهروكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع يقال لاحد القصرين القصر الكبير الشرقي وهو منزل سكنى الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح وغير ذلك وهو الذى أسسه القائد جوهرو وزاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربى وكان يشرف على البستان الكافورى ويحتوى اليه الخليفة في أيام النيل للترهة على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربى من البركة التي يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر * فأما القصر الكبير الشرقي فإنه كان من باب الذهب الذى موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التي انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وكان يعلو عقد باب الذهب بمنظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات في اوقات معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم ابواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور الى باب البحر وهو الباب الذى يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة السكلمية وهو من باب البحر الى الركن المخلق ومنه الى باب الريح وقد أدركنا منه عضادته واسكفته وعليها اسطر بالقلم الكوفى وجميع ذلك مبنى بالبحر الى أن هدمه الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار وفي موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد ويسلك من باب الريح المذكور الى باب الزمرزى وهو موضع المدرسة الجازية الآن ومن باب الزمرزى الى باب العيد وعقده باقى وفوقه قبة الى الآن في درب السلامى بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل في يومى العيدين تعرف برحبة العيد وهي من باب الريح الى خزانة البنود وكان بلى باب العيد السفينة وبجوار السفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت منه قطعة من أحد جانيه كانت تجاه الحمام التي عرفت بحمام الايدمرى ثم قيل لها في زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه الى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلامى وغيره ويسلك من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسينى وكان فيما بين قصر الشوك وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك أولها من رحبة خزانة البنود وآخرها حيث المشهد الحسينى الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب الديلم الى باب تربة الزعفران وهي مقبرة اهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسائهم وموضع باب تربة الزعفران فندق الخليلي في هذا الوقت ويعرف بخط الزراكشة العتيق وكان فيما بين الديلم وباب تربة الزعفران الخوخ السميع التي يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر في ليالى الوقدات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهدة الوعيد والجمع وبجوار الخوخ السميع اصطبل الطارمة وهو برسم الخيل الخاص المعتدة لركاب الخليفة وكان مقابل باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعتصلا صلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهو الذى يعرف في وقتنا هذا بالجامع الازهر ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة وقد ادم هذا الجامع رحبة متسعة من حداث اصطبل الطارمة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالاكفانيين ويسلك من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سرقاعة مدرسة الخنابلة من المدارس الصالحية وفيما بين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك

من باب الزهومة الى باب الذهب المذكور أولاً وهذا هو دور القصر الشرقي الكبير وكان بجذاء رحبة باب العيد
دار الضيافة وهي الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التي هي اليوم خانقاه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهي
حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه سببرس وما يجاورها الى باب الجوانية
وما وراء هذه الاماكن ويجوار دار الوزارة الحجر وهي من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر
القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة
الذي يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجاً عن القاهرة وفي غربيه الزيادة التي هي باقية الى اليوم وكانت أهراء
لنزن الغلال التي تذخر بالقاهرة كما هي عادة الحصون وكان في غربي الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم
البرانية وحارة الاتراك وهي تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطنية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر
وهذه الحارات خزائن القصر وهي خزنة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخليم وخزائن الفرش
وخزائن الكسوات وخزائن دارا فتكين ودار الفطرة ودار التعبية وغير ذلك من الخزائن هذا ما كان في الجهة
الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربي فانه موضع المارستان الكبير المنصوري الى جوار حارة
برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقي فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس
وراجل يقال له بين القصرين ويجوار القصر الغربي الميدان وهو الموضع الذي يعرف بالخرنشف واصطبل
الطارمة وبجذاء الميدان البستان الكافوري المظلم من غربيه على الخليج الكبير ويجوار الميدان دار برجوان
العزري وبجذائها رحبة الافال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل
دار برجوان المنحور وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خانقاه سببرس وفيما بين ظهر
المنحور وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمي ويجاور
حارة برجوان من بحر بها اصطبل الحجرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الحجرية يعرف
اليوم بخان الوراقه والقيصرية تجاه الجلون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الحجرية الزيادة وفيما بين
الزيادة والمنحور درب القرنيحية ويجوار البستان الكافوري حارة زويلة وهي تصل بالخليج الكبير من غربيها
وتجاه حارة زويلة اصطبل الجيزة وفيه خيول الخليفة أيضاً وفي هذا الاصطبل برزويلة وموضعها الآن قيسارية
معمودة على البئر المذكورة يعلوها ربيع يعرف بقيسارية يونس من خط البند قانين فكان اصطبل الجيزة
المذكور فيما بين القصر الغربي من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب سببر المارستان
المنصوري الى البند قانين وبجذاء القصر الغربي من قبله مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ
موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية ويجوار المطبخ الحارة العدوية وهي من الموضع الذي يعرف
بحمام خشبية الى حيث الفندق الذي يقال له فندق الزمام ويجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم
سوق الزجاجين وسوق الحريرين الشراريين ويجوار الصاغة القديمة بس المعونة وهو موضع قيسارية الغنبر
وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخرطاطين ويجوار حبس المعونة دكة
الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالابزاريين وفيما بين دكة الحسبة وحارة الروم والديلم
سوق السراجين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذي تسميه العامة سام
ابن فوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن
كاس وصارت بعده دار الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وما وراءها ويتصل دار
الديباج بالحارة الوزيرية والى جانب الوزيرية الميدان الآخر الى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة
أهراء أيضاً وسطح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية وحدثت هذه الاماكن شيئاً بعد شيء
ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لا ينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين بشرتهم بقربه
فقط * (وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الاربع) * فانه كان في الدولة الفاطمية على ما ذكر * أما الجهة القبلية
وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولا وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضاً فانها كانت قسمين ما حاذي عيكن
اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذي شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل فأما ما حاذي عيكن وهي
المواضع التي تعرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع والقشاشين وقنطرة باب الخرق وما على حافتي الخليج من جانبيه

هكذا يبايض في الاصل

طولا الى الجراء التي يقال لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل في ذلك سويقة عصفور وحرارة الجزيرين وحرارة
 بنى سوس الى الشارع وبركة الفيل والهلالية والمحودية الى الصليبية ومشهد السيدة نفيسة فان هذه الاماكن
 كلها كانت بساين تعرف بجنان الزهرى وبستان سيف الاسلام وغير ذلك ثم حدث في الدولة هنالك حارات
 للسودان وعمر الباب الحديد وهو الذي يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور في الشارع عند رأس
 وحدثت الحارة الهلالية والحارة المحودية وأما ما حاذى شمالا حيث الجامع المعروف
 بجامع الصالح والدرب الاحمر الى قطائع ابن طولون التي هي الآن الرملة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان
 مقابر أهل القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهي التي فيها الخليج الكبير وهي من باب القنطرة الى المقس
 وما جاور ذلك فانها كانت بساين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن فيمر من المقس
 الى المكان الذي يقال له الجرف ويمضي على شمالي أرض البطالة الى البعل وموضع كوم الريش الى المنية
 وموضع هذه البساين اليوم أراضي اللوق والزهرى وغيرها من المحكورة التي في بئر الخليج الغربي الى بركة
 قرموط والخور وبولاق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لا بستان فيه
 والمناظر تشرف على ما في غربي الخليج من البساين التي وراءها ببحر النيل ويخرج الناس فيما بين المناظر والخليج
 للترفيه فيجتمع هنالك من ارباب البطالة واللهم ولا يتحصى عددهم ويمرلهم هنالك من اللذات والمسرات ما لا تسع
 الاوراق حكايته خصوصا في ايام النيل عندما يتحول الخليفة الى اللؤلؤة ويتحول خاصته الى دار الذهب
 وما جاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادرار النعم في تلك المدة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى * وأما
 جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب القنوح وخارج باب النصر أما خارج باب القنوح فانه كان
 هنالك منظر من مناظر الخلفاء وقد امها البستانان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر
 التي تعرف اليوم بالمطرية ومن غربي هذه المنظر في جانب الخليج الغربي منظر البعل فيما بين أرض البطالة
 والخندق وبالقرب منها مناظر الخس وجوه والتاج ذات البساين الانيقة المنصوبة لتزده الخليفة وأما خارج
 باب النصر فكان به مصلى العيد التي عمل من بعضها مصلى الاموات لا غير والفضاء من المصلى الى الريدانية وكان
 بستانا عظيما ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجاني وعمر الناس التراب بالقرب منها
 وحدث فيما خرج عن باب القنوح عمائر منها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهي ما بين السور
 والجبل فانه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تبنى تربة القاهرة من وراء السور لتمنع السيول أن تدخل
 الى القاهرة فصار منها الكيمان التي تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت
 الدولة الفاطمية فسبحان الباقي بعد فناء خلقه

* (ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها) *

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكني للخليفة وحرمة وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن بها ويلتجأ اليها
 وانها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى في خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجاني وسكن
 القاهرة وهي بياض دائرة حاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والمجتمعة والارمن وكل من
 وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمروا ما شاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله فأخذ الناس ما كان
 هنالك من أنقاض الدور وغيرها وعمر وابه المنازل في القاهرة وسكنوها فن حينئذ سكنها اصحاب السلطان الى
 أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي في سنة
 سبع وستين وخمسائة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور وخط من
 مقدار قصور الخلافة واسكن في بعضها وتهدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خطوطا وحارات
 وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل فكان السلطان
 صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل ابوبكر فلما كان الملك الكامل
 ناصر الدين محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب يتحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال
 والجبر الى الرملة تحت القلعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكيز خان في اعوام بضع
 عشرة وسقاية الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد في صفر سنة ست وخمسين وسقاية كثير قدوم المشاركة

الى مصر وعمرت حافى الخليج الكبير ومادار على بركة القيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت سلطنة الملك
الناصر محمد بن قلاوون الثالثة بعد سنه احدى عشرة وسبعمائة واستجبت بقلعة الجبل المباني الكثيرة من
القصور وغيرها حدثت فيما بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان
الاسود وميدان القبق وتزايدت العمارات بالحسينية حتى صارت من الريانية الى باب القنوح وعمر جميع ما حول
بركة القيل والصليبية الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسى وحكر الناس أرض الزهرى وما قرب
منها وهو من قناطر السباع الى منشأة المهرافى ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس
فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ
الناس فيها البساتين العظيمة والمسكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهى من
المواقع التى من باب البحر خارج المقس الى ساحل النيل المسمى بيولاى ومن يولاى الى منية الشيرج ومنه فى
القبلة الى منشأة المهرافى وعمر ما خرج عن باب زويلة يمتد ويسر من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى
المشهد النفيسى وعمرت القرافة من باب القرافة الى بركة الحبش طولاً ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضاً
حتى انه استجبت فى أيام الناصر بن قلاوون بضع وستون حكر اولم يبق مكان يحكر واتصلت عمائر مصر والقاهرة
فصار ابداً واحداً يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق
والخانات والحمامات والشوارع والازقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع
والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخيلان والخزائر
والرياض والمنزهات متصلات بجميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبرا الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ
النيل بالجيزة الى الجبل المقطم وما زالت هذه الاماكن فى كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم
وتختال عجايبهم لما بالغوا فى تحسينها وتأنقوا فى جودتها وتيقها الى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع
وأربعين وسبعمائة فخلاً كثير من هذه المواقع وبقي كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست
وعثمانية وقصر جرى النيل فى مده وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك وشتريقها وقتل أهلها
وارتفاع اسعار الديار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة
الحروب والفتن بين اهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه وتداعى أسفل ارض مصر من البلاد الشرقية
والغربية الى الخراب واتضاع امور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس
وكثرة تنوع المظالم الحادثة من ارباب الدولة بمصادرة الجمهور وتبعية ارباب الاموال واحتجاب ما بأيديهم
من المال بالقوة والقهر والغلبة وطرح البضائع مما يجز فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة باغلى الاثمان
الى غير ذلك مما لا يتسع لاحد ضبطه ولا تتسع الاوراق حكاية كثر الخراب بالاماكن التى تقدم ذكرها وعم
سايرها وصارت كيماء وخرائب موحشة مقفرة بأوهمها اليوم والرخم اومستهدمة واقعة او آيلة الى السقوط
والدثور سنة الله التى قد خلت فى عبادته ولن تجد لسنة الله تبديلاً

* (ذكر طرف مما قيل فى القاهرة ومنزهاتها) *

قال ابو الحسن على بن رضوان الطيب وبلى الفسطاط فى العظم وكثرة الناس القاهرة وهى فى شمال الفسطاط
وفى شرقها أيضاً الجبل المقطم يعوق عن هاريج الصبا والنيل منها البعد قليلاً وجميعها مكشوف للهواء وان كان
عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الافنية بها كارتفاع الفسطاط لكن دونها كثيراً وأزقتها
وشوارعها بالقياس الى أزقة الفسطاط وشوارعها النظف وأقل وسخا وأبعد عن العفن واكثر شرب أهلها من
مياه الابار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيئاً كثيراً وقرب مياه آبار القاهرة
من وجه الارض مع سخاقتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالريح من عفونة الكنف شيئاً وبين القاهرة
والفسطاط بطائح تمتلى من رشح الارض فى أيام فيض النيل ويصب فيها بعض خترات القاهرة ومياه البطائح
هذه رديئة ومخنة أرضها وما يصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط
زائداً فى رداءة الهواء بهما ويطرخ فى جنوب القاهرة قدر كثير فحجارة الباطلية وكذلك يطرخ فى وسط حارة

العبيد الا انه اذا تأملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان أكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة والبحار ينحل منها أكثر وكثير أيضا من اهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة في ايام دخوله الخليج وهذا الماء يستقى بعد مروره بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر الفسطاط والجيزة والجزيرة قطاها أن اصح اجزاء المدينة الكبرى القرافة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الجراء والجيزة وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال وأرق موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو في غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقدس فجاورته للنيل تجعله أرطب * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حلى المغرب عن البيهقي وأما مدينة القاهرة فهي الحالية الباهرة التي تفتن فيها الفاطميون وأبدعوا في بنائها واتخذوها وطنًا لاختلافهم ومركز الاربابها فتسمى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط قال وسميت القاهرة لانها تقهر من شذنها ورام مخالفة أميرها وقد روا أن منها يملكون الارض ويستولون على قهر الامم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدثون به قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها اعظم منها وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيدين وكان ساطانه قد عم جميع طول المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط وخطبه له في البحرين من جزيرة عند القرامطة وفي مكة والمدينة وبلاد اليمن وما جاورها وقد علت كلمته وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر لاسيما وقد عاين مباني أبيه المنصور في مدينة المنصورة التي الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جدته عبيد الله المهدى **لكن** الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهي ناطقة الى الآن بالسن الانار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنين

ان البناء اذا تعاطم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشأن

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة في تلك القصور وقد عاينت فيها النوايا يقولون انه بنى على قدر ايوان كسرى الذي بالمداين وكان يجلس فيه خلفاءهم ولهم على الخليج الذي بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جميلة الانوار وبصرت في قصورهم خيطا ناعيا طاقات عديدة من الكسكس والجبس ذكر لي انهم كانوا يجتهدون تبييضها في كل سنة والمكان المعروف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وعز في عز كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحت فيه الخيل مع الرحالة كان ذلك ما تضيق منه الصدور وتسجن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه امرأ الدولة وهو في موكب جميل وقد لقي في طريقه بحلة بقر تحمل ججارة وقد سدت جميع الطارق بين يدي الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان في موضع طبّاخين والدخان في وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكادت اهلك في جملتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمباني عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسالك الهواء والضوء بينهم ولم أرى في جميع بلاد المغرب أسوء حالا منها في ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدري ويدركني وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين * ومن عيوب القاهرة انها في أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادها ويا كل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقدس وجوها لا يبرح كدرا بساتينه الارجل من التراب الاسود وقد قلت في ساحين اكثر على رفاقي من الخضر على العود فيها

يقولون سافر الى القاهرة * وما لي بها راحة ظاهره

زحام وضيق وكرب وما * تشبهها أرجل السائره

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتقبض نفسه ويفزع أنسه وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطبالة لاسيما أرض القرط والكان فقلت

سقى الله ارضا كلما زرت ارضها * كساها وحلاها بزينة القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط
وفيه خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي
ما زالت الانحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم
وقلت في نوار الكنان على جانبي هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبه بأحضان لها حدق
رأته سيفا عليه للصباشط * فقابلته بأحداق بها أرق
واصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقات من فوقها حلق
فقم وزرها ووجه الافق متضخ * او عند صفرة ان كنت تغتبق
واجبني في ظاهرها بركة القيل لانها دائرة كالدور والمناظر فوقها كالبحر وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل
وتسرح اصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول
انظر الى بركة القيل التي اكتفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هي والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القبر
وتطرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدق فقلت

انظر الى بركة القيل التي نخرت * لها الغزالة نحر من مطالعها
وخل طرفك مجنونا بيهجتها * تم وجدا وحباني بدائعها
والفسطاط اكثر أرزاقا وأرخص اسعارا من القاهرة اقرب النيل من الفسطاط فالمرآكب التي تصل بالبحيرات
تخط هنالك وياع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينة والقاهرة
هي اكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأخفم خانات وأعظم دثارا السكنى الامراء
فيها لانها المخصوصة بالسلطنة اقرب قلعة الجبل منها فأمر السلطنة كلها فيها يسروا كثروا بها الطراز وسائر
الاشياء التي تزين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام
الفسطاط وصيرها سير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضممت اسواقها
وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التي يباع فيها
الفراء والجوخ وما اشبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدرهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من
الدرهم الناصري وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة مع الفقيرين وكان بها في القديم
الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهواء هاردي لا سيما
اذا هب المريسي من جهة القبلة وأيضار مد العين فيها كثير والمعاش فيها متعذرة نزره لا سيما اصناف الفضلاء
وجوامع المدارس قليلة كدرة واكثر ما يعيش بها اليهود والنصارى في كاتبة الخراج والطب والنصارى
بها يمتازون بالزناز في أوساطهم واليهود بعلامة صفراء في عمامتهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس
الجليلة وما كل اهل القاهرة الدميس والصير والحنانة والبطارخ ولا تصنع النيدة وهي حلوة القمح
الابها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طبخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن
في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة
بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيها من الانطاع المستحسن ما يسفر الى الشام وغيرها ولها من الشروب
الدمياطية وأنواعها ما اختصت به وفيها صناعات لقسى كثيرون متقدمون ولكن قسى دمشق بها يضرب المثل
واليها النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام ما يكون من انواع الكمرانات وخرائط الجلد والسيور وما اشبه ذلك
وهي الآن عظمى أهله يجي اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بجملة وتفصيله الا خلق
الكل جل وعلا وهي مستحسنة للفقير الذي لا يخاف على طلب ركة ولا ترسما وعذايا ولا يطلب برفيق له اذا
مات فيقال له ترك عندك ما لفر بما سجن في شأنه او ضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص
الخبز وكثرة وجود السماعات والفرج في ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه

يحكم فيها كيف شاء من رقص في السوق او تجريد أو سكر من حشيشة او غيرها او حبة المردان وما اشبه ذلك
بجلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم
لمعرفتهم بمعاينة البحر فقد علم ذلك من يعرف معاينة البحر منهم ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها بين حالين ان كان
المغربي غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه أنفاسه حتى يقر منها وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجيء
وقت الاسطول وفي القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشأن في الديار المصرية تفضل به كثيرا
من البلاد وفي اجتماع الترحس والورد فيها اقول

من فضل الترحس وهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته الترحس

واكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد
والترجس والتسرين واللينوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال
والكثر ما يعصرون العنب في أرباب النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرأوه عندهم في نهاية الغلاء وعانتها
يشربون المزا لا يبيض المتخذ من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادي المنادي من قبل الوالي
بقطعه وكسر أو اتيه ولا ينكر فيها اظهار أو اتي الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر
ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلي
القاهرة فرأيت فيه من ذلك الجائث وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك في بعض الاحيان
وهو ضيق عليه في الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعة حتى ان المحتشمين والرؤساء
لا يجيزون العبور به في مركب والسرج في جانبه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه اهل الستر بالليل وفي
ذلك اقول

لا تركب في خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام

فقد علمت الذي عليه * من عالم كاهم طعام

صفان للعرب قد أظلا * سلاح ما بينهم كلام

يا سيدي لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

والليل ستر على التصابي * عليه من فضله لنام

والسرج قد بددت عليه * منها دنائير لا ترام

وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام

لله كم دوحه جنينا * هناك اثمارها الاثام

انتهى

وفيه تحامل كثير * وقال زكي الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر في شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة
الى اخيه وهو بدمشق يشوق اليها ويذكر ما فيها من المواضع والمتزهات ويذكر من مصر بقوله فكيف يبقى لمن
حل في جنة النعيم ورياضها ويرتع في ميادين المسرات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى ارض
ليست بذات قرار وبدلوا بجنهم ذات البان المتفاح والورق المتصادح والنشر المتصادح والماء المطلق
المسلسل والتسليم الصحيح العليل جنين ذواتي اكل خط وأثل وشئ من سدر قليل وتقصدتهم يد القضاء
فأخذتهم بالبأساء والضراء واوقعتهم بمصر وشموسها وجميها وغموها وخزونها ووعورها وحرورها
وزفيرها وسعيرها وكيانها ونيرانها وسودانها وفلاحها وملاحها ومشاربها ومساربها ومسالكها
ومهاالكها ومحناتها وعصفورها وبورها وعقورها ومخاوف نوروزها وحرارة تموزها ودارس طولها
ورأس اسطولها وتكرماها وتكدرها واثامها فلوترأهم في أرجائها القصوى كالاباعر الهمل وهم بصطر خون فيها
ربنا أخرجننا عمل صالحا غير الذي كنا عمل * فأجابته من دمشق بكتاب من بجلته على لسان دمشق كأنها
تخاطبه وبأبيها الولد العزيز كيف سمحت فطرتك السليمة ومروءتك الكريمة وميرتك المستقيمة وصبرك المحافظ
ودينك المراقب الملاحظ بدم من جنيت نعمها وسكنت حرمها وقلت مصر وشموسها وسقت عليها القول من كل
جانب واستعرت لها التكدير حتى في المشارب والمسابر وهلاذكرتها وقد باكرها نيل نيل النعيم بمغيشة بليل

التسليم بكاس من تسنيمه وطما البحر عليهم ازاخرافاغناها عن بكاء السحاب وتجهيمه وعم معظم أرضها وعب
عبابه في طولها وعرضها حتى كاد يعلو رفيع قصورها ويتوسر بسورته شاخ سورها ومع ذال تراهم جسورا
على ضعايف جسورها قد طبق التهاثم والانجاد وغرق الآكام والوهاد وعلا على الصعيد والصعاد
وأعاد البر سلطانة بحرا بالازدياد فاذا ارتوى أوام أكاد البلاد وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد
وذهب املاق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهزت وربت وأبنت من كل زوج بهيج بدت روضة
نضرة بأملق مقطعة كزمرذة خضراء بلا آل مرصعة فكم من غدير مستدير كبدر منير ودقيق مستطيل
كسيف صقيل وكمن قلب قلاب بماء كجلاب وكمن عظيم بركة حركها التسليم بلطفه وطيبها عبير
عنبرها فضضها بكفه وزهت بزهورها فغزفها بعرفه وكمن ترى من ملقة لبقه عليها عيون الترجس
محدقة كعجن خد عروس محقة والنوار قد دارت بدم الندى كؤوسه وجالت في مراح الافراح نفوسه
ونجم نجمه وابسم عروسه وسامر الرذاذ المنهل وبأكره الطل فكلله بلؤلؤه وقلده وزاره التسليم المعتل
فأقامه وأقعدته وغرق أرضه وروضة فذهب وفضضه قد ناهت برياضها الغناء وزهت بزخرفها وزينت
الحسناء وامتد بساطها الزمردى وانسط مدادها الزبرجدى فلا يدرك أقصاء ناظر مسافر ولا يحيط
بمنتهاء خيال ولا خاطر فله درها من روضة مزن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وسرم بحر لجج
طيره امن آتاهما حجاج الطير من كل فج عميق ملبس ادعى حسنهما من كل مكان يحق قد امتطى ركبها
متون الرياح وعلا جثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج بالصباح وقطعن اجنح الليل بخفاق الجناح
كأنهن الدراري السواري او المنشآت الجواري او المطايا المهارى

فواصل من جوح وائض نيله * صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء وتحالفن على النعماء والبلاء خرجن مهاجرات من الاوطان ألوفا وقدمن
صافات كالمصلين صفوفا يقدمهن دليل كأنه امام قد قتل طرق الآفاق خيرا واستوى لديه الاضواء
والاظلام أبصر من زرقاء الهامه وأطير من الورقاء والهامه وأهدى من النجم وأشد من السهم يتناجين
بلغات أعجميات مسجحات بالحنان مطربات فظفن في حرمها الآمن واعقرن تلك المحاسن فتراها عند
اقبال نورها وحومها في جوحها ماتت سقيم خطا مستقيما وان كانت تصطف صفاعظما فنها ما يستل
هلالا ومنها ما يحكي نبات نعش حالا ومنها ما ينثني بالاله دالا ومنها ما يحظ فونافونا فيحكي حاجبا مقرونا
ومنها ما يكتب زينا فيعيد هاعينا ومنها ما يصور ميم الهجاء فيشاهد مبسم السماء ومنها ما ياتي زرافات
ووحدا فبيدع في اعجابه حسنا واحسانا فكم من جبل اوزمعلق بالسماء يحلق الى ذلك الماء وأوانس
عريسات انيسات كيسات وصور صور كأمثال حور وطير تلغ مكس بدياج مصبغ وجليل حبرج
كعج متوج وكركي عريض طويل كعير كبير جميل وغرير غز مغرر متغير وسيطر شديد شويطر
وكمن ضخم الدسيعة جوال ككوهي بالقوة المنبعة صوال ورخام مرزم كذى امره مختم وجلالة نسرف
الشائع الذائع والحاضر الواقع أبهى من التسر الطائر والواقع وعظم عقاب تم الحسن بحسنه وكل
الصيد في ضمنه وكمن خضاري وحرمان وبلشون وشهران صنوان وغير صنوان وكمن بط على شط
وخلط وقطقط منقط وغر وغر فوق وكسوغ ممشوق ونورس مستأنس وقدام ثلاث بين الآفاق
وتكللت بنجومهن الاملاق وشربن من جريالها فأسكرهن الاصطباح والاعتباق فكم من مسود كخال
يخت وأزرق كلازورد وأشقر كرهورد وأحمر ناصع وأصفر فاقع وأبيض ذى خضاب عندي بلطيف
منقار يقي ومبرقش ومبقع ومعجم ومقنع وأشقر منقش وارقش مرشش وعودى وهندى وصيني
مسنى وعينين كقوتين قدر صغتا بلين وكمن طائر ابهى من قمر سائر يفرق مثل صبح سافر فتراهن
في الماء صهوتا وقوفا صفوفا عكوبا كصور أصنام او بحارة مبددة في آكام وكمن اطياف طراف ملاح
لطف ذوات الحنان ونضرة ألوان وخلق وأخلاق ونطق وأطواق وائناس مع شماس قد ازدانت
الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وأعجائب صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب وتجلت بأجل الخلايب
وابدعت في صور الاحسان وتصورت في بدائع الالوان فابدت زرقاء في زهر كأنها مذهبة بأزهار بلسانها

مفضضة بنجوم الخوانها خلعت السماء عليها خلعة جيل أردانها واذا فاح نشر نوارق رطها شممت المسك
 الذكي من مرطها ورأيت لآتي سمطها مبسوط على خضربسطها ومغالاتها بغالية نور فولها وهزاتها
 اذارفل النسيم في ذيلها قدر صعت اغصانه بقصوص لجينها ونقطته من حسن اسوداعينها فعيونه كعيون
 غزلانها في قسكها وأحداقه كأحداق ولدانها من تركها وكملها من طرة معتبرة وجبهة منقورة ووجنة
 من عفرة وملاءة منشورة معصفرة وخدم وورد وطرف مهند ولماها صبيغ من عقيق الشقيق وسكرها
 من ذلك الريق على التحقيق واين بزوغ بشنينها وامتداد يقطينها واين حلاوة عرائس ثخلاتها وطلاوة
 أوانس قاماتها بمشابهتها في صفاتها وغرائس فسيلاتها واين تضيد طلوعها وحيد فرعها ومديد
 جذعها وفترجارها عن غرة جبارها واخضرار اكمامها واحرار لثامها وبنان بسرها المطرف وبنان
 نشرها المشرف وانتظام سرورها بابتسام منقورها وورد واديها ومنجنها وندي ندها وقرحناها
 وآتي آسها وطبيب طب انفسها وتبرجها بأترجها وتبرجها بنارنجها وتختمها بمختمها
 وتبسمها عن بلسمها وتشقق أبرادها عن نهود بكادها وتضاعف أرجها بمضعف بتفججها وحلاوة
 مقدارها اذا فحت أزرارها عن جل نارها وطيب شمسها من اشموها ونسيها ووسمها بأوسمها
 وجنان قلوبها وخرمان قلوبها وأحواضها بيهنيها ورياضها وطربتها بطربتها ونفيس انفسها بمقسها
 وغريب غرسها بيلقسها وعظيم آسها بمعلق مقباسها وكريم تحيته من قبل المين هبوب أنفاسها واجتماع
 اسعداها وارفعاع رصدها وسواقيها الحنانة في سجعها الهتانة بسككها من دمعها وجنة لوقها ولجة
 بولاقها وبركة فيلها من بركة نيلها وجزيرة ذهبها وقلعة الجزيرة بذهبها من عجبها حكمت فلكها في بحرها
 واحكمت مملكته في بترها وعظم جللها بقلعة جبلها واعتلاء أعلامها ببناء أهرامها واذا نظرت الى
 سعود صعودها الى سعيد صعيداها واعتباطها بانخطاطها الى صوب سكندريةها ودمياطها ألهمت عن
 حسن الثريا ومناطها ولاتنس الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام التي تسبق عند طيبات الرياح مقفوقات
 السهام وأعجابها بغربانها البحرية وحرافات الحريسة وشوانها وهول مبانها وجلال شكلها وجمال
 معانيها تدوم وشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الانخر فهي كالارقم المنمر او كملون الثمر او الطاوس
 الذكر والناسور ابني الاصفر معمرة بياس الحديد والاحجار محمولة على سيج الماء التيار مشحونة
 بالرجال منصوره عند القتال مصونة بالجن والنبال تبرز مذكرة بالآية النوحية وتضمن احرار الهمة العلمية
 الفتحية حصون امنع من اعز قلاع نظير اذا فتح لها جناح القلاع فتسبق وفدا ربح عند الاسراع وتفوق
 سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان في النيق حوم وهن مع البنيان في البحر عوم لواقسم من
 رآها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحيها لبر في يمينه التي اقسم وتلاها وكمن مركب
 لحسنه معجب وكمن سفين قوي أمين وخضاري جليل وعشاري طويل ومسماري طويل جميل
 وفستراوي عكاوي ولكة ودرمونه ومعدية مكينه وساور دقيق وشختور رشيق وقرقر رشيق
 وزورق ذي زواريق وطريدة بجيل الطراد معمورة دهماء بحمل الجساد والاجناد مشهورة ومخلوف
 في الاتفاق بالمعروف معروف وما حل بستان رطبها الخضب ورشيق قامة قصها المقصب وبهجة فوزها
 بطلموزها وخضر أعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقتها فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها امراما
 ولا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيهها كلاما فنسأل الله تعالى أن يكتفها بركته الذي لا يرام ويحرسها بعينه
 التي لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس شهاب الدين احمد بن محي الدين يحيى بن فضل الله العمري كاتب السر

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر

في كل سفح يلتقي * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يشوق الى مصر وقد خرج عنها في سنة ست وثمانين وثلاثمائة
 من قصيدة

هل الريح ان سارت مشرقة تسري * تؤدّي تحياني الى ساكني مصر

فما خطرنا الا بكيت صباية * وجلتها ما ضاق عن جلله صدرى

لاني اذا هبت قبولا بنشرهم * شمعت نسيم المسك من ذلك النشر
فكم لي بالاهرام اوديرنية * مصايد غزلان المطايد والقفور
الى جزيرة الدنيا وما قد تضمنت * جزيرتها ذات المواخر والجسر
وبالمقس والبستان للعين منظر * انيق الى شاطئ الخليج الى القصر
وفي بئر دوس مستراد وملعب * الى دير مر حننا الى ساحل البحر
فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النضراء من زهر نضير
تراها كمرأة بدت في رقارف * من السندس الموشى تنشر للبحر
وكم ليلة لي بالقرافة خلتها * لما نلت من لذاتها ليلة القدر

وقال احمد بن رستم بن اسفهلار الديلي يخاطب الوزير نجم الدين ابايوسف بن الحسين المجاور وتوفي في رابع
عشر ذي الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حي الديار بشاطئ مقياسها * فالقسم القياح بين دهاها
فالروضتين وقد نضوع عرفها * ارج البنفسج في غضارة آسها
فنازل العين المنيفة أصبحت * يغنى سناها عن سنانبراسها
فخليجها لذاته مطلوبة * تسمو محاسنه علاباناسها
حافاته محفوفة بمنازل * نزلت بها الا رام دون كاسها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازي المعروف بامام منكلي بغا

حيما الحيا مصرا وسكانها * وبأكر الوسمي كشيانها
وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
معاهد بالانس معمورة * لم انس مهما عشت احسانها
كم ايقظتني في ذراد وخها * بحمام لا تفقه ألحانها
وكم نعيم قد تخيلته * فيها وكم غازات غزلانها
وعاينت عيني بها اغيدا * منعس المقلة وسنانها
تسبح بالفتية الحانها * كان من بابل شيطانها
وكم شجت قلبي بها عادة * قد كذبت بالغنج أجفانها
اذا دعت صبا الى حياها * لا يستطيع الصب عصيانها
وكم ليال لي بها قدمضت * تسحب بالاجباب أردانها
والهف نفسي كيف شطت بها * حوادث قوضن بستانها
فارقها لآعن قلبي صدني * عن افراق الروح جسمانها
واعترضت عن غزلانها والمها * نجاج جيرون وثيرانها
ياسائي عن حالي بعدها * ها انا اذا أذكر عنوانها
ما حال من قارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
تقاب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
والعين لا تنفك من عبدة * ترسل فوق الخلد طوفانها
ياسائق النوق يث الثرى * كمثل بث السحب تهمانها
حي ربا مصر وجنانها * وحورها العين وولدانها
ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصرها ومسدانها
وأرضها الخصب أرجاؤها * ويلها الزاهي وخبجانها
والروضة الفيحاء تلك التي * تجلو عن الانفس أحرانها
ومنية السيرج لا تنسها * وقرطها الاحوى وكنانها

والساج والنجس وجوه التي * اضجت من الاعين انسانها
وحى يابرق وجد بالحيا * جزيرة الفيل وغيطنها
وبانها الغض ونسرينها * ووردها البكر وربحانها
وظلها الصافي وأزهارها * وماءها الصافي وغدرانها
والمعهد المأنوس من ربها * وحى أهلها وسكانها
لم انس لا انسى اصطباحتها * ولا اعتبنا قاتق وابانها
ولا اويقات التصابي ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
ايام لا انفك من صبوة * اهوى اللذات واعلانها
اخطريتها في رياض الصبا * مرغ الاعطاف كسلانها
وخيل لهوى في ميادينها * تجرجر الصبوة أرسانها
ودوحى ناضرة غضة * تمطف ربح اللهو أغصانها
حاشى أن انقض عهد الها * حاشى أن اصبح خوانها
حاشى أن أهجرها قاليا * حاشى أن احدث سلوانها
حاشى أن أرضى بدلائها * ووابى الشام وقيعانها
وماءها النج وحصباءها * وحجرها الصلد ومصوانها
قد تافت النفس الى الفها * وحنت الاشواق أطعانها
واذكرت في البعد أحبابها * فهيج التبريح أشجانها
وما لها غيرك من ملجأ * يا أوحدا الدنيا وانسانها

* (ذكر ما قبل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها) *

قال العارف محي الدين محمد بن العربي الطائي الحاتمي في الملحمة المنسوبة اليه قاهرة تعمرفي سنة ثمان وخسين وثلاثمائة وتخرب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم اعرف تصنيف من هو فانه لم يسم في النسخة التي وقفت عليها وهو شرح لطيف قليل الفائدة فانه ترك كلام المصنف فيما ضي على ما هو معروف في كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة ما يستقبل اكثر من المعرفة بحال ما مضى لكن اخبرني غير واحد من الثقات انه وقف لهذه الملحمة على شرح كبير في مجلدين قال هذا الشارح كانت بداية عمارة القاهرة والنيران في شرفهما الشمس في برج الحمل والقمر في برج الثور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها اربع مائة واحد وستون سنة قال في الاصل واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بمصر وقل اغنياءهم وكثر فقراءهم ويكون الموت فيهم ويخرج اهل برقة عن أوطانهم لاسيما اذا قارن زحل الجوزاء فان الحال يكون أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك في سنة اربع وستين وستمائة في ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوق الغلاء وفي آخر سنة اربع واول سنة خمس وتسعين وستمائة في ايام الملك العادل كتبغا حل زحل في برج الجوزاء وكان معه الجوزاء فكانت أشد وأقوى وكثر الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ما هم فقال قوم مسلمون يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الحدود والواجبات ويقاتلون في سبيل الله اعداء الله فليل له انطول مدتهم قال لا تطول مدتهم قيل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فخره حركة شديدة فتكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذر بني من القران العاشر * وارحل بأهلك قبل نقر الناقور

قال الشارح اول القران العاشر في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بارض مصر وهذا يوافق ما في القول عن القاهرة وتخرب في سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعني بداية الخطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التي فيها القران العاشر ويثبت في عشرين سنة التي هي ايام القران وقد ذكر في الربع

الآخر أربع مائة واحد وستين سنة وقد تخيلت انها مدة عمر القاهرة فاذا زدتها على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفي ذلك الوقت يكون زوالها وهو ما بين سنة ثمانين وسبعمائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قحط عظيم وقلة خير وكثرة شر حتى تقترب ويضعف اهلها قال قران زحل والمزيج في برج الجدي يكون في سنة سبعين وسبعمائة قعدة لكل مائة سنة من سفي الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيد على سبعمائة وسبعين سنة تبلغ سبعمائة وثلاثا وتسعين سنة ففي مثلها من سفي الهجرة يكون اول اوقات خراب القاهرة انتهى * وتهذيب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء اتضعت احوال مصر وقلت اموالهم وكثر الغلاء والغناء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحو من ثلاثين شهرا وانت اذا اعتبرت امور العالم وجدت الحال كما ذكرنا فانه كلما حل زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر وذكر ان القران العاشر تنضع فيه احوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القران العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبعمائة ومدة ستمائة وعشرون سنة شمسية آخرها سبع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفي هذه المدة اتضع حال القاهرة وأهلها اتضاع قبيحا ومن الاوقات المحذورة لها أيضا اقتران زحل والمزيج في برج السرطان ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية ويقتربان في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفي مدته تنقضي الاربع مائة والاحدى والستون سنة التي ذكرناها عمر القاهرة في سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه اهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعى الدور للسقوط وشمول الخراب اكثر معمور القاهرة واختلاف اهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت عن يرجع اليه في مثل ذلك أن العمارة تنتقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هناك مدينة والله تعالى أعلم

* (ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن) *

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدئ بذكر شوارعها ومسالكها المسلول منها الى الازقة والحدائق لتعرف بها الحدائق والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قصبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه باب الخرنفش او الخرنشف ومن باب الخرنفش ينفرق من هنالك طريقان ذات اليمين ويسلك منها الى الركن المخلوق ورحبة باب العيد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع الاقرو والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتداء السالك بالدخول من باب زويلة فانه يجد عينة الزقاق الضيق الذي يعرف اليوم بسوق الخلعين وكان قديما يعرف بالخشاين ويسلك من هذا الزقاق الى حارة الباطلية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يسره سجن متولى القاهرة المعروف بخزانة شمائل وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه حمام الفضل المعقدة لدخول الرجال وعلى يسره تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصري الى أن ينتهي بين الحوائيت والرباع فوقها الى بابي زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقدة أحدهما ويعرف الآن بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسره الزقاق المسلول فيه الى سوق الحدادين والجيارين المعروف اليوم بسوق الانماطين وسكن الملاهي والى المجودية والى سوق الاخفافين وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والقمامين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن بسام بن فوح وهو في وسط سوق الغربايلين والمناخلين ومن معهم من الضيبيين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراطين ويعرف اليوم بالشواين وفي هذا السوق على يمينه الجامع الظافري المعروف بجامع الفكاكين وبجانبه الزقاق المسلول منه الى حارة الديلم وسوق القفاصين وسوق الطيورين والاكفانيين القديمة المعروفة الآن بسكنى دقاقى الثياب ويجد على يسره الزقاق المسلول منه الى حارة الجودرية ودرب كرامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى سوق القمامين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطنين وسكنى الاساكفة والى بابي قيسارية جهار كس وعن يسره قيسارية الشرب ثم يسلك

أمامه إلى سوق الشرايين المعروف قديماً بسكن الحباليين وعن يمينه درب قيطون ثم يسلك أمامه شافى
سوق الشرايين فيجد عن يمينه قيسارية أمير على ويجعد عن يسره سوق الجمالون الكبير المسلول فيه إلى
قيسارية ابن قريش وإلى سوق العطارين والوراقين وإلى سوق الكفتين والصارف والاختافيين وإلى بئر زويلة
والبندقانيين وإلى غير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه إلى سوق القزائين الآن وكان يعرف
أولاً بدرب البيضاء وإلى درب الاسواني وإلى الجامع الأزهر وغير ذلك ويجعد عن يسره قيسارية بن اسامة
ثم يسلك أمامه شافى سوق الجوخين والجميين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن يسره قيسارية
ثم يسلك أمامه إلى سوق السقطيين والمهاجرين فيجد عن يمينه درب الشمسي ويقابل باب قيسارية الأمير علم الدين
الخطاط وتعرف اليوم بـقيسارية العصفور ثم يسلك أمامه شافى السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلول
فيه إلى سوق القشاشين وعقبه الصباغين المعروف اليوم بالخرطاطين وإلى سوق الخمين وإلى الجامع الأزهر وغير
ذلك ويجعد قبالة هذا الزقاق عن يسره قيسارية العنبر المعروفة قديماً بجبس المعونة ثم يسلك أمامه فيجد على يسره
الزقاق المسلول فيه إلى سوق الوراقين وسوق الحرير بين الشرايين المعروف قديماً بسوق الصاغة القديمة وإلى
درب شمس الدولة وإلى سوق الحريرين وإلى بئر زويلة والبندقانيين وإلى سوق الصاغة والحرارة الوزيرية وإلى
باب سعادة وغير ذلك ثم يسلك أمامه شافى بعض سوق الحريرين وسوق المتعشين وكان قديماً سكنى الدجاجين
والكهكيين وقبل ذلك أقلا سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصناديق وكانت قديماً تعرف بفندق
الدبابلين ويجعد عن يسره مقابله دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة
السيوفية لأنها كانت في سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه في سوق السيوفيين الذي هو الآن سوق المتعشين
فيجد عن يمينه خان مسرور وحرق الرقيق ودكة المماليك بينهما ولم تزل موضعا للجلوس من معرض من المماليك
الترك والروم ونحوهم للبيع إلى أوائل أيام الملك الظاهر بقوق ثم بطل ذلك ويجعد عن يسره قيسارية الرماحين
وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يسره الزقاق والسباط المسلول
فيه إلى حمام خشبية ودرب شمس الدولة وإلى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام وإلى حارة زويلة وغير
ذلك ويجعد بهذا الزقاق قريبا منه في صفه درب السلسلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديماً في أيام
الدولة الفاطمية مرأحا واسعا ليس فيه عمارة البتة يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى
الخليفة أحدهما شرقي وهو القصر الكبير وكان على يمينه السالك من موضع خان مسرور طابا باب النصر وباب
الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية وما في صفها من الحوانيت
والرباع إلى رحبة العيد وما وراء ذلك إلى البرقية ويقابل هذا القصر الشرقي القصر الغربي وهو القصر الصغير
ومكانه الآن المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس والحوانيت إلى تجاه باب الجامع الآخر فإذا
ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور فإنه يجعد على يسره درب السلسلة ثم يسلك أمامه
فيجد على يمينه الزقاق المسلول فيه إلى سوق المشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التي للحنفية والحنابلة وإلى
الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلول فيه إلى خط الزرا كشة العتيق حيث خان الخليلي وخان منجك
وإلى الخوخ السبع حيث الآن سوق الأبارين وإلى الجامع الأزهر وإلى المشهد الحسيني وغير ذلك ثم يسلك
أمامه شافى سوق السيوفيين الآن فيجد على يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين النقلين ظاهر
سوق الكتبيين الآن وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديماً مطبخ القصر قبالة باب
الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه
القبعة الصالحية ويجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويجعد على يساره باب المارستان المنصوري وفي داخله
القبعة المنصورية التي فيها قبور الملوك وتحت شبائيكها دكاكين القفصيات التي فيها الخواتيم ونحوها فيما بين القبعة
المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفي داخله أيضا المدرسة المنصورية وتحت شبائيكها أيضا دكاكين
القفصيات فيما بين شبائيكها وشبائيك المدرسة الصالحية التي للشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار
قبة الصالح وفي داخله أيضا المارستان الكبير المنصوري المتوصل من باب سره إلى حارة زويلة وإلى الخرنشف
وإلى الكافوري وإلى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمينه سوق السلاح والنشابين

هكذا يبايض
بالاصل

الآن تحت الربع المعروف بوقف امير سعيد ويجدد على يسرته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية
 ثم يسلك امامه فيجد على يمينه خان يشترك وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج ويجدد على يسرته
 المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية وكانت قبل انشائها مدرسة فندقا يعرف بخان الزكاة
 ثم يسلك امامه فيجد على يمينه باب قصر يشترك ويجدد على يسرته المدرسة الكاملة المعروفة بدار الحديث
 وهي ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة ثم يسلك امامه فيجد على يمينه الزقاق المسلول فيه الى بيت امير سلاح
 المعروف بقصر امير سلاح وهو الامير فخر الدين بكاش الفخري الصالحى النجوى والى دار الامير سلا رنائب
 السلطنة والى دار الطواشي سابق الدين ومدرسته التى يقال لها المدرسة السابقة وكان فى داخل هذا
 الزقاق مكان يتوصل اليه من تحت قبو المدرسة السابقة يغرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها
 اليوم دارا واحدة انشاء الامير جمال الدين الاستاد اركان تجاه باب المدرسة السابقة ربع تحته قرن ومن ورائه
 عدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة فهدم الامير جمال الدين المذكور الربع وما وراءه وحفر فيه صهريجا
 وانشأ به عدة آدرهى الآن جارية فى اوقافه وكان يسلك من باب السابقة على باب الربع والقرن المذكورين
 الى دهليز طويل مظلم ينتهى الى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ومنه يخرج السالك الى رحمة باب العيد
 والى الركن المخلق فهدمه الامير جمال الدين وجعل مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام
 اليسرى دربا فى داخله دروب ليصون امواله وانقطع التطرق من هذا الزقاق وصار دربا غير نافذ ويجدد السالك
 عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار دربا مدربا باب قصر اليسرى وقد بنى فى وجهه حوائت بجانبها حمام اليسرى
 ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور الى طريقين احدهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات
 اليسار فانه تسمى القصبة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الامير يسرى فانه يجد على يسرته باب
 الخرنشف المسلول فيه الى باب ستر اليسرى والى باب حارة برجوان الذى يقال له ابوتراب والى الخرنشف
 واصطبل القطبية والى الكافورى والى حارة زويلة والى البندقاين وغير ذلك ثم يسلك امامه فيجد سوقا يعرف
 آخر بالوزاين والدجاجين يباع فيه الاوز والدجاج والعصافير وغير ذلك من الطيور وادركناه عامرا سوقا
 كبيرا من جملة دكان لا يباع فيها غير العصافير فيشتريها الصغار للعب بها وفى هذا السوق على يمينه السالك
 قيسارية يعطونها ربع كانت مدة سوقا يباع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جملة اوقاف المارستان
 المنصورى فهدمها بعض من كان يتحدث فى نظره عن الامير ايتش فى سنة احدى وثمانمائة وعمرها على ما هى
 عليه الآن وعلى يسرة السالك فى هذا السوق ربع يجرى فى وقف المدرسة الكاملة وكان هذا السوق يعرف
 قديما بالتباين والقماحين ثم يترسلك امامه فيجد سوق الشماخين متصلا بسوق الدجاجين وكان سوقا كبيرا
 فيه صفان عن اليمين والشمال من حوائت باعة الشمع ادركته عامرا وقد بقي منه الآن يسير وفى آخر هذا السوق
 على يمينه السالك الجامع الاقر وكان موضعه قديما سوق القماحين وقبالة درب الخضرى وبجانب الجامع
 الاقر من شرقه الزقاق الذى يعرف بالمحارين ويسلك فيه الى الركن المخلق وغيره وقبالة هذا الزقاق بئر الدلاء
 ثم يسلك المار امامه فيجد على يمينه زقاقا ضيقا ينتهى الى دور ومدرسة تعرف بالشرايشية يتوصل من باب سرتها
 الى درب الاصفر تجاه خانقاه بيرس ثم يسلك امامه فى سوق المتعشين فيجد على يسرته باب حارة برجوان
 ثم يسلك امامه شاقا فى سوق المتعشين وقد أدركته سوقا عظيما لا يكاد يعدم فيه شئ مما يحتاج اليه
 من الماء كولات وغسرها بحيث اذا طلب منه شئ من ذلك فى ليل او نهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه الا
 اليسير وكان هذا السوق قديما يعرف بسوق امير الجيوش وبآخره خان الرقاسين وهو زقاق على يمينه
 السالك غير نافذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك الى باب الفتوح شارع يسلك فيه الى سوق يعرف
 اليوم بسوق امير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ويسلك من هذا السوق الى باب القنطرة
 فى شارع معمر وبالحوائت من جانبه ويعطونها الرباع وفيما بين الحوائت دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك
 امامه من رأس سوق امير الجيوش فيجد على يمينه الجولون الصغير المعروف بمجملون ابن صيرم وكان مسكنا
 للبرازين فيه عدة حوائت عامرة باصناف الشباب ادركته عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة
 الصيرمية وفى آخره باب زيادة الجامع الحاكمى وكان على بابها عدة حوائت تعمل فيها الضرب التى

برسم الابواب ويخرج من هذا الجولون الى طريقين احدهما يسلك فيها الى درب القرنجية والى دار الوكالة
 وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية ثم يسلك امامه فيجد على يمينه
 شبالة المدرسة الصيرمية ويقابل به باب قيسارية خوند اردكين الاشرقية ثم يسلك امامه شاقا في سوق المرحلين
 وكان صفين من حوائط عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه في ترحيل الجمال وقد خرب وبقي منه قليل وفي هذا
 السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحجارة الوراقة وفيه احد ابواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن
 وكان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية ثم يسلك امامه فيجد على يمينه احد ابواب الجامع الحاكمي وميضاته
 ويجد باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقدته وثني من عضادته وبجوارها شارع على يسرة السالك يتوصل
 منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك امامه شاقا في سوق المتعشين فيجد على يمينه بابا آخر من ابواب
 الجامع الحاكمي ثم يسلك امامه فيجد عن يسرته زقاقا سباطا ينفذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن
 ثم يسلك امامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمي الكبير ويجد عن يساره فندق العادل ويشق في سوق عظيم
 الى باب الفتوح وهو آخر قسبة القاهرة وأما ذات العين من شارع بين القصرين فان المارة اذا سلك من الدرب
 الذي يقابل حمام البيسرى طالبا الى الركن المخلق فانه يشق في سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن المخلق
 ويباع فيه الآن النعال وبه حوض في ظهر الجامع الاقصر لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبي ويقابل به
 مسجد يعرف بمراكم موسى وينتهي هذا السوق الى طريقين احدهما الى بئر العظام التي تسميها العامة
 بئر العظيمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقصر والحوض المذكور بالركن المخلق ويسلك منه الى الحماير بين والطريق
 الاخرى تنتهي الى الفندق المعروف بقيسارية الجلود ويعلموا ربع انشأت ذلك خوند بركة ام الملك الاشرف
 شعبان بن حسين وبجوار هذه القيسارية بقايا عظيمة قد سترت بحوائط يتوصل منها الى ساحة عظيمة هي من
 حقوق المنكر كانت خوند المذكورة قد شرعت في عمارتها قصرها لها فماتت دون اكماله ثم يسلك امامه فيجد
 الرباع التي تعالوا الحوائط والقيسارية المستجدة في مكان باب القصر الذي كان ينتهي الى مدرسة سابق الدين
 وبين القصرين وكان احد ابواب القصر ويعرف بباب الريح وهذه الرباع والقيسارية من جملة انشاء الامير
 جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوائط ورباعا فهدمها وانشأها على ما هي عليه اليوم ثم يسلك امامه
 فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خان او ظاهره حوائط فبنى مكانها مدرسة
 وحوضا للسيل وغير ذلك ويقال لهذه الاماكن رحبة باب العبد ويسلك منها الى طريقين احدهما ذات
 العين والاخرى ذات اليسار فاما ذات العين فانها تنتهي الى المدرسة الحجازية والى درب قراصيا والى حبس
 الرحبة والى درب السلامي المسلول منه الى باب العبد الذي تسميه العامة بالقاهرة والى المارستان العتيق
 والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سر المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب
 السلامي هذا في رحبة باب العبد الى السفينة وخط خزانة البنود ورحبة الايدمرى والمشهد الحسيني ودرب
 الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقية والباب المحروق والباب الحديد
 واما ذات اليسار من رحبة باب العبد فان المارة يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى
 باب الخانقاه المعروفة بدارسعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه الى خرائب تتر
 والى خط الفقهاء دين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك امامه فيجد عن يمينه المدرسة القراستنقرية وخانقاه
 ركن الدين بيبرس وهما من جملة دار الوزارة وما جاور الخانقاه الى باب الجوانية وتجاه خانقاه بيبرس الدرب
 الاصفر وهو المنخر الذي كانت الخلفاء تنحرفه الاضاحي ثم يسلك امامه فيجد على يمينه دار الامير قزمان
 بجوار خانقاه بيبرس وبجوارهما دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند
 طولوباي زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وبجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع
 هذا من دار الوزارة ويجد على يسرته درب الرشيدى تجاه حمام الاعسر المسلول فيه الى درب القرنجية
 وجولون ابن صيرم ثم يسلك امامه فيجد على يمينه الشارع المسلول فيه الى الجوانية والى خط الفقهاء دين والى
 درب ملوخيا والى المعطوفية وقد خربت هذه الاماكن ويجد على يسرته الوكالة المستجدة من انشاء الملك
 الظاهر برقوق ثم يسلك امامه فيجد على يسرته زقاقا يسلك فيه الى جولون ابن صيرم والى درب القرنجية ثم يسلك

أمامه فيجد على يمينه دار الأمير شهاب الدين أحمد ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاوون ودار الأمير علم الدين سنجر الجاولي وهما من حقوق الحجر التي كانت بهما ملك الخلفاء وأجناسهم ويجدد على يسره وكالة الأمير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل باب قاعة الجاولي خان الجاولي وبعدها باب النصر القديم وادركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي وقد زال ويسلك منه إلى رحبة الجامع الحاكبي فيجد على يمينه المدرسة القاصدية وعلى يسره بابي الجامع الحاكبي وتجاه أحدهما الشارع المسلول فيه إلى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاكبي ينتهي إلى باب النصر فيما بين حوانيت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف أن شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الأماكن وما صارت إليه وذكر التعريف عن نسبت إليه أو عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقات وأخبرني بذلك من أدركته من الشيخة وما شاهدته من ذلك سالكاً فيه سبيل التوسط في القول بين الأكثر والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

(ذكر سور القاهرة)

اعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات الأولى وضعه القائد جوهر والمرة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجالي في أيام الخليفة المستنصر والمرة الثالثة بناء الأمير الخصى بهاء الدين قراقوش الأسدي في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة * السور الأول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك أنه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بعساكره وقصد إلى مناخه الذي رسمه له مولاه الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد واستقرت به الدار أخط القصر وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الأساس في الليل فأدار السور اللبن وسماها المنصورية إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر ونزل بها فسمها القاهرة ويقال في سبب تسميتها أن القائد جوهر لما أراد بناءها حضر النجيين وعرفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقم بهم الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلمهم أبداً فاختاروا طالعاً لوضع الأساس وطالعاً لحفر السور وجعلوا بدار السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس وقالوا للعمال إذا تحركت الأجراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوقوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق أن غراباً وقع على حبل من تلك الحبال التي فيها الأجراس فتحركت كلها فظن العمال أن النجيين قد حركوها فالتقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبشوا فصاح المنجمون بالقاهرة في الطالع فحضر ذلك وفاتهم ما قصدوه ويقال إن المترشح كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة واقتضى ثلثهم أنها لا تزال تحت القهر وأدخل في دائرة هذا السور بئر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاه المعز والقصر بترتيب ألقاه إليه المعز ويقال إن المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال لجوهر لما فأنك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل يعني سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة ورتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء بحيث لا تراهم إلا عين في النقلة من مكان إلى مكان وجعل في ساحاته البحرة والمسدان والبستان وتقدم بعمارة المصلي بظاهر القاهرة وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً وآخر ما رأت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمائة فشهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا حتى إن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع وعرض جدار السور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيداً عن السور الحجر الموجود الآن وبينهم ما نحو الخمسين ذراعاً وما أحسب أنه بقي الآن من هذا السور اللبن شيء * (وجوهر) هذا المملوك روى ربه الوزارة فصره قائد جيوشه وبعثه في سفر مناهج عساكر عنده في سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصار في رتبة الوزارة فصره قائد جيوشه وبعثه في سفر مناهج عساكر كثيرة فيهم الأمير زيري بن مناد الصنهاجي وغيره من الأكابر فسار إلى تاهرت وأوقع بعدة أقوام وافتتح مدناً وسار إلى فاس فنازلها مدة ولم يزل منها شيئاً فرحل عنها إلى سجلماسة وحارب تائراً فأسره بها وانتهى في مسيره إلى

البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه في قلة ماء الى مولاه المعز واعلم انه قد استولى على ما تربه من المداثر والام حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عاد الى فاس فألح عليه بالقتال الى أن اخذها عنوة واسر صاحبها وحمله هو والتاير بسجل ماسة في قفصين مع هدية الى المعز وعاد في أخريات السنة وقد عظم شأنه وبعده صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لاخذ مصر وتبأ أمرها فقدّم عليها القائد جوهر اوبر الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة ألف فارس وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه في كل يوم ويخلو به واطلق يده في بيوت امواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوما فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالاردية من غير حرب ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الارحية وجعلها مع جوهر على الجبال ظاهرة وأمر اولاده واخوته الامراء وولى العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله بأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا ومشاة في خدمته فلما قدم برقة اقدم صااحبها من ترجمه ومشييه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهباً فأبى جوهر الا أن يمشي في ركابه ورد المال فشى ولما رحل من القيروان الى مصر في يوم السبت رابع عشر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أنشد محمد بن هاني في ذلك

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع * وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كان الافق سداً بمنله * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر اذ ودعت كيف أودع * ولم ادر اذ شيعت كيف اشييع
الا ان هذا حشد من لم يذقله * غرار الكرى جفن ولا بات يجمع
اذا حل في ارض بناها مدائننا * وان سار عن ارض غدت وهي بالقع
تعمل بيوت المال حيث يحمله * وجتم العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله اذ بدا * وظل السلاح المتسفي يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله * ورق كمارق الصباح الملع
رحلت الى القس طاط أول رحلة * بأعين قال بالذي انت تجمع
فان يك في مصر ظمأ لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويمهم من لا يغار بنعمة * فيسلهم لكن يزيد فيوسع

ولما دخل الى مصر واخط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هاني

تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

ولم يزل معظمها مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجل من جوهر فلما قدم معه الى مصر سبره جوهر الى بلاد الشام في العساكر فأخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن طنج وسار الى طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شغفت نفسه عن مكاتبة جوهر فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب سراً من جوهر يذكر فيها طاعته ويقع في جوهر ويصف ما فتح الله للمعز على يده فغضب المعز لذلك وردت كتبه كما هي محتومة وكتب اليه قدأخطأت الرأي لنفسك نحن قدأنفذناك مع قائدنا جوهر فاكذب اليه فما وصل منك الينا على يده قرأناه ولا تتجاوز به بعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذي اردته وان كنت اهل عندنا ولكنا لانستفد جوهر امع طاعته لنسافر اذ غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله نجدة خوفاً أن لا ينجده بعسكر وأقام مكانه لا يكتب جوهر بشيء من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن احمد القرمطي وكان من أمره ما قد ذكر في موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق هفتسكين الشراي من بغداد نذب العزيز بالله جوهر القائد الى الشام فخرج اليها بجنائز السلاح والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة فأقام عليها وهو يحارب اهلها الى أن قدم الحسن بن احمد القرمطي من الاحساء

الى الشام فرحل جوهر في ثالث جمادى الاولى سنة ست وستين فتنزل على الرملية والقرومطى في اثره فهلاك وقام
من بعده جعفر القرمطى فخارب جوهرا واشتد الامر على جوهر وسار الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى
بالغ من الجهد مبلغا عظيما فصالح هفتكين وخرج من عسقلان الى مصر بعد ان اقام بها وبظاهر الرملية نحو امان
سبعة عشر شهرا فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما نظر العزيز بهفتكين واصطنعه في سنة ثمانين
وثلاثمائة واصطنع منجوتكين التركي ايضا اخرجه راكبا من القصر وحده في سنة احدى وعشرين والقائد
جوهروا بن عمار ومن دونهما من اهل الدولة مشاة في ركابه وكانت يد جوهر في يد ابن عمار فزفر ابن عمار زفرة
كاد ان ينشق لها وقال لاحول ولا قوة الا بالله فترج جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا ابا محمد ائبت من هذا
فظهر منك انكار في هذا المقام لاحد ثنك حديثا عسى يسليك عانت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد
غري لما خرجت الى مصر وانفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل في يدي آخرون اعتقلتهم وهم ينف على
ثلاثمائة اسير من مذكورهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر علمته بهم فقال اعرضهم على واذكر
في كل واحد حلة ففعلت وكان في يده كتاب مجلد يقرأ فيه فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالية واقدمه اليه
واقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما في الكتاب حتى
احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاما تركيا فنظر اليه ونأمله ولما ولي اتبعه بصره فلما لم يبق احد قبلت الارض
وقلت يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركي ما لم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما
حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتقوله فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة ويرزقه الله على يده ما لم
يرزقه احد منا مع غيره وأناظن انه ذاك الذي قال لي مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لمواليا على ايدينا وعلى يد
من كان يا ابا محمد لكل زمان دولة ورجال أريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أُرجل لي مولانا المعز
لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولي عهده وسائر اهل دولته فتعجب الناس من ذلك وهما أنا اليوم امشي
راجلا بين يدي منجوتكين أعزونا وأعزوا بنا غيرنا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلى ومدنى فقد أنفت على
الثمانين وأنا فيها فمات في تلك السنة وذلك انه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائد او حمل اليه قبل ركوبه خمسة
آلاف دينار ومائة منقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار وفي يوم الاثنين لسمع
بقين من ذى القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير
منصور بن العزيز ايضا الكفن وارسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن في سبعين يوما بين منقل ووشى
مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وحمله وجعله في مرتبة اليه ولقبه بالقائد ابن القائد ومكنه
من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلا محسنا الى الناس كاتبا بليغا فن مستحسن توقيعاته على قصة رفعت
اليه بمصر سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب
فيكم ترك الايجاب واللازم لكم ملازمة الاحتساب لانكم بدأت فأسأتم وعدتم فتعديتم فابتدأتم مالموم
وعودكم مذموم وليس بينهم ما فرجة لا تقتضى الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين صلوات الله عليه
رأيه فيكم ولما مات رئاه كثير من الشعراء * (السور الثاني) * بناء امير الخيوش بدر الجبالى في سنة ثمانين
وأربع مائة وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة
بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن الى باب
النصر وجعل السور من لبن وأقام الابواب من حجارة وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمانين عشرة وعثمانية
ابتدى بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور لبنى جامع
فوجد عرض السور في الاماكن نحو العشرة اذرع * (السور الثالث) * ابتداء في عمارته السلطان صلاح
الدين يوسف بن ايوب في سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضدين الله فلما كانت سنة
تسع وستين وقد استولى على المملكة اتدب لعسل السور الطوائى بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناه
بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقاعة سورا واحدا فزاد في سور القاهرة
القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعيرية ومن باب الشعيرية الى باب البحر وبني قلعة المقس وهي برج كبير
وجعله على النيل بجانب جامع المقس واقطع السور من هناك وكان في امه مد السور من المقس الى أن يتصل

بسور مصر وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدران ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور الى جهة القلعة وكذلك لم يتهال على أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاجر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاجر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بجبال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة اذرع وذلك طول قوسه في ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجامطلا على النيل في شرقي جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسى عند ما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين وسبعمائة وجعل في مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه وجد في البرج مالاوانه انما جدد الجامع منه والعمامة تقول اليوم جامع المقسى بالاضافة وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع في حفره من باب الفتوح الى المقس في المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سور بابراج له عرض كبير مبني بالحجارة الآن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التي كانت من ورائه وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحبي المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهم ارواقه فما عقبله ما كان معصمها لتركه غير سوار ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نصار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد محجرم يقدم ولا يتوقف

* (ذكر ابواب القاهرة) *

وكان للقاهرة من جهتها القبلية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة ابواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالباب الجديد والآخر بالباب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة ابواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على ما هي عليه الآن ولا في مكانها عند ما وضعها جوهر

* (باب زويلة) *

كان باب زويلة عند ما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم باسم ابن نوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذي بقي منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس قسما من الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنه أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يقضى الى الموضع الذي يعرف اليوم بالحجارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هنالك لا تقضى له حاجة ويقول بعضهم من أجل أن هنالك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على السنة اهل القاهرة من حين دخل المعز اليها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضعا لجلوس اهل المعاصي * فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الجيوش بدر الجحالي وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذي هو باق الى الآن وعلى ابراجه ولم يعمل له باشورة كما هي عادة ابواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملته لكنه عمل في بابيه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فاتفق مروره من هنالك فاختل فرسه وراق به

وأحسبه سقط عنه فأمر بنقضها فنقضت وبقى منها شيء يسير ظاهر فلما أتى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار
المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفرة الصهر ينج
الذي به بعض هذه الزلافة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها في غاية من
الكبر لا يستطيع جرها الا اربعة ارؤس بقر فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئاً وإلى الآن حجر منها ملقى تجاه
قبو الخرنشف من القاهرة * ويذكر أن ثلاثة اخوة قدموا من الرهبانين بنو اباب زويلة وباب النصر وباب
الفتوح كل واحد بنى باباً وأن باب زويلة هذا بنى في سنة أربع وثمانين وأربع مائة وأن باب الفتوح بنى في سنة
ثمانين وأربع مائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن
المعز وعمه أمير الجيوش وأنشد علي بن محمد النيلي

يا صاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا

باب تآزر بالمجزة وارثى الشعري ولا ث برأسه كيوانا

لو أن فرعوناً بناه لم يرد * صرحا ولا أوصى به هامانا

هـ

* سمعت غير واحد يذكر أن فرتيه يدوران في سكر جتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن
قلاوون أن في سنة خمس وثلاثين وسبع مائة تربع ايدكين وإلى القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون على
باب زويلة خلية تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرني من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد
في مدينة من المدن عظيم باب زويلة ولا يرى مثل بدته اللتين عن جانبيه ومن تأمل الاسطر التي قد كتبت على
اعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البديتان أكبر
منهما الا أن بكثير هدم اعلاه الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البديتين منارتين
ولذلك خبر تجده في ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدي

* (باب النصر) *

كان باب النصر أولادون موضعه اليوم وأدركت قطعة من احد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية
الغربي بحيث تكون الحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابي جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة
ولذلك تجد في أخبار الجامع الحاكم أنه وضع خارج القاهرة فلما كان في أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش
بدر الجالى من عكا وتقدم وزارته وعمر سور القاهرة ونقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو
الآن فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها الى أن احتفرت اخت الملك الظاهر برقوق
الصهر ينج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفي في
أعلاه لا اله الا الله محمد رسول الله على * وللى الله صلوات الله عليهما

* (باب الفتوح) *

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقى منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه اسطر من
الكتابة بالكوفي وهو برأس حارة بهاء الدين من قبلها دون جدار الجامع الحاكم وأما الباب المعروف اليوم
بباب الفتوح فإنه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قدر كهها الا أن الناس بالبنين لما عمر ما خرج عن
باب الفتوح * (أمير الجيوش) * أبو النجم بدر الجالى كان مملاو كارميا لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف
بالجالى وما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم ويتنقل في الخدم حتى ولى
امارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الاربعاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربع مائة ثم
سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخسين ثم ولىها ثانيا يوم الاحد سادس
شعبان سنة ثمان وخسين فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربع مائة فثار
العسكر وأخربوا قصره وتقدموا بياية عكا فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة
قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغب والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهى
والرخاء قد أيس منه والصلاحي لا مطمع فيه ولوانة قد ملكت الريف والصعيد بأيدي العبيد والطرفات قد

انقطعت بزا وبجرا الا بالخفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر
 اليه يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته فاشتراط أن يحضر معه من يقتضيه من العساكر ولا يبقى أحد من
 عسكر مصر فأجاب المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكرا وركب البحر من عكا في أول كانون وسار بمائة
 مركب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بر كوب البحر في الشتاء لهيجانه وخوف التلف فأبى عليهم وأقلع
 فتمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة اربعين يوما حتى كثرت الحجب من ذلك وعد من سعادته فوصل
 الى تنيس ودمياط واقترض المال من تجارها وميسيرها وقام بأمر ضيقته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان
 اللواتي كبير أهل البحيرة وسار الى قلوب فزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا ادخل الى مصر حتى تقبض
 على بلدكوش وكان احد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض
 عليه واعتقله بخزانة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء ليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة خمس وستين
 وأربع مائة فتمأله أن قبض على جميع امراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه
 فنامهم الامن اضافهم وقدم اليه فلما انقضت نومهم في ضيقته استدعاهم الى منزله في دعوة صنعها لهم وبيت
 مع اصحابه أن القوم اذا أجتمع الليل فانهم لا يتحتاجون الى الخلاء فن قام منهم الى الخلاء يقتل هناك ووكل
 بكل واحد واحد من اصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دار ومال واقطاع وغيره فصار الامراء
 اليه وظلوا نهارهم عنده وبأوامر مطمئنين فاطلع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت
 رؤسهم بين يديه فقويت شوكتهم وعظم أمرهم وخلع عليه المستنصر بالبطليسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم
 فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين
 وهادى دعاة المؤمنين وتبع المفسدين فلم يبق منهم أحد حتى قتله وقتل من امثال المصريين وقضاة ووزرائهم
 جماعة ثم خرج الى الوجه البحري فأسرف في قتل من هنالك من لواته واستصفى اموالهم وأزاح المفسدين
 وأفناهم بأنواع القتل وصار الى البر الشرقي فقتل منه كثيرا من المفسدين ونزل الى الاسكندرية
 وقد ثار بها جماعة مع ابنه الا وحدها صر هايا ما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربع مائة الى أن اخذها عنوة
 وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بناءه في ربيع الاوّل سنة تسع
 وسبعين وأربع مائة ثم سار الى الصعيد فحارب جهينة والنعالبة وأفنى اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال
 ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فسادهم ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها
 غير مرة وحاربت اهلها ولم يظفر منها بطائل واستناب ولده شاهنشاه وجعله ولي عهده * فلما كان في سنة سبع
 وثمانين وأربع مائة مات في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى منها وقد تحكّم في مصر تحكّم الملوك ولم يبق
 للمستنصر معه أمر واستتب بالامور فضبطها احسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة
 قتل من مصر خلائق لا يحصى بالاخالقها منها انه قتل من اهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير
 ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واسوان وأهل القاهرة ومصر الا انه
 عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها بآلاف المفسدين من اهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة
 وكانت له محاسن منها انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت احوال الفلاحين واستغنوا في ايامه
 ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في ايام الشدة ومنها كثرة كرمه وكانت مدة ايامه
 بمصر احدى وعشرين سنة وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية
 بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن أمير
 الجيوش وبه وبابنه الافضل أبهة الخلفاء الفاطمية بعد تلاشى أمرها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها
 واضمحلال احوال اهلها وأظنه هو الذي اخبر عنه المعز فيما تقدم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد
 من رجال دولتهم غيره والله يعلم وانتم لا تعلمون

* (باب القنطرة) *

عرف بذلك لان جوهر القائد بن هنالك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ليثني عليها الى المقس عند مسير

القرامطة الى مصر في شوال سنة ستين وثلاثمائة

* (باب الشعرية) *

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومنزلة وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

* (باب سعادة) *

عرف بسعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالجيزة وخرج جوهر الى اقصائه فلما عاين سعادة جوهر اترجل وسار الى القاهرة في رجب سنة ستين وثلاثمائة فدخل اليها من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافي سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان في شوال سيره جوهر في عسكر حجر عند ورود الخبر من دمشق بمجيء الحسين بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم الى الشام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطي قد قصد هافا فحارب معه الى يافا ورجع الى مصر ثم خرج الى الرملة فملكها في سنة احدى وستين فأقبل اليه القرمطي فقرضه الى القاهرة وبهم سلمات لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف ابو جعفر مسلم وكان فيه بر واحسان

* (الباب المحروق) *

كان يعرف قديما بباب القراطين فلما زالت دولة بني ايوب واستقل بالملك الملك المعز عز الدين ابيك التركاني اقول من ملأ من الممالك بمملكة مصر في سنة ثمانين وستمائة كان حينئذ اكب الامراء البحرية بممالك الملك الصالح نجم الدين ايوب الفارس اقطاعي الجدار وقد استقبل امره وكثرت اتباعه ونافس المعز ابيك وتزوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل ويخليم اليه حتى يسكنها بامراته المذكورة فقلق المعز منه وأهمله شأنه وأخذ يدير عليه فقرمعه عدة من ممالكه أن ينفوا بموضع من القلعة عينه لهم واذا جاء الفارس اقطاعي فتكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره في أمر مهم فركب في قافلة يوم الاثنين حادي عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة في نفر من ممالكه وهو آمن مطمئن بما صار له في الانفس من الحرمة والمهابة وبما يتقيه من شجاعته فلما صار بقلعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد عوق من معه من الممالك عن الدخول معه ووثب به الممالك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته وغلقت ابواب القلعة وانتشر الصوت بقتله في البلد فركب اصحابه وخشداشيته وهم نحو السبع مائة فارس الى تحت القلعة وفي ظنهم أن الفارس اقطاعي لم يقتل وانما قبض عليه السلطان وانهم يقاتلونه حتى يطلقه لهم فلم يشعروا الا برأس الفارس اقطاعي وقد ألقيت عليهم من القلعة فانقضوا الوقتهم ونوعدوا على الخروج من مصر الى الشام واكبرهم يومئذ ببيس البندقاري وقلاون الانيق وستقر الاشقر ويسرى وسكر وبرامق نفر جوا في الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن العادة أن تغلق ابواب القاهرة بالليل فألقوا النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فقيل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم فانهم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقبلهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر بهم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع اموالهم ونسائهم واولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر اسبابهم وتبعهم ونادى عليهم في الاسواق بطلب البحرية وتحذير العامة من اختائهم فصار اليه من اموالهم ما ملأ عينه واستقرت البحرية في الشام الى أن قتل المعز ابيك وخلع ابنه المنصور وتسلطن الأمير قطز فراجعوا في أيامه الى مصر وأكث احوالهم الى أن تسلطن منهم بيسر وقلاون ولله عاقبة الامور

* (باب البرقية) *

* (ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والاماع بطرف من ما آثرهم وما صارت اليه احوالهم من بعدهم) *

اعلم انه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقي الذي وضعه القائد

هكذا بيض له
في الاصل

جوهري عنده أناخ في موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربي والقصر الياضي وقصر الذهب وقصر
الاقبال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرد وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهذه
كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار
القصر الغربي الميدان والبستان الكافوري وكان لهم عدة مناظر وآدرسلطانية غير هذه القصور منها دار
الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الأزهر والمنظرة بجوار الجامع
الأقصر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الغزالة ودار الذهب ومنظرة المقس ومنظرة الدكة
والبعل والخمس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرية والمنظرة
ظاهر باب الفتوح ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العزيم والمنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بجوار جامع
القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الأولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار
هذه الأماكن في مدة الدولة الفاطمية ومآل اليه حالها بحسب ما انتهى إلى علمه ان شاء الله تعالى

* (القصر الكبير) *

هذا القصر كان في الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقي ويسمى القصر المعزى لأن
المعز لدين الله بآل قسيم معتمداً هو الذي أمر عبده وكتبه جوهراً ببنائه حين سيره من رمادة أحد بلاد إفريقية
بالعساكر إلى مصر وألقى إليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذي رسمه له ويقال ان جوهراً لما أسسه في الليلة
التي أناخ قبلاً في موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تجبه فقبل له في تغييرها فقال قد حفر في
ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع أساس سور القاهرة في ليلة الأربعاء
الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وركب عليه بابان يوم الخميس ثلاث عشرة خات من جنادي
الأولى سنة تسع وخمسين ثم انه ادار عليه سوراً محيطاً به في سنة ستين وثلثمائة وهذا القصر كان دار الخلافة
وبه سكن الخلفاء إلى آخر أيامهم فلما انقرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخرج أهل
القصر منه وأسكن فيه الأمراء ثم خرب أولاً فأولاً * وذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة عن مرهف
بواب باب الزهومة أنه قال أعلم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيت دخل إليه حطب ولا رمي منه تراب قال وهذا
أحد أسباب خرابه لوقود خشابه وتكوين ترابه قال ولما أخذ صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه
أشعش ألف نسمة ليس فيهم فخل الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة برجوان وكانت تعرف
بدار الضيافة قال ووجد إلى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى فقبل ان فيها
مطلباً وقد تغو بها فقبل انهم عمورة بالحيات وقتل عمارها بجماعة من أشياعه فدمت وتركت انتهى وكان
صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لأمراء دولته وأنزلهم فيه فسكنوه وأعطى القصر الصغير
الغربي لأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب فسكنه وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان
قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شاذي في منظرة اللؤلؤة ولما قبض على الأمير داود ابن الخليفة العاضد وكان
ولي عهداً به وينعت بالخامد لله اعتقله وجميع أخوته وهم أبو الأمانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم
وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الطاهر
ابن جبريل وعبد الطاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم ير الوافي الاعتقال بدار المظفر وغيرها
إلى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الحبش فنقل معه ولد العاضد وأخوته
وأولاد عمه واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد ولم يرل بقيتهم معتقلين بالقلعة إلى أن استتب السطان
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فأمر في سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد
وعمد الدين أبي القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع
المواضع التي قبل المدارس السلطانية من القصر الكبير والموضع المعروف بالترتبة باطناً وظاهراً بخط الخوخ
السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر الياضي بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بالحباسة بالخط المذكور
وجميع الموضع المعروف بخزان السلاخ السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد سبيخ

الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملة وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسيني وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بجماعة برجوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة وجميع الموضع المعروف بالؤلؤة وجميع قصر الزمرد وجميع البستان الكافوري ملك لبيت المال بالنظر المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لارجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولاء ولا شبهة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما في ذلك من مسجد لله تعالى او مدفن لا بائهم فأشهد واعلمهم بذلك وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادى الاولى سنة ستين وستمائة وأثبت على يد قاضي القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي وتقرع مع المذكورين أنه مهمل ما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التي عاقد عليهم ساوكلأ وهم واتصلوا اليه بحاسبوا به من جهلة ما تحترعنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدي المذكورين عن التصرف في الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم ورسم يبيع ذلك فباعه وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيا بعد شيء ونقضت تلك المباني وابتني في مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر يشتمل على مواضع منها * (قاعة الذهب) * وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو احد قاعات القصر الذي هو قصر المعز لدين الله معتمد بن قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذي كان مقابلا للدار القطبية التي هي اليوم المارستان المنصوري ويدخل اليه أيضا من باب البحر الذي هو الان تجاه المدرسة الكاملة ويجدد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس في الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سباط شهر رمضان للاهراء وسباط العيدين وبها كان سرير الملك * (هيئة جلوس الخليفة بجلس الملك) * قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر في يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ولما وصل الى قصره ختر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر في قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر يومئذ يشتمل على ما فيه من عين وورق وجوهر وحلي وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسقاط وأعدال وسروج ولحم وبيت المال بجماله بما فيه وفيه جميع ما يكون للملوك وللنصف من رمضان جلس المعز في قصره على السرير الذهب الذي عمله عبده القائد جوهر في الاوان الجديد وأذن بدخول الاشراف اولا ثم اذن بعدهم الاولياء والسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التي عباها ظاهرة يراها الناس وهي من الخيل مائة وخمسون فرسا مسرجة ملحمة منها مذهب ومنها مرسع ومنها معنبر واحدى وثلاثون قبة على نوق بجاني بالديساج والمناسق والفرش منها تسعة بديساج مثقل وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل وثلاثة وثلاثون بغلاما سبعة مسرجة ملحمة ومائة وثلاثون بغلاما للثقل وتسعون ثيابا وأربعة صناديق مشبكة يرى ما فيها وفيها أواني الذهب والفضة ومائة سيف محلي بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخرقة فيها جوهر وشاشية مرصعة في غلاف وتسعمائة ما بين سقطة وتخت فيها سائر ما أعد له من ذخائر مصر * وفي يوم عرفة نصب المعز الشمسية التي عملها للكعبة على اوان قصره وسعها اثنا عشر شبرا في اثني عشر شبرا وأرضها ديساج أحر ودورها اثنا عشر هلال ذهب في كل هلال أترجة ذهب مسبك جوف كل أترجة خمسون درة بكار كبعض الحمام وفيها الباقوت الاحمر والاصفر والازرق وفي دورها كتابة آيات الحج بمرز أخضر قد فسر وحشو الكتابة در كبير لم ير مثله وحشو الشمسية المسك المسحوق يراها الناس في القصر ومن خارج القصر لعلو موضعها واثمناصها عدة قرآسين وجزوها لنقل وزنها * وقال في كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص في سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلي به السترة الذي انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازوري من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر أن في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهباً وعشرين ألف درهم مخترقة وثلاثة الاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان في الشمسية التي لم تتم من الذهب

سبعة عشر ألف مثقال * وقال المرتضى أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير
 الفهرى القيسرى الكاتب المصرى فى كتاب نزهة المقلتين فى اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحيية الفصل
 العاشر فى ذكر هيتهم فى الجلوس العام بمجلس الملك ولا يتعدى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس
 اليهم ولهم خدم لا يخرج عنهم وينتظر جلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالى بل على
 التفرار بقاذا تميا ذلك فى يوم من هذه الايام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى
 سرعة الحركة فيركب فى ابنته وجماعته على الترتيب المقدم ذكره يعنى فى ذكر الكسوف اول العام وسبأنى
 ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترجله عن دابته بهليز العمود الى مقطع الوزارة
 وبين يديه اهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التى كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك
 بالايوان الكبير الذى هو خزان السلاح فى صدره على سرير الملك وهو باقى فى مكانه الى الآن من هذا المكان الى
 آخر ايام المستملى ثم ان الامر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذنهج الى اليوم ويكون
 المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والديبى صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن
 الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا لستور الديبى ما بين طبرى وطبرستانى مذهب
 معدوم المثل وفى صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه فى هيئة جليلة على سرير الملك المغطى بالقرقوبى فيكون وجه
 الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فاذا تميا الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور
 وهو مغلق وعليه سترة فقف بجذائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فاذا انتصب الخليفة على
 المرتبة وضع امين الملك مفلح أحد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع
 الذى يقال له فرد الكم فاذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة
 وغيرهم وفى خلالهم قراء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر
 الخليفة جالساً بمنصبه المذكور فتستفتح القراءة بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه
 ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قد ساءعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له
 محلاة تشير بها ويقف الامراء فى امامتهم المقررة فصاحب الباب واسفهلار العساكر من جانبي الباب عينا
 ويساروا يلبسهم من خارجة لاصقا بهتته زمام الآمرة والحافضية كذلك ثم يرتبهم على مقاديرهم فكل واحد
 لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافرنجى العالى عن أرض القاعة ويملؤه السباط على عقود القناطر
 التى على العهد هنالك ثم ارباب القصب والعماريات يئمة ويسرة كذلك ثم الاماثل والاعيان من الاجناد
 المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للصدر الذى يقابل باب المجلس بواب الباب والحجاب واصحاب الباب
 فى ذلك المحل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام
 فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضى القضاء والشهود المعروفون بالاستخدام فيجوز صاحب الباب القاضى دون
 من معه فيسلم متأدبا ويقف قريبا ومعنى الادب فى السلام انه يرفع يده اليمنى ويشير بالسجدة ويقول بصوت
 مسموع السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم
 بالاشراف الاقارب زمامهم وهومن الاستاذين المحنكين والاشراف الطالبيين تقيسهم وهومن الشهود المعتدلين
 وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان او ثلاث ويخص بالسلام فى ذلك
 الوقت من خلعت عليه لقوص او الشرقية او الغربية او الاسكندرية فيشترفون بتقبيل القببة فان دعت حاجة
 الوزير الى مخاطبة الخليفة فى أمر قام من مكانه وقرب منه مخنعا على سيفه فيخطاطبه مرة او مرتين ثم يؤمر
 الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته
 الى داره وهو مخدوم بأولئك ثم يرخى الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة
 الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان أقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب
 الانس لهم ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد التاج الشريف وصاحب بيت
 المال وصاحب الدفتر وصاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار
 الخليفة وكانت لهم طريقة معجودة فى بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ لتحنك وحكك جل اليه كل

واحد من الخنكين بدلة من ثياب ومنديل وفراش وسيفاً فيصبح لاحقا بهم وفي يديه مثل ما في ايديهم وكان لا يركب أحد في القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلا ونهارا الا كذلك وله في الليل شتادات من النساء يخذ من البغلات والحمير الاناث للجواز في السرايب القصيرة الاقباء والطلوع على الزلاجات الى أعالي المناظر والا ما كن وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل

*** كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة ***

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ويستدعى له قاضي القضاة ليألي الجمع توقيرا له فأما الامراء ففي كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الا افطار مع اولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم مسطوريا يخرج الى صاحب الباب واسفهم سلاسه فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر ويحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده وأخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لا يفوته شيء من أصناف المأكولات الفاخرة والاعذية الرائقة وهو مبسوط في طول القاعة ما دمن الرواق الى ثلثي القاعة المذكورة والفراشون قيام الخدمة الحاضرين وحوائثي الاستاذين يحضرون الماء المخزفي كيزان الخنزف برسم الحاضرين ويكون انقصالهم العشاء الآخرة فيجمعهم ذلك ويوصل منه شيء الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض وبأخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مما هو بحضرة الخليفة وكانت يده فيه تشر بفاله وتطيبها لنفسه وربما جل لسكوره من خاص ما يعين لسكوره الخليفة نصيب وافر ثم يفرق الناس الى اماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة او ساعتين قال ومبلغ ما يتفق في شهر رمضان لسماطه مدة سبعة وعشرين يوما ثلاثة آلاف دينار

*** عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة ***

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسمعيل بن عبد العزيز المسيحي في تاريخه الكبير وفي آخر يوم منه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة جل يانس العقلي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطبا قافيا تماثيل حلوى وحل أيضا على بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه في يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الاول من عيد الفطر فانه يعين في الليل بالايوان قدام الشبالة الذي يجلس فيه الخليفة فيمده ما مقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة اذرع من الخشكان والفانيد والبسند والمقدم ذكر عمله بدرا الفطرة فاذا صلى الفجر في اول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس في الشبالة ويمكن الناس من ذلك الممدود فأخذ وحمل ونهب فبأخذه من يأكله في يومه ومن يتخره لغده ومن لا حاجة له به فيبيعه ويتسلط عليه أيضا حواشي القصر المقيمون هنالك فاذا فرغ من ذلك وقدر غت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا في هيئة ركوب هذا العيد في فصله محليا لقاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها اواني الفضييات والذهبيات والصيني الحاوية للاطعمة الخاصة الفاتحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة الطيبة النافعة ثم ينصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالة ويعرف بالحوال طول القاعة وهو اليوم الباب الذي يدخل منه اليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدكن اللاطية فيصير من جمعه للاواني سماطا عاليا في ذلك الطول ويعرض عشرة اذرع فيفرش فوق ذلك الازهار ويرص الخبز على حافته سواميد كل واحد ثلاثة ارطال من نقي الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها بريق ويحسن منظرها ويعمر داخل ذلك السماط على طوله باحد وعشرين طبقة في كل طبق احدى وعشرون ثيابا مشويا وفي كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائرا فيبقى طائلا مستطيلا فيكون كقامة الرجل الطويل ويسور بشرائح الخلاء اليابسة وزين بألوانها المصبغة ثم يستدخل ذلك الاطباقي بالصحن الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفاخرة من الخلاء

المائة والطماهة المشقة والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تنافس عدة العيون المدكورة خمسمائة صحن
ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل
القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العديدة التي في عمامتها السمة ويلبس سواها
من خراش الكسوات الخاصة التي قد منازكرها وقد عمل بدار الفطرة قصران من حاوى في كل واحد سبعة
عشر قنطارا وجملاهم ما واحد يمضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والاخر يشق به بين القصرين
يحملهما العتالون فينصبان اول السماط وآخره وهما شكل ملج مد هونان بأوراق الذهب وفيهما شخص
ناتئة كأنهما مسبوكة في قوالب لوحا فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السير الذي عليه المدورة الفضة
وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المحنكين وأربعة من خواص القرائين ثم يستدعى الوزير
فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السماط
كقيامهم بين يديه فيأكل كل من اراد من غير الزام فان في الحاضرين من لا يعتقد الفطر في ذلك اليوم فيستولى على
ذلك المعمول الاككون وينقل الى دار أبواب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط فقط فيعم اهل القاهرة
ومصر من ذلك نصيب واذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انفض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما
بالجماعة الحاضرين وقد عمل سماط الاله وحواشيه ومن يعز عليه لا يلحق بأيسر يسير من سماط الخليفة وعلى
هذا العمل يكون سماط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا ولا يخرج عن هذا المنوال
ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مفطرين ولا يفوت أحدا منهم شئ كما ذكرنا في عيد الفطر قال
ومبلغ ما يتفق في سماط الفطر والاخصى أربعة آلاف دينار وكان يجلس على اسطة الاعياد في كل سنة رجلا
من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائر والاخر الديلي يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة
وجام حاوى عشرة ارطال ولهما رسوم تحمل اليهما بعد ذلك من الاسطة ليوتهما ودنانير وافرقة على حكم الهبة
وكان أحدهما اسر بعسقلان في تجريدة جرد اليها وأقام مدة في الاسرافاتفق انه كان عندهم عمل سمين فيه عدة
قنطاري لم فقال له الذي اسره وهو يداعبه ان اكلت هذا العجل أعنتك ثم ذبحه وسوى لجه وأطعمه حتى أفى
على جميعه فوفى له واعقه فقدم على اهل بالقاهرة ورأسه بأكل على السماط

(الايوان الكبير)

قال القاضي الرئيس محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحي الكاتب في كتاب الروضة الهية الزاهرة في
خطط المعزية القاهرة الايوان الكبير بناء العزيز بالله ابو منصور نزار بن المعز لدين الله معد في سنة تسع
وستين وثلثمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به في يومى الاثنين والخميس الى أن نقل الخليفة الأمر
بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم وبصدر هذا الايوان كان الشباك
الذي يجلس فيه الخليفة وكان يعلو هذا الشباك قبة وفي هذا الايوان كان يمسماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر
كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة في يوم عيد الغدير وكان بجانب هذا الايوان الدواوين وكان
بهذا الايوان ضلع اسمكة اذا اقيموا راي الفارس بفرسه ولم ينال حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى
بغداد في هدية *(عيد الغدير)* اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة
المقتدى بهم وأول ما عرف في الاسلام بالعراق ايام معز الدولة على بن بويه فانه أحدثه في سنة اثنين وخمسين
وثلثمائة فالتخذ الشيعه من حينئذ عيدا وأصلهم فيه ما خرجه الامام احمد في مسنده الكبير من حديث
البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر لنا فبنا بغدير حم ونودي
الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فضلى الظهر وأخذ يدعى بن ابى طالب رضى
الله عنه فقال ألسن تعلمون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال ألسن تعلمون أنى اولى بكل مؤمن من نفسه
قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقبه عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فقال هنيأ لك يا ابن ابى طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة *(وغدير حم)* على ثلاثة اميال
من الخنفة بسرة الطريق وتصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم في هذا العيد وهو أباد يوم الثامن عشر

من ذى الحجة أن يحجوا باليلة بالصلاة ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر ومن الذبائح والماعل الشبيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنة مضاهاة فعلهم ونكاليهم فأتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد عيد الغدير ثمانية أيام عيداً أكثر وفيه من السرور واللهو وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبالغوا في هذا اليوم في اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد *

وقال ابن زولاق في يوم ثمانية عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لا تراسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه واستخلفه فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا القول ماعل بمصر * قال المسيحي في يوم الغدير وهو ثامن عشر ذى الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيما اقاموا الى ان ظهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجارية وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير قال ابن الطوير اذا كان العشر الاوسط من ذى الحجة اهتتم الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سمعة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لاحد شيء فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة ركوبه من الكريسي على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دارنجر الدين جهار كس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف في الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المحسكون رجاله ومن الامراء المطوقين من يأمره الوزير بإشارة خدمة الخليفة على خدمته ثم يجوز زى كل من له زى على مقدار همته فأول ما يجوز زى الخليفة وهو الظاهر في ركوبه فيجد الجنائب الخاص التي قد منادى كرها أو لا ثم زى الامراء المطوقين لانهم غلمان واحدوا بعددهم وأسلحتهم وجنائبهم الى آخر باب القصب والعماريات ثم طوائف العسكر أزمتها أمامها وأولادهم مكانهم لانهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون أكثر عددا من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة الرماة بالقسي بالأيدي والارجل وتكون عدتهم قرى بيا من ألف ثم الراجل من الطوائف الذين قد منادى كرههم في الركوب فتكون عدتهم قرى بيا من سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن ثم يأتي زى الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زى صاحب الباب وهم اصحابه وأجناده ونواب الباب وسائر الحجاب ثم يأتي زى اسفهلار العساكر بأصحابه وأجناده في عدة وافرة ثم يأتي زى والى القاهرة وزى والى مصر فاذا فرغوا خرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخل من الدرب هناك جازع على الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود فاذا ازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوية جميعه على سعته وغير القرقوية سترية سترية فسترها ثم يعلق بدائرته على سعته ثلاثة صفوف الاوسط طوارق فارسيات مدهونة والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرمى الدعوة وفيه تسع درجات خطابة الخطيب في هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأي من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العبد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عند ما ينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون قد سير خطيبه بدله حرير يخطب فيها وثلثون ديناراً ويضع له كراس محتر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبي صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه بزعمهم فاذا فرغ ونزل صلى القاضي القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباك فيخدم الخليفة وينقض الناس بعد التها من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم أعظم من عيد النحر ويخبر فيه أكثرهم قال وكان الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد الحميد الماسلم من يد أبي علي بن الفضل الملقب كتيفات لما وزرله وخرج عليه

عمل عيدا في ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان باق على فرشه وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحول اليوم في الايوان الذي بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير الذي هو اليوم خزان السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من بابه فبجانبه فيجتمع ارباب الدولة سيقا وقلما ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشمال فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يجلس قدامه كرسي الدعوة وعليه غشاء قرقوبي وحواليه الامراء الاعيان وارباب الرتب فيصعد قاضي القضاة ويخرج من كمراسة مسطحة تتضمن قصولا كالفرج بعد الشدة بنظم مليح يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج الله عنه واحدا فواحد حتى يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسية محمولة من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب ارجل مما لبسه ويكون قد حل الى القاضي قبل خطبته بدلة مميزة لبسها للخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خمسون ديناراً وقال الامير جمال الدين ابو علي موسى بن المامون ابي عبد الله محمد بن فائق بن مختار البطائحي في تاريخه واستهل عيد الغدير يعني من سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعني الوزير المأمون البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضم اليهم من العوالي والادوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الايامي وصار مومنا برصده كل أحد ويرتقبه كل غني وفقير بخير في معرفته على رسمه وبالحق الشعراء في مدحه بذلك ووصلت كسوة العيد المذكور فحمل ما يختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة ما يختص بأزمنة العساكر فارسها واوراجها من عين وكسوة ومبلغ ما يختص بهم من العيز سبعمائة وتسعون ديناراً ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وامراتها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين منهم خارجا عن اولاد الوزير واخوته ويفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان وخمسمائة دينار وثمانون ديناراً وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاعة الذهب على حكم سماط اول يوم من عيد النحر وفي باكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وذبح ماجرت به العادة وذبح الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة في عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك للخصوص دون العموم وجلس الخليفة في المنطرة وخدمت الرهبة وتقدم الوزير والامراء وسلوا فلما حان وقت الصلاة والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فتقدم القاضي ابو الجراح يوسف بن ايوب فصلى به وبالجماعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للقاء وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضي اليها وخلع عليه خلعة مكمله من بدلات النحر وثوبها اجر بالشدة الدائمة وقلده سيفاً مرصعاً بالياقوت والجواهر وعند ما نهض ليقبل الارض وجده قد أعد له العقد الجواهر وربطه في عنقه بيده وبالحق في اكرامه وخرج من باب الملك فتلحقه المقربون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العيد وأولاده واخوته والامراء المميزون بحجبه وخدمت الرهبة وضربت العربية والموكب جميعه بزيه وقد اصطفيت العساكر وتقدم الى ولده بالجلاس على اسمطته وتفرقت ابرسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرئون فسلم الحاضرون وجرى الرسم في السماط الاول والثاني وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى السماط الثالث الخاص بالدار الجلييلة لا قاربه وجلسائه ولما انقضى حكم التعيين جلس الوزير في مجلسه واستفتح المقرئون وحضر الكبراء وبياض البلدتين انتهى بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدم الشعراء فأنشدوا وشرحوا الحال وحضر متولى خزائن الكسوة الخاص بالثياب التي كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم الجاري به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكل العقد الجواهر والسيف المرصع فأمر الوزير المأمون الشيخ ابا الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست الشريف بكتب مطالعة الى الخليفة بما حمل اليه من المال برسم منديل الكهم وهو ألف دينار ورسم الاخوة والا قارب ألف دينار وتسلم متولى الدولة بقية المال ليفرق على الامراء المطوقين والمميزين والضيوف والمستخدمين

ويعرف بقصر البحر وكان في اوقات الاجتماع يصلي الداعي بالناس في رواقه * وقال المسيحي وفي ربيع
الاول يعني من سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل
البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولايه بالمغرب فأتت في الرحلة أحد عشر رجلاً فكفهم العزير
بأنه وقال ابن الطوير وأما داعي الدعاة فانه يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيازيه في اللباس وغيره ووصفه أنه
يكون عالماً بجميع مذاهب اهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينقل من مذهبه الى مذهبه وبين
يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقباً وله نواب كواب الحكم في سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة واهل مكان
يقال له دار العلم والجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكل الفقهاء منهم يتفقون على دقير يقال له
مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبعوضا الى داعي الدعاة فينفذه اليهم ويأخذ منهم ويدخل به الى
الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته
على المؤمنين في مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايوان الكبير وللفساء بمجلس الداعي وكان من اعظم المباني
وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضر واليه لتقبيل يديه فيمسيح على رؤسهم بكان
العلامة أعنى خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالها لاسما الصعيد وبلغها ثلاثة
دراهم وثلاث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله الى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته في ذلك مع الله تعالى فيفرض
له الخليفة منه ما يعينه نفسه وللقباء وفي الاسما عليه الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاث دينار
على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له عليه اخط الخليفة برك الله فيك وفي
مالك وولدتك ودينك فيذكر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بتوع عبد القوي أباعن
جد آخرهم الجليس وكان الافضل بن امير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد الجليس بالمغرب وربى به وكان يميل الى
مذهب اهل السنة وولى القضاء مع الدعوة وادركه أسد الدين شيركوه وأكرمه وجعله واسطة عند الخليفة
العاضد وكان قد جرح على العاضد ولولاه لم يبق في الخزانة شيء لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسيحي
وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الاولياء والدعاوى المتصلة فكان يقرء للاولياء مجلساً
والخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً ولعوام الناس وللطائفة على البلد
مجلساً وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلساً وللعلم وخواص نساء القصور مجلساً وكان
يعمل المجلس في داره ثم ينفذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتباً يبيضونها بعد عرضها على
الخليفة وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من النجوى من كل من يدفع شيئاً من ذلك عينا
وورقاً من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شيئاً على ما يدفعه وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن
الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شيئاً بعد شيء وكانت تسمى بمجالس الدعوة بمجالس
الحكمة وفي سنة اربع مائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت
تحمل ويتقرب بها وتجري على ايدي القضاة وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الاولياء يوم
الخميس والجمعة انتهى ووظيفة داعي الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد نلصت من أمر الدعوة
طرفاً أحببت ايراده هنا * (وصف الدعوة وترتيبها) * وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة
* (الدعوة الاولى) * سؤال الداعي لمن يدعو الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعاني الامور
الشريعة وشئ من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعو عارفاً لم له الداعي والتركه يعمل
فذكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له يا هذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون
ولوعلمت هذه الاممة ما خسر الله به الاممة من العلم لم تختلف فيتشوق حينئذ المدعو الى معرفة ما عند الداعي
من العلم فاذا علم منه الاقبال أخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التي نزلت بالاممة وشئت
الكلمة وأورثت الاهواء المذلة ذهاب الناس عن أعنة نصبوا لهم واقبوا حافظين لشرائعهم يؤدون على
حقيقتهم ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الاممة ونظروا في الامور بغير قولهم
واتبعوا ما احسن في رأيهم وقلدوا سفلتهم واطاعوا ساداتهم وكبراءهم اتبعوا للملوك وطلبوا للدين التي هي ايدي
متبجى الاثم واجساد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهلون في طلب الرياسة على الضعفاء

وكايدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وافساد شريعته وسلب غير طريقتيه ومعاندة الخلفاء الأئمة من بعده بجحتم من قبل ذلك وصار الناس إلى أنواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء بالتخلي ولا بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على الالاسنة وعرفته دهماء العامة ولكنه صعب مستصعب وامر مستقبل وعلم خفي غامض ستره الله في حجبته وعظم شأنه عن انبذال أسرارته فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الاملاك مقرب اوتى مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتعقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعى وأنس له نقله الى غير ذلك * فمن مسائلهم ما معنى رمى الجمار والعذب بين الصفا والمروة ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة وما بال جنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القدر وما بال الله خلق الدنيا في ستة ايام أعجز عن خلقها في ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلاً والكاتبين الحافظين وما لنا لا نراهما أخاف أن نكابه ونجأ حده حتى ادلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك في القرطاس بالكاتب وما تبديل الارض غير الارض وما عذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذبذب بجلد لم يذب حتى يعذب وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم وما يأجوج وما جوج وهاروت وماروت واين مستقرهم وما سبعة ابواب النار وما ثمانية ابواب الجنة وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم وما دابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة المعونة في القرآن والتين والزيتون وما الخنس الكنس وما معنى الم وما الص وما معنى كهيعص وجعسق ولم جعلت السموات سبعاً والارضون سبعاً والمثنى من القرآن سبع آيات ولم فجرت العيون اثني عشرة عينا ولم جعلت الشهور اثني عشر شهراً وما يعمل معكم على الكتاب والسنة ومعاني القرائن اللازمة فكروا اولاً في انفسكم أين أروا حكمكم وكيف صورها واين مستقرها وما قول أمرها والانسان ما هو وما حقيقة وما الفرق بين حياته وحياته الهام وفضل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذي بانته به حياة الحشرات من حياة النبات وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت حواء من ضلع آدم وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت قامة الانسان منتصبه دون غيره من الحيوانات ولم كان في يديه من الاصابع عشر وفي رجليه عشر أصابع وفي كل اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان في وجهه سبع ثنوب وفي سائر بدنه ثنبان ولم كان في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويدها ماء وبطنه مياور جلاد الا حتى صار ذلك كتاباً ما سوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا انتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكان كتاباً يدل على الله ولم جعلت أبعاد عظام الانسان ككذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التفسير والقول في العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان ثم يقول الداعى الاتفكرون في حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ما جمع وفرق ما فرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تنصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يسمعون لهم أنه الحق فأى شيء رءاء الكفار في انفسهم وفي الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأى حق عرفه من بحمد الديانة ألا يدل لكم هذا على أن الله جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأمر ارفيها مكتومة لوتنهتم لها وعرفوها زالت عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التي من جهلها كان حرياً أن لا يعلم غيرها اليس الله تعالى يقول ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى وأضل سبيلاً ونحو ذلك من تأويل القرآن وتفسير السنن والاحكام وايراد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأل عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله اعلى وأجل من أن يبدل غير أهله ويجعل غرضاً للعب وجرت عادة الله وسنته في عبادته عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وقال

عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا
وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الأيمان بعدتوكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كأتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا وقال لقد أخذنا ميثاق بني
إسرائيل ومن أمثال هذا فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه إلا لمن أخذ عهده فأعطنا صفة يمينك وعاهدنا
بالموكة من أيمانك وعقودك أن لا تنقضوا أيماننا ولا تظهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا
ولا توالى لنا عدوا فإذا أعطى العهد قال له الداعي أعطنا جعلنا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور
وتعريفك أياها والرسم في هذا الجعل بحسب ما يراه الداعي فإن امتنع المدعو أمسك عنه الداعي وإن أجاب
وأعطى نقله إلى الدعوة الثانية وانما سميت الاسماعيلية بالباطنية لانهم يقولون لكل ظاهر من الاحكام الشرعية
باطن ولكل تنزيل تاويل * (الدعوة الثانية) * لا تكون الا بعد تقدم الدعوى الاولى فاذا تقرر في نفس
المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجعل قال له الداعي ان الله تعالى لم يرض في اقامة حقه وما شرعه لعباده الا ان
يأخذ واذ لك عن أئمة نصيهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراه الله تعالى ويسلك في تقرير هذا ويستدل
عليه بامور مقررّة في كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الأئمة قد ثبت في نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله إلى الدعوة
الثالثة * (الدعوة الثالثة) * مرتبة على الثانية وذلك أنه اذا علم الداعي ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله
لا يعلم الا من قبل الأئمة قرر حينئذ عنده أن الأئمة سبعة قدرتهم الباري تعالى كما رتب الامور الجليلة فانه
جعل الكواكب السبعة وجعل السموات سبعة وجعل الارضين سبعة ونحو ذلك مما هو سبع من
الموجودات وهؤلاء الأئمة السبعة هم علي بن أبي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي بن الحسين
الملقب زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعني
الشيعة يختلفون في هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر
ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اما ما ثم بعد ابنه محمد بن اسمعيل فاذا تقرر عند المدعو أن الأئمة سبعة انحل
عن معتقد الامامية من الشيعة القائمين بامامة اثني عشر اما ما وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة
انتقلت الى محمد بن اسمعيل بن جعفر فاذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو شرع في ثلث بقية الأئمة الذين
قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات
التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعنده سر الله تعالى
في وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالة في كل امر يسأل عنه في جميع المعادومات وتفسير المشكلات وبواطن
الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة
لانهم أخذوا عنه ومن جهته رووا وان احدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم ولا يقدر على
التحقق بما عندهم الا منهم ويحتاج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله فاذا
انقاد المدعو وأذن لما تقرر نقله إلى الدعوة الرابعة * (الدعوة الرابعة) لا يشرع الداعي في تقريرها حتى
يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فاذا تيقن منه صحة الانقياد قرر عنده أن عدد الانبياء الناصحين
للشرائع المبطلين لاحكامها احزاب الادوار وتقلب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الأئمة
سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على اتمه ويكون معه
ظهير له في حياته وخليفة له من بعده وفاته الى أن يبلغ شريعته الى أحد يكون سميلا معه كسبيله هو مع نبيه
الذي اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة الى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء
السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اتفقوا فيها اتروا حد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس
وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبي ينسخ شرع من
مضى من قبله وتكون خلفاء من بعده امورهم تجري كما أمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبي ينسخ
يقوم من بعده سبعة صمت ابداهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت
قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه
ابنه شيث وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثاني من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام

فانه نطق بشرية نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة
نوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشرية نسخ بها شريعة
نوح وآدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه في حبياته والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه اسمعيل
عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من
الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه نطق بشرية نسخ بها شريعة آدم ونوح وابراهيم وكان
صاحبه وسوسه اخوه هرون ولما مات هرون في حياة موسى قام من بعده موسى يوشع بن نون خليفة له صمت
على شريعته وبلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان آخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكريا
وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فانه نطق بشرية
نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة
المسيح الى ان كان السادس من الانبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشرية نسخ بها جميع
الشرائع التي جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسه علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم من بعده علي
سنة صمت وعلى الشريعة المحمدية وقاموا بعبادات أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم علي بن الحسين
ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الأئمة المستورين
والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية انه محمد بن اسمعيل بن جعفر وانه الذي
انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع في تفسيرها دون غيره وعلى جميع
الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد اليه والتسليم له لان الهداية في موافقته واتباعه والضلال والخيرة
في العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة * (الدعوة الخامسة) * مترتبة
على ما قبلها وذلك أنه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعي يقرر أنه لا يتبع كل امام
قام في كل عصر حجج متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابداء عشر رجلا في كل زمان
كما أن عدد الأئمة سبعة ويستدل لذلك بأنه ومنها أن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولا بد في خلق كل شيء
من حكمة والافلم خلق النجوم التي بها قرام العالم سبعة وجعل أيضا السموات سبعاً والارضين سبعاً
والبروج اثني عشر والشهور اثني عشر شهراً ونقباء بني اسرائيل اثني عشر نقيباً ونقباء رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الانصار اثني عشر نقيباً وخلق تعالى في كف كل انسان أربع اصابع وفي كل اصبع ثلاث شقوق تكون
بجلتها اثني عشر شقاً على انه في يد كل ايهام شقان دلالة على أن الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الاربع
والشقوق التي في الاصابع كالبحر والابهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذي يقوم الارض
بقدر ما فيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لا يفتقران ولذلك صار في ظهر الانسان
اثنتا عشرة خزة اشارة الى الحجج الاثني عشر وصار في عنقه سبع فكان العنق عالياً على خزات الظهر وذلك
اشارة الى الانبياء النطقاء والأئمة السبعة وكذلك الاثني عشر السبعة التي في وجه الانسان العالي على
بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو ما دعاه اليه الداعي وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة
السادسة * (الدعوة السادسة) * لا تكون الا بعد ثبوت جميع ما تقدم في نفس المدعو وذلك أنه اذا صار الى
الرتبة الخامسة أخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من
الفرائض بأمور مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعدين في ازمته من غير عمله تؤدي الى أن هذه الاشياء وضعت
على جهة الرموز للصحة العامة وسياساتهم حتى يشغلوا بها عنبغي بعضهم على بعض وتصدتهم عن الفساد
في الارض حكمة من الناصيين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واقناعهم لما يتوهم من النواميس
ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام
الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن اهامعاني أخر غير ما يدل عليه الظاهر نقله الداعي
الى الكلام في الفلسفة وحضه على النظر في كلام افلاطون وأرسطو وفيناغورس ومن في معناهم ونهائ
عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزينه الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك

منه وامتدته فله بعد ذلك الى الدعوة السابعة وبمحتاج ذلك الى زمان طويل * (الدعوة السابعة) لا يفصح
 بها الداعي ما لم يكثر أنسه من دعاءه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلى عما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال
 ان صاحب الدلالة والنائب للشيعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما
 الاصل والاخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلى لما يحويه العالم العلوى فان مدبر
 العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة
 بقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والاخر هو القدر الذى قال
 فيه انا كل شئ مطلقناه بقدر وهذا معنى مانسعه من ان الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح
 ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم وأصلها مأخوذة من كلام الفلاسفة القائلين الواحد
 لا يصدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارة أخرى في كتبهم فان كنت ممن ارتاض
 وعرف مقالات الناس تميز لك ما ذكرت ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى واذا تقررت ما ذكر في
 هذه الدعوة عند المدعوق فله الداعي الى الدعوة الثامنة * (الدعوة الثامنة) متوقفة على اعتقاد سائر
 ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعوق يناله قال له الداعي اعلم ان أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود
 والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن
 الصادر الثانى بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد
 فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم
 يقتضى شركة بينه وبين المحدثات وانفى يقتضى التعطيل وقالوا ليس بتقديم ولا محدث بل القديم امره وكلته
 والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعوق قرر عنده الداعي ان التالى يدأب في
 أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الارض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن
 الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجرى امور العالم في اكواره وأدواره ولهذا
 القول بسط كثير فاذا اعتقده المدعوق قرر عنده الداعي أن فحجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء
 ينظم بها سياسة الجهور وتشمل الكافة مصطلحها بترتيب من الحكمة تحوى معاني فلسفية نبوية عن حقيقة
 انية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة يرموز بعقلها العالمون وتارة
 بافصاح يعرفه كل أحد فينظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقررون عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب
 والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه وليس هو الاحداث ادوار عند انقضاء
 أدوار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة
 في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعوق فله الداعي الى الدعوة التاسعة * (الدعوة التاسعة)
 هي النتيجة التى يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه فاذا تيقن أن المدعوق تأهل
 لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة
 والعلم الالهى وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعوق من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه
 وقال ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاء
 النفس فيجد النسي في فهمه ما يلقي اليه وينزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذى ينظم به النبي
 شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية
 مصالح الدهماء بخلاف المعارف فانه لا يلزمه العمل بها وكيفيه معرفته فانها اليقين الذى يجب المصير اليه
 وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانها هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب
 ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم سياسة العامة وان الفلاسفة انبياء
 حكمة الخاصة وان الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بآريضة في المعارف اليه وظهوره الآن
 انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعي ولهم
 في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة
 الى شخص كان بالعرف يعرف بميمون القداح وكان من غلاة الشيعة فولد ابنا عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه

وكثرت معارفه وكاد أن يطالع على جميع مقالات الخليفة فرتب له مذهبا وجعله في تسع دعوات ودعا الناس
 الى مذهبه فاستجاب له خلق وكان يدعو الى الامام محمد بن اسمعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار
 له مال واشتهرت دعائه فأنكر الناس عليه وهموا به ففتر الى البصرة ومعه من اصحابه الحسين الاهوازي فلما
 انتشر ذكره بها طلب فصار الى بلاد الشام وأقام بسلامية وبها ولد له ابنه احمد فقام من بعده ابيه عبد الله بن ميمون
 فسير الحسين الاهوازي داعية له الى العراق فلقى حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه
 واستجاب له وأنزله عنده وكان من امره ما هو مذكور في أخبار القرامطة من كتابنا هذا عند ذكر المعز لدين الله
 معه ثم انه ولد لاجد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبي الشلعل فلما هلك احمد خلفه ابنه الحسين ثم قام
 من بعده أخوه ابو الشلعل وكان من امرهم ما هو مذكور في موضعه فانتشرت الدعاة في اقطار الارض وتفقهوا
 في الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحلت الآن وذهبت بذهاب
 أهلها ولهذا يقال ان اصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من أجلها الى الاخلاص * (صفة
 العهد الذي يؤخذ على المدعو) * وهو ان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه جعلت على نفسك عهد
 الله وميثاقه وذمة رسوله وأتباعه وملائكته وكتبه ورسوله وما أخذته على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك
 تستر جميع ما تسعه وتسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وأمرى وأمر المقيم بهذا البلد صاحب الحق الامام
 الذي عرفت اقرارى له ونصحتي لمن عقد ذمته وأمر اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا
 الدين ومخالصته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيئا قليلا ولا كثيرا ولا شيئا يدل
 عليه الا ما اطلقت لك أن تتكلم به او اطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فعمل في ذلك بامرنا ولا تنهنا
 ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
 وتشهد أن محمدا عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة
 آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت
 الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله ونواي أولياء الله وتعاذى اعداء الله وتقوم
 بقرائن الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهرا وباطنا وعلانية سرا وجهرا
 فان ذلك يؤكده هذا العهد ولا يهدمه ويثبت ولا يزله ويقربه ولا يبعده ويثبت ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله
 ويوضحه ولا يعيبه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم اجمعين على
 الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعون نعم ثم يقول الداعي له والصيانة
 له بذلك وأداء الامانة على أن لا تظهر شيئا اخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب ولا على
 حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدّة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على
 الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة
 رسوله صلى الله عليه وسلم أن تمنعني وجميع من اسميه لك وابنته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولولايك
 ولي الله نصحا ظاهرا وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احد من اخواننا وأوليانا ومن تعلم أنه منابست في اهل
 ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تناول عليه بما يبطله فان فعلت شيئا من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته وانت على
 ذكرك منه فأنت بريء من الله خالق السموات والارض الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك
 في دينك ودينك وآخرتك وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الصّـ كرويين والروحانيين
 والكلمات السماوات والسبع المثاني والقرءان العظيم وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن
 كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب أوليائه
 وخذلك الله خذلانا بينا يجعل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة وانت بريء
 من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرم عليه بها الجنة
 وخذله في النار ان خالفت شيئا من ذلك واقعت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحج الى بيته
 الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ما شيا حافيا لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه
 فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة

وكل ملوكك من ذكرا وأنثى في ملكك أو تستفيد من وقت وفاتك أن خالفت شيئا من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأة لك أو تترجىها إلى وقت وفاتك أن خالفت شيئا من ذلك فهن طواقي ثلاثا بنة طلاق الحرج لا مشوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستخلف لك لا مملك وجمتك وانت الخالف لهما وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحلك عليه وأحلفك به فهذه الامين من أولها إلى آخرها مجتدة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك قل نعم فيقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

(الدواوين)

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله إلى مصر ونزل بقصره في القاهرة محلها بدار الامارة من جوار الجامع الطولوني فلما مات المعز وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس نقل الدواوين إلى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته إلى القصر فلم تزل به إلى أن استبدت الأفضل بن أمير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل إليها الدواوين فلما قتل عدت من بعده إلى القصر وما زالت هناك حتى زالت الدولة * قال في كتاب الذخائر والتحف وحدثني من اثنى به قال كنت بالقاهرة يوما من شهور سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استفتح امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت أيديهم إلى أخذ الذخائر المصونة في قصر السلطان بغير أمره فرأيت وقد دخل من باب الديلم أحد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادي ونخر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ورضي الدولة بن رضى الدولة وأمير الامراء بجنتكين ابن بسمك حكتكين وأمير العرب بن كيغلاغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا في الايوان الصغيرة فوقوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم أحد الفزاشين المستخدمين برسم القصور المعمورة قد خلوا إلى حيث كان الديوان النظري في الديوان المذكور وصحبتهم فعلة واتهوا إلى حائط مجير فأمر والقلة بكشف الجير عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمر وابهدهم فتوصلوا منه إلى خزنة ذكر أنها عزيزة من أيام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر ومن الرماح العزيزية المطلية استتم بالذهب ذات مهارك فضة مجرأة بسواد ممسوح فضة بياض ثقيلة الوزن عدة رزم اعوادها من الزان الجيد ومن السيوف المجوهرية النصول ومن النشاب الخلتجي وغيره ومن الدرق اللطفي والجحف التيني وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والمخلى بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التخافيف والجواشن والكراميدات الملبسة ديساجا المكوكبة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حوائثهم وركابياتهم يكسرون الرماح ويتلقون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك في سراويله وعمامته وجيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيها من الرماح الطوال الخطية السمر الجياد عدة حملوا منها ما قدروا عليه وبقي منها ما كسره الركابية ومن يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازلين ولصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا التفتت إلى قدر ذلك ولا احتفلت به وجعلته هو وغيره فداء لاهوال المسلمين وحفظ المال في منازلهم

(ديوان المجلس)

قال ابن الطويرديوان المجلس هو أصل الدواوين قد عيافيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين أو معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الاقطاعات ويلحق بديوان النظر ويخضع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة والمستند والدواة والحاجب إلى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فآولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه أجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحا لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام في العطايا والظاهر من الرسوم المعروفة في غرة السنة والخضايا والمرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهات وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يرسل اليهم من الملائقات ومقادير الصلات

للمترسلين بالمسكبات وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمة ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالصرة المنعم بها في اول العام من الدنانير والرباعية والقراريط تقرب من ثلاثة الاف دينار وثمان الف دينار يقرب من ألفي دينار وما ينفق في دار الفطرة فيما ينفق على الناس سبعة آلاف دينار وما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها في كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق في مهمتهم فتح الخليج غير المطاعم ألفا دينار وما ينفق في شهر رمضان في سماطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق في سماطى القطر والنحر أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خرائنه من الماكول والمشارب والمواصله من الهبات وما يخرج به الخطوط من التشرقيات والمساحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شئ من هذه المطلقات وفي هذه الخدمة كاتب مستقر بين يدي صاحب ديوانه الاصلى ومعه كاتبان آخران لتنزيل ذلك في الدفتر والدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها في اوقاته من غير فوات قال واذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الاستيثار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض اليه فاذا تحتررت نسخة التحرير يضت بعد أن يستدعى من المجلس اوراق بالادرار الذى يقبض بغير خرج وفي الادرار ما هو مستقر بالوجهين يضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيثار شئ من كل ما تقر شرجه ويعلم مقداره عينه او ورقا وغلة وغير ذلك فيحتر ذلك كله بأسماء المرتزقين وأولهم الوزير ومن يلوح به وعلى ذلك الى أن ينتهى الجميع الى ارباب الضر فاذا اكمل استدعى له من خزانه الفرش وطاء حريلسته وشرابه لسكه اما خضراء او حراء ويعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده وهذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لاربابها والرسوم المعدة في كل سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد الفطر وعما يشهده دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم وقد انعقد مرة وأنا اتولى ديوان الرواتب على ما مبلغه نصف ومائة ألف دينار وقريب من مائتي ألف دينار ومن القمح والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه في الشراة حمل الى صاحب ديوان النظر ان كان والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعنى مسكه او الوزير لاستقبال المحترم من السنة الاتية في اوقات معلومة فيتاخر في العرض وربما يستوعب المحترم ليعيط العلم بما فيه فاذا اكمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يخرجون من الاقامات على مال الدولة التي لا اصل لها وعلى غير متوفر ويتخيرها اربابها بالمستقبليات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستيثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرة في ايام المستنصر بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غير ناقل له معاذ الله يا مولانا ما تم انعام الالك ولا رزق الامن الله على يدك فقال ما ينقص به امرنا ولا خطنا وما صر قناه في دولتنا باذنتنا وتقدم الى ولي الدولة بن جبران كاتب الانشاء بامضائه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر من المذاق والحاجة تذل الاعناق وحراسة النعم بادرار الارزاق فليجروا على رسومهم في الاطلاق ما عندكم ينقد وما عند الله باق ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيثار الرواتب مانصه أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثيرا لا عطاء ولا يكدره بالتأخير له والتسويق والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنط نفوسهم وسامت ظنونهم شملهم برحمته ورأفته وامنهم مما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا للانعام والمنة وتهنئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمثاق فليعقد في ديوان الجيوش المنصورة اجراء ما تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من رواتبهم وايجاباتهم على سياقاتها لكافتهم من غير تأول ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب وليجروا في نسبياتهم على عادتهم لا ينقص من أمرهم ما كان مبرما ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا وعلا بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ولننسخ في جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال في كتاب كزالدور ان في سنة ست وأربعمائة عرض على الحاكم بامر الله الاستيثار باسم المتفقيين والقراء والمؤذنين بالقاهرة

ومصر وكانت الجبل في كل سنة أحدًا وسبعين ألف دينار وسبع مائة وثلاثة وثلاثين دينارًا وثلاثي
دينار وربع دينار فأقصى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيثار فبلغني ممن اتق به أنه كان في الايام
الافضلية اثني عشر ألف دينار وصراف الايام المأمونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر ألف
دينار وأما تذكرة الطراز للحكم فيها مثل الاستيثار والسائق فيها كانت تشمل في الايام الافضلية على
أحد وثلاثين ألف دينار ثم اشتملت في الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار ونضاعت في الايام
الآمرة وعرض روزنامج بما انفق علينا من بيت المال في مدة أولها محترم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها
سلخ ذي الحجة منها في العساكر المسيرة لجهاد الفرنج بتراس الاساطيل بحرا والمنفق في ارباب النفقات من الخيرية
والمطبعة والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزائن القصور والزاهرة وما يتباع من الحيوان
برسم المطابخ وما هو برسم مندبل الكرم الشريف في كل سنة مائة دينار والمطلق في الاعياد والمواسم وما ينعم به
عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العود منها وعن الامتعة المبتاعة من التجار على ايدي الوكلاء
والمطلق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمنًا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلوات
والصدقات ومن يمتدى للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم في الخدم ونفقات بيت المال والعمارة
وهو من العين اربع مائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبع مائة وسبعة وتسعون دينارًا ونصف من جلة
خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارًا ونصف يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى
الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر وما يحمل الى الثغور عند نفاد ما بها ثمانية
وتسعين ألفا ومائة وسبعة وتسعين دينارًا وربعا وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا يجري
ولا تعرف وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأموني والاجلاء اخوته وأولاده وما انعم به على
ما تضمنت اسمه مشاهرة من الاصحاب والحواشي وأرباب الخدم والكتاب والاطباء والشعراء والقراشين
الخاص والجوق والمؤدين والخطاطين والرفاتين وصبيان بيت المال ونواب الباب ونقباء الرسائل وأرباب
الرواتب المستقرة من ذوي النيب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة
عشر ألفا وسبعمائة وثمانون دينارًا وثلاثين دينارًا يكون في السنة مائتي ألف ومائة دينار فتكون الجبل
سبع مائة الف وسبعة وستين ألفا ومائتين وأربعة وتسعين دينارًا ونصف * قال وفي هذا الوقت يعني شوال
سنة سبع عشرة وخمسمائة وقعت مرافعة في ابي البركات بن ابي الليث متولى ديوان المجلس صورته المملوك
يقبل الارض وينهى انه ما واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعقده لانه اهل أن ينال خدمة وانما هي نصيحة تلزمه
في حق سلطانه وقد حصل له من الاموال والنخاير ما لا عد له ولا قيمة عليه ويضرب المملوك عن وجوه
الجنابة التي هي ظاهرة لان السلطان لا يرضى بذكرها في عالي مجلسه ولا يسماعها في دولته وله ولاه مستخدمون
في الدولة ست عشرة سنة بالجاري الثقيل لكل منهم ويزكر المملوك ما وصلت قدرته الى علمه ما هو باسمه خاصة
دون من هو مستخدم في الدواوين من اهله وأصحابه ويسد أعباءه مياومة ادرار من بيت المال والخزائن ودار
التعبية والمطابخ وشؤون الخطب وهو ما يبين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن الضأن رأس واحد ومن
الحيوان ثلاثة اطيارد ومن الخطب جمل واحد ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا ومن الخبز عشرون وطيفة
ومن الفمكة ثمر زهرة قصر تان وشمامة وفي كل اثنين وخميس من السميط بقساعة الذهب طيفور خاص
وحصن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز الموائد والسميد وفي كل يوم احد وأربعاء من الاسمطة
بالدار المأمونية مثل ذلك وفي كل يوم سبت وثلاثاء من اسمطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعي
عناوي يحضر اليه في كل يوم من الاصطبلات بغلة بمركوب محلي وبغلة برسم الراجل وقراشين من الجوق برسم
خدمته وتبيت على بابها واذا خرج من بين يدي السلطان في الليل كان له شمعة من الموكيات توصله الى داره وزنها
سبعة عشر رطلا ولا تعود برسم ولده في كل يوم ثلاثة ارطال لحم وعشرة ارطال دقيق وفي ايام الركوبات
رباعي والمشاهرة جاري ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون دينارًا وبرسم ولده راتب عشرة دنائير
وأثبت اربعة علمان نصاري ونسبهم للاسلام في جلة المستخدمين في الركاب ولم يتخدموا لافي الليل ولا في النهار
بما يبلغه سبعة دنائير ومن السكر خمسة عشر رطلا ومن غسل النخل عشرة ارطال ومن قاب القسمة ثلثة

ارطال وقلب البندق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال وورد مربي رطلان زيت طيب عشرة ارطال
 شرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أرز نصف وية سماق أربعة ارطال حصرم
 وكشك وحب رمان وقراصيا بالسوية اثنا عشر رطلا سدرو أشنان وية ومن الكيزان عشرون شربة عزيرية
 ونخبة واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطليات والمسانمة في بكور الغرة برسم
 الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جدد وبرسم ولده دينار ورباعي وثلاثة قراريط وخروف
 مقوم وخمسة أرؤس وربيع قنطار خبز برما ذق وصحن ارز بلبن وسكر ومن السماط بالقصر في اليوم المذكور
 خروف شواء وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثائة اردب ومن الشعير مائة وخمسون
 اردبا وفي المواليذ الاربعة اربع صوا في فطرة وكسوة الشتاء برسمه خاصة منديل حريري وشقة ديبقي حرير
 وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج دارى وشقتان سقلاطون احدهما اسكندراية وشقتان عتباي
 وشقتان خرمغري وشقتان اسكندراي وشقتان دمياطي وشقة طلي مرش وفوطة خاص وبرسم ولده شقة
 سقلاطون دارى وشقة عتباي دارى وشقة خرمغري وشقتان دمياطي وشقتان اسكندراي وشقة طلي
 وفوطة وبرسم من عنده منديل اكم احدهما خرائي خاص ونصف اردية ديبقي وشقة سقلاطون دارى
 وشقة عتباي وشقة سوي وشقة دمياطي وشقتان اسكندراي وفوطة وبرسمه أيضا في عيد الفطر طيفوران
 فطرة مشورة ومائة حبة بوري وبدلة مذهبة مكملة ولولده بدلة حرير وبرسم من عنده حلة مذهبة وفي عيد
 النحر رسمه مثل عيد الفطر ويريد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه
 من الغنم مالم يكن باسمه وفي موسم فتح الخليج أربعون ديناراً وصينية فطرة وطيفور خاص من القصر وخروف
 شواء وجام حلواء وبرسم ولده خمسة دنانير ولخاصه في النوروز ثلاثون ديناراً وشقة ديبقي حريري وشقة لاذ
 ومجحر حريري ومنديل كم حريري وفوطة ومائة بطيخة وسبع مائة حبة رمان وأربعة عنقايد موز وفردبسر
 وثلاثة أفصاص عرقوصي وقفصان سفرجل وثلاث بكالي هريرة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة
 بلحم بقري وأربعون رطلا خبز برما ذق ولولده خمسة دنانير وحوائج النوروز بما تقدم ذكره وبرسمه في الميلاد دجام
 قاهرية ومترد سميذ معصمي وزلاية وست قرابات جلاب وعشر حبات بوري وبرسم الغيطاس خمسة مائة حبة
 ترنج ونازنج ولهمون مركب وخمسة عشر طن قصب وعشر حبات بوري وباسمه في عيد الغدير من السماط بالقصر
 مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأموني يعني مجلس الوزارة ثلاثون ديناراً ولولده خمسة
 دنانير ومن تكون هذه رسومه في أي وجه تنصرف أمواله والذي باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره في ديوان
 الوزارة وابن أخيه في الديوان التاجي ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصر وفة عنهم وقد
 اختصر المملوك فيما ذكر والذي باسمه اكثر واذا امر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المملوك وعلم
 أنه ممن يتجنب قول المحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض
 بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت في جهاتهم من الاموال التي تخرج عن هذا الانعام ما يجده حاضرا
 مدخورا عندهم يعرفه مائة الف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الراهب في الايام الآمرية فوجد هو وغيره
 الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجملة الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا
 الى خدمتهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم وانتقامهم من اعدائهم اكثر مما كان أولا انتهى فانظر
 أعزك الله الى سعة احوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها تبين لك بما تقدم ذكره في هذه
 المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلا على باقى احوال الدولة

* (ديوان النظر) *

قال ابن الطوير أمادواوين الاموال فان أجملها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض
 الاوراق في اوقات معروفة على الخليفة والوزير ولم يرفيه نصراني الا الاخرم ولم يتوصل اليه الا بالضممان وله
 الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والسند وبين يديه حاجب من امراء الدولة وتخرج له
 الدواة بغير كرسى وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب الدولة ولا يعترض

* (ديوان التحقيق) *

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لا يتولاها الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق براس الديوان يعني متولى النظر ويقتدر اليه في اكثر الاوقات * وقال ابن المأمون وفي هذه السنة يعني سنة احدى وخمسة مئة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان رغب في التبعج على الافضل بن أمير الجيوش ينهضه ويسأله أن يشاهده قبل حله وذكر أنه سمع بمائة ألف دينار خارجة عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في مسند ابي بجانب والدراهم في مسند ابي بجانب وقام ابن أبي الليث بين الصفتين فلما شاهد الافضل بن أمير الجيوش ذلك قال لابن أبي الليث يا شيخ تفترحنى بالمال وترتبة أمير الجيوش ان بلغنى أن بئرا معطلة أو أرضا بائرة أو بلدة خراب لا ضربت عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله اياك أن يكون فيما ببلد خراب أو بئر معطلة أو أرض بور فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبي الليث في سنة ثمان عشرة وخمسة مئة

* (ديوان الجيوش والرواتب) *

قال ابن الطوير أما الخدمة في ديوان الجيوش فتقسم قسمين الاول ديوان الجيش وفيه مستوف اصيل ولا يكون الامسما وله مرتبة على غيره جلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والمسند وبين يديه الحاجب وترد عليه امور الاجناد وله العرض والحلى والسياب ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد واذا عرض احد الاجناد ورضى به عرض دوايه فلا يثبت له الا الفرس الجيد من ذكور الخيل وانماها ولا يترك لاحد منهم برزون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير احد من الاجناد الا برسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدي هذا المستوف نقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والصحة وكان قد فسح للاجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل يتخير بجم صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل اوراق ارباب الجرايات وما كان لا مير وان علاقته بدمقور الانادرا وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على اسماء كل مرتزق وجار جارية وفيه كاتب اصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة أنفس والتعريفات وارادة عليه من كل عمل باستقرار من هو مستقر ومباشرة من استجبت وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض * العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثمانية دينار الى مائتي دينار ولم يقرر لولد وزير خمسة مئة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمسة مئة الى اربع مئة الى ثمانية خارجا عن الاقطاعات * العرض الثاني حواشي الخليفة وأولهم الاستاذون المحكون على رتبهم وجوارى خدمهم التي لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد الساج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس واطيبي الخاص لكل واحد خمسون ديناراً وان دونهم من اطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاولة كاتب الدست الشريف وجارية مائة وخمسون ديناراً ولكل واحد من كتابه ثلاثون ديناراً ثم صاحب الباب وجارية مائة وعشرون ديناراً ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهم سبعون ديناراً وبقية الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى اربعين ديناراً الى ثلاثين ديناراً * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار وداعي الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون ديناراً الى خمسة عشر الى عشرة وخطباء الجوامع من عشرون ديناراً الى عشرة وللشعراء من عشرون ديناراً الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون ديناراً وديوان التحقيق جاريه خمسون ديناراً وديوان المجلس أربعون

دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجارية أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا وجميع اصحاب الدواوين الجاري فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين في ولاية القاهرة وولاية مصر في الشهر خسون دينارا والحاجة بالاهراء والمناخات والجوالى والبساتين والاملاك وغيرها لكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع القراشون بالقصور برسم خدمها وتنظيفها خارجا ودخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجية عن القصر فمنهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارا الى ماحولها ولهم رسوم ممتدة ويقربون من الخليفة في الاسمطة التي يجلس عليها ويلبهم الرشاخون داخل القصر وخارجها ولهم عرفاء ويتولى امرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثمانيه رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفي رجل ومقدموهم اصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدم منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب المين ولكل من هؤلاء المقدمين في كل شهر خسون دينارا ولهم ثقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقا على قدر جوارهم جوقه لكل منهم خمسة عشر دينارا وجوقه لكل منهم عشرة دنانير وجوقه لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من يتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الاعمال التي يدخلونها وهم الذين يحملون الخلفات ركوب الخليفة في المواسم وغيرها وأول من قتر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم المذكور والانات والنساءهم وقتر لهم أيضا الكسوة الغزير بالله نزار بن المعز

* (ديوان الانشاء والمكاتبات) *

وكان لا يتولاه الا اجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذي يأمر بتزليلها والاجابة عنها الكتاب والخليفة يستشير في اكثر امورهم ولا يحجب عنه متى قصد المشول بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره ورعايات عند الخليفة لباي وكان جارية مائة وعشرين دينارا في الشهر وهو أول ارباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطقات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وقراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة لكنها بغير كرى وهي من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذي الخليفة

* (التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم) *

وكان لا بد للخليفة من جلس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به في اكثر الايام ومعه استاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ناظرا اليه والى الخليفة لمخلص السير ويكثر رعليه ذكركم ارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون صحبته للجاوس دواة محلاة فاذا فرغ من المحالسة ألقى في الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقتراس فيه ثلاثة مشاقيل ندمثال خاص ليتجربه عند دخوله على الخليفة ثانيا مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وقتراس يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا باذن وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوى وغيرها

* (التوقيع بالقلم الجليل) *

وهي رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها طراحة والمسند بغير حاجب بل القتراس لترتيب ما يوقع فيه

* (مجلس النظر في المظالم) *

كانت الذولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء

والحجاب فينادى المنادى بين يديه بأرباب الظلامات فيحضرون فن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم عن ليس من اهل البلد احدى قصة بأمره فيتسلها الحاجب منه فاذا جعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وبقائه قاضي القضاة ومن جانيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهلار العساكر وبين أيديهما التواب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها بصدق ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع في الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويحلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أيد الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المساحة والتسوية والتجسس قد انعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشيء الذي انهمى وقع ليخرج الحال في ذلك فاذا احضر اليه اخرج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعت المعروف به امتعنا الله ببقائه يتقدم بخار ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة يمثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت في الدواوين

* (رتب الامراء) *

وكان اجل خدم الامراء ارباب السيوف خدمة الباب ويقال لتولى هذه الخدمة صاحب الباب وينعت اولا بالمعظم واقل من خدم بها المعظم خرتاش في ايام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ في مرضه فلما عوفي اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنياية الشريفة ومقتضاها انها مميزة ولا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمامة وينعت أيد ابعدي الملك وهو الذي يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه ثواب الباب في خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعدة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب عينا وهو يسار ويتولى اقتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير في حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤ فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم ويلى رتبة صاحب الباب الاسفهلار وهو زمام كل زمام واليه امور الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة ايام الركوب بالظلة واليتيمة ثم من يرم طائقي الحافظة والآمرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء ارباب الاطواق ويليه ارباب القصب والعماريات وهي الاعلام ثم رزى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الاماثل وكانت الدولة لا تسند ذلك الا الى ارباب الشجاعة والنجدة وهذا دخل فيه اخلاط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم للزينة والتباهي

● (قاضي القضاة) ●

وكان من عادة الدولة انه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاة رجلا نياية عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجبالي واذا كان الخليفة مستبدا قلد القضاة رجلا ونعته بقاضي القضاة وتكون رتبته اجل رتب ارباب العمامة وأرباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعيا فيقال له حينئذ قاضي القضاة وداعي الدعاء ولا يخرج شيء من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسند حرير فلما ولي ابن عقيل القضاة رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحت السامان فاستمر هذا الرسم ويجلس الشهود حوا اليه يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد يتخذ الخوصم اليه وله اربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرمي الدواة وهي دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل بجامكية في الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه دقترضة ومكان الجلد حرير وتأتيه في المواسم الاطواق ويخلع عليه

الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق الا اذا ولي الدعوة مع الحكم فان للدعوة في خلعتها الطبل والبوق والبنود الخاص
وهي نظير البنود التي يشرف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حوالية القراء وجالفة وبين يديه
المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير ان كان ثم ويجعل بنو ابواب الباب والجلاب ولا يتقدم عليه أحد في محضر هو
حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لاملال ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو في مجلس الحكم
ولا يعتدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر في يوم الاثنين والنجس أول النهار للسلام على الخليفة وتوايه لا يقترون
عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير
فكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه ويختتم عليه ويحضر لفتحته وكان القاضي لا يصرف الا بفتحته ولا يعتدل
أحد الا بتركية عشرين شاهدا عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضي الشهود به ولا يحتج أحد على الشرع
ومن فعل ذلك ادب

* قاعة الفضة *

وهي من جملة قاعات القصر

* قاعة السدرة *

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشتراها قاضي القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحدين
علي بن سرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين ديناراً في رابع شهر
ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين طاهر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين
المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادي عشر ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

* قاعة الخيم *

كانت شرقي قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم في مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

* (المنظر الثلاث) *

استجد من الوزير المأمون البطاحي وزير الخليفة الأمر بأحكام الله احداً من بين باب الذهب وباب البحر
والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة ثالثة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناصرة وكان يجلس الخليفة
في احداها العرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير في قوس باب الذهب

* (قصر الشوك) *

قال ابن عبد الظاهر كان منزلاً لابي عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد ابواب القصر
انتهى والعامّة تقول قصر الشوق وأدركت مكانة دار الاستجدت بعد الدولة الفاطمية هدمها الأمير جمال
الدين يوسف الاستادار في سنة احدى عشرة وثمانمائة لينشئها داراً لغات قبل ذلك وموضع اليوم بالقرب
من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

* (قصر أولاد الشيخ) *

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب الأمير الكبير معين الدين حسين بن شيخ
الشيوخ صدر الدين بن جويه في أيام الملك الصالح نجم الدين ايوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطا يعرف
بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام يسرى وفيه عدة دور منها دار الطواشي سابق الدين ومدرسته المعروفة
بالمدرسة السابقة وكان يتوصل اليه من الركن الخلق أيضاً من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف
قد بما يباب الریح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف في زمننا يباب القصر الى أن هدمه جمال الدين الاستادار
كما يأتي ان شاء الله تعالى

* (قصر الزمرد) *

هو من جلة القصر الكبير وعرف أخيراً بقصر قوصون ثم عرف في زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرد لانه
كلن بجوار باب الزمرد أحد أبواب القصر ووجد به في سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان
عظيمان من الرخام الأبيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحرايق السلطانية اساقيل وجرت هما الى المدرسة التي
انشأها الملك الاشرف شعبان بن حسين تجاه الطبخانة من قلعة الجبل وأدركا بحر هذين العمودين اوقاتاً في ايام
تجمع الناس فيها من كل اوب لمشاهدة ذلك ولهمجوا بكركهما زمنوا وقالوا فيه ما شعر او غناء كثيراً وعملوا نحو ذوات
من ثياب الحرير وتطيرن المناديل عرفت بجبر العمود وكانت الانفس حينئذ منبسطة والقلوب خالصة من الهموم
وللناس اقبال على الله وكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتد من أنقاض القصر
فسبحان الوارث

* (الركن المخلق) *

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الاقصر على عتبة من اراد الدخول الى المسجد المعروف الآن بمسجد موسى
وقيل له الركن المخلق لانه ظهر في سنة ستين وسبعمائة في هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه
السلام يخلق بالزعفران وسمي من ذلك اليوم بالركن المخلق وأخبرني الامير الوزير ابو المعالي بليغا السالمي أنه
قرأ في الاسطر المسكوبة بأسكفة باب الجامع الاقصر كلاماً من جلته والحوادث التي بالركن المخلق بواو بعد
الخاء فرأيت بعد ذلك في الامالي للقالى وقال ابو عبيدة عن أبي عمر والحوادث العصرية التي لا ماء بها ويقال الواسعة
وأخوق واسع فلعله سمي المخلق بمعنى الاتساع فكان ركناً متسعاً وفي بناء واسع او يكون المخلق باللام من قولهم
قدح مخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها اي مستو أملس وكل ما لين وملس فقد خلق فشكل أملس
مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق عندما خلقوه بالزعفران والله اعلم

* (السقيفة) *

وكان من جلة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هنالك كل
ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على
ولي الله فيسمع الخليفة قماً مر باحضاره اليه أو يفوض أمره الى الوزير والقاضي او والى ومن غريب ما وقع
أن الموفق بن الخلال لما كان يتحدث في امور الدواوين ايام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من اتسده بعد
الخطاط النبل من العدول والنصارى الكتاب الى الاعمال تحريراً مثله الى وزرع من الاراضى وكناية
المكلفات فخرج الى بعض التواحي من مسجدها من شاذ وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصراني ثم لحقههم وأراد
التعدي به الى الناحية فحمله ضامن تلك المعتدية الى البر وطلب منه اجرة التعدي فنفق فيه النصراني وسبه وقال
انما سمع هذه البلدة وتريد منى حق التعدي فقال له الضامن ان كان لي زرع خذ وقطع لحام بغلة النصراني وألقاه
في معتديه فلم يجده النصراني بد من دفع الاجرة اليه حين أخذ لحام بغلته فلما قدم مساحة البلد ويض مكلفة
المساحة ليجملها الى دواوين الباب وكانت عاداتهم حينئذ كتب الجمله بزيادة عشرين فلما ترك بياضاً في بعض
الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط علمه بالحقه ثم كتب في البياض الذي تركه ارض اللجام باسم
ضامن المعتدية عشرين فدنا قطيعة كل فدان اربعة دناتير عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة الى ديوان الاصل
وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر نديب من الخدم من فيه حاسة وثقة ومن الكتاب
العدول وكاتب نصراني فيخرجون الى سائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة
فيستفق في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية من
ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل يتدب قوم سواهم فلما خرج الشاذ والسكانب والعدول لاستخراج ثلث
مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ما تشهد به المكلفة ومن جلتهم ضامن المعتدية فلما حضر الزم بسة
وعشرين ديناراً وثلاثي دينار عن نظير ثلث المال الثمانين ديناراً التي تشهد بها المكلفة عن خراج ارض اللجام
فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدقه اهل البلد فلم يقبل الشاذ ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب
بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة وما زال به حتى باع معتديه وغيرها وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة

قوله السقيفة هكذا هنا

في النسخ بالقاف والقاء
وهو الظاهر المتبادر
خلافاً لما مر من انها
سقيفة بالقاء والنون
اه مصححه

وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ بإحضاره فلما مثل بحضوره قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه في حق النصراني وما كاده به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين واحضرت المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض اللجام ذكر البتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ بإحضار ذلك النصراني وسمر في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادى عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدي النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فتعطوا مدة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرمًا بعلم النجوم وله عدة من النجوم من جعلتهم شخص صار اليه عدة من اكبر كتاب النصارى ودفعوا اليه جلة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالآخر من أبي زكريا وسأله أن يذكر الحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فإنه ان اقامه في تدبير دولته زاد النيل ونما الارتفاع وزككت الزروع وتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار وجرت قوائن المملكة على اجل الاوضاع فطمع ذلك النجم في كثرة ما عاينته من الذهب وعمل ما قرره النصارى معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بشاهدة تلك الصفة فأمر بإحضار الكتاب من النصارى وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريد وهم يؤخرون الآخر عن الحضور اليه قصد منهم وخشية أن يظن بغيرهم لى أن اشتد الزامهم بإحضار سائر من بقي منهم فأحضره بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منجبه فاستدناه اليه وقر به وآل أمره الى أن ولاه أمير الدواوين فأعاد كتاب النصارى أو فرما كانوا عليه وشرعوا في التجبر وبالغوا في اظهار الفخر وتظاهر وبالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج والحلابة والجمع الثقيلة وضايقوا المسلمين في ارضاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاقواف الشرعية واتخذوا العبيد والمالكة والجواري من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فأبجأته الضرورة الى بيع اولاده وبناته فيقال انه اشتراهم بعض النصارى وفي ذلك يقول ابن الخلال

إذا حكم النصارى في القروج * وغالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الاسلام طرا * وصار الامر في ايدي العلوج

فقل للأعور الدجال هذا * زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلام وبين خزنة البنود يتوصل اليه من نجاة البر التي قد اقام دار كانت تعرف بقاعة ابن كتيبة ثم استولى عليها جمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لاخته ناصر الدين الخطيب وغيرها

* (دار الضرب) *

هذا المكان الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزنة بجوار الايوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله ابي تميم معه وذلك أن الأمر لما قتل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسة مائة قام العادل برغش وهزار الملوكة جوامرد وكانا اخص غلمان الأمر بالامير عبد المجيد ونصيباه خليفة ونعتاه بالخافظ لدين الله وهو يومئذ كبير الاقارب سنا وذكر أن الأمر قال قبل أن يقتل باسموع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وانه اشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى امهاسه لمد ذكره وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للامير عبد المجيد فجلس على انه كافل للمذكور وندب هزار الملوكة للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناده وثاروا بين القصرين وكبيرهم رضوان بن ونحشى وقاموا بأبي علي بن الفضل الملقب بكسيفات وقالوا لانرضى الآن بصرف هزار الملوكة وتفوض الوزارة لاجد بن الفضل في سادس عشره فكان أول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيدوه وهم بجملته فلم يأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقاء المنتظر ونقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسة مائة بالمدان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزنة

المذكورة وفكوا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجلسوه في الشباك على منصب الخلافة وطيف برأس أحد ابن الفضل وخلع على يانس خلع الوزارة وما زالت الخلافة في يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الفضل ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام

* (خزائن السلاح) *

كانت بالايوان الكبير الذي تقدم ذكره في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة تحت القبة التي هدمت في سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما تقدم وخزائن السلاح المذكورة هي الآن باقية بجواردار الضرب خلف المشهد الحسيني وعقد الايوان باق وقد تشعث

* (المارستان العتيق) *

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة في تاسع ذي القعدة أمر السلطان يعني صلاح الدين يوسف بن ايوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختر له مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له اطباء وطبائعين وجراحين ومشارف وعاملوا وخداما ووجد الناس به رقا واليه مستروحا وبه نفعا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباش ما تقدير ارتفاعه عشرون دينارا واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله في سنة أربع وثمانين وثلثمائة وقيل ان القرآن مكتوب في حيطانها ومن خواصها أنه لا يدخلها عمل اطلسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستانا وسأت مباشره عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قديما المارستان فيما بلغني القشاشير وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخرطين المسئول فيها الى الخمين والجامع الازهر

* (التربة المعزية) *

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين احضرهم في توأيت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدي عبيد الله وابنه القائم بأمر الله محمد وابنه الامام المنصور بنصر الله اسمعيل واستقرت مدفنسايد في التربة والضعفاء وأولادهم ونساءهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملتها الموضع الذي يعرف اليوم بخط الزرا كشة العتيق ومن هنالك بناها ولما انشأ الأمير جها ر كس الخليلي خاتمه المعروف به في الخط المذكور أخرج ماشاء الله من عظامهم فألقيت في المزابل على كيمان البرقية ويمتد من هنالك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية فيها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كلما ركب بظلة وعاد الى القصر لابد أن يدخل الى زيارة آياته بهذه التربة وكذلك لابد أن يدخل في يوم الجمعة دائما وفي عيدى الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم تفرق قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شوال سنة ست عشرة وخمسمائة تنبه ذكر الطائفة الترابية وتقرر بين يدي الخليفة الأمر بأحكام الله أن يسير رسول الى صاحب الموق بعد أن جمعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحي ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية فقال كل منهم لم يكن لتزار امامة ومن اعتمد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذروا حجتهم فكتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قويت شوكتهم واشتدت في البلاد طمعتهم وانهم سبروا الآن ثلاثة آلاف برسم النجوى وبرسم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويحتفون في محلهم فقدم الوزير بالفحص عنهم والاحتراز التام على الخليفة في ركوبه ومنزلهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يزل البحث في طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا وأما المال وهو ألف دينار فإن الخليفة أبى قبوله وأمر أن ينفق في السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال نظير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان

من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بغير عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة
تربة الأئمة بالقصر وأمر الوزير المأمون باطلاق ألفي دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة
فضة برسم المشهد العسقلاني وأن يصاغ على المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالجامع
العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حامل الصناديق التي تشتمل على مال التجاوي برسم الصدقات عشرة
آلاف درهم تفرق في الجوامع الثلاثة الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على
ابواب القصور وأطلق من الأهرام ألفي اردب قحاً وتصدق على عدة من الجهات بجملة كثيرة واشترت عدة
جوار من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن وقال في كتاب الذخائر ان الأتراك طلبوا من المستنصر
نفقة في أيام الشدة فما طلبهم وانهم هجموا على التربة المدفون فيها لاجداده فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب
وكانت قيمة ذلك مع ما جمع اليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والمجامر وحلى المحاريب
وغير ذلك خمسين ألف دينار

* (القصر النافعي) *

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السمع خوخ كان فيه بجائز من بجائز القصر
وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فندق المهندار الذي يدق فيه الذهب وما في قلبه من خان
منجك ودار خواجا عبد العزيز المجاورة للمسجد الذي بجذاء خان منجك وما بجوار دار خواجا من الزقاق
المعروف بدرب الحبشي وكان حته هذا القصر الغربي ينتهي الى الفندق الذي بالخيمين المعروف قديماً بخان
منكورس ويعرف اليوم بخان القاضي واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة الأمير ناصر الدين
عثمان بن سنقر الكامل المهندار الذي يعرف بفندق المهندار بعد أن كان اصطبله واشترى بعضه الأمير
حسام الدين لاجين الأيد مرى المعروف بالدوقيل ودار الملك الظاهر بيبرس وعمره اصطبل ودارا وهي الدار
التي تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشي ثم عمل الاصطبل الخان الذي يعرف اليوم بخان
منجك وابتنى الناس في مكان درب الحبشي الدور وزال اثر القصر فلم يبق منه شيء البتة

* (الخزائن التي كانت بالقصر) *

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزنة الكتب وخزنة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن
السروج وخزنة الفرش وخزنة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزنة التوابل وخزائن الخليم
ودار التعبئة وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزنة الجوهر والطيب وكان الخليفة يمضي الى
موضع من هذه الخزائن وفي كل خزنة دكة عليها طراحة ولها قزاش يخدمها وينظفها طول السنة وله جاري كل
شهر فيطوفها كلها في السنة

* (خزنة الكتب) *

قال المسيحي وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزانة دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا
وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري
اشتراها بمانه دينار فأمر العزيز الخزانة فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها
نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال في كتاب الذخائر عدة
الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزنة خزنة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم
القديمة وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربع مائة ختمه قرآن في ربعيات
بخطوط منسوبة زائدة الحسين بحلة بذهب وفضة وغيره ما وان جميع ذلك كله ذهب فيما أخذ الاثر في
واجبا تهم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل
اليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقله وابن البواب وغيرهما قال وكنت بمصر في
العشر الاول من محرم سنة احدى وستين وأربع مائة فرأيت فيها خمسة وعشرين بجلا موقرة كتبها محمولة الى

دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزانة القصر وهو الخطير
ابن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجبلين وان حصص الوزير أبي الفرج
منها قومت عليه من جاري مملوكه وعلمانه بخمسة آلاف دينار وذكروا كرى من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من
مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة
مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان في خزانة
دار العلم بالقاهرة وسوى ما طفرت به لواتة محمول مع ما صار اليه بالاتباع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية
في سنة احدى وستين وأربع مائة وما بعد ما من الكتب الجليلة المقدار المدونة المثل في سائر الامصار
صححة وحسن خط وتجليد وغاية التي أخذ جلودها عبيدهم وأما وهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق
ورقها تأولا منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم
سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى
اليوم في نواحي آثار تعرف بآلال الكتب وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في أحد مجالس المارستان
اليوم يعني المارستان العتيق فيحيى الخليفة والكاتب يترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من
يتولاهما وكان في ذلك الوقت المجلس بن عبد القوي فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك
بما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شيء منها أخذ ثم يعيده وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك
المجلس العظيم والرفوف مقطعة بمجارج وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب
ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجلدات فيها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب
الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي
ما تمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من
الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابين البواب وغيره وتولي بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين فاذا
أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناظران وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد
عشرين دينارا ويخرج الى غيرها وقال ابن أبي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة
ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي
كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان نسخة من تاريخ الطبري الى غير ذلك ويقال انها
كانت تشتمل على ألف وست مائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى وبما يؤيد ذلك أن
القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف
كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة اعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي
الفاضل منها شيء وذكر ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

* (خزانة الكسوة) *

قال ابن أبي طي وعمل يعني المعز لدين الله دارا ومماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع انواع الثياب
والبريكسويها الناس على اختلاف اصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك
وجعل ذلك رسميات وارثونه في الاعقاب وكتب بذلك كتباً وبني هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر
انقراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزانة الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ
بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس
والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملابس ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون اليه من نفيس المطعومات
والمشروبات وسمعت من يقول انه حضر كسا القصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة
ألف دينار وزيادة وكانت خلعتهم على الامراء الثياب الديق والعمائم بالطرار الذهب وكان طراز الذهب
والعمامة من خسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف والخلاعة وكان يخلع على

الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل - يعني الوزير المأمون في مجلس الوزارة
 لتنفيذ الامور وعرض المطالبات وحضر الكتاب ومن جلتهم ابن أبي الليث كاتب الدقير ومعه ما كان امر به من
 عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها السنة ست عشرة وخمسمائة
 من الاصناف اربعة عشر ألفا وثمناة وخمس قطع وان اكثر ما انفق عن مثل ذلك في الايام الافضل في طول
 مدتها السنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم
 ما رسم به في منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وسبعمائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلت الكسوة المختصة بالعيد
 في آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه في الايام الافضل ليهذا الموسم وهي تشتمل على ذهب وسلف
 دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير يسمى بعيد الحلال لان الحلال فيه تعم الجماعة وفي غيره
 للاعيان خاصة فأحضر الامير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم
 الموكب بدلة خاص جليله مذهبه ثوبها موشح مجاوم مذايل عتتها بالالفاتين احدى عشرة قطعة السلف عنها
 مائة وستة وسبعون دينار ونصف ومن الذهب العالي المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال
 اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبه * تفصيل ذلك شاشية طميم
 السلف ديناران وسبعون قصبه ذهب عراقي منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون
 قصبه ذهب عراقي فان كان الذهب نظير المصري كان الذي يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل
 مثقال نظير تسع قصبات ذهب عراقي واسطرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبه ذهب عراقي
 ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون ديناراً وثلثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهب عاليا اجرة كل
 مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين ديناراً ونصف ثوب ديبق حريري
 وسطاني السلف اثنا عشر ديناراً غلالة ديبق حريري السلف عشرون ديناراً منديل كم اقل مذهب
 السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهب عراقي منديل كم ثمان حريري السلف خمسة دنانير حجرة السلف
 اربعة دنانير عرضي مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهب عاليا عرضي لفاقه للتخت دينار
 واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السباط عتتها بالالفاتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر
 ديناراً ومن الذهب العالي خمسة وخمسون مثقالاً ومن الذهب العراقي سبعمائة وأربعون قصبه تفصيل
 ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبه ذهب عراقي منديل السلف ستون ديناراً وسبعمائة قصبه
 ذهب عراقي شقة وكم السلف ستة عشر ديناراً وخمسة وخمسون مثقالاً ذهب عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار
 شقة ديبق حريري وسطاني اثنا عشر ديناراً شقة ديبق غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريري خمسة
 دنانير حجرة اربعة دنانير عرضي خمسة دنانير عرضي برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم
 في ايام الفضل لانه لم يكن يتم سباط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الاسمطة والدواوين
 الى داره فصار يعمل هناك ما هو برسم الاجل أبي الفضل جعفر أخى الخليفة الا حربة بدلة مذهبه مبلغها تسعون
 ديناراً ونصف وخمسة وعشرون مثقالاً ذهب عاليا وأربعمائة وسبعون قصبه ذهب عراقي تفصيل ذلك
 منديل السلف خمسون ديناراً وأربعمائة وسبعون قصبه ذهب عراقي شقة ديبق حريري وسطاني
 السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبق السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلاث عرضي ديبق ثلاثة
 دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التي يقوم بخدمة اجوهر حلة مذهبه موشح مجاوم مذايل مطرف عتتها
 خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبه تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف
 خمسة عشر ديناراً وسبعمائة وستون قصبه سداسي مذهب السلف ثمانية عشر ديناراً ومائتا قصبه مجرأول
 مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون ديناراً وألف وتسعمائة قصبه مجرأول حريري السلف خمسة
 وثلاثون ديناراً ونصف رداء حريري اول السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريري ثمان السلف تسعة
 دنانير دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبه السلف خمسة وتسعون ديناراً ومن الذهب العراقي ألفان
 وسبعمائة وخمس وخمسون قصبه شقة ديبق حريري وسطاني السلف عشرون ديناراً ونصف شقة ديبق
 بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبق السلف اربعة وعشرون ديناراً وسبعمائة قصبه منديل

قوله بدلة خاص الخ
 ما ذكره في هذه البدلة
 وما بعدها من الكسوات
 والحلل تفصيله في
 الغالب لم يوافق اجماله
 على مقتضى ما يبدى
 من النسخ ولا يخفى ما في
 عباراته في هذا المقام
 وأمثاله من القلق ومخالفة
 العربية اه مصححه

كم اقول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبه مندبل كم ثمان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبه
 مندبل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضي ديبقي ثلاثة دنانير جهة مكثون القاضي
 بمنل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهب عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون
 ديناراً ومن الذهب العراقي ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبه جهة عنبر مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل
 ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدلة مذهب الامير داود مثله السيدة العمة حلة
 مذهب السيدة العابد العمة مثل ذلك الموالي الجلساء من بني الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد الحميد
 والامير ابو اليسر بن الامير محسن والامير ابو علي بن الامير جعفر والامير حمدة بن الامير عبد الحميد والامير
 موسى بن الامير عبد الله والامير ابو عبد الله بن الامير داود لكل منهم بدلة مذهب البنون والبنات من بني
 الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريري ست سيدات لكل منهن حلة حريري جهة الموالي ابي الفضل
 جعفر التي يقوم بخدمتها ربحان حلة مذهب جهة الموالي عبد الصمد حلة حريري ما يحتص بالدار الجيوشية
 والمظفرية فعلي ما كان باسمائهم المستخدمة لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهب ست
 خزان لكل منهن حلة حريري عشرو قافات لكل منهن كذلك المعلمة مقدمة المائة كذلك رايات مقدمة
 خزانة الشراب كذلك المستخدمة من ارباب الصنائع من القصوريات ومن انصاف اليهن من الافضليات مائة
 وسبعون حلة مذهب وحريري على التفصيل المتقدم المستخدمة عند الجهات العالية جهة جوهر
 عشرون حلة مذهب وحريري وكذلك المستخدمة عند مكثون الامراء الاستاذون المنكون الامير الثقة
 زمام القصور بدلة مذهب الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك الامير خاصة الدولة ربحان متولى
 بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك
 وفي الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جندب بدلة مذهب نظير البدلة المختصة بالامير الثقة
 ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريري أربع قطع ولفافة فوطة مختار الدولة ظل بدلة حريري ستة
 استاذين في خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهب جوهر زمام الدار
 الجديدة بدلة حريري تاج الملك امين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة في المجلس مثله مكثون متولى خدمة
 الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاص مثله النواب عن الامير الثقة في زمام
 القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريري خسرواني العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهم بدلة
 كذلك الصقالبة ارباب المداوب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريري وشقة وفوطة نائب الستر مثل ذلك
 الاستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم مندبل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندراني
 وفوطة الاستاذون الشدادون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ما جل برسم السيد الاجل المأمون يعني
 الوزير بدلة خاصة مذهب كبيرة موكبية عدتها احدى عشرة وما هو برسم جهاته برسم اولاده الاجل تاج
 الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم
 اولاد الفضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المومنين سلطان الملوك يعني أبا الوزير عن
 مقدمة العساكر وزم الازمة وبرسم الجهة المختصة به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل
 السيف الشريف خارجا عماله من حياية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا الخزائن المأمونية
 مما ينفق منها على من يحسن في الرأي من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابي اسامة
 كاتب الدست الشريف بدلة مذهب عدتها خمس قطع وكم وعرضي الامير نخر الخلافة حسام الملك متولى
 حجية الباب بدلة مذهب كذلك القاضي ثقة الملال بن النائب في الحكم بدلة مذهب عدتها أربع قطع وكم
 وعرضي الشيخ الداعي ولي الدولة بن ابي الحقيق بدلة مذهب الامير الشريف ابو علي احمد بن عقيل تقيب
 الاشراف بدلة حريري ثلاث قطع وفوطة الشريف انس الدولة متولى ديوان الانشاء بدلة كذلك ديوان
 المكاتب الشيخ ابو الرضى بن الشيخ الاجل ابي الحسن النائب عن والده في الديوان المذكور بدلة مذهب
 عدتها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدلة مذهب ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن اخوهما كذلك
 اخوهم ابو الفتح بدلة حريري قطعان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد النديمى منشئ ما يصدر عن

ديوان المكاتب ومحترما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبية عدتها ثلاث قطع وكم ومنز ابو سعيد الكاتب بدلة
حريري ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى المعين في الاصلاق كذلك وأما الكتاب ديوان الانشاء
فلم يتفق وجود الحساب الذي فيه اسماءهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك الشيخ ولي الدولة
ابو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبية عدتها خمس قطع وكم وعرضي ولا مرأته حلة مذهبية
الشيخ ابو الفضائل هبة الله بن ابي الليث متولى الدفتر وما جمع اليه بدلة ابو المجد ولد بدلة حريري عدى الملك
ابو البركات متولى دار الصرافة بدلة مذهبية وبعده الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبية
ومنها من له بدلة حريري وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدموا الركب عفيف الدولة
مقبل بدلة مذهبية القائد موفوق والقائد تميم مثل ذلك أربعة من المتقدمين برسم الشكيلة لكل منهم بدلة حريري
الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريري الخاص من القراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة يميزون
لكل منهم بدلة مذهبية وبقية لهم لكل واحد بدلة حريري الاطباء الشديد ابو الحسن علي بن ابي الشديد بدلة
حريري ابو الفضل التسطوري بدلة حريري وكذلك الفئة المستخدمة برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة
مذهبية وبقية لهم لكل واحد بدلة حريري والى القاهرة ووالى مصر لكل منهم ما بدلة مذهبية المستخدمة في
المواكب الامير كوكب الدولة بمامل الرح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريري حاملوا الرمح
المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهم منديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ما هي عربية بل هي
خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملوا الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهم ما بدلة متولى
بغل الموكب الذي يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريري متولى جل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان
الخاص برسم جل العشرة رماح العربية المغشاة بالدياج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل
السميع وراء الموكب بدلة حريري المتقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء القراشين
الذين ينحطون عن قراشي الخاص وقراشي المجلس وقراشي خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريري
القراشون في خزائن الكسوات المستخدمة بالايوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدي الخليفة ليلة الموسم
فانها لا تشد الا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها يده على سبيل البركة ويكمل المستخدمة بقية شدةها وما سوى
ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل وسوسى وشقشان اسكندرا في
المستخدمون برسم جل القضب الفضة ولواى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطيب وكانت من
الخدم الجليلة وكان بها اعلام الجوهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها
عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزائن السروج بدلة حريري مشارف خزائن
الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريري بركات
الادى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة من الكركندى عن زم الرحمة والمبيت على ابواب القصور
وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحربية المشدون بلواء الموكب بعد المقرين وعدتهم عشرون لكل منهم
الكسوة في الشتاء والعبيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة في العيدين من القراشين اكثر من صبيان
الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون في تقدمتها ويقفون في مقدمتهم ويقفون في مقدمتهم
في الخلفات في العيدين وهو ما يبلغه ستة آلاف دينار ما لا خدم معهم فيها نصيب وكان يكتب في كل كسوة قى برسم
وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فما كتب به من انشاء ابن الصيرفي مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة
خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل امير المؤمنين منع ما بالارغائب موليا احسانه كل حاضر من اوليائه وغائب
مجزلا حظهم من منائحهم ومواهبه موصلا اليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه وانك أيها الامير
لا ولاهم من ذلك يجسيمه واحراهم باستنشاق نسيمه وأخلقهم بالجزء الاوفا منه عند فضه وتقسيمه اذ كنت في
سماء المسابقة بدرا وفي جرائد المناجحة صدرا وعن أخاص في الطاعة سرا ووجها وحظي في خدمة أمير
المؤمنين بما عطر له وصفوا وسير له ذكرا ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم
ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف اوليائه وخدمه فيه وفي المواسم التي
تجاريه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ولا يبقى بعده ما لمطعم لآمال وكنت من

أخص الامراء المتقدمين قال ووصات الكسوة المختصة بفترة شهر رمضان وجمعته برسم الخليفة للفترة بدلة كبيرة
موكببة مكحلة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكببة حريري مكحلة منديلها
وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعري وما هو برسم أخى
الخليفة للفترة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حبل مذهبات وبرسم الوزير للفترة بدلة
مذهبة مكحلة موكببة وبرسم الجمعتين بدلتان حريري ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شيء فيذكر
ووصات الكسوة المختصة بفتح الخليج وهي برسم الخليفة تحتان ضمنهما بدلتان احدهما منديلها وطيلسانها
طميم برسم المضي والآخرى جميعها حريري برسم العود وكذلك ما يخص باخوته وجهاته بدلتان مذهبتان
وأربع حبل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكببة مذهبة في تحت ويرسم اولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم
جهته حلة مذهبة في تحت وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبي الرداد في تحت كل تحت عدة بدلات وحضر
متولى الدفتر واستأذن على ما يحمله برسم الخليفة وما يشترق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزان
عن الواصل وهو ما يفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبع مائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون داري
وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدماطي والناديل السوسي والقوطة الحرير والحجر وبرسم النواتية التي
برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندراني والكواتن وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها
واسماء المستقرين لقبضها * وقال في كتاب الذخائر وحديثي من اثنى به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومنا ما اخرج
من خزانة القصر يعني في سنى الشدة ايام المستنصر من سائر ألوان الخسرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة
اكثرها مذهب وسأت ابن عبد العزيز فقال اخرج من الخزانة مما حتررت قيمته على يدي ويحضرني اكثر من
ألف قطعة وحديثي ابو الفضل يحيى بن ابراهيم البغدادي أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذي تولى
ابو سعيد النعماني المعروف بالمعتد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدة يسيرة ثمانية عشر
ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوي الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسرواني
وحديثي عميد الملك ابو الحسن علي بن عبد الكريم نحر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة ارسل بطالب
المستنصر بما يبق لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شيء الا ملبسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع ألوانها كاملة
فقومت وحملت اليه وقال ابن الطوير الخدمة في خزانة الكسوات لها رتبة عظيمة في المباشرات وهما
خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة اكبر حواشي الخليفة اما استاذ وغيره وفيما من الخواص ما يدل على اسباب غنم
الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الديني الملوثة رجالية ونسائية والديباج
الملوثة والسقلاطون واليا يحمل ما يستعمل في دار الطراز بتبليس ودمايط واسكندرية من خاص المستعمل
وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولا يحسنه مكان الخياطينهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر
وماندع الحاجة اليه ثم ينقل الى خزانة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت
بزين الخزان ابدواوين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة ابدائها لثيابه الا عندها ولباسه خافي الثياب الدارية
وسعة الكمامها سعة نصف الكمام الظاهر وليس في جهة من جهاته ثياب اصلا ولا يلبس الا من هذه الخزانة وكان
برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعني ابدافيه النسرين واليا مين فيعمل في كل
يوم منه شيء في الصيف والشتاء لا ينقطع البتة برسم الثياب والصناديق فاذا كان اوان التفرقة الصيفية
او الشتوية شتلتان تقدم ذكره من اولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة
على ترتيب المقرض من شقق الديباج الملوثة والسقلاطون الى السوسي والاسكندراني على مقدار الفصول
من الزمان ما يقرب من مائتي شدة فالخواص في العراضى الديني ودونهم في اوطية حرير ودونهم في فوط
اسكندرية ويدخل في ذلك كتاب ديواني الانشاء والمكاتب دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك
يخرج من الجوارى في الشهر المطلقات * وقال القاضي الفاضل في معتقدات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد
وفاء العاصد وكشف حاصل الخزانة الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من
موشي ومرصع وعقود ثمانية وذخائر نفيسة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف
بهاء الدين قراقوش

* خزان الجوهر والطيب والطرائف *

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجوهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعي منها عند الحاجة وبعد
اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتاب الذخائر والتحف
وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استدعي يوما هو وغيره من الجوهريين من اهل الخبرة بقيمة الجوهر
الى بعض خزان القصر يعني في ايام الشدة زمن المستنصر فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمدا زمرّد قيمتها
على الاقل ثمانمائة ألف دينار وكان هناك جالس الخضر العربي بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض الخالفين
فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين كم قيمة هذا الزمرّد فقالوا انما نعرف قيمة الشيء اذا كان
مثله موجودا ومثل هذا لا قيمة له ولا مثل فاعتباط وقال ابن أبي كدينة فخر العرب كثير المونة وعليه خرج فالتفت
الى كتاب الجيش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسة مائة دينار فكتب ذلك وقبضه وأخرج عقد جوهر قيمته
على الاقل من ثمانين الف دينار فصاعدا فتمت رايه فقال يكتب بأبني دينار وتشاغلو بانظر ما سواه وانقطع
سلكه فتمت رايه فاحد واحد منهم واحدة فجعلها في جيبه وأخذ ابن أبي كدينة أخرى وأخذ فخر العرب بعض
الحب وباقي الخالفين التقطوا ما بقي منه وغاض كأن لم يكن وأخذ ما كان انفعه الصليحي من نفيس الدرّ
الرفيع الرائع وكيه على ما ذكر سبع وبيات وأخذوا ألفا ومائتي خاتم ذهبها وفضة فصوصها من سائر أنواع
الجوهر المختلف الالوان والقيم والاعنان والانواع مما كان لا جداده وله وصار اليه من وجوه دولته منها ثلاثة
خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص احدها زمرّد والاثنان ياقوت سماقي ورمانى بيعت باثني عشر ألف
دينار بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو وربة جوهر وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدم اليهم بغيرها فذكروا
أن لا قيمة لها ولا يشتري مثلها الا المملوك فقومت بعشرين ألف دينار فدخل جوهر الكتاب المعروف بالختار
عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجوهر اشتراه جدته بسبعة مائة ألف دينار واسترخصه فتقدم بانفاقه في
الاثراء فقبض كل واحد منهم جزأ بقيمة الوقت وفزق عليهم قال فأما ما أخذ مما في خزان البلور والمحكم
والمينا المجري بالذهب والمجروود والبغدادى والخيار والمدهون والخلنج والعيني والداهمي والامدى وتخزين
الفرش والبسط والسطور والتعليق فلا يحصى كثرة وحديثي من اثنى به من المستخدين في بيت المال انه
أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزان القصر عدة صناديق وان واحد منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان
الفقاع من صافي البلور المنقوش والمجروود شيء كثير وان جميعها مملوءة من ذلك وغيره وحديثي من اثنى به انه رأى
قدح بلور يبيع مجرودا بمائتين وعشرين ديناراً ورأى خردادى بلور يبيع بثلاثمائة وستين ديناراً وكوز بلور يبيع
بمائتين وعشرة دنانير ورأى صحن مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى ما دونها وحديثي من اثنى بقوله انه
رأى بطر الملس قطعتين من البلور السانج الغاية في النقاء وحسن الصنعة احدها خردادى والاخرى باطية
مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة ارطال بالمصرى ماء والخردادى
تسعة وانه عرضهما على جلال الملك ابى الحسن على بن عمار فذفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما وكان
اشتراهما من مصر من جملة ما أخرج من الخزائن وان الذى تولى بيعه ابو سعيد النهاوندى من مخرج القصر دون
غيره من الامناء في مدينة بسيرة ثمانية عشر الف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الالف دينار الى عشرة
دنانير وأخرج من صوافى الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوءة جميعها من
سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شيء كثير جدوا وجد فيما وجد غلاف خيار مبطن بالحرير محلاة بالذهب مختلفة
الاشكال خالية مما فيها من الاواني عدتها سبعة عشر ألف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجرودا ومحكم
او ما يشاكله ووجد اكثر من مائة كاس بادرزهر ونصب وأشباهها على اكثرها اسم هارون الرشيد وغيره ووجد
في خزان القصر عدة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر
وصناديق كثيرة مملوءة من انواع الدوى المربعة والمندورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة
والصندل والعود والابنوس الزنجي والعاج وسائر انواع الخشب المحلاة بالجوهر والذهب والفضة وسائر
الانواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها ما يساوى الالف دينار والاكثر والاقل سوى
ما عليها من الجواهر وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخروقة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن

ما يكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جاجم العنبر
الشكري ونوافج المسك التبي وقوايره وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة
اثنين وأربعين وأربعمائة ما قيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملته ثلاثون ثوب خز مقطوع
واثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطرمين مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معممات
بجواهرها من ايام المعز وبيت هرون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس وكان من ولى من الخلفاء
ينظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا للمستنصر بالله فحازه في خزانته ووجد لعبد بن المعز أيضا وماتت في سنة
اثنين وأربعين وأربعمائة ما لا يحصى حدثني بعض خزان القصر أن خزان السيدة عبدة ومقاصيرها
وصناديقها وما يجب أن يحتم عليه ذهب من الشمع في خواتمه على الصحة والمشاهدة اربعون رطلا بالمصري
وان بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق ومما وجد لها ايضا اربعمائة قطرة والقب وثمناة قطعة
مينافضة مخزقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلي بالذهب وثلاثون الف شقة صقلية ومن
الجوهر ما لا يحصى كثيرة وزمرد كيلة اردب واحد وأن سيد الوزراء أبي عميد البازوري وجد في موجوداتها
طستابا بريقا فلفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة
وعشرون مثقالا واخرج ايضا تسعون طستا وتسعون ابريقا من صافي البلور ووجد في القصر خزان مملوءة من
سائر انواع الصينى منها الجاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة ارجل على صورة الوحوش والسباع
قيمة كل قطعة منها ألف دينار مملوءة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة بيض صيني معمول على هيئة
البيض في خلقته وبياضه يجعل فيها ماء البيض النيمرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا
ذكر أنها الحصير التي جلبت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا
مجر بالذهب بكعوب كان أرسلها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها بثلاثة آلاف دينار انفذ
جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مراعى حديد من صيني ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها
كثيرة جميعها محلي بالذهب المشبك والفضة ومنها المكمل بالجوهر في غلف الكيخفت وسائر انواع الحرير
والخيزان وغيره مضرب بالذهب والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره وأخرج من المطال وقضيبها الفضة
والذهب شئ كثير وأخرج من خزان الفضة ما يقارب الاف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجرة
بالذهب فيها مازنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والصنعة التي تساوى خمسة دراهم
دينار وان جميعه يبع كل عشرين درهما بدينار سوى ما أخذ من العشاريات الموكبية وأعمدة الخيام وقضيب
المطال والمتحوقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والرازين والسروج والجم والمناطق التي
للعماريات والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه واخرج من الشطرنج والترداد المعمولة من سائر انواع الجوهر
والذهب والفضة والعاج والابنوس برقاع الحرير والمذهب ما لا يحصى كثيرة ونفاسة وأخرج آلات فضة وزنها
ثمناة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوى ستة دراهم بدينار وأخرج اقفاص مملوءة من سائر آلات
مصنوعة مجرة بالذهب عدتها اربعمائة قص ككبار سبكت جميعها وقرقت على الخالفين وأخرجت أربعة
آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس والفا بنفسجية كذلك وأخرج من خزانة الطرائف ستة
وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار
واخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة اقل تماثل منها وزنه اثنا عشر مئاة وكبره يجاوز ذلك ومن
تماثيل الخليفة ما لا يحصى من جملتها ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت الكلوثة المرصعة بالجوهر وكانت من غريب
ما في القصر ونفيه ذلك كأن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن
ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلا اقسيمه انخر العرب وتاج الملوك فصار الى انخر العرب منها قطعة بالخش وزنها
ثلاثة وعشرون مثقالا وصار الى تاج الدين مما وقع اليه حبسات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة
فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزان الطيب خمسة صواري عود هندي كل واحد من تسعة
أذرع الى عشرة أذرع وكافور قيصوري زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى مادونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة
آلاف مثقال واخرج من ادر صيني محمولة على ثلاثة ارجل مل كل وعاء منها مئاة رطل من الطعام وعدة قطع شب

وباد زهر من اجام سبعة ثلاثة اشبار ونصف وعمة شبر مليج الصنعة وقاطر ميز بلور فيه صور ثابثة تسع سبعة عشر رطلا وبلوحة بلور مجرود تسع عشر بن رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع نذفيه ألف مثقال كان نخر الدولة ابو الحسن على "بن ركن الدولة بن بويه الديلي" عمله مكتوب في وسطه نخر الدولة شمس المله وأبيات منها

ومن يكن شمس اهل الارض قاطبة * فنته طابع من الف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من الزجاج المينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مقروق كأكبر ما يكون من اعراف الديوك من الياقوت الاحمر مرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع وجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه فتحته أربعة اشبار مليج الصنعة في غلاف خيزران وبطيخة من الكافور في شبال الذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يسكهها من الذهب ثمانون مثقالا وبطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائة نصب كبيرة واسعة قوائها منها وبيضة بلخس وزنها سبعة ودرسون مثقالا اشتد صفاء من الياقوت الاحمر وقاطر ميز بلور مليج التقدير يسع من وقتين قوم في المخرج ثمانمائة دينار دفع الى تاج المولك فيه بعد ذلك ألفا دينار فامتنع من بيعه ومائة جرع يقعد عليها جماعة قوائها مخروطة منها وفخلة ذهب مكاله بالجوهر وبديع الدر في اجانة ذهب تجمع الطلع والبلج والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهياته من الجواهر لا قيمة لها وكوز زير بلور يحتمل عشرة ارطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له ومنيرة مكاله بحب لؤلؤ نفيس وقبة العشارى وكارته وكسوة رحله الذي استعمله على "بن احمد الجرجاني" وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبع مائة درهم نقرة واطلق للصناع عن اجرة صياغته وثمان ذنب لطلاء ألقان وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما دينار واخرج العشارى الفضى الذى استعمله على "بن احمد" لأم المستنصر وكان فيه مائة الف وعشرون الف درهم نقرة وصرف أجرة صياغة وطلاء ألقان وأربع مائة دينار وكسوة بمال جليل واخرج جميع كسا العشاريات التى برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤس منخرفات وأهلة وصفريات وكانت اربع مائة ألف دينار لستة وثلاثين عشاريا وعدة مياكيم فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة ارطال فضة وأخرج بستان ارضه فضة مخروقة مذهبة وطينه نذ وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأثماره عنبر وغيره وزنه ثمانمائة وستة ارطال وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع ياقوت أزرق زينة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرد زينة كل قطعة ثمانون درهما ونصاب مرآة من زمرد له طول وثنى كل ذلك أخذ من الخاقون

* خزائن الفرش والامعة *

قال في كتاب الذخائر وحديثي من اثنى به عن ابن عبد العزيز الانماطى "قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر من سائر الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن ما حترت قيمته على يدي وبحضرتي أكثر من مائة الف قطعة وأخرج مرتبة خسروانى جراء بيعت بثلاثة الاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلو فى بيعت بألفين وأربع مائة دينار وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين ديناراً ونيف وعشرون الف قطعة خسروانى فى هدبه لم يقطع منها شئ وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وأبرز الاثمان فى مدة خمسة عشر يوما من صفر سنة ستين وأربع مائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون ألف الف دينار قبض جميعها الجند والأتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحديثي الامير ابو الحسن على "بن الحسن" احد مقتدى الخمينين بالقصر أن القراشين دخلوا الى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبته المارقي للمستنصر بالمال الى الخزائنة المعروفة بخزائنة الرفوف وسميت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد فأنزلوا منها ألفى عدل شقق طميم يهدبها من سائر أنواع الخسروانى وغيره لم تستعمل بعد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا ما فيه اجلة معمولة للقبيلة من

خسر واني احمر مذهب كاحسن ما يكون من العمل وموضع نزول الخفاذ القيل ورجليه ساذجة بغير ذهب
واخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسر واني احمر مطرز بأبيض في هديها لم يفصل من كسايوت
كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها وكل بيت يشتل على مسانده ومخاضه ومساويره ومراتبه وبسطه وعقبه
ومقاطعها وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلوني
والديقي من سائر ألوانه وأنواعه الخجل والخسر واني والديساج الملكي والخزوساير الحرير من جميع ألوانه
وأنواعه ما لا يحصى كثرة ولا يعرف قدره نقاسة واخرج من الحصر والانتاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة
وغير المطرزة من الخمرمة والطيور والقبلة المصورة بسائر أنواع الصور شيء كثير والتمس بعض الاتزان من
المستنصر مقرمة يعني ستارة سندس اخضر مذهب فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وعشانية وعشاقون من
جملة اعداد اعدال فيها من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها
عدة مئين تقارب الالف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة ايامه
وشرح حاله واخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسر واني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه
وتعليقه وسائر آلاته منسوجة في خيط واحد باقية على حالها تمس وصار الى نحر العرب مقطع من الحرير
الازرق انتسرى القرقوي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله
في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وفيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبيه
جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبنية للناسر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه
بالذهب أو الفضة أو الحرير وفي آخره مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهارا للعالم رسول الله في
سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت أرمني احمر
منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة وبساط خسر واني دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من
بيعه وقال ابن الطوير خزانة الفرش وهي قرية من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها
ويستخبر عن احوالها وأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان في اماكن خارجها
بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر ديناراً يعني يوم يطوف بها الخليفة

* (خزائن السلاح) *

قال في كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والالآت والسلاح فان بعضها اخذ وقسم بين العشرة الثمانية
على المستنصر وهم ناصر الدولة بن جدان وأخواه وبلد كوس وابن سبكتكين وسلام عليك وشاور بن حسين
حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وصمصامة عمرو بن مهدي كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسي وسيف
كافور وسيف المعز وسيف ابي المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوي ألف دينار وسيف
الحسين بن علي بن ابي طالب عليه ما السلام ودرقة حمزة بن عبد المطالب رضي الله عنه وسيف جعفر الصادق
رضي الله عنه ومن الخود والدرع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية
وصناديق النصول وجعباب السهام الخلنج وصناديق القسي ورزم الرماح ازان الخطية وشدات القسا الطوال
والزرد والبيض مئين ألوف وكان كل صنف منها مفردا عشرات ألوف وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل
اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هنالك ويتأمل حواصلها من الكراغندات المدفونة بالزرد
المغشاة بالديساج المحكمة الصنعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابله برؤسها والخود المحلاة بالفضة
وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقيوريات والرماح القنا والقناريات
المدفونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسي لرماية اليد المنسوبة الى صناعتها مثل الخطوط المنسوبة الى
اربابها فيحضر اليه منها ما يجز به ويتأمل النشاب وكانت تصوله مثلثة الركان على اختلافها ثم قسى الرجل
والركاب وقسى المولب الذي زنة نصله خمسة ارطال ويرمي من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجرام والنشاب الذي
يقال له الجراد وطوله شبر يرمى به عن قسي في مجار معولة برسمه فلا يدري به الفارس او اراجل الا وقد نفذ فاذا
فرغ من نظر ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكانت في المكان الذي هو خان مسرور وهي برسم الاستعمالات

قوله وهم الخ هكذا
في النسخ ولم يستوف
العشرة فليحذر اه
مصححه

للاساطيل من الكبورة المرجية والخود الجلودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون ديناراً ويخلع على متقدم الاستعمالات جو كانية مزينة حريراً وعمامة لطيفة

*** (خزائن السروج) ***

قال في كتاب الذخائر اخرج فيما اخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجرأة بسواد مسووجة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلاثمائة وعدة ما فيها زيادة على اربعة آلاف سرج واخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان ابو سعد ابراهيم بن سهل التستري دخراً له فيها وتقدم بحفظها كل سرج منها يساوي من سبعة آلاف دينار الى ألف واكثرها عال سببك جميعها وفزق في الاتراك كان برسم ركابه منها اربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدته اربعة آلاف سرج مثلها وودنها صنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يتحوى عليه مملكة من الممالك وهي قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعان ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة مسكيات محلصة الجانيين على كل متكان ثلاثة سروج متطابقة وفوقه في الحائط وثمة مدھون مضروب في الحائط قبل تبييضه وهو بارز بروزاً مستكناً عليه المركبات الخلى على بطن تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة والفضة خاصة والذهب والفضة وقلاندها وأطواقها الاعناق الخيل وهي لخاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج ومنها لجام هو الخاص ومنها الوسط ومنها الدون وهي خيار غيرها برسم العواري لأرباب الرتب والخدم ومنها ما هو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشداده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدماً والعلف مطلق من الاهراء وأما الصاغة فان فيها منهم ومن المركبين والخزازين عدد اجداد اثنين لا يفترون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعدد متساوية وما عليها من السروج والاوزاد والجمع وكل مجلس لذلك عند مستخدميه في العرض فلا يتخلل عليهم منها شيء وكذلك وسط قاعاتها عدة متوالية أيضاً والشدادون مطلوبون بالنقائص منها ايام المواسم وهم يحضرونها اوقمتها فيعرض ويركب ويحضر اليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاشيتها للفرقة في المستخدم من عشرين ديناراً ويقال ان الحافظ لدين الله عرضت له فيها حاجة فجاء اليها مع الحاشي فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يفك ختم العدل الا هو ونحن نعود في وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الامر بأحكام الله تحذره نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجاً مجوفة القرايص وبطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء وجعل لها فيها فيه صفارة فاذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه القارس وكان كل سرج منها يسع سبعة ارطال ماء وعمل عدة مخال للخيل من ديباج وقال في ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق * فلا بدلى من صدمة المتحقق

وأسقى جيادى من فرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفرق

وأول من ركب المتصرفين في دولته من خيوله بالمر اكب الذهب في المواسم العزيز بالله نزار بن المعز

*** (خزائن الخليم) ***

قال في كتاب الذخائر وأخبرني سماء الرؤساء ابو الحسن على بن احمد بن مدبر وزير ناصر الدولة قال اخرج فيما اخرج من خزائن القصر عدة لم تخص من أعداد الخليم والمضارب والقزازات والمسطحات والجركوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقي والمخمل والخسرواني والديباج الملكي والارمني والهنساوى والكردوانى والجديد من الحلبي وما شبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والظميم أيضاً منها المقييل والسبع والمخيل والمطوقس والمطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطيور والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبسة انابيب الفضة والنياب المذهبة وغيرها المذهبة من سائر أنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقذارها والحبال الملبسة القطن والحرير والاوزاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلاتها وعدتها المبطن جميعها بالديبقي الطهيم المذهب والخسرواني المذهب وثياب الحرير الصيني والتستري والمضرب

والرجح والشرقي والشعري والدياج والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان وأنواعها بكبارا وصغارا
منها ما يحمل خرقة وأوتاده وعمده وسائر عدته على عشر بن بعيرا ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له أربع
حيطان وسقف بسمة اعمدة منها عمودان للعاظ الواحد المرفوع للدخول والخروج والخيمة ظهرها حائط مربع
وسقيفتها الى الباب حائط مربع وأركانها سوارك من الجانين على قدر القائم وفيها أربعة اعمدة اثنان في الباب
واثنان في وسطها وكلما زادت زادت اعمدها وسقفها واهلها حدان مشر وكان من الجانين والشرع حائط في الظهر
مسقف على الرأس بعمودين من أي موضع دارت الشمس حول الى ناحية الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على
عمود واحد تام وشرع سابل خلفها من أي موضع دارت الشمس ادير والقبعة على حالها • وحدثنى ابو الحسن
على بن الحسن الخبي قال اخرجنا في جملة ما اخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على
السلطان فسطاطا كبيرا اكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا
بالكبير ودائر فلكته عشرون ذراعا وقطرها ستة اذرع وثلاث اذرع ودائره خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقة أربع
وستون قطعة كل قطعة منها تحزم في عدل واحد يجمع بعضه الى بعض بعري وشرار يرب حتى ينصب يحمل
خرقه وحباله وعدته على مائة رجل وفي صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطر مصر يتيحملها من داخلها
قضبان حديد من سائر نواحيها تتلى ماء من راوية جل قد صور في رفرقه كل صورة حيوان في الارض وكل
عقد مليح وشكل ظريف وفيه باذخ طوله ثلاثون ذراعا في اعلاه كان ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري
أمر بعمده أيام وزارته فعمله الصناعات وعدته مائة وخمسون صناعات في مدة تسع سنين واشتملت النفقة عليه
على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القناطول الذي كان العزيز بالله أمر بعمده أيام خلاقته الا أن هذا
أعلى عمودا منه وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة انفذ الى مملك الروم في طلب عمودين للفسطاط طول
كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهم ألف دينار أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه
خمس اذرع والاخر حمله ناصر الدولة بن جدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله الى الاسكندرية وما درى
ما فعل به قال وأتينا مدة طويلة في تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خراوشة فاقومت على المذكورين بأقل
القيم وتفرق في الآفاق وقال لي أيضا اخرجنا مسطحا قلوبنا مجتمعا وجها من جانيه عمل بتيس العزيز بالله يسمى
دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة اعمدة أربعة منها في اركان الكنيس وفي أربعة الاركان أربع قباب ومن القبة
الى القبة رواق دائر عليه والقباب دونه وفي كل قبة أربعة اعمدة طول كل عمود من اعمدة الكنيس ثمانية
عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا في الاول وقال لي اخرجنا مسطحا عمل للظاهر
لاعز الدين الله بتيس ذهب في ذهب طميم قائم على عمود له ست صفاري بلور وستة اعمدة فضة انفق عليه
أربعة عشر ألف دينار ومسطحا دقيقا كبيرا مذهبا بدواي متقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام
بشرقات من الخمل والقلموني والديقي والدياج الخسرواني والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبة
المنقوشة بجياضها وودكها ومصاطبها وقصورها وزجاجها وسائر عدها وأخرجنا من الخيام الكردياني
شيا كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردواني مليحة النقش والصناعة عدتها قطع كثيرة طول عمودها
خمس وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالاول وأخرج في جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدورة
الكبيرة المتولى عليه بحلب ابو الحسن على بن احمد المعروف بابن الايسر في سني نف وأربعين وأربع مائة
المنفق على خرقة ونقشه وعمله ثلاثون ألف دينار الذي عموده أطول ما يكون من صواري درامين الروم
البنادقة أربعون ذراعا ودائر فلكته عموده أربعة وعشرون شبرا ويحمل على سبعين جلا ووزن صفريته الفضة
قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فزاش ومعين وهو شبيه بالقناطول
العزيزي وسمي بالقناطول لانه ما نصب قط الا وقتل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فزاش وغيره قال
ووجد في خزائن مملوءة من سائر أنواع الصواني المدهونة بيعداد المذهبة التي حشيت كل واحدة منها بجادونها
في السعة الى ماسعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلع الرازي في هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد
حشيت بطونها بجادونها في السعة الى ماسعته دون الدينار ومن الموائد القوائم الصغار والكبار ألوف ومن
موائد الكرم وما اشبهها شي كثير ومن الجفان الحور الواسعة التي قد عمت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع

الحلى التى لا يقدر الجمل القوى على حمل جفتين منها العظمها تساوى الواحدة منها مائة دينار و فوقها و دونها شئ كثير و وجد من الذكك و الحاريب و الاسرة العود و الصندل و العاج و الابنوس و البقم شئ كثير ملىح الصنعة * وقال ابن ميسر و عمل الافضل بن امير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرح اشتملت على ألف الف و اربع مائة ألف ذراع و قائمها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل صرف عليها عشرة آلاف دينار و مدحها جماعة من الشعراء

* (خزانة الشراب) *

قال ابن المأمون و لم يكن فى الايوان فيما تقدم شراب حاول انما اقتررت لاستقبال النظر المأمونى و اطلق لها من السكر مائة و خمسة عشر قنطارا و برسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا و أما ما يستعمل بالكافورى من الخلو الفانيذ و الحامض فالملغ فى ذلك على ما حصره شاهده فى السنة ستة الاف و خمسمائة دينار و ما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه متولى الشراب * وقال ابن الطوير خزانة الشراب و هى أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التى هى الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حامها و هو من كبار الاستاذين و شاهدها فيحضر اليه قراشوها بين يدي مستخدمها من عيون الاصناف العالية من المعاجين العجيبة فى الصبني و الطياقير الخليج فيذوق ذلك شاهدها بحضرة و يستخبر عن احوالها بحضور اطباء الخاص و فيها من الآلات و الازيار الصبني و البرابي عدّة عظيمة للورد و البنفسج و المرسين و اصناف الادوية من الراوند الصبني و ما يجرى مجراه مما لا يقدر احد على مثله الا هنالك و ما يدخل فى الادوية من آلات العطار الى ذلك و يسأل عن الدرياق الفاروق و يأمرهم بتحصيل اصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه و يؤكد فى ذلك تأكيدا عظيما و يستأذن على ما يطلق منها برقع اطباء الخاص للجهات و حواشى القصر فيأذن فى ذلك و يعطى الخامى للفرقة فى الجماعة ثلاثين دينارا

* (خزانة التوابل) *

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالى منها والدون فانها جليلة كثيرة و لم يقع لى شاهديها بل اننى اجتمعت بأحد من كان مستخدما فى خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار فى السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات و هى باب مفرد مع المستخدم فى الكافورى و الذى استقر اطلاقه على حكم الاستيثار من الجريات المختصة بالقصور و الرواتب المستحقة و المطلق من الطيب و يذكر الطراز و ما يتناع من الثغور و يستعمل بها و غير ذلك فأقولها جارية القصور و ما يطلق لها من بيت المال اذ اراد الاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف و ثلثمائة و ثلاثة و أربعون دينارا تفصيله منديل الكم الخاص الاخرى فى الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام فى كل جمعة مائة دينار اربع مائة دينار و برسم الاخوة و الاخوات و السيدة الملكة و السيدات و الامير أبى على و اخوته و الموالى و المستخدمات و من استنجدت من الافاضيات ألفان و تسعمائة و ثلاثة و أربعون دينارا و لم يكن للقصور فى الايام الافضلية من الطيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية و الجاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها الى الايوان فيستقل منها بعد ذلك للافضل و الطيب المطلق للخليفة من جملتها فانسخ هذا الحكم و صار المرتب من الطيب مياومة و مشاهرة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف فى كل شهر ندمثلث ثلاثون مثقالا عود صيفى مائة و خمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهما ماء ورد ثلاثون رطلا برسم بخور المجلس الشريف فى كل شهر فى ايام السلام ندمثلث عشرة مثاقيل عود صيفى عشرون درهما كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ما هو برسم بخور الحمام فى كل ليلة جمعة عن أربع جمع فى الشهر ندمثلث أربعة مثاقيل عود صيفى عشرة مثاقيل ما هو برسم السيدات و الجهات و الاخوة فى كل شهر ندمثلث خمسة و ثلاثون مثقالا عود صيفى مائة و عشرون درهما زعفران شعر خمسون درهما عنبر خام عشرون مثقالا كافور قديم عشرون درهما مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد أربعون رطلا ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلّة مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد خمسة عشر رطلا ما هو برسم خزانة الشراب الخاص مسك ثلاثة مثاقيل ندمثلث

مثلث سبعة مناقيل عود صيفي خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ما هو برسم بخور المواكب
 الستة وهي الجمعان الكائنان في شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعني الجامع الأزهر والجامع الحساكي
 والعيديان وعيد الغدير وأول السنة بالخوامع والمصلى نداء خاص به كثره لم تتحقق فتذكر ولم يكن للغزتين
 غزاة السنة وغزاة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذكر وعدة المخيرين في المواكب ستة ثلاثة عن اليمن وثلاثة
 عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كنهه برسم تحجيل المدخنة والمدخن فضة وحامل الدرج الفضة الذي
 فيه الخوراً خدمته بيت المال وهو فيما بين المخيرين طول الطريق ويضع يده الخور في المدخنة وإذا مات
 أحده هؤلاء المخيرين لا يتخدم عوضاً عنه إلا من يتبرع بمدخنة فضة لأنهم رسوماً كثيرة في المواكب مع قربهم
 في المواكب من الخليفة ومن الوقت الذي يتبرع فيه بالمدخنة يرجع في حامل بيت المال وإذا توفي حاملها
 لا ترجع لورثته وعدة ما يخبر في الجوامع والمصلى غير هؤلاء في مداخن كبار في صواني فضة ثلاث صوان في
 الحراب أحدها عن يمين المنبر وشماله اثنتان وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة إلى أن تقام الصلاة
 صينية رابعة وأما الخور المطلق برسم المأمون فهو في كل شهر ثلث خمسة عشر مناقلاً عود صيفي ستون
 درهما غير خام ستة مناقيل كافور ثمانية دراهم زعفران عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا
 ومنها مقرر للجامع ومقرر من خزانه التفرقة في كل يوم اثنا عشر مجعاً كل بيت عياره رطل واحد واصل مجمع
 ثلاثة أرطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذه الجامع في كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا
 ومنها مقرر الحلوى والفسق وما استجد ما يعمل في الإيوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوى اثنا عشر
 جاماً رطبة ويابس نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة أرطال ومن اليابس ثمانية أرطال ومقرر الخشك كنج
 والبسند وفي كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الأمرى والمأمون في قنطار واحد سكر ومثقالان مسك
 وديناران برسم المأمون يعمل خشك كنج وبسند ردي في قعبان وسلال صفصاف ويحمل ثلث ذلك إلى القصر
 والثلث إلى الدار المأمونية قال وحررت مفاوضة بين متولى بيت المال ودار الفطرة بسبب الاصناف ومن جعلتها
 الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره إلى أن بلغ رطل ونصف دينار وقد وقف منه لارباب الرسوم ما حصل
 شكواهم بسببه فخاوبه متولى الديوان بأن قال ماتم موجب الانفاق لما هو راتب من الديوان وطال المقام
 العالي بأنه لما رسم لهم ما ذكر اجمع ما اشتمل عليه ما هو مستقر الانفاق من قلب الفستق والذي يطلق من
 الخزائن من قلب الفستق ادراراً مستقر بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حساباً في الشهر التام عن ثلاثين
 يوماً خمسمائة وخمسة وثمانون رطلاً وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوماً خمسمائة وخمسة وستون رطلاً
 حساباً عن كل يوم تسعة عشر رطلاً ونصف من ذلك ما يستلمه الصنائع الحلاويون والمستخدمون بالديوان
 مما يصنع به خاص خارجاً عما يصنع بالمطابخ الأمرية عن اثني عشر جام حلوى خاص وزنه مائة وثمانية أرطال
 منها رطب ستون رطلاً ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلاً مما يحمل في يومه وساعته منها ما يحمل تحتها برسم
 المائتين الأمريتين بالبازنج والدار الجديدة اللتين ما يحضرهما إلا من كبرت منزلته وعظمت وجاهته
 جامان رطباً ويابساً وما يفرق في العوالي من الموالى والجهاز على أوضاع مختلفة تسع جامات وما يحمل إلى الدار
 المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد تقمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم القرائين في
 خدمة المائدة الشريفة التي تتولاها المعلمة بالقصور والزاهرة أربعة أرطال فستق ما يتسلمه الشاهد والمشارف
 على المطابخ الأمرية مما يصنع فيها برسم الجاهات الحلوى وغيره مما يكون على المدورة في الاسطة المستمرة بقاعة
 الذهب في أيام السلام وفي أيام الركوبات وحلول الركاب بالمناظر أربعة أرطال وما يتسلمه الحاج مقبل القرائين
 برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الدار دون المطابخ الجالية رطلان الحسك الثاني يطلق مشاهرة بغير
 توقيع ولا استدعاء باسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الأصحاب والخواشي في الخدم المميزة وهو
 في الشهر ثلاثة عشر رطلاً والديوان شاهد باسماء أربابه وما يطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاءات
 والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف في كل سنة على ما يأتي ذكره وما يستدعي برسم
 التوسعة في الراتب عند تحوّل الركاب العالي إلى اللواؤمة مدة أيام النيل المبارك في كل يوم رطلان وما يستدعي
 برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوماً رجب وشعبان حساباً عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلاً

وما يستدعى لما يصنع به دار الفطرة في كل ليلة برسم الخاص خشكناج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل في سلال مصصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وعشرين يوما مائة وعثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبية وما يستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوى والعلوى والفاطمي والامري مما هو برسم الخاص والموالي والجهات بالقصور والازاهرة والدار المأمونية والاصحاب والخواشي خارجا عما يطلق مما يصنع به دار الوكالة ويفترق على الشهود والمتصددين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا لقلب فستق حسابا لكل يوم مؤبد منها خمسة ارطال ما يستدعى برسم لما الى الوقود الاربع الكائنات في رجب وشعبان مما يصنع بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة عشرون رطلا لكل ليلة خمسة ارطال وأما ما ينصرف في الاسطة والى الى المذكورات في الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الظاهري بالقاهرة فالحكم في ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع الى مشارف الدار السعيدة وكذلك ما يستدعيه المستخدمون في المطابخ الامرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جملة غيره برسم الاسطة مائة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وثلثه لا مماط فيه وفي الاعياد جميعها بقساعة الذهب وما يستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء في الخدم الكبار ويعود الى الباب ومن يرد اليه من جميع الضيوف وما يستدعيه المستخدمون في دار الفطرة برسم فتح الخليج وهي الجلمان الكبيرتان في جميع ذلك لم يكن في هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جلته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة وأما ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولايات والافراح وارسال الانعام فهو شيء لم يتحقق اوقاته ولا مبلغ استدعائه انتهى المملوك كان ذلك والمجلس فضل السموات والقدرة فيما يأمر به ان شاء الله تعالى

* (دار التعبية) *

قال ابن المأمون دار التعبية كانت في الايام الافضلية تشتمل على مبلغ يسير فاتته الامر فيها الى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو الترجس والينوفران الاصفر والاجر والتخل الموقوف برسم الخاص وما يصل اليه من القيوم ونعرا الاسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ودار الوزارة وتعبية المناظر في الركوبات الى الجمع في شهر رمضان خارجا عن تعبية الحمامات وما يحمل كل يوم من الزهرة وبرسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة القمرة الصيفية في كل سنة على الجهات والامراء والمستخدمين والخواشي والاصحاب وما يحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

* (خزانة الادام) *

قال وأما الراتب من عند بركات الادمي فانه في كل شهر ثمانون زوجا اوطية من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات أربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السبع اعبات فانها تستدعى من خزانة الكسوة وفي كل موسم تكون مذهبة

* (خزائن دار افتكين) *

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذي رافق نزار بن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقيل خزائن دار أفتكين وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعسال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميا وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعتدلين راتب المطابخ خاصا وعاما اليوم والايام ينفق منها للمستخدمين ثم لارباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم في كل شهر من ارباب الرتب حتى لا يخرج عما يحتاجونه فيها الا اللحم والخضر اوات فهي أبدا معمورة بذلك انتهى

* (خبر نزار وأفتكين) * لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الامام الظاهر لأعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجاني إلى القصر وأجلس أبا القاسم أحمد بن المستنصر في منصب الخلافة ولقبه بالمستعلي بالله وسير إلى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير اسماعيل أولاد المستنصر خفاً إليه فاذا اخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا ذلك وشق عليهم وأمرهم الفضل بتقبيل الأرض وقال لهم قبلوا الأرض لمولانا المستعلي بالله وبإيعوه فهو الذي نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم إن أياه قد وعد بالخلافة وقال نزار لو قطعت ما بابت من هو أصغر مني سنا وخط والدي عندي بأني ولي عهد وأنا أحضره وخرج مسرعاً ليحضر الخط فحضر إلى يدري به أحد وتوجه إلى الاسكندرية فلما أبطل ما حجبته بعث الفضل إليه ليحضر بالخط فلم يعلم خبراً فانزعج لذلك انزعاجاً عظيماً وكانت نفرة نزار من الفضل لا موار منها أنه خرج يوماً فاذا بالفضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل يا أرنؤى الجنس فخذها عليه وصار كل منهما يكره الآخر ومنها أن الفضل كان يعارض نزار في أيام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه واسبابه ويبتس بخلاته فلما مات المستنصر خافه لأنه كان رجلاً كبيراً وله حاشية واعوان فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعدما اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار وما زال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من جلهم محمود بن مصال فسير خفية إلى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الفضل مع الامراء على إقامة أخيه أحمد وادارته لهم عنه فاستعدت إلى المسير إلى الاسكندرية هو وابن مصال فلما قارق الفضل ليحضر إليه بخط أبيه خرج من القصر متكرراً وسار هو وابن مصال إلى الاسكندرية وبها الأمير نصر الدولة أفتكين أحد عماليك أمير الجيوش بدر الجاني ودخل عليه ليلاً وأعلمه بما كان من الفضل وتزاميا عليه ووعد نزار بأن يجعله وزيراً مكان الفضل فقبلهما أتم قبولاً وبأنع نزار وأحضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الفضل فأخذ يتجهز لمحاربتهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار إلى الاسكندرية فبرز إليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الفضل ورجع بن معه منهم إلى القاهرة فقوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد أمر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحري وأخذ الفضل يتجهز ثانية إلى المسير لمحاربة نزار ودس إلى اكابر العربان ووجوه اصحاب نزار وأفتكين وصاروا إلى الاسكندرية فقتل الفضل اليها وحاصرها حصاراً شديداً والح في مقاتلتهم وبعث إلى اكابر اصحاب نزار ووعدهم فلما كان في ذي القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وقر في البحر إلى جهة بلاد المغرب ففت ذلك في عسدر نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الفضل وتكاثرت جموعه فبعث نزار وأفتكين إليه يطلبان الامان منه فامتنما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار وأفتكين وبعث بهما إلى القاهرة فأما نزار فانه قتل في القصر بأن اقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما وأما أفتكين فانه قتله الفضل بعد قدومه ودار أفتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضي الفاضل وآدم بدرب ملوخيا

* (خزانة البنود) *

البنود هي الايات والاعلام وبشبه أن تكون هي التي يقال لها في زمننا العصائب السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر السلوة وباب العبد بناها الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة آلاف صنائع مبرزين في سائر الصنائع وكانت أيام الظاهر هذا يكوننا وطماً يئنه وكان مشغلاً بالاكل والشرب والتره وسماع الاغانى وفي زمانه تأنق اهل مصر والقاهرة في اتخاذ الاغانى والرقاصات وبلغ من ذلك المبالغ الجسيمة واتخذت له حجرة الممالك وكانوا يعلمونهم فيها انواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حملها من الرماية والمطاعمة والمسابقة وغير ذلك * وقال في كتاب الذخائر والتحف ولما وهب السلطان يعني الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما في خزانة البنود من جميع المتاع والاكات وغير ذلك في اليوم السادس من صفر سنة احدى وستين وأربعمائة جل جميعه ليلاً وكان فيما وجد

سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة الى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواه وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وما سواه وفي خلال ذلك سقط من بعض الفزاشين مقط شمع موقد نارافصاد هناك اعدال ككتان ومناعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العامة والاسواق واعلمني من له خبرة بما كان في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والامتنعة والذخائر لا يعرف له قيمة عظيمة وان المنفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة وان جميعه باق فيهما على الايام لم يتغير وان جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية ولا اثر وانه احترق في هذه الليلة من قربات النفط عشرات الوف ومن زرافات النفط أمثالها فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تخصي بوجه ولا سبب مع ما فيها من قضب الفضة وثياب المذهبة وغيرها والبنود المجلدة وسروج ولحم وثياب الفرحة المصبغات والبنادير وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والالوية وحدثني من اثق به أيضا انه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف وما لا يحصى كثرة وان السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شئ من السلاح لبعض مهماته فاخرج من خزانة واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهره سوى غيرها حدثني بجميعه الاجل عظيم الدولة متولى السرا الشريف انتهى * وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحرب حبيسا وفيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها للكامل ابن شاوور

اي صاحب سجن الخزانة خليا * نسيم الصبار سئل الى كبدي فصحيا
وقول لضوء الصبح هل أنت عائد * الى نظري ام لا أرى بعدها مصحيا
ولا تبأس من رحمة الله أن أرى * سريري بفضل الكامل العفو والصفحا
وقال

اي صاحب سجن الخزانة خليا * من الصبح ما يدوسناه لنا طرى
فوالله ما أدري اطرقي ساهر * على طول هذا الليل ام غير ساهر
وما لي من اشكو اليه اذا كما * سوى ملك الدنيا شجاع بن شاوور

واسمعت سجننا للامراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فانخذها ملوك بني ايوب أيضا سجننا اعتقل فيه الامراء والمماليك * ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد بن علي الجرجاني لما توفى طلب الوزارة الحسن بن علي الانباري فأجيب اليه ما فتعل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده ووضع ماله ونفسه وذلك انه كان قد نبغ في ايام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما في التجارة والاخر في الصرف ويبيع ما يجده في التجار من العراق وهما ابوسعد ابراهيم وأبونصر هر وبناسهل التستري واشتهر من أمرهما في السوء واطهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار في القرب والبعده ما ينشأ به جيل الذكرفي الافاق فانتفع حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله اباسعد ابراهيم بن سهل التستري في ابتياع ما يحتاج اليه من صنوف الامتنعة وتقدم عنده قبائع له جارية سوداء فخطب بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت لابي سعد ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولد لها فتدعت اباسعد وتخصصت به في خدمتها فلما مات الوزير الجرجاني وتكلم ابن الانباري في الوزارة قصده ابونصر اخو أبي سعد فخبه أحد اصحابه بكلام مؤلم فظن ابونصر أن الوزير ابن الانباري اذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر اليه فجاء منه خلاف ما ظنه وبلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام فشكا ذلك الى أخيه أبي سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يقترأ ابوسعد عن ابن الانباري وأغرى به أم المستنصر مولاته فتحدثت مع ابنا الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن الوزارة فسعى ابوسعد عند أم المستنصر لابي نصر صدقة بن يوسف الفلاح في الوزارة فاستوزره المستنصر وتولى ابوسعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاح منقاد الابي سعد تحت حكمه وأخذ الفلاح يعمل على ابن الانباري ويغري به ويصنع عليه ديونا ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم له ما يريد فقبض عليه وخرجه عليه من الدواوين أموالا كثيرة بما كان يتولاه قديما وألزمه بحملها ونوع له اصناف العذاب واستصفي أمواله وهو معتقل

بخرانة البنود ثم قتله في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين وأربعمائة بها فاتفق أن القلاحي لما صرف عن الوزارة اعتقل بخرانة البنود حيث كان ابن الانباري ثم قتل بها وحفر له ليدفن فظهر في الحفر رأس ابن الانباري قبل أن يمضي فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا رأس ابن الانباري انا قتلتها ودفنته ههنا وأنشد

رب طرد قد صار لحد امرارا • ضاحكاً من تراحم الاضداد

فقتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الانباري فعد ذلك من غرائب الاتفاق • ثم ان خزانة البنود جعلت منازل للامري من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ايام كانت محاربة المسلمين لهم فأنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاوون الاسارى بعد حضوره من الكرك وأبطل السجن بها فلم يرالوا فيها بأهلهم واولادهم في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فصار لهم فيها افعال قيصة وأموور منكورة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا واللباطة وحماية من يدخل اليها من ارباب الديون واصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جل على أخذ من صار اليهم واحتق بهم والسلطان بغض عنهم ما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة والسياسة التي اقتضاها الحال من مهادة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منهم الامير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظام الشنيعة فلا يقدر على منعهم وفحش امرهم فرفع الخبر الى السلطان واكثر من شكائهم غير مرة والسلطان يتغافل عن ذلك الى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في امرهم فقال له السلطان انتقل أنت عنهم يا امير فلم يسعه الا اعراض عن ذلك وعمر داره التي بالحسينية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والجام والفندق وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البنود وسكن بالحسينية الى أن مات السلطان الملك الناصر في اخريات سنة احدى وأربعين وسبعمائة وتنتقل الملك في اولاده الى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وضرب شوري على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدير أحوال المملكة كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الامير بدر الدين جنكش بن البابا فتصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الامير الحاج آل ملك فاستبشر وقال لي شروط اشروطها على السلطان فان أجابني اليها فقلت ما يرسم به وهي أن لا يفعل شيء في المملكة الا برأبي وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعتز على أمر من الامور فأجيب الى ما سأل وأحضرت التشاريف فأقيمت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر والي القاهرة بالنزول الى خزانة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والقواحش ويخرج الاسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكا ويسقى بها الارض فنزل اليها معه الحاجب في عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العاسة والغوغاء ما لا يقع عليه حصص فأراقوا منها خورا كثيرة تنجسوا بالحد في الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد وقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها اثر وفودى في الناس فحكروها وبنوا فيها الدور والطواحين على ما هي عليه الآن وأمر بالامري فأنزلوا بالقرب من المشهد النفيسي بجوار كيمان مصر فهدم هناك الى الآن وأنزل من كان منهم أيضا بقلعة الجبل فأسكنوا معهم وطهر الله تلك الارض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شربقة من بيع الارض يباع فيها لحم الخنزير على الوضوء كما يباع لحم الضأن وبعضهم فيها من الخمر في كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يعصر بها في كل سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثني عشر رطلا يدرهم الى غير ذلك من سائر انواع الفسوق

(دار الفطرة)

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقدر فيها ما يعمل مما يحتمل الى الناس في العيد وهي قبالة باب الديلم من القصر الذي يدخل منه الى المشهد الحسيني ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتحصيل جميع اصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثاني من شهر رجب كل سنة ليلا ونهارا من الخشكناج والبسند ودواصناف الفانيد الذي يقال له كعب

الغزال والبرماورد والفسق وهو شواير مثال الصبح والمستخدمون يرفعون ذلك الى اماكن وسبعة حصوة
فيصل منه في الحاصل شئ عظيم هائل بيد مائة صانع للعلاوين مقدم وللشكانيين آخر ثم يندب لها مائة قرأش
لجل طيافير للتفرقة على ارباب الرسوم خارجا عن هو مرتب تلسمتها من القراشين الذين يحفظون رسومها
ومواعينها الخاصة بالدايم وعندهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه في غيرها من الخزان لانها
خارج القصر وكلها للتفرقة فيجلس على سريره بها ويجلس الوزير على كرسي ملين على عادته في النصف
الثاني من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيها من تلك الخواصل المعمولة المعبأة مثل
الجبال من كل صنف فيفترقها من ربع قنطار الى عشرة ارباط الى رطل واحد وهو اقلها ثم يصرف الخليفة
والوزير بعد أن ينعم على مستخدميه باستين دينار ثم يحضر الى حاميهام ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من
دقتر المجلس كل دعوى لتفريق فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه ولرد في دعوى من
تلك الادعية ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين في الديوان فيسبرهم الى مستخدميهما فيسلم كل كاتب دعوى
أو دعوى او ثلاثة على كثرة ما يحتويه وقلته ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدأ ما تاتي طيفور من
العالى والوسط والدون فيحملها القراشون برقاع من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنوا ينزل
اسم القراش بالدعوى أو عرفه حتى لا يضيع منها شئ ولا يخلط ولا يزال القراشون يخرجون بالطيافير ملائ
ويدخلون بها فارغة فيمقدار ما تحمل المائة الاولى عبيت المائة الثانية فلا يفتر ذلك طول التفرقة فأجل الطيافير
ما عدد خشكانه مائة حبة ثم الى سبعين وخسين ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قوارته ثم الى خمسين
ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منثور كل واحد على عدد خشكانه ثم العبيد
السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلمها عرفاؤها في أفراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد
والخمس والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن ينقضي شهر رمضان ولا يفوت أحدا شئ من ذلك
وتتهداه الناس في جميع الاقليم قال وما يتفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار *
وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهي الفندق الذي بناه
الامير سيف الدين بهادر الان في سنة ست وخسين وستمائة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو أول من
سماها وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرق منه وعند ما تنقل الى مصر نقل
الدواوين من القصر اليها واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بايوانى المكاتب والانشاء فانهم كانوا يقرب الدار
ويتوصل اليها من القاعة الكبرى التي فيها جلوسه ثم استجد للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقة وهي الان
دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدة وفترق منها الا ما يخص الخليفة والجهات
والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفى الافضل وعادت الدواوين
الى مواضعها انتهى خاصة الدولة ربحان وكان يتولى بيت المال ان المكن بالايوان يضيق بالفطرة فأمر
المأمون أن يجتمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة بينه دار الفطرة فانشأ الدار المذكورة قبالة
مشهد الحسين والباب الذي بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجد من رسوم الموالي
والوقودات وعقدت لها جلستان احدهما وجدت فسطرت وهي عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى
المستخدمين والجملة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحتها دقيق ألف جملة سكر سبعة مائة قنطار قلب
فسمق ستة قناطير قلب لوز ثمانية قناطير قلب بندق أربعة قناطير تمر أربعة مائة أردب زبيب ثلثمائة
أردب خل ثلاثة قناطير عسل ثلث خمسة عشر قنطارا شيرج مائة قنطار خطب ألف ومائة ثمانية مسم
أردبان آيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ماء ورد وخسون رطلا مسك خمس نوافج
كافور قديم عشرة مشاقيل زعفران مطحون مائة وخسون درهما وبيد الوكيل برسم المواعين والبيض
والسقاين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به ويرفع المحازيم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن سنا كن
قال كان المرتب في دار الفطرة ولها ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندري
برسم القوارات ثلثمائة مقطع طيافير جدد برسم السباط ثلثمائة طيفور شمع برسم السباط ونوديع الامراء
ثلاثون قنطارا أجرة الصنائع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينار جارى العامل والمشارف مائة

وثمانون ديناراً وشقة ديبق بياض حريري ومنديل ديبق كبير حريري وشقة سقلاطون اندلسي يلبسها قدام
الفاطمة يوم حملها ليفرق طبافير الفطرة على الامراء وارباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يعم الكبير
والصغير والضعيف والقوى ويبدأ بها من اول رجب الى آخر رمضان * (ذكر ما اختص من صفة الطبافير) *
الا على منها طيفور غيه مائة حبة خشك كنج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلاوة زنتها مائة رطل سكر
سليمانى وغيره عشرة ارطال فلوبات ستة ارطال بسندود عشرة حبة كعك وزبيب وعمر قطار بحلة
الطيفور ثلاثة قناطير وثلاث الى مائة ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن ابي طي وعمل المعز
لدين الله دار اسماء دار الفطرة فكان يعمل فيها من الخشك كنج والحلواء والبسندود والفانيذ والكعك
والتمر والبندق ثنى كثير من اول رجب الى نصف رمضان فيفترق جميع ذلك في جميع الناس الخاص والعام
على قدر منازلهم في اوان لا تستعاد وكان قبل ليلة العيد يفرق على الامراء الخيول بالمرابك الذهب والخلع
النفيسة والطرارز الذهب والنياب برسم النساء

* (المشهد الحسيني) *

قال القاضي محمد بن علي بن يوسف بن ميسر وفي شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير
الجيوش بعساكر بجة الى بيت المقدس وبه سكان وبلغا زى ابنا ارتق في جماعة من اقاربهم ورجالهم وعساكر
كثيرة من الاتراك فزاسلها الافضل يلقس منهم ما تسليم القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب
عليها المجانيق وهدم منها جانباً فلم يجدوا بداً من الاذعان له وسلماء اليه فخلع عليهم وأطلقهم وعاد في عساكره وقد
ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ما
فأخريه وعطره وحمله في سبط الى اجل داربها وعمر المشهد فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره
وسعى به ماشياً الى أن احله في مقبرته وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمل الى وكيله ابنه الافضل
وكان جل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصله اليها في يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين
 وخمسمائة وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضي المؤمن بن مسكين
 مشارفها وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أن هذا الرأس الشريف
 لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمته لم يجف وله ريح كريخ المسك فقدم به الاساذمكون في عشارى من
 عسائر ربات الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حمل في السرداب الى قصر الزمر ثم دفن عند قبعة الديلم بباب دهليز
 الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا يخرجون في يوم عاشوراء عند القبر الابل
 والبقرة والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم ير الوعى ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن
 عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد
 نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليهما من الفرنج وبني جامع خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا
 الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام
 اليه وذلك في خلافة الفاتر على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة * وسمعت من يحكى حكاية يستدل بها
 على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهي أن السلطان الملك الناصر وجه الله لما أخذ هذا القصر وشي
 اليه بخادم له قدر في الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التي بالقصر والدقائق فأخذ
 وسئل فلم يجيب بشئ وتجاهل فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذته متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس
 وشدها قرمزية وقيل ان هذه أشد العقوبات وان الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله
 ففعل ذلك به مراراً وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له هذا سرتخيك ولا بد أن
 تعرفني به فقال والله ما سبب هذا الا أنى لما وصلت رأس الامام الحسين جانيها قال وأى سر أعظم من هذا
 وراجع في شأنه ففعا عنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقهاء
 البهاء الدمشقي وكان يجلس للتدريس عند الحراب الذي الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ

الشيوخ بن حمويه ورد إليه أمر هذا المشهد بعد اخوته جمع من أوقافه ما بنى به أيوان التدريس الآن ويسوت
الفقهاء العلوية خاصة واحترق هذا المشهد في الايام الصالحة في سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الامير
جمال الدين بن يعمور نائباً عن الملك الصالح في القاهرة وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شياً فسقطت
منه شعلة فوقف الامير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفئ وأثمدته حينئذ فقلت

قالوا نعبس للحسين ولم يزل * بالنفس للهول المخوف معترضا

حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح السموء من تلك المخاوف أبيضاً

ارضى الاله بما أتى فكأنه * بين الانام بفعله موسى الرضى

قال ولحفظه الآثار وأصحاب الحديث ونقله الاخبار ما اذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير
المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بصحة الدعوى مليحة والعمل بالنية * وقال في كتاب الدر
التظيم في أوصاف القاضي الفاضل عبد الرحيم ومن جملة مبيانه الميضة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة
والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهراً للقاهرة ووقفها دار جارية والاتقاع بهذه المثوبة
عظيم ولما هدم المكان الذي بنى موضعه مثذنة وجد فيه شيء من طلسم لم يعلم لاي شيء هو فيه اسم الظاهر بن
الحاكم واسم اتمه رصد * (خبر الحسين) * هو الحسين بن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله واهله فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له
خولون من شعبان سنة أربع وقيل سنة ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق
رأسه وأمر أن يتصدق بزنه فضة وقال أروني ابني ما سميتوه فقال علي بن أبي طالب حرباً فقال بل هو حسين
وكان أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من صدره وكان فاضلاً ديناً كثير الصوم والصلاة
والحج وقيل يوم الجمعة لعشر خولون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء
من أرض العراق بشاحية الكوفة ويعرف الموضع أيضاً بالطف قتل سنان بن انس الجصبي وقيل قتل رجل
من مذحج وقيل قتل شمر بن ذي الجوشن وكان أبرص وأجهز عليه خوئي بن يزيد الأصمجي من جبر حر رأسه وأنى
عبيد الله بن زياد وقاله

أوقر ركباً فضة وذهبا * أتى قتل الملك المنجيا

قتلت خير الناس أمأواً * وخيرهم أذ ينسبون نسباً

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان الامير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتل الحسين وأمر
عليهم عمرو بن سعد ووعد أن يولي له الري ان ظفر بالحسين وقتله وقال ابن عباس رضي الله عنهما رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في ياري النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر يده فارورة في هادم فقلت يا بني أنت وأمي
ما هذا قال هذا دم الحسين لم ازل التقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل في ذلك اليوم وهذا البيت زعموا قد يما
لا يدري قائله

اترجوا أمة قتلت حسينا * شفاعته جده يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من ولد فاطمة وقيل قتل معه من أهل بيته واخوته ثلاثة وعشرون رجلاً
* وكان سبب قتله انه لما مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة ستين وردت بيعة يزيد على الوليد بن
عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها فأرسل إلى الحسين بن علي وإلى عبد الله بن الزبير ليلاقيهم ما فقال
بأي عاقلاً لا مثلنا لا يبايع سراً ولكننا نبايع على رؤس الناس اذا أصبحنا فخرجنا إلى بيوتهم ما خرجنا من بيوتهم إلى
مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة وخرج
يوم التروية يريد الكوفة يكتب أهل العراق اليه فلما بلغ عبيد الله بن زياد ميسر الحسين من مكة بعث الحسين بن
تميم التميمي صاحب شرطة فترل القادسية ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعل فبلغ الحسين الحاجر له عن البلاد
فكتب إلى أهل الكوفة يعترفهم بقدمه مع قيس بن مسهر فظفر به الحسين وبعث به إلى ابن زياد فقتله وأقبل
الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضا عفاً حتى اعلم الناس بذلك
وقال قد خذلنا شيعتنا فنأحب أن ينصرف فليتنصرف فليس عليه ذمام منافقزقوا حتى بقي في أصحابه الذين

جاءوا معه من مكة وساروا في ركبته الخليل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقفوا تحتها
وذلك في نحر الظهر فسقى الحسين الخليل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
أيها الناس انما عذرة الى الله واليكم اني لم آتكم حتى آتني كتبكم ورسلكم ان اقدم علينا فليس لنا امام لعل
الله ان يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فان تعطوني ما اطمئن اليه من عهدكم اقدم مصركم وان لم تفعلوا
وكنتم لمقدحى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي اقبلت منه فسكتوا وقال للمؤذن اقم فأقام وقال
الحسين للحر اريد ان تصلي أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلي بصلاتك فصلي بهم ودخل فاجتمع اليه أصحابه
وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس انكم ان تتقوا الله
وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى الله ونحن أهل البيت اولي بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم
السايرين فيكم بالجوهر والعدوان فانتم كرهقونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما آتني به كتبكم انصرفت
عنكم فقال الحر انا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسول التي تذكر فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرها بين
أيديهم فقال الحر انا لست من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد امرنا اذا نحن لقيناك ان لا نفارقك حتى نقدمك
الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت ادنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا فأنفجهم
الحر من ذلك فقال له الحسين شككتك امل ما تريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه
بالشكل كما نأمن كان والله ما لي الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن ما نقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال اريد
ان اطلق بك الى ابن زياد وتراد الكلام فقال له الحر اني لم أؤمر بقتالك وانما أمرت ان لا أفارقك حتى أدخلك
الكوفة فخذ طريقا لا تدخل الكوفة ولا تزول الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب انت الى يزيد أو الى
ابن زياد ففعل الله ان يأتي بأمر يزيد في فيه العافية من ان ابتلي بشيء من أمرك فقياسا عن طريق العذيب
والقادسية والحر يساره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة احدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص
من الكوفة في أربعة آلاف وبعث الى الحسين رسولا يسأله ما الذي جاء به فقال كتب الى أهل مصركم هذا ان
أقدم عليهم فاذا كرهوني فأنا انصرف عنهم فكتب عمرو الى ابن زياد يعرفه ذلك فكتب اليه ان يعرض على
الحسين ببيعة يزيد فان فعل رأينا فيه رأينا والا نفعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فزلوا
على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناديا حسين الا تنظر الماء لا ترى
منه قطرة حتى تموت عطشاً ثم التقي الحسين بعمر بن سعد مراراً فكتب عمرو بن سعد الى عبيد الله بن زياد ما بعد
فان الله قد أطفأ النائرة وجعل الكلمة وقد أعطاني الحسين ان يرجع الى المكان الذي أتى منه أو ان يسيره الى أي
ثغر من الثغور شاء أو ان يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده وفي هذا الكرم رضى وللامة صلاح فقال ابن زياد
لشمر بن ذي الجوشن اخرج بهذا الكتاب الى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فان فعلوا
فليبعث بهم وان ابوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وان أبي فانت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه
وابعث الى برأسه وكتب الى عمرو بن سعد أما بعد فاني لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله
ولا لتعقده عندي شافعا انظر فان نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سبلا وان ابوا
فازحف اليهم حتى تقتلهم وقتلهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق
شاق قاطع ظلوم فان أنت مضيت لامر ناجز تالك جزاء السامع المطيع وان أنت ابيت فاعتزل جندنا واخل بين
شمر وبين العسكر والسلام فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل اليهم الحسين ما لکم فقالوا اجاء
أمر الامير بكذا فاستهملهم الى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون
ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبي الحسين
أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتتل
أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال اشهدوا اني اول من رمى الناس وحمل أصحابه
فصرعوا رجلا واحدا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى اتصف النهار ولا يقدر
ياقوتهم الا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين ان يكفوا عن
القتال حتى يصلي ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل الى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا

من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضر به على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه في الأرض ثم قال اللهم ان كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير واتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن عيم بسهم فوقع في فمه فقلق الدم بسده ورمى به الى السماء ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه اللهم اني أشكو اليك ما يصنع يا ابن بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر في نحو عشرة الى منزل الحسين وحاولوا بينه وبين رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولو شاؤوا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كانوا يتقون بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء فنادى شمر في الناس ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقلوه ثكلتكم أمكم فخلوا عليه من كل جانب فضر بزعة بن شريك التميمي كفه الايسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فخل عليه في تلك الحال سنان بن انس النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولي بن يزيد الاصمحي احتز رأسه فأرعد وضعف قزله عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه الى خولي وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ومال الناس فاتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمرو بن سعد في أصحابه من يتدب للحسين في وطنه فرسه فأتى تدب عشرة فداسوا الحسين بنحو ألهم حتى رضوا ظاهره وصدره وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بني اسد الحسين بعد قتله يوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها الى ابن زياد فأحضر الرؤس بين يديه وجعل ينكت بقضيب ثياب الحسين وزيد بن ارقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل الى الكوفة ومعه ثياب الحسين واخوانه ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرت زينب بالحسين صريعا صاحت يا محمد هذا حسين بالعراء مزملا بالدماء مقطوع الاعضاء يا محمد بناتك سببا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم أرسل بها الى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفي عنق علي بن الحسين ويديه الغل وحلوا على الاقتاب فدخل بعض بني أمية على يزيد فقال أبشر يا امير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدو الله وعدو له قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يلبث الا اياما حتى جىء برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد في طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذي كان عليه فحين رآه خروجه بكمه كانه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذي كفانا المؤمنة بغير مؤنة كلفا وقد وانا للعرب أطفأها الله قالت رباحة بن يزيد فدوت منه فنظرت اليه وبه ردغ من حناء والذي أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقدر آيته يقرع ثيابه بقضيب في يده ويقول ابياتا من شعر ابن الزبير ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل في خزان السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك الملك فبعث اليه فجيء به وقد محمل وبقي عظما أيض فجعله في سبط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه في مقابر المسلمين فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح أن وجهه الى برأس الحسين بن علي فكتب اليه ان سليمان أخذه وجعله في سبط وصلّى عليه ودفنه فلما دخلت المسودة سألوها عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به وقال السري لما قتل الحسين بن علي بكت السماء عليه وبكاؤها جرتها وعن عطاء في قوله تعالى فابكت عليهم السماء والأرض قال بكأوها جرة أطرافها وعن علي بن مسهر قال حدثني جدي قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما كأنها علقه وعن الزهري بلغني انه لم يلق بجر من أجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحتها دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يس أحد من زعفرانهم شيئا فجعله على وجهه الا احترق وانهم اصابوا ابلا في عسكر الحسين يوم قتل فخرها ووطئوها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شيء لهم ملائنا دما

* (ما كان يعمل في يوم عاشوراء) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعزدين الله في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنيابة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أوافى السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من يتفق في هذا

اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثار عليهم جماعة من رعية أسفل نخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هنالك في دار محمد بن أبي بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيديّة والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كانوا ومقبر نفيسة وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية اكرموه وان سككت لقي المكروه وأخذت ثيابه ومامعه حتى كان كافور قد وكل بالصخراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزلهم بمجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلمزوا الناس اخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوائثهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصخراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع يجتمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السماط يجلس السماط بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعي في غير المكان الجاري به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسماط يعاوها من غير مرافع فجميع الزباني اجبان وسلأط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وجل السماط لهم وقد عمل في السجن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط ثم رفع وقدمت صحنون جميعها غسل فحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الاخير بأحكام الله على باب الباذنجه يسمى من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسطة الى القصر على كرسي تجريد بغير محفة مثلما هو وجميع حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقرايمز وأذن للقاضي والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة وعبي السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبر الشعير والحواضر على ما كان في الايام الافضية وتقدم الى والى مصر والقاهرة بأن لا يمكأ أحد من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدّرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضية من المضي فيها الى التربة الجيوشية وحضر جميع المتصدّرين والوعاظ وقراء القران الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض مثلما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة * قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدّرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صعدا والقاضي والداعي من جانبه والقراء يقرؤون نوبة بنوبة وينشدون من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يقرؤون به اهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير رافضا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحرير يدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب ذلك لتلحق بالمصاطب انفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك فيجلس القاضي والداعي الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليهما سماط الحزن مقدرا ألف زبديّة من العدس والملوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والخبز المغيرة لونه بالقدح فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل

الناس لا كل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب يبايعه عن الوزير والمذكور ان الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ انقوم انفصلوا الى أما كنهم ركبنا بذلك الرى الذى ظهورا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأعلق البساعون حوائثهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون

* (ذكر أبواب القصر الكبير الشرقى) *

وكان لهذا القصر الكبير الشرقى تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الريح ثم باب الزمر ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الديلم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة
 * (باب الذهب) * وهو باب القصر الذى تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يومى الاثنين والخميس للموكب المتقدم ذكره بقاعة الذهب قال ابن أبي طىء عن المعز لدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج أموالا كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها ارحية كأرحية الطواحين وأمر بهما حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهى التى كان الناس يسمونها الحشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء في أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الأمر أذن لهم أن يردوا منها بمبارد فالتخذ الناس مبارد حادة وغزهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقي الى القصر فلم تزل تبرد ذلك * وقال ابن ميسران المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة رجل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خمسمائة رجل على كل رجل ثلاثة ارحية ذهباً وانه عمل عضادى الباب من تلك الارحية واحدة فوق اخرى فسمى باب الذهب
 * (جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة على باب الذهب) * قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الاخرى واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكناج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصددين والقراء والفقراء للمتصددين ومن معهم في صحون والفقراء على اربعة السعيد ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي والداعي والشهود وجميع المتصددين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التى قبلى باب الذهب وجلوس الخليفة وسلوا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق محتوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنتها وغيرهم وفترقت الصواني بعدما جعل منها الخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة الى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكاتب الدست ومتولى سجدة الباب والقاضى والداعي ومفتى الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الاشراف قال وخرج الاخرى في سنة سبع عشرة وخمسمائة باطلاق ما يخص المولد الاخرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قساطير حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للاعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأموية صينية خشكناج وحضر القاضي والداعي والمستخدمون بدار العيد والشهود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلوس الخليفة في المنظرة وقبلوا الارض بين يديه وانقرؤن الخاص جميعهم يقرؤن القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من الشهود كرفضيلة الشهر والمولد فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال التجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره قال واستهل ربيع الاول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاولين والاخرين محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة منه وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال التجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التى بين الجبل والقرافة التى فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقة سننا الملك ابن ميسر أربع مائة رطل حلاوة وألف رطل خبز قال وكان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الاربعة النبوى والعلوى والقاطمى والامام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسي

ذكرها فأخذ الاستاذون يجتدون ذكرها للخليفة الأمر بأحكام الله ويردون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل ما ذكر وقال ابن الطويرذ كرجلوس الخليفة في الموالد الستة في تواريخ مختلفة وما يطلق فيها وهي مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاصر ويكون هذا الجلوس في المنطرة التي هي أنزل المناظر وأقرب الى الأرض قبالة دارنغر الدين جهار كرس والقندق المستحقة فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول تقدم بأن يعمل في دار الفطرة عشرون قطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائقه وتبعي في ثمانية صينية من النحاس وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الزتب وكل صينية في قوارة من أول النهار الى ظهره فأقول أرباب الرسوم قاضي القضاة ثم داعي الدعاة ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب بدعوى يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فإذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني فيجلسون مقدرا قراءة الختم الكريمة ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والاحضر الداعي معه بقباء الرسائل فيركبون ويسيروا الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلاطين القصرين فيقفون هناك وقد سلك الطريق على السالكين من الركن الخلق ومن سوية أمير الجيوش عند الخوض هناك وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنطرة المذكورة بالرمال الاصفر ثم يستدعي صاحب الباب من دار الوزارة ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظار الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن الخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنطرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجمعون تحت المنطرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لا تنظار الخليفة فتفتح احدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عتده من الاستاذين المخنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كنهه ويسير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضي القضاة ولا ينعوته وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة بجملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنطرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحماكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الاقر فيخطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرؤون فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده في كنهه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتسفض الناس ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عتدها من غير زيادة ولا نقص انتهى وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دارا لاميرنغر الدين جهار كرس الصلاحى التي عرفت بعد ذلك بالدار القطبية وهي الآن المارستان المنصوري وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين ببيرس

(باب البحر) * هو من انشاء الحماكم بأمر الله أبى على منصور وهدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين ببيرس البندقدارى وشوهد فيه أمر عجيب * قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعنى من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية لاجل نقل عمده فيه لبعض العمائر السلطانية فظهر صندوق في حائط مبنى عليه فلوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى تشبه الهرم ارتفاعه قدر شبره أربعة أرجل تحمل الكرسى والصم جالس متوركا وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحتمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفي هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفي الوسط صورة رأس بغير جسد ودائرة مكتوب كتابة بالقطي وبالقنطريات والى جانبها فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر

شكل آخر وعلى رأسه صليب والاخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصبيان التي يكتبون فيها بالمكاتب مدهون وجهه الواحد ابيض ووجهه الواحد احمر وفيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة وقد بلى اللوح وما بقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم وهذا نص ما فيه وأخليت مكان كتابته التي تكشطت وأما الوجه الابيض فهو مكتوب بقلم الصحيفة القبطي والمكتوب في الوجه الآخر على هذه الصورة السطر الاول بقى منه مكتوبا الاسكندر السطر الثاني الارض وهبها له السطر الثالث وجرب لكل السطر الرابع أصحاب

السطر الخامس وهو يحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مر جوا أبواب السطر الثامن غير يقية سبعة السطر التاسع عالم حكيم عالم في عقله السطر العاشر وصفها فلا تفسد السطر الحادي عشر طاو دكل سوء والذي صاغها النساء السطر الثاني عشر سد أيضا كل آثار اسدية بيرس وهي احد السطر الثالث عشر بيرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عز وجل هذا صورة ما وجد في اللوح مما بقى من الكتابة والبقية قد تكشط وقبل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراء الاقلام فقرأ ذلك بالقلم القبطي ومضمونه طلسم عمل للظاهر بن الحاكم واسم أمته رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورق وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس الديار مصر ونغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طروقههم اليها وابتهاج الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصورها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلم طيريات وأوقافا وصورا وخواص لا يعلمها الا الله تعالى وحمل هذا الطلسم الى السلطان وبقي في ذخائره قال ورأيت في كتاب عتيق رث سماء مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم بأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التي على أبواب القصر ومن جملتها ان أول البروج الحل وهو بيت المريح وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف واسفهلارية العسكر بين يدي الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستولى لقوة روحانية على مدينتنا وقد أقتنا طلسم الساعة ويومه لقهر الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والخصن الجامع لقصر مجاور الاول باب بنيناه هذا نص ما رأيته انتهى ولعل معنى كتابة بيرس في هذا اللوح اشارة الى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعنائهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف باب قصر بشتاك قبالة المدرسة الكاملية

* (باب المريح) * كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على عتبة السالك من الركن المخلق الى راحة باب العيد وكان بابا مريعا يستل في من دهليز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقة ودار الطواشي سابق الدين وقصر أمير السلاح وينتهي الى ما بين القصرين تجاه حمام اليسرى وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير صاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذي في داخل هذا الباب ثم قيل له في زمننا باب القصر وكان على حاله له عضادتان من حجارة ويعلوها اسكفة حجر مكتوب فيها نقرأ في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم يتهيا الى قراءة ما فيها وكان دهليز هذا الباب عريضا يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جدا ويعلوها هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق وما زال على ذلك الى أن أنشأ الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد واعتصب لها أملاك الناس وكان مما اعتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الخوانيت والرباع التي فوقها وما جاور ذلك وهدمها لينبها على ما يريد فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبني في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذي كان ينتهي بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقة هذه القيسارية الكبيرة ذات الخوانيت والسقيفة والابواب الجديدة ودخل فيها بعض مما كان يجانبي هذا الباب من الخوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيانه شخص وبلغنى ذلك فسرت الى الأمير المذكور وكان بيني وبينه صحبة لاشاهد هذا الشخص المذكور والتقت منه احضاره فأخبرني انه أحضر اليه شخص من حجارة قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فتلت لا بدلى من مشاهدته فأمر

باحضاره الموكل بالعمارة وأنامعه اذ ذلك في موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه رماه بين
 اجمار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وبالغ في القصاص عنه فأعياهم
 احضاره فسألت الرجل حيث ذعنه فقال لي انهم لما انتهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذ ابدأت في
 كتابة وبوسطها شخص قصير صغيرا حدى العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصيرا القامة
 احدى عينيه أصغر من الأخرى ويشبهه والله أعلم أن يكون قد عين في تلك الكتابة التي كانت حول الشخص أن
 هذا الباب يهدمه من هذه صفة كما وجد في باب البحر اسم بيبرس الذي هدم على يديه وبأمره وقد ظفر
 جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها في داخل هذا القصر لما أنشأ داره الأولى في الحجرة من داخل هذا
 الباب في سنة ست وتسعين وسبعمائة وكان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتابته ومن شدة خوفه يومئذ من
 الظاهر برقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصرح به فكان يقول لأصحابه وخوادمه وجدت في هذا المكان سبعين
 قفة من حديد أخبرني اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه انه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك أيام عمارته
 لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقة وبها كان يسكن فقبرت
 بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتهر هناك انه وجد حال هدمه
 وعمارته القاعة والرواق بالحجرة مكانا مبنيا تحت الارض مبيض الحيطان فيه مال فما كان عندي شك انه من
 أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى على
 القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشئ من الخبايا وعاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها.

* (باب الزمرذ) * سمي بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرذ وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رغبة
 باب العيد

* (باب العيد) * هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلامي بخط رغبة باب العيد وهو عقد محكم البناء
 ويعلم قبة قد علمت مسجدًا وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقال له مصطبة وأدركت العاتية وهم يسمون هذه
 القبة بالقاهرة ويرعون أن الخليفة كان يجلس بها ويرى كنه قناني الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا
 الباب باب العيد لأن الخليفة كان يخرج منه في يوم العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصلي
 بالناس صلاة العيد كما استقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفي سنة احدى وستين وستمائة
 بنى الملك الظاهر بيبرس خانًا للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا فعمله بابًا له وتم بناؤه
 في سنة اثنتين وستين

* (باب قصر الشوك) * وهو الذي كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام
 الايد مرى ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على يمينه السالك منها الى
 رغبة الايد مرى وهو الآن زقاق ينتهي الى بئر يسقى منها بالدلاء ويتوصل من هناك الى المارستان العتيق
 وغيره وأدركت منه قطعة من جانبه الايسر

* (باب الديلم) * وكان يدخل منه الى المشهد الحسيني وموضعه الآن درج ينزل منها الى المشهد تجاه الفندق
 الذي كان دار الفطرة ولم يبق لهذا الباب اثر البتة

* (باب ترية الزعفران) * مكانه الآن بجوار خان الخليلى من بحريه مقابل فندق المهمة دار الذي يدق فيه ورق
 الذهب وقد بنى بأعلاء طبقة ورواق ولا يكاد يعرفه كثير من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفي وهذا الباب كان
 يتوصل منه الى ترية القصر المذكورة فيما تقدم

* (باب الزهومة) * كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور وقيل له باب
 الزهومة لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل الى مطبخ القصر الذي للعوام انما يدخل بها من هذا الباب
 فقل له باب الزهومة يعنى باب الزفر وكان تجاهه ايضا درب السلسلة الا أن ذكره ان شاء الله تعالى
 وموضعه الآن باب قاعة الحسابات من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة
 المذكور باب الذهب الذي تقدم ذكره فهذه ابواب القصر الكبير التسعة

* (ذكر المنخر) *

وكان بجوار هذا القصر الكبير المنحدر وهو الموضع الذي اتخذته الخلفاء لفتح الاضاحي في عيد النحر وعيد الغدير
وكان تجاه رحبة باب العيد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر تجاه ناقاه بيبرس وصار موضعه ما في داخل
هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبين حارة برجوان
الحوانيت التي تقابل باب الحارة ومن جملة المنحدر الساحة العظيمة التي عملت لها خوند بركة أم السلطان الملك
الاشرف شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التي عمل فيها حوانيت
الاسا كفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب بنحر بالمصلي ثم يأتي المنحدر المذكور وخلفه المؤذنون
يجهرون بالكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيئا وتكون الحربة في يد قاضي القضاة وهو بجانب الخليفة
ليناوله اياها اذا نحر واقول من سبقت منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها في اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله
نزار * (ما كان يعمل في عيد النحر) * قال المسيحي وفي يوم عرفة يعني من سنة ثمانين وثلثمائة حل يانس
صاحب الشرطة السماط وحل أيضا على بن سعد الحنظل سماط آخر وركب العزيز بالله يوم النحر فضلى
وخطب على العادة ثم نحر عدة نوق بيده وانصرف الى قصره فنصب السماط والموائد وكل وشعر بين يديه وأمر
بتفرقة الضحايا على اهل الدولة وذكر مثل ذلك في باقي السنين وقال ابن المأمون في عيد النحر من سنة خمس
عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون ديناراً ومن
الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى
حجبة الباب وغيرهم من المستخدمين وعدة ماذبح ثلاثة ايام النحر في هذا العيد وعيد الغدير ألفان
وخمسمائة وأحد وستون رأساً تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأساً بقرة أربعة وعشرون رأساً جاموس
عشرون رأساً هذا الذي ينحدره ويذبحه الخليفة بيده في المصلي والمنحدر وباب الساباط ويذبح الجزارون من
الكباش ألفين وأربعمائة رأساً والذي اشتملت عليه نفقات الاسمطة في الايام المذكورة خارجا عما يعمل
بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن اسمطة القصور عند الحرم وخارجا عن القصور الحلوة والقصور
المنفوخ المصنوعة يذار الفطرة ألف وثلثمائة وستة وعشرون ديناراً وربع وصدس دينار ومن السكر برسم
القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطاراً تفصيله عن قصرين في اول يوم خاصة اثنا عشر قنطاراً المنفوخ
عن ثلاثة الايام اثنا عشر قنطاراً وقال في سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر
ووصل ما تأخر فيها بالطارز وفزت الرسوم على من جرت عادته خارجا عما يربيه من تفرقة العين المختص بهذا
العيد وأضحيتة وخارجا عما يفرق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبحاً ومنحوراً ستمائة دينار وسبعة
عشر ديناراً وفي التاسع من ذي الحجة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير وأولاده
وقاموا بما يجب من السلام واستفتح المقرئون وتقدم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الخمسة
التي جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرئون وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش
وعاد الخليفة الى محله فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شيء عما جرت
به العادة في الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهي البدلة الحمراء بالشدة التي تسمى
بشدة الوقار والعلم الجوهر في وجهه بغير قضيب ملك في يده الى أن دخل المنحدر وفرشت الملاءة الديني الحمراء
وثلاث بطائن مصبوغة حمر لستقي بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يلقى بها الدم
عن الملاءة وكبير المؤذنون ونحر الخليفة أربعاً وثلاثين ناقة وقصد المسجد الذي آخر صف المنحدر وهو غلق
بالشروب والفاكهة المعبأة فيه بمقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة في
المنحدر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام مائة ألف وتسعمائة وستة
وأربعون رأساً تفصيله نوق مائة وثلاث عشرة ناقة فخر منها في المصلي عقيب الخطبة ناقة وهي التي تهدي
وتطلب من آفاق الارض للتبرك بلحمها ونحر في المناخ مائة ناقة وهي التي يحمل منها الوزير وأولاده واخوته
والامراء والضيوف والاجناد والعسكريين والاميرين من الراجل وفي كل يوم يتصدق منها على الضعفاء
والمساكين بناقة واحدة وفي اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة متحورة للقراء في القرافة وينحر في باب الساباط
ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشي اثنا عشرة ناقة وثمانى عشرة بقرة

وخمس عشرة جاموسة ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب السباط بسقط ما يذبح من
 النوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة في ثلاثة الايام خارجا عن الاسمطة بالدار المأمونية فألف وثلثمائة
 وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم قصور الخلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار
 القنطرة خارجا عن المطابخ ثمانية وأربعون قنطارا * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذوالقعدة وأهل ذوالحجة اهتتم
 بالركوب في عيد النحر وهو يوم عاشر ذي الحجة حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون
 لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا يخرج منه شيء ورسمه كونه ثلاثة ايام متواليه فأولها يوم الخروج الى المصلى
 والخطابة كعيد الفطر وثاني يوم وثالثه الى المنكر وهو المقابل لباب الريح الذي في ركن القصر المقابل لسور دار
 سعيد السعداء الخاتمة اليوم وكان براحا خاليا لا عماره فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون
 الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انفصالهما من المصلى ويكون قد قيدا الى هذا
 المنكر احد وثلاثون فصلا وناقاة أمام مصطمة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير ثم اكابر الدولة وهو بين
 الاستاذين المحنكين فيقدم الفزاشون له الى المصطمة رأسا ويكون بيده حربة من رأسها الذي لاسنان فيه
 ويدقاضي القضاة في اصل سنانها فيجعل القضاة في نحر الخليفة ويضع بها الخليفة وتجتر من بين يديه حتى يأتي
 على العدة المذكورة فأول نحية هي التي تقلد وتسير الى داعي اليمن وهو الملك فيه فيفرقها على المعتقدين من
 وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثاني يوم كذلك فيكون عدد ما يخرج سبع وعشرين ثم يعمل في اليوم
 الثالث كذلك وعدة ما يخرج ثلاث وعشرون وهذا وفي مدة هذه الايام الثلاثة يسير رسم الاضحية الى
 أرباب الرتب والرسوم كما سرت الغرة في اول السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قرابط على مثال الغرة من عشرة
 دنانير الى دينار وأما لحم الجزور فانه يفرق في أرباب الرسوم للثبوت في أطباق مع ادوان الفزاشين واكثر ذلك
 تفرقة قاضي القضاة وداعي الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصددين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بهامن
 الشيعة للثبوت فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحر التي كانت عليه ومنذ لا آخر بغير السمة والعقد
 المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنكر فركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شاقا القاهرة فاذا خرج
 من باب زويلة انعطف على يمينه سالكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال
 عيد النحر * وقال ابن أبي طي "عدة ما يذبح في هذا العيد في ثلاثة ايام النحر وفي يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة
 وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون
 رأسا هذا الذي ينحره الخليفة ويذبحه بيده في المصلى والمنكر وباب السباط ويذبح الجزارون بين يديه من
 الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينحر بالمنكر مائة رأس ويعود الى خزانة
 الكسوة بغير قماشه ويتوجه الى الميدان وهو الخرنش في باب السباط لنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام
 ويغير ثيابه للجلوس على الاسمطة وعدة ما يذبحه ألف وسبع مائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشرة ناقاة
 والباقى بقر وغنم * قال ابن الطوير وعن النحاي على ما نقرر ما يقرب من ألفي دينار وكانت تخرج الخلفاء الى
 الاعمال بشا تر بر كوب الخليفة في يوم عيد النحر فما كتب به الاستاذ البارع ابو القاسم على بن منجب بن سليمان
 الكاتب المعروف بابن الصيرفي المنعوت بتاج الرئاسة أما بعد فالحمد لله الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه
 ونشر رايه هذا الدين وأوجب اعظامه وأطلع بخلافه امير المؤمنين كواكب سعوده وأظهر للمؤلف
 والمخالف عزة أحرابه وقوة جنوده وجعل فرعه ساميا ناميا واصله ثابتا راسخا وشرفه على الاديان بأسرها
 وكان لعراها فاصما ولاحكاما ناسخا يحمد أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليفة وجعل كراماته الاسباب
 الجديرة بالامارة الخليفة ويرغب اليه في الصلاة على جسده محمد الذي حاز الفخار أجمعه وضمن الجنة لمن
 آمن به واتبع النور الذي انزل معه ورفع الى اعلى منزلة تخير له من المحل وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق
 الباطل ونجحت ناره واضمححل صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب خير
 الامة وامامها وحبر الملة وبدر تمامها والموفى يومه في الطاعات على ماضى امسه ومن اقامه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه واختصه بأبعد غاية في سورة براءة فتنادى في الحج بأولها ولم يكن غيره
 يتقد نفاذه ولا يستمكانه لانه قال لا يبلغ عنى الارجل من أهل يبق عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه وعلى

الائمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه والقائمين في سياسة خلقه بصريح الايمان ومحضه والمحكمين من أمر الدين مالا وجه لخلده ولا سبيل الى نقضه وسلم عليهم أجمعين سلاما يصل دوامه ولا يخشى انصرامه ومحمد وكرّم وشرف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذي تبلغ فخره عن سيئات محضت ونفوس من آثار الذنوب خلعت ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت ومغفرة هنأت ونشرت وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضوره من اوليائه متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه في عترة راسخة قواعد هامة مكنه وعسا كرجة تضيق عن اطراف الامكنه ومواكب تتوالى كتوالى السيل وتهاهب هيبة مجيئه في الليل بأسلحة تحسرها الابصار وتبرق وترتاع الافئدة منها وتفرق فمن مشرق في اذاور دقورد ومن سمهرى اذا قصدت قصد ومن عمدا اذا عمدت تبرأت المغافر من ضمانها ومن قسى اذا ارسلت بناتها وصلت الى القلوب بغير استئذانها ولم يزل سائر في هدى الامامة وأنوارها وسكنة الاخلافة ووقارها الى أن وصل الى المصلى قدام المحراب وأدى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبل حجاب ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ثم هلى الله وكبر وأثنى على عظمته وأحسن الى الكافة بتبليغ موعظته وتوجه الى ما عتد من البدن فخره تكمى لاقربته وانتهى في ذلك الى ما امر الله عز وجل وعاد الى قصوره المكرمة ومنازله المقدسة قدرضى الله عمله وشكر فعله وتقبله اعلمك أمير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاربه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* (ذكر دار الوزارة الكبرى) *

وكان بجورا هذا القصر الكبير الشرقى نجاه رجة باب العيد دار الوزارة الكبرى ويقال لها الدار الافضلية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها هيدر الجالى أمير الجيوش ثم لم يزل يسكنها من بلى امره الجيوش الى أن انتقل الامر عن المصريين وصار الى بنى أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ثم أرمست دار الوزارة من يرد من الملوک ورسل الخليفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب وضافها الافضل الى دور بنى هريرة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذي تدل عليه كتب اتياعات الاملاك القديمة التى بتلك النخطة انهم من بناء الافضل لامن عمارة ابيه بدر والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هي داره بجارة برجوان التى قيل لها دار المظفر وما زال وزراء الدولة القاطمة ارباب السيف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل ابوبكر بن أيوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأقل من انتقل عنها من الملوک وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولّى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل فى سنة سبع وخسين وستائة وحضر اليه البحرية وفيهم يبرس البندقدارى وقلاون الالقي من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين يبرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر بحجة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفى سنة ثلاث وتسعين وستائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون فى واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك وثارت الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل من قتل منهم خاف بقية الامراء من شر المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثمانمائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير فى مناظر الكباش واجرت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذکور فى موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبع مائة أخذ الامير شمس الدين قراستقر المنصورى نائب السلطنة فى ايام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خاتناه سعيد السعداء ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراستقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بنى الامير ركن الدين يبرس الجاشنكير الخاتناه السكنية والرباط بجانبها من جهة دار الوزارة وذلك فى سنة

تسع وسبع مائة ثم استولى الناس على ما بقي من دار الوزارة وبنوا فيها فن حرقوها الربع تجاه الخاقاه
الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه وكن الدين بيبرس وما يجوارها من دار قزمان
ودار الأمير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباي الناصرية جهة الملك الناصر حسن
ابن محمد بن قلاوون وحمام الاعسر التي بجانبها والحمام المجاورة لها وما وراء هذه الاماكن من الآدر وغيرها
وهي القرن والطاحون التي قبلي "المدرسة القراسنقرية ومن الآدر والخربة التي قبلي "ربع قراسنقر وما جاور
باب "المدرسة القراسنقرية من الآدر وخربة اخرى هناك والدار الكبرى المعروفة بدار الأمير سيف الدين
برلغي الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاي وفيها السرداب الذي كان رزنيك
ابن الصالح رزنيك قفحه في ايام وزارته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باق الى الآن في صدر قاعاتها وذكر
أن فيه حبة عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاورة لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبنى بالججارة
وقد بقي الآن منه قطعة في حد دار الوزارة الغربي وفي حدها القبلي وهو الجدار الذي فيه باب الطاحون
والساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق الذي يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة في حدها الشرقي
عند باب الحمام والمستوقدي باب الخوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد في القبة
التي دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه وهو الشباك الذي يقرأ فيه القراء وكان موضوعا في دار الخلافة
بيغداد يجلس فيه الخلفاء من بني العباس فلما استولى الأمير أبو الحارث البساسيري على بغداد وخطب فيها
للخليفة المستنصر بالله الفاطمي "أربعين جمعة وانتهب قصر الخلافة وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسي
الى عانة وسير البساسيري الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر في سنة سبع وأربعين وأربع مائة
كان من جملة ما بعث به مندب الخليفة القائم بأمر الله الذي عمه بيده في قالب من رخام قد وضع فيه كما هو حتى
لا تتغير شدته ومع هذا المندب رداءه والشباك الذي كان يجلس فيه ويتكى عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار
الوزارة على يد الفضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكى عليه وما زال بها الى أن
عمر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخاقاه الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله
في القبة وهو شباك جميل وأما العمامة والرداء فصارا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين
ديار مصر فسيرهما في جملة ما بعث من مصر الى الخليفة المستنصر بالله العباسي بيغداد ومعهما الكتاب الذي
كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدو فيه أنه لاحق لبني العباس ولأله من جملتهم في الخلافة مع
وجود بني فاطمة الزهراء عاينها السلام وكان البساسيري "أزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالشهاد الى
مصر فأنفذه صلاح الدين الى بغداد مع ما سير به من التحف التي كانت بالقصر وأخبرني شيخ معمر يعرف بالشيخ
على "السعودي" ولد في سنة سبع وسبع مائة قال رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من
جملة ما بقي من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس انسان كبير وعندي أن هذا الرأس من
جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في ايام وزارته للعاضد بعد شاورفاته كان عمل الحيلة عليهم بدار
الوزارة وصار يستدعي واحدا بعد واحد الى خزنة بالدار ويوههم أنه يخلع عليهم فاذا صار واحدا منهم في
الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة في الدولة الفاطمية تشتمل
على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذي يجري في بركها ومطابخها
ونحو ذلك

(ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعتهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك) *

أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد في ايامه وأول من قيل
له الوزير في الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كاس وزير العزيز بالله أبي منصور زار بن المعز واليه تنسب
الحارة الوزيرية كما استتف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كاس لم يستوزر العزيز بالله
بعده أحدا وانما كان رجل يلى الوساطة والسفارة فاستقر في ذلك جماعة كثيرة بقية ايام العزيز وسانا ايام
ابنه أبي علي منصور الحاكم بأمر الله ثم ولي الوزارة احمد بن علي "الجرجاني في ايام الظاهر أبي هاشم على "بن

الحاكم وما زال الوزراء من بعده واحد بعد واحد وهم أرباب الاقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجبالي * قال
ابن الطوير وكان من زى هؤلاء الوزراء انهم يلبسون المدايل الطبعيات بالاحمال تحت حلوقهم مثل العدول
الآن ويتفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذرايع واحد اذ راعة وهي مشقوقة أمام وجهه الى قريب من
رأس القواد بأزرار وعري ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة
الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ في أرباب السيفوف من الاجناد
وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربي الذي قدم عليه أمير الجيوش بدر الجبالي من عكا ووزر
للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه في ذلك أحد انتهى ترتيب وزارته بأن تكون وزارة صاحب سيف
بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فعقد له هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت
بالسيد الاجل أمير الجيوش وهو النعت الذي كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين
وهادى دعاة المؤمنين وجعل القاضي والداعي نائبين عنه ومقلدين من قبله وكتب له في سجله وقد قلده
أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وناط بك النظر في كل ما وراء مربره فباشر ما قلده أمير المؤمنين من ذلك مدبرا
للبلاذ ومصلحا للفساد ومدمرا لاهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع
الذؤابة المرخاة والظلمة المقور زى قاضي القضاة وذلك في سنة سبع وستين وأربع مائة فصارت الوزارة
من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمؤولها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش
من بعده آية ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر في الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلي صار يقال له
الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب
رضوان بن ولشي عندما وزر للحافظ لدين الله فقبل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك في سنة ثلاثين
وخمسة مائة وفعل ذلك من بعده فلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل
وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف
من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم في الكفاية من
الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذي يولي أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال
الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السلطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذي
يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاكي مع الاشرف شعبان وكما أدركنا الامير برقوق قبل سلطنته مع
ولدى الاشرف وكما كان الامير آيتش مع الملك الناصر فوج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبي طي
وكانت خلعتهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الدنيقة والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان
طراز الذهب والعمامة من خسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيفوف
المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جواهر * قال ابن الطوير وخلع عليه يعنى على أمير
الجيوش بدر الجبالي بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع الذؤابة المرخاة والظلمة المقور
زى قاضي القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام في زمنها هذا غير أنه لقصور أحوال الدولة
جعل عوض العقد الجواهر الذي كان للوزير ويقل بخمسة آلاف مثقال ذهبا قلادة من عنبر مغشوش يقال لها
العنبرية وتميز بها الوزير خاصة ويلبس أيضا الظلمة المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشارك فيها جميع أرباب
العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعتهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرخاة وهي
العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء ويشبهه والله أعلم أن يكون وضعها في الدولة
الفاطمية للوزير في خلعه اشارة الى انه كبير أرباب السيفوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف
وكذلك ترك في الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف لانه لا حكم له على أرباب السيفوف ولما قام الافضل
ابن أمير الجيوش خلع ايضا عليه بالسيف والظلمة المقور وبعد الافضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك الى
أن قدم طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح عندما خلع عليه للوزارة وجعل في خلعته السيف والظلمة المقور
المقور * قال ابن المامون وفي يوم الجمعة ثمانية يعني ثاني ذي الحجة يعني سنة خمس عشرة وخسمائة خلع على
القائد ابن فائق البطائحي من الملابس الخاص الشريفة في فرد كم مجلس الكعبة وطوق بطوق ذهب مرصع

وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الأمر بأحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الأفضل بن أمير الجيوش يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشریف الوزارة يعني من باب الذهب ودخل من باب العیدرا بكاو حرى الحكم فيه على ما تقدم للأفضل ووصل الى داره فضاغف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع امرء الدولة لتقبيل الارض بين يدي الخليفة الأمر على العادة التي قررها مستحبة واستدعى الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة فلما حضر امرء باحضر السجل للاجل الوزير المأمون من يده فقبله وسله زمام القصر وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ في هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبي الحسن أن يتقل النسبة للامراء والمحنكين من الامراء الى المأمون في الناس اجمع ولم يكن أحد منهم يتسبب للأفضل ولا لأمير الجيوش وقد تمت الدواة للمأمون فعلم في مجلس الخليفة وتقدمت الامراء والاجناد فقبلوا الارض وشكروا على هذا الاحسان وأمر الخليفة باحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم أمر بالخلع للشيخ أبي الحسن ابن أبي أسامة باستقراره على ما بيده من كتابه الدست الشريف وشرفه بالدخول الى مجلس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبي الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك ابوالرضى سالم ابن الشيخ أبي الحسن وكذلك ابوالمكارم أخوه وأبو محمد أخوه ما ثم ابوالفضل بن الميحي ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذي قرأ السجل وخلع على الشيخ أبي الفضائل بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى امور الضيافات والرسائل الواصلين الى الحضرة من مجلس الأفضل ولا يصل لعقبته أحد لحاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا فانه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة في ذلك الوقت من أجل الخدم واكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقلها فعند ذلك قال القاضي ابوالفتح بن قادوس يدع الوزير المأمون عند مشوله بين يديه وقد زيد في نعوته.

قالوا تاه النعت وهو السيد المأمون حقا والاجل الاشرف

ومغيث امة احمد ومجيرها * ما زادنا شأنا على ما نعرف

قال ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجبل أفعاله بلغ الخليفة الأمر بأحكام الله فشكره واثنى عليه فقال له المأمون ثم كلام يحتاج الى خلوة فقال الخليفة تكون في هذا الوقت وأمر بخلق المجلس فعند ذلك مثل بين يدي الخليفة وقال له يا مولانا امثالننا الامر صعب ومخالفته أصعب وما يتسع خلافة قدام امراء دولته وهو في دست خلافته ومنصب آباءه وأجداده وما في قواي ما يرومه مني وكيفيني هذا المقدار وهيات أن أقوم به والامر كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم ان كان لي وزير غيري فهو في نفسي من ايام الافضل وهو مستقر على الاستعفاء الى أن بان له التغير في وجه الخليفة وقال ما اعتقدت انك تخرج عن أمرى ولا تخالفني فقال له المأمون عند ذلك في شروط وأنا تأذكرها فقال له مهم ما شئت اشترط فقال له قد كنت بالامس مع الافضل وكان قد اجتهد في النعوت وحل المنطقة فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك في وقته قال وكان أولاده يكتبون اليه بما يعلمه مولاي من كوني قد خست في المال والاهل وما كان والله العظيم ذلك مني يوما قط ثم مع ذلك معادة الاهل جميعا والاجناد وارباب الطيالس والاقلام وهو يعطيني كل رقعة تصل اليه منهم وما سمع كلام أحد منهم في فعند ذلك قال له الخليفة فاذا كان فعل الافضل معك ما ذكرته ايش يكون فعلى انا فقال المأمون يعزفني المولى ما يأمر به فأمثله بشرط أن لا يكون عليه زائد فأقول ما بدأ به أن قال اريد الاموال لا تجبي الا بالقصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور الا اليه ولا تفرق الامنه وتكون اسمطة الاعساد فيه ويوسع في رواتب القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة أما الكسوات والجباية من الاسمطة فما تكون الا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الامر وأما زيادة رسم منديل الكم فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين ديناراً يكون في كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك في الركوبات واسمطة الاعياد وغيرها في سائر الايام ففرح الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون اريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين ويقسم لي فيه بأبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسده ولا مبغض ومهم ما ذكر

في بطلاني عليه ولا يأمر في بأمر سراً ولا جهرًا يكون فيه ذهاب نفسي وانحطاط قدرى وهذه الايمان باقية الى وقت وفاتي فاذا اتوفيت تكون لا ولادى وابن اخلفه بعدى فحضرت الدواة وكتب ذلك بجمعه واشهد الله تعالى في آخرها على نفسه فعند ما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمان نسجتين احدهما في قصبة فضة قال فلما قبض على المأمون في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة أنفذ الخليفة الأمر بأحكام الله بطلب الايمان فنقله الى القصبية الفضة فخرقها لوقتها وبقيت النسخة الاخرى عندي فعدمت في الحركات التي جرت • وقال ابن ميسر في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها تنصرف القائد ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة أبي شجاع فانك ابن الامير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى المعروف بابن البطائحي في الخامس من ذى الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذى قدمه الى هذه المرتبة واستقرت نعوته في سجنه المقر على كافة الامراء والاجناد بالاجل المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر المنافع ذخرا لمؤمنين ثم تجدد له من النعوت بعد ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز الاسلام فخر الانام نظام الدين والدنيا ثم نعت بما كان نعت به الافضل وهو السيد الاجل المأمون أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذى الحجة وهو يوم الهناء بعيد النحر جلس المأمون في داره عند أذان الصبح وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والافلام ثم الامراء والاستاذون المحتكون والشعراء بعدهم فركب الى القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هبت له في موضعها الجارى به العادة وأغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والافلام وهذا الباب يعرف بباب السرداب فعند ما شاهد الحال في المرتبة توقف عن الجلوس عليها لانها حالة لم يجز معه حديث فيها ثم الجأته الضرورة لاجل حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها وجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والامراء المطوقون خاصة ودون غيرهم قيام بين يديه فانه لا يصلى أحدا الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب وخرج عدة من الاستاذين المحنكين بسلام أمير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة متولى الرسالة وزمام القصور فعند حضوره وقف له أولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة وقال أمير المؤمنين یرد على السيد الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتاخرا الامير الى أن نزل من المصطبة وقبل الارض وقبل يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه الافضل وكان الافضل يقول ما زال أعد نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق في وجهي والدخان في انفي قات الجمام كانت من خلف الباب في السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول الى القصر فدخل الى المكان الذى هب له وعاد لمجلس الوزارة وبقي الامراء بالدهاليز الى أن جلس الخليفة واستفتح القراء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده وأخوته وأهل الامراء على قدر طبقاتهم أولهم أرباب الاطواق وبلبهم أرباب العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات وسلم بهم الشيخ ابو الحسن بن أبي اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن اناس الدولة ثم بقية الطالبين من الاشراف ثم سلم القاضي ابن الرسعى بشموه والداعى ابن عبد الحق بالمؤمنين ثم سلم القائد مقبل مقدم الركاب الاخرى بجميع المتقدمين الاخرية ثم سلم بعدهم الشيخ ابو البركات بن أبي الليث متولى ديوان المملكة ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل طائفة بمقدمها فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلم كل منهم ما يبيضا من اهل البلدين ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه الكتبا من اليهود ثم سلم المقر بون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنشد كل منهم ما سمعت به قريحته قال فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ماقرر للوزارة عينا في الشهر بغير ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفصيلها ما هو على حكم النيابة في العلامة ألف دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برهم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة دنائير في الشهر فأما الغلمان اركابية وغيرهم من القراشين والطباخين فعلى حكم ما يرغب في اثباته وفي السنة من الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجلة صفقات ومن البساتين ثلاثة بستان

الامير قيم وبستانان بـكـوم أشفين ومن القوت يعني القمح ومن القضم يعني الشعير والتبرسيم في السنة
عشرون ألفا وارب قحشا وشعيرا ومن الغنم يرسم مطابجه ساقه من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان
والاحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فهم الاستدعاء متولى المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون
الاحطاب وغير ذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة في العيدين وفصل الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير
وفتح الخليج وغير ذلك من غزى شهر رمضان وأقول العام وغيره كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب ان شاء
الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميته تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء
فانظره

(ذكر الجرار التي كانت يرسم الصبيان بالخرقة)

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالخرج جمع حجرة فيها الغلمان المختصون بالخلفاء كما أدركا بالقلة البيوت
التي كان يقال لها الطماق وكانت هذه الخرج من جانب حارة الجوانية والى حيث المسجد الذي يعرف بمسجد القاصد
تجاه باب الجامع الحاكمي الذي يقضى الى باب النصر فن حقوق هذا الخرج دار الامير بهادر اليوسفي السلاحدار
الناصري التي تجاهور المسجد الكائن على يمنة من ذلك من باب الجوانية طالبا باب النصر ومنها الخوض المجاور
لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون والمسجد المعروف بالنخلة وما بجواره من القاعتين
اللتين تعرف احدهما بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولي وما في جانبها الى مسجد القاصد وما وراء هذه
الدور وكان لهؤلاء الخيرية اصطبل يرسم دوابهم سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وما زالت هذه الخيرية بعد
انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى ما بعد السبع مائة فهدمت وابتنى الناس مكانها الا ما كن المذكورة * قال ابن
أبي طي عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر في صنعة صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا يرسمهم وكذلك فعل بالتكاتب
والافاضل وشرط على ولادة الاعمال عرض اولاد الناس بأعمالهم فن كان ذاشهامة وحسن خلقه أرسله ليخدم
في الركاب فسيروا اليه عالما من اولاد الناس فأفرد لهم دورا وسموها الخرج * وقال ابن الطوير وكوتب الافضل
ابن أمير الجيوش من عسقلان واجتماع الفريخ فاهم للتوجه اليها فم يبق بمكان ما من سلاح وخيل ورجال
واستتاب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر بين يدي الخليفة مكانه وقصد استبقا الساحل من يد
الفريخ فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهي نوبة النصبة وعلم أن السبب
في ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الالات وكان عند الفريخ شاعر من جمع اليهم فقال يخاطب
صنجل ملك الفريخ

نصرت بسمك دين المسيح • فله درك من صنجل

وما سمع الناس فيما روه • بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر ولم يتفجع بعد هذه النوبة أحد من الاجناب بالافضل وحظر عليهم التبعوت
ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من اولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الخرج وجعل
لكل مائة زماما ونقيباً وزم الكل بأمر يقال له الموفق وأطلق لكل منهم ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره
وعنى هؤلاء الاجناد فكان اذا هم امرهم جهزهم اليهم مع الزمام الا كبر * وقال ابن المأمون وكان من جملة
الخرية الذين يحضرون السعاط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيها الى آخره ثم
يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل قط
مثله من الاطعمة فيأكل معظمه وكان يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظار الخليفة لا يميزه وكان من
الاجناد وأسرى أيام الافضل وقبده الفريخي الذي أسره وعذبه وطالت مدته في الاسر وكان فقيرا فافتق ان
ذكر للفريخي كثرة اكله فأراد أن يمتحنه فقال له أحضري عجلا كبير عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه
الفريخي رنقص عقله وأنه بهجل كبير ويقال بخنزير فقال له اذبحه واشوه وأنتي معه بجزرة خيل ثم قال اذا اكلته
ما يكون لي عندك فغلط الفريخي وقال له اطلبك تمضي الى اهالك فاستحلقه على ذلك وغلظ عليه اليقين وأحضر
الفريخي عدة من اصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه

وتعجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد أنني هربت فأرد إليكم فأحضر الفرنجي من العربان من سلمه إليهم ولم يشعر به الايباب عسقلان فطلع منها وأعني بعد ذلك من السفر وبقى برسم الاسمطة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير في صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذي يسمى باب النصر قد عيى على عتبة الخارج من القاهرة كان ترى فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون في جهات متعددة وهم يتهازون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهي المنصورة والقنق والحديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يـ^{كون} له ما يمنعه وكانوا في ذلك على مثال الذؤابة والاستتار وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هنالك الى الامرة والتقدمة مثل على بن السلاور وغيره ولا يأوى أحد منهم الا بجحرته بفرسه وعدته وقماشه وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم استاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم

* (ذكر المناخ السعيد) *

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلي ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التي تطحن جرايات النصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الخواصل ما لا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشمية والآلات الاساطيل من الاسلحة المعمولة بيد الفرنج القساطين فيه والقنب والكتان والمجنبيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجرايات المقدم ذكرها والزفت في المخازن الذي عليه الاتربة ولا يتطعم الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعني دولة بني أيوب منه شياً كثيراً في هذا المكان انتفع به واليه يأوى الفرنج في بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففيه من التجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخباطين والفعلد ومن البجائين والطحانيين في تلك الطواحين والقرانين في أفران الجرايات وفي هذا المكان مادة أكثر أهل الدولة وحاميه أمير من الامراء ومشارف من العدول وفيه أيضاً شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهم بما يجار غير جوارهم لان أوقاتهم مستغرقة في مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحى استجد طواحين برسم الرواتب

* (ذكر اصطبل الطارمة) *

الطارمة بيت من خشب وهو دخيل وكان بجوار القصر الكبير تجام باب الديلم من شرقي الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك والآخر بجواره زويلة يعرف بالجيزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس في كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخاص ومنها ما يخرج برسم العواري لارباب الرتب والمستخدمين دائماً ومنها ما يخرج أيام المواسم وهي التغيرات المتقدمة ذكر ارسالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة رؤوس سائس واحد ملازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفي كل اصطبل بئر بساقية تدور الى احواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلاً من السقاس عريف يلتزم دركهم بالضممان لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلي ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره في خزائن السروج ولكل من الاصطبلين راض كامير اخور ولهما ميرة وجامكية متسعة والعرفاء على السقاس ميرة وللجماعات الجرايات من القمح والخبز خارجا عن الجاميكات فاذا بقي الايام المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة اسبوع أخرج الى كل راض في الاصطبل مع استاذ مظلة ديني من كبة على قنطارية مدهونة ويختص الراض على ما يركبه الخليفة اما فرسين او ثلاثة وعليهما المركبات الحلي التي يركبها الخليفة فيركبها الراض بجائيل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير في ابراح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارة واعاندا وحولها البوق والطبل فيكثر ذلك عدة دفعات في كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا ينفر منه في حال الركوب عليه فيعمل كذلك في كل اصطبل من الاصطبلين والدواب والبغلة التي تهيم هي التي يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم ولا يحتل ذلك ويقال انه ماراث دابة

ولا بابت والخليفة راكبهما ولا بغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما وكان في الساحل بطريق مصر من القاهرة في البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين خلجا شوتان مملوءتان ببناء عبيتان كتعبيته في المراكب كالخيلين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل بحامكية جيدة تصل بذلك المراكب اثباتا الموهلة له من موظف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه في ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار في ديوان العسماثر والصناعة والاتفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاوامر الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خاف في الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثمانية وستين رطلا بالمصري نقيما واذا أنفة وادريسا قد تغيرت صورة قبه كان عن القبة اثنا عشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته وما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط ولا يرون اضافته الى دوابهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبل للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبني آدرا

*** (ذكر دار الضرب وما يتعلق بها) ***

وكان بجوار خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التي تعرف اليوم بالخرطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمسي في وسط سوق السقطيين المهاجرين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفور فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب وبجوارها دار الوكالة الخافضة فجعلت الخوانيت التي على عتبة من سلك من رأس الخترطين تجاه سوق العنبرطاب الجامع الازهر في ظهر دار الضرب وانشأ هذه الخوانيت وما كان يعملها من البيوت الامير المعظم خرتاش الخافضي وجعلها وقفها وقال في كتاب وقفها وحد هذه الخوانيت الغربية ينتهي الى دار الضرب والى دار الوكالة وقد صارت هذه الخوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجالية مما اعتصب من الاوقاف وما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية الى أن استبدت السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هي اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة في ايامهم أعمال ويعمل بها دناير الغرة ودناير خيس العدس ويتولاها قاضي القضاة لخلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفي سؤال منها وهي سنة ست عشرة وخمسة عشر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الاحمرية واستخدم لها العدول وصار دينارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخترطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التي بالخرطين وما وراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر في ايام المأمون بن البطائحي وزير الامر بأحكام الله بنيت دار الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذي هنالك وسميت بالدار الاحمرية

*** (دار العلم الجديدة) *** وكان بجوار القصر الكبير الشرق دار في ظهر خزانة الدرق من باب تربة الزعفران لما أغلق الافضل بن أمير الجيوش دار العلم التي كان الحاكم بأمر الله فتحها في باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من اعادتها في موضعها فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم في شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسة وولاهم الابي محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقررين ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت في بعض كتب الاملاك القديمة ما يدل على انها قرية من القصر النافعي وكذا ذكر لي السيد الشريف الحلبي أنها دار ابن أزدهر المجاورة لدار الحلبي الآن خلف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لي والذي رحمه الله وقد بناها جبال الدين الاستاد دار الحلبي دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلافة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الحلبي بخط الزراكشة العتيق

*** (موسم اول العام) *** قال ابن المأمون واسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسة وبادر المستخدمين

في الخرائط وصناديق الاتفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستجدة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالي والادوان وثنوا بحمل ما يختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والخواشي والامراء والضيوف والاجناد فأمروا بتفرقة والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها وجلس المأمون بأكرام على السماط بداره وفترت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ما تضمنته الاوراق وحضرت التعاشير والتشريقات وزى الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المدايح بأسماء من شرف بالحجة ومصفات العساكر وترتيب الاسمطة وأحمد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلمته وخدمت الرحبة ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهر بين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ودعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزينها وأبواب حارات العبيد معقولة بالسستور ودخل من باب النصر والصدقات تم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فلقبه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحم على عادته وبعد ذلك الى مارآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتميئة قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال في الاسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء في صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور في ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة في طول السنة وينعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف ما يستعمل ويباع في الثغور والبلاد والاستثمار وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذي الحجة في كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزائن الاسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصماص المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدثه والديابيس الكيخفت الاحمر والاسود ورؤسها مدورة مضرسة والنوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقابض مدورة في ايديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلها نقباؤهم وهي في ضمانهم وعليهم اعادتها الى الخرائط بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم أرباب السلاح الصفر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين في شراية وثلثمائة درقة بـ كواخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودركة ثم يخرج من خزانة التجميل وهي من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشریف الوزير والامراء أرباب الرتب وأزمنة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهي رماح ملبسة بأنايب الفضة المنقوشة بالذهب الاذراعين منها فيشده في ذلك الخالي من الانايب عدة من المعاجر الشرب الملقونة ويترك أطرافها المرقومة مسجلة كالصناجق ورؤسها مامين منفوخة فضة مذهبته واهلة محجوفة كذلك وفيها جلاجل لها حس اذا تحركت وتكون عدتها ما يقرب من مائة ومن العساكر يات وهي شبه الكخاوات من الديباج الاحمر وهواجلها والاصفر والقرقوبي والسقلاطون مبطنة مضبوطة بنناير حرير وعلى دائر التبريع منها مناطق بكواخ فضة مسمورة في جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العساكر يات مثلها من الجرج خاصة ويخرج للوزير خاصة لوان على رحلين طويلين ملبسين بمثل تلك الانايب ونفس اللواء ملفوف غير منشور وهذا التشریف يسير أمام الوزير وهو الامراء من ورائهم ثم يسير الامراء أرباب الرتب في الخدم وأولهم صاحب الباب وهو اجلهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهم سار

العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث
 واثنان اثنان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الديني المرقوم الملقون عشرة برماح ملبسة
 بالانابيب وعلى رؤسها الرماحين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة
 ورؤسها ورمامنها من نحاس مجوف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة
 اذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخله في الطامة وعقبها حديد مدور أسفل فهي في كف
 حاملها الايمن وهو يقبلها فيه فقلامتارك الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطربها وعدتها ستون مع
 ستين رجلا يسرون رجاله في الموكب يسرون عنة ويسرة ثم يخرج من النقارات جل عشرين بغلا على كل بغل
 ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها بطول فيتسلها صناعها ويسرون في الموكب اثنين اثنين
 ولها حرس مستحسن وكان لها ميرة عندهم في التشرىف ثم يخرج اقوام متطوعين بغير جبار ولاجراية تقرب عدتهم
 من مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللط وهي واسعة وسيف ويسرون أيضا رجاله في الموكب هذا
 وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامى خزائن السروج وهو من الاستاذين المختكين اليها مع مشارفها وهو من
 الشهود المعتدين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الخلى ما هو برسم ركوبه وما يجنب في مركبه مائة
 سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب
 وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا او من فضة منزلة بالمينا وروادفها وقرابيسها من نسبها ومنها ما هو مرصع
 بالجواهر الفاتكة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وورما يكون في أيدي وأرجل اكثرها خلاخل
 مسطوحة دائرة عليهم او مكان الجلد من السروج الديباح الاحمر والاصفر وغيره ما من الالوان والسقلاطون
 المنقوش بالالوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن
 لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من اقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي
 هي ثابتة فيها بعلامتها في أماكنها واعدادها وعدد كل مركب منقوش عليه مثل اول وثان وثالث الى آخرها كما
 هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء لشئاديين بضمنان عرفاتهم الى أن تعود وعليهم
 غرامة ما نقص منها واعادتها برمتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المرتين في الخدم على
 مقاديرهم مركبات أيضا من الخلى دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال
 يسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور ويتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من ارباب
 الخدم سيفوا وقلافي عرف كل شئاد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم
 من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا اكتمل هذا الامر وسلم أيضا الجمالون بالمناخات اغشية
 العماريات ويكون اراحة في ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون
 من سلخه على رأى القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك ليعرض دوايه الخاص المتقدم ذكرها ويقال له
 يوم عرض الخليل فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المختكين وفصحائهم وعقلائهم
 ومحصلهم فيمضى الى استدعائه في هيئة المسرعين على حصان دهر ارج امتثال الامر الخليفة بالاسراع على خلاف
 حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستدعائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر
 ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السد لا بد له من باب الملك الذي فيه الشباك وعليه من ظاهره للناس
 ستر فديف من جانبه الايمن زمام القصر ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المختكين
 فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترحل الامراء وهو راكب ويكون دخوله
 في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدها ليزالطوال فينزل هناك ويمشي فيها وحواليه
 حاشيته وغلمانها وأصحابه ومن يراه من أولاده واقاربه ويصل الى الشباك فيجد تحتة كرسي كبير من كرامى البلق
 الجيد فيجلس عليه ورجلاه تظا الارض فاذا استوى جالس ارفع كل استاذ الاستاذين من جانبه فيرى الخليفة
 جالسا في المرتبة الهائلة فيقف ويسلم ويخدم بيده الى الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس
 ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شئ بايات لا تقة بذلك الحال مقدار نصف ساعة ثم يسلم الامراء ويسرع في
 عرض الخليل والبغال الخاص المتقدم ذكرها دابة دابة وهي هادئة كالعراس بأيدي شئاديين الى ان يكمل

عرضها فقرأ القرآن ثم ذلك الجلوس ويرى الاستاذان الستر فيقدم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه
وينصرف عنه الى داره فيركب من مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المكان
فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انقضاء ما تقدم جلس لعرض ما يلبسه في عيد تلك الليلة وهو يوم افتتاح العام
بخزائن الكسوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشع فيعين على منديل خاص وبدة فأما المنديل
فيسلم لشارع الحاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المحنكين وله ميزة لمامسة ما يعطوناج الخليفة
في شدة هاشدة غريبة لا يعرفها سوا مشكل الاهليجة ثم يحضر اليه اليتيمة وهي جوهر عظمة لا يعرف لها قيمة
فتنظم هي وحواليها مادونها من الجواهر وهي موضوعة في الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له
مثال في الدنيا فتنظم على خرقة حرير أحسن وضع ويخطها شارح الناج بخياطة خفيفة ممكنة فمكون بأعلى جهة
الخليفة ويقال ان زينة الجوهر تسبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبداثرها قصبة زمر تد ذباني له قدر
عظيم ثم يؤمر بشدة المظلة التي تشابه تلك البدة المحضرة بين يديه وهي مناسبة للتياب ولها عندهم جلالة
ليكونها تعلو رأس الخليفة وهي اثنا عشر شورا كعرض سفلى كل شورك شبر وطوله ثلاثة اذرع وثلاث وآخر
الشورك من فوق دقيق جدا فيجتمع ما بين الشوارك في رأس عودها بداثره وهو قنطارية من الزان ملبسة
بأنابيب الذهب وفي آخر أنبوبة تلي الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض ايام في شدة آخر الشوارك في حلقة
من ذهب ويترك متسعا في رأس الرمح وهو مفروض قنلق تلك الفلكة فتقع المظلة من الحدور في العمود المذكور
ولها اضلاع من خشب الخليلج مربعة مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف في الوزن طولها طول
الشوارك وفيها خطا طيف لطاف وحلق عيسك بعضها بعضا وهي تنضم وتفتح على طريقة شوكات الكيزان ولها
رأس شبه الرمانة ويعلمه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ولها طرف دائري يتجهها من نسبتها
عرضه أكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع فاذا ادخلت الحلقة الذهب الجامعة
لاخر شوارك المظلة في رأس العمود ركب الرمانة عليها ولقت في عرض دقيق مذهب فلا يكتشفها منه
الاحاملها عند تسليها اليه اقل وقت الركوبة ثم يؤمر بشدة لواءي الحد الختصين بالخليفة وهما ربحان طويلان
ملبسان بمثل أنابيب عود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل
ملفوفين على جسم الرمح فيشدان ليخرجا بخروج المظلة الى أميرين من حاشية الخليفة يرسم جلهم ما يخرج
احدى وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة بخالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله
وفتح قريب على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان في عرض ذراع ونصف في كل واحدة ثلاث
طرافات قسم لا حد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص ولهم بشارة عود الخليفة سالا عشرة ودينار ثم
يخرج ربحان رؤسهم ما اهله من ذهب صامته في كل واحد سبع من ديباج أحمر وأصفر وفيه طارة مستديرة
يدخل فيها الرمح فينتحان فيظهر شكلهما ويتسلهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج
السيف الخاص وهو من صاغة وقعت على ما يقال وجلبته ذهب مرصعة بالجواهر في خرطة مرصعة بالذهب
لا يظهر إلا رأسه يسلم الى حامله وهو أمير عظيم القدر وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار وهو أكبر حامل ثم يخرج
الرمح وهو رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكواخ ذهب فيها سعة
منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه في غشاء من حرير يخرج الى حاملها وهو أمير مميز ولهذه الخدمة
وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلكه لا يتعدى دورتين احدهما كبرى والاخرى
صغرى أما الكبرى فمن باب القصر الى باب النصر مازا الى حوض عز الملك نيا ومسجده هناك وهو أقصاها ثم
ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح الى القصر والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل
من باب الفتوح فيعلم الناس بسلك احدهما فيسيرون اذار ك الخليفة فيها من غير تبديل للموكب
ولا تشويش ولا اختلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب
وأرباب التيزات من ارباب السيوف والقلام قيا ما بين القصرين وكان براحا واسعا خاليما من البناء الذي فيه
اليوم فيسرع القوم لانتظار الخليفة ويكر الامراء الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها
خدمة لازمة للخليفة فيسير امامه تشريفه المقدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأممه اولاده واخوته

وكل منهم مرنى الذؤابة بلا حنك وهو في أبهة عظيمة من الشياب الفاخرة والمنديل وهو بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله اهله في أخص مكان لا يصل الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فترجل على مصطبة هنالكويمشي بقية الدهليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة وهو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكاك معدة لذلك مكسوة في الصيف بالحصر السامان وفي الشتاء بالنسط الجهرمية المحفورة فاذا دخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت الى الكرسي الذي يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها عما هي ملفوفة فيه غير مطوية فيتسلما باعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها فيركزها في آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود في ركاب حاملها الايمن بقوة وتناكيد فيمسك العمود بجاذب فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ولم يذكرك قط انها اضطربت في ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسلمه حامله فاذا تسلمه أخرجت ذؤابته مادام حامله ثم يخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حاملوها لقوم من الشهود المعتدلين وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان وهي في نفسها من الذهب وحليتها من جان وهي ملفوفة في منديل شرب بياض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التي صنعت حلية المرجان في وقته وهذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك في بيتين وهما

ألين لداود الحديد كرامة * فقد رمنه السردي كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الراية فيرفع صاحب المجلس الست فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفي اثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشرحة حالها في لباسه الشياب المعروضة عليه والمنديل الحامل للتيمة بأعلى جهته وهو محنك مرنى الذؤابة مما يلي جانبه الايسر ويتقلد بالسيف المغربي ويصده قضيب الملك وهو طويل شبر ونصف من عود مكسوة بالذهب المرصع بالدر والجواهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى اهله وعلى الامراء بعدهم ثم يخرج اولئك اولاً فاولا والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل يوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغريبة بصوت عجيب يخالف اصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواق في الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لا يزول عنه ظاهراً ثم يكتف الخليفة مقدم صيدان الركاب منهم اثنان في الشكيمة واثنان في عنق الدابة من الجانبين واثنان في ركابه فالايمن مقدم المقدمين وهو صاحب القرعة التي يتناولها ويناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الاوامر والنواهي ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولادهم وأخلائط بعض العسكر الامثال الى أرباب القصب الى أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللوائين من الجانبين الى حامل الدواة وهي ينشيه وبين قروبوس السريح الى صاحب السيف وهما في الجانب الايسر كل واحد من تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه ويحجبه اهل الوزير المقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتي الخليفة وحواليه صيدان الركاب المذكورة نفرقة السلاح فيهم وهم اكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبقيات ويتقلدون بالسيف وأوساطهم مشدودة بمناديل وفي أيديهم السلاح مشهور وهم من جانبي الخليفة كالجناحين الماديين وبينهم ما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقبيان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالخلفتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تودة ورفق وفي طول الموكب من اوله الى آخره والى القاهرة ماراً وعائد يفسح الطرقات ويسير الركبان فيبقى في عوده الاسف هسلار كذلك ماراً وعائد الحث الاجناد في الحركة والانكار على المزاكين المعترضين ويلقى في عوده صاحب الباب ومروره في زمرة الخليفة الى أن يصل الى الاسف هسلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفي يد كل منهم دبوس وهو راس كعب خيردوايه وأسرعهما هذا من أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صيدان الركاب لحفظ أعقابهم ثم عشرة يحملون

عشرة سيوف في خرائط ديباج اجر وأصفر بشرار يرب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المتقدم ذكرهم أولا ثم يأتي الوزير في هبة وفي ركابه من اصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد يخطارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانبه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكأنه على وفز من حراسة الخليفة ويبحث أن لا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير وهو مع عدة كثيرة تدوي بأصواتها وحشها الدنيا ثم يأتي حامل الرمح المتقدم ذكره ودرقته جراء ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة زمرة في عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم اصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الاحمريه والحجرية الصكبار والحافظية والحجرية الصغار المذبولين والافطسية والجيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز المصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسي البدوقسي الرجل في اكثر من خمسمائة وهم المعتدون للاساطيل ويكون من الفرسان المتقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقرب بالمحامين اليوم وقف وقفة بجماعته في موكبه وانفرج الموكب للوزير فخترك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيتم الخليفة ويسكن له سكة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقته الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الاصرار قد نزلوا قبله لانهم في اوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترجل الوزير ودخل قبله الاستاذون المنكوبون وأحد قوابه والوزير أمام وجه الفرس مكان ترجله الى الكرسي الذي ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجاري به على عادته والاصراء بين يديه وأقاربه حوا اليه فيركبون من أمامهم ويسيرن صحبتته الى داره فيدخل وينزل أيضا الى مكانه على كرسي فتخدمه الجماعة بالوداع ويتفرق الناس الى أماكنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغرة وهو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الاخر من ذي الحجة بتاريخ السنة التي ركب اولها في هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدرهم المدورة المقسولة فيحتمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينار وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى اولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرب من اصحاب السيوف والاقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قرايط الى دينار واحد ورباعي واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبلغ الخليفة قال ومبلغ الغرة التي نعيم بها في اول العام المتقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقرايط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

* (ذكر ما كان يضرب في خميس العدس من خرايب الذهب) *

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدقتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخرايب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره باحضار مشارف دار الضرب وسأها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها فاهر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثمائة دينار وذكر أنها لم تضرب في مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسي ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعني الامر بأحكام الله في ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تحمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها الخليفة مائتي دينار والبقية برسمه ثم جعلت في الايام المأموية ألف دينار وربعمائة أنقصت يسيرا وقد تقدم أن قاضي القضاة كان يتولى عيار دار الضرب ويحضر التعليق بنفسه ويبحث عليه ويحضر للموعد الاخر لفتح

* (ذكر دار وكالة الاحمريه) *

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمينه السالك من رأس الخراطين الى سوق
الخمين والجامع الازهر * قال ابن المأمون في شوال سنة ست عشرة وخمسة ثم أنشأ يعني المأمون بن
البطائني وزير الخليفة الأمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين
وغيرهما من التجار ولم يسبق الى ذلك

* (ذكر مصلى العيد) *

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناه القائد جوهرا لاجل صلاة العيد
في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقي الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ
في جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم

* (ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها) *

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهرا وكان محمد
ابن أحمد بن الادرع الحسني قد بكر وجلس في المصلى تحت القبة في موضع فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا وموضعه
أبا جعفر مسلما وأقعدوه هودونه وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلي وأقبل المعز في زيه وبنوده
وقبائه وصلى بالناس صلاة العيد تأتمة طويلة قرأ في الاولى بأتم الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية ثم كبر بعد
القراءة وركع فأطال وسجد فأطال اناسحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة يفاو ثلاثين تسبيحة وكان القاضي
النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير وقرأ في الثانية بأتم الكتاب وسورة والفحى ثم كبرا أيضا بعد القراءة وهي صلاة
جدده علي بن أبي طالب عليه السلام وأطال أيضا في الثانية الركوع والسجود اناسحت خلفه يفاو ثلاثين
تسبيحة في كل ركعة وفي كل سجدة وجهه بيسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وأنكر جماعات يتوهمون بالعلم
قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم في العلوم حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شيبه ثنا عبد الله ورجاء
عن اسراييل عن أبي اسحق عن الحارث عن علي عليه السلام انه كان يقرأ في صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ
المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على
رسمه وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة بيسم الله الرحمن
الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهرا وعمار بن جعفر وشفيع صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر
واستفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف في
عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والحدود على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالقبيلين فلما حضر
في قصره أحضر الناس فأكلوا وقتمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعتب على من تأخر وهتد من بلغه عنه
صيام العيد * وقال المسيحي في حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة وبقيت مصاطب ما بين
القصور والمصلى الجديدة ظاهرا باب النصر عليها المؤذنون حتى يصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر
القاضي محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤننين يعني الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب
ولم يزل يرتب الناس وكتب رقا عافيا أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة
مصطبة بالترتيب وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الخنائب والقباب الديباج بالخلي
والعسك في زيه من الاترك والديلم والعززية والاختشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل
والسيوف والمناطق الذهب وعلى الخنائب السروج الذهب بالجواهر والسروج بالعنبر وبين يديه القيلة عليها
الرجالة بالسلاح والزراقة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجواهر ويده قضيب جدده عليه السلام فصلى على رسمه
وانصرف * وقال ابن المأمون ولما توفي أمير الجيوش بدر الجبالي وانتقل الأمر الى ولده الأفضل بن أمير
الجيوش جرى على سنن والده في صلاة العيد ويقيم في قوس باب داره الذي عند باب النصر يعني دار الوزارة
فلما سكن بمصر صار يطالع من مصر يكرأ ويقيم على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من
باب العيد الى الايوان ويصلي به القاضي ابن الرعني ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنقضي الخطبة
فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون

السماط بهامدى الايام فاقبل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائح في الوزارة قال هذا نقص في
 حق العيد ولا يعلم السبب في كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الامر باحكام الله فبأمره أنت فقال يجلس
 مولانا في المنطرة التي استجدت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا في المنطرة وقبحت الطاقات وقف
 المملوك بين يديه في قوس باب الذهب وتجاوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا
 حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والري وجميع الامراء والاجناد واجتاز باب القصر ودخل
 الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ في شكره ثم عاد المأمون الى محاسنه وأمر بتفرقه كسوة العيد
 والهبات يعنى في عيد الخرسنة خمس عشرة وخمسمائة وبعده العيون ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة دنانير
 ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى
 حجة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر شهر رمضان يعنى من سمة ست عشرة وخمسمائة
 وهى تشتغل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلال لان الحلال فيه تعم
 الجماعة وفي غيره للايمان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب قال ولما كان
 في التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة
 برسم السكور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون في آخر النهار الى القصر للفتور مع الخليفة والحضور
 على الاسطحة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلوس وحضر المقرئون والمؤذنون وسلوا على عادتهم
 وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحي وموكيات
 مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديق وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من
 الحمد الى فاتحة القرآن تلاوة وتطريعا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفرائشون ما أعدوه
 برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا في الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير
 ورباعيات وقد تمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عادتهم وملاوا أكابهم ثم خرج استاذ من
 باب الدار الجليلية بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودرهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن
 تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون النعيبية في مجلس الملك وتبقي الطيا في المشورة البكار من السري الى
 باب المجلس وتبقي من باب المجلس الى ثلثي القاعة سماطا واحدا مثل سماط الطعام ويكون جميعه سدا واحدا
 من حلاوة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامتلأ الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده
 واخوته وعرضت المظال المذهبة المحائمة وكان المقرئون يلوحون عند ذلك كرها بالآيات التي في سورة النحل
 والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرئون وحمد المأمون
 السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلهم لا يعتدى أحد منهم مكانه
 والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصلون من جميع الاقاليم ووقفوا
 في آخر الايوان وختم المقرئون وسلوا وخدمت الرحبة وتقدم متولى كل اصطبل من الرماض وغيرهم يقبل
 الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون في الركاب بالمناديل يتسللون بها من الشدادين
 ويدورون بها حول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسللها الاستاذون والمستخدمون في الركاب
 ويعلمون بها الى قريب من الشباك الذي فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متولى وانصرف
 وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ما أحضره وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال
 وماتنا من العشاريات والجور والمهارة ولما عرضت الدواب أبطلت الرحبة وعاد استفتاح المقرئين وكانوا
 محسنين فيما يتزعمونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين للناس حب
 الشهوات الى آخرها ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش
 بالاجله الديباج والديقي بقباب الذهب والمناطق والاهلة وبعدها النجب والجناني بالاققاب الملبسة بالديقي
 الملون المرقوم وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل
 وحلت الفطرة الخاص التي يقطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران
 والقور المصبغة التي يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتجنم وسلت للمستخدمين في القصور وعييت

في مواعين الذهب المشكلة بالجواهر وخرجت الاعلام والبنود وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ في مشاهدة السباط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقت من الباذنيج وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصواني المقدم ذكرها واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضي والداعي والضيوف وسلم كل منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرفوا بتقبيل الارض والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدي الخليفة فبدأوا كبر وأخذ بيده تمره فأفطر عليها وناول مثلها الوزير فافطر عليها وأخذ الخليفة في أن يستعمل من جميع ما حضر وناول وزيره منه وهو يتقبله ويجعله في كفه وتقدمت الاجلاء اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعلونه في اكمامهم بعد تقبيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالفطور ويجعله في كفه على سبيل البركة فمن كان رأيه الفطور أفطروا ومن لم يكن رأيه أو ما وجعله في كفه لا ينتقد على أحد فله ثم قال المأمون بعد ذلك ما على من ياخذ من هذا المكان نقصة بل له به الشرف والميزة ومثله وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه عود نبات وجعله في كفه بعد تقبيله وأشار الى الامراء فاعقد كل من الحاضرين ذلك وملاً وأكمامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ثم خرج الوزير الى داره والجماعة في ركابه فوجد التعبئة فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ولم يقدم مما كان بالقصر غير الصواني الخاص بجلوس على مرتبة والاجلاء أولاده واستدعى بالعوالي من الامراء والقاضي والداعي والضيوف فحضر واوشرفوا بجلسهم معه وحصل من مسرتهم بذلك ما بسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره واتقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ في غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور والدار المأمونية وأحضرت التغاير وقرئت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت أزمنة العساكر فارسها وراجلها وندب الحاجب الذي بيده الدعوى لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى ثم حضر الى الدار المأمونية الشيوخ المميزون وجلس المأمون في مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلم متولى الباب والشيوخ ولم يدخل المجلس غير كتاب الدست ومتولى الحجة وبالغ كل منهم ما في زيه وملبوسه وجرأ على رسمهم في تقبيل الارض وغتبه المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجميل الخاص الذي برسم الخليفة جميعه القصب الفضة والاعلام والتجوقات والعقبات والعماريات ولوا الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالظميم والمراكيب الذهب المرصعة بالجواهر وغير ذلك من التجملات وركب المأمون من داره وجميع التشاريف الخاص بين يديه وخدمت الرهجية ومن جلستهم الغربية وهي ابواق لطاف بجبهة غربية الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تضرب قدام الوزير الا في المواسم خاصة وفي أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويلبهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن الخط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعلق الحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظمة وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جلة حصير لجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام يصلي عليها وفرش الارض جميعها بالحصير الحاربي ثم علق على جاني المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاد التي يجلس عليها الخليفة وعلق اللوا آن عليه وقعدت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضي وأطلق الجنود ولم يفتح من أبوابه الابواب واحد وهو الذي يدخل منه الخليفة ويقعد الداعي في الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول الا من يعرفه الداعي ويكون في ضمانه واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه والعلم الجوهر في منديله وقضيب الملك بيده ونوعه واخوته واستاذوه في ركابه وتلقاه المقرئون عند وصوله والخواص واستدعى بالمأمون فقدم بمقرده وقبل الارض وأخذ السيف والرمح من مقدمي خرائن الكسوة والرهجية فتقدم وجل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه والذي بيده الدعوى في ترتيب الحجة لمن شرف بها لا يتعدى أحد حكمه وسائر المواقب بالحنائب

الخاص وخيل التخفيف ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزيها وراياتها وراء الموكب الى أن وصل الى قريب المصلى والعسماريات والزراقات وقد شدت على القيلة بالاسرة مملوءة رجالا مشيكة بالسلح لا يتبين منهم الا الاحداق وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصني والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفها من الجانبين الى باب المصلى والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يبلغوه والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبرول الحديد بالصماصم والديابيس ولما طلع الموكب من ربوة المصلى ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة الى أن اجتاز المأمون راكباً من حول ركابه ورد الخليفة السلام عليه بكمه وصار أمامه وترجل الامراء المميزون والاستاذون المحنكون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يدا بالسلام على الوزير ثم على الخليفة الى أن صار الجميع في ركابه ولم يدخل من باب المصلى راكباً غير الوزير خاصة ثم ترجل على بابه الثاني الى أن وصل الخليفة اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة في الدهليز الآخر وقصد المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح الخليفة في المحراب وسامته فيه وزيره والقاضي والداعي عن يمينه وشماله ليواصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويصل منهم التكبير الى مؤذني مصلى الرجال والنساء الخارجين عن المصلى الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما قضى الخليفة الصلاة وهي ركعتان قرأ في الاولى بفاتحة الكتاب وهل أثناء حديث الغاشية وكبر سبع تكبيرات وركع وسجد وفي الثانية بالفاتحة وسورة والشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم في صلاة العيدين على الاستقرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد ولا يصل اليه الا من كان خصيصاً به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلى والتربة لا يسأم نظره ويكثر من الدعاء له ولما حصل في أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل الارض وسارع في الطلوع اليه وأدى ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة وأشار الى القاضي فقدم وقبل كل درجة الى أن يصل الى الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعوى من كفه وقبله ووضعها على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ماجرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال في أيام وزراء الإقلام والسيوف اذا حصل الخليفة في أعلى المنبر بقي الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضي فيقبل الارض ويطلع الى الدرجة الثالثة ويخرج الدعوى من كفه وقبله ويضعها على رأسه ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعي بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضي فراعى الخليفة ذلك الامر في حق الوزير فجعل الاشارة منه اليه أولاً ورفعته عن أن يكون مأموراً مثل غيره وجعلها له ميزة على غيره ممن تقدمه واستقرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة في الفطر والخطبتين الى آخرهما وكبر المؤذنون ورفع اللوائن وترجل كل أحد من موضعه كما كان ركوبه وصار الجميع في ركاب الخليفة وجرى الامر في رجوعه على ما تقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهي سنتهم في كل ركبة بمظلة وفي كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تتفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره والجلوس على سباط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الشرع قد وقع من المستخدمين تعبئة السباط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية أولاده واخوته وكاتب الدست ومتولى حجة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفت والنائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل ابن أبي الليث واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التي في مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعقد في تفرقتها على ما كان يعتمده في الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه الى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالميناء معبأة بالزبادى الذهب واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة الى آخر السباط من الجانبين على طبقاتهم ورفع الستور واستفتح المقرئون وفي الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ومقدم خزانة الشراب بيده شربة في مرفع ذهب وغطاء من صعين بالجواهر والياقوت ومتولى خزانة الاتفاق بيده خريطة مملوءة دنائير لمن يتف يطلب صدقة وانعاماً فيؤمر بما يدفع

اليه وتفرقة الرسوم الجارية بها العادة ولعبت المنافقون والتخسارية وتناوب القراء والمنشدون وأرخت
الستور ووعي السباط ثانيا على ما كان عليه أولا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسباط من جرت
العبادة به وفترقت الدنانير على المقرئين والمنشدين والتخسارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت
قصور الخليفة وفترقت من الاصناف ما جرت به العادة وأرخت الستور وأحضرت متولى خزانة الكسوة الخاص
للخليفة بدلة الى أعلى السمرير حسا بما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التي كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ في
شكره والثناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصوافي الخاص المكللة معبأة على ما كانت بين
يديه وغيرهما من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينية ولكتاب الدست ومتولى حجية الباب مثل ذلك
ويكبر الوزير يجلسه في داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخلع وما جرى في صعود المنبر وحضر
الشعراء وأسئلت لهم الجوائز وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة وفي السلام لجميع الشيوخ والقضاة
والشهود والامراء والكتاب ومقدمي الركاب والمتصددين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود
برئيسهم والنصارى يطريقهم على ما جرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على طبقاتهم الى آخرهم
وجدد لكل من الجائزين سلامه وانكفا الخليفة الى الباذنخ لاداء فريضة الصلاة والراحة بقدر ما عيبت
المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم واستدعى من شرف بحضور المائدة وهم
الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو الرضى سالم ابنه ومتولى حجية الباب وظهير الدين الكفائي على ما كان عليه
الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان
خرج الزى من أما كنه على ما وصفنا في ركوب أول العام ولكن فيه زيادات يأتي ذكرها ويركب في مستهل
شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبدا ثلاثون يوما فاذا انتهأت الامور من الخليفة والوزير والامراء
وأرباب الرتب على ما تقدم وصار الوزير يجما عته الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتمة
والآلات اقدم ذكرها ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهي أجل لباسهم والمظلة
كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب كانت ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة
في هذا اليوم في العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى ويكون صاحب بيت المال
قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها في المحراب ومطابقة ويلتصق سترين عينة ويسرة في
اليمين اليسرى والفاتحة وسبح اسم ربك الأعلى وفي الايسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية ثم يركب في
جانب المصلى لواءين مشدودين على رحلين ملبسين بأنايب الفضة وهما مستوران من خيافيد دخل الخليفة من
شرقي المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظا كما يحفظ في جامع القاهرة فيصير الى المحراب ويصلي
صلاة العيد بأكبر المسنونة والوزير وراءه والقاضي يقرأ في كل ركعة ما هو من قوم في الستين فاذا
فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جلس في الذروة وهناك طراحة سامان أو ديق على قدرها
وباقية بستر بياض على مقداره في تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغير فيراه أهل ذلك الجمع جالس في الذروة
ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب اسفهل العساكر وصاحب السيف
وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب
بيت المال وحامل الرمح وقيب الاشراف الطالبين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب وقوفه
منه ويكون وجهه موازيا لوجهه فيلما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على عيینه فاذا وقف أشار الى قاضي
القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاعيا لما يقول فيشير اليه فيخرج من كه مدراجا قد أحضر اليه أمس
من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت
بمن شرف بعوده المنبر الشريف في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله
عليه وعلى آباءه الطاهرين وأئنيته الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحترق ان أراد
الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير واخوته استدعاه القاضي بالنعث المذكور ثم يلوذ ذلك ذكر القاضي
وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولا دعاه بل يقول المملوك فلان بن فلان وقرأه مرة القاضي
ابن أبي عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجليل في المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن

أبى عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الأعز بن سلامة وقد استقضى في آخر الوقت فقال المملوك في محل
الكرامة الذي عليه من الولاء أصدق علامة حسن بن علي بن سلامة ثم استدعى من ذكرنا ووقفهم على باب
المنبر بنعوتهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فإذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه في المنبر يمينه ويسرة
أشار الوزير إليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذي بجانبه فيستر الخليفة ويسترون وينادي
في الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهي خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فإذا فرغ
ألقى كل من في يده من اللواء شئ خارج المنبر فينكشفون وينزلون أو لا فأولا الأقرب فالأقرب إلى القهقري
فإذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل إلى المكان الذي خرج منه فلبث يسيرا وركب في زيه المفخم وعاد من
طريقه بعينها إلى أن يصل إلى قريب القصر فيستقدمه الوزير كما شرحتنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس في
الشباك وقد نصب منه إلى فسقية كانت في وسط الأيوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكآن والبسندود
والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار إلى رطل فيدخل ذلك الجمع إليه ويفطر منه
من يفطر وينقل منه من ينقل ويساح ولا يجبر عليه ولا مانع دونه فيتر ذلك بأيدي الناس وليس هو بما يعتقده
ولا يعجب مما يفرق للناس ويحمل إلى دورهم ويعمل في هذا اليوم سماط من الطعام في القاعة يحضر عليه
الخليفة والوزير فإذا انقضى ذوالقعدة وهل هلال ذي الحجة أهتم بركوب عيد النحر فيجري حاله كما جرى في عيد
القطر من الزى والركوب إلى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشح ولا ينخرم منه شئ انتهى * وصعد
مرّة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن انص الدولة بإزائه وقال
مشيرا إلى الحاضرين

خشوعا فإن الله هذا مقامه * وهم سافهوا وجهه وكلامه

وهذا الذي في كل وقت بروزه * تحياته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الأيسر من المنبر فرقى إليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك
ولم يدعه يقول شئ آخر وكانت تكتب الخلفات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ويبحث بها إلى الأعمال فما
كتب به من انشاء ابن الصيرفي * أما بعد فالجد لله الذي رفع بأمير المؤمنين عماد الإيمان وثبت قواعده
وأعز بخلافته معتقده وأذل بهابته معانده وأظهر من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الظلام وسخ
به مائة قدم من الملل فقال إن الدين عند الله الإسلام وجعل المعتصم بحجبه مفضلا على من يفاخره ويباهيه
وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي اصطفى له الدين
وبعثه إلى الأقربين والابعدين وأيده في الإرشاد حتى صار العاصي مطبعا ودخل الناس في التوحيد فرادى
وجمعا وغدوا بعروته الوثقى متمسكين وأنزل عليه قل أنتي هداى ربى إلى صراط مستقيم ديننا قيامه إبراهيم
حنيفا وما كان من المشركين وعلى أخيه وابن عمه أئينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب أمام الأئمة وكشف
الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض ومن الاخلاص في ولائه قيام بحق وأداء فرض وعلى الأئمة
من ذريتهم ماسادة البرية والعادلين في القضية والعاملين بالسيرة المرضية وسلم وكرم وشرف وعظم
وكأب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد كان من قيام أمير
المؤمنين بحقه وأدائه وجره في ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ما ينبغي به ويطلعك على مستوره
عندك ومغيبه وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح وعاد المحترم المحظورا أطلقه المحلل المباح فوجهت
عساكر أمير المؤمنين من مظانها إلى بابيه وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه ثم انشئت إلى
مصافها في الهيآت التي يقصر عنها تجريد الصفات وتغنى بها تبته عن تجريد المرهفات وتشهد أسلحتها
وعدها بالتناقص في الهمم وتقلق مواضيا في أعينها شوقا إلى الطلى والقيم وقد امتلأت الأرض بازدهام
الرجل والخليل وثار العجاج فلم ير أعرب من اجتماع النهار والليل وبرز أمير المؤمنين من قصوره وظهر
للأبصار على أنه محتجب بضياءه ونوره وتوجه إلى المصلى في هدى جده وأبيه والوفاء الذي ارتفع فيه عن
النظر والشبهة ولما انتهى إليه قصد الجراب واستقبله وأدى الصلاة على وضع رضىه الله وتقبله وأجرى
أمرها على أفضل المعهود ووفاء حقه من القراءة والتكبير والركوع والسجود وانتهى إلى المنبر فعلا وكبر

الله وهالله على ماأولاه وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشر به وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقر به ووعظ وعظا ينتفع قابله في عاجلته ومنقلبه ثم عاد الى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه منتهيا في ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه وتعلم بتلاوته على الكافة ليشتركوا في معرفته ويشكروا الله عليه فأعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى *

وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصيدان الخلف لها اقطاعات وجرابات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة في العيد من مدواجلين مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض حبلا عن عین الباب وحبلا عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الجباين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفي أيديهم رايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجله آخر معلق بيديه ورجليه ويعملون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة في الموكب على خيول فيركضون وهم يتقبلون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

* (ذكر القصر الصغير الغربي) *

وكان تجاه القصر الكبير الشرقي الذي تقدم ذكره في غربيه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربي ومكانه الآن حيث المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس ودار الامير يسرى وباب قبوا لخرنشف وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبانيين وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقروما وراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربي يعرف أيضا بقصر البحر والذي بناه العزيز بالله نزار بن المعز * قال المسيحي ولم بين مثله في شرق ولا في غرب * وقال ابن أبي طى في أخبار سنة سبع وخمسين وأربعمائة فقيمها تميم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربي وسكنه وغرم عليه ألف دينار وكان ابتداء بنيانه في سنة خمسين وأربعمائة وكان سبب بناءه انه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بنى العباس اليه ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله وتممه في هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسران ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفرد بها بسكنى القصر الغربي وجعل لها طائفة برصمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدل على أن القصر الغربي كان قديما قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة أما كن

* (الميدان) * وكان يجوار القصر الغربي ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية

* (البستان الكافورى) * وكان من حقوق القصر الصغير الغربي البستان الكافورى وكان بستانا أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طنج بن جف الاخشيدي أمير مصر وكان مطلا على الخليج فاعتنى به الاخشيدي وجعله أبو ابا من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الايام واهتم بشأنه من بعد الاخشيدي ابناه الامير أبو القاسم أو نو جور بن الاخشيدي والامير أبو الحسن على بن الاخشيدي في أيام امارتهما بعد أبيهما فلما استتب من بعدهما الاستاذ أبو المسلك كافور الاخشيدي بامارة مصر كان كثيرا ما يتزده به ويواصل الركوب الى الميدان الذي كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لاخذ ديار مصر أنشأ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان منزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم وكانوا يتوصلون اليه من سرايب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقي ويسرون فيها بالدواب الى البستان الكافورى ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الا عين وما زال البستان عامرا الى أن زالت الدولة فحكروا بنى فيه في سنة احدى وخمسين وسمائه كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما

الاقباء والسرايب فانها علمت أسرى به لاهم احض وهي باقية الى يومنا هذا تصب في الخليج

* (القاعة) * وكان من جملة القصر الغربي قاعة كبيرة هي الآن المارستان المنصوري حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا * قال في كتاب الدخائر والتحف وأهدت

السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله إلى أخيه يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين
 وثلاثمائة هـ أيام جلستها ثلاثون فرساً بمراكبها ذهاباً منها مركب واحد مرصع ومركب من حجر البلور
 وعشرون بغلة بسر وجهاً ولجهاً وخمسون خادماً منهم عشرة صقالبة ومائة تحت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج
 مرصع بنفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من
 الفضة مزروع من أنواع الشجر قال وخلفت حين ماتت في مسهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين
 وأربع مائة ما لا يحصى كثرة وكان أقطاعها في كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف
 جارية منها بنات ألف وخمسمائة وكانت سمحة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان في جملة موجودها نيف وثلاثون
 زيراً صنياً ملأوا جميعها مسكاً مسحوقاً ووجد لها جوهراً نفيساً من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مشاقيل
 * قال المسيحي ولدت بالمغرب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير فخر
 الدين جهار كس موسى ثم الملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل فلما كان
 في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وسقائة شرع الملك المنصور قلاوون الثاني في بنائها مارستاناً ومدرسة
 وترتبه وتولى عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الامالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف
 وسقائة ذراع

هكذا ياض
 في الاصل

* (أبواب القصر الغربي) *

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب السباط وباب التبانين وباب الزمرّد
 * (باب السباط) * هذا الباب موضعه الآن باب سمر المارستان المنصوري الذي يخرج منه الآن إلى الخرنشف
 وكان من الرسم أن يذبح في باب السباط المذكوّر مدّة أيام التحرق في عيد الغدير عدّة ذبائح تفرق على سبيل
 الشرف * قال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة ما نخره الخليفة الأمر بأحكام الله وذبحه
 خاصة في المنخر وباب السباط دون المأمون وأولاده وأخوته في ثلاثة الأيام ألف وسبع مائة وستة وأربعون
 رأساً فذكر ما كان بالمنخر قال وفي باب السباط مما يحمل إلى من حوته القصور وإلى دار الوزارة والأصحاب
 والخواشي اثنتا عشرة نافقة وثمانية عشر رأس بقرة وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة
 رأس ويتصدق كل يوم في باب السباط بسقط ما يذبح من النوق والبقرة * وقال ابن عبد الظاهر كان في القصر
 باب يعرف بباب السباط كان الخليفة في العيد يخرج منه إلى الميدان وهو الخرنشف الآن لينخر فيه
 الضحايا

* (باب التبانين) * هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن وجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم الآتي
 ذكرها إن شاء الله تعالى

* (باب الزمرّد) * كان موضع اصطبل القطبية قريباً من باب البستان الكافوري الموجود الآن

* (ذكر دار العلم) *

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ويدخل إليها من باب التبانين الذي هو الآن يعرف بقبو
 الخرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضيرى السكّانة بدرب الخضيرى المقابل للجامع الاقصر
 ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستقرت إلى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش * قال الامير المختار
 عز الملك محمد بن عبد الله المسيحي وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة
 فتحت الدار للقبّة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وجملة الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة
 ودخل الناس إليها ونسخ كل من التمس نسخ شيئاً مما فيها ما اتسمه وكذلك من رأى قراءة شيئاً مما فيها وجلس فيها
 القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها
 وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وقراشون وغيرهم وسماوا بجند متها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير
 المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بجمعها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم
 يرمه مجتمعاً لا حد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثرون قراءة الكتب والنظر فيها فكان

ذلك من المحاسن المأثورة أيضا التي لم يسمع بمثلهما من اجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من
فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للتسخ ومنهم من يحضر
للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والحبار وهي الدار المعروفة بمختار الصقلي
قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة حضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء
منهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرة الخاسم بامر الله وكانت كل طائفة تحضر على
انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بامر الله أما كن في فسطاط مصر على
عدة مواضع وضمنها كتابا ثبت على قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد
ذكر دار العلم ويكون العشر وثمان العشر لدار الحكمة لما يحتاج اليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة
وخمسون ديناراً من ذلك ثلث الحصر العبداني وغيرها الهذبة الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكاتب يعني
الناسخ تسعون ديناراً ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر ديناراً ومن
ذلك للقراش خمسة عشر ديناراً ومن ذلك للورق والحبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً ومن
ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها
اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لثمن لبود للقرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة
دنانير * وقال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهي
طويلة وأولها من الايام الفضيلة وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكي الاطفيحي
القصار مع جماعة يعرفون بالبدعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون في دار العلم
بالقاهرة فاعتقد بركات من جملة أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك في أيام الفضل
فأمر للوقت بعلق دار العلم والقبض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور
استاذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واستتردق الاستاذان الحيلة الى أن أدخله عندهما في
زى تجارية اشتريها وقاما بحقه وجميع ما يحتاج اليه وصار أهله يدخلون اليه في بعض الاوقات فحضر بركات
عند الاستاذين فخارا في أمره ومداونه وتذرع عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعملوا الحيلة وعزفوا
زمام القصر أن احدى عجايزهما قد توفيت وأن عجايزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة
النعمان بالقرافة وكتب عدة من يخرج ففسخ لهما في العدة وأخذ في غسله والبسائه ما أخذه من أهله وهو
ثياب معلقة وشاشية ومنديل وطبلسان مقور وادرجوه في الديبق وتوجه مع التباوت الاستاذان المشار
اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أراد اكتميل الاجر له على قدر عقولهما فقلا للعمالين هو رجل تربته عندنا
فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الجالون بذلك فلما عادوا الى صاحب
الدكان عترفوه بما جرى وقاسموه الدنانير فخافت نفسه وعلم انها قضية لا تخفى فحضر بهم الى الوالى وشرح له القضية
فأودعهم في الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال فن اول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فائق
الذى قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدبر الامور في الايام الفضلية قال هو بركات المطلوب وأمر
باحضار الاستاذين والكشف عن القضية واحضار الجاهل والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوه أمرهم
بلغنه فن أجاب الى ذلك منهم اطلقوه ومن أبى أحضره فحققوا معرفته فمنهم من بصق في وجهه وتبرأ منه ومنهم
من هم بتقبيله ولم تبرأ منه فجلس الفضل واستدعى الوالى والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من
احبابه فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله وبقي من الجماعة ممن لم تبرأ منه خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم فأمر
بضرب رقابهم وطلب الاستاذين فليقد رعا عليهم وقال للصبي من لفظه تبرأ منه وأنعم عليك وأطلق سبيلك
فقال له الله يطالبك ان لم تلحقني بهم فاني مشاهد ما هم فيه وأخذ بسيفه على الفضل فأمر بضرب عنقه فلما توفي
الفضل أمر الخليفة الأمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحي بتأخذ دار العلم وفقها على الاوضاع
الشرعية ثم عاد حميد القصار المثنى بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها ويطاع الى دار العلم وأفسد عقل
استاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية فحضر الداعي ابن عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعترف به بان هذا قد عترف
بطرف من علم الكلام على مذهب أبي الحسن الاشعري ثم انسلخ عن الاسلام وسلك طريق الحلاج في التوفيه

فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته فان الخلاج في اول امره كان يدعى أنه داعية المهدي ثم ادعى انه المهدي
ثم ادعى الالهية وأن الجنّ تخدمه وأنه أحبي عدة من الطيور وكان هذا القصار شيعي الدين وجرّت له أمور
في الايام الافضلية وفي دفعة واعتقل أخرى ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستحب من
استهواه من اصحابه فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلي ركعتين نطلب شيئاً تأكله اصحابنا فيمضي ولا يلبث دون
أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى انهم
يخافون الاثم في تأمل صورته فلا ينفك كون مطرقين بين يديه وكان قصيرا دميم الخلقه وادعى مع ذلك الربوبية
وكان ممن اختص بحميد رجل خياط وخصي فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع اصحابه فهرب
الخياط وطلب فلم يوجد ونودي عليه وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار وأصحابه وقترروا فلم
يقتر واثنى من حاله وبعد أيام تماوت في الحبس فلما استؤمر عليه أمر بدفنه فلما حمل ليدفن ظهر أنه حي فأعيد
الى الاعتقال وبقي كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلا النحصى فإنه لم يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه
فأمر بقطع لسانه ورعى قدماه وهو مصر على ما في نفسه فأخرج القصار والنحصى ومن لم يتبرأ منه من أصحابه
فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب فلما ألوقتهم ثم نودي على الخياط ثانياً فاحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد
أن قيل له ها أنت تنظره فلم يتبرأ منه وصلب الى جانبه وذكر أن بعض اصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان
يشترى الكافور ويرمي به بالقرب من خشبته التي هو مصلوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق
ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تخلط رملهم
ويدفنوا منفردين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم وكان قتلهم في سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه
القصبة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قال وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه
لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يتحسنته فتسبب الى أن خاطبه وصار في جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع
معه الى الجبل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وأنه لاه على ذلك وردعه فحدثه بعجائب منها
أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا وبأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان
فيحضره اليه لوقته وان بيده سكين لا تقطع الا بيده واذا أمسك طائراً وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين
الى معه له ويقول له اذبحه فلا تشي في يده فبأخذها هو وبذبحه بها ويحرق دمه ثم يعود ويسكه بيده ويسرجه
فيطير ويقول ان الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويستمع فلما اعتقل القصار بقي هذا الرجل
مصرّاً على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحقق موته علم أن ما كان فيه سحر وزور وافق قصدي
بجملة من ماله وعاد الى مذهبه وصح معتقده * وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الفضل بن أمير الجيوش
قد أبطلها وهي بجوار باب التبانين وهي متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن
موسى الأعجمي وكان لا بطلها الامور سببها اجتماع الناس والخوض في المذاهب والخوف من الاجتماع على
المذهب التزاري ولم يزل الخدام يتوصلون الى الخليفة الا هربا بحكام الله حتى تحدث في ذلك مع الوزير المأمون
فقال اين تكون هذه الدار فقال بعض الخدام تكون بالدار التي كانت اولاً فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب
صار من جملة ابواب القصر وبرسم الخوائج ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يحصل به فأشار كل من
الاستاذين بشيء فأشار بعضهم أن تكون في بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قد منعنا أن تكون
متاخمة للقصر الكبير الذي هو سكن الخليفة فجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور في جوارى موضع ليس
ملاصقا للقصر ولا مخالطاً له يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون
متولها رجل لا ديناً والداعي الناظر فيها ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن فاستخدم فيها ابو محمد حسن
ابن آدم فتولاهما وشرط عليه ما تقدم ذكره واستخدم فيها مقرؤن

* (ذكر دار الضيافة) *

خرج مالك في الموطاء عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان ابراهيم عليه السلام اول من
ضيف الضيف واول من اتخذ دار ضيافة في الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة

سبع عشرة وأعدت فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد فلما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين في المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي أحد من شهد فتح مصر من الصحابة وكان ميدان القصر الغربي الذي هو الآن الخرنشف دار الضيافة بجارة برجوان وكانت هذه الدار أول تعرف بدار الاستاذ برجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بجارة برجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجاني في أيام الخليفة المستنصر من عكا واستبد بأمر الدولة أنشأ هناك دارا عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الديبايح التي كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وأنشأ دار القصاب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى قريبا من رحبة باب العبد أقرا أخاه أبا محمد جعفرا المنعوت بالمظفر ابن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان فعرفت بدار المظفر وما زال بها حتى مات وقبر بها وإلى اليوم قبره بها وتسميه العامة جعفرا الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة يرسم الرسل الواردين من الملوك واستقرت كذلك الى أن انقرضت الدولة فأنزل بها السلطان صلاح الدين اولاد العاضد الى أن نقلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فلما كان في سنة تسع وسبعين وسقائه تقدم امر الملك المنصور قلاوون لوكيل بيت المال القاضي محمد الدين عيسى بن الخشاب يبيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وما هو من حقوقها ويبيع دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبنوا في مكانها دورا وموضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي الحنفي وما بجوارها الى الدار التي بها سكنى اليوم وهي من حقوق دار المظفر الصغرى على ما في كتبها القديمة ولما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكور داره في سنة سبع أو سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الارض عند حفر الاساس حجر عظيم قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى وكان اذ ذلك الامير جهار كس الخليلي يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التي في خطين القصرين فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث اليه وأمر بحجزه الى العمارة فعمل عتبة باب المزلة التي للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحمة الافئدة أدركتها ساحة ثم عرفها * قال ابن الطوير الخدمية المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهي خدمة جليلة يقال لتوليها النائب وينعت بعدي الملك وهو ينوب عن صاحب الباب في لقاء الرسل الوافدين على مسافة وانزال كل واحد في دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته وله تطير في دار الضيافة وهو يسمى اليوم بمهمندار ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحد من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويبالغ في نيجاز ما وصلوا فيه وهو الذي يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير ويتقدم بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى فيحفظ ما يؤولون وما يقال لهم ويجتهد في انفصالهم على احسن الوجوه وبين يديه من القراشين المتقدم ذكرهم عدة لاعائته واذا غاب أقام عنه نائبا الى أن يعود وله من الجارى خمسون دينارا في كل شهر وفي اليوم نصف قنطار خبز وقد يهدي اليه المرسلون طرفا فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفي هذه الدولة التركية يقال لتولى هذه الوظيفة مهمندار ولا يليها عندهم الا صاحب سيف من الامراء العشراوات وكانت في الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير لا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمام وينعت أبدا بعدي الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمندار (ومعناها ملتي الضيوف)

* (ذكر اصطبل الخيرية) *

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الخيرية المتقدم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقه داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من اراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكبي ومن حقوق هذا الاصطبل ايضا الموضع الذي فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التي هي اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجالون الصغير وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الخيرية احدى طوائف العساكر في زمن الخلفاء الفاطميين

* (ذكر مطبخ القصر) *

وكان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجارة المدارس الصالحية ولما كانت مطبخا كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أرباب الرسوم والضعفاء

* (درب السلسلة) * وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارسا فإذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الاتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة بن الكركندي فإذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواتقهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرده على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فإذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفرشين المتقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزائهم هناك وترى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة سحر اقرب الفجر فتصرف الناس من هنالك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذي هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبالة تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكركندي وهذا الدرب هو المختص بالتقوية وهذه التقوية أمر هام مستظرف لامن قبل الحسن بل من قبل التجب من العقول ولها خمسة أوقات وهى لى الى العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهو أنه يقف راكبا في وسط الزاوية التي لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهبة ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقد امه دواب المظلة بمنتهى ويسرة والرهبة تتقدم وارباب الضوء ومستخدمو الطرق على السلسلة فإذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهبة كلهم وركب فرسا وعليه ثياب حسنة وكشف عن رايته وأخذ بيده ومحاوا اجتماع الرهبة حوله ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير بذلك الجع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهبة الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهنا فلم يزلوا كذلك الى ولاية ابن الكركندي فبطلت هذه السنة في الايام الآتية وصاحب التقوية ممن وصل آباؤه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

* (ذكر الدار المأمونية) *

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهى المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون ابن البطائحي وعرفت قديما بقوام الدولة حسبوب ثم جددتها المأمون محمد بن فائق * (المأمون البطائحي) * هو ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة ابى شجاع فائق بن الامير لمجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة احدى وخمسمائة عند ما تغير على تاج المعالي مختار الذى كان اصطنعه ونظم أمره وسلم اليه خزائن امواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمجد بن فائق فتصرف فيها وقرره الافضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار في كل شهر وثلاثون دينارا عن جارى الخزائن مضافا الى الاصناف الاربعة مياومة ومشاهرة ومسانمة فحسن عند الافضل موقع خدمته فأعتمد عليه وسلم له جميع اموره وصرفه في كل احواله فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبى تراب حيدرة وأبى الفضل جعفر فأطلق الافضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمسانمة ونعته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكتب به وصار عنده بمنزلة الاستادار فلما قتل الافضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة قام القائد ابو عبد الله بن فائق لخدمة الخليفة الامر بأحكام الله وأطلع على اموال الافضل وبالغ في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذى دبر في قتل الافضل بإشارة الخليفة

نخلع عليه الآخر في مسئل ذي القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذي يجلس فيه الخليفة ولم يتخلع قبله على أحد فيه وحل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقة وخلع على أخوته واستقر تنفيذ الأمور إليه إلى أن استهل ذوالحجة ففي يوم الجمعة ثانياً خلع عليه من الملابس الخاصة في فرد كم مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الأمر للأمراء وكافة الاستاذين المحنكين بالانروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الأفضل يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج يتشريف الوزارة ودخل من باب العبدرا بكا ووصل إلى داره فضاء عاف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الأمراء بين يدي الخليفة وأحضر السجل في لفافة خاص مذهبته فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لمام القصر فأمره الخليفة بالجلوس إلى جانبه عن يمينه وقرأ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هناك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالأيوان ورسم للشيخ أبي الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست أن يقل نسبة الأمراء والمحنكين من الآمرى إلى المأمون وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد يتسب إلى الأفضل ولا أمير الجيوش وقد تمت له الدواة فلم في مجلس الخليفة ونعت بالسيد الاجل المأمون تاج الخلافة ووجهه الملك نخر الصنائع ذخير أمير المؤمنين عز الاسلام نخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره في يومى الاحد والاربعاء للراحة والنفقة في العسكر البساطية إلى الظهر ثم يرفع النفقة ويحط السباط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق في الرجل إلى آخر النهار وفي يوم الجمعة يطلع للمقرئين بحضوره خمسة دنانير ولكل من هو مستقر القراءة على بابيه من الضعفاء والاجراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم وبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم أخرى فإذا توجه يوم الجمعة إلى انقرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل إلى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فقبض الأمر المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع اخوته في سنة اثنين وعشرين * قبل ان سب القبض عليه ما بلغ الأمر عنه أنه بعث إلى الأمير جعفر بن المستعلي يغريه بقتل أخيه ليقمه مكانه في الخلافة وكان الذي بلغ الأمر ذلك الشيخ أبو الحسن بن أبي اسامة وبلغه ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبا الحسن إلى اليمن ليضرب سكة عليها الامام الختار محمد بن زرار وذلك رغبة منه انه سم شيئا ودفعه لقصاد الخليفة فتم عليه القصاد وكان مولد المأمون في سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطالع إلى معرفة أحوال الناس من العامة والحمد فكثر الوشاة في أيامه

* (حبس المعونة) * وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية العنبر قال ابن المأمون في سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون إلى الوالين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين وأخذ الخبز على المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة إليهم ليلا ونهارا وكذلك يعقد في القريين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفعلة بالطواري والمساخي وأن يقوموا لهم بالعشاء من أموالهم ما يحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسكن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بجزانة شمائل وأما الأمراء والاعيان فيسكنون بجزانة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجناء مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بني أيوب إلى أن عمره الملك المنصور قلاون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين في سنة ثمانين وسقاية

* (ذكر الحسبة ودار العيار) *

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الخطب بجوار سوق القصارين والفخامين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فإن من تسند اليه لا يكون الا من وجوه المسلمين وأعيان المعتدين لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامع القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعيش ويأمر نوابه بالخطم على قدور الهراسين ونظر لهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباقون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا اكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحاملين على الهائم

وياحرون السقائين بتغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا كل دلو أربعون رطلا وأن
يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهي زرق وينذرون معلى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان
ضرباً مبرحاً ولا في مقتل وكذلك معلو العوم بتحذيرهم من التعرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيء
المعاملة فينهونه بالردع والادب ويتطرون المكايل والموازين وللمحتسب النظر في دار العيار ويخضع عليه ويقرأ
سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها والولاية تستدعاه إذا احتاج إلى ذلك
وجاريه ثلاثون ديناراً في كل شهر انتهى * وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع
الصنج وكان يتفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما يحتاج إليه من الأصناف كالنحاس والحديد
والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات وأجر الصنائع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب أو نائبه
إلى هذه الدار ليعبر المعمول فيها بحضوره فان صح ذلك أمضاه والامر بإعادة عمله حتى يصح ولكن بهذه الدار
أمثلة يصح بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والأصكيل إلا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة إلى هذه
الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير في كل قليل فان وجد فيها الناقص
استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محتر بهذه الدار والقيام بثمنه ثم سوح الناس
وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنجه خلل باصلاح ما فيه من فساد فقط والقيام باجرته فقط وما زالت هذه الدار
باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار وجعلها وقفاً على سور
القاهرة مع ما كان جارياً في أوقاف السور من الرباع والنواحى الجارية في ديوان الاسوار وما زالت هذه الدار

باقية

* (اصطبل الجيزة) * وكان بجوار القصر الغربي من قبله اصطبل الجيزة من جانب باب السباط الذي هو
الآن باب ستر المارستان المنصوري وقيل له اصطبل الجيزة من أجل انه كان في وسطه شجرة جيز كبيرة وكان
موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب السباط فينزل من الحدة التي هي الآن تجاه باب ستر المارستان
المتوصل منها إلى حارة زويلة ويمتد فيما حاذاه يسارك إذا وقفت بأول هذه الحدة حيث الطاحون الكبيرة التي
هي الآن في أوقاف المارستان وما وراءها ويحاذيها إلى الموضع المعروف اليوم بالبندقاين وكانت بئر تعرف
بيتر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه
درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدوا دار هذه القيسارية والرابع علوها قرأت بئر
كبيرة جداً وقد عقد على فوهتها عقد ركب فرفقه بعض القيسارية وترك منها شيئاً ومنها الآن الناس تسقى
بالدلاء وما زال هذا الاصطبل باقياً إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحُكروا في مكانه إلا أن التي هي موجودة
الآن وحكره جار في أوقاف الصلاح الأزبكي وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر
رسومه هناك

* (دار الدياج) * وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الدياج وهي حيث المدرسة الصاحبية بسوق
الصاحب وما جاورها من جانبها وما خلفها إلى الوزيرية وكانت هي دار الوزارة القديمة وأول من أنشأها الوزير
يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر للدين قاضي القضاة وداعى الدعاة علم المجد
أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازوري وما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي
من عكا ووزره المستنصر وصار وزيراً مستبداً فأنشأ دأوه بمحارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الأفضل
ابن أمير الجيوش بدار القباب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هذه الدار تعرف بدار الدياج لانه يعمل
فيها الحرير الدياج ويتولاها الامائل والاعيان فمن ولها أبو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزانة السلاح وخزانة
السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس في مكان دار الدياج المدرسة السيفية وما وراءها
من المواضع التي تعرف اماكنها اليوم بدرب الحريري وما جاورها هذا درب إلى المدرسة الصاحبية وما بجوارها
وما هو في ظهرها فصار يعرف خط دار الدياج في زمننا بخط سوق الصاحب

* (الاهراء السلطانية) * وكانت اهراء الغلال السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها
الآن خزانة شمائل وما وردها إلى قرب الحارة الوزيرية * قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت في عدة

أما كن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف اردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغدادى وآخر القول وآخر القرافة وألها الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصله اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر وساحل المقس والجمالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائهم من كل ناحية سلطانية وأكثر ذلك من الوجه القبلى ومنها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان بتعريفات وما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة وهي طواحين مدارها سفلى وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب ويحمل دقيقها للخاص وما يختص بالجهات في خراطة من شقق حلبية ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الاسطول وفيها ما هو قديم يقطع بالمساحى ويحط في بعض الجرايات بالحديد بجرايات المذكورين وجرايات السودان ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لخباز الرسل ومن يتبعهم وما يعمل من التمتع برسم الكعك لزيد الاسطول فلا يكثر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم أقواتهم وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصين بالغلل الا ما يماثل العميون المختومة معهم والاذرى وطلب العجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلى كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والحزيرتان والغربية والكفور والاعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ويحمل باقيها الى الاسكندرية ودمياط وتيسر ليسير الى نجر عسقلان ونجر صور وأنه كان يسير اليها في كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها عسقلان خمسون ألفا وصور سبعون ألفا فيصير هنالك ذخيرة ويبيع منها عند الغنى عنها قال وكان يحصل الديوان في كل سنة ألف ألف اردب * وذكر جامع السيرة البارورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبى محمد البارورى قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضى القضاة وقد قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربع مائة ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاشتدت المسغبة بأمر المؤمنين أن المتجر الذى يقام بالغلة فيه او في مضرة على المسلمين وربما أخطأ السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتغير في المخازن وتناف وان يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويقيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في المخازن ولا انحطاط سعر وهو الصابون والخشب والحديد والاصاص والغسل وما أشبه ذلك فأمضى الخليفة مآراه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا

* (ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين ومواقع زهرهم وما كان لهم فيها من امور جميلة) *

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة منزهات أيضا فن مناظر عظم التي بالقاهرة منظره الجامع الازهر ومنظره اللؤلؤة على الخليج ومنظره الدكة ومنظره المقس ومنظره باب الفتوح ومنظره البعل ومنظره التساج والخمس وجوه ومنظره الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظره بركة الحبش والانداس بالقرافة وقبة الهواء ومنظره السمكة وكان من منزهاتهم كسر خليج ابى المتبحر وقصر الورد بالخرقانية وبركة الحب

* (منظره الجامع الازهر) * وكان يجوار الجامع الازهر من قبله منظره تشرف على الجامع الازهر يجلس الخليفة فيه المشاهدة ليلالى الوقود

* (ذكر ليلالى الوقود) * قال المسيحي في حوادث شهر رجب من سنة ثمانين وثلثمائة وفيه خرج الناس في ليلاليه على رسمهم في ليلالى الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعنى الجامع الازهر عوضا عن القرافة وزيد فيه في الوقود على حافات الجامع وحول صحنه التناوير والقناديل والشمع على الرسم في كل سنة والاطعمة والحلوى والبحور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضى محمد بن النعمان في ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحية واقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه اطعمة من عنده وبخرهم * وقال في شعبان وكان الناس في كل ليلة جمعة و ليلة النصف على مثل ما كانوا عليه في رجب وأزيد وفي ليلة النصف من شعبان كان

للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع
شهوده ووجوه البلد ووقدت التناير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة
وفي مجالس العلماء وحل اليهم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والجنور فكان جمعا عظيما * قال وفي شهر رجب
سنة اثنتين وأربعمائة قطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذي يقام في هذه الثلاثة الاشهر لمن بيت بجامع
القاهرة في ليالى الجمع والانصاف وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقي الى جامع القاهرة ليلة
النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ما جرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح * روى الفاكهي
في كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصبح في اهل مكة ويقول يا اهل مكة أو قد واليلة هلال المحرم
فأوضحوا فحاجكم لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة في هذه
الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار
اهل اليمن ففعلوا ذلك في ولايته ثم تركوه بعد * وفي ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة
حضر الخليفة الظاهر لا عزازدين الله ابو هاشم على بن الحاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة
وغيرهم وسائر العامة والرايا جلس الخليفة في المنطرة وكان في ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام
العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله لأن الحاكم بأمر الله كان
أبطل ذلك فانقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعني من سنة ست عشرة وخسمائة
عملت الاسمطة الجارى بها العادة وجلس الخليفة الأمر بأحكام الله عليها والاحل المأمون الوزير ومن
جرت عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرة والانشراح ما لم تجر به عادته وبألف في شكر وزيره واطرائه وقال
قد أعدت لدولتي بهجتا وجددت فيها من المحاسن ما لم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى
وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها توسعة وبر وفنقات وهي ليالى الوقود الاربع وقد آن وقت فاشتبهى
نظرهن فامتثل الامر وتقدم بأن يحتمل الى القاضى خسون ديناراً يصرفها في ثمن الشمع وأن يعقد الركوب
في الاربع الليالى وهي ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدم الى جميع
الشهود بأن يركبوا صحتهم وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة في الزيت برسم الوقود ويتقدم الى متولى بيت
المال بأن يرسم هذه الليالى من أصناف الحلوات بما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال في سنة
سبع عشرة وخسمائة وفي الليلة التي صيحتها مستهل رجب حضر القاضي ابو الخياط يوسف بن ايوب
المغربى ووقع له بما استجد اطلاقه في العام الماضى وهو خسون ديناراً من بيت المال لا يتباع الشمع برسم
اول ليلة من رجب واستدعى ما هو برسم التعميتين احدهما للمقصورة والاخرى للدار المامونية بحكم الصيام
من مستهل رجب الى سلخ رمضان ما يصنع في دار الفطرة خشكناج صغير ويسندود في كل يوم قنطار سكر
ومثقالان مسكا وديناران مؤنة وكان يطلق في اربع ليالى الوقود برسم الجوامع الستة الازهر والاقصر
والانور بالقاهرة والطلولنى والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض
المساجد التي لا ربابها واجهة جملة كبيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر
والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدثني القاضي المكين بن حميدة وهو من أعيان الشهود أن من جملة الخدم التي
كانت بيده مشاركة الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة الى أن يكملوا ثمانية
عشر ألف قبيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطاراً ونصف قنطار زيت طيب
وذكر ركوب القاضى والشهود في الليلة المذكورة على جارى العادة قال وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثالى
الشهر بموكبه الى مشهد السمدة نفيسة وما بعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق
بمصر وقد عم معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة أحضر اليه
الشريف الخطيب المصحف الذي يخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوقع بأطلاق ألف دينار
من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلبة الفضة حلبة ذهب وكتب عليه اسمه وفي الخامس عشر من الشهر المذكور
ليلة الوقود جرى الحال في ركوب القاضى وشهوده على الترتيب الذي تقدم في اول الشهر ولما وصل الى الجامع
وجده قد عبي في الرواق الذي عن يمين الخارج منه سباط كعل وخشكناج وحلوى جلس عليه بشهوده

ونهبه الفقراء والمساكين وتوجه بعده الى ماسواه من جامع القرافة وغيره فوجد في رواق الجامع المذكور سباطا
مثل السباط المذكور فاعتمد فيه على ما ذكره وله أيضا رسم صدقة في هذا النصف للفقراء واهل الربط مما يقره
القاضي عشرة دنانير يقرها القاضي * وقال ابن الطوير اذا مضى النصف من جمادى الآخرة وكان عدده
عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك في خزان دار أفتكين ستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قنطار
بالمصري ووجلت الى دار قاضي القضاة لركوب ليله مستهل رجب فاذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتتم
الشهود أيضا فممن يركب ثلاث شمعات الى ثنتين الى واحدة ويمضي أهل مصر منهم الى القاهرة فيصلون
المغرب في الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضي فيركب من داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول اليه
موقودا مع المسدوين لذلك من القراشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبنهما الموزنون
بالجوامع يذكرون الله تعالى ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقتدر محفوظ ويندب في حجته ثلاثة من نواب
الباب وعشرة من الحجاب خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة في رى الامراء وفي ركابه القراء
يطربون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس الحكم الاقدم فالأقدم وحوالي كل واحد ماله
من شمع فيشقون من أول شارع فيه دار القاضي الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم في وقت جوازهم
ما لا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو ما زال إلى أن يأتي هو والشهود باب
التردد من أبواب القصر في الرحبة الوسيعة تحت المنطرة العالية في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة وهي التي
تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرب خنا في المواليد الستة
ويتجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين يديه شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون
كلوا اليد ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الأخرى استفتاها
وانصرفا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضي والشهود الى الوزير فيجلس لهم في مجلسه
ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضي
والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالباً مصر بغير نظام
ووالى القاهرة في خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة في الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل
القاضي اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده اللقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التي في طريقه أيضا فاذا وصل
الى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة وسار شافا الشارع الأعظم الى باب الجامع من الزيادة التي يحكم فيها فيوقد
له الشور الفضة الذي كان معلقا فيه وكان مليحا في شكله وتعليقه غير منافر في الطول والعرض واسع التدوير فيه
عشر مناطق في كل منطقة مائة وعشرون براقة وفيه سروات بارزة مثل النخل في كل واحدة عدة برافات تقرب
عدة ذلك من ثمانية ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجومية ويخرج له الحاكم فان كان ساكنا بمصر استقر بها
وان كان ساكنا بالقاهرة وقفه والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة
الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليله الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته
بجامع مصر الى القرافة ليصلى في جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه في كل مكان ولا يعلون من ذلك
فاذا انقضت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به في أول شعبان ونصفه على الهيئة
المذكورة والاسواق معمورة بالحلواء ويتفرغ الناس لذلك هذه الاربعة الليالي
* (منظرة اللؤلؤة) * وكان للخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بقصر اللؤلؤة ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بالقرب
من باب القنطرة وكان قصر من أحسن التصورات وأعظمها زخرفة وهو أحد منزهات الدنيا المذكورة فانه كان
يشرف من شرفه على البستان الكافوري ويطل من غربيه على الخليج وكان غربي الخليج اذ ذاك ليس فيه من
المباني شيء وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف بطن البقرة فيرى الجالس في قصر اللؤلؤة جميع أرض
الطبالة وسائر أرض اللوق وما هو من قبلها ويرى بحر النيل من وراء البساتين * قال ابن ميسر هذه المنظرة
بناها العزيز بالله ولما ولي برجان وزارة الحاکم بأمر الله بعد أمين الدولة بن عمار الكناهي سكن بمنظرة
اللؤلؤة في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة الى أن قتل وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر
سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع ما فيها * وقال المسيحي

وفي سادس عشر ربيع الآخر يعني سنة اثنين وأربع مائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللولوة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أنقاضه فنهبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شيء من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون وما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الأول يعني قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل أمر بإزالة ما لم تكن العادة جارية به من مضايقتها بالبناء ولم يبدت زيادة النيل وعول الخليفة الأمر بأحكام الله على السكن باللولوة أمر الأجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفرائشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخليم وعند ما قرب النيل الوفاء تحوّل الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته وأخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته إلى اللؤلؤة وتحوّل المأمون إلى دار الذهب وأسكن الشيخ أبا الحسن محمد بن أبي أسامة الغزالي على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولى المعونة أن يكشف الأدرار المظلمة على الخليج قبلى اللؤلؤة ولا يمكن أحداً من السكن في شيء منها إلا من كان له ملك ومن كان ساكناً بالاجرة ينقل ويقام بالاجرة لب الملك ليسكن بها حواشي الخليفة مدة سنة وقتر من التوسعة في النفقات وما يكون برسم المستخدمين في المبيتات ما يختص برواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الأصناف وهي جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يندب في كل يوم خروف شواء وقطار خبز وكذلك جميع الدروب من يحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم وفي يومى الركوب يجتمعون للخدمة الأمن هو في نوبته فيأمرهم له وأمر متولى زمام الممالك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة وفي الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم في كل يوم مثل ما تقدم والرهبة تقسم قسمين أحدهما على أبواب القصور والأخر على أبواب اللؤلؤة وأصحاب الضوء مثل ذلك وقتر للجماعة المتقدم ذكرها في الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ما يخرج اليهم محتوماً بأسماء كل منهم ويعرضهم متولى الباب في كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم والمنفردون يخرجون كل ليلة للترهة عليهم ويقفون إلى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج في شيء من ذلك عما يوجب الشرع وفي يومى السلام يضى الخليفة من قصوره بحيث لا يراه إلا استاذوه وخواصه إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويحضر الوزير على عادته إليه فيكون السلام بها على مستقر العادة والاسمطة بها في يومى الاثنين والخميس وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومى السبت والثلاثاء إلى المنتزهات * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيام والمضارب الديبق والديباح وتحول الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة بما شئته وأطلقت التوسعة في كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الأصناف وانضاف إليها ما يطلق كل ليلة عينا وورفاً وأطعمة للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهرة في طول الليل من باب القنطرة بما دار إلى مسجد اليمونة من التزين من صبيان الخاص والركاب والرهبة والسودان والحجاب كل طائفة بقبيلها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة في طرف كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضاً من المنام والرهبة تخدم على الدوام وتحول الوزير المأمون إلى دار الذهب وأطلقت التوسعة والحال في إطلاق الاسمطة لهم في الليل والنهار مستقر * وقال ابن عبد الظاهر المنظرة المعروفة باللولوة على بر الخليج بناها الظاهر لأعزاديين الله ابن الحاكم يعني بعد ما هدمها أبوه الحاكم وكانت معدة لترهة الخلفاء وكان التوصل إليها من القصر يعني القصر الغربي من باب مراد وأظنه فيما ذكره في علم الدين بن مماتي الوراق أنه شاهد في كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من التزارية والحشيشية قبل تصرفهم لاسيما الصغرى الخليفة وقله حواشيه أمر بستة باب مراد المذكور الذي يتوصل منه إلى الكافورى وإلى اللؤلؤة وأسكن في بعضها فرائشين لحفظها فإذا كان في صبيحة كسر الخليج استؤذن الأفضل ابن أمير الجيوش في فتح باب مراد الذي يتوصل منه إلى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويسد الباب هذا إلى آخر أيام الأفضل فلما راجع الوزير المأمون في ذلك سارع

اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر في مكانه ان شاء الله تعالى اه ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الامر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز ورجلوا الى القصر الكبير الشرق من السرايين ولما قدم نجم الدين أيوب بن شادي من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بحجاء الهليلج بآخر الحسينية عند مسجد تبرأزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمسائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة البني والرضي ابو سالم يحيى الاحدب بن أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عمل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز وتلبس بك الشرفا
كلوا بها صدفا والدار أولوة * وأنت أولوة صارت لها صدفا
فقال الفقيه عمارة يرد عليه

أنت يا من هب السادات والخلفاء * وقت ما قتلته في ثلبهم مخفا
جعلتهم صدفا حادوا بلؤلؤة * والعرف ما زال سكنى اللؤلؤة صدفا
وانما هي دار حل جوهرهم * فيها وشف فاسناها الذي وصفا
فقال أولوة عجبا ببهجتها * وكونها حوت الاشراف والشرفا
فهم بسكنهم الايات اذ سكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصفا
والجوهر القرد نور ليس يعرفه * من السبيرة الاكل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر لا بصار محتظفا
فالكلب يا كلب اسنى منك مكرمة * لاق فيسه حفاظا دائما ووفيا

فلهذا رحمة الله له في حق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته لا جرم أنه قتل في واجب من جهوى كما هي سنة المحبين فالله يرجه ويتجاوز عنه

(منظرة الغزالة) * وكان بجوار منظره اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن قرقة وقد خربت هذه المنفارة أيضا وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربي الذي من ناحية الخليج وقد خربت أيضا حمام ابن قرقة وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التي هناك يعرف بفندق عماد وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة الى جانب قنطرة الموسكى في الحد الشرقي وكان يسكن بهذه المنظرة الامير ابو القاسم ابن المستنصر والد الحافظ لدين الله ثم سكنها ابو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الامر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ ابو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزالة التي على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله من يجرى مجراه ولا كانت الاسكن الامير أبي القاسم ولد المستنصر والد الامام الحافظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيثار والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الايام الافضل على أحد وثلاثين ألف دينار في ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي والمصري ستة عشر ألف دينار ثم اشتملت في الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الايام الآمرية * وقال ابن الطوير الخدمة في الطراز وينعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا اعيان المستخدمين من أرباب العمام والسيف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتيس وغيرهما وجاريه أمير الجوارى وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشاري دقاس مجرّده وثلثه مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونوابية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصة التي منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمي وغيره هي بكرامة عظيمة ونذب له دابة من مراكيب الخليفة لا تزال تحتمه حتى يعود الى خدمته وينزل في الغزالة على شاطئ الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شعاع بن شاور ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بالغزالة وتجري عليه الضيافة كالعرباء الواردين على الدولة فيتمثل

بين يدي الخليفة بعد جل الاسفاط المشدودة على تلك الكساوي العظيمة ويعرض جميع مامعه وهو ينه على شيء
فشيئ سيد فراشي الخاص في دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولا سيما اذا وافق استعماله غرضهم
فاذا اتقضى عرض ذلك بالمرج الذي يحضره سلم لمستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدي الخليفة باطنا
ولا يخلع على أحد كذلك سواء ثم ينكفي الى مكانه وله في بعض الاوقات التي لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه
بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الا ولدا أو أخافان الرتبة عظيمة والمطلق له من الجاهلية في الشهر سبعون
دينارا ولهذا النائب عشرون دينارا لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب في الاستعمال مقامه
ومن أدواته أنه اذا عبي ذلك في الاسفاط استدعى الى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس
كلهم قياما لجلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز وهو جالس في مرتبة والوالي
واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته وميزتها

(دار الذهب) * وكان بجوار الغزالة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين
باب سعادة وكانت مظلة على الخليج وفي مكانها اليوم دار تعرف بيهادر الاعسر وفي منها عقد بجوار دار الاعسر
يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الامر بأحكام
الله الى اللؤلؤة ثم حضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان وأمره أن يمضي الى داري الفلك والذهب
التي على شاطئ الخليج فالدار الاولى التي من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمة
ولم تكن تعرف الا بدار الفلك ولما بنى الفضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التي من حيز باب سعادة وسماها
دار الذهب غلب الاسم على الدارين ويصلح ما فسد منها ويضيف اليها ما دار الشايرة وذكر أن هذه الدار لم تسم
بهذا الاسم الا لان جزأ منها يسع في أيام السنة في زمن المستنصر بشارية قال وعندما قارب النيل الوقاء تحول
الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول
الاجل المأمون بالاجلاء أولاده الى دار الذهب وما اضيف اليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها
الفضل بن أمير الجيوش وكانت عادة الفضل أن يستريح بها اذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب
وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرة من باب سعادة يسلم لهم ومن باب
الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقر لهم في كل يوم سماطين أحدهما بمصامدة
الفلك للمماليك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والآخرة على باب الدار برسم المصامدة حتى انه من اجتاز
ورأى انه يجلس معهم على السماط لا يمنع والضعفاء والصعاليك يتعدون بعدهم وفي أول الليل يمشي ذلك ولكل
منهم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء الى الاعلى

(منظرة السكرية) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكرية في بر الخليج الغربي يجلس فيها
الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله بن المعز وقد دثرت هذه المنظرة وبشبهه أن
يكون موضعها في المكان الذي يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة الست وكانت السكرية من جنات
الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لتزول الوزير وغيره من الاستاذين

* (ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج) *

قال ابن زولاقي في كتاب سيرة المعز لدين الله وفي ذى القعدة يعني من سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وهي السنة
التي قدم فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسر خليج
القنطرة فكسر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى بني وائل وتمر على سطح الحرف في موكب عظيم
وخافه وجوه اهل الدولة ومعه ابو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرفه بالمواضع التي يجتاز عليها ونجعت له
الرعية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصغراء على الخندق الذي حفره القائد جوهر وتمر على قبر كافور
وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسني وعرفه به ثم عاد الى قصره * وذكر الامير المسيحي في تاريخه الكبير
ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لا عز الدين الله بن الحاكم
في كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا
أمر باخراج الخليم وأن يضرب الثوب الكبير الافضل المعروف بالقاقول وهو أعظم ما في الحاصل بأربعة دهايز

وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ومساحتها على ما ذكر ألف ألف ذراع وأربع مائة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعا ولما كمل استعماله في أيام الأفضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمى بالقول لاجل ذلك وما زال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون في ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانا عظيمين الا انهما لا يصلان بحجمتهما الى مقايسته ولا مؤنته ولا صنعته وأقام هذا الثوب في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناع عليه وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لا غير وأربعة الدهاليز وبعض السرادق الذي هو سور عليه لضيق المكان الذي يضرب فيه وكونه لا يسعه بحجمته قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهي ما يختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير * فأما ما يختص بالخليفة خاصة قبلدلة شرجهما بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون ديناراً وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهباً عرا قباد مجالوحا واحد والثاني ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون ديناراً ثوب طميم سلفه خمسون ديناراً والذهب الذي في الثوب والمنديل والحنك ألف دينار وخمسة دنائير فتكون جملة بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين ديناراً شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عرا قباد فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنائير منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته كذلك وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر ديناراً وسبعون قصبة قيمته ذلك عشرون ديناراً شقة ديبقي وسطاني حريري السلف اثنا عشر ديناراً غلالة ديبقي حريري السلف عشرة دنائير منديل كم مذهب السلف خمسة دنائير وما تاقصبة وأربع قصبات ذهباً عرا قباد قيمة ذلك خمسة وعشرون ديناراً منديل كم ثمان حريري خمسة دنائير حجره أربعة دنائير عرضي لفافة خاص خمسة دنائير وستة عشر مثقالاً ذهباً مصرى فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين ديناراً عرضي ثمان برسم تغطية التخت دينار واحد ونصف تحت ثمان ضمنه بدلة خاص حريري برسم العود من السكر شرجها منديل حريري سلفه ستون ديناراً وسط برسمه اثنا عشر ديناراً شقة ديبقي وكم عشرون ديناراً شقة وسطاني اثنا عشر ديناراً غلالة خمسة عشر ديناراً غلالة عشرة دنائير منديل سلام ديناران منديل كم خمسة دنائير منديل كم ثمان أيضاً خمسة دنائير شاشية حريري ديناران حجره أربعة دنائير عرضي لفافة خمسة دنائير عرضي ثمان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهداً أن قيمة كل حلة من هذه الحلال وسلفها اذا كانت حريري ثمانية وستة دنائير واذا كانت مذهبة ألف دينار واختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخي الخليفة وأربع جهات * وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة شرجها منديل سلفه سبعون ديناراً وخمسة وسبعون قصبة عراقية جملة سلفه وذهبه مائة وأربعة عشر ديناراً شقة ديبقي وكم السلف ستة عشر ديناراً وثمانية وعشرون مثقالاً ذهباً عالياً تكون جملة ذلك خمسين ديناراً نصف شقة ديبقي وسطاني اثنا عشر ديناراً ونصف شقة وسطاني برسم العود ثلاثة دنائير غلالة ديبقي سبعة دنائير ونصف شقة برسم الغلالة ديناران ونصف منديل كم سبعة دنائير واثنا عشر مثقالاً ذهباً تكون قيمته تسعة عشر ديناراً حجره ثلاثة دنائير عرضي أربعة دنائير وأحد عشر مثقالاً تكون سلفه وذهبه سبعة عشر ديناراً ثم ذكر بعد ذلك ما يكون بلهجة الوزير وما يكون برسم صبيان الحمام وما يفضل برسم الممالك الخاصة صبيان الرايات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون داري تكون قيمتها سبع مائة وخمسين قباء يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء ويفرق جميع ذلك قال ولم يكن لاحد من الاصحاب والخواشي وغيرهم في هذا الموسم شيء فذكر بل لهم من الهبات العين والرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتي ذكره في موضعه وفي صيغة هذا الموسم خلع على ابن أبي الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وجل الى المقياس برسم المبيت وركوب الخليفة بتجملته ومواكب الى السكره ما فاضله وبينه مما يطول ذكره * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعاً أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقي والديباج وتحول الخليفة الى اللواؤة بجاشيته وتحول المأمون الى دار الذهب ووصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز وان كانت يسيرة العدة فهي كثيرة القيمة ولم تكن للعموم من الخاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة واخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبي الرداد فلما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين ايديهم ثم عدلوا في احداها الى المقياس وصلوا ونزل الثقة صدقة بن أبي

الرداد منزله وخلق العمود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر في العشارى الفضى والوزير صحبته والرهبة
تخدم برّا وبحرا والعساكر طول البرّ قبالة الى أن وصل الى المقدس ورتب الموكب وقدم العشارى بالخليفة
الامر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهبة تخدم والصدقات والرسوم تفرّق ودخل من باب
القطرة وقصد باب العيد واعتمد ما جرت به العادة من تقديم الوزير وترجله في ركابه الى أن دخل من باب العيد الى
قصره وتقدم بالخلع على ابن أبى الرّاد ابدلة مذهبة وثوب ديبقى حريرى وطيلسان مقوّر وبياض مذهب وشقة
سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خزوشقة ديبقى وأربعة ايكاس دراهم ونشرت قدّامه الاعلام الخاص الديبى
المحائمة بالالوان المختلفة التى لا ترى الاقدامه لانها من جملة تجمل الخليفة وأطلق له رسم البيت من الخور
والشموع والاعنّام والحلاوات كثير * قال وهبت المقصورة في منظره السكره برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه
وقد وقعت المسالعة في تعليمها وفرشها وتعميتها وقدم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من هم
الجهات من أشكال الصور الادمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة
والعنبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المكل بالؤلؤ والياقوت والبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة
جميعها عنبر معجون كحلقة الفيل وناياه فضة وعيناها جوهرة تان كبيرتان فى كل منهما مصمما رذهب مجرى سواده
وعليه سرير منجور من عود بمسكات فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركان وعلمهم اللبوس تشبه الزرديات
وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجردة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع منجورة من عود وعيناها
ياقوتتان حراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشتمل المرسين المكل بالؤلؤ وشبه الفاكهة
* قال ومن جملة ما وقع الاهتمام به فى هذا الموسم ما صار يستعمل فى الطراز وان لم يتقدم نظيره للولائم التى تتخذ
برسم تغطية الصوانى عدة من عراضى ديبقى ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مفتح كل
قوارة منهنّ دون اربعة أشبار سلك كل واحدة منهنّ خمسة عشر دينار ورقم فى كل منهنّ سبج ذهب عراقى ثمنه
من أربعين الى ثلاثين دينارا تكون الواحدة بخمسين دينارا ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات
الاسكندرانى التى تشد على الموائد التى تحمل من عند كل جهة قوارات ديبقى مقصور من كل لون محائمة
بالرقم الحريرى مفتح كل قوارة اربعة أذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا ولقد بيعت عدة من
القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهنّ ستة عشر دينارا
وسافروا بها الى البلاد فلم يبع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة
وحفظوا منهنّ شيئا عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهون قال وكان ما تقدم من الزبّادى فى الطيافير من الصينى
الى آخر أيام الفضل بن أمير الحيموش وأيام المأمون وانما استجذت الاوانى الذهب فى أواخر الايام الآمريه
والذى يعجب بين يدي الخليفة قوائمها عدة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس
فى المواسم مائدة بغير سباط للإمراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله
البحور مطلق مثلها ويقرب بالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تعييتها وبحورها جلس
الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرف بحضوره وفى آخرها فرق منها ما جرت به العادة على
سبيل البركة * وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تحتان
ضمنهما بدلتان احدهما منديلها وثوبها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرى برسم العود وكذلك
ما يخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلال مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تحت وبرسم
أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تحت وهو لاء المميزون لكل منهم تحت وبقية
ما يخص المستخدمين وابن أبى الرّاد فى تحوت كل تحت فيه عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن
على ما يحصل برسم الخليفة وما يفرق وما يفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزان غير الواصل وهو
ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء وخمسمائة وشقتان سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشارى
من الشقق الدمايطى والمناديل السوسى والقوط الحرير الاحمر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية
من الشقق الاسكندرانى والكلمات فوق بانفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه ثم ايتبع ذلك بطاعة
ثانية برسم ما هو مستقر العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة

دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقع باطلاق ذلك وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الاحمرية بمطالعة يستدعى ما جرت به العادة في هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دار التبعية يستدعى ما يتنازع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبية السكره لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع مقاصيرها التي برسم الاستاذين والاصحاب والخواشي وهو مائة دينار فوقع باطلاقها وفي العاشر من الشهر المذكور يعنى شهر رجب وفي النبل ستة عشر ذراعا فتوجه المأمون الى صناعة العمائر بمصر ورسمت العشاريات بين يديه وقد جددت وزينت جميعها بالسطور الديني المونة والكواخج والاهلة الذهب والفضة وشمل الانعام أرباب الرسوم على عادتهم وعدى في احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفترت رسوم الاطلاق وانكفا الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يخص المبيت في المقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهي العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جامات حلوى وعشر شمعات وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقرين وامام المتصدرين وله وللجماعة من الدراهم التي تفرق أوفى نصيب قال وخرج الخليفة بزي الخلافة ووقارها وناموسها بانثياب الطميم التي تذهل الابصار والمنديل بالشدّة العربية التي ينفرد بلباسها في الاعياد والمواسم خاصة لاعلى الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالى الباقوت والزمرذ والجوهر وعند لباسها تحقق لها الاعلام ويتجنب الكلام ويهاب ولا يـكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير لا تقبل الارض من بعيد من غير تدوئ بين يديه من مقدّمى خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأنخر ما يكون ثم المذاب التي كل منها عود هاذب وينفرد بحملها الصقالبه ويمشى بين الصفيين المرتين راجلا على بسط حرير فرشت له وكل من الصفيين يتناهى في مواصلة تقبيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسي المغشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الرواض وأزمت الاضطرابات خيل المظلة بعد أن أزال الاغشية الحرير والشقق الديني المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى في كتابه فقدم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية في الموكب بين يديه ولما علا ما قدم اليه استفتح مقرؤا الحضرة وتسلم جميع مقدّمى الركاب ركابه والرواض الشكيمة وزال حكم الاستاذين المستخدمين في الركاب وعادت الموالى والاقرار الى محالهم واستدعى بالوزير بجميع نعوته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرفه بتقبيل يده بحكم خلوها من قضيب الملك في هذه المواسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير اقتنار الدولة أحد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزانه الكسوة الخاص وسلمه بعد أن قبله لاختيه الذي يتولى حمله في الموكب بعد أن أرخت عنقه تشرى بفاله مدّة حمله خاصة وترفع بعد ذلك وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأديا وتعظيما لمعه وسلم بالرح والدركة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة المذكورة الى اول دهليز فتلقتة جماعة صبيان ركابه العشرة المقدّمين أرباب المينة والميسرة وصبيان وراء صبيان الراسل وصبيان السلام كل منهم في الخدمة المعينة لا يخرج عنها السواها وجميعهم بالمتاديل الشروب المعلة وبأوساطهم العراض الديني المقصورة وليس الجميع عبيد اشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد اعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زعيم بل بالقنايز المفترجة والمتاديل السوسى وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذي لا يكون الا في موكبهم خاصة على الاستمرار من الصواري والفرنجيات والديابيس والتوت والصمصم بالدرق الصيني والنجى بالكواخج الفضة والذهب ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام في مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم في الموكب ركوبه من محل حجيته الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت الغربية وأبواق السلام واجتمع الرهج من كل مكان ونشرت المظلة فاجتمع اليها الزويلية بالهدد الغربية وظال بها وسارت بسيره والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والحجيرة الصبيان المنشدون واجتمع الموكب بحملته على ما ذكر أولا والترتيب أمامه لتولى الباب وحجابه وتلوه لتولى الستروكل منهم على حكم المدارج التي وصلت اليه لاسيلا الى الخروج عمارسم فيها وسار بحملته موكبهم على ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها وراجلها

كل طائفة يقدمها زمامها وقد ازدحوا في المصنفات بالعدد المذهبة الحربية والالات الماتعة المضينة
 وليس بينهم طريق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوائثها وآدراها وجميع
 مساكنها وأبواب حاراتها بأنواع من الستور والديباج والديبقي على اختلاف اجناسها ثم بأصناف السلاح
 وملائق النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم تنعم أهل الحائنين من أرباب الجوامع
 والمساجد وبوابي الابواب والسقائين والفقراء والمساكين في طول الطريق الى أن أظلم على الخيام المنصوبة
 فوقف بموكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمي ركابه فاجتاز راكبا بمفرده وجمع حاشيته بسلاحهم رجاله
 في ركابه بعد أن بالغ في الايماء بتقبيل الارض أمامه فرد عليه بكمه السلام وعاد الخليفة في سيره بالموكب بعد
 أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبه في ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورمحه وصبيان
 السلام يستدعون كل منهم الى تقبيل الارض بجميع نعوتها بكاره وتمييزا واحتساطا وبركابه ووصل الى
 المضارب في الحرس الشديد على ابوابها وسرادقاتها من كل جانب وقد تبين وجاعة من حصل بها ويمكن من
 الدخول اليها وترجل الوزير في الدهليز الثالث من دهاليزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكية القوس من
 يد الرقاص وشق به الخيام التي جمعت جميع الصور الادمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالسطر الجهرمية
 والاندرسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس في محل عظمته وأجلس وزيره
 على الكرسي الذي اعتدله واحتاط به المستخدمون حملة السلاح المتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظر اليه
 وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرّفون بحجبه وختم المقرّون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب
 شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرقاص مقدمه ما أمر وابه من
 الدواب فعلاه الخليفة والوزير يسلك الشكية بيده وانتظم موكبا عظيما والقرّاء عوض الرهجة والجماعة في ركابه
 رجاله على حكم ما كانوا عليه أو لا وصعد من القاعة التي في دهاليز الباب القبلي منها فخرج منه وانفصلت خدمة
 جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الارض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته
 والاصحاب والخواشي الى السكرة وهي من جنات الدنيا المزخرفة وتلقاه أخوه بعظمة سلامة وتقبيل الارض بين
 يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التي في المنطرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتد الناس
 جميعهم عند مشاهدته تقبيل الارض له وادامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السدمشددى
 الاوساط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الارض جميعا وانصرفوا عنه وولته الفعلة في
 البساتين السلطانية بالفتح من الحائنين والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة والرهج واللعب من
 الجانب الشرقي ولما اكل فكه انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير والجميع من ينه بالذهب
 والفضة والستور المرقومة ورؤسائهم وخدامهم بالكسوان الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة
 بالمقصورة التي راحته وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والخواشي
 واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقي وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان وثوبان عتابي
 وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنطرة وعدى في البحر الى حفظ مكانه ثم استدعى بعده حامي البساتين
 ومشارفها فخلع عليه ما بدلتين حريري وثوبين سقلاطون وعتابي ثم متولى ديوان العماير كذلك ثم استدعى الرؤساء
 كذلك واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتملة على أصناف الانعام من العين والورق وصواني الفطرة والموائد
 التي يتم بها جميع الجهات والخراف المشوية والجمامات الحلواء تفرقة ذلك على مارسم وهو شامل غير مخصص
 من أخى الخليفة والوزير الى الاصحاب والخواشي من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء المستخدمين
 والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب
 اللعب وغيرهم وعينت الاسمطة في المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربي من الخيام وأمر
 الوزير أخاه بالمضى اليها والجلوس عليها فتوجه وبين يديه متولى حجية الباب وثوابه والمعروفة والحجاب
 واستدعت الامراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السباط في موضعه على
 عادتهم وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته
 ولما انقضى حكم الاسمطة المختصة بالامراء الكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقي متولى الباب

جالسا لا سمطة العبيد وجميع المستخدمين من الرجال والسودان وعييت المائدة الخاص بالسكرة التي
ما يحضرها الا العوالى الخاص المستخدمين في الخدم الكبار ويجمع له حالتان حصوره في أشرف مقام
وجاوسه في محل يحصل له به حرمة وذمام وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أذى
كل منهما ما يجب من سلامه وتعظيمه وحضر أولاد الوزير وأخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم
ومن الاستاذين المحنكين أرباب الخدم وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو مالوف وفترق من جلئها لكل
من أرباب الخدم الذين لم يحضر وأعليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف وتميز في ذلك اليوم خاصة ما يختص
بالقاضي وشهوده والداعي وابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيمة الكبرى أمام
سرى الخلافة المنصوب مدة النهار مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم في الاثباتات مذكور
ولما اكمل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استحب منها
ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة في وقتها ولا بد من راحة بعدها
وحضر مقدما الركاب وحاسبا كاتب الدفتر على ما معهم ما يرسم تفرقة الرسوم والصدقات في مسافة الطريق
فكمل اهما على ما بقى معهما مثل ما كان أولا ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغل من ترتيب
الموكب ومصفقات العساكر وترتيب من يشرف بالحضرة من الامراء والضيوف وفترت الصواني الخاص التي
تكون بين يدي الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغرابة من كل صنف
وقد جعت ملاذ جميع الخواص والعدة منها بسيرة وليس ذلك لثقتهم من هم الجهات التي تتنوع فيها بالغرائب
بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لان كلامها لا مندوحة أن يكون فيه زهرة وثمره وطول المكث
كذلك يتلف ما فيها واذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية
واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة
حريري بشدة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير صهوة مقدم خزائن الكسوة الخاص على يد المستخدمين
عنده من الاستاذين من جملة بدلات الجع التي توجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسعي اليه بدلة مكمله حريري
ومنديلها يياض بالشدة الدانية غير العربية ولما لبس ما سير اليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب
أخيه في احدى العشاريات فامثل أمره وتوجه صحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم
الباب الذي هو منها بشاطئ الخليج وقدم له احدى العشاريات الموكبية وفيها مقدم رياسة البحرية فركب فيها
بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمته الى أن انحدرت العشاريات جميعها قدأمه ومراكب
اللعاب بغير أحد من أرباب الرهج والمستخدمون في البرين يمنعون من يقاربوه والمتفرجون لا يصدتهم ويرددهم
ما يحمل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسرون بسيره وعاد الوزير الى السكرة فلما شاهد الخليفة
الدواب الخاص التي يرسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدموا الركاب
واستفتح القراء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبلي وشق قاعته على سرى مملكته وخص
بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضي والداعي ومن معهما ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها
دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بنزار وسار في ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر
نارنج اصولها مفترقة وفروعها مجتمعة وظلال الطريق وعليها من الثمرة التي أخرجهما من وقته الى هذا اليوم
وقد خرجت بهجتها عن المعتاد وحصل عليها ثمره سنتين احدهما انتهت والاخرى في الابتداء وهو بهيئته وزيه
وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عم من له رسم بانعامه وعاد الرهج والموكب على ما كان عليه
فلما وصل الى السدة الذي على بركة الحبش كسرين يديه * (وقال في كتاب الذخائر) * ان مما اخرج من القصر
في سنة احدى وستين وأربع مائة في خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله وهو مما استعمله
الوزير أحمد بن علي الجرجاني في سنة ست وثلاثين وأربع مائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا
وسبع مائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الساعة عن اجرة ذلك وفي ثمن ذهب لطلانه خاصة ألفان وسبع مائة
دينار وعمل ابوسهل التستري لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالقضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف
وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة وطلاء بعضه ألفان وأربع مائة دينار واستعمل كسوة برسمه

بمال جليل وأنفق على العشاريات التي برسم التزج البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع
الآتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس منحوتات واهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار * وقال
ابن الطوير اذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبي الرذاد بمائة ستة عشر ذراع القناع
في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما يوافقه من أيام الشهر العربي فعلم ذلك من مطالعته
وأخرجت الى ديوان المكاتب فزلت في السير المرتب بأصل القناع والزيادة بعد ذلك في كل يوم تورخ بيومه
من الشهر العربي وما وافقه من أيام الشهر القبطي لا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد
قبل الخليفة وبعده الوزير فاذا انتهى في ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه اصبع أو اصبعان
وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس في تلك الليلة من المطايخ عشرة قساطير من الخبز السميد
وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجوامع بالخاهرة ومصر ومن يجري مجراهم فيستعملون ذلك ويقدرون
الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يتلون القرآن برفق ويطربون بمكان التطريب فيختمون الخطة الشريفة
ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس فيوفى في الماء ستة عشر ذراعاً في تلك الليلة ولو فاء النيل عندهم
قدر عظيم ويتجهجون به استهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الديار وبه التمام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة
موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما أكثر من كل المواسم فاذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة
ابن أبي الرذاد اليه بالوفاء ركب الى المقياس لتخليقه فيستدعي الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب
الخليفة بزى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه في الجمع
الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس
المعروف اليوم بسيف الاسلام فيعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الأعظم بين الركنين الى
الساحل بمصر الى الطريق السلوك على طرف الخشابين الشرقي على دار القاضى الى باب الصاغة بجوارها وله
دهليز ماذ بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزيرا فيشقها والوزير تابعه فيخرج منها منعظا على
الصناعة الاخرى وكانت برسم المكس الى السيوفيين ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة ثم الى دار الملك
فيدخل من الباب المقابل لسلوكه فيتبرجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعتدله ويكون
قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشارى الخاص وهو بيت من عاج وأبنوس عرض كل
جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه
قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبة ملبس بصفايح الفضة والذهب فيتسله رئيس العشاريات الخاص
ويركبه على العشارى المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذي يركب فيه الخليفة على الباب الذى
يخرج منه للركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التي يخرج من بابها الى العشارى وأسند
اليه استدعى الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب في العشارى فيدخل البيت المذهب
وحده ومعه من الاستاذين المختكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع في العشارى خواص الخليفة خاصة
ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه وليس في العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنسا والوزير ظاهرا
في رواق من باب البيت الذى هو بعرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب وهي مدهونة مذهبة
وعليها من جانبها ستور معمول بمرسمها على قدرها فاذا اجتمع في العشارى من جرت عادته بالاجتماع اندفع
من باب القنطرة طالع الباب المقياس العالى على الدريج التي يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدي
الخليفة الى الفسقية فيصلى هو والوزير ركعتين كل واحد بمفرده فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة
التي فيها الزعفران والمسك فيدها بالآلة ويتناولها صاحب بيت المال فيناولها ابن أبي الرذاد فيلقى نفسه
في الفسقية وعليه غلاته وعمامة وعمود قريب من درج الفسقية فيتعلق فيه برجليه ويده اليسرى ويخلقه
بيده اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم يخرج على فوره راكبا في العشارى
المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عائدا الى القاهرة أو ينحدر في العشارى الى المقس
فيتبعه الموكب الى القاهرة ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قرورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل وينظر

الخليفة فاذا استقر بالقصر اهتتم بركوب فتح الخليج وفيه همة عظيمة ظاهرة للإتهام بذلك ثم يصير ابن أبي
 الرقاد باكر ثاني ذلك اليوم الى القصر بالايوان الكبير الذي في الشباك الى باب الملك بجواره فيجد خلعة
 معبأة هناك فيؤمر بلبسها ويخرج من باب العيسد شاقها بين القصرين من اوله قصدا لاشاعة ذلك فان ذلك
 من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطلع وتكون خلعة مذهبة وكان من العدول المحنكين فيشرف
 في الخلعة بالطيلسان المقور ويندب له من التغيرات ولمن يريده خمس تغيرات مركبات بالجلي ويحمل أمامه
 على أربع بغال مع أربعة من مستخدمي بيت المال أربعة ايكاس في كل كيس خمسائة درهم ظاهرة في
 اكفهم وبصيته أقاربه وبنو عمه وأصدقائه ويندب له الطبل والبوق ويكثف به عدة كثيرة من المتصرفين
 الرجال فيخرج من باب العيد ويركب احدى التغيرات وهي أميزها وشرف أمامه بجملين من النقارات التي
 قد منادى كرها يعني في ركوب اول العام من زى الموكب فيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه بكارا
 وصغارا والطبل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر
 فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يلحق عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا
 وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانعام حائرا على
 الجامع الى شاطئ البحر فيعدي الى المقياس بخلعه وايكاسه وهذه الايكاس معدة لارباب الرسوم عليه في خلعه
 ولنفسه ولبنى عمه بتقريب من اول الزمان فاذا انقضى هذا الشأن شرع في الركوب الى فتح الخليج ثاني يوم وقد كان
 وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل في بيت المال من التماثيل شكل
 الوحوش من الغزلان والسباع والقبيلة والزرافات عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس
 بالصندل ثم شكل التفاح والارج اللطيف والوحوش مفسرة الالعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج
 الخيمة التي يقال لها القاوول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فاقسمت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه
 صفرية فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التي كانت في الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل في اول العمود شقة
 دائرة ثم اوسع منها ويتولى ذلك الى احدى عشرة شقة قصير سعة الخيمة ما يزيد على فدانين مستديرة وتنصب
 في بر الخليج الغربي على حافته مكان بستان الحلي اليوم وكانت ثم منظره يقال انها السكرة برسم جلوس
 الخليفة لفتح الخليج في مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحري تلك الخيمة الكبرى خياما
 كثيرة ويتبارزون فيها على قدر همهم وضربهم اياها في الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك
 وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين في المواضع المتقدم ذكرها
 في ركوب اول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من
 الفضة ويكون بواقها ركبانا وأرباب الابواق الخماس مشاة ومن المطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة
 فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهمة عالية وقد تضاعفت هم الاجناد في ذلك
 اليوم فارسها وراجلها ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيوف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين
 المحنكين ويركب في ذلك اليوم من الاقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة في كل سنة
 فيتقدمون الى المنطرة في مكان لهم صحبة استاذين خدمتهم وحفظهم ويكون قد لف عمود الخيمة الكبرى
 المشار اليها ما بديناج ابيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسندا اليه سرير الملك وينعش
 بقرقوب وعرائسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه نوب يقال له البدنة
 وهو كله ذهب وحرير من قوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل
 شاقا القاهرة من الطريق التي ركب منها التخليق المقياس لانه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها
 من طريق الساحل فاذا اجاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشارى الخماس
 حبل طويل قوى موضوع آخره في الطريق وفيه قوم يقال لهم الختبارية واحد في زى فارس على شكل فرس
 وفي يده رمح وبكتفه درقة فيختر على بكرة وفي رجله آخر ممسكها وهو يتقلب في الهواء بطنًا وظهرا حتى يصل
 الى الارض ويكون قاضى القضية وأعيان الشهود جلوسا في باب الجامع من هذه الجهة فاذا ازاراهم الخليفة
 وكانوا قد ركبو وقف لهم وقعة فيسلم على القاضي ثم يدخل فيقبل الرجل التي من جانبه لا غير ويدخل بالشهود

في الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان احدهما ديارج اخرى ديق آيضا بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة بهيئته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قد تقدمه على العادة لخدمه فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشي بين يديه الى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير الكرسي الحارى به عاده فيجلس عليه ويرجله تحك الارض ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤون القرآن ساعة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استاذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطبق هذا اليوم فيؤمر بتقدمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد تقدم الواحد بخطوة في الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبر وأتساء قصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الرأية البيضاء

فصفت موارد لنافكاته * كف الامام فعرفها الاعطاء

فاتقد الناس عليه في قوله فسال منه الماء وقالوا اى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع ما قاله بعد هذا المطلع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

ما زال هذا الست يتطرقحه * اذن الخليفة بالنوال المرسل

حتى اذا برز الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول

بحرى كأن قد ديف فيه غبر * يحلوه كافر بطيب المنديل

فاتقدوا عليه ايضا قوله في البيت الثانى وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصد فتح الست بالمعاول لكنه ما نظمه الا قفا ثم تقدم له شاعر شاهد يقال له كافى الدولة ابو العباس احمد وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضى الاثير بن سنان فانه عملها بحضوره بديها

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد * للنيل أم لك يا ابن بنت محمد

أم لا اجتماعا معافى موطن ■ وافيقا فيه لا صدق موعد

ليس اجتماع الخلق الا للذى * حاز الفضيلة منك في المولد

شكروا لكل منك لوقائه * بالسعى لكن مبالغهم للاجود

ولمن اذا اعتمد الوفاء ففعله ■ بالقصد ليس له كن لم يقصد

هذا بقى ويعود ينقص تارة * وتسنأ أنت النقص ان لم يردد

وقبواه ان بلغ النهاية قصرت ■ واذا بلغت الى النهاية تبتدى

فالآن قد ضاقت مسالك سعيه ■ بالست فهو به بحال مقيد

فاذا أردت صلاحه فافتح له * ليرى جنايا مخصبا وترى ندى

وأمر بقصد العرق منه فاشكا ■ جسم فصع الجسم ان لم يفصد

واسلم الى امثال يومك هكذا * في عيش مغبوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين دينار او خلع عليه وزيد في جاريه ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا والوزير بين يديه حتى يطالع على المنطرة المعروفة بالسكره وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس فيها ويتهيأ أيضا للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالست حامى البساتين ومشارفها لانه من حقوق خدمتهم ما فتح احدى طافات المنطرة ويطل منها الخليفة على الخليج وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذن الخواص ويشرب بالفتح فيفتح بأيدي عمال البساتين بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء في الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها السماويات وكانها خدم بين يدي العشارى الذهبي المقدم ذكره ثم العشاريات الخاص الكاروهى ستة الذهبي المذكور والفنى والاجر والاصفر واللازوردى والصقلى وكان أنشأه نجار من رؤسا الصناعة صقلى وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة في أيام النيل وتحوله الى اللؤلؤة للفرجة وسارت في الخليج وعلى بيت كل منهما الستور الدينى المونة وبروسها وفي أعناقها الالهة وقلائد من

الخز فقسند الى البر الذي فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة ودخل قاضي القضاة والشهود الخيمة الديني البيضاء وصلت المائدة من القصر في الجانب الغربي من الخليج على رؤس القرائين صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة شدة في الطيافير الواسعة وعلمها القوارات الحرير وفوقها الطراحات ولهارواء عظيم ومسك فأنح فتوضع في خيمة واسعة منصوبة لذلك ويحمل للوزير بها هو مستقره بعادة جارية ومن صواني التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخصص منها أيضا لولاده واخوته خارجا عن ذلك اكراما وافتقادا ويحمل الى قاضي القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقير للشرع ويحمل الى كل أمير في خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويوصل من ذلك الى الناس شيء كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالنظر فيصلون ويقعون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب الموكب كله لا تتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التي عليه والقيمة والترتيب بأجمعه على حاله ويسير في البر الغربي من الخليج شاقا البساتين هنالك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويمتد فيه للقوم أحسن الايام ويمضي الوزير الى داره مخدوما على العادة * وقال في كتاب الذخائر والتحف ان المستعمل من الفضة قيمة العشاري المعروف بالقدم وقاربه وكسوة رحله في سنة ست وثلاثين وأربع مائة في وزارة علي ابن أحمد الجرجاني مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نفقة وأن المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفي غن ذهب لطلائه خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعمون وكانت الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع سبعة عشر درهما دينار ولما توفي أبو سعيد سهل التستري الواسطة سنة ست وثلاثين وأربع مائة استعمل لأم المستنصر عشاريا يعرف بالفضي وحلي رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة وطلابه بعضه ألفان وأربع مائة دينار سوى كسوة له بمال جاسيل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا يرسم التزه البحرية لا آلتها وحلاها من مناطق ورؤس منحوقات وأهله وصفريات وغير ذلك أربع مائة ألف دينار وكانت العادة عندهم اذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فيما كتب من انشاء تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي * أما بعد فان أحق ما وجبت به التهنئة والبشرى وغدت المسار متشرة تتوالى وتترى وكان من اللطائف التي غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذي يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد وعمارها وشمول المصالح وغزارتها وتفضي بتضاعف المنافع والخيرات وتكثر الارزاق والاقوات ويتساهم القائدة فيها جميع العباد وتنتهي البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد فأدع هذه النعمة قبلك وانشرها في كل من تدبر عملا وختمهم على مواصلة الشكر لهذه اللطاف الشاه له لهم ولك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى وكتب أيضا ان اولي ماضاعف به الابتهاج والجدل وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل ما عظم نفعه صامت الحيوان وناطقه وأحدث لكل احد اغتباطا لزمه وآلى أن لا يفارقه وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذي يحيي به كل أرض موات وتكسب بعد اقشعارها حلة النبات ويكون سببا لتوافر الاقوات فانه وفي المقدار الذي يحتاج اليه فلتدع هذه المننة في القاصي والداني لتستعمل الكفاية بينهم ضروب البشائر والتهاني ان شاء الله تعالى وكتب أيضا من لطف الله الواجب حمده اللازم شكره وفضله الذي لا يمل بشره ولا يسأم ذكره ومنه الذي استبشر به الانام ونضاعف فيه الانعام ومثل الله الحياقة في قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام أمر النيل المبارك الذي يعم النجود والتهائم وتنفع به الخلائق وترفع فيما يظهره البهائم وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره على رسمه في اظهاره مجملا وايصاله الى رسمه مكملًا واذا عت هذه النعمة على الكافة لیتسأهموا الاغتباط بها ويبالغوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى

* (منظرة الدكة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار المقيس فيما بينه وبين أراضي اللوق وما زالت باقية حتى زالت الدولة وحكم مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم

بخط الدكة فخرت المنطرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكان الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من السكرة بمظلمته يسير في البر الغربي ومضارب الناس والامراء وخيهم عن يمينه وشماله الى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده ويسبق منه الفرس الذي تحته وهي قضية ذكر المؤرخ للسيرة المأمونية أنهم كانوا يعتمدونها الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على التربة الآتي ذكرها ويدخل من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدرو حارات شهرتها تغني عن وصفها فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لا عزازدين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله كان بمنطرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعني انه مات بها

* (منطرة المقس) * وكان من جملة مناظرهم أيضا منطرة بجوار جامع المقس الذي تسميه العاشية اليوم جامع المقسى وكانت هذه المنطرة بحرى الجامع المذكور وهي مظلة على النيل الاعظم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنطرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرج فحضر رؤساء المراكب بالشواني وهي منسوبة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها في النيل حيث الآن الخليج الناصري تجاه الجامع وما وراء الخليج من غريبه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود كتب صاحب دمشق وحلب في سنة سبع عشرة وخسمائة ما بحث على غزو الفرج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الأمر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنطرة في أعلاه واستدعى مقدم الاسطول الثاني وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ما جرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبعل الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات البخارى بها العادة في الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا اكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منطرة يجلس فيها الخليفة يرسم وداعه يعني الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القوادى بالمراكب من مصر الى هناك للركبات في البحرين يديه وهي منسوبة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتخدر وتقلع بالجاذيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدي الخليفة المتقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو الجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى المتقدم مائة دينار والرئيس عشرين ديناراً وتخدر الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها يلاذ العدو وصيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وما عدا ذلك فلا اسطول واتفق مرة أن قدم على الاسطول سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحو مائة وعشرين رجلاً وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنطرة لاقائهم وأطلقوا الاسرى بين يديه تحت المنطرة من جانب البر فاستدعت الجبال ركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جل ظهر الظهر وعاد الخليفة الى القصر فجلس في إحدى مناظره لنظرهم في جوازهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات فصحب منهم ألف رجل فانضافوا الى من في المناخ وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن جل منهم للوزير نصيب وافر وأخذوا الجهات والاقارب بقيتهم فيستخدمونهم ويعلمونهم الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والكتابة ويقال لهم الترابي ومن استرب به من الاسرى وبه عليه بقوة أو وقع به والشيخ الذي لا ينتفع به يمضى فيه حكم السيف يمكن يقال له بئر المنسامة في الحرب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط انها فادت أسيرا بحال ولا بأسير مثله وهذه الحال في كل سنة أخذة في الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاسب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقد خربت هذه المنطرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف في الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ما هو عليه الآن في سنة سبعين وسبع مائة هـ هدم هذا البرج وجعل مكانه جنينة شمر في الجامع وتحدث الناس انه وجد فيه ما لا والله أعلم

* (منطرة البعل) * وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منطرة في بستان انيق يعرف بالبعل أنشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجبالى وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة

في جانب الخليج الغربي بحرى أرض الطبالة في كرم الريش مقابل قناطر الازوقد غربت المنظرة
وبقي منها آثار أدركتها يعطن بها الكنان تدل على عظمها وجلالها في حال عمارتها وكانت منظرة البعل من
أجل منتزهاتهم وكان لهم بها أوقات عممة الميراث جليدة الخيرات * قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء
فيكون ركوب الوزير من داره بالرهبة ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحي القاهرة للترهة في مثل
الروضة والمستهي ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منظرة
ممن فرش معلوم مستقر فيها من الايام الافضية للصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لقتدى الركاب
اليمين والشمال لكل واحد عشرون دينار وخمسون ربا عيا ولتالي مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة في كل كاغدة
ثلاثة دراهم ومائة كاغدة في كل كاغدة درهمان ولتالي مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فكل باب يخرج
منه من البلدي دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة
دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه ربا عي ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال
والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة ديناران ويكون مع هذا متولى صناديق الاتفاق يجلب
الخليفة ويده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لماعساه يومه به فاذا حصل في احدى المناظر المذكورة فترق
من العين ما يبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للحواشي والاستاذين
وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمخمين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها
طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات
وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقية ذلك بأسماء أربابه ورأسا بقدر برسم الهرايس فاذا جلس الخليفة على
المائدة استمدى الوزير وخواصه ومن جرت العادة يجلسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته
بحضورها جل اليه من بين يدي الخليفة على سبيل التشریف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولى
الدقمة قدي الركاب على ما أنفق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة وأما تفرقة الصدقات
فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى المادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام
ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الاتفاق أن يكون معه خريطة في السبرج ديباج تسمى خريطة الموكب
فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه في حال الركوب

* (منظرة التاج) * هي من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للترهة بناها الافضل بن أمير الجيوش
وكان لها فرش معدة لها للشتاء والصيف وقد غربت ولم يبق لها سوى أثر كرم توجد تحته الحجارة الكبار
وما حول هذا الكوم صار من اروع من جملة أراضى منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج
فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخس وجوه التي هي باقية

* (منظرة الخس وجوه) * كانت أيضا من مناظرهم التي يتزهون فيها وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش
وكان لها فرش معدة لها وبقي منها آثار بناء جليل على بئر تسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل
الماء لسقي البستان العظيم الوصف البديع الزى البهي الهيئة والعمامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن
وموضعها الى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة وتبت هنالك في أيام النيل عند ما يمعم تلك الاراضى البشينة
قتقتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته فاذا انضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكثا نا يقصر
الوصف عن تعداد حسنه وأدركت حول الخس وجوه غرو سامي تغل وغيره تشبه أن تكون من بقايا
البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم ان السلطان الملك المؤيد شيخ الحمودى الظاهري جدد عمارة
منظرة فوق الخس وجوه ابتداء بناءها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين
وثمانمائة

* (منظرة باب الفتوح) * وكان للخلفاء الفاطميين منظرة خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب
الفتوح براحا فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض
العساكرووداعها اذا سارت في البر الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعنى المحرم سنة
سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طغتكين صاحب دوشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب

الى الخليفة الآخر باحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا التقييل الارض كما جرت العادة من
 اظهار التجميل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تضافرت بقله
 الفرغ بالاعمال الفلسطينية والثغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم وأنهم
 ينتظرون انعام الدولة العلوية وعوايد افضالها ويستنصرون بقوتهم ويحثون على نصره الاسلام وقطع دابر الكفر
 وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لئلا يتواصل مدددهم وتعود
 الى القوة شوكتهم فتقوى العزم على النفقة في العساكر فارسلها وراجلها وتجهزها وتقدم الى الازمة باحضار
 الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة في الفرسان بين يدي الخليفة في قاعة الذهب وأحضر الوزان وصناديق المال
 وأفرغت الاكياس على البساط واستقر الحال بعد ذلك في الدار المأمونية وتردد الرأي فيمن يتقدم فوق الاتفاق
 على حسام الملك البرني وأحضر مقدم الاساطيل الثانية لان الاساطيل توجهت في الغزو وخلع عليه وأمر بأن
 ينزل الى الصناعتين بمصر والجزيرة ويتفق في أربعين شينياً ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها بحجة
 العسكر وأنفق في عشرين من الاعراء للتوجه بحجته فكملت النفقة في الفارس والراجل وفي الامراء
 السائرين وفي الاطباء والمؤذنين والقزاة ونذب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة ففهم من يتولى خزانه
 الخيام وسير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم ومنهم حاجب على خزان
 السلاح وأنفق في عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر وفي كتاب العربان وأحضر مقدمو الخراسين
 بالخير وتقدم اليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا اقطاع وكتب الكتب
 الى المستخدين بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان باطلاق وابتاع ما يستدعي برسم الاسمطة على
 ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والفلال ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين وكتبت
 الاجوبة عن كتبهم وجهاز المال والخلع المذهبات والاطواق والسيوف والمناطق الذهب والخليل بالمراكب
 الخلي النقال وغير ذلك من التجملات وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير وسلمت اليهم الكتب والتذاكر
 وتوجهوا بحجة العسكر وركب الخليفة الآخر بأحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى
 حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون
 للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير متقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعد به انجزته وما قرره
 امضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب
 بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدماه وفتحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر
 الخليفة قبلوا الارض فأشار اليهم بالتوجه فصاروا بأجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس
 بالمنظرة واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

* (منظرة الصناعة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرته بالصناعة في الساحل القديم من مصر يجلس بها
 الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة
 ديوان العمائر وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التي هي فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودلهيها ما د
 بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزير او قد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعها الآن
 بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف في زمننا هذا الذي نحن فيه الآن ببستان الطواشي وهو
 بأول مرأغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد البصرة وباب مصر قال ابن المأمون
 وكانت جميع مراكب الاساطيل ما تنشأ الا بالصناعة التي بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بان يكون
 انشاء الشواني وغيرهما من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزيب وأنشأ المنظرة بها
 واسمها باق الى الآن عليها وقد بدلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدم الاساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة
 وأن يكون ما ينشأ من الجرائن والشنديات في الصناعة بالجزيرة قال ولما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ركب
 الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا في احدها الى المقياس وقال
 ابن الطوير الخدمة في ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول
 والمراكب الجاهلة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت ترتدي على خمسين عشاريا ويلها عشرون ديماسا

منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليفة وغيرها ولكل منها رئيس ونواب لا يبرحون يتفق فيهم من مال هذا الديوان وبقيّة العشاريات الدواميس برسم ولاية الاعمال المميزة فهي تجرّ لهم ويتفق في رؤسائها وأرجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فإذا صرف عاد فيه وخرج المتولى الجديد في العشارى المرسى بالصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقة والاتفاق فيه وللمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفي هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى في الاساطيل نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الخواصل لعمارة المراكب شيء كثير وإذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال ما يستدّخله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الخربية والشنديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان فصل جامكية كل منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنانير ثم الى عمانية ثم الى دينارين وهي أقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيه من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرياسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه القانوس وكلهم يتدّون به ويقلعون بأقلاعه ويرسون بارسائه ويقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان الامراء وأقواهم جنائنا ويتولى النفقة فيهم للغزو والخليفة بنفسه بحضور الوزير فإذا أراد النفقة فيمتنعين من عدة المراكب السائرة وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر جمالة فيستقدم الى النقباء باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقيباً ولا يعترض أحد أحداً الا من رغب في ذلك من نفسه فإذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم انقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة بالحال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته في مجلس ويجلس الوزير في مكانه ويحضر صاحب ديوان الجيش وهما المستوفى وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له مميزة وكتاب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يتخلو المستوفى أن يكون عدلاً أو من أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فهو دى في الاغلب ويفرش أمام المجلس أنطاع نصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون بيت المال لذلك فإذا اتهموا بالانفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون في آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماءهم قد رتبت في أوراق لا استدعائهم بين يدي الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق واحداً واحداً فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه الى الجانب الخالى فإذا اكتمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنانير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهماً فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتغضى النفقة كذلك الى آخرها فإذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدي الخليفة وانقض ذلك الجمع فيحمل من عند الخليفة مائة يقال لها عداة الوزير وهي سبع مجيفات أو ساط احداها بالحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهي مكمورة بالازهار فتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرقة فإذا اكتملت النفقة وتجهزت المراكب وهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وذكر ابن أبي طي أن المعز لدين الله أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلهما في البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقس

* (دار الملك) * وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش ابتدأ في بنائها وانشائها في سنة احدى وخمسمائة فلما كملت تحوّل اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول اليها الدواوين من القصر فصارت بها وأجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلساً سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة متمزحات الخلفاء وكان بها بستان عظيم وما زالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب دار متجر ثم عملت في أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة وموضع دار الملك ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقي منها جدار يجلس تحته يباعوا الخناء قال ابن المأمون ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر السلطنة أن

المجلس الذي يجلس فيه الافضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل في سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار في كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرابه حري كسيرة من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال في مجلس العطايا الذي يرسم الجلوس وعند مرتبة الافضل بقاعة اللؤلؤة طرفان أحدهما دنانير والآخر دراهم جدد فالذي في اللؤلؤة يرسم ما يستدعيه الافضل اذا كان عند الحرم وأما الذي في مجلس العطايا فان جميع الشعراء لم يكن لهم في الايام الافضية ولا فيما قبلها على الشعراء وانما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسنه لشعر من أنشد منهم ما يسلمه الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف وكذلك من يتضرع ويسأل في طلب صدقة أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف واذا انصرف الحاضر ونزل القائد المبلغ بخطه في البطاقة ويكتب عليه الافضل بخطه صح ويعد الى الطرف ويختم عليه فلما استهل رجب من سنة اثنى عشرة وخمسة ووجلس الافضل في مجلس العطايا على عادته وحضر الاجل المظفر أخوه للهناء وجلس بين يديه وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها ووضوع مبلغها واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارية بها العادة في مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات بالقرافة وقرائنها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة في أول العام وحضور الفرة ويتقطع الركوب بعد هذا اليوم الذي هو أول العام فيركبون في أحاد الايام الى أن يكمل شهر ولا يتعدى ذلك يوم السبت والثلاثا فاذا عزم الخليفة على الركوب في احده هذه الايام اعلم بذلك وعلامته انفاق الاسلحة في صبيان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ماسواهاوا كثر ذلك الى مصر ويركب الوزير صحبه من ورائه على اخضر من النظام المتقدم يعني في ركوب أول العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولوني على المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانماط الى الجامع العتيق فاذا وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بحصر معلق عليها سجادة وفي يده المصحف المنسوب خطه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من حاصله فاذا اوازاه وقف في موضعه وناول المصحف من يده فيتمسكه منه ويقبله ويتركه من اراد يعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلاة ثلاثين دينارا وهي رسمه متى اجتاز به فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبهم منها خمسة عشر دينارا والباقي للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فينزلها والوزير معه ومنه يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لا يمر بمسجد الا أعطى قيمة من الخريطة دينار فلا يزال بدار الملك نهاره قتاتيه المائدة من القصر وعدتها خمسون شدة على رؤس القراشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدة فيها طيفور فيها الاواني الخاص وفيها من الاطعمة الخاص من كل نوع شهى وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدة طرحة حري تعلق القوارة التي هي الشدة فيحمل الى الوزير منها جزءا فاولن صحبه وللأمراء ولكافة الحاضرين في الخدمة ويصل منها الى الناس بمصر من بعضهم بعضا شئ كثير ولا يزال الى أن يؤذن عليه بالعصر فيصل ويحتل الى العود الى القاهرة والناس في طريقه لنظره فيركب وزيه في هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والملمونة والمنديل من النسبة وهو مشدود شدة مفردة عن شدة الناس وذواته مرخاة من جانبه الايسر ويتقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا منظر ولا يتيمه فان ذلك في اوقات مخصوصة ولا يمر أيضا بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالساحل الا ويعطى قيمة دينار أيضا كما جرى في الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فيكون ذلك من المحرم الى شهر رمضان اما أربع مرات أو خمس مرات ومن شعر الاسعد اسعد بن مهذب بن زكريا بن أبي مليح مما في دار الملك هذه

حللت بدار الملك والنيل آخذ * بأطرافها والموج يوسعها ضربا
نخيلته قد غار لما وطئتها * عليها فأضحي عند ذلك لها حربا

*(منازل العز) *

بنها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مظلة على النيل لا يجهبها شيء
عن نظره وما زال الخلفاء من بعد المعز يسدوا لونها وكانت معدة لنزهتهم وكان يجوارها حمام وله منها باب
وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المنظر تقي الدين عمرو بن شاهنشاه بن نجم الدين
أيوب بن شادي

* (الهودج) * وكان من منزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناء في جزيرة القسطنطين التي تعرف
اليوم بالروضة يقال له الهودج بناء الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية التي غلب عليه حبها بجوار
البيستان المختار وكان يتردد إليه كثيرا وقتل وهو متوجه إليه وما زال منزهها للخلفاء من بعده قال ابن سعيد
في كتاب المحلى بالشعار قال القرطبي في تاريخه تذكر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها
وما يتعلق بذلك من ذكر الأمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة
وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال إن الأمر كان قد بلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون
بالبوادي فبلغه أن جارية بالصعيد من أهل العرب وأطرفهم شاعرة جميلة فيقال إنه تزيارى بداءة الأعراب
وكان يجول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حياها وبات هناك في ضائقة وتحيل حتى عاينها هناك فمالك صبره
ورجع إلى مقر ملكه وأرسل إلى أهلها يخبطها وتزوجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأحبت
أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة القسطنطين
المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة بالخاطر بابن عمها ربيت معه يعرف
بابن مياح فكثرت إليه من قصر الأمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قدم ملكا
كنت في حي مطاعا أمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مرصد * لا أرى إلا خيشا ممسكا
كم تنسنا كاعصان اللوا * حيث لا تخشى علينا دركا

فأجابها

بنت عمي والتي غديتها * بالهوى حتى علا واحتبسا
بجت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الأمر اليه اشتكى * مالك وهو الذي قدم ملكا

قال وللناس في طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طي في قصر الأمر طراد بن مهلهل
النسبي فبلغته هذه القضية فقال

ألا بلغوا الأمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقصالي
قطعت الألفين عن ألفه * بها سمع الحى بين الرجال
كذا كان أبأول الأكرمون * سالت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الأمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب في أحياء العرب فلم يوجد فقالت
العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن
عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه
ظافر الحداد وأمية بن أبي الصلت وغيرهما وكان له بستان يفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة
وينحدر فيه الماء فيسقى كالبركة من كبره وكان يجدي نفسه برؤيته زيادة على أهل التسم والمباهاة في عصره فوشى
به للبدوية محبوبة الأمر فسألت الخليفة الأمر في جمل الجرن إليها فأرسل إلى ابن حديد باحضار الجرن فلم يجد
بدا من جملة من البستان فلما صار إلى الأمر أمر بعمله في الهودج فقلق ابن حديد وصارت في قلبه حرارة من
أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت
البدوية هذا الرجل أنجنا بكثرة تحفه ولم يكفنا قط أمر انقدر عليه عند الخليفة ولانا لما قيل له هذا القول عنها
قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها في عز غير رد الفسقية التي قلعته من داري التي بنيتها

في أيامهم من نعمتهم ترد إلى مكانها فتعجب من ذلك وردتها عليه فقبل له حصلت في حد أن خبرتك البدوية في
جميع المطالب فترت همته إلى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك
الحجر من مكانه وقد بلغها الله أمله و كان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الأمر وبلغ
من علو همته وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحي لما قلده الأمر ولاية
نجر الاسكندرية في سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف إليه الأعمال البحرية ووصل إلى الثغر ووصف له
الطيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور فأمر في الحال بعض علمائه بالمضى إلى داره لا حضار دهن شمع
فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا أن أحضر حقا محتوما فلك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف
بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بسمك وبيت دهن
بكافور وبيت دهن بغير طيب ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته فعند ما حضره الرسول تعجب المؤمن
والحاضرون من علو همته فعند ما شاهد القاضى ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام أن عاد إلى ملكه فكان
جواب المؤمن قد قبلته منك الحاجة إليه ولا تنظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة وادعته أن قيمة هذا
المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله إلى من يكون دهن الشمع عنده في أثناء قيمته خمسمائة دينار
ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه البتة فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من
التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة إلى أعيان الدولة بالحضرة
وما نسبة أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم إلى أمر الخلافة وأهميتها لا يسير حقير وما زال الخليفة الأمر
يترد إلى اليهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد
اليهودج وقد كن له عدة من التزارية في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوشوا عليه وأنخنوه بالجراحة
حتى هلك وحمل في العشارى إلى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل أن يصل إليها وقد خرب هذا اليهودج وجهل مكانه
من الروضة ولله عاقبة الامور

* (قصر القرافة) * وكان لهم بالقرافة قصر بنىته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز في سنة ست وستين
وثلاثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو والحمام الذى في غريبه وبنى البئر والبستان
وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار في اتقان بنيانه وصحة أركانه وله منظر مليحة
كبيرة محمولة على قبو ما يتجاوز المارة من تحته ويقبل المسافرون في أيام القيظ هناك ويركب الركب إليه على
زلافة وكان كاحسن ما يكون من البناء وتحت حوض لسقي الدواب يوم الحول فيه وكان مكانه بالقرب من
مسجد الفتح ولما كان في سنة عشرين وأربع مائة جدد الخليفة الأمر وعمل تحته مصطبة للصوفية
وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والجوامع بالاولوية موضوعة بين ايديهم
والشموع الكثيرة تنهر وقد ببطحتهم حصر من فوقها بسط ومدت لهم الاسطحة التي عليها كل نوع لذيق ولون
شهى من الاطعمة والحولى أصنافا مصنفة فانفق أن تواجده الشيخ ابو عبد الله بن الجوهري الواعظ ومزق
مرفقه وقرئت على العادة خرقا وسأل الشيخ ابواسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقرئ خرقه منها ووضعها
في راسه فلما فرغ التمزيق قال الخليفة الأمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة يا شيخ أبا سمحى قال ليك يا مولانا قال
ابن خرقى فقال بحسبنا في الحال ها هي على رأسي يا أمير المؤمنين فاستحسن الأمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر
في الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية فقرئت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ونثر
عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار فتحاطفها الحاضرون ونعاهد المغر بلون الارض التي هناك اياما
لا خدما يواريه التراب وما برح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم في شهر ربيع الآخر سنة
سبع وستين وخمسمائة

* (المنظرة ببركة الحبش) * وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف ابو عبد الله محمد الجواني
في كتاب النقط على الخطط ان الخليفة الأمر بأحكام الله بنى على المنظرة التي يقال لها بركة الحركة منظرة من
خشب مدهونة فيها طافات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من
كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكر الحركة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة

كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الآخر وقرأ الاشعار أمر أن يحط على كل رف صرة محتومة فيها خمسون دينارا وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صرهم وكانوا عدة شعراء

*** (البساتين) *** وكان الخلفاء عدة بساتين يتزهون بها منها البساتين الجيوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والاخر يمتد من خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذي كان يجاور بستان البعل عمل له سورامثل سور القاهرة وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى تحمل ثمانية أراذب وبني في وسط البحر منظره محمولة على اربع عواميد من احسن الرخام وحققها بشجر النارج فكان نارنجها لا يتقطع حتى يتساقط وسلط على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار وكان يملأ في عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسجوعة شيئا كثيرا واستخدم للحمام الذي كان به عدة مطيرين وعمره أبراجا عدة للحمام والطيور المسجوعة وسرح فيه كثيرا من الطاووس وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لكل منهما أربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزره بالحرير العبداني وعلى ابوابه اسلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منها الا السلطان وأولاده وأقاربه *** قال ابن عبد الظاهر** وافقت جماعة على أن الذي يشتمل عليه مبيعهم ما في السنة من زهر وغرنيف وثلاثون ألف دينار وانها لا تقوم بموتهم ما على حكم اليقين لا الشك وكان الخاضع بالبستان الكبير والحصن الى آخر الايام الاحمريه وهى سنة أربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأسا من البقر ومن الجبال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكر أن الذى دار سور البستانين من سنط وجيز وأثل من أول حدهما الشرقى وهو ركن بركة الارمن مع حدهما البحرى والغربى جميعا الى آخر زقاق الكحل في هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف ومائتا شجرة وبقي قبلهما جميعا لم يحصن وان السنط تغصن حتى لحق بالجيز في العظم وان معظم قرطه يسقط الى الطريق فيأخذها الناس وبعد ذلك يباع بأربع مائة دينار وكان به كل ثمرة لها دوية مفردة وعليها اسياح وفيها نخل منقوش في ألواح عليها برسم الخاص لاتبجى الابطحور المشارف وكان فيهما ليعون تفاحى يوكل بقشره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم مدة ايام الوزير المأمون لم يخرج عنهم وكشف ذلك في ايام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جلا وقوم ما عليهم ما من الاثل والجيز فكانت قيمته مائتي ألف دينار وطلب الامير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه فتشفع اليه وقومت بسبعين دينارا فرفض الخليفة ان كانت وسط البستان تقطع والا فلا ولم اجزى في آخر ايام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت ابقاره وجماله ونهب ما فيه من الآلات والانتقاض ولم يبق الا الجيز والسنط والاثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جلة الحبس الجيوشى وهو أن أمير الجيوش بدر الجمالى حبس عدة بلاد وغيرهما منها في البر الشرقى بناحية بهيت والاميرية والمنية وفي البر الغربى بناحية سقط ونهيا ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين باجرة يسيرة وصار يزرع في الشرقى منه السكتان ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنائير ونصفا وربعا من كل فدان فيمتلأ لون فيه ربحا جزيل لا يتسهم فلما بعد العهد انقضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل فصار للدوان الساطاني يتصرف فيه ويحمل متحصلة مع اموال بيت المال وتلاشت البساتين وبني في اماكنها ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبني العزيز بالله بستانا بناحية سردوس

*** (قبة الهواء) *** وكان من احسن منتزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهى مستشرف بهج بديع فيما بين الساج والخس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم وهذه القبة فرش معدة في الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة في ايام الركوبات التي هى يوم السبت والثلاثاء

*** (بحر أبى المنجا) *** وكان من منتزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا قال ابن المأمون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الا من السردوسى ومن الصامص ومن المواضع البعيدة فكان اكثرها يشرق في اكثر السنين وكان ابو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فتضرر المزارعون اليه وسألوا في فتح ترعة يصل الماء منها في استدانهم فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة وركب الافضل بن أمير

الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي وجميع اخوته والعساكر تحاذيه في البر
 وجعت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص في البحر وصار العشاري والمراكب
 تتبعها إلى أن رماها الموج إلى الموضع الذي حفر وأفسه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفي كل سنة تبين الفائدة
 فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهون الغرامة عليه * ولما عرض على الأفضل جلة ما أنفق فيه استعظمه
 وقال غرنا هذا المال جميعه والاسم لأبي المنجا فغير اسمه ودعى بالبحر الأفضل فلم يتم ذلك ولم يعرف إلا بأبي المنجا
 ثم جرى بين أبي المنجا وبين أبي الليث صاحب الديوان بسبب الذي أنفق خطوط أدت إلى اعتقال أبي المنجا
 عدة سنين ثم نفى إلى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يلطف بحاله إلى
 تضاعف من عبدة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا أبو المنجا هو جد بني صغير
 الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبي المنجا في الاسكندرية في مكان بمفرده مضيقا عليه تحمّل
 في تحصيل مصحف وكتب ختمه وكتب في آخرها كتبها أبو المنجا اليهودي وبعثها إلى السوق ليبيعه فقامت قيامة
 أهل الثغر وطولع بأمره إلى الخليفة فأخرج وقيل له ما حالك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فأدب وأطلق
 سبيله وقيل أنه كان في محبسه حية عظيمة فأحضر إليه في بعض الأيام لبن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت
 بحرها فصارت في كل يوم يحضر لها لبنا فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذ ولم تؤلم إلى أن أمون البطائحي
 وزارة الأمر بأحكام الله بعد الأفضل بن أمير الجيوش تحدث الأمر معه في رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له
 يوم كخليج القاهرة فنسب الأمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان وكيّله وأمره بأن يبنى على مكان
 السد منظره تسعة تكون من بحرى السد وشرع في عمارتها بعد كمال النيل وما زال يوم فتح سد هذا البحر يوما
 مشهودا إلى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجزوا الحال فيه على
 ما كان قال القاضي الفاضل في مجتدات سنة سبع وسبعين وخسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح
 الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المنجا وعاد قال وفي سنة تسعين وخسمائة كسر بحر أبي المنجا بعد أن تأخر
 كسره عن عيد الصليب بسبعة أيام وكان ذلك لقصور النيل في هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز
 عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي كسره وبدأت في
 هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجب سوء الأفعال من المجاهرة بالمنكرات والاعلان بالفواحش وقد أفرط
 هذا الأمر واشترك فيه الأمر والمأمور ولم ينسلخ شهر رمضان الا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله في الاسلام
 وبدا عقاب الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظهره فان المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال
 والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأيدي الرجال تنال منها ما تنال في الخلوات والطبول والعيدان مرتفعات
 الاصوات والصنجات واستنابوا في الليل عن الخمر بالماء والخلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقربت
 المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الأمر إلى السلطان فنسب حاجبه في بعض
 الليالي ففرق منهم من وجده في الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد في بعض المعادى خرا
 فأراقه ولما استهل شوال وهو مظموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو
 والعافية عن الكبار والتجاوز عما تسقط فيه المعاذر * وقال في سنة اثنين وتسعين وخسمائة كسر بحر
 أبي المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه اصبعها وهي الاصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا
 الحديث يسمى عند أهل مصر الجعة الكبرى وقد تلاشى في زمننا امر الاجتماع في يوم فتح سد بحر أبي المنجا وقل
 الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة

* (قصر الورد بالخاقانية) * وكان من أيام منتزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهي قرية من
 قرى قلوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المنتزهات المصرية
 وكان به عادة دورات يزرع فيها الورد فيسير إليها الخليفة يوما ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة
 عظيمة * قال ابن الطوير عن الخليفة الأمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من
 ورد فسار إليها يوما وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هناك خرج إليه أمير يقال له حسام الملك من الأمراء
 الذين كانوا مع المؤمن أخي المأمون البطائحي وتخاذلوا عنه فوصل إلى الخاقانية وهو لا بس لامة حربه

والتمس المشول بين يديه يعني الخليفة فاستقل ما جاء به في ذلك الوقت مما يتأني ما فيه الخليفة من الراحة والزهة وحيل يئنه وبين مقصوده فقال للجامعة من حواشي الخليفة انتم متناقضون على الخليفة ان لم اصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يا مولانا لمن تركت اعداءك يعني الوزير للمأمون البطائحي وأخاه وكان الأمر قد قبض عليهم واعتقلهم هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر فأجابوه على الرهاويج من الخيل فلم تمض ساعة الا وهو بالقصر فضي الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذي كان سيره المأمون في وزارته الى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية تزار بن المستنصر لما خرجت من القصر وهي به حامل ويدعو اليه بقية الناس وأحضر الى القاهرة على جبل مشوه فأدخل خزانة البنود وقتل هو والمأمون وجماعة في تلك الليلة وصلوا بظاهر القاهرة

* (بركة الحب) * هي بظاهر القاهرة من بحرها وتسمي العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه بركة الحاج لنزول الحاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج في كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هي أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء الجبجي من بني القرناء نسبت هذه الارض اليه فقبل لها أرض جب عميرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة هذا وهو موضع زهرة بيضة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربما حمل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء ويسقيه من معه وأنشده مرة الشريف ابو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقبلي في يوم عرفة

قم فأنخر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضح ضحى الابصه —————
وادرك حجج الندى قبل نفرهم * الى منى قصفه ————— مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء متسكرا * فطف بها حول ركن العود والناء

قال ابن دحية فخرج في ساعته بروايا النحر ترحي بغيمات حدادة الملاهي وتساق حتى أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق فأقام بها سوق الفسوق على ساق وفي ذلك العام أخذه الله تعالى واهل مصر بالسنين حتى بيع في ايامه الرغيف بالثمن العيين وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالغسلين ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين وقال ابن ميسر فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربع مائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الحب فاتفق أن بعض الأتراك جرّد سيفاً في سكر منه على بعض عبدة الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الأتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ما وقع وتبرأ مما فعله العبيد فجمع الأتراك لحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتمتد بهم بالاموال والاسلحة فاتفق في بعض الايام أن بعض الأتراك ظفر بشيء مما تبعث به أم المستنصر الى العبيد فأعلم بذلك أصحابه وقد قويت شوكتهم بانهم زام العبيد فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه في ذلك وأغلظوا في القول وجهروا بما لا ينبغي وصاروا السيف قائما والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان وكان من قبل المستنصر يترددون الى بركة الحب قال المسيحي ولا تفتي عشرة خلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الحب فنصب له مضرب ديباج رومي فيه ألف ثوب بصفوية فضة ونصبت له فائزة منقل وقبة منقل بالجواهر وضرب لابنه الامير أبي علي منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عدتها مائة عسكري وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوم عظيم احسننا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب وما زالت بركة الحب منتزها للخلفاء والملوك من بني ايوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقم في الايام وفعل ذلك الملوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبني بها احواشا وميداناً كسبياً في ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الحب وما يليها في درك بني صبرة وهم ينسبون الى صبرة

ابن بطيخ بن مغالة بن دحمان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن اريش بن ارش بن جزيلة
ابن لخم فهم أحد بطون لخم وفيهم بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن
جذام أخى لخم

(المشتهى) وكان من مواضعهم التي أعدت للزهوة المشتهى

(ذكر الايام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم)

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة وموسم أول العام ويوم
عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد
الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليهما السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة أول رجب
وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة
الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد القدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم
فتح الخليج ويوم النوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخمس العدس وأيام الركوبات

(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أول المحرم في كل عام لأنها أول ليالي السنة
وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بطيخ القصر عدة كثيرة من الخراف المقموم
والكثير من الرؤس المقموم وتفرق على جميع أرباب الرتب واصحاب الدواوين من العوالم والادوان أرباب
السيوف والاقلام مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء فيسمع ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهانه
والاستاذين المحنكين الى أرباب الضوء وهم المشاعلية ويتنقل ذلك في ايدي اهل القاهرة ومصر

(موسم أول العام) وكان لهم باول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزيه المنعم وهيئته العظيمة
كما تقدم ويفرق فيه دنائير الغرة التي مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق من السماط الذي يعمل بالقصر
لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والاقلام بتقرر مرتب خرفان شواء وزيادى طعام وجامات حلواء
وخبز وقطع منقوخة من سكر وأرز بلين وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يحبل وصفه ويتسبطون بما يصل اليهم
من دنائير الغرة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن
وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فأنظره وكان يصل الى الناس منه شئ كثير فلما زالت الدولة اتخذ
الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتسبطون في المطاعم ويصنعون
الحلوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الجاهل
في ايام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آثاف الشيعة على بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم
عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لأنه قتل فيه وقد أدركا بقايا ما عمله بنو أيوب من اتخاذ
يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاعتداء بفعل الساق فقط * وما
أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء
عندما اخر عنه ما كلن من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي * والسيد بن السيد بن السيد

أقسم بالفرد العلى الصمد * ان لم يدار لخباز مو عبدى

لا حضرت للهـ في غد * مكمل العينين مخضوب اليد

يعرض للشر يف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء بهيمة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه
من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في التعريض فقلته دره

(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم عمل الخليفة الحافظ لدين الله لانه اليوم الذي ظهر فيه من
محبيه ويفعل فيه ما يفعل في الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة وكتب فيه ابو القاسم على
ابن الصيرفي الى بعض الخطباء عيد النصر وهو أفضل الاعياد وأسناها وأعلاها وأدلها على تقصير الواصف

اذابلع وتنأهى ونحن نأمر أن تبرز في يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على
المهيسة التي جرت العادة بمنزلها في الاعياد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التي سبناها اليك قرين هذا
الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعمد في ذلك ما جرى الرسم فيه
في كل عيد وتنتهي فيه الى الغاية التي ليس عليها مزيد فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى
* (الموالي الستة) كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشب كمنافع وحلوا
كما تزدك

* (اليالى الوقود الاربع) * كانت من أبعج الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل اوب وتصل الى
الناس فيها انواع من البر ونعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشهد فانظره في موضعه تجده
* (موسم شهر رمضان) * وكان لهم في شهر رمضان عدة أنواع من البر منها كشف المساجد قال الشريف
الجواني في كتاب النقط كان القضاء بمصر اذا بقي اشهر رمضان ثلاثة ايام طافوا يوماً على المشاهد والمساجد
بالقاهرة ومصر فيبدؤن بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس
لنظر حصر ذلك وقناده وعمارته وازالة شعشه وكان اكثر الناس من يلوذ بباب الحكم والشهود والطفيلون
يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضي لحضور السماط

* (ابطال المسكرات) * قال ابن المأمون وكانت العادة جارية من الايام الافضلية في آخر جادى الآخرة من
كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون
لما ولي الوزارة بعد الفضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاه
الاعمال وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شيء من المسكرات أو لشراؤه سراً أو جهراً فقد عرّض نفسه لتلافها
وبرئت الذمة من هلاكها

* (ومنها غرة رمضان) * وكان في أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب
والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب فيعم ذلك سائر
أهل الدولة ويقال لذلك غرة رمضان

* (ومنها ركوب الخليفة في أول شهر رمضان) * قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتم بركوب أول شهر
رمضان وهو يوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجري أمره في اللباس والآلات والاسلحة والعرض والركوب
والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه في أول العام لا يحتل بوجه ويكتب الى الولاة والنواب
والاعمال بمسايطر مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة

* (ومنها سماط شهر رمضان) * وقد تقدم ذكر السماط في قاعة الذهب من القصر
* (سحور الخليفة) * قال ابن المأمون وقد ذكر أسمة رمضان وجاوس الخليفة بعد ذلك في الروشن الى وقت
السحور والمقرئون تحته يتلون عشر ابيطرون بحيث يشاهد هم الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون واخذوا
في التكبير وذكروا فضائل السحور وختموا بالدعاء وقد تمت الخدات للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة
والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ولم يزلوا الى أن انقضى من الليل اكثر من نصفه فحضر بين يدي الخليفة
استاذ بغانم به عليهم وعلى القراشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا وملأوا
الكاهم وفضل عنهم ما تحفظه القراشون ثم جلس الخليفة في السدلا التي كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة
معبأة بجميعها من جميع الحيوان وغيره والقعدة الكبيرة الخاصة بمملوءة أو ساطه بالهمة المعروفة وحضر
الجلساء واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه وأما الخليفة بأن يستعمل من القعدة فيقرق القراشون عليهم اجمعين
وكل من تناول شيئاً قام وقبل الارض وأخدمه على سبيل البركة لاولاده واهله لان ذلك كان مستقاضاً
عندهم غير معيب على فاعله ثم قدمت السحور الصبني بمملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة العفاية وقام
الخليفة وجلس بالبازنج وبين يديه السحورات المطيبات من لبنين وطب ومخض وعدة انواع عصارات
وافطوات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقاويات وموز ثم يكون بين يديه صينية ذهب بمملوءة سقوفاً وحضر
الجلساء وأخذ كل منهم في تقبيل الارض والسؤال بما ينعم عليه منه فتناولوا المستخدمون والاستاذون

وفرقوه فأخذهم القوم في أكمامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا

* (ومنها الختم في آخر رمضان) * وكان يعمل في التاسع والعشرين منه * قال ابن المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السكوك بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار إلى القصر الفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلوا على عاداتهم وجلسوا تحت الروشن وحل من عند معظم الجهات والسيدات والميزات من أهل القصور ثلاثي وموكيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقى وجعلها أمام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن الكريم واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريعا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع القراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهلموا وأخذوا في الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دنانير ودراهم ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عاداتهم وملاوا أكمامهم ثم خرج استأذن من باب الدار الجديدة بخلع خلعهما على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

* (ذكر مذاهم في أول الشهر) *

اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلبوا حتى عدوا من غلاة أهل الرضى وللشيعة في أثناء الشهر وعمل أحسن ما رأيت فيه ما حكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال وفي سنين من الهجرة فحمت ناجة لاجل أخذهم بالنأويل إلى اليهود والنصارى فإذا لهم جداول وحسابات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم والمسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال وتفقد ما اكتسبوا من النور وجدوا وهم شاكين في ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضا في عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا إلى أصحاب علم الهيئة فألفوا زيجاتهم مقيمة بمعرفة أوائل ما يراهم من شهور العرب بصنوف الحسابات فظنوا أنهم معمولون لرؤية الألهة فأخذوا بعضها ونسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وزعموا أنه سر من أسرار النبوة وتلك الحسابات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعبد تدلة ومعمولة على سنة القمر التي هي ثلثة مائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر نافضة وأن كل نافص منها فهو ثلثة مائة فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال فأولوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معنى صوموا لرؤيته أي صوموا اليوم الذي يرى في عشيته كما يقال تهيموا بالاستقبال فيتهدم التهمؤ على الاستقبال قال ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا

قوله وفي سنين الخ هكذا هذه العبارة موجودة في جميع النسخ التي يدي ولا يخفى ما فيها من الركاكة والسقامة فلتحذر بمراجعة أصلها اهـ

* (قافله الحاج) * قال في كتاب الذخائر والتحف أن المنفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطيب والحلواء والشمع راتبا في كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها في غن الحمايات والصدقات وأجرة الجبال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار وأن النفقة كانت في أيام الوزير البازوري قد زادت في كل سنة وبلغت إلى مائتي ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول

* (موسم عيد الفطر) * وكان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السماط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق

* (عيد النحر) * فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لأرباب الخدم من أهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الأضاحي كما ذكر ذلك مبينا في موضعه من هذا الكتاب

* (عيد الغدير) * فيه تزويج الأياشي وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وأرضيائها والاستأذنين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضا وتفرقة الخائز على أرباب الرسوم وعمق

الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم
 * (كسوة الشتاء والصيف) * وكان لهم في كل من فصلى الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة
 وعلى أولادهم ونسائهم وقد مر ذكر ذلك
 * (موسم فتح الخليج) * وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البر منها الركوب لتخليق المقياس ومبيت
 القتراء بجامع المقياس وتشريف ابن أبي الرذاذ بالطلع وغير هاوركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على
 أرباب الدولة من الكسوة والعين والماء كل والتحف وقد تم تفصيل ذلك

* (ذكر النوروز) *

وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم فتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات
 وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز * قال ابن
 زولاق وفي هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في
 السكك ومن صب الماء يوم النوروز وقال في سنة أربع وستين وثلاثمائة وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء
 ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا
 السماجات والخلي في الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فخبسوا وأخذ
 قوم فطيف بهم على الجال وقال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الأمير بأحكام الله
 أن يحضر الى دار الملك في النوروز الكائن في جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليه الافضل بن أمير
 الجيوش فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن فان الافضل لا يجرى مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب
 الفاخرة برسم النوروز للجهات ماله قيمة جلية وقال ابن المأمون وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة
 سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز ونظر الاسكندرية مع ما يتباع من المذاب المذهبة
 والحري والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق
 وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء أربابها وأصناف النوروز البطيخ والتمان
 وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص القرقوصي وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من
 لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز بر مرق قال وأحضر كاتب الدفتر الاثبات
 بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع
 الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقي
 مذهبيات وحرييات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذمذهب وحريي ومشقق وفوط ديبقي
 حريي فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزة القصور ودار الوزارة والشيخ والاصحاب
 والخواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم
 في ذلك نصيب وأما الاصناف من البطيخ والتمان والبسر والتمر والسفرجل والعناب والهرايس على اختلافها
 فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم وبشر كهم في ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقصاب وسائر
 الاماثل وقد تقدم شرح ذلك فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالاتفاق وقال القاضي الفاضل في تعليق
 المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل
 ثوب وتوت أول سنتهم وقد كان عصر في الايام الماضية والدولة الخالصة يعنى دولة الخلفاء الفاطميين
 من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المناسكرات ظاهرة فيه والقواحش صريحة في يومه
 ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم ربه على دورا الاكابر
 بالجل الكبار ويكتب مناشير ويندب مترمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويتجمع
 المؤثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهد الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الاصوات ونشرب
 الخمر والمزشر باظهارا بينهم وفي الطرقات يتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقدار فان غلط
 مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستحلف بجرمته فاما فدى نفسه واما فضح ولم يجز

الحال في هذا النوروز على هذا ولكن قدرش الماء في الحارات وأحيى المتكر في الدور أبواب الخسارات وقال في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الأمر في النوروز على العادة من رش الماء واستجده فيه هذا العام التراجيم بالبيض والتصافع بالانطباع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفربه في الطريق رش بجماء فحسبه وخرقه * قال مؤلفه رحمه الله تعالى أن أول من اتخذ النوروز جشيد ويقال في اسمه أيضا جشاد أحد ملوك الفرس الأول ومعناه اليوم الحديد وللفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه في غير هذا اليوم وقد صنف على بن حمزة الأصمها في كتابا بمفيد في أعياد الفرس وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال كان اليوم الذي رد الله فيه إلى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز فجاءت إليه الشياطين بالنف وكنت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء في مناسقيها فرشته بين يدي سليمان فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمي ذلك اليوم نيروزا وذلك أنه وافق هذا اليوم الذي يسمونه النيروز فكانت الملوك تتين بذلك اليوم واتخذوه عيدا وكانوا يرشون الماء في ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ويثمنون بذلك ولله در القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكتي * وكل ما فيه يحكي وأحكيه
فناره كاهيب النار في كبدي * وماؤه كتوا إلى دمعتي فيه

وقال آخر

نورز الناس ونورز * ت ولكن بدموعي
وذكرت نارهم والنار ما بين ضلوعي

وقال غيره

ولما أتى النوروز يا غاية المني * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشى * فنورزت صبجا بالدموع على الخدة

(الميلاد) * وهو اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم والنصارى تتخذ ليله يوم الميلاد عيدا وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك وما برح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الخدات المملوءة من الخلاوات القاهرة والمتارذ التي فيها السمك وقرابات الجلاب وطيا فير الزلاية والبوري فيشمل ذلك أبواب الدولة أصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في تاريخه

(الغطاس) * ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس في اليوم الحادي عشر من طوبة * قال المسعودي في مروج الذهب واللبلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينال الناس فيها وهي ليلة إحدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والاختشيد محمد بن طفيح في داره المعروفة بالختار في الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأخرج من جانب الجزيرة وجانب القسطنطين مشعل غير ما أخرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو ألف من الناس من المسلمين والنصارى منهم في الزوارق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على الشواطئ لا يتناكرون كل ما يحكمهم انظاره من المأككل والشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويعطس أكثرهم في النيل وينعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسيحي في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة في عدة مواضع على شاطئ النيل فنصبت اسرّة للرئيس فهدى بن ابراهيم النصارى في كاتب الاستاذ برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والمهلون وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة خمس عشرة وأربع مائة وفي ليلة الأربعاء رابع ذي القعدة كان غطاس النصارى بغير الرسم من الناس في شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لا عزاز دين الله بن الحاكم لقصر جسده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم إلى البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الأسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر

وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لا عزازدين الله بأن توفد المشاعل والنار في الليل فكان وقيدا كثيرا وحضر
الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هائل طويلا إلى أن غطسوا وقال ابن المأمون أنه كان من
رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة التبرج والنارنج والليون المراكبي وأطنان القصب والسمك
والبورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والأقلام

* (خمس العهد) * ويسميه أهل مصر من العائمة خمس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام
ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خمس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف
خزوبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدم

* (أيام الركوبات) * وكان الخليفة يركب في كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين والتج وقبة الهواء
والخمس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيعم الناس في هذه الأيام من الصدقات
أنواع ما بين ذهب وما كل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب

* (صلاة الجمعة) * وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في جامع القاهرة
الذى يعرف بالجامع الأزهر مرة وفي جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمي مرة وفي جامع عمرو بن العاص
بمصر أخرى فينال الناس منه في هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى
عند ذكر الجامع الأزهر * والله در الفقيه عمارة البني فقد ضمن مريضه أهل القصر بجلا ماذكر وهي

القصيدة التي قال ابن سعد فيها ولم يسع فيما يكتب في دولة بعد انقراضها أحسن منها

رميت يادهر ككف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الخلى بالعطل

سعيت في منهج الراي العثور فان * قدرت من عثرات الدهر فاستقل

جسدت ما رنت الاقني فأنتك لا * ينقك ما بين قرع السن والخل

هدمت قاعدة المعروف عن عجل * سعيت مهلاً أمانتني على مهل

لهني ولهف بني الآمال فاطمة * على نجبتها في اكرم الدول

قدمت مصر فأولتني خلافتها * من المكارم ما أربى على الأمل

قوم عرفت بهم كسب الألف ومن * كمالها أنها جاءت ولم أسل

وكنت من وزراء الدست ديني * رأس الحصان يهاديه على الكفل

ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرست من عارض الخلل

يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عذلي

بأن الله در ساحة القصرين وابك معي * عليهم لا على صفيين والجل

وقل لا هليم ما والله ما التحمت * فيكم جراحى ولا قرحى بمن دمل

ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * في نسل آل أمير المؤمنين على

هل كان في الامر شيء غير قسمة ما * ملكتموا بين حكم السبي والنفل

وقد حصلت عليهما واسم جدكم * محمد وأبوكم غير منتقل

مررت بالقصر والاركان خالية * من الوقود وكانت قبلة القبيل

فأت عنها بوجهي خوف منتقد * من الاعادى ووجه الود لم يعمل

أسأت من أسفى دمعى غداة خلت * وحابكم وغدت مهجورة السبل

أبكي على ما تراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم اذا أضحت مكارمكم * تشكرو من الدهر حيفا غير محتمل

وكسوة الناس في الفاصلين قد درست * ورث منها جديدهم وبلى

وموسم كان في يوم الخليل لكم * يأتي تجملكم فيه على الجمل

وأول العام والعيدين كم لكم * فيهن من ويل جود ليس بالوشل

والارض تهتز في يوم الغدير كما * بهتزمابين قصر يكمن من الاسل
والخيل تعرض في وثى وفي شية * مثل العرائس في حلى وفي حبال
ولا حلت قري الاضياف من سعة الاطباق الاعلى الاكثاف والعجل
وما خصتم بتر اهل ملتكم * حتى عهدهم به الاقصى من الملل
كانت روايتكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز يتيسر الذي عظمت * منه الصلات لاهل الارض والدول
وللجوامع من احسانكم نعم * لمن تصدروا في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فعقلها * منكم وأضحت بكم محلوله العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجاة من عذاب الله غير ولى
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنه الله التي خلقت * من خان عهد الامام العاضدين على
اغنى وهداني والذخيرة لى * اذا ارتهنت بما قدمت من على
تالله لم اوفهم في المدح حقهم * لان فضلهم ككواكب الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ما كنت فيهم بحمد الله بالخل
باب النجاة هم دينها وآخرة * وحهم فهو اصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل الغيث ان ربت الانواء في المحل
أعنة خلقوا نور افنورهم * من محض خالص نور الله لم يغفل
والله ما زلت عن حبى لهم أبدا * ما اخر الله لى في مدة الاجل
وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رجه الله وتمت له الذنوب انتهى ما ذكره رجه الله تعالى

* (ذكر ما كان من امر القصرين والمنظر بعد زوال الدولة الفاطمية)

ولما مات العاضدين الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشي قراقوش على اهل
العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف في القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين وجعلهم في مكان
أفرد لهم خارج القصر وجع عومته وعشيرته في ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرق بين الرجال والنساء اثلا
تناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من
الخزائن والدواوين وغيرها من الاموال والنقاس وكانت عظمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى
والعبيد فأطلق من كان حرًا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستقر البيع فيما وجد
بالقصر عشرين وأخذ القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها امراءه وضرب الألواح على ما كان للخلفاء
وأشاعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للامراء
فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادي في قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب
الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضي الفاضل وفي ثالث
عشره يعني ربيع الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقبل ان الموجود فيه مائة
صندوق كسوه فاخرة من موشع ومرصع وعقود غنية وذخائر نفيسة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر
الخطر وكان الكاشف بها الدين قراقوش وبيان وأخذت أمكنة من القصر الغربي سكن بها الامير موسى
والامير أبو الهيثم السمي وغيره من الغزاة وملئت المناظر المصونة عن الناظر والمنتهزات التي لم يخطر ببالها
في الخاطر فسبحان مظهر الجائب ومحدثها ووارث الارض ومورثها قال ومقدار ما يحسد أنه خرج من القصر
ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس واثاث وقاش وسلاح ما لا يقي به ملك الاكسرة ولا تتصوره
الخواطر الحاضرة ولا يشتمل على مثله الممالك العاصرة ولا يقدر على حسابه الامن يقدر على حساب الخلق
في الآخرة * وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليعموري وجدت بخط المذهب أبي طالب محمد بن علي بن الخيمي

حدثني الأمير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف سمة
 عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخدام وأمة ومولدة وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن
 القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف سمة ليس فيهم فحل الاخلية وأهله وأولاده
 ولما أخرجوا منه أسكنوا في دار المظفر وقبض أيضاً صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد وكان ولي العهد
 وبنعت بالحامد لله واعتقل معه جميع أخوته الأمير أبو الأمانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم وسليمان بن
 داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن
 أبي الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجعاعة من بني أعمامه فلم ينالوا في
 الاعتقال بدار الفضل من حارة برجوان إلى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من
 دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد وأخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات
 العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الأيوبية وملك الاترا إلى أن تسلط الملك الظاهر ركن الدين
 بيبرس البندقداري فلما كان في سنة ستين وسقانة أشهد على من بقي منهم وهم كمال الدين اسماعيل بن العاضد
 وعماد الدين أبو القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع
 المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهر وأباطنا بخط الخوخ
 السبع وجميع المواضع المعروف بالقصر الباقى بالخط المذكور وجميع المواضع المعروف بسكن أولاد شيخ
 الشيوخ وغيرهم من القصر الشارح بابة قبالة دار الحديث النبوي الكاملة وجميع المواضع المعروف بالقصر
 الغربي وجميع المواضع المعروف بدار الفتوة بخط المشهد الحسيني وجميع المواضع المعروف بدار الضيافة
 بحارة برجوان وجميع المواضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرد وجميع البستان الكافوري ملك لبيت
 المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك
 ولا في شيء منه ولا مثوبة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كما ساءلنا في ذلك من مسجد الله تبارك وتعالى
 أو مدفن آبائهم وورث ذلك الأشهاد ثلث عشر ربيع الأول سنة ستين وسقانة وأثبت على قاضي القضاة
 صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي رحمه الله تعالى وتقرّر مع المذكورين أن
 مهما كان قبضه من ثمن بعض الأماكن المذكورة التي عاقده عليها وكلاؤهم واتصلوا إليه بحاسبوا به
 من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة
 وغيرها ورسم بيعها فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافراً أولاً فآؤلاً ونقضت شيئاً فشيئاً وبني في أماكنها
 ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضي القضاة شمس
 الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية
 بألف وخمسة وسبعين ديناراً في ربيع جادى الآخرة سنة ستين وسقانة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر
 وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادى عشرى جادى الآخرة المذكور وقاعة
 السدرة هذه قد صارت هي وقاعة الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقدارية قال القاضي
 الفاضل وفي يوم الاثنين سادس شهر رجب يعني من سنة أربع وثمانين وخمسائة ظهر تسحب رجلين من
 المعتقلين في القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخري من أقارب الحافظ وكبرهما سناً كان معتقلاً
 بالايوان حدث به مرض وأُخِن فيه ففك حديدته ونقل إلى القصر الغربي في أوائل سنة ثلاث وثمانين واستقر
 لمأبى ولم يستقل من المرض وطلب ففقد واسمه موسى بن عبد الرحمن أبي حمزة بن حيدرة بن أبي الحسين أخي
 الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلاً في وقت
 الكائنات بأهله وأقام بالقصر الغربي مع من أسره إلى أن كبر وشب قال وذكر أن القصر الغربي قد
 استولى عليه الخراب وعلا على جدرانته التشعث والهدم وأنه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين وربما
 تسلق إليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتسلق منه إذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته في القصر المذكور
 مانعة من التسحب قال وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنان
 وخسون شخصاً ذكور ثمانية وتسعون واثان مائة وأربعة وخسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون

ذكورا أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلابه اثنا عشر من بنات العاضد خمسة أخوته أربع جهات
 العاضد أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة
 وخمسون رجلا منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصا
 ذكورا ثمان وثلاثون اكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة اثنا مائة وأربع وثلاثون

بنات أربع وستون اخوات وعمات وزوجات سبعون * قال وفي جمادى

الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من في دار المظفر بحارة

برجوان والقصر الغربي والايوان من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم

مضافا اليهم ثلثمائة واثنين وسبعين نفسا دار المظفر أحرار ومماليك

مائة وست وستون نفسا القصر الغربي أحرار مائة وأربعون

نفسا الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون وأما منازل

العز فاشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن

نجيم الدين ايوب بن شادى في نصف شعبان سنة ست

وستين وخمسمائة وجعلها مدرسة للفقهاء

الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفاً

على المدرسة المذكورة والله تعالى

اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وسلم

تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه ويتلوه الجزء الثاني الحارات

27-15414

2380

893.7 M281

01

001-1

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



